

مركز دراسات الدكتوراه : "اللغات والتراث والتهيئة المجالية"
تكوين الدكتوراه: التاريخ والتراث
محور: الدراسات الإسلامية
مختبر: الدراسات الدينية والعلوم المعرفية والاجتماعية

أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية في موضوع:

مؤسسة المسجد التفاعلي وأثرها الوظيفي —دراسة نظرية ميدانية—

إشراف الأستاذ الدكتور:

هشام خباش

إعداد الطالب الباحث:

عدنان مهنديس

117CED/16

تاريخ المناقشة: 10 يوليوز 2019م.

لجنة المناقشة :

الدكتور: عبد الرزاق وورقية	رئيسا
الدكتور: عبد الرحيم شطبية	عضوا
الدكتور: بن زاكور محسن	عضوا
الدكتور: رايش عبد القادر	عضوا
الدكتور: هشام خباش	مشرفا ومقررا

السنة الجامعية: 2018م / 2019م.

1439هـ / 1440هـ.

بسم الله الرحمان الرحيم

مقدمة البحث:

• كلمة شكر:

أحمد الله وأشكره على ما أمدني به من عون في إتمام البحث، فتلك من النعم التي تستوجب الاعتراف والشكر له، ثم أتقدم بالشكر الجزيل والاحترام الكبير لأساتذتي الفضلاء وشيوخني الأجلاء؛ سواء من داخل رحاب هذه الكلية العامرة أو من خارج أسوارها؛ والذين تعلمت منهم وأفدت من دررهم، بدءا في ذلك بأستاذي الفاضل الذي أشرف علي في هذه الأطروحة؛ الأستاذ الدكتور هشام خباش، والذي صاحبني خلال قيامي بأعمال هذا البحث بخلق رفيع ومعاملة طيبة وتتبع وتقويم دقيقين حكيمين، إلى أن استوى البحث على سوقه.

كما أن الشكر موصول كذلك إلى السيد مدير مختبر الدراسات الدينية والعلوم المعرفية والاجتماعية التابع لكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس الأستاذ الدكتور سيدي محمد زهير الذي لم يخل علينا في هذا المسلك التكويني للدكتوراه بالتوجيه وتقديم النصيح، معربا في ذلك عن الجد والحزم اللازمين في مواصفات الطالب الباحث.

كما لا يفوتني تقديم عبارات الشكر الوفير للسادة المحترمين أعضاء لجنة المناقشة، والذين تحملوا عبء قراءة هذا البحث، وذلك من أجل تقويم اعوجاجه وترميم خلله، فلهم مني كامل التقدير والاحترام مع واجب التعهد مني بالأخذ بما يصوبون ويوجهون من ملاحظات حول ما اكتشفوه من مواطن الثغرات والخلل في هذا البحث.

لا أنسى كذلك أن أعبر عن خالص شكري وعظيم امتناني إلى والدتي العزيزة وإلى زوجتي الكريمة حيث لم يخل علي أحد منهما بالدعم والتحفيز، وإلى كل من كانت له يد -قريبا كان أو بعيدا- في إنجاز هذا البحث، وذلك بإعارة كتاب أو تقديم فائدة أو توجيه نصيح أو المشاركة في استجواب أو تعبئة استمارة... أو غير ذلك من وجوه المساعدة والتعاون، فالكل مشكور بكرم اسمه وجميل وسمه.

والله تعالى أسأل أن يجزي الجميع خير الجزاء، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يقوي ضعفنا ويختم بالصالحات أعمالنا، كما أسأله سبحانه أن ينفعني بهذا البحث ويوفقني إلى الامتثال والعمل بما فيه من قيم ومبادئ.

• إشكالية البحث:

تتمحور الإشكالية الرئيسة للبحث حول: كيف يمكن لمؤسسة المسجد أن تسخر الموارد المتاحة والممكنة لتفعيل مختلف وظائفها وأنشطتها وذلك من أجل أن يصبح المسجد فضاء لا يكتفي فقط بتوفير الجو المناسب لأداء العبادات الواجبة فحسب، بل ليحرك عجلة التواصل والتفاعل الاجتماعي، حتى يتسنى له الانخراط في شتى المجالات الحيوية داخل المجتمع؛ فيصبح بذلك مؤسسة قادرة على منافسة شريفة لباقي المؤسسات التي يعول عليها في إحداث الإصلاح والتغيير الإيجابي المنشود، وليتمكن في آخر المطاف من تلبية الحاجات النفسية والمعرفية والتربوية والاجتماعية للأفراد والجماعات، ويسهم بذلك في حل الإشكالات التي تعترض سبلهم في الحياة وتعيق تنمية تفاعلهم مع الواقع الذي يعيشون فيه، وبالتالي فموجز هذه الإشكالية كيفية تصوير مؤسسة المسجد محركا أساسا وفاعلا، يحضر بقوة ضمن المجتمع في جميع إيقاعاته، بما يحقق سعادته ويلبي حاجاته ويسهم في التخفيف من إشكالياته الكبرى، وبصيغة أخرى: إلى أي حد يمكن التوفيق بين الرسالة الوظيفية لمؤسسة المسجد وبين الحاجات الراهنة في المجتمع من أجل أعمال هذه الرسالة في تلبية هذه الحاجات، وما هي الإكراهات الموضوعية والواقعية التي قد تواجه هذا التوفيق؟

وتتطلب معالجة هذه الإشكالية الكبرى للأطروحة تقسيمها إلى إشكاليات صغرى، وهي إشكالات متفرعة تنتج عن تجزئ الإشكالية الأم التي بدأت ببسطها، ويمكن بسطها كالاتي:

1- كيف يمكن استثمار مؤسسة المسجد التفاعلي في المجال التربوي والقيمي للنهوض بمستوى القيم الأخلاقية لفئتي الطفولة والشباب في مجتمعنا الحالي؟

2- إلى أي حد يمكن تغيير واقع المسجد الحالي من حيث الانفتاح على المحيط، ليشكل فضاء حيويا يحتضن النقاش الفكري والسياسي داخل المجتمع، حتى يتمكن من ملء الفراغ الذي يعاني منه مجموعة من الفئات، لئلا يكون الأمر مولدا رئيسا لظهور فكر الغلو والتطرف والتكفير، والتوغل في التجمعات السرية التي تشكل خطرا على النظام العام للدولة؟

3- كيف يمكن تفعيل المؤسسة المسجدية داخل محيطها في المجالين الاجتماعي والاقتصادي من أجل توفير وتقديم مجموعة من الخدمات ذات المنفعة العامة للفرد والجماعة، دون أن يشكل ذلك اصطداما مع أي طرف أو جهة معينة من الجهات التي تشغل وظيفيا في نفس المجال؟

4- ما الحدود الممكنة والمجالات المتاحة التي يمكن أن نوظف فيها مؤسسة المسجد التفاعلي من أجل الاشتغال في إطار توفير البدائل الممكنة داخل المجتمع، لسدّ مجموعة من المنافذ التي عجزت مؤسسات وجهات أخرى على التوفيق في سدّ منافذها؟

5- كيف يمكن للمجتمع أن يتقبل فكرة المسجد التفاعلي؟ وما هي التطلعات والمنتظرات التي يأملها الناس من خلال تفعيل وظائف هذه المؤسسة؟ وهل يقبل المشروع التفاعلي على إطلاقه؟ أم هناك منه ما يقبل ومنه ما يرد؟ وما هي الاعتبارات المرجعية التي تحكم القبول أو الرفض؟

6- ما الضوابط الممكنة التي يمكن أن يستثمر وفقها المسجد التفاعلي في المجال الحضاري لتطوير مجال التعريف بالدين الإسلامي لغير المسلم بمنهج ملائم، قد يكون سبيلا إلى تغيير مجموعة من الصور النمطية التي انطبعت عند الآخر في هذا الصدد؟

7- ما طبيعة الإكراهات والحواجز التي تواجه الأجرأة العملية للأنشطة التفاعلية التي تبلور حقيقة العمل الوظيفي لمؤسسة المسجد التفاعلي؟

• موضوع البحث وأهميته وأسباب اختياره:

1- موضوع البحث:

من خلال العنوان الذي وضعته للبحث وهو: مؤسسة المسجد التفاعلي وأثرها الوظيفي - دراسة نظرية ميدانية-؛ يتبين أن الموضوع الرئيس للبحث هو المسجد، من حيث استقراء وتتبع الوظائف التي يؤديها في المجتمع الإسلامي، وبالتالي، فهو يرصد الوظائف التي شهدتها التاريخ منذ أول نشأة لهذه المؤسسة إلى يومنا هذا، مع التأصيل الشرعي للقضايا الوظيفية بما يناسبها من الوحيين (الكتاب والسنة)، وذلك قصد تقييم الوضع الحالي لها من حيث الحضور والغياب والتغيرات التي شهدتها هذه المؤسسة، من أجل قياس مدى الحاجة إليها في الوقت الراهن، ثم إمكانية التنبؤ بإضافة وظائف مسجدية أخرى، يمكن أن تدخل ضمن الإطار الوظيفي العام للمسجد في حدود الممكن الواقعي وفي حدود ما تسمح به الإمكانيات المادية والبشرية، دون الخروج عن الإطار التفاعلي بين المسجد والإنسان.

ويظهر من خلال منهج الدراسة ونوعيتها المحددة¹ أن البحث يسير في اتجاهين نظري وميداني، فالشق النظري منه يستمد مادته العلمية أساسا من القرآن الكريم والأحاديث النبوية ثم من التاريخ، بالإضافة إلى ما كُتب في موضوع المسجد من طرف العلماء والمفكرين والباحثين في كتب ومقالات، مع تسليط الضوء وتركيز الكلام في هذه المستندات على ما يخدم مقاصد الموضوع ويجلي رؤيته، دونما إغراق في المباحث ذات الصبغة الفقهية الصرفة أو المباحث المشحونة بالمعطيات التاريخية المحدودة أو المليئة بالأرقام الإحصائية، مما لا جدوى وراءه، لأن ذلك قد يبعد البحث عن أهدافه المسطرة ويخرجه عن روحه المنهجية التي يتعين التقيد بها والتعهد بمطابقتها، كما أن البحث لا يتوخى السرد وتكديس المعلومات، بقدر ما يصبو إلى إبراز وإثارة أهم الجوانب المعرفية التي من شأنها أن تحلي الموضوع المبحوث في شقه الوظيفي التفاعلي.

فلا يأخذ البحث من الفقه إلا قدر ما يتعلق بالجوانب الوظيفية والتفاعلية للموضوع، كما أنه لا يأخذ من التاريخ إلا المقدار الذي يحقق الاستئناس التفاعلي للموضوع، ولا يستغرق في سوق كل الآيات والأحاديث المؤطرة للموضوع، لأنه ليس بحثا للجمع والاستقصاء.

أما الشق الميداني؛ فيتعلق بأفكار وآراء الناس ممن يشكلون عينة الدراسة في تصوراتهم لموضوع البحث، وذلك برصد مقترحاتهم وأجوبتهم عبر الأدوات المنهجية الموظفة لهذا الغرض، بغية تحليلها وتكوين تصور ميداني من خلالها حول نظرة هذه الفئة للمؤسسة المسجدية من حيث الوظائف الكائنة ومن حيث الوظائف المنتظرة منه.

2- أهمية الموضوع:

لا يخفى على أحد يهتم بمطالعة المكتوب والمنتوج في ساحة المواضيع الشرعية أن هذه الأخيرة تكتسي في جلها أهمية كبيرة؛ انطلاقا من شرف العلم المتعلق بشرف المعلوم؛ كما تنص على ذلك القاعدة الفقهية، لكن هذه الأهمية تتفاوت داخل دائرة هذه المواضيع، وذلك تبعا لثلاثة أمور أساس:

¹ وذلك من خلال التأمل في مركبات العنوان الذي وضعته لموضوع الأطروحة، أما المنهج بتفاصيله وإجراءاته؛ فسيتم التطرق إليه في فصل مستقل وهو الفصل الخامس من الخطة المعتمدة في الأطروحة، وقد سلك هذا المسلك تجنباً للإطالة في مكونات المقدمة، لأن الفصل المنهجي يتضمن تفاصيل دقيقة، تتطلب استقلاليته وإفراده في فصل خاص.

-الأمر الأول: المقاربة التي تتم بها مناولة الموضوع، فيمكن أن نجد نفس الموضوع قد تمت مقارنته بتصويرين منهجين مختلفين تماما، فيكون أحد المنهجين الموظفين عاملا أساسا في إضفاء الأهمية على الموضوع بالمقارنة مع المنهج الآخر الذي تم توظيفه لدراسة الموضوع نفسه، وعليه؛ فقد يزري المنهج بكثير من المواضيع المدروسة، فيظهرها في ثوب ضعيف، وذلك نظرا لانعدام معيار الملاءمة بينهما.

وبناء على ذلك؛ فممّا يجسد أهمية موضوع هذا البحث بالذات هو تبني المنهج الميداني المستند على مجموعة من الآليات المنهجية، على رأس هذه الآليات الاستمارة التي ترصد آراء واختيارات الفئة المستجوبة حول الموضوع البؤرة، وبالتالي، نكون أمام معطيات ميدانية واقعية، وليست مجرد معطيات نظرية.

-الأمر الثاني: الظروف والوقائع الراهنة وما يميزها من مستجدات وملابسات، حيث إن موضوع الارتباط بالمسجد يشكل مجالا حيويا، وذلك من خلال موقعه في الوقت الراهن، سواء من حيث المكانة الروحية أو من حيث المكانة التربوية أو من حيث المكانة الاجتماعية بالإضافة إلى ما يثار حول هذه المؤسسة من شبهات وعلامات استفهام في كثير من القضايا كالعلاقة مع العنف والتطرف مثلا ...، فوجود المسجد في الواقع الحالي للمجتمع الإسلامي أمر يكاد يكون من الثوابت والمسلمات التي لا تقبل التنازل أو التفاوض.

-الأمر الثالث: ارتباط المسجد بموضوع فعال وحساس وجذاب في الآن نفسه، بل يفرض نفسه في الوقت الراهن، ألا وهو موضوع التفاعل، لذلك يعتبر هذا المركب الوصفي -الموسوم ب: المسجد التفاعلي- مركبا محفزا وجديرا بالاهتمام، إذ إن هذا الاقتران يبعث على مجموعة من التساؤلات التي تجسد أهمية هذا الموضوع، وذلك من قبيل: ما الأوجه التفاعلية لمؤسسة المسجد؟ كيف يمكن استثمار هذه الأوجه والجوانب التفاعلية لهذه المؤسسة في إصلاح أوجه الخلل المرصودة في المجتمع؟ ما السبيل إلى إعادة إحياء هذه الوظائف المسجدية التفاعلية للرجوع بالمسجد إلى سابق نهضته وسالف عهده الزاهر؟ هل التفاعلات المسجدية كفيلة بالإجابة عن أسئلة الوضع الراهن للمجتمع ومواكبة أحواله؟

3-أسباب اختيار الموضوع:

وقع اختياري لموضوع البحث حول مؤسسة المسجد التفاعلي، نظرا لعدة أسباب تتنوع بين الذاتية والموضوعية، ولعل من أهم تلك الأسباب أذكر:

- ربط اللاحق بالسابق، من خلال استمرار ومواصلة الحفر في جوانب الثقافة الإسلامية الأصيلة التي ترتبط بالمسجد، حيث كان الإشكال الذي قمت بمعالجته في رسالة الماجستير هو إثبات أن المؤسسة المسجدية فضاء تواصلية يتيح كشف مجموعة من المفاهيم التواصلية في مجالاته المختلفة ذات الصبغة الحيوية، وبقي إشكال آخر أكثر توسعا يرتبط بموضوع المسجد وهو إلى أي حد يمكن أن تسهم وتؤثر المظاهر والخصائص التواصلية لمؤسسة المسجد في إحداث التغيير الإيجابي المنشود وتحقيق تطلعات مجتمعية معاصرة، انطلاقا من المدخل الأساس المؤطر للدين في شموليته وهو أن الدين جاء لتحقيق مصلحة العباد.

- اقتراح الأستاذ المشرف الدكتور هشام خباش توسيع موضوع مؤسسة المسجد ومعالجة قضاياها الوظيفية ميدانيا نحو مشروع مؤسسة المسجد التفاعلي، وذلك بعد اطلاعه على موضوع رسالتي في الماجستير، والذي تمحور حول التأسيس للبعد التواصلية للمسجد من حيث المفهوم.

- الرغبة الذاتية في محاولة تحليلية مدى قدرة المؤسسة المسجدية على الإصلاح الفردي والجماعي، وقدرتها على الإسهام في التقليل والحد من مجموعة من الظواهر التي تمزق كيان المجتمع الإسلامي، وذلك من خلال ما يمتلكه هذه المؤسسة من آليات ومناهج وموارد وظيفية مناسبة تجعلها مؤهلة لمباشرة هذه المهمة.

- محاولة كشف الأوجه والدلالات المقصدية لرسالة المسجد مع توزيعها إلى مجالات حيوية متعددة تخدم مصلحة الإنسانية جمعاء دون تمييز أو استثناء.

- المحاولة العملية لدحض الشبه المغرضة التي تريد أن تجعل من مؤسسة المسجد فضاء عقيما منغلقا منحصرا ومقصورا على أداء عبادات وفرائض محدودة، وأنه غير قادر على المواكبة والانفتاح على المستجدات التي تعرفها وتعيشها الساحة العالمية في مختلف المجالات الحيوية، والتي لا تصطدم مع الثوابت المرتبطة بمقصدية ورسالة هذه المعلمة الرائدة.

- الإسهام في إعادة رد الاعتبار لمجموعة من الوظائف التي يؤديها المسجد، والتي تضائل إشعاعها في الواقع المعاصر نظرا لمجموعة من الاعتبارات والأسباب، مما يستدعي أن تبذل جهود مضيئة وتضحيات جسيمة في سبيل إحيائها وتحديد التذكير بها ليستقر أثرها في النفوس، حتى تستعيد مؤسسة المسجد نشاطها وتنهض بذلك رسالتها على الوجه الراقي الذي كانت عليه في سالف عهدها.

-الرغبة في تأسيس ثقافة تجديدية ووعي معاصر لانطلاق مشاريع تنموية وإصلاحية، بحيث تتخذ هذه المشاريع من مؤسسة المسجد مهذا وأرضية لاشتغالها الميداني، بحيث تشكل نواة لبدايل جديدة تعود على هذه المؤسسة وأفرادها بالنفع المادي والمعنوي، ويمكن أن نصلح على هذه العملية المرجوة بالمقارنة التي تزواج بين الممكن الوظيفي والتطلع الواقعي.

• الدراسات السابقة حول موضوع البحث:

هناك العديد من الكتابات والاهتمام بالتأليف حول موضوع المسجد، إلا أن أهم ما يميز هذه الكتابات هو ما يلي:

-تركيز الكثير منها على وصف الجوانب المعمارية والهندسية، مع ذكر الأرقام والمعطيات التاريخية والإحصائية حول التغييرات التي شهدتها مؤسسة المسجد من حيث المكونات المادية بين الماضي والحاضر، ولا شك أن الكثير من هذه المعطيات الرقمية والتي تتعلق أساسا بالمقاسات والمساحات قد لا تفيد نوع البحوث على غرار ما أشتغل عليه في الشق الوظيفي والتفاعلي، وأرى أن هذه المعطيات هي ذات صلة مباشرة مع علم التاريخ والآثار، ومن أمثلة هذا النوع من التأليف يمكن أن أذكر: كتاب عمارة المساجد-تصميم وتاريخ وطرز وعناصر، وهو للأستاذ محمد ماجد عباس خلوصي، إذ جمع فيه صاحبه جملة من الخصائص والمميزات الهندسية والتصميمية التي تتعلق بالمساجد، إلا أنه يتضمن مجموعة من الأبعاد التفاعلية التي تصاحبها، مما جعلني أعتد عليه بشكل كبير عند الحاجة إلى رصد الجوانب التفاعلية لتخطيط المسجد وتنظيم مكوناته، رغم أن البصمة المعاصرة في وجوه المقارنة تبقى على عاتق هذا البحث، ليحظى بمواصفات التميز والفرادة في هذا الصدد.

-توسع عدد من هذه الكتابات في قصر وحصر الدراسة على مسجد معين أو مساجد معينة كمعلمة دينية تستدعي إبراز أهم المميزات والمواصفات التي شكلت عنصرا بارزا فيها، عن طريق منهج البحث التاريخي أو الوصفي، ومن هذا النوع من التأليف نجد كتاب: مساجد مراكش عبر التاريخ للأستاذ أحمد متفكر، وهو عمدة في البحث لكونه أقرب إلى ميدان الاشتغال، حيث عرّف صاحبه بمجموعة من المساجد المراكشية وذكر أوصافها المادية والمعنوية، ولم يغفل في ذلك من تسجيل أهم الإشارات التفاعلية التي ميزت هذه المساجد، خاصة فيما يتعلق بمسجد ابن يوسف، والذي لم يقف إشعاعه التفاعلي في المجال العلمي، بل تعدى إشعاعه إلى مجالات حيوية أخرى.

-اعتناء عدد ضئيل منها برصد الجوانب الفقهية وذكر الأحكام الشرعية المتعلقة بها، مع بيان الآداب التي ينبغي التأدب بها عند التردد عليها، ولعل أبرز مثال على هذا النوع من التأليف كتاب (إعلام الساجد بأحكام المساجد) للإمام الزركشي (ت794هـ)، إلا أن الملاحظة البارزة في التعامل مع هذا الكتاب أنه رغم غزارته العلمية في القضايا الفقهية فإنه يفتقد إلى عنصر الدقة والعزو في نسبة الأقوال إلى أصحابها، وهو الشيء الذي يتعب الباحث في جهد التنقيب على المصدر الذي قيل فيه ما تم نقله.

-وجود عدد مهم من الكتب التي اهتمت بالحديث عن عمارة الحرمين الشريفين، وذلك إما بشكل منفرد أو بشكل مزدوج، وهذا راجع إلى أفضليتهما عن سائر المساجد ومكانتهما المنبثقة مما يكتنفهما من نصوص شرعية تفرد لهما ميزات لا توجد في غيرهما من المساجد، ويمكن داخل هذا الصنف من الكتب أن نتحدث عن نوع منها اهتم بالأمر التعميري في شقها التصميمي المادي، كما يمكننا الحديث عن نوع آخر منها يهتم بما يتعلق بالوظائف والأنشطة التي تجري في المؤسسة المسجدية، وهذا النوع مندرج تحت القسم الأول من التأليف الذي صدرت به هذه التقسيمات.

-توفر عدد مهم من المراجع العلمية التي ركزت معالجتها على مجال من المجالات الوظيفية والإشعاعية لمؤسسة المسجد، إلا أن هذه المعالجة يطغى عليها طابع الشمول وعدم الاستيعاب بدقة في مجموعة من التفاصيل الوظيفية، ومن أمثلة هذا النوع من التأليف نجد كتاب: المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي وهو للأستاذ علي عبد الحليم محمود، حيث يسوق صاحبه مجموعة من المظاهر والآثار الاجتماعية التي ميزت الرسالة المسجدية.

-وجود مقالات علمية رصينة دوريات وازنة تعالج الجانب الوظيفي في المسجد إما بشكل شامل وإما بشكل خاص كمعالجة الوظيفة الاجتماعية أو السياسية للمسجد، وأ سجل في هذا الصدد أن مجلة الفرقان المغربية قد أفردت عددا خاصا بالمسجد حيث حوى هذا العدد مجموعة من المقالات العلمية في مواضيع متنوعة متعلقة بالموضوع الرئيس وهو المسجد، بالإضافة إلى احتواء البعض منها على معطيات ميدانية دقيقة من قبيل الجداول الإحصائية التي تفيد في معالجة المعطيات الموضوعية بناء على واقعية ملموسة.

-خلو الساحة العلمية -إلى حدود ما اطلعت عليه واستشرت فيه مع المتخصصين- من أطروحات علمية وبحوث أكاديمية اهتمت بدراسة إشكالية تتعلق بموضوع المسجد، مما يمكن معه الوقوف على المحطة التي وصل إليها قاطرة البحث العلمي الأكاديمي في هذا الصدد، دون أن ننسى أن جانب المقالات يحظى بغنى في معالجته

لموضوع المسجد رغم عدم الاستيعاب، لأن المقال يركز على زاوية معينة محدودة وضيقة تتعلق بالموضوع إما من حيث الوظيفة أو من حيث التاريخ أو من حيث التنظيم الإداري، ولا شك أن هذه المقالات تعتبر عمدة في البحث، إذ هي تطور علمي متواصل لما تم تسطيره في الموضوع.

يقول الأستاذ رؤوف القاسمي: 'إن موضوع البحث المختص لدراسة المسجد يكاد ينعدم على الساحة العلمية ما عدا الدراسات الموجهة ومعظمها مرتبطة بتصور أو طرح إيديولوجي، ويرجع انتشار الدراسات التي تناولت موضوع المسجد إلى ميادين معرفية متعددة: كالتاريخ والآثار والفنون الجميلة' (مقال: التنظيمات المسجدية/رؤوف القاسمي، مجلة: الحركة الجموعية في الجزائر - الواقع والآفاق -، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، سلسلة الدفاتر لمجلة إنسانيات، دفتر رقم 1، منشورات كراسك).

ولا يفوتني أن أسجل في هذا المقام أن بعض الباحثين حدثني عن أطروحة جامعية في موضوع: نوازل المسجد (دون استحضار العنوان بدقة) قد تمت مناقشتها غير بعيد في جامعة الإمام بالمملكة العربية السعودية، إلا أن حداثة عهدها بالمناقشة بالإضافة إلى بعد المكان لم يسعفاني في الحصول والاطلاع عليها، وذلك قصد رصد الجديد في هذا العمل.

-وجود الكثير من التكرار والإعادة في المعطيات التي سبق تداولها في مراجع ومقالات تم نشرها من قبل، بل إننا قد نجد أحيانا عناوين مكررة بعينها، مما يبين أن هناك ضعفا في التواصل العلمي بين مكونات المجتمع الأكاديمي والتي تهتم بنفس الوحدة الموضوعية، كما يفقد الكثير من المنتوجات العلمية في هذا المضمار جانب الرصانة والجدة.

● أهداف البحث:

ويمكن تقسيم هذه الأهداف إلى قسمين: أهداف قريبة المدى وأهداف بعيدة المدى.

فالأهداف قريبة المدى التي يسعى البحث إلى محاولة تحقيقها كثيرة جدا، ومن بينها:

-توفير قاعدة بيانات لمجموعة من المعطيات الوظيفية لمؤسسة المسجد، يتم تتبعها وجمعها بطريقة استقرائية¹ نظريا وميدانيا، مع تصنيفها حسب المجال الحيوي الذي تنتمي إليه.

¹استقراء غير تام.

- إيجاد البدائل الممكنة والمتاحة من أجل حل مجموعة من المشاكل الواقعية الراهنة، بواسطة التوظيف والإعمال الجيدين لخدمات هذه المؤسسة، في ظل عجز مجموعة من المؤسسات المجتمعية والدولية وفشل عدد من الحلول المقترحة في مواكبة وحل المشاكل التربوية والاجتماعية الراهنة.

- البرهنة على أهمية مؤسسة المسجد وقوتها وإمكانية مواكبتها ومسايرتها للمستجدات المعاصرة، بالإضافة إلى قدرتها على احتواء وحل مجموعة من الإشكالات المجتمعية المستعصية، وذلك على غرار ما أسهمت به في هذا الصدد خلال العصور الأولى التي شهدت ندرة لهذا النوع من المشاكل بفضل انخراطها الإيجابي في قلبها.

- إضفاء حلة جديدة على وظيفية المسجد والسعي إلى إلحاق خدماته الحيوية التي يحتاجها الأفراد داخل المجتمع، والتي قد تكون بمقدورها أن تحد -أو على الأقل أن تقلل- من الظواهر والسلوكيات الشاذة التي تمزق كيان المجتمع الإسلامي.

- الإسهام إيجابيا ومنهجيا في تغيير الصورة النمطية التي انطبعت حول المؤسسة الدينية وخاصة المؤسسة المسجدية، والتي أضحت من شبه المسلمات التي لا تناقش، بأنها غير قادرة على مسايرة التطورات والأحداث فضلا عن أداء خدمات وظيفية محفزة، وبالتالي فهذا الهدف يرمي إلى دحض وتفنييد -عمليا- الشبه المغرضة التي تريد أن تخدم التيار العلماني القاضي بأن المسجد مؤسسة مغلقة على نفسها ينحس نشاطها الوظيفي في أداء العبادات المؤقتة لمن يريدون أداءها فيها.

- محاولة كشف الأوجه والدلالات المقصدية لرسالة المسجد وتوزيعها إلى مجالات حيوية متعددة تخدم مصلحة الإنسانية جمعاء بغض النظر عن مرجعيتها الدينية.

- استطلاع آراء الناس حول مؤسسة المسجد ومدى تقبلهم لخدماته الوظيفية، ومأمولهم الذي ينتظرونه من خلال عمل هذه المؤسسة وفعاليتها داخل روح المجتمع بالإضافة إلى رصد انتقاداتهم حول طريقة السير الوظيفي لها وما يكتنف ذلك من تخوفاتهم في هذا الصدد.

- التأسيس لمنطلقات تتعلق بمشاريع تنموية مرتبطة بمؤسسة المسجد، تشكل بدائل استثمارية جديدة قد تعود على المؤسسة المسجدية بالنفع وعلى أفرادها بالمصلحة المادية والمعنوية.

-لفت انتباه الجهات الوصية على هذه المؤسسة للنهوض بها وظيفيا والسعي الحثيث في تجاوز المشاكل والعقبات التي تشل من حركتها وتسهم في محدودية أثرها مما يؤدي إلى التراجع الكبير في وظيفية هذه المؤسسة وجعلها مقصورة على وظيفة التعبد الروحي فقط.

أما الأهداف بعيدة المدى؛ والتي تحتاج في تحقيقها إلى عدة زمنية مهمة، فمن أهمها:

-السعي إلى خدمة جهود البحث العلمي، الرامي إلى التأطير العلمي والتنظير التأصيلي للجوانب المؤسساتية، حيث لا يزال هذا الحقل في حاجة إلى خدمات وجهود متواصلة تغني وتقوي أسسه، كما أن حقل الاشتغال عبر المؤسسات الحيوية يعتبر من الرهانات التي يعول عليها بشكل كبير في عملية الإصلاح وهيكله وتنظيم العمل في مجالات العلوم الإنسانية وغيرها.

-إبراز أهمية وقوة المنهج الميداني التطبيقي في الاشتغال على المواضيع الشرعية، وأنه اختيار تبرز فيه مواهب الباحثين ويحقق الإضافة النوعية لمجال الاشتغال، عوض الاكتفاء بالمواضيع النظرية التي تبقى في منأى عن حيز التطبيق والتنفيذ.

-التأسيس لمنطلق التركيز على جوانب التواصل والتفاعل الإنساني، وذلك في معالجة القضايا الشرعية خاصة ذات الطابع المؤسساتي منها، حرصا على تجلية جوانب المصلحة والخدمة الإنسانية، مما يندرج ضمن الخاصية الواقعية التي تتميز بها الشريعة في كليتها.

• حدود البحث وقيمه:

1-حدود البحث:

تندرج هذه الدراسة التي قمت بها عن طريق منهج تحليل المضمون -والذي يستند أساسا إلى تقنية الاستمارة وإلى بعض الاستجابات والملاحظات والمقابلات العلمية- ضمن البحوث الميدانية التي تستهدف استطلاع الرأي وتكوين تصور مجتمعي نوعي حول نظرة فئة معينة من الناس -تحكمهم حدود جغرافية وانتماء اجتماعي معين- فيما يخص فكرة ومشروع مؤسسة المسجد التفاعلي في المجتمع من حيث القبول أو الرفض، حيث تم اختيار العينة بشكل عشوائي، رغم ما يوحدتهم من حيث الانتماء الجغرافي والتقارب السوسيووجداني، وبالتالي فهذه الدراسة تتسم بكونها غير قابلة للتعميم أو الإسقاط، رغم أن أعمال آلية التحليل العملي في

الدراسة المنهجية الميدانية يفترض عينة تتسم بالوسع من أجل إمكانية التعميم بمصادقية تامة، إلا أن احتياط القول بمنع التعميم هو الأسلم في براءة البحث والباحث.

وبالتالي، يمكن أن نجد نظير نتائجها ومميزاتها عند عينة أخرى من الناس، كما يمكن أن تختلف نتائج هذه الدراسة باختلاف العينة المستهدفة، وبالتالي فلا يمكن اعتبار النتائج المتوصل إليها عبر هذه الدراسة نتائج نهائية وحاسمة.

لكن نتائج هذه الدراسة تمكن من تكوين تصور معرفي حول نظرة فئة معينة من الناس لهذه المؤسسة، وقياس حجم الارتباط بها وبوظائفها ومدى تقبل انخراطها بشكل معين في المجتمع، وقد تفتح الآفاق لدراسة أخرى تبنى على معطياتها وترصد مواطن الخلل والثغرات لتكملها وتجبر كسرها.

ويمكن الحديث عن الحدود العامة للبحث في العناصر الثلاثة الآتية:

-الحدود الزمانية: حيث تم تنفيذ الاستمارة توزيعا وجمعا خلال الموسم الدراسي 2017/2018، وبالضبط إلى منتهى شهر مارس من هذا الموسم.

-الحدود المكانية: مدينة الجديدة ومناطقها التابعة لها تاريا، بالإضافة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بمدينة فاس.

-الحدود البشرية: الفئات البشرية المكونة للعينة الدراسية، والتي سيشار إليها في التفاصيل المنهجية للبحث في الفصل المخصص لذلك.

2-قيمة البحث:

من خلال العنوان البارز لموضوع البحث والمنهج الذي قمت بإعماله في الإنجاز والتنفيذ؛ يتبين أن البحث يتسم بصبغة تطبيقية ميدانية، حيث يعتمد على توظيف تقنية الاستمارة الميدانية بعد تحديد العينة المستهدفة من الدراسة، بالإضافة إلى الأخذ بعين الاعتبار آراء الناس وأفكارهم وتصوراتهم عبر آلية الاستجواب وإعمال منهجية المقابلة العلمية مع أهل الاختصاص، أو مع الذين لهم صلة مباشرة بالمجال المستهدف، وذلك من أجل الوقوف على أهم الجوانب المعرفية والوظيفية المتعلقة بموضوع الدراسة، وبما أن مجال التخصص الذي أشتغل فيه هو مجال العلوم الشرعية أو العلوم الإسلامية، فإن البحث برمته يمكن إدراجه ضمن ما يسمى بمجال

الإسلامية التطبيقية، وهو مجال حديث النشأة والاشتغال، تبذل في شأنه جهود كبيرة ومتواصلة لتطوير مجال البحث فيه وتعميق المناهج والمستجدات المتعلقة به وذلك في معاهد ومؤسسات جامعية بمجموعة من الدول الإسلامية التي تنحو هذا المنحى التجديدي كما هو الشأن بالنسبة لكل من تركيا وماليزيا - خاصة في الجامعة الإسلامية بها- ولعل هذا الأمر راجع إلى كون عدد كبير من البحوث التي أنجزت تتسم بطغيان الصبغة النظرية على مباحثها وتفصيليها، مما يجعل الحديد المتوصل إليه من خلالها هو من قبيل النادر، بل يكاد يكون التكرار والاجترار هو السمة البارزة في أغلب مخرجات هذه المنتوجات الأكاديمية، كما أن من الميزات التي تميز هذا النوع من البحوث الواقعية والنزول إلى الميدان من أجل استطلاع الآراء بشكل مباشر، فلا يكتفي فيها الباحث بمجرد المعطيات النظرية المستمدة من الكتب والمراجع المهمة بالموضوع، والتي قد تفرز لنا في آخر المطاف بحثا موسوما بالتكرار وانعدام الجدة والإضافة النوعية، فالبحث التطبيقي يهتم بالحاجيات الآنية والآراء الموضوعية والاقتراحات الميدانية، فيدرسها بمنهج ملائم، ويوليها العناية اللازمة والمعتبرة في التحليل والنقاش، كما أن هذا النوع من البحوث قد يرقى إلى الإسهام بشكل إيجابي في تصحيح مجموعة من المعطيات النظرية التي ظل الكثير منا يسلم بها، دون أن تخضع لمنطق التأويل والمساءلة والنقد والافتحاص.

إن هذه القيمة التي تتميز بها هذه الأنواع من البحوث تنسجم مع روح المقصدية العملية التي تميز الدين الإسلامي، حيث إنه دين لا يكتفي في مجموع تعاليمه بمجرد التنظير والعلم الخالي من العمل والتطبيق، بل يقوم على الركنين معا، كما أنه دين يتميز بخاصية التجديد والابتكار دونما تغيير وطمس للثوابت والمعالم التي استقر عليها الاعتقاد، انطلاقا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» (سنن أبي داود (ت275هـ): كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المئة، رقم: 4291، ج4/ ص109، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت).

● مفاهيم البحث:

قبل الولوج إلى العناصر العلمية للبحث؛ يليق بي أن أستفتح بكشف مجموعة من المصطلحات المفاتيح، والتي تتردد بكثرة في ثنايا هذه الأطروحة، مع تحليل مجموعة من الاختيارات المفاهيمية أو المصطلحية التي يتبين لي تبنيها أو اختيارها أثناء الدراسة، وذلك من أجل تسهيل تواصل القارئ مع المحتوى العلمي للبحث، وأهم هذه المصطلحات والاختيارات ما يلي:

1-المسجد:

المسجد مؤسسة دينية تشكل رمز الإسلام العملي، وترجم مجموعة من تعاليمه، حيث تؤدي وظائف روحية وتربوية واجتماعية، وذلك من أجل خدمة مصلحة الفرد والمجتمع والإنسانية عامة وفق تعاليم المنظومة الإسلامية، في نسق تكاملي تمتزج فيه هذه الوظائف.

وينقسم المسجد إلى عدة أقسام، نظرا لاعتبارات تفاعلية عدة ونظرا لخصوصيات ومميزات تجهيزية ومادية تتعلق به، ومن هذه الأقسام نحدد: المسجد الجامع، مسجد السوق، مسجد العمارة ...

2-المسجد التفاعلي:

وأعني به المسجد الحركي النشيط، والذي يعيش في دينامية تفاعلية بين مكوناته العضوية في علاقة مباشرة مع المكونات المادية المتوفرة في محيطه، أي: المسجد الذي يعرف واقعا حضورا فعليا إيجابيا للوظائف ذات النفع المتعدي في الحياة، والتي تعود بالمصلحة على الفرد وعلى المجتمع سواء، كما أن المسجد التفاعلي هو ذلك المسجد الذي لا تنحصر وظيفته في المجال التعبدية فحسب، كما هو متعارف عليه عند الكثير من الناس، بحيث يفتح ويغلق من أجل الصلاة فقط، نظرا لما هو مألوف واقعا، أو نظرا للصورة النمطية التي انطبعت من خلال التأويل الظاهري لمفهوم المسجد وعدم البحث في تكوين بنية المفهوم، كما أن المسجد التفاعلي مركب يمكن أن يجمع بين الأصول التفاعلية التي تأسست مع النشأة الأولية للمسجد خلال العهد النبوي وبين التطلعات والمستجدات المجتمعية المعاصرة، والتي يمكن أن يكون فيها المسجد شريكا أوليا في الانخراط ضمن مشروعاتها، وبالتالي فالمسجد التفاعلي في بعده المؤسساتي ثنائي القطب: مسجد مفعّل للوظائف المختلفة التي برزت منذ أول نشأة له ومسجد منفتح ومتقبل لمجموعة من الوظائف والمستجدات التفاعلية مما يتوافق وينسجم مع روح رسالته وانخراطه الإيجابي في الحياة بشكل عام.

3-النشاط:

أي: الحركة المحدثة بسبب اشتغال المسجد وقيامه بما يلزم من وظيفة أو فعل ما، على اختلاف مجال تصنيف هذا الفعل، ويعتبر هذا النشاط عنصرا قابلا للقياس والملاحظة، بل قابلا حتى للنقد البناء مع التصويب

والتقويم في أجراء مراحل و ترتيباته، ويتميز النشاط بتعدد مجالات ممارسته، بل قد تتعدد في النشاط الواحد وتداخل فيه عدة مجالات، والنشاط حدث يتطلب توفر ركنين أساسيين: المحرك والنتيجة، والمحرك هو العنصر البشري الذي يقود مراحل من التخطيط إلى التنفيذ، أما النتيجة فهي ما يترتب على النشاط من أثر مادي أو معنوي ملموس وقابل للقياس.

وعليه، فلا يمكن أن نتحدث عن نشاط مسجدي بدون دخل للعنصر البشري، فهو محوره الأساس، ويحدثه للنشاط تكون نتيجة معينة تتمخض عن مجموع التفاعلات التي يخلفها النشاط، وليس بالضرورة أن تكون النتيجة تحظى بقبول الناس، بل قد تخضع لانتقاد شديد ورفض مطلق.

4- التفاعل:

أعني بذلك مختلف العمليات الدالة على تبادل التأثير والتأثر بين المكونات الموضوعية التي يتم تسليط الضوء عليها في الدراسة، ولسنا بصدد التقييم الواقعي لهذا التفاعل من حيث الوجود أو عدمه، وإنما إمكانية وقوعه من جانب التأصيل والاستدلال الشرعي له، وكذلك من جانب الحاجة الملحة إليه مجتمعيًا، قصد معالجة وحل مجموعة من الإشكالات الراهنة التي يمكن أن يوظف المسجد في معالجتها تفاعليًا، بحيث لو فُقد التفاعل الصادر من المسجد في هذه الوظيفة؛ لحصل توقف أو شلل حركي، يمكن ملاحظته أو رصده بوضوح.

ولا شك أن مصطلح النشاط أخص من مصطلح التفاعل، لأن التفاعل يتضمن نشاطًا متبادلًا بين مجموعة من الأطراف التي تشارك في إحداثه وتتبادل مع بعضها البعض عناصر التأثير والتأثر.

5- الوظيفة:

أي: العمل الذي يقوم به المسجد، أو الخدمة التي يسعى إلى تحقيقها عمليًا في المجال المحدد، ودونًا غوص في العموميات، وهذه الوظائف متعددة التصنيف، وذلك حسب المجالات الحيوية الممكنة، أي أن الدقة من السمات الأساس للوظيفة، كما أن منها ما هو متأصل ومتجذر منذ نشأة المؤسسة المسجدية في فجر الإسلام، ومنها ما هو متجدد حسب مقتضيات العصر وتطور نمط الحياة الإسلامية.

ويجد القارئ لهذا البحث تعبيرين: وظيفة المسجد والوظيفة المسجدية، ولست أرمي بذلك أي نوع من التمايز أو التباين بينهما، فهما عندي سيان، ويؤيدان نفس المهمة والوظيفة في الكلام، إلا أنني حينما أضيف صفة المسجد فيصبح المركب على النحو الآتي: وظيفة المسجد التفاعلي أو الوظيفة التفاعلية المسجدية فإنني أرمي بذلك التمييز بين نوعي المسجد: المسجد معطل الوظائف والمسجد الحيوي باشتغال وظائفه المنفتحة على المجتمع والإنسانية بتلبية الحاجات المتنوعة للجميع، فالمسجد التفاعلي بهذا المركب الوصفي هو مؤسسة حية وحاضرة بقوة ووزن، وذلك من خلال حركيتها ووظائفها، وبالتالي، فلا يمكن أن نجرد المسجد في اقترانه بالشطر الثاني من المركب من فاعليته وحضوره في المجتمع من خلال مشاركته وانخراطه في مختلف المجالات الاجتماعية التي تغذي حاجات الفرد والمجتمع كليهما، أما الحديث عن المركب (الوظيفة التفاعلية المسجدية) فهو تبئير وتخصيص للحديث والمناقشة في مجال وظيفي واحد متعلق بالمسجد إما وجوداً وإما عدماً حسب الواقع المرصود بشكل موضوعي ومصدقي، مع التركيز على عنصر الإشعاع التفاعلي الظاهر.

6-الأثر:

وأقصد بذلك النتائج والمخلفات الإيجابية والمثمرة، التي تعقب أداء المؤسسة المسجدية للوظائف المنتظرة منها، سواء كان ذلك على المستوى التاريخي أو كان على المستوى الواقعي، مع رصد الامتدادات الخارجية لهذه الآثار عند توفرها، وتعدد مجالات الأثر الذي ينتجه العمل الوظيفي للمسجد، وذلك بحسب تعدد زاوية النظر لهذا الأثر، كما أنه قد يحصل في بعضها نوع من التداخل.

وبلاحظ في مختلف مراحل هذا البحث أنني لا أشتغل بمصطلح الدور، وهذا اختيار شخصي يمكن أن أعلله بكون هذا المصطلح لا يرقى إلى الجودة الدلالية التي يمتلكها مصطلح الوظيفة، وبالنسبة لي فمصطلح الدور له دلالة ميكانيكية ويغلب استعماله في مجالات علمية تطبيقية تحيل على الانطلاق من مكان والرجوع إليه، مما جعلني أراه غير مناسب في الاستعمال مع ما أرمي إليه في الحديث عن وظيفة ونشاط وأثر المؤسسة المسجدية، التي تتسم بالروح والحياة، وبالتالي استبعدته في تحليل المواد العلمية للأطروحة، أما بخصوص وروده في بعض الاقتباسات فهو من باب الأمانة العلمية والحفاظ على مكونات النص الأصلي، والغالب على من

يوظف هذا المصطلح أنه يقصد به الوظيفة لا غير، وقد كنت في أغلب الأحيان أسجل تعليقي بالتحفظ حينما أعزو لمن يستعمل هذا المصطلح، وفاء لمني لهذا الاختيار المبدئي الذي أقتنع به.

7- التحليل العاملي:

هو أسلوب منهجي أو آلية منهجية، يعتمد توظيف معطيات إحصائية وتحويلها إلى عوامل مؤثرة، يؤلف كل عامل مؤثر من هذه العوامل بين مجموعة من المتغيرات التي تندرج تحته، وفق البيان الإحصائي الذي ينتج على شكل مركبات رئيسية.

إذن؛ فهو أسلوب إحصائي يرمي إلى تفسير معاملات الارتباط بين المتغيرات التي تتيحها الاستمارة الموجهة للاستجواب، وبالتالي فهو مسلك يقود نحو تبسيط وتسهيل التعامل مع كل المتغيرات المطروحة، وذلك-بتجميعها انطلاقاً من المعطيات الإحصائية المتمخضة عن الاستجواب- في عوامل مشتركة ومحدودة، يمكن تفسيرها وتحليلها من خلال إيجاد ووصف العلاقات والأسرار بين المتغيرات الداخلة في كل عامل مؤثر على حدة، لتتشكل في الأخير نظرية دراسية ميدانية عبر عملية تصنيف البيانات تصنيفاً علمياً مرتكزاً على أسس متينة، قد تسعف نحو مقارنة الموضوع الأصلي في قالب ميداني.

8- الاستمارة¹:

نسيج أو كوكبة لمجموعة من الأسئلة، يتم تصميمها من طرف الباحث، وفق تصور وتنظيم وترتيب تحكمه مبررات وعلل منطقية وفق التقسيم والتوزيع المجالي الذي ينتج عن الإشكالية المسطرة في مطلع البحث، والتي تتمحور حول الموضوع الرئيس للاشتغال الميداني في الدراسة، وتتكون من أسئلة رئيسية وأسئلة ثانوية أو فرعية، بحيث تشكل في مجموعها نسقاً متكاملًا يسعى إلى تحقيق أهداف البحث، وينبغي أن يراعى في الاستمارة مجموعة من الضوابط أهمها ما يلي:

¹ تحديد مفهوم الاستمارة هو باعتبارها الآلية المنهجية الرئيسية، لذلك أوردتها ضمن هذا المكون من مكونات المقدمة، على أن يتم التطرق لتفاصيلها الإجرائية ولمفاهيم باقي الآليات المنهجية الأخرى في الفصل الخامس، والذي يعتبر فصلاً منهجياً خالصاً مخصصاً لمعالجة جل الإشكالات والتفاصيل المنهجية المتعلقة بالأطروحة.

- 1-سهولة ووضوح الأسئلة، ضمانا لفهمها وسلاسة التفاعل مع مكوناتها ومدلولاتها.
 - 2-الاختصار وتجنب الطول، تفاديا للملل والضيق اللذين قد يشعر بهما المستجوب في صلتته المباشرة مع الاستمارة.
 - 3-التأكيد على سرية البيانات للشخص محل الدراسة، تجنبنا للإجابات البعيدة عن الواقع.
 - 4-إمكانية تكرار بعض الأسئلة أو صياغتها بشكل متشابه، لاختبار مصداقية الشخص المستجوب مع أسئلة الاستمارة.
- 9-المؤسسة¹:

أصل هذا المفهوم مشتق من التأسيس، أي البناء المادّي والمعنوي (العضوي)، والذي يؤدي وظائف مختلفة المجالات (روحية، تربوية، اجتماعية، اقتصادية، سياسية، حضارية...)، ويسعى إلى تحقيق غايات متنوعة ومتكاملة، تعود على الإنسان بالنفع في مختلف جوانب شخصيته، وقد وصف الله تعالى المسجد بما يؤكد هذا الوصف الاقتراضي في المؤسسة بين المادّي وبين المعنوي (العضوي)، فقال تعالى: "لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ أَقَمْنَ أُسُسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (سورة التوبة: الآيتان 108 / 109).

وبالتالي، فمفهوم المؤسسة يتسم بالتكاملية والنسقية المنظومية، من حيث الوظائف والأركان التي يقوم بها، ولذلك، فحين أعبر بالمركب (مؤسسة المسجد)؛ فإنني أقصد بذلك الإحالة على المفهوم التكاملي في إطاره الوظيفي، وفق ما أسس عليه النمط الأول من المساجد، أما حينما أعبر فقط بمجرد لفظ (المسجد)؛

¹ ليس المقصود من تحديد المفهوم في هذا المقام نَحْج الدراسة المفهومية، التي تروم بناءه عن طريق المعاجم والمراجع المتخصصة عبر التسلسل التاريخي الذي يتيح إدراك التطور الدلالي بغية بناء المفهوم دلاليا، وإنما القصد في هذه المقدمة تجلية المفهوم، بما يحقق التواصل بين الباحث والقارئ، وبما يبرر الاختيارات الموضوعية في ذلك.

فإنني أحيل فقط على أيّ مسجد كان على أرض الواقع، بغضّ النظر عن أدائه التكاملي لوظائفه أو غياب ذلك، وعليه، فلاستعمال المتنوع لهذين التعبيرين يختلف بحسب السياق، كما أنه يمكن من عملية النقد والتقوم وإجراء القياس والمقارنة بين الوضع المفترض وبين الوضع الواقعي الكائن.

10- الدراسة النظرية:

هي الدراسة المتعلقة بجمع وتحليل المعلومات الواردة من الكتب والمراجع المختلفة حول الموضوع المستهدف، مع إمكانية وجود بعض الجوانب التطبيقية التي لا تغطي ولا تسيطر على مجموع البحث، أي أن الاعتبار في تصنيف نوعية الدراسة هو عنصر التغليب.

11- الدراسة الميدانية:

هي الدراسة التي تستند إلى الجوانب التطبيقية المستمدة من الميدان العملي الواقعي الذي يقع عليه الاشتغال وما توفره من معطيات تستدعي إخضاعها للتحليل والمناقشة، وذلك بغية تكوين تصورات وقناعات معينة حول الموضوع المؤطر للبحث.

• منهجية الإحالة على المصادر والمراجع:

توجد جميع الإحالات المرجعية والمصدرية ضمن المتن المجسّد للتحليل الكامل للبحث، وذلك نظراً لمبررات واعتبارات يفصح عنها بتفصيل الفصل الخامس من هذه الأطروحة، والذي يهتم بعرض ومناقشة التفاصيل المنهجية التي تم تبنيها في إنجاز الأطروحة، وقد ارتأيت في كامل مواطن البحث توحيد خطة الإحالة على المصادر والمراجع وذلك عن طريق الترتيب الآتي: الكتاب: المؤلف أو الجهة المشرفة على التأليف، الجزء/الصفحة، دار النشر، المدينة، البلد، رقم الطبعة، تاريخ الطبعة الهجري/ الميلادي، وإذا تكرر الغزو إلى الكتاب فإنني أكتفي بذكر اسمه والصفحة.

وقد خصصت الهوامش في أسفل الصفحة لترجمة بعض الأعلام التي تحتاج لذلك، أو إضافة بعض التعليقات، أو شرح بعض الألفاظ التي قد يعسر فهمها.

وفيما يتعلق بالمقالات؛ فإنني أحيل عليها بالطريقة الآتية: اسم المقال / صاحب المقال، الصفحة، المجلد، الأصلية، العدد، سنة النشر، الجهة المكلفة بالنشر أو الدار أو المؤسسة، المدينة، البلد.

وعند تعذر الحصول على معلومة من المعلومات المشار إليها في الترتيب المعتمد للتوثيق؛ فإنني أتجاوز محلها، وأمرّ إلى ما بعدها من المعلومات المتعلقة بمصدر الاقتباس.

وأشير أنني اخترت في منهجية التعليق على الأحاديث -من حيث الإشارة إلى درجتها وما فيها من كلام- أن أنتهج الاختصار في ذلك، دون الإخلال بأهم المعلومات التي وصلت إليها، فإذا كان التعليق شديد الإيجاز؛ فإنني أكتفي بأن أردفه بالتوثيق الحديثي داخل المتن، أما إذا كان التعليق يحتوي على كلام المتخصصين في الشأن الحديثي؛ فإنني أجعله في أسفل الصفحة ضمن الهامش، وذلك تجنباً للإطالة والإغراق في المفاهيم التقنية الخاصة بهذا الفن على حساب المستهدف من المتن، نظراً لأن البحث ليس مركزاً على التحقيق، وذلك لأن منهج التحقيق هو الذي يقوم على الاستقصاء لكل ما يتعلق بالحديث من حيث الرواية.

يشتمل الجزء النظري في هذه الأطروحة على أربعة فصول تعالج الأنشطة الوظيفية لمؤسسة المسجد بشكل مجالي، وهي على الشكل الآتي:

الفصل الأول: النشاط السلوكي لمؤسسة المسجد التفاعلي وأثره الإيماني

الفصل الثاني: النشاطان العلمي والتربوي لمؤسسة المسجد التفاعلي

الفصل الثالث: النشاطان الاجتماعي والاقتصادي لمؤسسة المسجد التفاعلي

الفصل الرابع: النشاطان السياسي والحضاري لمؤسسة المسجد التفاعلي

ويلاحظ من خلال هذا الترتيب الانتقالي من عنوان فصل إلى عنوان الفصل الذي يليه؛ أنه تتسع دائرة الاشتغال الوظيفي وتزداد امتدادا، لتكون بداية حلقتها تتعلق بالفرد وحده ونهايتها تتعلق بالعالم الإنساني في شموليته، ولا شك أن الدمج الذي انتهجه في أغلب مكونات الفصول يرجع إلى ما يوجد بينها من ترابط.

الفصل الأول:

النشاط السلوكي

لمؤسسة المسجد

وأثره الإيماني.

يتضمن هذا الفصل موضوعين فرعيين: النشاط السلوكي لمؤسسة المسجد (أقوالا وأفعالا)، والأثر الذي يعقب الممارسة النشاطية لهذه السلوكات، أي: الأثر الإيماني للنشاط السلوكي المسجدي.

1.1 النشاط السلوكي لمؤسسة المسجد.

خصصت هذا القسم الأول للتطرق إلى ثلاثة عناصر، حيث بدأت بالتطهر وعلاقته بالمسجد، ثم عالجته بعده الكلام والحركة وما يتعلق بمحصولهما في المسجد، لأختمه بالحديث عن العمارة المسجدية في بعدها السلوكي الإيماني، وذلك لأن العمارة المسجدية أوسع وأعمق في تغطيتها للمجال السلوكي.

1.1.1 التطهر والتنظيف بمؤسسة المسجد.

يعتبر مدخل الطهارة والنظافة أمرا شرطيا في ولوج المسجد والنهل من معينه والتمتع بجوّه الروحاني، ولا يقصد بالطهارة الاغتسال بالماء فحسب، أو ما يمكن أن نصلح عليه بالتنظيف الظاهري أو الخارجي بمعيار ما يبدو للناس، بل إنه كذلك تطهر من كل دنس ظاهر وباطن ومن اللغو والأقوال والأفعال التي لا يتعين على المسلم أن يترفع عنها، حيث إن الدين ليس فقط بالمظهرية أو الزينة الخارجية، بل منطلقه من طهارة القلب (المساجد في المدن العربية: المعهد العربي لإنماء المدن، ص142 بتصرف، وزارة الإعلام، 1410هـ/ 1990م).

فإذا تحقق أمر طهارة القلب ونظافته؛ جاز لنا حينها أن نتقل إلى الطهارة الظاهرية، والتي تخدم مصلحة الفرد ومصلحة الفضاء في آن واحد، والحديث عن هذه النظافة الظاهرية ينقسم إلى: نظافة ظاهرية ذاتية ونظافة ظاهرية متعدية.

وأقصد بالنظافة الظاهرية الذاتية مجموع السلوكات الفردية التي يتطهر بها ويتنظف بها الفرد المرتاد للمسجد، وتكسبه صفة المتطهر والمتنظف، وذلك تعظيما لبيت الله تعالى وصيانة له مما لا يتلاءم ومكانته المقدسة، ولا يخفى ما في ذلك من الصحة الجسدية والسلامة من الأمراض والأوبئة، وما فيه كذلك من الصحة النفسية مما قد يجلب للنفس الراحة والطمأنينة والهدوء. كما أن في النظافة استئناسا للآخرين، وعدم نفورهم، لأن النفس تنفر من الأقدار والأدران، ولذلك أثنى القرآن الكريم على أهل مسجد قباء والمسجد النبوي بحرصهم على التطهر (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ محمد العزوزي، ص25، مجلة: منار الهدى، ماي

2001م)¹، فقال تعالى: "لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا مَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ" (سورة التوبة: الآية 108).

يتبين إذن، أن النظافة المسجدية تحقق مقاصد نفسية وصحية، تتجلى في خدمة وإيماء الجانب الروحي وتقوية إيمان المرء، فالهدوء والطمأنينة يجلبان الخشوع الذي هو لب وأساس البعد الروحي والنفسي للمسجد. وأهم مظهرات النظافة المسجدية الظاهرية الذاتية ما يلي:

1- ندب التردد على المسجد بالطهارة، لأن الوضوء شرط في الصلاة التي سيبدأ بها المسلم فور دخوله المسجد مؤدياً بذلك التحية، مع أنه يجوز للمحدث حدثاً أصغر الجلوس في المسجد، ودليل ذلك أن أهل الصفة² كانوا ينامون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن النوم يفضي على الأقل إلى حدث أصغر (إعلام الساجد بأحكام المساجد: محمد الزركشي (ت794هـ)، ص301، تحقيق: مصطفى المراغي، مطابع الأهرام، القاهرة، مصر، 1431هـ / 2010م)، أمّا الجنب فيجوز له العبور من المسجد بدون مكث إلا لضرورة، كأن ينام ثم يحتلم فيخشى على نفسه إن خرج أن يلحقه ضرر معين³ [إعلام الساجد بأحكام المساجد: محمد الزركشي (ت794هـ)، ص314/317 (بتصرف)]، مادام النبي صلى الله عليه وسلم قد قرر أن المؤمن غير نجس كما في الحديث المروي عن أبي هريرة، حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم لقيه في بعض طريق المدينة وهو جنب، فانخنس منه، فذهب فاغتسل ثم جاء، فقال: ((أَيَنْ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: كُنْتُ جُنْبًا، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجَالِسَكَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ)) [الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه - صحيح البخاري -: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، كتاب الغسل، باب عرق الجنب وأن المسلم لا ينجس، رقم: 283، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ج1/ ص65]، ويجوز له من

¹ لم أفق على كل المعلومات المتعلقة بالتوثيق الكامل للمجلة.

² فقراء الصحابة ممن لا مال لهم ولا مسكن، يعيشون في المسجد النبوي، ويجود عليهم المسلمون مما عندهم من طعام وشراب، وسموا بهذا الاسم نسبة إلى الصفة، أي: الظلة التي توجد في آخر المسجد، والتي يستظلون بها عن حرّ الشمس.

³ أصل المسألة مختلف فيه فقها على ثلاثة أقوال، فمذهب مالك على المنع، ومذهب الشافعي على التفصيل في إباحته للعاير، ومذهب الظاهرية على الإباحة (يراجع تفصيل الخلاف في ذلك ضمن كتاب: بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد ابن رشد الحفيد (ت595هـ)، ج1/ ص54، دار الحديث، القاهرة، مصر، بدون طبعة، 1425هـ / 2004م).

أنواع العبادة الخاصة في المسجد التي لا يشترط فيها الطهارة كالاستسقاء غير أنه لا يقف إلا قدر حاجة الاستسقاء (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص318).

2-التطيب بأجمل الطيب والتزيي بأحسن الثياب، وذلك لأن المصلي سيقف بين يدي مولاه وهو أجل وأرفع مقام، وقد نصّ على هذا التمظهر من القرآن الكريم قوله تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (سورة الأعراف: الآية 31).

أمّا من الحديث النبوي فالسنة النبوية حافلة بالدعوة إلى ربط المسجد بالتطيب والتنظف وارتداء أجمل الثياب وأنقاه، ومما ورد في هذا الشأن ما رواه أبو ذر رضي الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَحْسَنَ غُسْلَهُ؛ وَتَطَهَّرَ فَأَحْسَنَ طَهْوَرَهُ؛ وَلَبَسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ؛، وَمَسَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنْ طِيبٍ أَهْلِهِ؛ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ وَلَمْ يَلْغُ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى)) [سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العلمية، ط 1، 1430هـ / 2009م، كتاب أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة، رقم الحديث: 1097، ج2/ص196]، وقد جسدت السنة الفعلية هذا التطهر والتزين، تعظيما للمقام وتحقيقا للراحة النفسية التي ينبغي أن تصاحب جوّ أداء العبادة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((طَيِّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحُلِّهِ حِينَ حَلَّ، قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ)) [شرح معاني الآثار: أبو جعفر الطحاوي (ت321هـ)، كتاب مناسك الحج، باب اللباس والطيب متى يخلان للمحرم، رقم: 4029، ج2/ص228، تحقيق: محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، عالم الكتب، بدون بلد الطبع، ط1، 1414هـ / 1994م]، وقد تطور مجال الإبداع في صنع العطور والروائح التي تطيب نسيم الفضاء المسجدي وتجذب الأذواق الرفيعة إلى أفيائه، لكن المهم في ذلك هو الحرص على مراعاة الملاءمة والاستعمال الأنسب والمتوازن لهذه المنتجات، إذ هناك من العطور ما يسبب ضيقا في التنفس أو تكون رائحته قوية التركيز؛ فيسبب ذلك نفورا لبعض المصلين من ذلك المسجد.

3-الأمر على وجه الندب والاستحباب بالاستيائك (استعمال السواك) عند كل صلاة وذلك لما يحققه من طهارة للفم رائحة ومظهرها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ)) [صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب

السواك يوم الجمعة، رقم: 887، ج1/ ص170]، وذلك نظرا لما يحققه السواك من جمال منظر في الفم وطهارة لرائحته، إلا أن الإمام مالك (ت179هـ) يرى كراهية الاستياك في المسجد خشية أن يخرج من فيه دم ونحوه مما ينزه المسجد عنه (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص376).

ولعل مذهب الإمام مالك يستند هنا إلى مبدأ الأخذ بالأحوط والمبالغة في صيانة المكان المقدس، وهو أمر له وجاهته التشريعية، إلا أن دلالة الإشارة في الحديث تفيد جواز مباشرة الفعل في المسجد ما لم يتحقق الأذى الذي من أجله أخذ الإمام مالك فيه بالكراهة، فالأمر راجع إلى حال الشخص في كيفية استياكه، والغالب أن هذا الفعل لا يترتب عليه إخراج للدم، إلا إذا استحضرنا ما كان يصدر في الماضي من بصاق¹ داخل فضاء المسجد، حيث منه ما هو مفروش ومنه ما هو غير مفروش، وعليه، فتتظاف المكان عملية تتسم بالنسبية، لأن ذلك راجع إلى نوعية الفراش، وإلى طريقة تغطيته لأرض المسجد.

والأمر بالتطيب والتزين نهي عن ضد ذلك، حيث نهي الشرع عن كل ما فيه إلحاق لأذى ظاهري مادي، خاصة إذا كان هذا الأذى يتعدى ضرره إلى الغير، وهذا ينقلنا إلى الحديث عن النظافة الظاهرية المتعدية.

النظافة الظاهرية المتعدية: وهي مجموع التصرفات التي يتطهر ويتنظف بها المسلم، وذلك بشكل يتعدى نفعها إلى الموجودين معه في المسجد، أو إلى المسجد ذاته من حيث جماليته ورونقه، فهي بذلك لا تقتصر على مجرد النفع الحاصل للفرد بذاته ومفرده، وهذه النظافة المتعدية إما ذات طبيعة امتناعية بالكف عن فعل وإتيان مجموعة من الأشياء، أو أن تكون نظافة ظاهرية متعدية ذات طبيعة فعلية وذلك بالقيام بأفعال وسلوكات من شأنها أن تضيف على الفضاء المسجدي العام صفة النظافة وجمالية المظهر، ويتضح القسم الأول للنظافة المتعدية الامتناعية من خلال ما يلي:

1- نهي السنة النبوية عن تناول مطعومات نيئة تؤذي برائحها الكريهة، من قبيل الثوم والبصل فقد روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في غزوة خيبر: ((مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يَعْنِي الثُّومَ - فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا²)) [صحيح البخاري (ت256هـ): كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيب والبصل والكراث، رقم: 853]، وعن عطاء بن أبي رباح أن جابر بن عبد الله قال: وفي رواية

¹ سيأتي قريبا الحديث عن ذلك في القسم الموالي من التنظيف.

² فلا يقربن مسجدا: لا يحضر مواضع صلاة الجماعة حتى تذهب عنه الرائحة الكريهة (تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري).

حَرَمَلَةً، وَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا؛ فَلْيَعْتَزِلْنَا أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ، وَإِنَّهُ أُتِيَ بِقَدْرِ فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بُقُولٍ، فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا، فَسَأَلَ فَأُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبُقُولِ، فَقَالَ: «قَرَّبُوهَا» إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ كَرِهَ أَكْلَهَا، قَالَ: كُلْ فَإِنِّي أَنَا جِي مِنْ لَا تُنَاجِي)) [صحيح مسلم (ت261هـ): كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها، رقم: 564، ج1/ص394].

ولعل هذا يدل على أن النهي عن إتيان الجماعة وحضور الصلاة حكم شرعي مقرون بعلّة دفع الضرر عن المسلمين، وذلك حتى لا يتأذوا بالرائحة الكريهة المنبعثة منه، فمتى زالت العلّة المشتملة على الضرر المذكور؛ زال حكم النهي؛ وتعين وجوب الحضور إلى الجماعة المسجدية، كما أن الطهارة من مواصفات خصوصية المقام ومراعاة حرمة، فوجب العمل على توفرها والحفاظ عليها بصفة دائمة في هذه المؤسسة.

يقاس على ذلك أصحاب المهن الملوثة الذين ملابسههم تؤذي الناس وأصحاب الجوارب ذات الرائحة الكريهة (مكانة المسجد ورسالته: منصور الرفاعي عبيد، ص30، ط1، 1978م)، وبالتالي، فكل ما يتأذى به الناس في المسجد من روائح ويولد لديهم مشاعر التنفير والاشتمزاز يستوي في علّة الحكم مع الثوم والبصل، أي أنه يتعين منعه وإبعاده عن هذا المكان الطاهر النقي.

ونجد في المذهب المالكي حذرا وحيطة في تنزيه المساجد حتى عن الأقدار المخففة والتي قد يعفى عنها في غير هذا الموضع، يقول الإمام القرافي (ت684هـ): 'فتنزه عما عدا هذا وفي المقدمات تنزه المساجد عن عمل الصناعات وأكل الألوان والمبيت فيها إلا من ضرورة للغرباء ومن الوضوء فيها واللغو ورفع الصوت وإنشاد الضالة والبيع والشراء وتقليم الأظفار وقص الشعر والأقدار كلها والنجاسات' (الذخيرة: شهاب الدين القرافي، ج13/ص345، تحقيق: محمد حجي وسعيد أعراب ومحمد بوخبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م)، فرغم أن إزالة الظفر لا تصل إلى مستوى الشيء الكبير المنجّس، إلا أنه تمّ التّصّ على منعها احتياطا وسدّا للذريعة.

2- نهي السنة النبوية عن البصاق لما يترتب عليه من بشاعة منظر وتقزير واشتمزاز في النفوس، فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بصاقا في جدار القبلة، فحكه، ثمّ أقبل على الناس، فقال: ((إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي؛ فَلَا يَبْصُقْ قَبْلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى)) [صحيح البخاري (ت256هـ): كتاب الصلاة، باب حك البصاق باليد من المسجد، رقم: 406، ج1/ص90].

يتبين من خلال هذا الحديث أن هناك ثلاثة أبعاد:

- بعد اتصالي روحي بين العبد وربّه في عدم تكدير العلاقة بين العبد وبين ربّه من خلال الصلاة، ويمكن أن نصطلح على هذا البعد أيضاً: بعد إيماني، ولا شك أن استحضار هذا البعد أمر لازم لتحصيل خشوع القلب، لأنه لا يحصل للإنسان من صلاته إلا ما عقل منها.

- بعد تواصل اجتماعي: يتجلى في تنقية المسجد من كل ما من شأنه أن يعيق وجود جماعة المصلين داخله أو يلحق بها الحرج، وذلك لأن وجود الأذى يسبب الحرج في اجتماع الناس وبقائهم بهذا المكان، وما أجمل تدعيم هذا البعد بما تقدم من حديث جابر¹ في شأن الثوم حيث إن الملائكة تعظم شأن تأثير المؤذيات في تكدير جوّ البعد الاجتماعي للجماعة المسجدية.

- بعد عملي اقتدائي (تربوي): يتجلى في مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه لعملية الحك لإزاله البصاق، ويدل هذا العمل على تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لشأن تنقية المسجد من الأوساخ وتنزيهه مما يتنافى مع طهره ونظافته.

فيحرم البصاق في المسجد، لظاهر ما رواه أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((البُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب كفارة البصاق في المسجد، رقم: 415، ج1/ص91].

وليس من قبيل تنزيه المسجد عن النجاسات أو المستقذرات أن نقوم بمنع أفعال دلّ الشرع على جوازها، من ذلك جواز الترجل فيه، وإن كان الإمام مالك يكره الأخذ من الشعر والظفر في المسجد لحرمته (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص407)، والدليل من السنة يقتضي القول بالجواز لما ورد عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ ((أَنَّهَا كَانَتْ تُرَجِّلُ رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُجَاوِرٌ فِي الْمَسْجِدِ يَعْنِي مُجَاوِرٌ مُعْتَكِفٌ وَهِيَ حَائِضٌ يُدْلِي لَهَا رَأْسَهُ تُرَجِّلُهُ وَهِيَ فِي حُجْرَتِهَا)) [المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: أبو نعيم الأصفهاني (ت430هـ)، باب قوله صلى الله عليه وسلم: (إن حيضتك ليست في يدك)، رقم: 684، ج1/ص355، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1996م].

¹ص27 من هذا البحث.

أما النظافة المتعدية ذات الطبيعة الفعلية فمن أهم مظاهرها:

1- العناية بنظافة المسجد: ويتجلى أساسا في فعل ما من شأنه أن ينزهه عن القاذورات وما تتقرز منه النفس، ولذلك نجد تكريمه وإجلاله صلى الله عليه وسلم للمرأة التي كانت تقم المسجد حيث صلى عليها في قبرها بعدما دفنت وذلك إكراما منه وتعظيما لمن يهتم بأمر نظافة المسجد ويسهر على ذلك، حيث روي عن أبي هريرة [أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ¹ الْمَسْجِدَ، فَقَفَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَسَأَلَ عَنْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا مَاتَتْ، قَالَ: "فَهَلَّا آذَنْتُمُونِي"، فَأَتَى قَبْرَهَا، فَصَلَّى عَلَيْهَا] (سنن ابن ماجه: كتاب أبواب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على القبر، رقم: 1527، ج2/ص486)، ومما ورد في فضل وأجر تنظيف المسجد وإزالة ما به من أذى، ما رواه أبو ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ)) [صحيح مسلم (ت261هـ): كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة، رقم: 553].

ويأتي هذا الدفن -الذي هو فعل تنظيفي تطهيري- في مقابل الممنوعات التطهيرية التي ينبغي الانكفاف عنها صيانة لنظافة المسجد، فالدفن يقابله فعل البصاق وإخراج النخامة برميها على فراش وفناء المسجد.

وإذا أردنا أن ندرك مدى الضرر الذي يلحق المسجد على إثر البصاق؛ فلنبحث في سبب اتخاذ الحصى فراشا في المسجد النبوي، وتفصيل ذلك أن عمر كان قد رأى آثار نخامات الناس في مواضع الصفوف، حيث إنهم كانوا يبصقون تحت أقدامهم ويدفنون به بالتراب، وهو الأمر الذي كان يترتب عليه بطبيعة الحال رائحة غير مرغوب فيها، فقال عمر رضي الله عنه: لقد هممت أن أبسط مسجدا هذا حصي، فقال عثمان بن أبي العاص الثقفي، قد رأيت لكم واديا حصبا، فلو فرشتم في مسجداكم من تلك الحصباء لكان أنظف وأطيب، فقال عمر بن الخطاب: فمن هذا الوادي المبارك، فحصب من العقيق، وقال عثمان: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (الْعَقِيقُ وَادٌ مُبَارَكٌ²) [عمارة المسجد النبوي الشريف -دراسة جديدة في ضوء مشاهدات

¹ أي: تنظف وتكنس وتجمع ما فيه من قمامة.

² بوب البخاري في صحيحه: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: العقيق واد مبارك، كتاب الحج، رقم: 1534، ج2/ص135.

ابن عبد ربه الأندلسي-، محمد حمزة الحداد، ص56، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ/1999م].

يبين هذا المظهر أن أمر البصاق كان مؤرقاً، نظراً لما ينتج عنه من ضرر يحول بين المسلمين وتفاعلهم مع الجو الروحي للمسجد، ولذلك لا نستغرب إذا وجدنا ابن المنذر(ت319هـ)¹ يقول فيما ينقله عنه الإمام الزركشي (ت794هـ): 'أباح كل من يحفظ عنه العلم الوضوء في المسجد إلا أن يتوضأ في مكان يبلّه ويتأذى الناس به فإنه مكروه ويشترط ألا يحصل تمخط بالاستنشاق ولا بصاق بالمضمضة، ونحو ذلك من التنجّع، وإلا فينتهي إلى التحريم' (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي (ت794هـ)، ص311).

فأين هذا ممّا يشاهد اليوم في أماكن الوضوء بالمساجد ممّا تتقزز منه النفوس، لما فيها من مظاهر القذارة لا سيما في البحرات² التي مازالت في كثير من المساجد، والتي تعجّ بالجراثيم وتنقل الأمراض المعدية (المسجد في الإسلام: خير الدين واثلي، ص114، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، ط1، 1391هـ/1971م)، ولعل هذا الأمر يرجع إلى سؤال الإصلاح والاستصلاح المتعلق بقنوات المياه التي يتم التخلص منها، فكثير من المساجد تتعطل فيها قنوات جريان المياه، فلا يتفطن إلى إصلاحها إلا بعد مدة، رغم الحاجة اليومية لذلك.

فإذا كان الماء مؤشراً من مؤشرات النظافة والتطهر المتعلق بالمسجد؛ فإن سوء استعماله والتصرف فيه يعود على الأصل بالإبطال، ويؤدي إلى نقيض ما نصبو إليه، كما هو الشأن في المظهر السيئ المشار إليه، حيث يحكى أن [علياً بن الفضل القرمطي³ أمر بحبس الماء في سطح الجامع، حتى ذهب رونق التزييق الذي كان في

¹ لم أصل لكلام ابن المنذر مباشرة بدون واسطة، وقد سبق أن أشرت في معرض كلامي عن الدراسات السابقة أن هذا الأمر مما يؤخذ عن كتاب (إعلام الساجد في أحكام المساجد)، لذلك كنت مجبراً في هذا المقام على العزو بالواسطة.

² جمع مفرداً بحرة، وهي المكان المنخفض من الأرض الذي تتجمع فيه مستنقعات المياه غير المستعملة، ورد في كتاب "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم": 'البحرة: الأوقية (ركبة واسعة عمقها نحو قامتين) يستنقع فيها الماء، أبحرت الأرض: كثرت منافع الماء فيها، ثم استعمل في الشق، أو الفجوة العظيمة بلا ماء' (المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: محمد حسن جبل، باب الباء والحاء وما يثلثهما، جدر (ب ح ر)، ج1/ص76، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2010م).

³ زعيم شيوعي اثنا عشري، من زعماء دولة القرامطة، أظهر الزهد والخشوع، وكان ليبيا ذكياً فصيحاً شجاعاً، لكنه ساهم في نهب الكثير من الأموال باسم الجهاد والقتال بغير حق، فاستولى بذلك على بلاد كثيرة، مما قوى به شوكة القرامطة خاصة في دولة اليمن بعدما خلع طاعة يد عبید الله المهدي، حيث كان يذكر اسمه حتى في الأذان، توفي مقتولاً في سنة 303هـ [قلادة

سقف الجامع] (مساجد صنعاء - عامرها وموفيها-: محمد بن أحمد الحجري، ص30، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، 1425هـ/ 2004م).

ويقترّب من هذا الإشكال الناتج عن سوء التصرف المتعلق بالماء إشكال آخر يقع بعدّة مساجد في الأيام المطيرة من فصل الشتاء، حينما تقطر بعض السقوف بالماء على الفراش أو تتسرب المياه عبر النوافذ إلى الأفرشة فلا ينتبه إليها لتوضع فتجفف في حرارة الشمس، فتنبعث روائح كريهة من تلك الأفرشة، مما يصرف المصلين عن الخشوع، خاصة في ركن السجود الذي هو موطن الدعاء وتفرّغ القلب لمناجاة الله تعالى حيث يتأذى الكثير عندما تلتصق حاسة الشم بهذه الأفرشة.

كما يقرب من هذا المظهر سوء تصرف البعض بإدخال الأرجل إلى الأفرشة وهي تقطر من شدة البلل بالماء دونما احتراز، فينتج عن إشباع هذه الأفرشة بالماء دون خضوعها للتجفيف انبعاث روائح كريهة تؤذي المصلين أثناء سجودهم.

2- تطيب المسجد وتحميره بأحسن الروائح والبخور:

وذلك حتى تشوق النفوس للتعلق به، والمكث في أفيائه، وما يمكن الاستشهاد به في هذا المقام ما روي عن عائشة رضي الله عنها: ((أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ وَأَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ)) [سنن أبي داود: أبوداود السجستاني (ت275هـ)، كتاب الصلاة، باب اتخاذ المساجد في الدور، رقم: 455، ج1/ ص342].

كما كان للمسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجمر يأتي بالطيب في الجمرة يطيبه (زاد المتعبد في أحكام وآداب المسجد: حمدا ولد التاه، ص155، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1424هـ/ 2003م)، وكان عبد الله بن الجمر يجرّ المسجد إذا قعد عمر على المنبر كما استحب بعض السلف تخليق المساجد بالزعفران والطيب (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص338)، وعن هشام بن عروة «أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ يُجَمِّرُ الْكَعْبَةَ كُلَّ يَوْمٍ بِرَطْلٍ مِنْ مُجَمَّرٍ، وَيُجَمِّرُ الْكَعْبَةَ كُلَّ يَوْمٍ جُمُعَةً بِرَطْلَيْنِ مِنْ مُجَمَّرٍ» (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: أبو الوليد الأزرقى (ت250هـ)، باب ذكر كسوة الكعبة في الإسلام وطيبها وخدمها وأول من فعل ذلك، ج1/ ص257، تحقيق: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس، بيروت).

النحر في وفيات أعيان الدهر: أبو محمد الطيب الحضرمي (947هـ)، ج3/ ص13-17، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1428هـ/ 2008م].

فتجدير المسجد مأمور به منذ عهده صلى الله عليه وسلم، وهذا ما سار عليه السلف حتى وقتنا الحاضر، ولا يزال هذا الاهتمام ساريا في مساجد بلاد الحرمين، والمتجلي في نظافة بيوت الله وتخليقها وتجميلها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم (عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ: ناجي محمد حسن عبد القادر الأنصاري، ص59، إصدار: نادي المدينة المنورة الأدبي، ط1، 1416هـ/ 1996م).

وبدأ هذا الفعل الحميد يدبّ في مجموعة من المساجد، خاصة قبيل صلاة الجمعة، حيث يوجد شخص مكلف بالمرور بمحجرة بين الصفوف، ليخلف بعد ذلك أثر الرائحة الطيبة لهذا التجدير، وقد لمحت هذا الأمر في بعض مساجد مدينة الدار البيضاء، حيث شهدت مباشرة في جمعة من الجمعات بأحد المساجد بحي النسيم -سيدي معروف-والذي يخطب فيه الإمام عمر القزابري، إذ يتولى أحد المصلين مهمة المرور بمبخرة على طول الصفوف الأمامية ليطيب الناس برائحة العود.

ويمكن القول إن النظافة المسجدية -ذاتية كانت أو متعدية- تغطي ثلاثة أبعاد مسجدية:

-البعد المكاني أو الفضائي: ويشمل الفراش، الجدران وكل ما له بعد مادي في الفضاء المسجدي من حيث مكان جريان الأحداث.

-البعد الإنساني أو الشخصي: ويشمل نظافة الشخص من حيث مظهره وريحه ولباسه، مما يضفي عليه نوعا من القابلية للتواصل والتفاعل معه.

-البعد الهوائي أو المجالي: ويتعلق برائحة وطيب نسمة الهواء المسجدي بالحفاظ عليه في شكل يحقق مقصدية مؤسسة المسجد، بما يؤدي إلى صفاء الروح وحسن التدبير والخشوع.

2.1.1. النشاط الحركي والكلام بمؤسسة المسجد.

تعرف مؤسسة المسجد نشاطا سلوكيا متميزا لأهله، خاصة على مستوى الكلام والحركة داخله، واللذان يؤطرهما الشرع ويسيجهما مجموعة من التعليمات التي تجعل التفاعل المسجدي في الكلام والحركة تفاعلا هادفا ومنسجما حسب الحال والمقام، بالإضافة إلى أن هذه التعليمات تسعى إلى توفير الحماية اللازمة للمؤسسة من كل ما يكدر صفوها.

فعلى مستوى التردد على مؤسسة المسجد؛ تُدب الدخول بالرجل اليمنى والخروج بالرجل اليسرى، ودليل ذلك ما روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: ((مَنْ السُّنَّةُ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُمْنَى، وَإِذَا خَرَجْتَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُسْرَى)) [السنن الكبرى: أبو بكر البيهقي (ت458هـ)، كتاب جماع أبواب الصلاة بالنجاسة وموضع الصلاة من مسجد وغيره، باب ما يقول إذا دخل المسجد، رقم: 4322، ج2/ص620، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ/2003م]، ويرجع هذا إلى اعتبار طهارة وقدسسية المكان، وذلك لما فيه من ذكر وعبادة، بخلاف الخلاء الذي يُدخل إليه بالرجل اليسرى، لأنه موطن إزالة النجاسة، بالإضافة إلى أن هذا السلوك مظهر من مظاهر النظام في تمييز هذا المكان وإفراده عن سائر الأماكن.

وفيما يخص الدخول إلى المسجد أو الخروج منه؛ شرعت تحية المسجد بصلاة ركعتين إثر الدخول، ويحرم الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لضرورة [كما لو حصل مثلاً انتفاض للطهارة أو من أجل الصلاة في غيره من المساجد] (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص349/351 بتصرف)، ومن أدلة تأكيد تحية المسجد كحركة روحية إيمانية تناسب أول ما يفعل على إثر دخوله، ما روي عَنْ أَبِي قَتَادَةَ السَّلَمِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رُكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ)) [صحيح البخاري (ت256هـ): كتاب الصلاة، باب إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس، رقم: 444، ج1/ص96].

وقد حرص الصحابة على حضور مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتناوب هو وجاره من أجل زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان إذا ذهب عمر للمسجد؛ أخبر جاره بما جرى فيه طيلة ذلك اليوم، وإذا ذهب جاره إلى المسجد؛ أخبر عمر بما جرى طيلة ذلك اليوم أيضاً، وليس هناك أجر يداني فضيلة التعلق بالمسجد والتردد عليه في كل وقت وحين، إذ رُبط ذلك بموقف السلامة من حرّ يوم العرض في الآخرة، مصداقاً لما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)) [صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، رقم: 1423، ج2/ص111]، وذلك لأن التعلق يتضمن كثرة التردد على

المساجد وعمارتها، كما يفيد تكثير ومبالغة المصاحبة، وهذا التردد الحركي نابع من قوة وشدة التعلق القلبي بالمكان، لأن القلب هو أمير التنفيذ الحركي بالجوارح.

أما فيما يخص الجلوس في المسجد فهو ليس كالجلوس في غيره من الأمكنة، فقد أحاط الشرع الحكيم هذه الظاهرة السلوكية بآداب جمّة، رغم أن الوضع يختلف باختلاف داعي الجلوس وباختلاف حالة الجلوس كذلك، يقول الإمام الزركشي (ت794هـ): 'المتطهر إذا جلس في المسجد لعبادة، من اعتكاف، أو قراءة قرآن، أو علم، أو سماع موعظة، أو انتظار صلاة، ونحوها، كان ذلك مستحباً، وإن لم يكن لشيء من ذلك كان مباحاً، وقيل مكروه...' (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص301/302)، فالأفضلية منعقدة لجلوس التبعّد في المسجد حيث يروى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا الْمَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ، إِنْ غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ، وَإِنْ مَرَضُوا عَادُوهُمْ وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ)) [مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ): مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رقم: 9423، ج15/ ص248]¹.

وللجلوس في المسجد آداب وضوابط ينبغي مراعاتها، لأن في مراعاتها توقيراً واحتراماً لهذا المكان، ومن بين هذه الآداب والضوابط ما يلي:

1- الجلوس حيث انتهى به المجلس، [مع النهي عن التزام مكان خاص في المسجد للصلاة أو للجلوس] (الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة: حسين بن عودة العوايشة، ج2/ ص269، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ)، فليس في المسجد مكان مخصص لأحد، ودليل هذا الحكم ما روي عن عبد الرحمن بن شبل قال: ((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَقَرَةِ الْغُرَابِ²، وَافْتِرَاشِ السَّبَّعِ، وَأَنْ يُوطِنَ الرَّجُلُ الْمَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ كَمَا يُوطِنُ الْبَعِيرُ)) [سنن أبي داود السجستاني (ت275هـ): كتاب الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، رقم: 862، ج2/ ص147].

يقول الزركشي (ت794هـ) مبيناً بعض ضوابط الجلوس في المسجد: 'إذا جاء والموضع ضيق بأهله يقول: تفسحوا وتوسعوا، ولا يُقِم أحدًا من مجلسه، فقد ورد النهي عنه، قال الشافعي (ت204هـ): فإن قعد المأموم في مصلى الإمام؛ أو في طريق الناس؛ إن قعد مستقبلاً للمصلين؛ والمسجد امتلاءً من الناس؛ لا تكره إقامته، لأن في جلوسه ضرراً على الناس' (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص404)، فالجلوس

¹ إسناده ضعيف، فيه ابن لهيعة -وهو عبد الله- سعى الحفظ واختلط في آخر عمره، وهذا الحديث تفرد به الإمام أحمد.

² يراد بها تخفيف السجود بمقدار ما يضع الغراب منقاره فيما يريد أكله.

في المسجد ضابطه عدم الإخلال بمصلحة الجماعة المسجدية ومنع إلحاق الضرر أو التشويش عليها، فمتى تأذى الناس بجلوس ما؛ جاز رفع ذلك الأذى بإقامة الجالس من مكانه.

2- استقبال القبلة حال الجلوس وكراهية مدّ الرجل إليها (المسجد في الإسلام: خير الدين واثلي، ص57)، وذلك لأن الجلوس في المسجد مظنة الذكر والدعاء، حيث ينبغي في ذلك استقبال القبلة من باب الأفضلية والاستحباب، مع أن الحكم الفقهي لهذه القضية لا يتعلق به تحريم نظرا لعدم وجود دليل على ذلك.

3- تجنب الهيئات المنهي عنها في الجلوس، خاصة فيما ورد النصّ عليه بالمسجد، ومن ذلك الجلوس متكئا على إلية اليد اليسرى، فعن عمرو بن الشريد، عن أبيه الشريد بن سويد قال: ((مرّ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جالس هكذا، وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري، واتكأت على ألية يدي، فقال: «أَتَقْعُدُ قَعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» لَفْظُ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ بَحْرٍ، وَفِي رِوَايَةِ عَبْدِ الْوَهَّابِ قَالَ: وَأَنَا جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَاضِعًا يَدِي الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي مُتَكِنًا عَلَى أَلِيَّةِ يَدِي)) [السنن الكبرى للبيهقي (ت458هـ): كتاب جماع أبواب التبكير إلى الجمعة وغير ذلك، باب ما يكره من الجلوس، رقم: 5920، ج3/ ص335، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ/ 2003م].

وينبغي في هذا المقام ألا نخلط بين الحديث عن هيئات الجلوس داخل الصلاة (العبادة) وهيئات الجلوس خارجها، فالجلوس داخل العبادة من التفاصيل الفقهية التي ليست من أغراض هذا البحث.

4- تجنب الاحتباء والتشبيك بين الأصابع في الجلوس للجمعة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْإِحْتِبَاءِ¹ يَوْمَ الْجُمُعَةِ» يَعْنِي وَالْإِمَامُ يَحْطُبُ (سنن ابن ماجه (ت273هـ): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الحلق يوم الجمعة قبل الصلاة والاحتباء والإمام، رقم: 1134، ج2/ ص218)، والحكمة في النهي عن الاحتباء هو أنه مظنة انكشاف العورة بالإضافة إلى أنه سبب لجلب النوم وتعرض الطهارة للانتقاض.

وفيما يخص الاصطفاف داخل المسجد؛ سيما ضمن صفوف الجماعة المسجدية أثناء أداء الصلاة، فقد حث الشرع على ضمان قوة وتماسك الصفوف وحسن انتظامها وتجنب فرقتها، لتتربى الأمة على هذه المعاني السامية، وتدوم على ذلك خارج الأوقات الخمس، ومن المظاهر التطبيقية لذلك ما روي عن عبد الرحمن بن عليّ بن شيبان عن أبيه عليّ بن شيبان وكان من الوفاء، قال: ((خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

¹ الاحتباء هو أن يقعد الإنسان على أليتيه وينصب ساقيه ويحتوي عليهما بثوب أو نحوه أو بيده وهذه القعدة يقال لها الحبوّة بضم الحاء وكسرهما وكان هذا الاحتباء عادة للعرب في مجالسهم (محمد فؤاد عبد الباقي/التعليق على شرح مسلم).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَايَعَاهُ، وَصَلَّيْنَا خَلْفَهُ، ثُمَّ صَلَّيْنَا وَرَاءَهُ صَلَاةً أُخْرَى، فَقَضَى الصَّلَاةَ، فَرَأَى رَجُلًا فَرَدًّا يُصَلِّي خَلْفَ الصَّفِّ، قَالَ: فَوَقَّفَ عَلَيْهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ انْصَرَفَ، قَالَ: «اسْتَقْبِلْ صَلَاتَكَ، لَا صَلَاةَ لِلَّذِي خَلْفَ الصَّفِّ»)) [سنن ابن ماجه (ت273هـ): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب صلاة الرجل خلف الصف وحده، رقم: 1003، ج2/ص136]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حرصا على تسوية الصفوف، بل يراقب هذه العملية بنفسه ويشرف عليها بحزم وذلك قبل الشروع في الصلاة لما لها من أهمية وأثر في جودة العبادة على وجه الخصوص وتجويد الحياة عامة.

وفي المسجد تتحصل فضيلة الاصطفاف في الصف الأول منه، فالصلاة فيه أفضل من الصلاة فيما يليه، فقد روي عن البراء بن عازب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ)) [سنن ابن ماجه (ت273هـ): كتاب أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب فضل الصف المقدم، رقم: 997، ج2/ص132]، بل إن هذه الفضيلة تستدعي التنافس من أجلها، تحفيزا على إدراكها، وذلك لما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ؛ لَكَانَتْ قُرْعَةً)) [سنن ابن ماجه (ت273هـ): كتاب أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب فضل الصف المقدم، رقم: 998، ج2/ص132]، وبالتالي لا ينبغي التزهيد في هذا المكان أو الإيثار في شأنه، يقول الشوكاني (ت1250هـ): 'ويكره الإيثار بمحل الفضيلة كالقيام من الصف الأول إلى الثاني، لأن الإيثار وسلوك طرائق الآداب لا يليق أن يكون في العبادات والفضائل، بل المعهود أنه في حظوظ النفس وأمور الدنيا، فمن أثر بحظه في أمر من أمور الآخرة فهو من الزاهدين في الثواب' (نيل الأوطار: محمد بن علي الشوكاني، ج3/ص297، تحقيق: عصام الدين الصبابي، دار الحديث، مصر، ط1، 1413هـ/1993م).

ومن أجل التصرفات المسجدية التي وجب التنبيه عنها ظاهرة قطع الصفوف والمروء بين يدي المصلي المنفرد في صلاته، نظرا لما نلاحظه من تساهل كبير في شأنها، من جهة عدم الوعي بخطورة أمرها وتغليظ إثم فاعلها، فعن بسر بن سعيد أن زيد بن خالد أرسله إلى أبي جهيم يسأله: ماذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المار بين يدي المصلي؟ فقال أبو جهيم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُ¹ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ؛ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ)) قَالَ أَبُو النَّضْرِ: لَا أَذْرِي، أَقَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ شَهْرًا، أَوْ سَنَةً [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب إثم المار بين يدي المصلي، رقم: 510، ج1/ص108].

¹ أي: ماذا عليه من الإثم والخطيئة (تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري في نفس الحديث).

أما فيما يخص الكلام داخل المسجد؛ فليس هناك ما يمنع من الحديث خارج أمور الدين داخل هذه المؤسسة، سيما وأنها من المفترض فيها أن تكون منخرطة في جميع مناحي حياة الفرد والجماعة، بشرط ألا يشتمل الحديث على ما ينهى عنه من الأمور المنكرة لما فيها من فحش في القول، بالإضافة إلى ما ورد فيه النص من الشرع باجتنابه داخل هذه المؤسسة، يقول الأستاذ محمد البشير الشقفة: 'ينبغي أن تنتزه المساجد عن البيع والشراء وسائر أبواب المكاسب وإنشاد الضالة ورفع الصوت ولو بالعلم والقرآن وإنشاد الشعر إلا ما يجوز شرعا' (الفقه المالكي في ثوبه الجديد: محمد بشير الشقفة، ص 167 بتصرف، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3، 1432هـ / 2011م).

ولعل هذه التصرفات اللفظية تعتبر من المحظورات الكلامية التي تقيد عموم الكلام المسموح به، مع أنه يشار في قضية النهي عن إنشاد الضالة أن هذا النهي ينصب حول نوعين من الضوَال، [ذلك أن إنشاد الضالة منه ما هو مادي صرف، كالمترنق بالمتاع والأشياء الثمينة، ومنه ما هو معنوي، من قبيل استغلال بيوت الله في الدعوة إلى هوى متبع أو تيار معين أو فكر خارج عن إجماع الأمة] (الدروس الحسينية 1434هـ: ص 68، منشورات وزارة الأوقاف، دار أبي رقرق، 1435هـ / 2014م).

وليس هناك حرج في الضحك والابتسامة في المسجد، لما روي عَنْ سَمَّاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: ((قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتُ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ كَثِيرًا، كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ أَوْ الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُونَ)) [صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، رقم: 670، ج 1/ ص 463]، مع أن إباحة الكلام هنا على الأصل الذي يجري عليه الكلام في غير هذا الموضوع؛ فكل كلام تضمن ما هو محرم من غيبة أو نسيمة أو سباب؛ فتحريمه أشد تغليظا هنالك، وذلك لكونه صدر في محل يفترض فيه تعظيم شعائر الله وتنزيهه عن فحش الكلام وقيحه، حيث إن المعصية يعظم جرمها إذا صدرت في محل معظم ومقدس، وعلى أية حال؛ فالتعامل مع طبيعة الكلام المسجدي لا يخلو من المنهج الوسطي المعتدل الذي يؤطره.

3.1.1. العمارة المسجدية.

والذي يعني من هذا العنصر هو التركيز على الجوانب الروحية والإيمانية المتعلقة بالعمارة، وذلك لأن موضوع العمارة تتداخل فيه عناصر روحية، تربوية وأخرى اجتماعية، بالإضافة إلى تداخل البعد الحضاري الإشعاعي المتسم بالامتداد، إلا أن العمارة الروحية المنبثقة من الإيمان هي أساس تحقيق الأبعاد العماراتية الأخرى، فلا يمكن النهوض بالعمارة التربوية أو العمارة الاجتماعية وأساس هذا البناء فارغ لأن الروح هي

أساس البناء، و نجد في ذلك قول المولى عز وجل: "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ" (سورة التوبة: الآية 18)، أي: إنما يعمر مساجد الله تعالى على الحقيقة من جمع الصفات الخمس المذكورة وهي: الإيمان بالله سبحانه إيماناً صادقاً لا تشوبه أي شائبة من الشرك، وآمن باليوم الآخر بما فيه من حساب وثواب أو عقاب، وجعل عمله كله مبنياً على هذا الإيمان، وأقام الصلاة التي هي عمود الإسلام ورأس العبادات البدنية، وآتى الزكاة التي هي رأس العبادات المالية، ولم يخش إلا الله، والخشية أثر من آثار الإيمان بالله سبحانه وجاء النص على الخشية من أجل تجريد القلوب من تعظيم أي مخلوق وتفرغها لتعظيم الله وحده (عمارة المساجد المعنوية وفضلها: عبد العزيز عبد الله الحميدي، ص 70 / 71 بتصرف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ)، فأخر الآية متضمن لإشارة خفية تبين الغاية العظمى من تحقيق العمارة وأهم بعد من أبعادها وهو البعد الروحي المتجلي في العلاقة بين العبد وربّه.

تنحو مجموعة من تأويلات التفسير المرتبطة بالآية السابقة التي تؤطر موضوع العمارة المسجدية نحو مقارنة ازدواجية للمفهوم: مادية ومعنوية، فالمادية مرتبطة أساساً بالتعمير المحسوس؛ الذي يتجلى أساساً في البناء ومواده وما تنهض به رسالة المسجد من وسائل مادية، وهذه الوسائل لو لم تذكر كمقاربة تعميرية يركز عليها في المفهوم؛ لكان لزاماً أن ينصّص عليها تطبيقاً للقاعدة الأصولية التي تقول: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب¹، فهي طريق إلى تحقيق المقاربة الثانية وهي المعنوية، فالعمارة المعنوية إذا مقصودة لذاتها، وليس المقصود من العمارة مجرد رفع الأعمدة وتسوية الجدران وتشبيدها، بل ملء وتعمير هذه الوسائل المادية بما يعمر الروح ويسمو بإيمانها في مقام الإحسان، يقول محمود شيت خطاب في بيان حقيقة العمارة: 'وقد عمل المسجد في أيام النبي صلى الله عليه وسلم عمله الحاسم المؤثر في بناء الإنسان المسلم، والمسجد ليس في جمال بنائه وارتفاع أركانه، بل بالقدوة الحسنة من العلماء والطلاب، فالمساجد تعمر بالإنسان لا بالأحجار، وبالمؤمنين لا بالمواد، وبالروح لا بالمادة' (الوسيط في رسالة المسجد العسكرية: محمود شيت خطاب، ص53، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط7، 1401هـ / 1981م)، فالانشغال بالتعمير المادي مع إغفال التعمير الروحي

¹ تتلاءم هذه القاعدة الأصولية مع قاعدة مقصدية أخرى: الوسائل لها أحكام المقاصد.

المعنوي المتمثل في القيم الإيمانية المقصودة لذاتها يُعدُّ خلافاً منهجياً في الرؤية المسجدية لمفهوم العمارة، كما أن التعمير الروحي الذي يحققه المسجد يعتبر مسلكاً لتحقيق العمارة التربوية السلوكية.

وإذا أردت أن أوصل وأدعم ما سبق من كلام بعض المفسرين للآية؛ فحسبي أن أستشهد بما قاله أبو حيان أثير الدين الأندلسي (ت745هـ) في تفسيره: 'ويتناول عمارتها رم ما تهدم منها، وتنظيفها، وتنويرها، وتعظيمها، واعتيادها للعبادة والذكر، ومن الذكر درس العلم بل هو أجله، وصوغها عما لم تبني له من الخوض في أحوال الدنيا' (البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي، ج5/ ص387، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون طبعة، 1420هـ)، ويقرب من كلام أبي حيان ما ورد في تفسير محمد رشيد رضا لمفهوم العمارة، حيث يرى الجمع بين أقسام المعاني المحتملة للمفهوم؛ مادام السياق يحتمل الجمع ويمكن من اقتراح الدلالات الممكنة، إذ يقول: 'فعلم من هذه النصوص أن عمارة المسجد تطلق على عبادة الله فيه مطلقاً، وعلى النسك المخصوص المسمى بالعمرة، وهي خاصة بالمسجد الحرام، وعلى لزومه والإقامة فيه لخدمته الحسية، وعلى بنيانه وترميمه. وكل ذلك مراد هنا؛ لأن اللفظ يدل عليه والمقام يقتضيه، والمختار عندنا استعمال المشترك في معانيه التي يقتضيها المقام تبعاً للشافعي وابن جرير' (تفسير المنار: محمد رشيد رضا القلموني الحسيني (ت1354هـ)، ج10/ ص187، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م).

وتلزمنا بعض التعليقات على هذين النصين:

1- قوله: كلاهما مراد من الآية؛ أمر لا يمكن إنكاره، لأن السياق يحتمله، لكن هل هما على نفس الدرجة من المرادية؟ فهذا لا يمكن أن نجزم به، نظراً للاعتبار التنزيلي في حقيقة العمارة، فتحقق العمارة المادية الحسية مع تخلف العمارة المعنوية يخلف لنا مساجد جوفاء مفرغة من روحانياتها، في حين، نجد مساجد القرون الفضلى في الخيرية كانت على مستوى محدود من العمارة الحسية، لكنها بلغت أوج عطائها في التعمير الروحي فخلفت لنا مساجد مفعمة بالروح الحيوية المتجسدة في ملئها تعبداً وذكرًا و...

2- تتجلى الحقيقة العملية للعمارة في شدة التردد والارتباط والتعلق، وذلك بسمة الكثرة الفعلية، ولعل هذا الاستنباط مستمد من دلالة المفهوم التي تحيل على الملء وعدم ترك مناطق الفراغ الروحي، وهذا من فقه النفس في سلوكها إلى الله تعالى، لأن الفراغ إذا لم يملأ بالخير؛ مُلئ بضده، يقول الإمام ابن القيم (ت751هـ): 'فهو النفس إن لم تشغلها بالحق؛ شغلتك بالباطل، وهو القلب إن لم تسكنه بحبة الله عز وجل؛ سكنه بحبة المخلوقين ولا بد، وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر؛ شغلك باللغو وما هو عليك ولا بد، فاختر لنفسك إحدى الخطتين،

وأنزلها في إحدى المنزلتين' (الوابل الصيب من الكلم الطيب: شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، ص82، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط3، 1999م).

وبالتالي، فالعمارة الروحية للمسجد تعطي للنفس البشرية توازنها، وذلك بتغذية مناطق فراغها بالخصائص الروحي الإيماني الذي تحتاجه، لكسب شحناتها الإيمانية، حتى تتمكن بذلك من مواجهة أعداء الحياة المتمثلة أساسا في تأثير الشيطان ومكدرات الرفقة السيئة والرواسب السلبية للمجتمع.

3- ابتداء أبي حيان في بيان حقيقة العمارة بذكر عمارة البناء والترميم؛ إنما هو من باب ذكر الوسيلة ثم الإشارة إلى غايتها، ويعتبر هذا ترتيبا منطقيا منهجيا، لا يفيد مقارنة أو ترجيحاً أو مفاضلة بين نوعي العمارة، لأن كلامه يتضح أنه يتغنى استنباط الحكم النهائي الذي توصل إليه، وبالتالي، فالعمارة نسق منظومي متكامل المكونات، يقوم عليها جميعا دون استثناء.

4- العمارة نوع من الاعتقاد، ولفظ الاعتقاد لا بد فيه من تجديد النية، لأن العادة كثيرا ما يفقد معها الإنسان لذة العبادة، كيف لا وأتينا نجد المنهج التجديدي حاضرا ضمن كثير من المخططات التعبدية في السنة النبوية كتتنوع الأذكار في نفس العبادة، وتغيير محل أداء النافلة عن محل أداء الفريضة، ويمكن أن نستدل في هذا الصدد بما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أَيُعِزُّ أَحَدُكُمْ إِذَا صَلَّى أَنْ يَتَقَدَّمَ، أَوْ يَتَأَخَّرَ، أَوْ عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ)) يَعْنِي السُّبْحَةُ¹ [سنن ابن ماجه (ت273هـ): كتاب أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة النافلة حيث تصلى المكتوبة، رقم: 1427، ج2/ص426]².

لكنني في الوقت ذاته، لا أستطيع أن أنكر ميزة الاعتقاد والإلف في حمل النفس وترويضها على الفعل التعبدية، الذي فيه صلاحها في الآن وفلاحها في المآل، فكثير من العبادات يبدأ معها الفرد في تثاقل وبطء إيقاع، حتى إذا اعتادها وألف إتقانها؛ أصبحت تغطي منطقة فراغه وتلبي حاجاته وخصائصه، وأصبح بذلك يحس بالنقص؛ إذا غابت عن ممارسته اليومية.

¹ هذا شرح من راوي الحديث، والمقصود بالسبحة: النافلة راتبة أو غيرها، أي ما عدا الفريضة.

² إسناده ضعيف لجهالة إبراهيم بن إسماعيل -ويقال: إسماعيل بن إبراهيم- وجهالة حجاج بن عبيد -ويقال: ابن أبي عبد الله، ويقال: ابن يسار-، وليث -وهو ابن أبي سليم- ضعيف أيضا، وأخرجه أبو داود (1006) من طريق ليث بن أبي سليم، بهذا الإسناد، وهو في "مسند أحمد".

5- قوله: 'وصونها¹ عما لم تبين له من الخوض في أحوال الدنيا'، هو أصل لا شك فيه في بيان حقيقة العمارة الروحية المعنوية، حيث لا ينبغي أن تغطي أحاديث الدنيا عن أعمال المسجد التعبدية التي هي رسالة المسجد الأولى، وليس هذا مدعاة لتحريم نوع حديث معين من أحاديث الدنيا مما يمكن أن يجري في المسجد، لأن المسجد وظيفته الأساس هي الانخراط في الحياة العامة للناس ومعالجة مشاكلهم وترشيدها وتوجيهها بالمرجعية الشرعية، أي بمعنى آخر: تعبيد حياة الناس، إلا أن القضية تحتاج إلى توازن كمي وكيفي، بحيث لا يكون هناك ميل؛ فيذرنا الإنسان كالمعلقة، أي: لا ينبغي أن يحصل هناك طغيان للأمر المباحة، فيفتقد بذلك النشاط الروحي للمؤسسة ويضعف بذلك أثره².

وإذا أردنا أن نقارب مفهوم العمارة في السنة النبوية الشريفة؛ وجدنا حديث الاعتقاد حاضرا بقوة في هذا الصدد، فعن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ³} [سورة التوبة: الآية 18])، [سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ)، كتاب أبواب المساجد والجماعات، باب: لزوم المساجد وانتظار الصلاة، رقم: 801، ج1/ص513، التعليق على الحديث: إسناده ضعيف، لضعف دراج أبي السمع في روايته عن أبي الهيثم، وهو سليمان بن عمرو العتوري، وأخرجه الترمذي (2617) و(3093) من طريق عبد الله بن وهب، عن عمرو ابن الحارث، بهذا الإسناد، وهو في "مسند أحمد" (11651)، و"صحيح ابن حبان" (1721)].

ويمكن رصد مجمل معاني مفهوم الاعتقاد الوارد في الحديث كما يلي:

- التعلق الروحي وشدة الحب وملازمة الجماعة [التنوير شرح الجامع الصغير: أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت1182هـ)، كتاب حرف الهمزة، باب الهمزة مع الذال المعجمة، رقم: 630، ج2/ص62، تحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم، دار السلام، الرياض، السعودية، ط1، 1432هـ/2011م]، ويندرج هذا المعنى في إطار البعد الوجداني الاجتماعي.

¹ أي: المساجد.

² وقد أعالج هذا الأمر بما يحتاجه من تفصيل عند الكلام عن تربية المسجد على قيم الوسطية والاعتدال.

³ تقدم ذكر الآية بتمامها وكما لها في الصفحة 39 من البحث.

-الجلوس فيها مع تعهدها بالصلاة والذكر والقرآن وسائر التعبدات المشروعة (فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد زيد الدين المناوي (ت1031هـ)، كتاب حرف الهمزة، رقم: 634، ج1/ ص357، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ)، ويندرج هذا المعنى في إطار البعد التعبدى السلوكي.

ولا شك أن هذه المعاني التي تقارب مفهوم الاعتياد المسجدي تحيلنا على مفهوم التعلق المسجدي الوارد في حديث السبعة [سبق تخريجه]¹، فالاعتياد المسجدي ترجمة فعلية تطبيقية للتعلق المسجدي.

وتثمر العمارة الروحية للمسجد ثمارا إيمانية، تسمو بإيمان الفرد وتقوي من منسوبية تأثيره، من ذلك ما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((لا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْسِنُهُ، لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ)) [صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجماعة وانتظار الصلاة، رقم: 649، ج1 / ص460].

وعنه -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ؛ مَا دَامَ فِي مُصَلَاةِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب الحدث في المسجد، رقم: 445، ج1 / ص96].

إن هذا الانتظار تعمير روحي وغنيمة إيمانية، تعمّر القلب بالإيمان وتشحنه بقوى الخير التي تبعث على كل خير، وتناهى به عن كل شر، ولعل الحديثين السابقين يبعثان على التشويق نحو ذلك الفضل الروحي الملائكي، مما يولد أثرا أريجيا جميلا في النفوس.

ونجد من الأساتذة الذين تحدثوا في العمارة المسجدية من يضيف دلالة ثالثة لمفهوم العمارة المسجدية، وهي: الدلالة العمرانية التاريخية؛ والتي ترتبط بعنصر الزمن التاريخي أو العمر، يقول الأستاذ عبد السلام العزوي: 'والعمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة، فهو دون البقاء ... والتعمير: إعطاء العمر بالفعل أو بالقول على سبيل الدعاء ... والمعمّر المسكن ما دام عامرا بسكانه، نجد هذا المعنى في كلمة العمر الواردة في قسم الله تعالى بحياة نبيه صلى الله عليه وسلم: "لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ" (سورة الحجر: الآية 71) وكذلك في

¹ روي هذا الحديث بألفاظ وطرق عدة في مجموعة من المصادر الحديثية، بل حتى في صحيح البخاري ورد الحديث في مجموعة من المواطن والأبواب مع اختلاف في بعض الألفاظ، وقد ذكرت تخريجه في الصفحة 35 من هذا البحث.

قوله تعالى على لسان فرعون مع موسى: "قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ" (سورة الشعراء: الآية 17)، لأن الفرد تبدأ حياته في بطن أمه، حتى تقوم القيامة فيقوم إلى الحياة الأبدية الأخرى' (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ ذ عبد السلام العزوي، ص32).

والمقصود من هذه الدلالة الزمنية للعمارة المسجدية هو قياس نسبة العمر الذي له علاقة بالوجود في المسجد إلى نسبة الوجود خارجه، أي: إلى أي حد هناك نسبة من العمر لها حظ في الوجود الداخلي بهذه المؤسسة؟، ولا شك أن هذه الدلالة تقترب من دلالة التعلق الواردة في حديث السبعة¹.

ويمكن أن نصطلح على هذا التعمير بالدلالة الاغتنامية، وذلك استمدادا من الحديث الذي روي عن ابن عباس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: ((اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ، شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)) [شعب الإيمان: أبو بكر البيهقي (ت458هـ)، باب الزهد وقصر الأمل، رقم: 9767، ج12/ ص476، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ/ 2003م].

ويمكن أن نصطلح على هذه الدلالة أيضا بالدلالة العضوية، حيث لا تتحقق فعليا إلا بوجود الفرد (بكامل أعضائه) في المسجد، وذلك في مقابل حديثنا عن الدلالة الروحية والدلالة المادية لمفهوم العمارة المسجدية، وبهذا تكتمل الرؤية الشمولية للعمارة في أبعادها الثلاثة.

وعليه، إن أهم بعد يمكن أن نسجله من خلال مقارنة مفهوم العمارة المسجدية أنها عمارة رسالية ليست عمارة من أجل ملء الوقت فحسب، أو إظهار تعبئة حركية مجتمعية خالية من المحتوى الرسالي والوعاء الإصلاحي، حيث ورد من ضمن ما جاء في مؤتمر رسالة المسجد ضمن مجلة البحوث الإسلامية: 'إن الإسلام في توكيده على عمران المساجد إنما يستهدف من ذلك توفير وسائل التوعية الدائمة التي لا مندوحة عنها لإقامة المجتمع الصالح ... المجتمع الذي يعرف كل فرد ما له وما عليه، ذلك لأن الجماعة المسلمة هي المادة التي منها تتكون دولة الإسلام، وهي القاعدة التي عليها ترتكز، وإذا كانت وظيفة المجتمع المسلم -شعبا ودولة- هي تبليغ رسالة الله وإقامة الحكم الأفضل، فطبيعي أن يجد هذا المجتمع من الرعاية والحرية ما يمكنه من تحقيق واجبه في الاستعداد للنهوض بأعباء هذه الرسالة في نفسه أولا، ثم في أوساط الشعوب الأخرى ثانيا' (مجلة

¹ سبق تخريجه والإشارة إليه في مجموعة من مواطن البحث.

البحوث الإسلامية: السنة 1395 هـ / 1396 هـ، العدد: 2، المملكة العربية السعودية، الرياض، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، أشغال مؤتمر رسالة المسجد، ص492).

2.1. الأثر الإيماني لمؤسسة المسجد.

يعتبر هذا القسم تابعا ونتيجة لما قبله، من الحديث عن النشاط السلوكي لمؤسسة المسجد، وقد خصصته للحديث عن ثلاثة أقسام فرعية، الأول منها حول التوحيد كثمره إيمانية لهذه المؤسسة، والثاني حول الصلاة المسجدية وأثرها على الفرد، والأخير منها حول علاقة المؤسسة المسجدية بتقوية الإيمان.

1.2.1. مؤسسة المسجد والتوحيد.

إن أول أسس عقدي يقوم عليه المسجد هو ترسيخ عقيدة التوحيد في نفوس أهله، وتنخرم رسالة المسجد الكبرى إذا اختل عنصر التوحيد في المنظومة الكلية للمسجد، حيث إن استقرار مجموعة من التعاليم المسجدية وتطبيقاتها يؤكد لنا هذه القناعة، فلقد ارتبط المسجد في القرآن الكريم بموضوع التوحيد وذلك في موضعين منه، و نحت السنة النبوية الشريفة في مجموعة من أحاديثها منحى ترسيخ هذه العقيدة، خاصة في الأحاديث التي تنهى عن التشبه باليهود والنصارى، وذلك في اتخاذهم قبور الأنبياء مساجد، بالإضافة إلى تنصيب العلماء على نهي اتخاذ القبور في المساجد، نظرا لورود النص على منع السجود إليها، يقول الإمام الزركشي (ت794هـ): 'يكره بناء المسجد بين المقابر، لأنه نهي عن الصلاة في المقبرة، وقد صح: لا تتخذوا قبوري مسجداً، قال صاحب المغنى: وقد روى قتادة: أن أنسا مر على مقبرة، وهم يبنون فيها مسجداً، فقال أنس: كان يكره أن يبنى مسجد في وسط القبور' (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص356).

إن التمهيد والتأسيس لبيان قوة العلاقة الكائنة بين المسجد والتوحيد ينطلقان من التأمل والتمعن في سياقات القرآن الكريم، حيث نجد سياق الحزمة المسجدية في شقه العقدي يعالج موضعين متعلقين بالتوحيد، فالموضع الأول في سورة الكهف من خلال قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا" (سورة الكهف: الآية 21) أما الموضع الثاني فهو الوارد في سورة الجن ضمن قوله جلّ وعلا: "وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا" (سورة الجن: الآية 18).

ومن الأحاديث المتعلقة بالموضع العقدي الأول؛ نجد ما ورد في الوصايا التي هي قبل موته صلى الله عليه وسلم، من نهي عن التشبه باليهود والنصارى في اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، حيث إن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما، قالوا: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم، طفق يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال: وهو كذلك: ((لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)) يحذر ما صنعوا [صحيح البخاري (ت256هـ): كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: 3453، ج4/ص169]، وقد وُظِّفَ هذا الحديث المسجد في مفهومه اللغوي الأقرب إلى البعد الروحي التعبدى الخاص، الذي يحيل على دلالة جزئية تتعلق بالفعل السجودي فحسب، لأن حال هؤلاء -الذين حذر النبي صلى الله عليه وسلم من سلوك أثرهم- جعلوا يسجدون ويتعبدون عند قبور أنبيائهم، ليتذكروا بذلك العبادة، ويقفوا على تعلق بهم، فاستدرجهم الشيطان لما اندرس العلم في أعقابهم، فصارت قبورهم أوثانا تعبد من دون الله، وبالتالي، جاء سد الذريعة وقطع الطريق على كل عبادة تفعل عند قبور الأنبياء والصالحين، لأنه ستصرف لهم العبادة مع مرور الزمن، ومن المحتمل بشكل كبير جدا أن يستدرجهم الشيطان في خطواته المنتهية بالإيقاع في أحوال الشرك، مصداقا لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (سورة النور: الآية 21).

وورد الحديث السابق المتعلق بالقبور في المساجد بلفظ قريب مما ورد فيه، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، رقم: 437، ج1/ص95]، حيث يعتبر هذا الحديث حجة شرعية في منع وجود القبر داخل المسجد، لكون هذا الأمر يناقض التوحيد الذي جاء من أجله الرسول صلى الله عليه وسلم والذي أكدته في آخر حياته، فلولا العلاقة الوطيدة بين المسجد والتوحيد لما جاء هذا التشديد في النهي.

وفي المقابل؛ نجد كثيرا من الشيعة يتوسعون في اتخاذ القبور بمساجدهم، بل يعتبرونها مكونا ماديا أساسا في حضوره ضمن مكونات المسجد، ويرون في ذلك استحباب الصلاة عند الأضرحة، وما ذلك إلا لأن لهم معتقدات مرتبطة بهذه الطقوس، والتي لا ينظرون إليها نظرة شرك وخرافة وطمس لمعالم التوحيد، [فالمساجد الإيرانية التي تتبنى المذهب الشيعي تعج بالمرقد والقبور، وعلامة ذلك توسعها في اتخاذ القباب في المظهر الخارجي لها، أي أن هذه القباب تشكل رمزا على وجود هذه المكونات المادية بهذا الطراز من المساجد]

(الفن المعماري والمهندسة التشكيلية العامة في المساجد الإسلامية والمرآة المقدسة: غادة عبد المنعم الجمعي، ص16/ 17 بتصرف، كلية الآثار، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2014م).

إن هذا المظهر يتنافى بشكل صريح مع أفراد التعلق والتوجه إلى الخالق سبحانه، ويوقع في قضية الوسائط المتخذة في العبادة، والتي تعتبر مدار الخلاف العقدي التوحيدي بين أهل القبلة والنصارى، لأن أهم شيء قام عليه المسجد هو أفراد التعلق التعبدي بالله وحده، يقول محمد أمrani علوي: 'وفيما يخص الجانب الروحي، فقد لعب المسجد دوراً¹ أساسياً في تصحيح العقيدة لدى الفرد المسلم، انطلاقاً من كون الله عز وجل هو المعبود دون سواه، وبذلك قام التوحيد مقام الشرك والضلال، فجعل الإسلام من المسجد مجالاً تطبيقياً للعقيدة الخالية من كل الشوائب' (المسجد وترسيخ الفكر الوحدوي بالمغرب: محمد أمrani علوي، ص62، مطبعة الودغيريون²، الرشيدية، المغرب، ط1، 2012م)، وهذا الارتباط التوحيدي بالمؤسسة المسجدية له أثر هام في البناء الروحي لأفراد الأمة وتكوينهم الإيماني تكويناً يصلح أن تبنى عليه قواعد الإصلاح في المجالات الحيوية الأخرى للأمة، والتي تتطلبها البناء الحضاري في ظل المرجعية الإسلامية الممثلة للإطار العام الذي يرسم الحدود ويبين الضوابط، وبالتالي، فكل خلل حاصل في قياس جودة التكوين التربوي أو الاجتماعي أو السياسي للأفراد؛ فإن ذلك مردّه إلى سوء ورداءة البناء الروحي والذي يعتبر الحجر الأساس لما سيأتي بعده.

والمأمل في الأقوال والأدعية والحركات المسجدية يدرك ارتباطها الأوثق بتأصيل عقيدة التوحيد في النفوس منذ الدخول من بابه إلى حين الخروج منه، مروراً بالصلاة التي تفتح بالإقرار لله بانفراده بالتكبير، مع القرب منه حال السجود بالخضوع والدعاء.

فالداخل إلى المسجد يلج بقوله: [أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم] استناناً بما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال: ((أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَبِوَسْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ))، قال: أَقْطُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قال: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ؛ قَالَ الشَّيْطَانُ: خُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ [سنن أبي داود السجستاني (ت275هـ): كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد، رقم: 466، ج1/ ص127]، فالاستعاذة بالله

¹ سبق التعليق على هذا المصطلح، واختياري لعدم التعبير به، لكن وجوده هنا من باب أمانة النقل والاقتباس.

² هكذا كُتِبَتْ ضمن المعلومات المتعلقة بالكتاب الأصل، وذلك لأنها اسم علم في هذا السياق، وليست من قبيل المضاف إليه الذي يستلزم أن يعرب بالجر.

تعالى عبادة وهي من أعظم التوحيد، ولذلك حينما ذكر القرآن شرك بعض الإنس قال فيهم: "وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا" (سورة الجن: الآية 6)، بالإضافة إلى ما تضمنه الدعاء من ذكر لأسماء الله وصفاته الحسنى، فكل ذلك تجلية واضحة للتوحيد مع دخول أول خطوة من خطوات المسلم إلى المسجد.

وفي حال الخروج من المسجد؛ يعتصم بالله من الشيطان الرجيم، بدليل ما روي عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ؛ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ؛ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)) [سنن ابن ماجه القزويني (ت273هـ): كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، رقم: 773، ج1/ص494، حسن بشواهد فيما قال الحافظ ابن حجر في "تخريج الأذكار"].

والاعتصام بالله تعالى عبادة تتضمن دلالة الاحتماء به واللوذ بجنابه، وذلك من أجل التغلب على طرق الغواية وأسبابها، لأن الله تعالى هو القادر وحده على قضاء هذا الأمر، وعليه، فهذه العبادة هي بمثابة تلبية لحاجة روحية وتغذية لخصائص نفسي إيماني عند الفرد.

أما في داخل المسجد، فقد تحدث القرآن على رواد المساجد ووصفهم بأجل وصف وهو الرجولة وعدد من عباداتهم الدالة على كمال توحيدهم وتعلقهم بالخالق عن طريق هذه المؤسسة الروحية، فقال تعالى: "فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ" (سورة النور: الآيتان 36/37).

تدل الآيتان الكريمتان على أن المقصد من رفع أبنية هذه المساجد أن يحصل فيها من قراءة القرآن والتسبيح وإقامة الصلاة في أوقاتها من طرف هؤلاء الرجال، والذين لا يشغلهم عن هذا المقصد شيء من لهُو الدنيا، فلا يتعارض عندهم شيء مع واجب العبادة في المسجد، والمتأمل دائما في امتداح المساجد وأهلها في الآيات القرآنية يدرك أن ذلك يحصل بما يقع فيها من أعمال ووظائف؛ تضيء عليها صفة الحيوية والنشاط، فلولا ذلك لما حصل هذا الامتداح.

ومن أجل العبادات والشعائر المسجدية التي تدل دلالة بينة على عمق الارتباط بالتوحيد شعيرة الأذان، فكلماته تصدع كلها بالتوحيد وهذا مدخل تمهيدي لسائر العبادات المسجدية الأخرى والتي لا تقل أهمية في الارتباط بظاهرة التوحيد.

وقد كان صلى الله عليه وسلم قد أهتم أمر الأذان؛ فعَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَشَارَ النَّاسَ لِمَا يُهْمُّهُمْ إِلَى الصَّلَاةِ، فَذَكَرُوا الْبُوقَ، فَكَرِهَهُ مِنْ أَجْلِ الْيَهُودِ، ثُمَّ ذَكَرُوا النَّاقُوسَ، فَكَرِهَهُ مِنْ أَجْلِ النَّصَارَى، فَأَرَى النَّدَاءَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَقُولُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَطَرَقَ الْأَنْصَارِيُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلًا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلَّا بِهِ، فَأَذَّنَ، قَالَ: الزُّهْرِيُّ، وَزَادَ بِلَالٌ فِي نِدَاءِ صَلَاةِ الْغَدَاةِ: الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ الَّذِي رَأَى، وَلَكِنَّهُ سَبَقَنِي)) [سنن ابن ماجه (ت273هـ): كتاب الآذان والسنة فيه، باب بدء الأذان، رقم: 707، ج1/ ص233]¹، فشكل هذا الحادث محطة تشريعية هامة لهذه الشعيرة التي تعتبر مدخلا للصلاة المسجدية.

وما يستفاد من هذا الحديث النبوي الذي يوضح تاريخ تشريع الأذان ما يلي:

- التفكير والتخطيط فيما يهم من الأمور التي تخدم رسالة المسجد وتحسن من جودة وظيفته، فالمؤسسة المسجدية كانت تعرف تغيرات متجددة، وذلك كلما ظهرت الحاجة الوظيفية إلى إحداث تغير من شأنه أن يسهم في تلبية ما تدعو الحاجة إليه من خلال عملها.

- الحكمة التشريعية من خلال الرؤية التي كانت سببا في اتخاذ الأذان للمناداة إلى الصلاة.

- تميز وفرادة الأمة الإسلامية في شعائرها التعبدية، وحرص الشارع على نهجها منهجا تخالف فيه أنماط عبادات وعادات الملل الأخرى.

- حسن الصوت وجماليته معيار أولوي في انتقاء المؤذن، لأن ذلك أدعى للتأثير في مسامع الناس وخشوعهم لكلمات الأذان.

ويزداد أثر الأذان وتذكيره بالمعاني السامية للتوحيد مع تروده وتكراره خمس مرات في اليوم، فكأنه يذكر المسلمين مع كل صلاة بوجوب استحضار هذه المعاني التي تبعث على الإخلاص في التوجه لله تعالى في هذه الصلوات، ومعلوم أن مبنى الثواب على العبادة في عمومها هو تحقيق الإخلاص في إتيانها، مع أن هذا الأثر التوحيدي لا يخلو من ثمار تربوية وفروع نامية تنبني على صلابة ومتانة جذوره، حيث ورد في مؤتمر رسالة

¹ تعليق محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد في إسناده محمد بن خالد. ضعفه أحمد وابن معين وأبو زرعة وغيرهم، وقال الألباني: ضعيف وبعضه صحيح.

المسجد: 'إن المؤذن ينادي في كل يوم وليلة خمس مرات في شتى بقاع الدنيا في وقت معين "الله أكبر" يرددها أكثر من أي جملة أخرى، ويعيدها عند نهاية الأذان، ليذكر كل كبير أنه صغير بين يدي الله عبد له، فيتخلص من نزوة النفس ونشوة الحياة وسكر النفوذ، وكما يتذكر الكبراء هذا المعنى يتذكر الضعفاء كبرياء الله، وأنه أكبر من كل كبير فتحى آمالهم وتقوى نفوسهم وتهتز قلوبهم' (مجلة البحوث الإسلامية: مؤتمر رسالة المسجد، ص491)، فكل استجابة لداعي الأذان فهي إذن تجسيد عملي لرسوخ معاني التوحيد في القلب عند الشخص المستجيب، لأن الدافع وراء الاستجابة هو ترجيح وتعظيم محبة الله على سائر المحبوبات الأخرى، ولذلك فالمؤسسة المسجدية تربي روادها على التوحيد باستمرار، وتذكرهم به مع كل صلاة حتى تعظم في قلوبهم مشاعر الإخلاص وبواعثه.

وإذا تأمل المرء في واقع العبادة داخل المسجد؛ فإنه يدرك أنها تتسم بسمة الصفاء والمباشرة، فهي غير متكدرة بالخلط والوساطة كما هو مشاهد في كنائس النصارى، حيث عباداتهم لا تخلو من وسيط وشفيع، وكأن هؤلاء الوسطاء هم الذين يؤشرون على صلاحية العبادة ومصداقيتها، فلا يقبل منها إلا ما حظي بتزكيتهما لها، ولا شك أن هذا الصنيع يشغل القلب عن الخوف الصافي والخالص من الخالق سبحانه، فتتكدر بذلك العبادة بسبب جعلهم لهم نصيبا من العبادة، ويصبح هؤلاء الوسطاء ركنا ثانيا من أركان التوجه في القصد التعبدية، فينخرم التوحيد بدخول لوثة الشرك في العبادة، قال عز وجل: "وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" (سورة يونس: الآية 18)، ويقول تعالى أيضا: "أَلَا اللَّهُ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ" (سورة الزمر: الآية 3).

وبالمقابل، نجد العبادة المسجدية مباشرة وصافية، توظفها نصوص القرآن في العلاقة الروحية بين العابد والمعبود ومنها قوله جلّ وعلا: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" (سورة البقرة: الآية 186)، ولقد كان المذنب يأتي من الأعمال ما يغضب الله فيأتي إلى المسجد تائبًا خائفًا من العقاب الذي قد يحل به، فيخلو بربه في موضع من

مواضع المسجد متضرعا بالندم والإنابة إليه، وذلك بشكل مباشر دون تدخل وسيط في هذه التوبة أو ضمان لقبولها من أي أحد، لأنه لا دخل للبشر فيه، بل حتى النبي صلى الله عليه وسلم وفي حضوره لم يكن يضمن لأحد قبول توبته أو يقبل لنفسه أن يكون وسيطا في هذه العلاقة الروحية، ليجسد بذلك المعنى التطبيقي لممارسة التوحيد في المؤسسة المسجدية، ويمكن أن أضيف أنموذجا نبويا تطبيقيا في علاقة المسجد بالتوحيد بما روي عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ يُقَالُ لَهُ سُلَيْمٌ، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ يَأْتِينَا بَعْدَ مَا نَنَامُ، وَنَكُونُ فِي أَعْمَالِنَا بِالنَّهَارِ، فَيُنَادِي بِالصَّلَاةِ، فَنَخْرُجُ إِلَيْهِ فَيُطَوِّلُ عَلَيْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، لَا تَكُنْ فَتَانًا، إِمَّا أَنْ تُصَلِّيَ مَعِيَ، وَإِمَّا أَنْ تُخَفِّفَ عَلَيَّ قَوْلِكَ، ثُمَّ قَالَ: يَا سُلَيْمُ، مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ، وَاللَّهِ مَا أَحْسَنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهَلْ تَصِيرُ دَنْدَنَتِي، وَدَنْدَنَةُ مُعَاذٍ إِلَّا أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَنَعُوذَ بِهِ مِنَ النَّارِ)) [مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ): مسند البصريين، حديث سليم من بني سلمة، رقم: 20699، ج34/ ص307]، ويمكن إذن أن نقول إن التوحيد المسجدي غائي في التدبير وغائي في النتيجة والمآل، فهو يدبر علاقة أحادية عن طريق المسجد بين الإنسان وخالقه، كما أنه يربط أهله بالدار الآخرة، حتى لا يبقوا منغمسين في أدران الدنيا التي تقسي قلوبهم وتبعدهم عن ربهم.

2.2.1. أثر الصلاة المسجدية على السلوك الفردي.

إن السر في القوة التأثيرية التي يحدثها التعلق الوطيد للفرد بالمؤسسة المسجدية يكمن بشكل أساس في الخصال الروحية التي حبا الله بها هاته المؤسسة، وهي خصال ترتبط في كثير من دقائقها بعالم الغيب بما فيه من تأييد واستغفار الملائكة للعباد وحفظ للأرواح من الشرور والمصائب¹.

يتوخى الشرع الحكيم من خلال ممارسة الصلاة المسجدية تحصيل تأثيرها الإيجابي أساسا في شخصية المصلي ليتعدى بذلك هذا التأثير إلى المجتمع بكل طبقاته ومكوناته، وذلك بحث أهل المسجد على كل خير وإبعادهم عن كل شر، فالتأثير السلوكي للصلاة المسجدية مقصد ومؤشر في نفس الوقت على أن هذه الصلاة فعالة وذات معنى، وإلا لما كان لها أثر ملاحظ، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى في الآية الكريمة: "اتْلُ مَا

¹ سترد في القريب بعض الأحاديث الدالة على هذه الخصال وأثرها على السلوك الفردي بما يحقق مصلحته.

أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ" (سورة العنكبوت: الآية 45).

إن الصلاة الحقيقية لا بد لها أن تؤثر في صاحبها، فتصرفه عن كل منكر، وبالتالي، لا يمكن لأي مؤسسة أن تداني المسجد في هذه الخدمة الروحية، نظرا لارتباط المسجد بشكل مباشر بالصلاة، وذلك في مجموعة من التطبيقات العملية داخله، ومن هنا، يمكن أن نخرج بسلم اطرادي في قياس مستوى الاستقامة السلوكية، وهو أن مرد ذلك إلى حجم العلاقة الكائنة بين الصلاة المسجدية وبين الشخص، فكلما توطدت هذه العلاقة كمّا وكيفاً؛ قوي تأثيرها وبرزت جودة إنتاجها لنماذج سلوكية ذات استقامة مشرفة.

ولقد فهمت الأقوام السابقة هذه العلاقة وأدركوا بعدها، ولعلني أسوق على سبيل المثال لما أرسل شعيب إلى مدين ودعاهم إلى ما يدعو إليه كل نبي من توحيد ونبذ لأفعال الشرك والمنكرات من الأفعال، بادروه مباشرة بالإلنكار وإن كانوا قد أنكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء، حيث قالوا كما أخبر بذلك المولى جلّ وعزّ: "قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ" (سورة هود: الآية 87)، فالصلاة لم تكن أبدا منفصلة عن السلوك الفردي للأشخاص، وذلك مهما كان موقع هؤلاء الأشخاص ومهما كانت أزمتههم وأمكتهم، وإلا لما كان هنالك معنى ومغزى لتكرارها خمس مرات في اليوم.

ولا ينبغي أن نستغرب حينما يستنكر كثير من الناس ما يرون من تناقض تصرفات مجموعة من الأشخاص مع أقوالهم الاعتيادية، ذلك أننا نجدهم من رواد المساجد، يواظبون على الصلوات المكتوبة ويحرصون عليها أشد الحرص، لكنهم يتصرفون بشكل مخالف تماما لما تدعوهم إليه تلك الصلوات المسجدية وتحثهم عليه، مما يجعلنا نتساءل عن مدى تأثير وفعالية هذه الصلاة في سلوكهم اليومي، فتلك النتيجة مؤشر واضح على أن صلاتهم ليست على الوجه المطلوب، بما يضمن أن تحقق حسن السلوك وجميل التخلق، خاصة في جانب التدبر والخشوع أثناء أدائها، وفي هذا يقول الشيخ عبد العزيز عبد الله الحميدي: "أما ما نراه في المجتمع الإسلامي من كثرة المصلين وهم مع ذلك يرتكبون الفواحش والمنكرات؛ فمرّد ذلك إلى أنهم لم يقيموا صلواتهم على منهج الله تعالى ومراده لأن صلاتهم تفقد أهم مكوناتها الأساسية ألا وهو حضور القلب مع الصلاة الذي يترتب عليه الخشوع، وبالتالي فإن صلاتهم لا تؤثر في سلوكهم لأن ذلك واضح من تصرفاتهم في حياتهم ولا

تقربهم من الله تعالى لأن قلوبهم ليست معه جل وعلا¹ (عمارة المساجد المعنوية وفضلها: عبد العزيز الحميدي، ص28، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ).

كما أنه من أعظم التأثيرات التي تبصمها الصلاة على السلوك الفردي للمسلم تحصيل هدوئه وطمأنينته وسكينته، فيتصرف الفرد على إثر ذلك بتوازن وأمان وحكمة وتؤدة، ودليل هذا التأثير ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنَ الدُّنْيَا؛ نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنَ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ¹)) [صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، رقم: 2699، ج4/ص2074].

ولذلك يغلب على أهل المسجد -المتشبعين بقيمه وآثاره الروحية- التصرف بثبات وحسن تدبير المواقف الحياتية بالرزانة والحكمة اللازمتين لاتخاذ القرار الصائب، ويمكن أن نقول إن السكينة تربية مسجدية تصطبغ المصلي قبل ولوجه إلى الصلاة في المسجد، ودليل ذلك ما روي عن يحيى بن أبي كثير أخبرني عبد الله بن أبي قتادة أن أباه أخبره فقال: ((بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعَ جَلْبَةً²، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قَالُوا: اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلُوا، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا سَبَقَكُمْ فَأْتُوا)) [صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيًا، رقم: 603، ج1/ص421].

والمفترض في الصلاة المسجدية أن تحدث تأثيرها الإيجابي في سلوك الفرد من أجل تقويم أفعاله وسلوكاته، والعمل على إبعادها من الهفوات والمضلات، يقول عبد العزيز عبد الله الحميدي: 'ولقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن ملازمة المسجد مما يعصم المسلم من الوقوع في الزلل والتعرض لوساوس الشيطان حيث يقول صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ ذَنْبُ الْإِنْسَانِ كَذَنْبِ الْغَنَمِ، يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ،

¹ لم يسرع به نسبه: لم ينفعه نسبه ولم يشفع له مع سوء عمله.

² جلبة: أي أصواتا لحركتهم وكلامهم واستعجالهم (شرح محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم: ج1/ص421).

فَيَاكُمْ وَالشَّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ¹) [مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ)، تنمة مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل، رقم: 22029، ج36، ص358] (عمارة المساجد المعنوية وفضلها: عبد العزيز الحميدي، ص66).

ولأهمية الجماعة في الصلاة وأثرها الفعال في هذا التحصين ضد الشيطان والحيلولة دون نزغاته المؤسوسة؛ والتي غالبا ما يكون مآلها الغضب والتوتر والاضطرابات النفسية لدى الفرد؛ فقد جاءت جملة من الأحاديث النبوية ترغب في فضلها، وتحث على لزوم أداء الصلاة في المسجد وعدم التخلف في حضورها إلا لعذر قاهر، ومن ضمن تلك الأحاديث:

1- ما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ بِأَنْ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، وَلَا يَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلَاةٍ، مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْسِبُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ اللَّهُمَّ ثُبِّ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ أَوْ يُحْدِثْ فِيهِ)) [سنن أبي داود السجستاني (ت275هـ): كتاب الصلاة، باب فضل المشي إلى الصلاة، رقم: 559، ج1/ص419]، ويندرج هذا الحديث وما شابهه -في الحث على حضور الجماعة مع الحفاظ على صفة الطهارة- في إطار التأصيل للفضل الروحي الأخرى، أي: الثواب المتضمن لخيري الدنيا والآخرة.

2- ما رواه أحمد بن حنبل عن معدان بن أبي طلحة اليعمرى، قال: قال لي أبو الدرداء: أين مسكنك؟ قال: قلت: في قرية دون حمص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ لَا يُؤَذَّنُ وَلَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الذَّنْبَ يَأْكُلُ الْقَاصِيَةَ)) [مسند الإمام أحمد (ت241هـ): تنمة مسند الأنصار، حديث أبي الدرداء، رقم: 21710، ج36/ص42]، حيث يوضح هذا الحديث الوظيفة الوقائية والاحتياطية التي تسعى الصلاة المسجدية الجماعية إلى تحقيقها، ويعود نفع ذلك على الفرد بالأساس.

¹ هذا سند رجاله ثقات إلا أنه منقطع، لأن العلاء بن زياد لم يسمع من معاذ.

3- ما رواه مسلم عن أبي هريرة، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى¹، فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له، فيصلي في بيته، فرخص له، فلمّا ولى، دعا، فقال: «هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاجِبٌ» [صحيح مسلم (ت261هـ): كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء، رقم: 653، ج1/ص452]، إذ يبين هذا الحديث المنزلة والرفعة التي تحظى بها الصلاة المسجدية، وذلك من خلال مبدأ التشديد في ضرورة الإجابة لمناديها، وعدم الانسياق وراء الأعذار والمبررات غير القاهرة.

4- ما رواه ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ سَمِعَ النَّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ؛ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ)) [سنن ابن ماجه (ت273هـ): كتاب أبواب المساجد والجماعات، باب التغليظ في التخلف عن الجماعة، رقم: 793، ج1/ص507].

وتعتبر الصلاة المسجدية أيضا من وسائل ضبط وتنظيم السلوك الفردي داخل المجتمع المسلم، حيث يتجلى هذا الضبط وهذا النظام في العلاقات التي تربط الأفراد، ومن خلال التصرفات التي يتصرفون بها مع بعضهم البعض، فهي مؤشرات إما إيجابية أو سلبية على الممارسة التعبدية في الفضاء المسجدي ومدى جدواها، يبين الأستاذ منصور الرفاعي عبيد هذه الجدوى بقوله: 'إلا أن إقامتها في المسجد، يكتسب الإنسان من وراء ذلك فوائد تعود عليه بالخير وعلى المجتمع بأسره بالأمان، فهو يتعود على الالتقاء بالناس في صفاء روعي وصفوف منتظمة والتحام مع المسلمين في ترابط وتآلف وتعود على النظام حيث يكون خلف إمامه يقتدي به ولا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه فإذا قضيت الصلاة نظر أصحاب الحاجات فمدّ يد العون إن احتاج الأمر وكان في مقدوره أو دلّ على خير أو ساعد بكلمة طيبة' (مكانة المسجد ورسالته: منصور الرفاعي عبيد، ص23)، ومن أمثلة وغماذج قيمة النظام الذي يترى عليه أهل المسجد من خلال الممارسة التعبدية فيه أحوال القراءة القرآنية في الصلاة (المسجد في الإسلام: خير الدين وائلي، ص89)، حيث تنتظم وتتوحد بين السر والجهر حسب الصلاة المؤداة، فالصلاة السرية يتعين على كل فرد فيها أن يقرأ بمفرده بإسرار، بخلاف الصلاة الجهرية التي يتعين فيها الإنصات والخشوع لقراءة الإمام² عملا بقوله جلّ وعلا: "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا

¹ ورد في أحاديث أخرى أن هذا الرجل الأعمى هو عبد الله بن أم مكتوم مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيتم التفصيل في هذا الأمر، وذلك عند معالجة قضية (مؤسسة المسجد والمعاق) ضمن الشق الميداني من هذا البحث.

² اختلف الفقهاء في هذه القضية، فهناك من يفتي بوجوب الإنصات كما ذكرت، ومن الفقهاء من يرى وجوب القراءة المتعينة على كل فرد، وذلك عملا ببعض العمومات، والذي يترجح في هذا الخلاف المعتبر -انسجاما مع روح مقاصد الشريعة الغراء- هو تعين الإنصات، وإلا لما كان لجهر الإمام في مواضع مخصوصة معنى ومغزى، تقول الدكتورة هند الخولي في هذه المسألة:

لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" (سورة الأعراف: الآية 204)، فليس هذا التغير وهذا التنوع أمراً اعتبارياً خال من الحكمة والأسرار، بل هو نظام محكم يحقق غايات عدة.

وتتميز الصلاة المسجدية الجماعية عن الصلاة الفردية بأن لها وظيفة نفسية جلية، تتجلى في تسهيل أداء العبادة على الفرد وتنشيط وتحفيز الهمم، فتؤدي بذلك في أريحية مما يوفر الخشوع وحضور القلب، بخلاف ما لو تمت تأديتها بشكل فردي فإنها ستكون أكثر عرضة للتشاغل والتكاسل والتهاون، فتؤدي على سبيل التخلص وإبراء الذمة فقط، يقول الدكتور عبد العالي المعكول: 'وإن وجود الجماعة يسهل إتيان الصلاة أكثر مما لو كانت فرادى، وهذا الدافع يسمى في علم النفس ب(التسيير الاجتماعي) ويقصد به زيادة سرعة النشاط وكميته نتيجة لرؤية الزملاء الذين يقومون بقدر من العمل -إذا كان في الحجرة ذاتها أناس يقومون بنفس العمل- أكبر مما لو كانوا بمفردهم' (مؤسسة المسجد-الوظيفة الاجتماعية والرسالة الحضارية-: عبد العالي المعكول، ص84، مطبعة أميمة، فاس، المغرب، الطبعة 1، 1433هـ/ 2012م).

وعلى هذا المنوال، أجاز العلماء إظهار بعض الأعمال الصالحة أمام المألا لا على وجه الرياء والسمعة والتصنع، وإنما على وجه الاقتداء بالفعل المشاهد، حيث إن ذلك يكون أكثر تأثيراً، لكونه مشاهداً ومباشراً، ويتميز بسرعة وقوة الرسوخ في النفس البشرية.

تسهم الصلاة المسجدية أيضاً في غرس الصفات الحسنة التي تنفع الفرد في حياته الاجتماعية وتجعله راقياً السلوك، ويتم ذلك عن طريق التأثير ضمن النسق الجماعي بواسطة غريزة المحاكاة، والتي لا تفارق السلوك الإنساني، فيكون هذا الاجتماع المتكرر خمس مرات مدعاة لجني هذا النفع، يقول الدكتور عبد العالي المعكول: 'ففي كل نواحي الحياة يطمح الناس أن يكونوا نسخاً من الطرق الصحيحة في التفكير والعمل كما يمثل بعض القادة وهكذا تكون صلاة الجماعة ميداناً يستفيد جاهلها من عالمها، وصغيرها من كبيرها' (مؤسسة المسجد-الوظيفة الاجتماعية والرسالة الحضارية-: عبد العالي المعكول، ص84).

تتميز الصلاة المسجدية أيضاً عن الصلاة الفردية في بعدها السلوكي الإيماني بما أسماه الدكتور عبد العالي المعكول بالإيحاء، والمقصود من هذا المفهوم أن الصلاة المسجدية تتعدد فيها مجموعة من العوامل التي تجعل منها محطة لإيحاء الصفات والسلوكات الإيجابية والمحمودة في نفوس الأفراد، حيث يقول: 'والصلاة من أهم أهدافها (الإيحاء) للإنسان بالصفات الخيرة، وهناك عوامل شتى توفر إمكانية الإيحاء في علم النفس

'بعد عرض أدلة الفقهاء ومناقشتها أرى أن الأقرب للصواب هو ترجيح ما ذهب إليه المالكية والحنابلة من القول بأن المؤتمر يقرأ خلف الإمام فيما أسر فيه ولا يقرأ فيما جهر؛ لقوة أدلتهم وصحتها من جهة، وجمعاً بين الأدلة من جهة أخرى' (أبحاث في الفقه المقارن: هند الخولي، ص48، دار المقتبس، بيروت، لبنان، ط1، 1435هـ/ 2014م).

وهي: العدد والتنوع والمكان، فاجتماع عدد من الناس ثم تنوعهم ما بين شيوخ وشباب من كل الفئات ثم وجودهم في بناء واحد ذي قدسية لا يرغم هؤلاء على الاحترام فحسب لكن يجعل معظم الناس يتأثرون سريعا بالإيحاء' (مؤسسة المسجد- الوظيفة الاجتماعية والرسالة الحضارية-: عبد العالي المعكول، ص84).

3.2.1. مؤسسة المسجد وتقوية الإيمان.

ولعل المنطلق الأساس في إثارة هذا العنصر بالضبط وتخصيصه بالدراسة هو التذكير بالمنطق الذي ينبغي أن يصاحب الإنسان في إتيانه إلى المؤسسة المسجدية وتعامله معها، ثم إن هذا المنطق يلتقي ويتكامل مع الغاية التي من أجلها تم إنشاء هذه المؤسسة، فالحاجة الروحية التي تدفع الإنسان إلى التماس بغيته في هذا المكان هي حاجة الضعف الذي يكتنفه في الحياة، وهذا الضعف نوعان: ضعف الخلقة الأصلية في مواجهة متاعب وصعاب الحياة، وضعف ناتج عن تأثير الشهوات والذنوب التي تحتاح بني آدم، فكانت المؤسسة المسجدية بمثابة المأوى الروحي الموكول إليه معالجة هذا الضعف والحيلولة دون تأثيره على شخصية الإنسان المسلم ومساره في الحياة، ومن أجل ما ورد في الحديث عن منطق الضعف الإنساني ما سطره الأستاذ محمد إدريس بن عبد الملك¹: 'وعليه فقد ترسخت في الإنسان فكرة الضعف مهما حاول وطاول من أجل صدّها بمنطق القوة الوهمي فيه، والذي هو في أصله نابع من الضعف، لأنه ويمثل بسيط، السيطرة التي يريد الإنسان أن يسطرها على المحيط سواء كان هذا المحيط أشخاصا أو شعوبا، فإن ذلك متولد من شعور الخوف من هذه القوة التي يكون الضعف هو الباعث الأساسي وراءها، فإذا كل من تحققت فيه صورة الضعف فإنه لا محالة سيؤدي به ذلك إلى الالتجاء إلى أمر يزيل به هذه الصفة الدنية، وأسمى حلّ لها هو الالتجاء إلى منبع القوة الله عز وجلّ، الذي يطلب منه هذا الإنسان العون والمدد والسند لينصر على الخلائق الذين هم ملك لله عز وجل أصلا، لذلك لما قال الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَانْخَبُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (سورة البقرة: الآية 125)، لأجل أن هذا البيت هو بيت الرب الذي يكون فيه الأمان، فحقيقة الركوع قائمة على أساس فلسفة الضعف' (سيمائيات الصلاة: محمد إدريس بن عبد الملك، ص64/65، فاس بريس، فاس، المغرب، ط1، 2015م).

¹ باحث في العلوم الشرعية والقانونية.

وإذا كانت الأصول العقدية المستنبطة من القرآن الكريم تفضي إلى تقرير القاعدة الإيمانية: الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية¹؛ فإن المؤسسة المسجدية شكلت فضاء متنوعا يقدم مجموعة من العبادات في هيئات مختلفة وأوقات ومناسبات متعددة، غايتها ترقية المسلم في مقامات الإيمان والرفع من منسوبه، وبالتالي فالرسالة الروحية للمؤسسة المسجدية متنوعة تنوعا يتيح تحصيل هذه الغاية، (مؤسسة المسجد: عبد العالي المعكول، ص 79/ 88 بتصرف كبير) ومن أمثلة هذا التنوع:

1- الذكر الفردي في المسجد، سواء كان مطلقا أو مقيدا بما ورد في السنة، حيث ينال صاحبه من استغفار الملائكة ودعائهم له، مما يزيد في صفاء روحه وقوة إيمانه²، ومن اعتاد هذه الجلسة المسجدية؛ أُلِف الشعور بسكينة وطمأنينة وأمن روحي يفتقده كلما غاب عن ذلك لسبب ما، كما أن هذا الجلوس المرافق للذكر سبب لصرف البلاء عن الشخص، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ((إِنِّي لَأَهُمُّ بِأَهْلِ الْأَرْضِ عَذَابًا فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُمَارِ بُيُوتِي وَالْمُتَحَائِنِ فِيي وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ؛ صَرَفْتُ عَنْهُمْ)) [شعب الإيمان: أبو بكر البيهقي (ت458هـ)، كتاب الصلاة، باب فضل المشي إلى المساجد، رقم: 2685، ج4/ ص379].

2- تحري الصلاة ضمن الصف الأول في الصلوات المكتوبة³، بالإضافة لما في ذلك من بعد تنظيمي، لما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ وَصَلَ صَفًّا؛ وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا؛ قَطَعَهُ اللَّهُ)) [السنن الكبرى للنسائي (ت303هـ): كتاب المساجد، باب ثواب من وصل صفا، رقم: 895، ج1/ ص433، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2001م]⁴، فالتعامل مع الصفوف استواء وتراصًا وتنظيمًا يتضمن بعدا روحيا، ينال صاحبه

¹ أدلة هذه القاعدة كثيرة في القرآن الكريم، من ذلك قوله جلّ وعلا: "وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَآمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ" (سورة التوبة: الآيتان 124/125)، حيث تدل الآيتان أن الإيمان يتأرجح بين الزيادة والنقصان حسب نوعية العمل الذي يُفعل، إما طاعة؛ فمآلها زيادة الإيمان، وإما معصية؛ فمآلها خلاف ذلك.

² تقدم حديث البخاري في الصفحة 42 حول ما يناله المصلي من خصال روحية تعود عليه بالنفع النفسي.

³ تقدم في ذلك حديث البراء بن عازب حول فضل الصف الأول وما فيه من خصال روحية وذلك ضمن الصفحة 36.

⁴ معنى (وصله الله) أي: زاد في بره وأدخله في رحمته (السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير: علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي، ج4/ ص332، بدون بيانات).

من القرب الإيماني والدرجة المحمودة ما يعلي به نفسه ويسمو به قدره، كما أن اختلال هذا المظهر يريك الشعور الروحي والخشوع الإيماني أثناء تأدية العبادات، مما ينعكس سلبا على القيمة الإيمانية للفرد.

3- أداء فريضة صلاة الجمعة، وذلك لما ورد من أحاديث تبين خطر التهاون في أدائها، بل تربط هذا التهاون بتأثيره في حال القلب وإضعاف حالته الإيمانية، ومن هذه الأحاديث ما روي عن أبي الجعد الضمري، وكانت له صُحبة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعٍ تَهَاوُنًا بِهَا؛ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ)) [سنن أبي داود السجستاني (ت275هـ): كتاب تفریع أبواب الجمعة، باب التشديد في ترك الجمعة، رقم: 1052، ج1/ص277]، فالتهاون هو الترك من غير عذر، والمراد بالطبع ما يجعله الله في قلوبهم من الجهل والجفاء والقسوة، بالإضافة إلى أن الطبع فيه من معاني الختم ومنع الألفاف الإلهية (السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير: علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعززي، ج4/ص283)، ولا شك أن تأثير هذه النتائج على القلب تأثير سلبي كبير، لما في ذلك من الإبعاد عن وجوه الخير.

وتحتف صلاة الجمعة بمجموعة من الشعائر الروحية التي تغذي روح الإنسان، وتزوده بشكل كبير، نجد من بينها ما يلي:

- التبكير إليها مع ملء وقت الانتظار بالذكر والنوافل، فعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ خَضِرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ)) [سنن الترمذي (ت279هـ): كتاب أبواب الجمعة، باب ما جاء في التبكير إلى الجمعة، رقم: 499، ج2/ص372]، وعن أوس بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ غَسَلَ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ غَدَا وَابْتَكَّرَ، وَجَلَسَ مِنَ الْإِمَامِ قَرِيبًا، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ أَجْرُ سَنَةٍ، صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا)) [صحيح ابن خزيمة (ت311هـ)، كتاب الجمعة المختصر من المختصر من المسند على الشرط الذي ذكرنا في أول الكتاب، باب فضل التبكير إلى الجمعة مغتسلا والدنو من الإمام والاستماع والإنصات، رقم: 1767، ج3/ص132]، فالتبكير إلى المسجد سلوك يجعل المصلي في منأى عن الانشغال بالدنيا ومتعلقاتها، فتكون الفرصة سانحة عنده من أجل ملء وقت تبكيره بالأمور النافعة من

ذكر أو قرآن أو تنفل أو دعاء، بالإضافة إلى استحضار نية الرغبة في تحصيل الأجر المتعلق بهذا التكبير والذي يختلف بشكل تناقضي؛ كلما حصل الاقتراب من وقت دخول الإمام للخطبة، وبذلك يكون المسجد قد أسهم في تغذية الخصاص الروحي وتلبية حاجياته عند الإنسان عبر هذه الشعيرة الأسبوعية.

- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فهي من الخصوصيات الإيمانية لهذا اليوم، فعن أوس بن أوس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ))، قال: فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَكَيْفَ تُعَرِّضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ، وَقَدْ أَرَمْتَ؟ - قال: يَقُولُونَ: بَلَيْتَ - قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ» [سنن أبي داود السجستاني (ت275هـ)، كتاب تفریع أبواب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم: 1047، ج1/ ص275].

- الدعاء ورجاء الإجابة في هذا اليوم، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنْهَا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا مُؤْمِنٌ يُصَلِّي - وَقَبْضُ أَصَابِعِهِ يُقَلِّلُهَا - يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ)) [مسند الإمام أحمد (ت241هـ): مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم: 10545، ج16/ ص321].

وتجدر الإشارة أن مؤسسة المسجد في تقوية الإيمان للأفراد تواجه في ذلك نوعين من الأفراد:

1- نوع من الأفراد يعاني من خصائص روحي كبير، نتيجة تراكم آثار المعصية والذنوب على قلبه، وبالتالي، تديني مستوى الإيمان عندهم بشكل مهول، مما يجعله يشكو ضيقا نفسيا وانقباضا في قلبه جراء هذا الأمر، فيحتاج بذلك إلى تدخل مؤسسة معينة تهتم بالجانب الروحي في شخصيته، ليعالج هذا المشكل ويحصل بذلك الشخص على توازنه الروحي.

2- نوع من الأفراد يتأرجح إيمانه بين الزيادة والنقصان؛ على قدر حجم إتيانه للطاعات والقرب إلى الله تعالى، وبالتالي يحتاج إلى مؤسسة تسهل وتيسر عليه فعل الطاعة والتردد على ذلك بشكل دوري، تظل معه الروح في سمو وصفاء، حيث إذا تخلف طويلا عن هذه المؤسسة؛ لوحظ في ذلك تغير في أجوائه الروحية، مما ينعكس سلبا على ظروفه النفسية واطمئنانه القلبي.

ونظراً لأهمية المسجد في خدمة وتقوية الجانب الروحي للأفراد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على تعهده حتى في السفر الذي هو مظنة التعب والمشقة، قال كعب بن مالك: ((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ؛ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة إذا قدم من سفر، بدون رقم، ج 1/ ص 96]، فهو مرفق لا يستغنى عنه في السفر والحضر، لأنه يمثل الوجهة الوحيدة التي هي كفيلاً بتغذية الخصاص الروحي، وهو الخصاص الذي يشكو منه الأفراد والجماعات بشكل ملحوظ، ولعل هذا يدل على المكانة والمنزلة التي يحظى بها المسجد في الحياة الروحية وموقعه الهام في التربية المؤسساتية للأمة، مع كونه مفتاحاً لتحصيل الأجر والبركة اللذين يعتبران أساس الفلاح في الدنيا والآخرة.

يمكن إذن، أن نلخص عموم العلاقة الروحية التي تربط المسلم مع المؤسسة المسجدية فيما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ؛ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ)) [صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب فضل من غدا إلى المسجد أو راح، رقم: 662، ج 1/ ص 133]، أي لا يذهب أحد إلى المسجد في أي وقت كان أول النهار أو آخره ليصلي فيه جماعة، أو يطلب علماً، أو يقرأ قرآناً، إلا أعطاه الله في كل مرة قصراً في الجنة ضيافة وتكريماً له، سواء ذهب إليه صباحاً أو مساءً، لأن المساجد بيوت الله، فمن قصدها كان جديراً بضيافة أكرم الأكرمين. ويستفاد من الحديث ما يأتي:

-فضل صلاة الجماعة والذهاب إليها صباحاً أو مساءً، حيث ينال الذهاب إليها في كل مرة قصراً في الجنة.
-فضل التردد على المساجد لأي غرض ديني ولو غير الصلاة كدراسة العلم، وقراءة القرآن (منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: حمزة محمد قاسم، ج 2/ 131-132، مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية، 1410هـ / 1990م).

وفي العلاقة الروحية الخاصة بأوقات الفضل كظلمات الليل، نجد عن أنس بن مالك، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) [سنن ابن ماجه القزويني (ت 273هـ)، كتاب المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة، رقم: 781، ج 1، ص 257]¹.

¹ حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف سلمان بن داود، فقد قال عنه العقيلي: لا يتابع على حديثه، ولا يُعرف إلا به.

الفصل الثاني:

النشاطان العلمي

والتربوي لمؤسسة

المسجد التفاعلي.

ويمكن أن نسلّك تمييزاً منهجياً في الدراسة بين مكوني الفصل الثاني، وذلك بتقسيمه إلى قسمين: النشاط العلمي والنشاط التربوي لمؤسسة المسجد التفاعلي، مع أن الوظيفة العلمية لا يكون لها وزن ولا ترتفع لها قيمة إلا بوجودها مقترنة مع الوظيفة التربوية.

1.2. النشاط العلمي لمؤسسة المسجد التفاعلي.

وقد اخترت معالجة المادة العلمية لهذا القسم في ثلاثة فروع، تجلّي حقيقة هذا النشاط العلمي لهذه المؤسسة، وهي على التوالي: مؤسسة المسجد والتعلم، مؤسسة المسجد والعلماء ومعالم التدريس في مؤسسة المسجد.

1.1.2. مؤسسة المسجد التفاعلي والتعلم.

إن المنطلق لتأسيس العلاقة الكائنة بين مؤسسة المسجد والعلم أو التعلم هو عينه المنطلق الكائن بين الإسلام والعلم، وما التذكير بأول آية نزلت من القرآن¹ وهي قوله جلّ وعلا: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" (سورة العلق: الآية 1) أمراً غريباً، بل يكاد يكون من قبيل المعلوم من الدين بالضرورة، فالإسلام قد ظهر بتعاليم وإرشادات متنوعة، ينبغي إبلاغها لتصل إلى الفئة المستهدفة، انطلاقاً من واجب النصح والتذكير اللذين يتضمّنهما مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالتالي، تحتم توظيف المسجد لهذا القصد إلى جانب وظيفته الأولى وهي العبادة؛ فحصل بذلك اقتران بين العبادة والتعلم، سيما وأن العبادات مبناهما على العلم حيث إن الله تعالى يعبد عن علم ولا يعبد عن جهل، ومما يبرز أهمية التعلم والتعليم كنشاط بارز من

¹ ذكر ذلك أبو جعفر الطبري (ت310هـ) في تفسيره مستنداً بحديث عائشة الذي رواه البخاري في كتاب بدء الوحي من صحيحه حول أول ما نزل (جامع البيان في تأويل القرآن: ج24/ص519، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م)، لكنه ذكر في تفسير أول آية من سورة المدثر أنها أول ما نزل مستنداً بحديث يحيى بن أبي كثير في البخاري برقم: 4922، بل روى البخاري من حديث عائشة كذلك قولاً ثالثاً أنها سُورَةٌ مِنَ الْمَفْصَلِ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ (صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم: 4993، ج6/ص185)، ولعل هذا الاختلاف في تحديد أول ما نزل راجع إلى اختلاف النقل الوارد في هذه القضية، ولذلك شكلت مبحثاً من المباحث التي تُدرس ضمن مجال علوم القرآن.

أنشطة وظيفية المسجد هو ما ورد في عملية اقتداء الأسرى خلال المعارك الأولى من تاريخ المسلمين، يقول الأستاذ عبد السلام الجعماطي: 'كما أن حكم فك الأسرى في الإسلام خلال عصر الفتوحات الإسلامية الأولى لم يكن يستند على أساس مادي، وإنما على اشتراط تعليم الأسير لعامة المسلمين الكتابة والقراءة مقابل إطلاق سراحه، هذا إن لم يعتنق الإسلام ويندمج في أمته' (مقال: التعلم الديني من الحلقات المسجدية إلى المؤسسة/ عبد السلام الجعماطي، ص18، مجلة: مؤمنون بلا حدود، محور: تحديد التعليم الديني، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2016م).

فالمسجد هو المدرسة الأولى للمسلمين، يتعلمون فيه شؤون دينهم ودنياهم، وذلك في جو يستحضر معه هيبة المكان وما فيه من إichاءات ودلالات ترتبط بخصوصيته، فالتعلم هنا مقرون بتأثير هيبة المكان، حيث إن هذا الاعتبار له من الأهمية والوجاهة في جودة الفعل التعليمي، يقول الأستاذ عبد القادر العافية: 'وإلى جانب ما يقوم به المسجد من تطهير الروح وتصفيته والسمو بها، ينهض بالجانب الفكري في حياة المسلم، فهو المدرسة الإسلامية الأولى، منه وعنه انبثقت وتفرعت جميع العلوم الإسلامية، فصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا فيه العلم والآداب، وسمعوا فيه ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي، وتحلقوا فيه حوله فغرفوا الحكمة من منابعها الأصلية، وعن مسجد المدينة المنورة اقتبست مساجد الدنيا كلها' (مقال: المسجد ودوره الحضاري والإنساني/ عبد القادر العافية، ص26، مجلة: الإرشاد، العدد 87، السنة 18، وزارة الأوقاف، الرباط، المغرب، 1986م).

ولعل هذا الكلام يطرق قضية هامة، تضفي صفة القوة على التعلم المسجدي، وهي أنه تعلم تزكوي¹، أي: إنه علم مقرون بتهذيب وتأديب النفوس يريها ويغرس فيها القيم النبيلة، ويعمل على اقتلاع جذور الشر منها، وليس مجرد علم جاف مجرد عن العمل ومعزول عن التحلي بالقيم، وهذا ما يميز المؤسسة المسجدية في علمها عن العلم الممنوح في باقي المؤسسات الأخرى، بحيث إن هذه الميزة مستمدة من التعاليم الشرعية التي تنثي على العلم المقرون بالعمل والتربية، ومن هذه التعاليم قوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ

¹نسبة إلى تزكية النفس.

خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا" (سورة النساء: الآيات 68/66).

ولذلك، حرص النبي صلى الله عليه وسلم على مباشرة هذه الوظيفة بنفسه، وذلك بشكل علمي تطبيقي، بجلوسه في مسجده الشريف لهذه المهمة، بل بحثه على ذلك وترغيبه فيه، لما روي عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا؛ لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِحَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ؛ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ جَاءَ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعٍ غَيْرِهِ)) [سنن ابن ماجه (ت273هـ): كتاب أبواب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم: 228، ج1/ص154]¹، وبذلك يتبوأ التعلم المسجدي منزلة عظيمة، لأنه يداني منزلة الجهاد في سبيل الله الذي هو أوثق عرى الإسلام، ويستوي في هذا الفضل والأجر المعلم والمتعلم، فالأول مفيد والثاني مستفيد، وليس الأمر مقصوراً على المسجد النبوي كما ورد في الحديث السابق، بل وردت أحاديث تنطق بتعميم هذا الفضل التعليمي على سائر المساجد، من ذلك ما روي عن عقبة بن عامر، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفه، فقال: ((أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِيَّامٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟))، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ)) [صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، رقم: 803، ج1/ص552]، ولا شك أن هذا الحديث وأضرابه ينبغي أن يحدد الباعث على الذهاب إلى المسجد خاصة في باب العلم والتعلم، ليحصل بذلك تنشيط الهمم وتحفيزها لتجديد النية المتعلقة بطلب الأجر مما يذهب عن المرء شعور التثاقل والتشبيط² في هذا النوع من الخير، وإذا أردنا الموازنة والترجيح بين نشاط التعلم المسجدي وبين غيره من الأنشطة التي تجري في هذه المؤسسة خاصة تلك التي تكتسي صبغة روحية في بعدها الفردي؛ فإن المنفعة المتعدية للنشاط التعليمي في المسجد تجعل هذه

¹ حديث ضعيف، واختلف على سعيد المقبري في إسناده، فرواه جمعٌ عن أبي صخر -وهو حميد بن زياد الخراط، وتفرد حاتم بن إسماعيل فسماه في روايته حميد بن صخر! - عن المقبري، عن أبي هريرة رفعه، وحميد هذا مختلفٌ فيه، قال أحمد: ليس به بأس، ومثله قال ابن معين في رواية، وفي رواية أخرى ضعفه، وضعّفه النسائي أيضاً. وساق حديثه هذا ابن عدي في (الكامل)، فمثله لا يقبل عند المخالفة [من كلام المحققين للطبعة المعتمدة من سنن ابن ماجه والتي أشرت إليها عند ذكر المصدر لأول مرة].

² أي: التعجيز وإضعاف العزائم.

الوظيفة تسمو فوق سائر الوظائف الأخرى دونما تقليل من أية واحدة من ذلك، ويروى في ذلك حديث يمكن التدعيم به في هذا الموقف عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حُجْرِهِ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِحَلَقَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ، وَالْأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ عَلَى خَيْرٍ، هَؤُلَاءِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا» فَجَلَسَ مَعَهُمْ (سنن ابن ماجه (ت273هـ): كتاب أبواب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم: 229، ج1/ ص155)¹، ويدخل التعلم المسجدي في عموم المدارس التي ورد فضلها في الحديث الذي سبق إيراده ((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))². ويقرب من هذا الحديث الدال على احتفاء الملائكة بأهل التعلم المسجدي حديث آخر يدل على مباهاة الله تعالى الملائكة بهؤلاء الأخيار، فعن أبي سعيد الخدري، قال: ((خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلَقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَّا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَّا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ»)) [صحيح مسلم (ت261هـ): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: 2701، ج4/ص2075].

وعليه، لما كان التعليم المسجدي منذ نشاطه الأول في هذه المرتبة السامية المباركة؛ كان له تأثير إيجابي على باقي العلوم والتعلمات التي تبنى خارج إطاره، وهذا يؤكد حقيقة مفادها أن التعلم المسجدي يتميز بسمة القصدية والغائية، ولم يكن أبدا مجرد نشاط ملء الفراغ واحتضان الذين لا شغل لهم، بل كان هذا العلم رساليا يواكب القضايا الكبيرة للأمة، يقول الأستاذ عبد السلام العزوي: 'وما من علم تحتاجه الأمة المسلمة إلا وللمسجد فضل في تطويره ونشره، ورفع مستواه، وحث الناس على الاقتباس منه، والانتفاع من درره، سواء

¹ تعليق محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد إسناده ضعيف، داود وبكر وعبد الرحمن كلهم ضعفاء، وقال الألباني: ضعيف.

² سبق تخريجه.

كان علميا أو نظريا، علوم دنيا أو آخرة، فالمسجد ركن ركين للعلم، ومعين قوي لا ينضب، ومنهل ينهل منه أفراد المجتمع ما يروي نهمهم، ويشبع رغباتهم، ويعطيهم قوة علمية، وشحنة إيمانية تدفع عنهم الشكوك والأوهام، وتحميهم من سموم الأعداء ونفثاتهم المسمومة المسعورة التي يحاولون بها الدس والتضليل، ودر الرماد في العيون السليمة لتنعكس مرئياتها ومفاهيمها، وتغشو أبصارها وتشوش أفكارها، يحاولون بذلك إرضاء نزغاتهم ونزواتهم، قال تعالى: **"يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"** (سورة التوبة: الآية 32)' [مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ذ. عبد السلام العزوي، ص18]، ولعل الإشادة بهذه الميزة أمر أضحي جديرا بالذكر والاهتمام، حيث إن كثيرا من الناس قد يلجؤون إلى تعلم علم ما، لا حاجة تدعو إليه، وإنما فقط من أجل ملء أوقات الفراغ، أو لتحقيق متعة معينة مجردة عن القصد والغاية، ولذلك تم رصد مجموعة من الأهداف التربوية التي أنيطت بمؤسسة المسجد، كي تحققها إبان فترة الاستعمار، من ذلك ما وقف عليه بعض الباحثين في المساجد الجزائرية أثناء الاستعمار، حيث كان من أهم أهدافها:

- القيام بنشر القرآن الكريم وتيسير حفظه.
 - تعليم الأطفال والأميين القرآن الكريم قراءة وكتابة وفهما.
 - تعليم الضروري من الدين وتلقين المختارات من الأحاديث ذات الصلة بتنظيم الحياة وتقويم السلوك.
 - الاعتناء بالناشئة وتعهدها خاصة في الحضانة من أجل تواصل القيم الدينية عبر الأجيال.
 - العناية بعمارة المساجد بمختلف العلوم.
 - العمل على ترقية الكتابات إلى أقسام ومدارس لتعليم القرآن الكريم]
- (مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي (المساجد والكنائس) / ذ بلال ريم، ص168، مجلة الناصرية، جامعة معسكر، الجزائر، العدد 2، يونيو 2012، دار الرشاد).
- يوضح هذا الهدف الأخير الشكل التربوي الذي كانت تشتغل عليه مؤسسة المسجد، والذي يدل على التطور والانفتاح التقني والاستراتيجي في كيفية التعلم والتخطيط له، ألا وهو وجود مدرسة داخل المؤسسة المسجدية تعنى بالسهر على عملية التعليم المسجدي وتحقيق أهدافه، وهذا هو الذي يقوي وصف المسجد بالمؤسسة، أي: وجود قوة تنظيمية وإطار هيكلي قائم بذاته، له نشاط معين وأهداف محددة، كما أن تموقع هذه المدرسة التعليمية داخل المؤسسة المسجدية يجعل منها مهذا ومنبعا لانبعاث مجموعة من القواعد والنظريات التربوية التي تسهم في تأطير الحقل التعليمي برمته، لأنها أقرب إلى الواقع والميدان من النظريات المستوردة من واقع ومجال خارجيين يختلفان كلياً على الأرضية الواقعية التي تمثل ميدان الممارسة، يقول الأستاذ عبد السلام

العزوزي: 'ولم يكن عجباً أن ارتبط التعليم بالمسجد لزمن طويل، ففي كل مسجد يقام كانت تقام بداخله مدرسة، بل مدارس فكرية وعلمية ودينية، وهكذا تكاثرت حلقات الدراسة بالمسجد وتعددت مجالس العلم فيه، وأصبح بيئة تربوية مفتوحة غنية بكل أنواع الخبرة والمعرفة اللازمة لحياة الفرد والمجتمع، وقد تفردت حلقات العلم المسجدية بإبراز بعض المضامين التربوية التي جاء بها القرآن الكريم، فأعطينا نظريات تربوية إسلامية سبقت مفاهيم معظم النظريات التربوية المعاصرة' (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين / ذ عبد السلام العزوزي، ص102)، ولعل هذه المكانة التي حظي بها المسجد على المستوى التربوي التعليمي؛ جعلت الدول المستعمرة تركز عليه في هذه الوظيفة على المستوى الوطني، من أجل تغطية النقص والخصائص الحاصل على مستوى المؤسسات التي يمكن أن تنهض بهذا العبء، لأن [المساجد، الجوامع، الزوايا والكتاتيب والرباطات كانت مركزاً للعلم والتعلم، فكان التعليم في الجزائر -على سبيل المثال- يتركز عليها، حيث كانت هذه الأخيرة تؤدي عدة أدوار إلى جانب كونها مركزاً للعبادة ودورها في الحياة الاجتماعية] (مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي / ذ بلال ريم، ص154).

استطاع المسجد -باعتباره مؤسسة تربوية تعليمية- أن يغطي هذا الجانب أحسن تغطية، وذلك بتلقينه جميع أنواع المعرفة بصفة شمولية، دون تمييز بين نوعيتها، ولذلك نلاحظ تفوقاً وتميزاً كبيراً للأطفال الذين يقضون مرحلة التعليم الأولى في المسجد التابع للمسجد، وهذا ما جعل إصلاح المناهج التربوية في المغرب يشير في مرحلة التعليم الأولى إلى أهمية المسجد وأثره في تزويد المتعلم بالأرضية الركيزة لولوج التعليم الابتدائي والانخراط فيه بشكل إيجابي، يقول الأستاذ عبد الحفيظ ماموح¹: 'وكان المسجد -قبل ظهور المدارس والجامعات والمعاهد النظامية- يعتبر مركزاً تعليمياً وتربوياً مهماً، يلحق فيه جميع أنواع المعرفة الدينية وغير الدينية، ففي المغرب كان التعليم الأولي يلحق للأطفال في المسجد، أما بالنسبة للتعليم المتوسط والعالي فقد كان مقره بالمساجد الكبرى التي عرفت باحتضانها للعديد من الكراسي العلمية المتخصصة في الفقه واللغة والبلاغة والنحو والمنطق والرياضيات ...، والالتحاق بالدراسة مرتبط بطلب الإذن من الفقيه المشرف على التدريس للانضمام لجماعته وأخذ موافقة الجماعة من أجل الحصول على الدعم المادي للطلاب' (مقال: السياسة الدينية بالمغرب -وظيفة المسجد أنموذجاً- / عبد الحفيظ ماموح، ص37/38، مجلة العلوم القانونية، العدد الأول، السنة: 2013م)، وهذا يعني أن المسجد كان يواكب جميع الأسلاك والمراحل التعليمية، وذلك منذ الصغر إلى الكبر، بل إلى المستوى الذي يؤهل المتعلم أو الطالب المسجدي للولوج إلى ميدان العمل.

¹ باحث في العلوم الإنسانية وإطار بوزارة الصحة.

ولم تكن الشمولية التي ميزت المؤسسة المسجدية في المعارف المقدمة لأهلها عائقا يحول دون استفادة مجموعة من الفئات من علمه، بل شمولية العلوم المسجدية قابلتها شمولية مختلف الأعمار والطبقات المكونة للمجتمع من مختلف المستويات الفكرية، وخير مثال على هذا التنوع وهذه الشمولية مسجد ابن يوسف والذي لُقّب بجامعة ابن يوسف لثراء وغزارة النشاط العلمي الذي عرفته أرجاؤه في عهده الزاهر، يقول الدكتور محمد السعيد: 'ولم يقتصر إشعاع ذلك المعهد الجليل على طلبة العلم من مختلف الأعمار والتخصصات ينمي محصولهم ويوسع آياتهم، وإنما تعداهم إلى مختلف فئات الشعب من صناع وعمال وفلاحين وتجار، فكانت حلقات الوعظ والإرشاد والتوجيه الديني به دائبة لا تتوقف، مستمرة لا تنقطع بعد صلاة الفجر، وبين الظهرين، وبين العشائين، وبفضل تلك الدروس تكونت لدى رجل الشارع ثقافة دينية وخلقية، زودته بالضروري من المبادئ والأساسيات لعقيدته وعبادته ومعاملاته' (مقال: مسجد ابن يوسف وإشعاعه العلمي والثقافي/ محمد السعيد، ص134، مجلة: حوليات كلية اللغة العربية - مجلة سنوية-، العدد 3، كلية اللغة، مراكش، المغرب، 1415هـ/ 1994م)، والسر في امتداد الدروس العلمية وتوزيعها على طول ساعات اليوم وانقسامها إلى حصص صباحية وزوالية ومسائية هو أن يتمكن جميع المتقاربين على هذه المؤسسة من تتبعها على حسب ظروفهم وإمكاناتهم وأوقاتهم المتاحة، ولعل هذا التخطيط مكن جامعة ابن يوسف من حيازتها للريادة العلمية، [دون أن تغفل التشجيعات والتحفيزات التي كانت تقدم لطلبة العلم به، ومن ذلك الأعباس التي تقدم السكن المجاني للطلبة، بالإضافة إلى خبزة يومية لكل طالب، مع التقدير المعنوي والاحترام الذي يحظى به من طرف الطبقات الشعبية] (مقال: مسجد ابن يوسف وإشعاعه العلمي والثقافي/ محمد السعيد، ص130).

2.1.2. مؤسسة المسجد التفاعلي والعلماء.

إذا كان العنصر الأول قد ركز على العلوم وتعليمها بالمسجد، فإن هذا العنصر متفرع عما قبله ومرتبطة به، كأفهام وجهان لعملة واحدة، فالعلم لا يبرز إلا بأهله الذين يحملونه في قلوبهم ويبلغونه بألسنتهم، ويتجلى واقعا عمليا في سلوكهم وأفعالهم، فالعلماء هم القطب المركزي والمحوري لعملية النشاط العلمي المسجدي، ويلحق بهم تبعاً طلبة العلم المتمكنين من تخصصاتهم العلمية المختلفة، وذلك أن أمر اشتراط توفر العلماء لمباشرة العمل التعليمي المسجدي قد يكون مع تقدم الزمان مراداً عزيزاً وبعيد المنال، خاصة مع اندراس العلم وندرة العلماء، وبالتالي، فاشتراطه بعيد عن الواقعية.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ) إلى حجم العلاقة التي تربط المسجد بعلماء الأمة بقوله: 'وكانت "مواضع الأئمة ومجامع الأمة" هي المساجد؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أسس مسجده المبارك على التقوى: ففيه الصلاة والقراءة والذكر؛ وتعليم العلم والخطب. وفيه السياسة وعقد الأولوية والرايات

وتأثير الأمراء وتعريف العرفاء. وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم' (مجموع الفتاوى: أحمد ابن تيمية الحراني، ج35/ ص39، تحقيق: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ / 1995م).

ولعل هذه العلاقة التي بينها ابن تيمية تشير إلى ثلاثة أمور:

1- المكان الطبيعي للعلماء هو الوجود الفعلي بالمسجد، ليؤدي المسجد الوظيفة المنوطة به فيما يتعلق بالعلم وتعليمه للناس، وبالتالي، لا يمكن تصور مؤسسة مسجدية في المنظور الإسلامي دون وجود أئمة وعلماء أو على الأقل طلبة علم يجمعون فيها الناس على موائد العلم وقيمه التربوية، حيث إن هذا المظهر هو الترجمة الحقيقية للحركة العلمية لهذه المؤسسة.

2- كل تدنّ أو تراجع للمجتمع المسلم على المستوى العلمي والتربوي إنما هو راجع إلى طبيعة التوضع الخاص بالعلماء في المؤسسة المسجدية، هل هو تموضع فعلي، بحيث له من القوة والوزن ما يجعله قادرا على الإصلاح الفكري والعلمي للأفراد والأمة كلها ومؤهلا للقيام بذلك على أحسن وأحكم وجه، أو هو تموضع شكلي فارغ من محتواه وفاعليته، يتقاضى أصحابه تعويضات توازي أوقات حضورهم في هذا التوضع فحسب، دونما اهتمام بحجم الرسالة والمسؤولية الملقاة على عاتقهم.

3- وظيفة العلم وتعليمه من طرف العلماء هي أساس الوظائف الأخرى التي تؤدي بالمسجد، وأرضية توجيهها والدفع بها إلى الأمام، فالعبادة قائمة على تعليم تفاصيلها، حيث إن الله تعالى يعبد عن علم، والسياسة قائمة على العلم بشؤون تدبير حقوق العباد توخيا للعدل وتجنبنا للظلم، وتدارس الأوضاع الاجتماعية للأمة قائم على العلم والفقه بالواقع وملايساته، وبالتالي، فنجاح العلماء وتوفيقهم في هذه المهمة لبنة أساس في نجاح الوظائف المسجدية الأخرى.

فكل نجاح حققته الدول الإسلامية سواء كان في مجالها الفكري أو في مجالها العلمي أو في مجالها التربوي الأخلاقي؛ فإنه يرجع بالضرورة إلى جملة من العوامل، على رأسها حسن استثمار العلماء، وحكمة توظيف جهودهم الدعوية والعلمية بالمؤسسة المسجدية، وذلك من أجل توجيه الناس وتعليمهم ما يغذي فكرهم وقيمهم ووجدانهم، وعلى العكس في ذلك، فكل تراجع يُرصد في التقدم العام لهذه الدول، ضمن المجالات التي سبقت الإشارة إليها؛ فمرده إلى ضالة حجم تدخل وإشراك العلماء.

ومن أراد تقييم هذه الحقيقة؛ فليراجع المراحل التاريخية لمجموعة من الدول الإسلامية المستعمرة، وكيف كان للعلماء فيها أثر بارز في إحياء النهضة العلمية والفكرية بها، ولعلني هنا آتي بنموذج محلي لإمام مغربي أرسى دعائم تدريس العلوم الشرعية في مجالاتها المختلفة والمتنوعة في جد وهمة عالية مع الضبط والتمكن من الآليات اللازمة للفنون، إنه الفقيه محمد بن إدريس الحسني الإدريسي مولاي الحاج، والذي قال فيه الأستاذ

كريدية إبراهيم: 'إلى جانب التدريس بهذا المسجد (صباحا)، كان ليلا وبين العشاءين يدرس بالمسجد الأعظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني بشروحها وحواشيها، والمرشد المعين بعلومه الثلاث وشروحه وحواشيه، وفقهية سيدي عبد القادر الفاسي، والجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، والمنفرجة، والجميع بقراءة تحقيق وتدقيق في الفنون كلها' (شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بآسفي: كريدية إبراهيم، ص83، دار وليلي، مراكش، المغرب، ط1، 2005م).

وإذا انتقلنا خارج المغرب إلى الحياة العلمية للعلماء المسجدين ممن نذروا أنفسهم لهذه الخدمة؛ نأخذ أنموذج ابن باديس، والذي غير معالم الحياة العلمية في شقها الإصلاحي بالجزائر الشقيقة، [فمنذ رجوعه من جامع الزيتونة بتونس ونيله لشهادة التحصيل، شرع في برنامجه التعليمي في جامع سيدي لخضر للكبار مساء وفي جامع قموش للصغار نهارا] (مقال: الدور التربوي والدعوي للمسجد أيام الثورة/ طوابة نور الدين - جامعة أدرار-، ص46، دورية المعيار، العدد 4، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسطنطينة، الجزائر، 1424هـ/ 2003م)، ويبين هذا التدبير الذي انتهجه العلامة ابن باديس قمة العمق المنهجي في التدريس، حيث يقتضي ذلك تمييز المستويات وعدم الخلط بينها في التلقين حفاظا على الانسجام بين الفئات، والذي يعتبر من مقومات الجودة والتحصيل، كما يظهر العمق النظري عند هذا الرجل في حسن مراعاة الوقت المخصص لكل فئة، فغالبا ما يصعب تدريس الكبار نهارا، وذلك لأنه وقت تحصيل معاشهم وانشغالهم بمسؤولياتهم الحياتية، على عكس الصغار الذين ينامون مبكرا بالليل ويصلح تعليمهم نهارا لوفرة الوقت عندهم حينذاك، ولعل تنوع النشاط التعليمي من مسجد إلى آخر خطة تستهدف امتداد النشاط العلمي للشيخ، حتى لا يكون مقصورا على مكان دون آخر، وحتى يستفيد أهل المسجد الآخر من علم الشيخ وقيمه التربوية. وقد كانت لهذه الجهود وهذه الخطة التي انتهجها ابن باديس في مشروعه التعليمي ثمارا يانعة، أعطت أكلها بإذن ربها في تخريج نماذج فكرية زاهرة وتوريث علوم نافعة رسخت موضعها في التاريخ الإسلامي للجزائر، يقول الأستاذ عبد السلام العزوي: 'إن جهود ابن باديس في خدمة التعليم المسجدي شكلت مرحلة من مراحل التاريخ العلمي والديني للجزائر، لا يمكن للمؤرخ الذي يكتب عن التاريخ الجزائري الحديث أن يغفلها، كيف ذلك وقد أسفرت تلك الجهود عن كتب مثل: محالس التذكير هو تفسير ابن باديس للقرآن الكريم، كما كونت علماء ومؤرخين كبارا، من أمثال الفضيل الورتلاني صاحب كتاب (الجزائر الثائرة)، ومثل الشيخ أحمد حماني الذي صار مفتي الجمهورية ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى في عهد الاستقلال' (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ عبد السلام العزوي، ص99).

يبدو من خلال كلام الأستاذ العزوي أن العالم الرباني المسجدي تكمن قوته العلمية في بعدها القيمي التربوي، انطلاقا من صلته بالقرآن واتخاذة عمدة في التدريس، وربط الناس به تعلموا وتدبرا واهتماما، فلا بد له

من مجالس خاصة بالقرآن، تسفر عن تفسير للآيات، وتجعل مرتاديه أكثر تعلقا وارتباطا بكتاب ربهم، كما يتبين من خلال ما سبق أهمية الهم القلبي للعالم المسجدي في تخريج الخلف البشري الصالح المنتج، والذي يكون بمثابة الشاهد في الدنيا والآخرة، ولذلك جاءت الأحاديث النبوية العظيمة في تبيان أجر ومكانة هداية الغير، من ذلك ما ورد عن سهل -يعني ابن سعد- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((وَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِهِدَاكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ)) [سنن أبي داود (ت273هـ): أول كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم: 3661، ج5/ص502].

والجدير بالذكر أن اهتمام الدولة في مجال المساجد -باعتبارها مؤسسة حيوية- ينبغي أن ينصب على تزويدها بالأطر المكونة تكوينا علميا رصينا في الجانب الشرعي والأدبي لتحسين المستوى الخطابي (مقال: التنظيمات المسجدية/ ذ رؤوف القاسمي، ص102، مجلة: إنسانيات، دفتر رقم 1، منشورات crasc، الحركة الجمعوية في الجزائر-الواقع والآفاق-، مركز البحث في الأنتروبولوجية الاجتماعية والثقافية، 2005م) بهذه المؤسسة في الشق الفكري والتعليمي التربوي، مما يحتم -من باب إيجاد الوسيلة- أن تتوفر الدولة على معهد متخصص في تكوين الأطر العلمية المؤهلة لممارسة هذا الشأن بالمساجد.

أما في ليبيا؛ والتي لا تختلف في كثير من خصوصياتها عن الجزائر وباقي بلدان المغرب العربي المستعمرة، فقد كان لنشاط العلماء بها -إبان عهد الحكم العثماني- عامل كبير في التأثير على الحياة الفكرية للأفراد، وذلك من خلال حضور عدد كثير من الناس لحلقات العلم ودروس الأساتذة داخل المساجد، حيث كان هذا النشاط متاحا في أوقات منتظمة من أيام الأسبوع (مقال: دور المسجد في إثراء الحياة الفكرية بولاية طرابلس الغرب خلال الحكم العثماني/ محمد الطوير، ص501، مجلة: أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1992م).

ولعل هذا الحضور المكثف من طرف الناس لهذه الأنشطة العلمية يعتبر مؤشرا إيجابيا حول تجاوزهم الإيجابي مع علماء المسجد ومؤطريه، وهو الأمر الذي يعكس القوة العلمية لهذه الفئة، وأثرها الفعال في بلورة الإطار الفكري للناس، وفي المقابل، فإننا أصبحنا نلاحظ إعراضا كبيرا لفئات من الناس عن الجلوس مع أساتذة المسجد والتزدد في الأخذ من علمهم وحضور عدد ضئيل جدا في حلقات علمهم، مما يعد مؤشرا على ضعف الثقة والمصادقية في هذه الفئة، نظرا لمجموعة من المعطيات والاعتبارات، والتي ليس هذا المقام موضعها مناسبة لبسطها وتحليلها.

ومن المنافع التي يجنيها المجتمع من تخريج هذه النماذج هي التسخير والتوظيف الإيجابيان لها في مجموعة من الوظائف والمناصب المهمة داخله، بما ينفع في خدمة مصالح البلاد والعباد، يقول علي عطية شرقي: 'لقد ارتبطت مدارس العلم في بلاد المغرب العربي بالمساجد والجوامع، سواء في العاصمة تونس أو القيروان أو

بقية المدن الأخرى، وعندما يكمل الطلبة دراستهم في هذه المدارس؛ فإنهم يتلقون التعليم في الجوامع الكبيرة، لكي يتأهلوا لشغل المناصب المهمة في الدولة، مثل: القضاء والفتوى وأئمة مساجد، والتميز منهم ربما يكون معلما في بعض المدارس' (مقال: أهم المساجد والمدارس الحفصية ودورها الفكري/ ذ علي عطية شرقي، ص83، مجلة: دراسات تاريخية، إصدار: بيت الحكمة، العدد: 36، السنة: 12، 1999م، بغداد، العراق، طبعة: مؤسسة نائر العصامي، 1434هـ/ 2013م).

وتجدر الإشارة أن مؤسسة المسجد في إطار إتاحتها لخدمة العلماء وتقديم ملكاتهم العلمية تتميز وتختلف بذلك عن باقي المؤسسات والمدارس، بحيث إن هذه الأخيرة تشتت عددا محدودا وشروطا خاصة تتعدد من حيث نوعيتها بين الكلفة المادية والمتطلبات القانونية، فيؤول الأمر إلى أنه ليس بمقدور الكل أن يلج لفصولها، نظرا لمعايير قانونية وموضوعية تحتم هذا الأمر، فقلما نجد مؤسسة ما تداني مؤسسة المسجد في انفتاحها العلمي وشمولية الأصناف والفئات العلمية التي تشارك في نشاطها العلمي، علما وتعلما، أخذا وعطاء، ولعلني أستشهد في هذا الصدد بما سطره الأستاذ عبد السلام العزوي، إذ يقول: 'التعليم في المساجد أشمل، حيث يدخل المسجد من شاء من العلماء المؤهلين ليعلم الناس، كما أنه يدخله من شاء من المتعلمين أو المستمعين، فيستفيد في المسجد جمع غفير: العالم والمتعلم والمستمع، على حسب ما عنده من الاستعداد والوقت، بخلاف المدارس، فلا يدخلها إلا عدد محدود من المعلمين والمتعلمين، ولا يؤذن لمن يريد أن يتفقه في الدين بالتردد عليها، ولذلك اضطرت الدول في العصر الحديث إلى إيجاد مدارس لمحو الأمية، وهي شبيهة بالمدارس الأخرى لا يدخلها إلا عدد قليل، ولا تفي بحاجة الناس كالمساجد، فالمساجد جامعات شعبية صالحة للمتعلمين على جميع المستويات' (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ عبد السلام العزوي، ص105).

وتعتبر الممارسة التعليمية للعلماء بمؤسسة المسجد ممارسة فارقية، حيث تأخذ بعين الاعتبار تكييف طرق التحصيل بحسب أحوال المستفيد؛ الذي لا يعدو أن يكون إما مستمعا يتعلم ويتلقى بواسطة سمعه؛ وإما أن يكون متعلما يتلقى عن طريق الكتابة، ولا شك أن في كل واحد من هذين الصنفين المختلفين في طريقة التلقي خيرا، فهناك من يتمتع بقوته السمعية التي تلتقط ما لا تلتقطه أنامله كتابة، والعكس بالعكس، فالعالم الفطن بهذا الأمر لا يحجر على طلابه في ذلك؛ ما دام أن المقصد الأساس والمنتهى المأمول من هذه الممارسة التعليمية هو الزاد المحصل من عملياته، كما أن الممارسة التعليمية للعلماء المسجدين هي تعلم ذاتي في نفس الوقت، فالعلم يزكو بإنفاقه وممارسته ويندثر بالابتعاد عن ممارسة تدريسه، ولذلك فهم المستفيدون أولا مما ينفقون من علمهم ويفرغون من وقتهم.

3.1.2. معالم التدريس بمؤسسة المسجد التفاعلي.

سبقت الإشارة في ثانيا هذا المطلب إلى أن مؤسسة المسجد تعتبر منبعاً للقواعد والنظريات التربوية التي يستضاء بها في مجال التدريس، نظراً لما أسفر عليه تطبيقها وإعمالها من جودة وتخرج لنماذج علمية وتربوية رائدة تعتبر مؤشراً لجودة العمل العلمي للمسجد.

إن الحديث عن معالم التدريس المسجدي هو معالجة مركبة متعددة الزوايا، تتضمن مقارنة تنظيم وأهداف هذا التدريس، ومقوماته، ومراحله وطرق تنفيذه.

ولا شك أن هناك تداخلاً كبيراً في مقارنة محاور التدريس بين مؤسسة المسجد والمدرسة¹، ويرجع هذا التداخل بالأساس إلى كون المؤسسة المسجدية هي النواة والأصل الذي انبثقت منه المدرسة في المنظور الإسلامي، وذلك نظراً لاعتبارات موضوعية وحاجية، وفي هذا يقول الأستاذ علي عطية شرقي: 'ولا مناص من القول من أن تاريخ التعليم في العالم الإسلامي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمساجد قبل تأسيس المدارس، حيث قامت فيها حلقات الدرس منذ أن أنشأت أول مرة واستمر لقرون في شتى أنحاء العالم الإسلامي، والسبب الذي جعل المسجد يلعب هذا الدور² التربوي هو أن الدراسات الأولى كانت تهتم بتعليم وتوضيح الدين الإسلامي الحنيف، فضلاً عن اتخاذه مكاناً لدراسة وحفظ القرآن الكريم، وأسس إلى جانب المسجد مركزاً تعليمياً آخر خصّص لتعليم الصبيان عرف بالكتّاب' (مقال: أهم المساجد والمدارس الحفصية ودورها الفكري/ ذ علي عطية شرقي، ص 77)، كما يمكن أن ينظر إلى أن ظهور المدرسة هو بمثابة الأداة المساعدة للتخفيف من العبء الوظيفي المناط بمؤسسة المسجد وتشعب المهام المنتظرة منه (المرجع السابق: ص 77).

¹ مع أن هناك جملة من الفوارق التي تميز كل واحد منهما، من ذلك: حرية الطالب في اختيار العلم الذي يميل إلى الانتساب إليه، يقول الأستاذ علي عطية شرقي: 'يبدو أنه كان للتعليم بالمساجد الحفصية حرية شبه مطلقة، إذ يستطيع الطالب القدوم في أي وقت، ولا يجبر على الانتساب إلى حلقة تعليمية دون أخرى، وبالتالي هو ليس مجبراً على التقيد أو الالتزام بأحد الشيوخ، لذلك يستطيع أن ينتقل من حلقة إلى أخرى، كذلك يمكن له أن يلازم شيخاً واحداً، وهذا الأمر مخالف تماماً لما يقع في المدرسة، فالطالب مجبر على الحضور في وقت معين ولا يغادر الدرس إلا عند إنهاء الشيخ من درسه، وليس له أن يختار شيخه' (أهم المساجد والمدارس الحفصية ودورها الفكري/ ذ علي عطية شرقي، ص 82).

² سبق التعليق على مثل هذه العبارات المتضمنة لمصطلح الدور.

خضعت ممارسة التعليم بمؤسسة المسجد لتنظيم وتقنين، جعلت منها عنصر تميز وعطاء دائم ومستمر، بل انفرد هذا التعليم بمسميات خاصة، ليميز عن التعليم الذي يمارس في المؤسسات المدرسية، لأنه [يصطلح على تسمية التعليم الديني في بعض البلدان الإسلامية خلال الحقبة المعاصرة بمسميات مختلفة كالتعليم الأصيل أو التعليم العتيق في المغرب، أو التعليم الأهلي في دول الساحل والصحراء في إفريقيا، أو المدارس العربية الإسلامية في دول آسيا، أو التعليم الشرعي في بعض دول الخليج، ويمارس من الناحية التنظيمية في إطار تعليم نظامي رسمي تشرف عليه الدولة، وتعليم غير نظامي تسييره الجمعيات والمنظمات الأهلية ويموله المحسنون] (مقال: التعلم الديني من الحلقات المسجدية إلى المؤسسة/ عبد السلام الجعماطي، ص20).

ومهما اختلفت هذه التسميات التي تعبر عن مسمى واحد، ألا وهو التعليم المسجدي؛ فإن الدلالة المتبادرة من خلال حروفها وكلماتها هي الارتباط بالعلوم الشرعية ومعها اللغة العربية، إلا أن واقع ممارسة هذا التعليم لم يكن مغلقاً، بل كان منفتحاً على سائر العلوم والمعارف، والتي من شأنها فتح آفاق المعرفة لدى الطالب المتخرج من هذا التعليم وتقوية وتوسيع مداركه ومهاراته، كما أن انقسام هذا التعليم إلى نظامي وغير نظامي إنما هو باعتبار الجهة الموكول إليها تسييره وتتبع شؤونه هل هي الدولة أو غيرها؟ وهو على جميع الأحوال منظم ببرنامج يسير وفقه وله منهجية تحكمه، كما أن له أهدافاً واضحة تتجلى أساساً في إكساب طلابه معجماً وظيفياً مستمداً من المجال التخصصي، بالإضافة إلى أنه يرمي إلى تعويدهم على التعبير الشفوي ضمن الجهود الرامية إلى تقوية قدراتهم اللغوية (اللغات في الهجرة-التحولات والرهانات الجديدة-: أشغال الندوة الدولية، مجلس الجالية المغربية بالخارج، ص363 بتصرف، الرباط، المغرب، 25/24 يونيو، 2010م)، وهذا إن دلّ على شيء؛ فإنما يدل على أن التعليم المسجدي لم يكن فقط يتغنى مجرد شحن الأذهان بالكم الهائل من المعلومات، وإلا لصار بذلك المتلقي المسجدي آلة للحفظ والتخزين.

وحتى يتم تحقيق هذه الأهداف بشكل إيجابي وفعال؛ فإن الأمر يتطلب توفر مجموعة من الدعامات والوسائل تستعمل بشكل محكم وقاصد لتسهيل التعلم المسجدي وترسيخه بشكل محكم ومضبوط وجعله ذا مغزى ملموس، وعلى رأس هذه المعينات [الكتب المدرسية، وثائق مكتوبة، وثائق صوتية، تداريب لغوية....] (اللغات في الهجرة-التحولات والرهانات الجديدة-: أشغال الندوة الدولية، مجلس الجالية المغربية بالخارج،

ص365)، إذ لا يمكن تصور مباشرة فعل تعليمي في غنى تام عن هذه الوسائط، حيث إن لها انخراطا كبيرا في تمرير المعارف والمواقف والمواد العلمية المراد تبليغها وإكسابها.

إن الحديث عن الأهداف والأدوات التعليمية والمحتويات المعرفية في الممارسة التعليمية المسجدية لا ينفك عن مرحلة تنظيمية، لا تقل أهمية عن الأمور الأخرى، ليقوم هذا التعليم بوظيفته المنوطة به، ألا وهي مرحلة التقويم والامتحانات لما لها من قيمة تنافسية وتصحيحية للمسار التعليمي للمستفيد، يحدثنا الأستاذ عبد السلام الجعماطي مصورا هذه المرحلة وطريقة إجرائها فيقول: 'وتجرى طريقة الامتحان بأن يقوم الطالب بالجلوس فوق أريكة المدرس، والممتحنون أعضاء اللجنة يتحلّقون حوله في وضع الطلبة، فيلقي الطالب درسه، ويقوم الشيوخ بمناقشته في مختلف فروع العلم، وقد يستمر الامتحان لساعات طويلة لا تقطعها اللجنة إلا لتناول طعام أو لأداء صلاة، حتى إذا اطمأنت من تمكن وتأهيل وحفظ الطالب أجازته وأعطته درجات لتحديد مستواه، فالدرجة الأولى تمنح للطالب الذي يجتاز جميع المواد أو معظمها، والدرجة الثانية للذي يقل مستواه العلمي عن صاحب الدرجة الأولى ولا يسمح له إلا بتدريس الكتب المتوسطة، أما الدرجة الثالثة فحاملها لا يسمح له إلا بتدريس الكتب الصغيرة للمبتدئين، ومن كان يرسب في الامتحان يمكنه إعادة الامتحان مرة أخرى أو أكثر دون التزام بعدد من المحاولات، ويحق لمن حصل على الدرجة الثانية أو الثالثة أن يتقدم مرة أخرى للحصول على الدرجة الأعلى' (مقال: التعلم الديني من الحلقات المسجدية إلى المؤسسة/ عبد السلام الجعماطي، ص31)، فالتعلم المسجدي تعلم إشفاعي، لا يرمي إلى الإسقاط والترسيب، بقدر ما يصبو إلى تشجيع المستفيد والمتلقي، والعمل على إبقاء روح الأمل التعليمي عالقة في قلبه، وذلك حتى لا يدب اليأس إلى مشاعره؛ فيولد لديه النفور وكرهية الأجواء التعليمية.

ويتبين إذن، أن الامتحان في التعلم المسجدي امتحان ازدواجي يجمع بين التنظير والتطبيق مع الشمولية في المعارف التي تخضع للتقييم، وهو كذلك اختبار لا يتصف بصفة التعجيز وتخطيط المعنويات الفردية، بل يتيح محاولات التدارك، لأنه يرمي تحقيق غاية إنتاجية تعود على المؤسسة بذاتها بالنفع العلمي والتربوي، وذلك بتأهيل وتبريز النماذج التي تسهم في نشاطه تدريسا وتعلّما.

وتكفل مرحلة التقويم والامتحانات بتتويج الناجحين والمتخرجين بشواهد لها قيمة اعتبارية معنوية ولها قيمة وظيفية إدارية أيضا، ولعلني أضرب مثالا على أمر الشواهد بواقع الأزهر، حيث يمنح لطلابه في هذه المرحلة الختامية إحدى نوعين من الشواهد، شهادة الأهلية أو شهادة العالمية [مقال: المسجد موضوعا شعريا/ ذ فريد امعضشو (المغرب)، ص 89، دورية: المنهل، العدد 629، جدة، المملكة العربية السعودية، جمادى 1356هـ / 1937م]، والفرق بين الشهادتين هو أن الأولى تمنح بعد دراسة ثمان سنوات بالأزهر والنجاح في الاختبارات الإشهادية، تتيح لحاملها شغل وظائف الإمامة والخطابة، وهي منطلق للترشح لنيل الشهادة الثانية، والتي لا ينالها إلا من قضى اثنتي عشرة سنة، وتحول لصاحبها حق التصدر للتدريس بالأزهر.

وينبغي التعليم المسجدي على عدة مقومات تعتبر أسس نجاحه ولبنة تحقيق أهدافه، وأبرز هذه المقومات (اللغات في الهجرة-التحولات والرهانات الجديدة-: ص 345/ 353 بتصرف وإضافات):

1-العدة البيداغوجية: وتشكل أساسا من هيئة التدريس المكلفة بتدريس وتنفيذ البرنامج العلمي المسطر، مع لزوم مواكبة وتتبع سير وتنفيذ هذا النشاط، قصد التقييم وتصحيح المسار المتعلق بفعل التدريس، حيث لا بد لهذه العملية من شخص مراقب متمكن يسهر عليها، لما لها من دور هام في جودة التعلم.

2-العدة الإدارية والقانونية: وهي الهيكل الوصي محليا على النشاط التعليمي بالمسجد، وقد تكون هي نفسها الوصية على المؤسسة المسجدية برمتها، وتعنى هذه الجهة بتوفير الجانب الوثائقي اللازم للنشاط، بالإضافة إلى توزيع المدرسين وتنظيم وجدولة الحصص، أخذًا بعين الاعتبار الظروف العامة المتوفرة، ومن أهم مهام هذا الهيكل هو الضبط القانوني للنشاط، بما يحقق الامتثال والنظام لإنجاحه في ظروف ملائمة.

3-العدة المالية والتجهيزية: والمقصود منها الميزانية المخصصة لهذا النشاط، سواء كانت مرصودة من مجموع الموارد المالية الخاصة بالمسجد أو تلك التي يتم تحصيلها من المحسنين، بالإضافة إلى كيفية تدبيرها وتسييرها حسب الحاجيات الفعلية اللازمة لسير النشاط، ويتلو ذلك العمل على توفير التجهيزات المختلفة التي يتطلبها سير النشاط بما لا يعيقه سيره ويسهم في فعاليته وجودته.

4-الشركاء: المتدخلون عن قرب أو عن بعد سواء من الداخل أو من الخارج، ومن أمثلتهم: الآباء والمحسنون وأطر التربية والخبراء في التكوين والتدريس.

ولا بد للمتدخلين في هذه الممارسة التعليمية المسجدية على اختلاف مواقعهم أن يكونوا على صلة وثيقة بالمعارف الإسلامية وتحديدًا مع مرور الزمن، والعلم بطبيعة المسجد مع تشرب روحه في السلوك (المسجد وأثره في المجتمع: علي عبد الحليم محمود: ص221، دار المعارف، القاهرة، مصر، بدون طبعة، 1976م).

مراحل التعليم المسجدي واضحة المعالم ومتميزة الخصائص والصفات، حيث تعرب على أن هذه العملية ممنهجة وذات جدوى، فأول ما كان يبتدئ به الطالب الذي يلج لأول مرة هذا الفضاء التعليمي -في المجال المتعلق بالقرآن- هي مرحلة الاستئناس والتعود الاثنائي على الجو المسجدي العام بما في ذلك أهم المتدخلين في هذا الجو (المسجد وترسيخ الفكر الوحدوي بالمغرب: محمد أمrani علوي، ص48/56 بتصرف) وذلك من أجل الانخراط فيه والتفاعل معه بشكل إيجابي، حتى لا تتسرب مشاعر الخوف التي تولد النفور، ويكتفي الطفل في هذه المرحلة بالإنصات، ومن الأعراف التي تصاحب هذه المرحلة بالبداية أن أهل الطفل يرسلون فيها للفقير المعلم ما يسمى بالبياض (سكر، بيضة، خبز...) [مقال: مساجد البادية المغربية، إدريس كرم، مجلة التراث الشعبي، العدد 9، دار الحرية، بغداد، العراق، 1398هـ / 1978م]، ثم تُردف هذه المرحلة بمرحلة التخناش وذلك بالتعامل الأولي مع الحروف والكلمات رسماً وكتابة وقراءة تحت توجيه الفقيه أو من ينوب عنه، أما المرحلة الثالثة فهي التهجي بكتابة قصار السور على اللوحة وقراءتها ثم حفظها والانتقال تدريجياً عبر السور القرآنية، فإذا تمكن الطالب من حفظ القرآن الكريم كاملاً، يتم الاحتفال به وتقديم هدايا إلى شيخه في إطار التخريجة الكبيرة، بعد ذلك يتدرج الطالب نحو مرحلة إتقان الرسم والأنصاف وحفظ المتون، لتتبع ذلك مرحلة توسعية هامة تتعلق بالشرح والتعليم، والخاتمة تكون بمرحلة إجازة الفقيه إذا تمكن الطالب من أداء صلاة التراويح بمفرده.

إن هذه المراحل التعليمية التي يمر منها الطالب المسجدي تجسد منظومة فكر وحدوي بمثابة انخراط الجزء في الكل (المسجد وترسيخ الفكر الوحدوي بالمغرب: محمد أمrani علوي، ص67)، حيث يتحول فيها الطالب من متعلم إلى معلم في دائرة تعليمية تمثل تبادل الأخذ والرد ترسيخاً للفكر التعاوني الوحدوي الذي ينبغي أن يتمثل في الأطوار التعليمية داخل المنظومة التربوية الإسلامية.

وإذا أردنا تحليل بعض ملامح طرق العملية التعليمية في مؤسسة المسجد؛ فإن ملاحظة مجريات هذه الظاهرة عبر التاريخ ومن خلال أماكن شتى تفضي إلى القول بأن طريقة الحلقات هي الطريقة السائدة في هذا التعلم، حيث إن هذه الحلقات هي بمثابة مستويات تعليمية أو مجموعات متجانسة لها نفس الخصوصيات أو توحيدها أهداف تعليمية مشتركة، فقد [كان طلاب العلم ينتقلون من حلقة إلى أخرى وتمثل كل حلقة سنة دراسية متدرجة من السنة الأولى إلى الثانية والثالثة والرابعة، حيث كان كل شيخ يدرس طلابه وهو جالس على الكرسي أو الأرض، وفي يد كل طالب نسخة من الكتاب المقرر، يبدأ درسه بقراءة جملة من الكتاب أو يكلف أحد الطلاب بها، ثم يأخذ الشيخ في تفسير المقروء، ولكل طالب الحق في أن يستفسر عما صعب فهمه وتكون إجابة الشيخ كافية لتوضيح ما خفي، والطلبة يدونون الشروح طيلة مدة الدرس التي تقارب الساعتين، وحينما يقوم أحد الطلاب بأعمال غير مستحبة تدل على سوء خلقه أثناء الدرس، فإن الشيخ لن يلجأ عادة إلى الضرب أو التأنيب الجارح بل يلجأ إلى النصح والإرشاد حتى لا يفقد مداومة طلابه في دروسه بالابتعاد عنه إلى حلقة شيخ آخر، والطلاب لا يكلف إلا بقدر فهمه حسب سعة عقله] (مقال: دور المسجد في إثراء الحياة الفكرية في طرابلس الغرب/ ذ محمد الطوير، ج1/ ص504 بتصرف).

يتبين إذن أن الحلقة التعليمية للشيخ محطة لمراعاة الفروق الفردية في التعلم ضمانا لتحقيق أكبر قدر ممكن، بالإضافة إلى أنها محطة لمراعاة المشاعر النفسية للطلاب، لأنها مدخل أساس في القابلية للتعلم بشكل إيجابي، ولا شك أن الحافزية التي تميز الطلاب في اكتسابهم وطلبهم تعتبر مؤشرا قويا على نجاح وتفهم الشيخ في تعامله معهم ومع المادة العلمية عرضا وتقديما ومناقشة وتحليلا.

ولعل من أبرز التقنيات التعليمية في تنشيط الحلقات العلمية من طرف شيخها أو أستاذها هي التركيز على جانب المناقشات والمحاورات في المسائل العلمية، حيث تتسم بالمشاركة الإيجابية للطلاب وفعاليتهم في بناء المعارف المقررة في الدرس، مع التوسط في عملية التلقين والإملاء، لأنها قد تجعل من الطلاب عنصرا سلبيا في التعلم والاكتساب، [ويحسن إعمال هذه التقنية يعد تقرير المسائل والفراغ من المناقشة الجماعية لتفاصيلها] (مقال: أهم المساجد والمدارس الحفصية ودورها الفكري/ ذ علي عطية شرقي، ص84) وذلك من أجل الضبط والتثبيت.

ولا ينبغي إغفال أهمية التحضير والإعداد القبلي للدرس (مقال: مسجد ابن يوسف وإشعاعه العلمي والثقافي/ ذ محمد السعيد، ص134)، حيث تناط هذه العملية إلى الطلاب، حتى يستطيعوا المسيرة والتمكن من الانخراط الجيد في جو المناقشة والاستفسارات العلمية، بما يقوي مدارك وأفق الطالب، وقد يقع قلب في أعمال هذه الطرق التدريسية من حيث التقديم والتأخير بينها، ويرجع ذلك بالأساس إلى حرفة وخبرة المدرس في ممارسته، يقول الأستاذ علي عطية شرقي: 'ويبدو أن المستوى العلمي للمعلم هو الذي كان يحدد الطريقة التدريسية الناجحة، إذا كانت جيدة أم لا، فإذا كان مستواه العلمي جيدا كان بإمكانه شرح ما يمل به من معلومات، ويدون الطالب هذه الشروح على هامش الأوراق، وإذا ما انتهى الشيخ من إلقاء الدرس، فإنه يعيد قراءته، أو يكلف أحد الطلبة المتميزين بإعادة القراءة حتى يصحح الأخطاء، وبعد ذلك يقع نقاش في الموضوع' (مقال: أهم المساجد والمدارس الحفصية ودورها الفكري/ ذ علي عطية شرقي، ص84).

يشير هذا النص إلى طريقة تقنية أخرى، تستعمل في التعليم المسجدي وهي تكليف المدرسين طلابهم النجباء بمساعدتهم في عملية التدريس والتصحيح، ويصطلح على هذا الأمر في التعليم المعاصر بالتعليم عن طريق الوصاية، ولهذه الطريقة فائدتان:

-اقتصاد الجهود والوقت، من أجل تحقيق جودة متميزة في ممارسة الفعل التعليمي.

-تدريب وتأهيل الطلاب لممارسة الفعل التعليمي مستقبلا وتشجيعهم نحوه، أي: توريث وتوارث الحرفة التعليمية عبر الأجيال.

2.2. النشاط التعليمي التربوي لمؤسسة المسجد التفاعلي.

حافظت على البصمة التعليمية في عنونة هذا القسم والإبقاء على اقتراحها بعنصر التربية لأنهما وجهان لعملة واحدة، لا ينفك أحدهما عن الآخر، ويقع الحديث ضمن هذا القسم في ثلاثة فروع، يتبين لي أنها تؤدي الوظيفة التربوية لمؤسسة المسجد على أحسن ما يرام، وهي على التوالي: الحلقات والكتاب (في نفس الفرع)، الخطبة الجمعية ودروس الوعظ.

1.2.2. الحلقات القرآنية والكتاب المسجدي.

قمت بضمم مكوني هذا العنصر في عنوان واحد، وذلك لأنهما يعرفان نفس النشاط التعليمي التربوي من حيث التسيير والبرمجة، ويسعيان إلى تحقيق نفس الأهداف، بل إن المؤسسة المسجدية إما أن يكون بها نشاط الحلقات القرآنية داخل فضاءاتها، وإما أن يكون هذا النشاط في الكُتّاب التابع لها، لترك فضاء المسجد الداخلي مخصصا للصلاة، تحرزا من عبث الأطفال بأفرشته ومتاعه، وبالتالي فالفرق بينهما لا يعدو أن يكون فرقا ماديا من حيث مكان الممارسة والنشاط.

وتعتبر الحلقة المسجدية نواة التعليم الأولى في المؤسسة المسجدية، فقد كانت بمثابة المحضن الأساس والمهد الأول للطفل في مجتمعات المسلمين، وأول المميزات للحلقة المسجدية هي شكلها الدائري، وهذه الميزة مأخوذة من دلالتها اللغوية، حيث يقول ابن منظور (ت711هـ): 'الحلقة: كل شيء استدار كحلقة الحديد والفضة والذهب، وكذلك هو في الناس' (لسان العرب: ابن منظور، باب القاف، فصل الحاء، جذر (ح ل ق)، ج10/ ص61، دار صادر، بيروت، لبنان، ط4، 1414هـ)، ففي الحلقة القرآنية يتحلق الطلاب والمتعلمون في شكل دائري حول المدرس أو الشيخ الذي يسير نشاط التحفيظ القرآني، ولا يخفى ما لهذا الشكل من أثر في التواصل وحسن التعلم لما يحقق من الرؤية المباشرة وحسن التموضع أمام المدرس.

أما الكتاب القرآني؛ فهو مدرسة أو مؤسسة صغرى جانبية، تشتغل ضمن المؤسسة المسجدية الكبرى، وبالتالي، فهذا الاسم يحمل دلالة تكوينية مستقلة، لكنها لا تختلف في المدلول الوظيفي عن الحلقة المسجدية، وتكمل الوظيفة التربوية التي تسعى مؤسسة المسجد التفاعلي إلى تحقيقها، وذلك لأن [الكتاب هو أقل وحدة تعليمية منتشرة بشكل كبير من الزوايا، إذ توجد في أحياء المدن والقرى، وقد تكون حجرة من منزل أو بناية مستقلة على شكل مدرسة أو ملحقة بمسجد، بنيت خصيصا لتعلم القرآن، ويعلم فيه بأجرة يتقاضاها من أولياء التلاميذ¹، أثاثه الخُصُر ومجموعة من الألواح الخشبية وأقلام من قصب وكمية من الصلصال والصمغ ومجموعة من المصاحف وبعض الكتب الفقهية والنحوية والصرفية، والتعليم بالکُتّاب تعليم أولي، ومنه ينتقل التلاميذ إلى زوايا ومساجد كبرى لإنهاء دراستهم الثانوية، وقد قام الكتاب بمهمة تربوية عظيمة (...). وكان

¹ ليس بالضرورة أن يكون أجر مدرس الكتاب مستخلصا من مساهمات أولياء التلاميذ، فقد تشرف جمعية المسجد أو الجهة الوصية على تسييره على عملية تدبير صرف راتب هذا المنصب، وتبقى حرية الدعم المادي لهذا المدرس مطلقة ومتاحة لجميع أوجه الخير من أولياء التلاميذ وغيرهم.

يؤمه الأطفال ليحفظوا بعض السور من القرآن ومبادئ العبادات بجانب القراءة والكتابة¹] (مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي - المساجد والكنائس - / ذ بلال ريم، ص156).

لقد تميز التدريس والتحفيظ بالكتاب القرآني والحلقات المسجدية بمنهجية منظمة تستهدف التحصيل الجيد والعطاء المتواصل، يعتاد عليها الطلاب لأنهم يسرون وفقها بشكل دائم، فكل طالب له نصيب محدد من الحفظ بعدما يكون قد تمكن من ضبط قراءته، ولا شك أن هذا النصيب المحدد من الحفظ يكون في متناول وطاقة الطالب حتى لا يشق عليه الحفظ، فلا ينتقل منه إلى مقطع آخر بعده إلا بعد ضبطه، مع أن ضبط الأداء يكون تدريجياً يتقدم فيه الطالب شيئاً فشيئاً كلما تقدم في مقدار حفظه، ومنهجية اكتشاف الخطأ تقع على التعلم الذاتي بحيث يتعين على الطالب أولاً أن يكتشف بنفسه الخطأ الذي وقع فيه (المدارس والكتاتيب القرآنية - وقفات تربوية وإدارية - : مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص38/ 41 بتصرف، دار الكتب المصرية، ط3، 1428هـ / 2007م)، أما فترات التحصيل القرآني، فتتقسم إلى: حفظ جديد ومراجعة محفوظ حديث ومراجعة محفوظ قديم، بحيث يحرص الطالب على إعطاء نوع من التوازن الكمي لهذه التقسيمات الثلاثة، وبالتالي يتأتى له الملاءمة بين المكتسب الجديد والمكتسب الحديث، نظراً لأنه يصعب تدبير هذه الملاءمة كلما واجه الطالب المتشابهات اللفظية من القرآن.

أما النظام العادي للحلقات، فهو يسير وفق تنظيم محكم من جانب كل من المدرس والطلبة، فيكون الاشتغال وفق مجموعات متجانسة من حيث مقدار الحفظ أو من حيث طريقة التعلم، فتتم بذلك مراعاة الفروق الفردية والخصائص التعليمية لكل طالب على حدة، ومن تقنيات التسيير في الحلقات الاستعانة بالعرفاء أو الطلبة المبرزين²، فقد تكون لهذه الفئة من الإمكانيات التدريسية والقدرات التفاعلية ما ليس عند المدرس الرئيس للحلقة، فتكون مساعدتهم تلك بمثابة قيمة مضافة للعمل في شموليته، [ومن فوائد هذه الاستعانة

¹ من خلال تجربتي الخاصة في ممارسة مهنة التعليم - خاصة في السلك الابتدائي منه -، تبين لي أن الأطفال الذين يلجون المدرسة بعد مرورهم من الكتاب - باعتباره تعليماً أولياً ينوب عن الروض الموجود بالمدن والحوضر -؛ يجدون سهولة ويسراً في الانخراط التعليمي التفاعلي بالمدرسة، ويكون عطاؤهم أحسن وأجود من الأطفال الذين حرموا من المرور من الكتاب.

² سبقت الإشارة إلى أنه يصطلح عليه: التعليم عن طريق الوصاية.

تعويدهم على إدارة الحلقات والتدريس بها، مع تيسير عمل المدرس واكتساب كفاءة تنظيم وضبط الطلاب [المدارس والكتاتيب القرآنية -وقفات تربوية وإدارية-: مجلة البيان، ص43].

ويلاحظ في تحفيظ القرآن بالحلقات أن هناك طريقتين في التحفيظ: طريقة فردية وطريقة جماعية، فالطريقة الأولى تفيد في كشف المهارات الفردية وإعطاء أولوية للتعليم الذاتي وتنميته، [كما تجدي في إمكانية استقبال الطلبة الجدد] (المدارس والكتاتيب القرآنية -وقفات تربوية وإدارية-: مجلة البيان، ص25/26)، وهو الشيء الذي لا يتحقق في الطريقة الجماعية، والتي من سماتها عدم مراعاة الفروق الفردية للطلاب بمفرده، لكنها الأكثر ملاءمة في تعليم الفئات الصغرى، [حيث ترفع من مستوى الأداء وتشحذ الهمم لبطئي الحفظ، فتسهم في تمكين الأمي من حفظ ما تيسر، لأنها مسهلة للحفظ، كما أنها تمكن من تخليص السنة الطلاب من عيوب النطق، أي: تقليل نسبة اللحن مع منع سريان اللهجات العامية] (المدارس والكتاتيب القرآنية -وقفات تربوية وإدارية-: مجلة البيان، ص34/24).

ولما كانت هذه الضوابط المنهجية من الأمور اللازم توفرها في نشاط التحفيظ بالحلقات القرآنية؛ فكان لا بد حينئذ من توفر مقومات متعددة الجوانب لدى المدرس، لأنه قدوة ومحط أنظار طلابه يقتدون بسلوكه، وأرى أن أجمع هذه المقومات الخاصة بالمدرس المسجدي (المرجع السابق: ص13/21 بتصرف) في جدول على هذا المنوال:

المقومات العقديّة	المقومات الأخلاقية	المقومات المهنية	المقومات المظهرية
-نُهج عقيدة سليمة	-الترفع عن الدينء	-الاستعداد العلمي	-السلامة من الأمراض
مبنية على الدليل	والعفة وعزة النفس.	والبيداغوجي والنفسي.	المعدية والإعاقة المؤثرة.
الصحيح.	-السكينة والوقار ونُهج	-امتلاك تجربة إدارة	-سلامة الصوت من
-الالتزام بالفرائض.	السلوك الحميد.	الحلقات وتديرها.	عيوب النطق.
-مراقبة الله في السر	-المحافظة على الوقت	-الاستعداد الجسدي	-الاعتناء بالهندام
والعلن.	وخدمة الناس.	والزمني والفطري.	والتنطيب.

لذلك، فإن المنتظر من هذه الحلقات ألا تنتج فقط كائنات آلية تردد ما حفظته؛ فتكون أوعية استرداد، وإنما ينتظر منها أن تنتج نماذج مكتملة الشخصية ومتشعبة بالخلق والرزانة النابعين من النور القرآني الذي عطر أفواهها، فترك بذلك بصمته على القلوب والجوارح، والحري بمدرس الحلقات أن يجمع في تعامله وتصرفه بين الحزم والإتقان وبين التلطف مع الطلبة، فيسأل عن الغائب ويتودد مع الجديد منهم، لكسبه وإدماجه في الحلقة، ويستمع للجميع ويحترمهم على حد السواء، أما تعامله مع الخطأ، فينبغي أن يركز على تجنب تحطيم المعنويات وأن يكون النصح والتوجيه بالقدر الذي يحد من الخطأ ويشعر الطالب بالندم، دون تنفيره من الحلقة فيؤول ذلك إلى الانقطاع عنها، كما أن تواصل الآباء مع المدرسين في هذا الشأن له عمقه التربوي في تيسير عمل الحلقات القرآنية ورفع من مردوديتها.

وككل عملية تربوية تعليمية، لا بد بعد كل مرحلة تحصيلية معينة أن يعقبها تقويم للطلبة، يعطي لجميع أطراف العملية التربوية تصورا كاملا عن سير العملية وتقييم المستوى الحقيقي للطلبة وما يكتنف تحصيلهم من تعثرات ينبغي تداركها في المراحل الموالية، وغالب الاختبارات التقويمية في القرآن الكريم تكون شفوية، نظرا لما لها من إيجابيات في اختبار مراتب القراءة لدى الطالب وتعويده وتشجيعه على المحادثة والمواجهة المباشرة، كما أن لها مجموعة من السلبيات من قبيل [ما يصحبها من خوف وقلق وارتباك وعدم منح الوقت الكافي للتفكير في الجواب، وكذلك اعتماد التقدير الذاتي حسب ما يراه المدرس، واختلاف مستويات الأسئلة من طالب لآخر] (المدارس والكتاتيب القرآنية - وقفات تربوية وإدارية -: مجلة البيان، ص 83/ 84).

وبالتالي، فهذا النوع من الاختبارات يطرح إشكالية التدقيق في المعايير المرجعية للاحتكام وإجراء عملية التقويم بالإضافة إلى صعوبة توحيد نوعية الأسئلة، كما أنه يطرح إشكالية التقدير والذي يختلف تقويما باختلاف الأشخاص المباشرين لهذه العملية، ومع ذلك؛ لا يمكن أن يعدل عن هذا النوع من الاختبار إلى الكتابي لأنه يحقق مصالح تعود على الطالب نفسه بالنفع وتسهم في إكمال تكوينه الذاتي تكويننا سويا وشحد همته نحو الأفضل.

إن العطاء الجيد للحلقات وإسهامها في تخريج وتكوين نماذج مبرزة في القرآن الكريم أداء وحفظا يستدعي التغلب على المشاكل التي تعترض سير نشاطها، وذلك بتكثيف الحوافز المعنوية والمادية التي تدخل

السُرور في قلوب الطلاب، مع لزوم تأهيل المدرسين الأكفاء علميا وخلقيا، والذين يحظون بحسن المعاملة وفن التأثير في الطلاب وجذبهم إلى جو الحلقات بشكل مرغّب ومؤثر في النفوس، مع حرصهم على نسج علاقات الأخوة والصحة فيما بينهم، بالإضافة إلى التخطيط المستمر نحو إدماج وإشراك الطلاب في أنشطة ومسابقات تجعلهم متشوقين وذوي معنويات مرتفعة.

وتجدر الإشارة أن من الأمور الهامة في عمل الحلقات القرآنية وجود مواكبة مستمرة وتتبع لعملها ورصد لمشاكلها وتعثراتها عن طريق عملية الإشراف التربوي، وذلك لأنه الوسيلة المثلى للسهر على تحقيق أهداف المؤسسة والاهتمام بحاجات المعلم، بما يرفع من كفاءته ويحسن طرق ووسائل التعامل والتعليم (المدارس والكتاتيب القرآنية -وقفات تربوية وإدارية-: مجلة البيان، ص 107).

لقد عرف العمل التعليمي التعليمي-الحلقات والكتاب- في مؤسسة المسجد التفاعلي نظاما محكما وتخطيطا مدروسا هادفا، تتجسد فيه مجموعة من المراحل المترادفة والمتراطة فيما بينها، يوحدتها خيط ناظم، وتشكل نسيجاً متكاملاً، لا يستغنى فيه عن أيّ طرف من أطرافه، وما الأهداف التي أثمرها في مجموعة من المخطات الزمانية والمكانية إلا دليلاً قوياً على نجاح هذا النشاط وأثره البارز في الساحة التعليمية العامة.

2.2.2. الجمعة وأثرها التربوي الإصلاحي.

لا يشك باحث في مجال الدعوة الإسلامية في كون خطبة الجمعة محطة من المحطات البارزة التي يراهن عليها في عملية الإصلاح ضمن شتى مجالاته وفروعه، لما لها من قدرة في تقييم الذات ونقد الوضع نقداً بناءً وموضوعياً، وذلك من أجل التغيير نحو القيم الإيجابية في الحياة، وفي هذا تقول الأستاذة فتيحة عبدلاوي: 'وخطبة الجمعة باعتبارها وسيلة سمعية بصرية وأداة تثقيفية إسلامية ووسيلة تبليغية منتشرة في العالم؛ فإنها تفجر فكر الأمة، وتسهم في توليد النقد البناء، والقيام بمشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على إصلاح الناس واستقامتهم في الحياة وفق المنهج الرباني الحكيم' (مقال: المنظومة الوظيفية لخطبة الجمعة في البناء الحضاري للأمة/ فتيحة عبدلاوي، ص 11، مجلة: نشرة الأئمة والخطباء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، العدد 5، شوال 1424هـ/ دجنبر 2003م).

وإذا كانت الخطبة الجمعية محطة وظيفية؛ بما تهدف إليه من بناء وتغيير وظيفي على مستوى الفرد والجماعة؛ فإنها تتميز بمجموعة من المميزات تنفرد بها عن سائر الوسائل الأخرى من وسائل الدعوة والتوجيه، والتي جمعها الدكتور صالح السدلان في قوله: 'والسر في ذلك أن الخطابة على العموم كانت ولا تزال هي أكثر الوسائل فعالية في نشر الدعوات وبث الأفكار وإيصالها إلى أكبر عدد ممكن من مختلف الطبقات والمستويات، فالخطبة أسرع إلى فهم العامة وأبلغ في التأثير على الجميع، ولها مفعول مباشر وسريع في توجيه الرأي العام' (الأثر التربوي للمسجد: صالح بن غانم السدلان، ص14، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية بدون بيانات).

ولا شك أن هذه المصالح التي ذكرها الدكتور السدلان تجمع بين صفتي الآنية والقوة التأثيرية في الجمهور، فتكون بذلك الخطبة وسيلة مجدية تحقق النفع الزمني والجودة العددية، فقد نجد صعوبة في جلب شخص معين إلى درس أو موعظة في مناسبة ما، لكن الأمر يختلف كلياً في خطبة الجمعة، إذ إن واجب الحضور إليها والإنصات إلى مضمون خطابها أمر يغني عن ذلك كله، وبالتالي، فالرسائل التي تنطلق من المنبر تؤثر وتعطي فعالية بشكل أقوى وأكثر وأسرع من الرسائل التي تصدر في غير هذا المقام، ويمكن أن ندعم ذلك بما ذكره الدكتور مصطفى السباعي مبينا حجم تأثير الخطبة في صناعة الوعي وتحقيق الإصلاح بشتى مجالاته الحيوية: 'وميزة أخرى للمسجد في الإسلام أنه تنبعث منه في كل أسبوع كلمة الحق مدوية مجلجلة على لسان خطيبه، في إنكار منكر أو أمر بمعروف، أو دعوة إلى خير، أو إيقاظ من غفلة، أو دعوة إلى تجمع، أو احتجاج على ظالم، أو تحذير لطاغية، ولقد شاهدنا في عهد الطفولة كيف كانت المساجد مراكز الانطلاق للحركات الوطنية ضد المستعمرين الفرنسيين، يلجأ إليها زعماء الجهاد ضد الاستعمار وضد الصهيونية، وإذا كنا نرى تعطيلها اليوم عن قيامها بوظيفتها الكبرى، فما ذلك إلا ذنب بعض الخطباء من الموظفين المرتزقين، أو الجاهلين الغافلين، ويوم يعتلي منابرها ويؤم محاريبها دعاة أشداء في الحق، علماء بالشرعية، مخلصون لله ولرسوله، ناصحون لأئمة المسلمين وعامتهم، يعود للمسجد في مجتمعنا الإسلامي مكان الصدارة في مؤسساتنا الاجتماعية، ويعود المسجد ليعمل عمله في تربية الرجال وإخراج الأبطال وإصلاح الفساد ومحاربة المنكر وبناء المجتمع على أساس من تقوى الله ورضوانه' (السيرة النبوية دروس وعبر: مصطفى السباعي، ص45، دار السلام، القاهرة، مصر، ط4، 1423هـ / 2003م).

انطلاقاً مما سبق؛ يظهر أن رسالة الخطيب وجودة بصمته في هذه المهمة إما أن تسهم إيجاباً في النهوض بمقصدي الخطبة وفعاليتها، وإما أن تسهم سلباً في تردي مستوى الخطبة وضعف تفاعل الناس مع فحواها، ولا شك أن هذه المهمة تُحشر ضمن الوظيفة الكبرى للمؤسسة المسجدية نظراً للاعتبارات الموضوعية والزمنية لهذه المحطة، ولذلك، تم التعويل عليها في المراحل العصبية والمخرجة التي تمر منها البلاد من أجل الإسهام في إنقاذ الوضع وتدارك ما ينبغي تداركه، وأهم الشروط التي ينبغي استحضارها في تقوية رسالة الخطيب ألا تصير هذه المهمة وظيفة ارتزاق ومصدراً مدراً للمال، فيتم بذلك تفريغها من كل من الحس الروحي الإيماني ومن الحس التربوي الواقعي.

ولست أتفق مع الدكتور السباعي -على عظم قدره- في كون المنابر تتطلب أن يعتليها علماء بالشرعية، إذ إن هذا الشرط عزيز ونادر الحصول والإمكان، ويصعب توفره في شتى ربوع العالم الإسلامي، نظراً لقلّة العلماء وتوالي قبضهم مع مرور الزمن واقتراب الساعة¹، كما أنه ليس كل عالم بالشرعية يمكن أن يتقن فنّ الخطابة وينجح في أداء هذه المهمة بتأثير وفعالية، نظراً لأنها تتطلب مهارات فنية تواصلية أخرى لا تقل أهمية عن الزاد العلمي اللازم للتبليغ، فقد يكون هنالك من العلماء من لا يليق بهم ممارسة مهام الخطابة في الجمعة، لافتقادهم لهذا المقوم الأساس في هذه العملية.

وإذا كانت خطبة الجمعة تتمتع بمجموعة من المميزات المنهجية والتقنية والتي سبق بياؤها؛ حيث تجعل منها محطة يراهن عليها بشكل كبير في عملية الإصلاح؛ فإنه ثمة مميزات قيمة وموضوعية للخطبة الجمعية تجعل منها ثروة زاخرة وزاداً متنوعاً، لو أحسن استثماره؛ لأعطى الخير الكثير، على اعتبار أن [رسالة الخطيب والواعظ في حقيقتها دعوة إلى الله، فهي تستهدف إصلاح أحوال الناس بإشاعة التدين فيهم، ونشر الفضائل بينهم وتأليف قلوبهم وتوحيد صفوفهم، وبث روح المواطنة في نفوسهم وتحصينهم من الأفكار والتيارات الهدامة،

¹ في إشارة إلى الحديث النبوي المشهور الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بَقْبُضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَمَّتُوا بَعِيرَ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)) [صحيح البخاري: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم: 100، ج1/ص31].

انتزاعاً: محو من صدور العلماء، بقبض العلماء: بموتهم (تعليق مصطفى البغا على الحديث).

وتبصيرهم بحقوق ربهم وتعريفهم مبادئ وخصائص دينهم وإرشادهم إلى أسباب سعادتهم، وتربيتهم على محاسبة النفس ومراقبة الله جلّ وعزّ مما يرقى بهم في مدارج القرب منه سبحانه، ويضمن له التمكين في الأرض، ويجعلهم في مستوى الشهود الحضاري على الناس (...)[مقال: بلاغة الإقناع في الخطاب المسجدي/ الحسن الطاهري، ص 103 بتصرف، مجلة: صوت المجلس، العدد: 2 و3، صفرو، المغرب، 1433هـ/ 2011م].

يتيح لنا هذا النص إذن إمكانية تصنيف الموضوعات الكبرى التي تعالجها خطبة الجمعة، والتي تتمثل فيما يلي: التحصين ضد الأفكار الهدامة، حقوق الله تعالى، مبادئ وخصائص الدين، التربية ومحاسبة النفس والفضائل والقيم الأخلاقية.

ويمكن أن نضيف إلى هذه الموضوعات الكبرى موضوع **السير والقصص**، فقد أثبتت التجربة أثرها التربوي الفعال في إصلاح النفوس لما اشتملت عليه من عناصر التشويق والإثارة، وقد يتم توظيفها مدعماً داخل الموضوعات الكبرى المشار إليها آنفاً، فإفراد عنصر (القصص والسير) كموضوع مستقل هو باعتبار اختيار مبدئي لقصة أو سيرة في موضوع ما لتكون مركز المعالجة الموضوعية، وقد نجد القصة والسيرة حاضرة في صنف موضوعي آخر ضمن الخطب، حيث توظف كوسيلة تعليمية، كما هو الشأن في استعمالها مثلاً ضمن المواضيع التحذيرية في المجالات الفكرية أو التربوية أو الحقوقية ...

ولا شك أن معالجة هذه الموضوعات ينبغي أن تتم بتوازن عادل بينها، دون إغفال التفاعل مع الأحداث والظروف الراهنة، فلا ينبغي أن يطغى موضوع منها على باقي الموضوعات، وذلك من أجل تحقيق توازن في إصلاح وتكوين الشخصية المسلمة الناجحة، وقد أفصح الدكتور الحسن الطاهري عن مؤشري النجاح في خاتمة النص، وهما المؤشران المتعلقان بالفلاح في الدنيا والآخرة، بالفلاح في الآخرة يتجلى في الرقي نحو القرب منه، أما الفلاح في الدنيا فهو التمكين والشهود الحضاري، فأى تغليب لمؤشر على الآخر ينبئ بخلل منهجي وسوء تصور للرؤية الإسلامية في الموازنة بين الروح والمادة.

داخل هذه الموضوعات الكبرى لخطبة الجمعة، يستوقفنا إشكال رئيس يتعلق باختيار وتحديد الموضوع الجزئي لجمعة محددة بعينها، فحينها تصبح تلك الموضوعات الكبرى بمثابة مجالات؛ ينبغي أن يبحر فيها الخطيب من أجل اختيار الموضوع المناسب.

ولا شك أن هذه المرحلة صعبة ومهمة، حيث إن التوفيق فيها يعتبر مؤشرا للنجاح في الوظيفة الخطابية، كما تعتبر مدخلا للإصلاح النفسي والتربوي والاجتماعي، أما الموضوعات التقليدية التي اعتيدت معالجتها؛ فإنها تكون مجلبة للملل والسآمة، وسمتها البارزة هي ضعف الفاعلية، أذكر في هذا الصدد أنني التقيت أحد الأساتذة يوما ما، فذكرنا أحوال خطباء الجمعة، فكان مما انتقده على البعض منهم أنه يكرر الموضوعات التي سبق له وأن عالجها في خطب سابقة، لدرجة أن هناك من الكلمات والعبارات ما أصبح محفوظا في الأذهان، إذ لا يكلف البعض منهم نفسه عناء البحث والتجديد في اختيار موضوعات جديدة بصيغ متنوعة، بالإضافة إلى أن الموضوعات التي تعالج بطريقة تقليدية وتعرف حضور نفس الزاد المعرفي الذي يدركه عوام الناس غالبا ما تولد شعورا بالرتابة وعدم الابتكار والفاعلية في البسط، وذلك بسبب عدم الجنوح نحو التنوع الأسلوبي في تناول الموضوعات وطرح الأفكار، وفي هذا يقول باتريك دي جافني¹: 'نمّة وعاظ وبخاصّة² أئمة المساجد من خريجي الأزهر³، يلتزمون باتباع الشكليات المعتمدة في صياغة الخطب ومحتواها ...، نجد النص مثقلا بالإطنابات والصياغات المتوازية بدرجة تبدو وأنها انتحال من نمط ثابت، على الرغم من تضمينه عددا من الأسئلة الشعبية التي تضفي عليه نكهة محلية صعيدية، موضوع الخطبة مألوف عادٍ بدرجة لا تكاد معها تحمل أيّ معنى جديد' (خطباء المساجد من الدعوة إلى التحريض: باتريك دي جافني، ص 177/ 178 بتصرف، ترجمة: فاطمة نصر، مكتبة سطور الجديدة، القاهرة، مصر، ط1، 2013م).

¹ أنثروبولوجي أمريكي من مواليد سنة 1947، عضو في مجمع الصليب المقدس، حاصل على الدكتوراه من جامعة شيكاغو بعدما درس في كل من جامعات نوتردام، أوترخت وشيكاغو، كما حصل على جائزة التدريس Kaneb في عام 2001، وجائزة رينولد نيبور في عام 2002 في إطار العمل الأكاديمي، وهو متعدد اللغات بطلاقة في اللغة العربية، الفرنسية، الألمانية، الهولندية، الإسبانية، الإيطالية والروسية، له تخصص في الاهتمام بالإسلام والثقافة الإسلامية، وشارك في تأليف دورات كسر العنف ومنع نشوب الصراعات والأزمات داخل الدول في عام 1999 (موسوعة ويكيبيديا en.m.wikipedia.org: على الساعة 14:56، بتاريخ: 27 شتنبر 2018م).

² هكذا في أصل المقال المقتبس منه، والأولى أن تكتب مجردة عن حرف الجر (الباء)، أي: خاصة، ولعل هذا الأمر راجع إلى معايب الترجمة، حيث إن المقال مترجم إلى اللغة العربية.

³ يحكي صاحب الكلام أنموذجا ميدانيا، وليس ذلك مدعاة للتعميم والإسقاط الكلي.

إن عملية الاختيار ينبغي أن تخضع لوسطية واعتدال الشريعة، فيترك فيها هامش الحرية والاجتهاد الفردي للخطيب (مقال: المرجعية الدينية الوطنية للخطاب المسجدي/ بودالية تواتية وسوالمية نورية، ص78 بتصرف، مجلة: الناصرية، العدد 2، يونيو 2012م، دار الرشاد، سيدي بلعباس، الجزائر)، لثرى بذلك بصمته الخاصة في الاختيار ويتحرك بذلك الهم الذي يحمله في قلبه ويكون له أثره في ذلك الاختيار، ثم لا بأس بتوصيات واقتراحات الإدارة أو الجهات الوصية، من أجل التطرق لموضوعات وأحداث تعرفها الساحة المحلية أو الوطنية أو العالمية.

وتعتبر قضية الارتباط بالمناسبات والأحداث الواقعية في موضوع الخطبة أمراً هاماً في إعطاء الحيوية والفاعلية للخطبة، وهي نابعة من كون الشريعة الإسلامية تتسم بسمة الواقعية ومواكبة الحياة، ومن أراد أن يدرك هذه الأهمية باللمس؛ [فليُنظر ما لأسباب النزول من أثر في فهم الآيات وإدراك أسرارها] (بلاغة الإقناع في الخطاب المسجدي: الحسن الطاهري، ص 104)، ولو فرض أن خطيباً ما عالج موضوعاً معيناً خارج إطار مناسبة الحديث عنه ومعالجة قضاياها؛ لُعِدَّ بذلك بأنه يغرد خارج السرب أو هو بعيد عن الواقع، كما عيب عن المسلك الذي يسلكه بعض الخطباء [والذين ينهون عن جرائم ومنكرات كانت في سالف الأيام] (مؤتمر رسالة المسجد: ص534، مجلة البحوث الإسلامية) والتي قد يكون وجودها الحالي نادراً أو في حكم المنعدم، عوض مناقشة القضايا والوقائع الجديدة والراهنة والتي تتطلب من المعالجة والتحذير، حتى لا يحصل في شأنها تغافل وتعدّ.

ومن التنبيهات اللازمة في هذا النوع من المعالجات المستجدة أن يجتنب تماماً الخوض في مهاجمة الأشخاص بأسمائهم والقدح في الهيئات والمؤسسات (بلاغة الإقناع في الخطاب المسجدي: الحسن الطاهري، ص105)، حيث إن هذا المطبّ يزج بالخطيب في مشاكل ومعارك وحساسيات تعرقل طريق دعوته ومشروع إصلاحه، فسمو الهمّة وعلو الطموح الرسالي يقتضي أن ينأى الخطيب بنفسه عن هذه الأحوال، وألا يقحم نفسه في هذه المضايق.

وحيثما نعالج الارتباط الموضوعي للخطبة المسجدية بالمناسبات والأحداث؛ فإننا نروم بذلك تحقيق التفاعل الإيجابي مع الواقع، ولا يمكن لهذا التفاعل أن يوسم بالإيجابية دون الأخذ بعين الاعتبار أحوال الناس

الذين يحضرون الجمعة، إذ إنهم محور العمل الإصلاحي المتوخى من ممارسة هذه الخطبة، فكل نقص أو خلل في إدراك تصور أحوال ومفاتيح هذه الفئة المستهدفة؛ يؤثر سلباً على الرسالة الخطابية ويضعف أثرها في النفوس، فتبقى بذلك رسالة بدون تشفير أو استيعاب، بل لا تصل إلى مستوى الترجمة العملية التطبيقية التي تعد المؤشر الأساس والملموس للأثر الإصلاحي لهذه الخطبة المسجدية، وبالتالي فنحن أمام ثلوث من الأركان اللازم مراعاة جوانبها في التفاعل الإصلاحي المثمر: الخطيب والرسالة والمستقبل، وما أجمل التشبيه الذي أعطاه الدكتور الحسن الطاهري للخطاب المسجدي في هذا الصدد، حيث شبهه بالطبيب فقال: 'الخطاب المسجدي طبيب فعليه قبل وصف الدواء تشخيص الداء، فيتعرف على العلل والأمراض الشائعة ويشخص الداء ويعرف الأعراض، فإذا استبان له ذلك رجع إلى الكتاب والسنة فوضع الدواء، وكلما دق التشخيص سهل العلاج، ومعلوم أن الداعي غير المتبصر سيأتي بما لا يناسب، وإذا أخطأ في تحديد العلة فقد يكون الخطاب لغواً على الرغم من اشتماله على نصوص صحيحة' (بلاغة الإقناع في الخطاب المسجدي: الحسن الطاهري، ص 96).

ويحتاج منا هذا النص الغزيرة فوائده إلى مجموعة من الوقفات المنهجية التي تضيء طريق الإصلاح:

1- معالجة أحوال الناس عملية منهجية تمر تدريجياً عبر مراحل متسلسلة ومتتابعة، فلا بد من سلوكها وفق نظامها المنهجي، لتكون بذلك الخطبة ممارسة منتظمة قاصدة تنأى عن العشية والفوضى.

2- مفتاح التوفيق في معالجة أحوال الناس هو حسن التعرف والتشخيص، مع دقة الكشف لتسهيل الجرعات العلاجية التي يتطلبها التدخل الخطابي، ويشمل هذا التعرف والكشف [واقع الناس وعاداتهم وظروفهم ولغتهم ومداركهم ومستواهم الثقافي، فيخاطبهم بما يناسبهم ويثير اهتمامهم ويعالج أمورهم، ولذلك ما بعث الله رسولا إلا من صميم قومه وبلسائهم] (بلاغة الإقناع في الخطاب المسجدي: الحسن الطاهري، ص 105)، لقوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (سورة إبراهيم: الآية 4).

3- المراحل المنهجية للخطبة الجماعية على التوالي: التشخيص-تقديم العلاج-النتيجة والتأثير، وهي مراحل مثيلة للتي يسلكها الطبيب.

4- الحاجة إلى خطباء متوازنين ومنهجين لتنفيذ هذه المراحل، وتوحيد الرؤية الإصلاحية لخطبة الجمعة من خلال تتبع نفس الخطة المنهجية.

5- التفكير في وسائل بيانية لرصد الحاجيات والعلل التي يشكو من نقصها المصلون، حتى لا يضع الجهد في تقديرات وتخمينات غير مبنية على معطيات ميدانية، ولذلك من الأليق بالخطيب أن يفتح على واقع الناس ليسمع همومهم ومشاكلهم، فيسجل على ضوء ذلك ثلة من العناوين الموضوعية التي تنبثق عن هذه المعطيات الميدانية المحصلة على ضوء هذا التفاعل مع مخاطبيه.

وحتى يتأتى هذا النجاح عمليا، فإنه لا بد من التفكير والتخطيط بشكل جدي من الجهات الوصية -وعلى رأسها الدولة- في قضية تعتبر الأساس لهذه الممارسة، وهي: إعداد وتكوين الخطباء لهذه المهمة، فالأشخاص الذين تظهر عندهم الاستعدادات والمؤهلات المعرفية والتواصلية لتقلد هذه المهام، هم الذين ينبغي أن يحظوا باهتمام في هذا الإطار من حيث التكوين والإعداد، [فمن الملاحظ الذي لا يماري فيه منصف من الناس أن المسلمين في مجموعهم منصرفون عن المساجد وعن الخطب التي تقال فيها، وهم عند استماعهم إليها لا تبلغ عندهم مبلغ الثقة ولا تحل في نفوسهم محل الاحترام، إلا في القليل النادر المرتبط ببعض الأفاذ الذين يؤدون عملهم في أمانة وصدق ووعي وإدراك، لكن هؤلاء قلة، والغالب ليس في المستوى المطلوب، ولا يُقصد في ذلك بلد إسلامي بعينه، حيث إن التقارب في القصور المتعلق بإعداد الخطيب وتكوينه موجود في شتى البقاع الإسلامية] (المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي: علي عبد الحليم محمود، ص 209).

ومن هنا، تأتي الحاجة الملحة إلى لزوم وضع مناهج تطبيقية للخطباء، يتم من خلالها التركيز على فن الخطابة والتأثير عن طريق التدريب الميداني، دونما الاكتفاء بالجوانب النظرية، مع قياس مدى القدرة على معالجة المشاكل المجتمعية وتوصيف الحلول الشرعية المناسبة لها، ولعل هذا الأمر من شأنه أن يجعل الخطيب حيويا يقظا وإلا سيكون عنصرا تقليديا يردد الخطب والأقوال السابقة، بل في كثير من الأحيان سيكون بمثابة خطيب مُنَوَّم له رتبة في إيقاع خطبه، فيحضر الناس عنده فقط من باب إبراء الذمة، ينتظرون اللحظة التي ينهي فيها خطبته بفارغ الصبر، وتمر اللحظات عندهم بثقل كبير، لأنها مصاحبة برجاء الانتهاء منها في أقرب وقت.

من أهم المعايير في الوظيفة الإصلاحية لخطبة الجمعة حسن توظيف المصطلحات وانتقاؤها بشكل دقيق وهادف، فهي مفتاح الولوج إلى القلوب والتأثير في النفوس، بالإضافة إلى أنها عنصر التميز والفردة بين الخطباء، ومحمل القول في مصطلحات الخطيب أنها ينبغي أن تنطلق من الاعتبارات الآتية:

1- اجتناب المصطلحات البعيدة عن الواقع، أو التي تغوص داخل تخصص علمي يتطلب مستوى متقدم من الفهم والاستيعاب والبحث، ويبعد بذلك عن التدبر الإيماني المطلوب، فقلما تجد أناسا معجبين بخطيب يستعمل من غريب الألفاظ ويوظف معجما لا يدركه إلا الغواصون في اللغة.

2- الانطلاق من المصطلحات القرآنية، لأنها أبلغ في التأثير، وأولى لحمولتها الدلالية الوازنة، وأجدر للترسيخ في النفوس، نظرا للإطار المرجعي الذي يحتكم إليه في التأصيل للقضايا الكبرى.

3- التركيز والتدقيق في إصدار وتبني هذه المصطلحات الخطابية، حتى لا يقع الخلط بينها بسبب التقارب، وحتى يتم اكتسابها على الوجه المطلوب.

4- الإسهام في التواصل وتقريب المقاصد والأحكام الشرعية في قالب يتميز باقتصاد الجهد والوقت معا، لأن الأصل في جودة الأعمال التواصلية الدعوية تحقيق اقتصاد الجهد والوقت معا.

5- إثراء المنسوب المعرفي والثقافي للفئة المخاطبة، حيث إن تردها على خطب متوالية من نفس الطراز المصطلحي يؤدي إلى تناسل أفكارها وارتقاء مداركها، لأن ميزة المصطلح هي سرعة الالتقاط والرسوخ في الذهن، وبالتالي، يكون سهل الاستحضار والتداول وفي مستوى التناول من حيث الاستدلال والتوظيف.

3.2.2. الوعظ المسجدي.

يعتبر الحديث عن مكونات هذا العنصر من صميم الحديث عن توابع ولوازم الوظيفة العلمية والإصلاحية لخطبة الجمعة، وذلك لأن الوعظ وظيفة إصلاحية تؤدي عبر خطب الجمعة ودروس الوعظ، والفرق بين الوعظ وسائر الدروس العلمية الأخرى لمؤسسة المسجد أن الوعظ يستهدف التأثير العاطفي في القلوب واستمالتها نحو الخير وإبعادها عن الشر، ويظهر هذا الاستهداف من خلال ملامسة الدلالة اللغوية للمفهوم، يقول ابن فارس (ت395هـ): '(وعظ) الواو والعين والطاء: كلمة واحدة. فالوعظ: التخويف.

والعظة الاسم منه، قال الخليل: هو التذكير بالخير وما يرق له قلبه' (مقاييس اللغة: كتاب الواو، باب الواو والعين وما يثلثهما، ج6/ ص126، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1399هـ/ 1979م)، أما في الاصطلاح فلا يختلف كثيرا تعريفها عن اللغة، إذ هي: الكلام المتضمن لمعاني الزجر عن الفعل، يقول عزيز بن فرحان العنزي: 'يعرف العلماء الموعظة بأنها كلام مصحوب بزجر، وقيل: هي النصح والتذكير بالعواقب، وقيل: هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب' (البصيرة في الدعوة إلى الله: عزيز بن فرحان العنزي، ص103، دار الإمام مالك، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1426هـ/ 2005م)، والملاحظ أن الفرق بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي أن الأول يركز على التأثير العاطفي الوجداني والثاني يركز على التأثير السلوكي الامتثالي، وكلا التأثيرين مقصودان وطرفان أساسان في عملية الوعظ المسجدي أو هما وجهان لعملة واحدة، لأنه ليس ثمة شيء في الدين يفصل النظرية عن التطبيق، فالعلم ممدوح إذا صاحبه عمل، وإلا كان حجة على صاحبه، لقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** (سورة الصف: الآيتان 3/2).

وتأتي أهمية الوعظ من خلال الأمر الرباني لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بوجوب ممارسته، إذ يقول عز وجل: **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا** (سورة النساء: الآية 63)، وهي الآية التي تليت بآية أخرى في نفس السورة وتوظيف نفس المفهوم، يقول تعالى: **وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا** (سورة النساء: الآيات 68/66)، كما يعتبر الوعظ مقصدا رساليا، لأجله بُعث الرسل إلى الناس جميعا، ودليل ذلك ما روي في أول خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عمرو بن عوف رضي الله عنهم: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَهْدِيهِ، وَأُؤْمِنُ بِهِ وَلَا أَكْفُرُهُ، وَأُعَادِي مَنْ يَكْفُرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ وَالنُّورِ وَالْمَوْعِظَةِ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَقَلَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَضَلَالَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَدُنُوٍّ مِنَ

السَّاعَةِ، وَقُرْبٍ مِنَ الْأَجَلِ. مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى وَفَرَطَ وَضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا، وَأَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ خَيْرٌ مَا أَوْصَى بِهِ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَحْضَهُ عَلَى الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمُ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ نَصِيحَةً، وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرًا، وَإِنَّهُ تَقْوَى لِمَنْ عَمِلَ بِهِ عَلَى وَجَلٍ وَمَخَافَةٍ، وَعَوْنٌ صَدَقَ عَلَى مَا تَبْتَغُونَ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ يُصْلِحِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ أَمْرِ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لَا يَنْوِي بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ؛ يَكُنْ لَهُ ذِكْرًا فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ وَذُخْرًا فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ حِينَ يَفْتَقِرُ الْمَرْءُ إِلَى مَا قَدَّمَ، وَمَا كَانَ مِنْ سِوَى ذَلِكَ يَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا، وَيَحْذَرُكَمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رُؤُوفٌ بِالْعِبَادِ. وَالَّذِي صَدَقَ قَوْلُهُ، وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ، لَا خُلْفَ لِدَلِّكَ فَإِنَّهُ يَقُولُ تَعَالَى مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي عَاجِلِ أَمْرِكُمْ وَآجِلِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ؛ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ؛ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُوقِي مَقْتَهُ، وَتُوقِي عُقُوبَتَهُ، وَتُوقِي سَخَطَهُ، وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُبَيِّضُ الْوَجْهَ، وَتُرْضِي الرَّبَّ، وَتَرْفَعُ الدَّرَجَةَ، خُذُوا بِحَظِّكُمْ وَلَا تُفَرِّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ، قَدْ عَلَّمَكُمُ اللَّهُ كِتَابَهُ، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ، لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ، فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ، وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَسَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَكَثِّرُوا ذِكْرَ اللَّهِ وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ، وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ، ... [تاريخ الرسل والملوك=تاريخ الطبري: أبو جعفر الطبري (ت310هـ)، باب: خطبه رسول الله ص في أول جمعة جمعها بالمدينة، ج2/ص394-395، دار التراث، بيروت، لبنان، ط2/1387هـ]¹.

فمن خلال هذه الخطبة النبوية الوعظية؛ نستشف مجموعة من الملامح العملية للوعظ المسجدي، والتي تأتي على الشاكلة الآتية:

¹ هذا إسناد مرسل صحيح إلى مرسله وقد أورد ابن كثير رواية ابن جرير هذه ثم قال: هكذا أوردها ابن جرير وفي السند إرسال (البداية والنهاية 3/ 211)، قلنا: وأخرج البيهقي في دلائل النبوة (3/ 524) بسنده إلى التابعي الجليل أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف [صحيح وضعيف تاريخ الطبري: أبو جعفر الطبري، تحقيق: محمد بن طاهر البرزنجي، ج2/ص73، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط1، 1428هـ/2007م].

-استعمال الأسلوب المناسب والجذاب، بحيث يشد انتباه المتلقي بشكل ملفت، ولا يدعه يشرد بذهنه، ومؤشر توفيق الواعظ في توظيفه للأسلوب الجذاب هو عدم استئصال الحضور لحظات موعظته وشعورهم بسرعة مرور تلك اللحظات، وفي المقابل نجد المتلقي في الموعظة التي يحس فيها بالملل؛ يتحرك يمينا وشمالا ويطلع من لحظة لأخرى عقارب ساعته، لعله يزيل ثقل ما يشعر به، فالأسلوب مدخل لنجاح التبليغ في ممارسة الوعظ المسجدي، يقول محمود سالم عبيدات: 'الوسائل والأساليب من أهم مقومات نجاح الدعوة إلى الله فمهما درس الداعية من العلوم الشرعية والمباحث اللغوية وحفظها إلا أنه سيظل محتاجاً لمعرفة الوسائل الفعالة والأساليب المؤثرة لتبليغ هذه العلوم ومعرفة ممارساته في ميدان الدعوة، فكم من دعوة باطلة كانت الوسائل والأساليب سبباً في انتشارها وذيوعها مع بطلانها وفسادها، وكم من دعوة صالحة لم تتعد أهلها لعدم معرفتهم بالوسائل والأساليب الناجحة' (أساليب في الوعظ الإرشاد: محمود سالم عبيدات، ص90، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط1، 1410هـ).

-السهولة في انتقاء الكلمات والعبارات: وذلك لأن جهد التكلف والتصنع في انتقاء المصطلحات والألفاظ من الواعظ في موعظته يجعله يفقد التركيز في رسالته القلبية، حيث إن البال منشغل باستحضار تلك الكلمات التي تتطلب مجهوداً وتفرغاً خاصاً، فكيف له أن يستحضر المهم الذي يحمله في قلبه؟

-توخي العملية والتطبيقية في العبارات والأساليب الوعظية، وتحاشي التركيز على التنظير والمثاليات، لأن الغرض الأساس من ممارسة الوعظ هو العمل والامتثال السلوكي، لا مجرد التنظير الخالي من العمل، يقول الدكتور سعيد بن علي القحطاني: 'ومن تدبر أسلوب القرآن علم أن الأحكام ينبغي أن تساق إلى الناس مساق الوعظ الذي يلين القلوب، ويبعثها على العمل، ولا تسرد سرداً خالية من وسائل التأثير' (الحكمة في الدعوة إلى الله: سعيد بن علي القحطاني، ج2/ص482، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ).

-توظيف الآيات القرآنية المناسبة لمقام الوعظ، والتي تتضمن معاني الترهيب والترغيب بما يؤثر في النفوس على حسب أحوالها، لأن ذكر الأجر والعقاب أدعى للإقبال على الفعل أو التنفير منه، كما أن هذا النوع من التوظيف يعبر عن المرجعية المعتمدة في الخطاب والمنهج اللازم في الوعظ. ومن هذا التوظيف انتقاء القصص القرآني المناسب للمقام الوعظي المستهدف، وذلك لأن القصص لها سرّ خاص في النفاذ إلى القلوب والتأثير فيها تأثيراً إيجابياً وفعالاً بل تنسجم مع الحس العاطفي الوجداني

والذي يميز الممارسة الوعظية في أصالتها، يقول الأستاذ عزيز بن فرحان العنزي: 'ومن أفضل أساليب الوعظ استعمال الأسلوب القصصي وضرب الأمثال؛ لأن النفس البشرية مجبولة على محبة القصص، والميل إليها، والانتباه إلى الأمثال، وربطها بالواقع، وحفظها أكثر من غيرها من الأساليب، وبمجرد سردها تُقبل الأسماع عليها، وتتأثر بمضامينها تأثراً عظيماً، فالنفوس مولعة بمتابعة القصة، وتهتز لها عند سماعها وتقبل لا سيما جنس العامة، فعلى الداعية إلى الله أن يستخدم هذا الأسلوب عند الحاجة أو المناسبة، ولذلك أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقص القصص فقال تعالى: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [سورة الأعراف: الآية 176]' (البصيرة في الدعوة إلى الله: عزيز بن فرحان العنزي، ص104).

ويستوي الوعظ المسجدي مع الخطبة الجُمُعِيَّة بحسب المجال، حيث ينقسم إلى نوعين:

1-وعظ التعليم:

ويكون ببيان عقائد التوحيد، وبيان الأحكام الشرعية الخمسة مع مراعاة ما يناسب كل طبقة، وينبغي أن تساق هذه الأحكام مساق الوعظ، ولا تسرد سرداً خالياً من وسائل وأساليب التأثير، وأسلوب القرآن على هذا، يبين الحكم مقروناً بالترغيب أو التهيب، أو الجمع بين الأمرين؛ ولهذا يأخذ بمجامع القلوب، وحينئذ تستقبل العقائد والأحكام برغبة واشتياق للعمل والتطبيق (فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: سعيد بن علي القحطاني، ص627، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1421هـ)، فليس هذا النوع من الوعظ خالياً من الفوائد والتأصيلات العلمية التي تمتح من العلوم الشرعية المستمدة من مصادرها الأصيلة، وعلى هذا المنوال ينبغي أن يسلك تدريس العلوم الشرعية بالمنهج الوعظي الذي يزيل الصبغة الاستشغالية عنها، ويجعلها ممزوجة بطابع الترفيق والتحفيز.

2-وعظ التأديب:

ويكون بتحديد الأخلاق الحسنة: كالحلم والأناة، والصبر والكرم، والوفاء والأمانة. . . وبيان آثارها ومنافعها في المجتمع (فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: سعيد بن علي القحطاني، ص627)، والحث على التخلق بها والتزامها، وتحديد وتعريف الأخلاق السيئة كالغضب، والعجلة، والغدر، والجزع، والجبن، والبخل، والتحذير من الاتصاف بها من طريقي: الترغيب والتهيب، مع الحرص على أن يكون ذلك مشفوعاً بالأدلة من الكتاب والسنة.

إن ممارسة الوعظ المسجدي ينبغي أن تكون ممارسة تنوعية إبداعية تجديدية، تتميز بتوظيف رواها لأساليب شتى بنوع من التنوع والحرفية التي تشوق النفوس وتحفزها نحو الإقبال والإفادة منها، [فكثير من

الدعاة يركز على جانب واحد في الوعظ، أو نوع واحد من الحديث، أو موضوع واحد يكرره في كل مواقفه الدعوية، لا يكاد يتخلف عنه، وهذا لا شك أنه مدعاة إلى السآمة والملال¹، فينبغي على الداعية أن ينوع في وعظه، وفي حديثه، وليكن مبدعا، مبتعدا عن التكرار، وألا يلتزم طريقة واحدة في جميع المواعظ، فيحصل أن بعض الدعاة يتردد على مسجد واحد ما بين الفينة والأخرى، وليس عنده إلا نوع واحد من الوعظ... فعلى الداعية أن يحاول دائما التعامل مع كل موعظة بشكل مستقل من حيث الطريقة والأسلوب، مع التجديد في تنوع أساليب العرض، ولا ضير لو وضع في جيبه دفترا صغيرا يقسمه إلى قسمين، قسم يذكره بعناصر الموعظة بعد تحضيرها، وقسم يذكره بالموعظة السابقة في المسجد الذي يقصده، حتى لا يتكرر كلامه] (البصيرة في الدعوة إلى الله: عزيز بن فرحان العنزي، ص 111/ 112).

ومع ملاحظة وتتبع أشكال ممارسة الفعل الوعظي بالمساجد، يمكن التمييز بين صنفين بارزين من الوعاظ يميزهم في ذلك مستواهم الثقافي ومهاراتهم التواصلية، وذلك لأن الإمام بتقنيات وأساليب التواصل غدا مدخلا أساسا في تفاعل المتلقي مع الرسالة الوعظية بمؤسسة المسجد، ويمكن في هذا الصدد أن أستشهد بكلام الدكتور عبد الهادي أعراب في تجلية هذين الصنفين من الوعاظ: 'يتيح المسجد اليوم من خلال تنظيم دروس ومواعظ دينية خاصة فرصة كبرى لشباب يملكون ثقافة دينية عصرية، تنهل من مرجعيات علمية مختلفة، وينضدها تحديدا مستوى تكوينهم الدراسي والجامعي المتميز، قياسا إلى الفقهاء والوعاظ التقليديين بسطاء التكوين، يتميز هذا الجيل الجديد من الوعاظ بقدرتهم على التواصل مع المستمعين، بعيدا عن اللغة الفقهية الصعبة، معتمدين في ذلك أسلوبا بسيطا ومباشرا في تناول مواضيع² مختلفة ومنفتحة على المستجدات الراهنة، أحداثا وقضايا وظواهر، متجاوزين مفهوم الموعظة التقليدية' (مقال: المساجد والتحكم الديني للدولة بالمغرب/ عبد الهادي أعراب ص 88/ 89، مجلة نوافذ: السنة 10، العدد 39 / 40، الرباط، المغرب، مارس 2009). ويمكن إذن أن نقول إن نوعية الوعاظ لها تأثير مباشر على نوعية الموضوعات التي يتطرق إليها والكيفية التي يعالجها بها، فالوعاظ التقليدي ينجح في الغالب نحو الموضوعات التقليدية، دون تجديد في طريقة العرض ومنهج المناقشة، والعكس بالعكس، كما أن هذا الوضع لا يعفي من مسؤولية الدولة والجهات الوصية في الحرص على التدخل من أجل تكوين وتتبع دائمين لهذا النوع من الوعاظ، بما يزودهم بتقنيات وآليات كفيلة بوضعهم في المسار الصحيح لممارسة الفعل الوعظي المسجدي بتوفيق ونجاح عبر هذا النوع من التجديد في العرض.

¹ هكذا وجدته في المرجع المقتبس منه، إلا أن الأولى استعمال الكلمة دون ألف، أي: الملل.

² هكذا في الأصل المقتبس منه، والأولى التعبير بلفظ: موضوعات، لأنها الأصح لغويا.

الفصل الثالث:

النشاط الاجتماعي

والنشاط الاقتصادي

لمؤسسة المسجد

التفاعلي.

ويرجع سبب دمج النشاط الاجتماعي مع النشاط الاقتصادي لمؤسسة المسجد التفاعلي في فصل واحد إلى الاعتبار الكبير لحجم الارتباط الكائن بين المجالين من خلال الممارسة الوظيفية المسجدية، حيث إنه كلما قويت مؤشرات إنجاح الوظيفة الاجتماعية المسجدية؛ كلما تحركت معها بوادر تحريك المال لتنشيط الجوانب المادية والمالية المرتبطة بالمؤسسة، كما أن هذا التحريك والترويج المالي يجعل المجال الاجتماعي المسجدي دافئاً ومحفزاً نحو العطاء والمردودية والفعالية، وبالتالي، يمكن القول إن هناك علاقة جدلية قائمة على تبادل التأثير والتأثر بين كل واحد من المجالين اتجاه الآخر، دون أن نلغي وجود تكامل وظيفي تطبيقي بين المجالين، وعليه فإننا نجد داخل هذا الفصل قسمين منفصلين لغرض الدراسة والتميز: النشاط الاجتماعي لمؤسسة المسجد التفاعلي والنشاط الاقتصادي لمؤسسة المسجد التفاعلي.

1.3. النشاط الاجتماعي لمؤسسة المسجد التفاعلي.

من الصعب جدا حصر واستقراء جميع الوظائف الاجتماعية التي يؤديها المسجد، وذلك نظرا للحجم الكبير الذي تنخرط به هذه المؤسسة في الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى تجدد مجموعة من الوظائف تبعا لتطور الأوضاع البشرية والمجتمعية ومسيب الحاجة المؤسساتية إلى احتضان مثل هذه الوظائف، حتى تحظى بمصداقية وفعالية كبيرتين، كما أن هذه الوظائف تلتقي في بعض تفاصيلها وجزئياتها مع الجوانب ذات الطابع الروحي الإيماني أو التربوي أو السياسي أو الحضاري، إلا أنني أرمي بهذا التركيز على القضايا المختارة إبراز جوانب خدمتها الاجتماعية وعائدها النفعي على المجتمع، وليس ذكر هذه النماذج على سبيل الحصر والتحديد؛ وإنما هو على سبيل التمثيل، ويظل الموضوع في حاجة إلى دراسة استقصائية شاملة تركز على المعطيات ذات الطابع الميداني لتصحيح مجموعة من الصور النمطية حول هذه المؤسسة.

وتدعو الحاجة في هذا القسم إلى بيان الملامح المؤسساتية للمسجد؛ والتي ترتبط في كثير من تفاصيلها بالبعد الاجتماعي، لذلك فأول فرع من هذا المحور نجده معنونا ب: المسجد المؤسسة، ثم الفرع الثاني خصصته للحديث عن التعارف الإنساني الذي يحدث في مؤسسة المسجد، مع تجلية بعض ما يميز الجماعة المسجدية من خصائص وسمات تفاعلية، وبالتالي فعنوانه: التعارف الإنساني والجماعة المسجدية، أما الفرع الثالث والأخير في النشاط الاجتماعي، فقد جعلته بعنوان: مؤسسة المسجد ومواكبة الحياة اليومية.

1.1.3. المسجد المؤسسة¹.

إن عنوان هذا الفرع ينطلق من إشكال جوهري مفاده: هل المسجد مؤسسة؟ وإذا كان كذلك فكيف يمكننا الاستدلال على أنه مؤسسة؟ وما الملامح الاجتماعية التي تخول وسم المسجد بالمؤسسة؟ وهل هناك نسيج مركب من المعطيات الوظيفية الاجتماعية التي تشكل أركاناً مؤسساتية للمسجد؟

إن لفظ (المسجد) في حدّ ذاته كاسم مكان للِسجود والصلاة لم يكن متداولاً في لغة العرب قبل مجيء الإسلام، رغم وجود أسماء عديدة لدور العبادة في الجاهلية، مثل: البيت - المعبد - الهيكل - المحراب - الصوامع - الدير ... (مقال: المسجد ودوره الحضاري في الغرب الإسلامي، أحمد بودهان، ص 87، مجلة دعوة الحق: عدد 308، السنة 36، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، مارس 1995).

وبالتالي، فقد فرض هذا الاسم ذاته من خلال وروده في القرآن الكريم وذكره بهذا اللفظ ثمان وعشرين مرة²، ليصير بذلك المسجد معلمة بارزة ودالة على الإسلام ووجود المجتمع الإسلامي، أي: لها من القوة المؤسساتية ما يستدعي أخذها بعين الاعتبار في التصنيف المجتمعي أو الأممي، يقول الأستاذ عبد العزيز عبد الله الحميدي: 'تعتبر المساجد من أبرز معالم الإسلام ومكونات المجتمع الإسلامي، ومن أبرز المؤسسات التي تحفظ للأمة الإسلامية تاريخها الماضي وتربطه بواقعها الحاضر، ولقد اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم المساجد أمارات تدل على إسلام أهل البلد، ومما يدل على ذلك ما أخرجه الشيخان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ، فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى الْفِطْرَةِ» ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

¹ يتغى هذا العنوان الخاص بهذا الفرع تحديد أهم الملامح الاجتماعية للمسجد والتي تؤهله ليوسم بالمؤسسة، إلا أن تحرير المفهوم وتحليله فقد تمت برمجته ضمن مقدمة البحث في الجزء المتعلق منها بمفاهيم البحث، أي المكونات البارزة لموضوع الأطروحة المسجلة.

² ذكرت هذه المواطن كلها وفصلت القول فيها تصنيفاً واستخراجاً لأبعادها التواصلية في البحث الذي أنجزته لنيل شهادة الماستر، وذلك ضمن فصل خاص عنوانه: المسجد في القرآن الكريم، وبالتالي لا أرى جدوى في تكرارها هنا تجنباً للإطالة في الهامش.

وَسَلَّمَ: «خَرَجَتْ مِنَ النَّارِ» فَتَنْظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزَى¹) [صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان، رقم: 382، ج1/ ص 288]، وهذا دليل على ما للمساجد من أثر بالغ في الإسلام، حيث يعتبر وجودها وعمارتها بالأذان والصلاة صورة حيّة للمجتمع الإسلامي، كما يعني فقدانها أو فقد عمارتها بعبادة الله تعالى ابتعاد المجتمع عن الإسلام وتلاشي مظاهره عن واقع المجتمع¹ (عمارة المساجد المعنوية وفضلها: عبد العزيز عبد الله الحميدي، ص5، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ).

ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن من خلال تسمية المؤسسة أن هذا المفهوم يتسم بسمة التطور والتغير، فالمسجد خضع لعدة تطورات حسب عوامل الزمن أو الحاجة أو الوسط، أي أنه تأسس على شاكلة ما وتطورت أسسه إلى أن صارت على هيئة أو منظومة معينة، وذلك في موازاة مع تطور المؤثرات والعوامل الاجتماعية الفاعلة، يقول الأستاذ منير السعيداني: 'يمكن التأكيد إذا أن المسجد الذي كان في بداياته مكانا مخصصا للصلاة تطورت أسس وجوده وقواعد اشتغاله ومواصفات مشغليه ومشمولات وظائفه وخصائص جمهور منظره...، بما جعل منه مؤسسة في المعنى الذي يستخدم فيه هذا المفهوم في علم الاجتماع' (المؤسسة المسجدية في زمن عاصف - ملاحظات ميدانية في الحالة التونسية-: منير السعيداني، ص7، بحث محكم لمؤسسة دراسات وأبحاث: مؤمنون بلا حدود، 17 دجنبر 2015، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية).

فالبعد التطوري حاضر بقوة في المفهوم المؤسساتي للمسجد، سيما من زاوية نظر علم الاجتماع في الممارسة الوظيفية لمؤسسة المسجد، وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن التطور الملحوظ في مؤسسة المسجد لا يكون بمنأى عن تبادل التأثير والتأثر بين مكونات وعناصر المجتمع الذي يحتضن مؤسسة المسجد، فثمة هنالك علاقة جدلية تنتج إفراسا اجتماعيا يؤكد جدارة تسمية المسجد بالمؤسسة.

ولا يمكننا أن نتصور مؤسسة ما بدون بناء، أي: تشييد للمكان الذي سيحتضن وظائفها وأنشطتها، وإلا سيكفل ذلك بالفشل والانقطاع، وبالتالي، فالمسجد قبل أن يباشر مهامه في العهد النبوي عمده رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بناء قواعده ووضع لبناته المادية وسقفه الوقائي، حتى يقي أهله من المؤثرات الجوية الخارجية، والتي قد تعيق العمل بداخله إذا بقي الفضاء عاريا متصلا بشكل مباشر بالخارج، فكان بذلك أول

¹ معزى: وهي ذوات الشعر من الغنم الواحدة شاة وتفتح العين وتسكن وجمع الساكن أمعز ومعيز مثل عبد وأعبد وعبيد، والمعزى ألقبها للإلحاق لا للتأنيث، ولهذا ينون في النكرة ويصغر على معيز ولو كانت الألف للتأنيث لم تحذف والذكر ماعز والأُنثى ماعز (شرح محمد فؤاد عبد الباقي على نفس الحديث من نفس الطبعة).

إنشاء أنشأه صلى الله عليه وسلم مباشرة بعد الهجرة وتوفر الحرية وذلك على أرض اشتراها من يتيمين، حتى يتشكل بذلك المحضن الذي يعلم المسلمين السلوك اللائق وآداب الدخول إليه والتصرف فيه، ليحسد بذلك مؤسسة مصنع الجماعة المسجدية التي هي نواة الأمة (الدروس الحسنية لرمضان 1434هـ: منشورات وزارة الأوقاف، ص58، دار أبي رقرق، 1435هـ/2014م)، وعليه، فالمسجد بناء مادّي يرمي إلى تحقيق الحماية التي بها أداء الوظيفة الاجتماعية لهذه المؤسسة.

وهكذا، ندرك السبب الذي كان من أجله المسلمون لا يحلون بأية ناحية من النواحي إلا ويبادرون إلى تأسيس المساجد، فلقد ذكر المقرئ أن سيدنا عمر بن الخطاب لما افتتح البلدان كتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة، ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك، فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده (مجلة البحوث الإسلامية: أشغال مؤتمر رسالة المسجد، ص509)، ولا شك أن هذا الاستمرار يحيلنا على تفاوت مؤسساتي داخل مؤسسة المسجد، فالمسجد من حيث المبدأ مؤسسة، إلا أنه يتفاوت من حيث الوسط الذي أنشئ فيه ومن حيث الخدمات المقدمة من خلاله، وكل ذلك إفراز لشكل اجتماعي معين يفرض نوعا خاصا لهذه المؤسسة.

كما أنه من خلال تأمل واقع المؤسسات الاجتماعية حاليا؛ يتبين أنها لا تخلو من توفرها على ثلاثة أبعاد تجعل من تسميتها بالمؤسسة أمرا لازما وهي:

البعد التنظيمي، البعد التسييري والبعد النفعي المتعدي داخل المجتمع.

إن محاولة تحليلنا الدقيق لموقع المسجد في المنظومة الوظيفية الاجتماعية ستكشف لنا عن توفر هذه الأبعاد، بالإضافة إلى أبعاد مؤسساتية أخرى، تنفرد بها مؤسسة المسجد، بل تشكل خاصيات لازمة من خواصها المؤسساتية.

وبالرجوع إلى الأبعاد الثلاثة التي بدأت بها؛ وبيانا لعلاقتها بالمسجد باعتباره مؤسسة اجتماعية هامة؛ نجد أن البعد التنظيمي هو سر نجاح الخدمة الاجتماعية المنبثقة من المؤسسة الاجتماعية، بل لا يمكن للخدمة المسجدية الاجتماعية أن تقوم لها قائمة بدون تنظيم، [فالقصد بالمأسسة عملية وضع المبادئ المنظمة والقواعد

الأولى، وترسيخ التقاليد الثابتة لظاهرة معينة، فالمؤسسة نظام متماسك¹، ويرجع في تنظيمه ونتاجه إلى دستور مكتوب أو متعارف، يعمل به القائمون على أمر المؤسسة، وقد عرفت ديار الإسلام مؤسسة المسجد والحلقات المسجدية منذ ظهور الإسلام، وعمل المسلمون شيئاً فشيئاً على ترسيخ قواعد التعليم في ظلها، وتوجيه طلاب العلم وشيوخه تلقائياً إلى التزامها والعمل بها [مقال: التعلم الديني من الحلقات المسجدية إلى المؤسسة/ عبد السلام الجعماطي، ص24].

ولا شك أن هذا التصور المؤسسي من الأستاذ الجعماطي- وإن كان في شقه الأخير يميل إلى البعد النظامي في مجاله التربوي- يعطي قاعدة ذهبية؛ مفادها أنه لا مؤسسة بدون نظام، فهو ركن أساس فيها، كما أن النظام يولد عملاً ميدانياً وتطبيقاً مترجماً لجملة المبادئ المنظمة التي تؤطر المؤسسة، وهذا كله متوفر في المسجد من خلال النشاطات الممارسة في فضاءه.

ومن النماذج الرائدة في النظام الاجتماعي المؤسسي للمساجد أنموذج المسجد النبوي وما كان عليه من النظام، حيث يلخص الجدول الآتي مظاهره (المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني: محمد هزاع الشهري، ص377/ 396، دار القاهرة، مصر، ط1، 2003م):

الأعضاء	المهمة التنظيمية
الأغوات	الخزبون (شيخ الحرم - نائب الحرم - متسلم الحرم - رئيس بوابي الحجر).
الفراشون	إضاءة وإنارة وتحمير المسجد.
الكناسون	تنظيف السجاجيد وكنس الحجر الشريفة.
البوابون	حفظ الأمن وتنظيم السير في مداخل الأبواب.
السقاؤون	خدام المسجد المكلفون بجلب الماء وتبريده والطواف به.
منظفو الستائر	تنظيف الستائر

¹ تتحكم فيه بالأساس مواقع وتفاعلات اجتماعية، أثبتت جدارتها بذلك خارج هذه المؤسسة، فأهلته تلك الجدارة لأخذ زمام هذا النظام داخلها.

أما عن البعد الثاني: البعد التسييري، فهو يتضمن الإشارة إلى ثلاثة أبعاد جزئية متداخلة، وهي: الاستقلالية والقواعد المنظمة والتدبير المالي.

فالمسجد مؤسسة دينية رسمية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، غايتها النفع العام تم إنشاؤها بمقتضى المرسوم التنفيذي (مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي - المساجد والكنائس- / ذ بلال ريم، ص168)، فلا هو بمؤسسة عمومية ولا بشبه عمومية ولا بخصوصية بل هو مؤسسة الأمة (الدروس الحسنية: 1435هـ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقرق، 1435هـ/ 2014م، ص72)، وهذا يجلي لنا حقيقة النفع العام المتعدي من هذه المؤسسة، فهو ليس بمؤسسة دينية بالمفهوم الغربي الذي ينزح نحو الانعزال والانحصار الوظيفي، بل مؤسسة جامعة مستقلة، ينبع منها إشعاع حضاري، ينصهر من خلاله المسلمون في بوثقة من الوحدة الراسخة، فتشع آصرة الأخوة والمحبة والتآزر بالتلاقي خمس مرات في اليوم على الأقل، فتمتزج المشاعر بالإيمان والوعي، ويتحقق التماسك والتفاني في التزام المبادئ الحقة [طنجة في التاريخ المعاصر (1800-1956)، السنة: 1991، مقال: المسجد ودوره في اليقظة الطنجية لمناهضة الاستعمار، ص253، العربي بوسلهام، كلية الآداب، الرباط].

وفي إطار البعد التسييري، يتمتع المسجد بذمة مالية مستقلة وأهلية لاكتساب الحقوق والتحمل بالالتزامات، وبالتالي، فهو يشكل قوة مؤسساتية، ولقد حظيت هذه المؤسسة بتنظيم محتشم من قبل المشرع المغربي، الذي عمل على وضع بعض القواعد المنظمة لها من خلال ظهير شريف (مقال: الطبيعة القانونية للمسجد في ضوء التشريع المغربي والمقارن، أحمد الريسوني، ص141، سلسلة: النظام القانوني للأماكن الوقفية، ج1، مجلة القضاء المدني، جمع: زكرياء العماري).

ولا يمكن إغفال الربط بين مزدوجة الاستقلالية وبين القواعد المنظمة أو الوصاية التسييرية، حتى نفهم المنظومة المؤسساتية المؤطرة للمسجد، فالاستقلالية المسجدية تتيح له ممارسة نشاطه الوظيفي في إطاره النفعي العام حتى يحقق المقاصد المرجوة منه، دون أن تحدث عرقلة ما أو شل للحركية الوظيفية لمؤسسة المسجد، لكن الوصاية النظامية في القواعد التي تحكم وظيفته تعتبر آلية حكامية تضبط المؤسسة المسجدية، وتحميها من العبث الذي يعود على رسالتها بخلاف مقصديتها، ولا يمكن لعادل بصير عميق الإدراك أن يؤيد عزل المسجد عن المراقبة والوصاية اللازمتين من السلطة الزمانية الوصية عن سيره العام، ورقابة الدولة بشكل وسطي معتدل في التسيير من وسائل ضبط التوظيف الإيديولوجي للدين عبر مؤسسة المسجد، لذلك، فإن مراقبة الشأن

الديني للمسجد من طرف الدولة هو أمر يصاحب خوفها المستمر من [أن تتحول المساجد ومنابرها إلى أسلحة تهاجمها، لا سيما وأن مبدأ النهي عن المنكر بوابة رئيسية لمواجهة النظام، ولعل أقوى صورة تعمق هذا التخوف أنموذج "ابن تومرت" الذي أطاح بالنظام المرابطي، ووصل إلى سدة الحكم من خلال مؤسسة المسجد، عبر مبدأ النهي عن المنكر] (مقال: المساجد والتحكم الديني للدولة بالمغرب: عبد الهادي أعراب، ص95).

ويمكن أن تتمظهر الاستقلالية المسجدية في شكل انعزالي سلبي، يتمخض عن مجموعة من العوامل فتكون بذلك هذه الاستقلالية نوعاً من الانفصال الوظيفي الذي يتقلص فيه أثر المسجد ونشاطه بسبب انفصاله عن المجتمع وانفصال مجموعة من المؤسسات عنه كذلك، يقول الأستاذ بلال ريم: 'ويعود هذا الانحسار¹ إلى تطور المجتمعات العربية الإسلامية، وإنشاء مؤسسات تعليمية مستقلة كانت في الأصل ملحقة بالمسجد، فانسلاخ هذه الوحدة التعليمية عن المساجد أدى بعزوف² الناس عن المسجد مما أدّى إلى ابتعادهم عن التوجيهات الروحية الصحيحة والتعاليم الدينية التي تنمي الروح تنمية إسلامية' (مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي - المساجد والكنائس - / ذ بلال ريم، ص172).

كما ينبغي في إطار البعد التسييري ألا ننسى أثر الشراكة في النهوض بالعمل الوظيفي لمؤسسة المسجد في مجالات شتى، كإبرام الاتفاقيات مع مؤسسات تتولى التكوين المتعلق بالأئمة والوعاظ، ونماذج هذا النهج كثيرة، من ذلك على سبيل المثال مركز الإسلام والديموقراطية بتونس، بما يشمل من دورات تدريبية وورشات عمل ومؤتمرات، بهدف نشر الثقافة والتوعية الدينية المعتدلة والحفاظ على الهوية الحضارية (المؤسسة المسجدية في زمن عاصف: ص75)، ومن النماذج المشرقة كذلك في الشراكة وأثرها في النهوض بالجانب التسييري للمؤسسة المسجدية أنموذج مدرسة الهدى المرتبطة بالمركز الإسلامي للحالية الإسلامية المقيمة بفرنسا، حيث ورد في أحد المقالات التي تصف نشاطها ما يلي: 'يجب تقوية نسيج الشراكة، أولاً مع المركز الثقافي بهدف تخفيض تكاليف التسيير إلى حد أدنى والإبقاء على امتياز استقبال المركز لمدرسة الهدى، وتقديم مزيد من الوسائل للترفيه الجماعي والرحلات المدرسية والتنشيط ...، ويجب كذلك إيجاد شركاء جدد مؤسسات وجمعيات متخصصة' (اللغات في الهجرة-التحولات والرهانات الجديدة-: أشغال الندوة الدولية، مجلس الحالية المغربية بالخارج، ص356)، فالشراكة إذا مفتاح للإسهام في العمل الخيري كما أنها تشكل انفتاحاً على

¹أي: تقلص وظيفة ونشاط المسجد.

²هكذا في الأصل، والأولى والصواب استعمال حرف الجر: إلى، لأن الفعل قبله يتعدى بإلى.

فعاليات المجتمع المدني بشكل إيجابي بهدف التغلب على أعباء وتكاليف التسيير والنهوض بأنشطة المؤسسة المسجدية، وعند مناقشة الصورة المثلى التي يجب أن يكون عليها المسجد وإدارته؛ من المهم أن نضع في الاعتبار عدّة نقاط مهمة على رأسها [ترابط المساجد في كل قطر من الأقطار في وحدة إدارية شاملة] (دور المسجد في الإسلام: علي محمد مختار، ص 9، مجلة دعوة الحق: عدد 14، السنة 2، جمادى الأولى، 1402هـ)، حيث يتميز هذا الترابط بالانسجام الوجداني والتكامل في الأنشطة والبرامج مما يجعل المساجد تشتغل في إطار أسرة، كأنها أعضاء تتعاون لتحقيق أهداف متنوعة ومتكاملة، وهكذا يمكن أن نتحدث عن عدة اقتراحات في إطار مبدأ الشراكة التسييرية وتفعيلها على مستوى عرضي أفقي، من بين ذلك: [دسترة عدد من الهيئات الدينية، إحداث هيئة عليا للقراء والمجودين وتفعيل هيئة عليا للعمل الخيري، إشراف مرئيين المساجد على عمل جمعياتي تنشط فيه عشرات الجمعيات في الوعظ والعمل الخيري ونشاط مواقع إخبارية تصويرية للخطب والمواعظ] (المؤسسة المسجدية في زمن عاصف: منير السعيداني، ص 17).

وإذا ما انتقلنا إلى البعد الثالث؛ وهو بعد النفع المتعدي المتضمن للوظائف الخدمانية التي تسخرها المؤسسة المسجدية؛ فإن تعددها بحسب المجال الذي تنتمي إليه يعتبر أمراً ثابتاً بالاستقراء، لأنه أكثر الأماكن العمومية حضوراً في النسيج العمراني للمدن والبادي، بما يحقق من غايات أخلاقية تتجسد في الخشوع وراقي السلوك وتجنب الإسفاف داخله، مع الإنصات وحسن التواصل والتواصي، مما ينتج استعداداً للتلقي بشكل خاص (الدروس الحسنية 1434هـ، منشورات وزارة الأوقاف، ص 71، دار أبي رقيق، 1435هـ/ 2014م).

ولا يمكن أن نتصور مؤسسة بدون تقديم خدمة أو منفعة تعود على المجتمع بالخير والصالح، لقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبنى مكاناً لا ينتمي لهذه القبيلة أو تلك، ولا يجتمع فيه أفراد من أسرة خاصة، بل أن يشيد مكاناً يؤمه الجميع، هو بيت الله أو بيت الجميع، وفي هذا البيت يلتقي المسلمون للعبادة وللمشاورة ولل قضاء والتجارة والسمر، وفيه يلتفون حول الرسول صلى الله عليه وسلم يأخذون عنه مبادئ الدين ونظم المجتمع الجديد وآيات القرآن الكريم، وفي هذا المكان أو هذا المنتدى أو هذه المدرسة تمتزج النفوس والعقلانيات، وتقوى الوحدة وتتألف الأرواح، ومنه ينبعث الأذان خمس مرات في اليوم يعطر جو المدينة (المجتمع الإسلامي: أحمد شلبي، ص 56، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط 6، 1983م)، وفي إطار تحليل السيرة الوظيفية لمؤسسة المسجد؛ يمكن القول إن هذه المؤسسة تفرض نوعاً من التطبع بأخلاقيات محددة والتزبي بصفات معينة من جهة وتوفير نظام من الحوافز والثواب من جهة أخرى، وهو ما اصطلاح عليه بـ

غرولوكمان في مراحل تحليل سيرورة المؤسسة بالاستبطان وهو السيرورة التي من خلالها يستبطن الأفراد المؤسسة، أي: قواعدها ومعاييرها وأوامرها ونواهيها، ويتبنون رموزها (المؤسسة المسجدية في زمن عاصف: منير السعيداني، ص5)، ويمكن أن نصطلح عليه أيضا بالتأثير الاجتماعي الأخلاقي للمؤسسة، وهو النفع الذي تبذل من أجله مجموعة من الدول غاليتها ونفيسها، وذلك حتى يحصل من خلال ما يسمى بمشروع التخليق الاجتماعي للحياة المهنية، بغية تجنب الظواهر الشاذة سلوكيا واجتماعيا، لأنها تضر بالكيان والنسيج الاجتماعي لهذه الدول.

فالمسجد إذن، مؤسسة ذات أهمية حاسمة من حيث موقعه الاجتماعي وانخراطه في مسار عولمة الأفكار والمعتقدات والأشكال التعبيرية، ومن ذلك تحليل الممارسات الاجتماعية التي يأتيها¹ من تتم مناداتهم عبر الأذان، فيتدرجون أثناء توجههم إلى المسجد في الخروج من زمنهم اليومي الاعتيادي إلى زمن معلق في القداسة مخصوص بالفضاء (المرجع السابق: ص11).

وليست الخدمات الوظيفية لمؤسسة المسجد مقتصرة على التطبيع الأخلاقي اجتماعيا، بل يمكن رصد خدمات مؤسساتية أخرى، حيث تتوفر فيها من قوة البصمة الاجتماعية ما يوجب التنصيب عليها، وهي متوزعة على أطراف الحياة اليومية للإنسان من قبيل:

[شؤون تجارية: بيع - شراء - اتفاق على قوافل أو صفقات

- شؤون حربية وعسكرية: غزوات - دفع هجومات

- شؤون سياسية ذات طابع اجتماعي: استقبال وفود إعلان الإسلام - قبول المبيعات - تحالفات

- شؤون تربوية توجيهية: تأمين دروس تدارك في مختلف مراحل التعليم مع تأمين دروس محو الأمية.

- شؤون اجتماعية محضة: إصلاح ذات البين - محاربة الآفات الاجتماعية التي تحول دون تماسك المجتمع

(المؤسسة المسجدية في زمن عاصف: منير السعيداني، ص6 - ص19).

يجمع الأستاذ رؤوف الأنصاري هذه الخدمات بشكل إجمالي يجلي الطابع المؤسساتي للمسجد: 'وتعد المساجد من أبرز المعالم الحضارية الإسلامية، فالمسجد فضلا عن كونه مكانا للصلاة والعبادة، هو أول مؤسسة تعليمية لتدريس العلوم الدينية، وهو المكان المناسب لاجتماع المسلمين، وتأديتهم لواجباتهم الدينية ومناقشتهم

¹ الأولى التعبير ب: يتبناها أو يقوم بها.

للشؤون السياسية والعسكرية والاجتماعية' (عمارة المساجد-دراسة في تاريخ عمارة المسجد خلال العهود الإسلامية-: رؤوف الأنصاري، ص25، دار النبوغ، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/ 1996م).

وكون المسجد هو المكان المناسب للاجتماع؛ إنما هو باعتبار ما اختص به هذا المكان من آداب وحدود وقديسية، يتم استحضارها في أجواء الاجتماعات التي تسري داخله، بما يحقق نوعا من الانسجام والتوافق الإيجابيين، ويثمر بذلك تلاحما اجتماعيا يعطي للمجتمع قوته ويثمر ثمارا نافعة.

ومن أجل هذا؛ يتجه الفكر الجديد الآن إلى العودة بالمسجد إلى روح الاتجاه الذي بني على أساسه المسجد الأول بأن يكون مجمعا، به مكان العبادة، وبه مكتبة إسلامية وثقافية، وبه قاعة للمحاضرات والاجتماعات، وبه استعداد للإسعافات الصحية السريعة، وحوله مكان للشبان يمارسون بعض الرياضات المباحة، حتى إذا أذن المؤذن هرعوا للصلاة، فضلا عن مكان مخصص للنساء للعبادة ومدارسه شؤونهن، بهذا نخلق مركزا دينيا واسع الأثر في خدمة الإسلام والمسلمين (المجتمع الإسلامي: أحمد شلبي، ص57)، بل في خدمة الإنسانية جمعاء، وهذا في حد ذاته بمنزلة مأسسة جديدة للمسجد من حيث الشكل.

2.1.3. التعرف الإنساني والجماعة المسجدية.

تتجلى المكونات العلمية لهذا العنصر في إبراز مدى إسهامه في خلق وتوطيد فرص التعرف بين أهله، من خلال التقائهم في مناسبات تعبدية عدّة، بالإضافة إلى كشف ما لهذا التعرف المسجدي من خصوصيات تميّزه عن غيره.

فأهل المسجد يلتقون مع بعضهم البعض في أجواء خاصّة، يغلب عليها طابع الإيمان والخشوع الناتج عن الارتباط بالذكر والقرآن، وما يخلفه من أثر نوراني وروحاني، كما أن التقاءهم وتعارفهم في الجو المسجدي ينعقد -في أغلب فرصه- خارج المصالح الدنيوية وبعيدا عن الأطماع المادّية، ويتم انخراطهم في نسيج اجتماعي تفاعلي داخل بوتقة جماعة منسجمة، يؤدي فيها كل عنصر من عناصرها وظيفة معينة، سواء كانت وظيفة ذات أولوية أم ثانوية، حيث إذا ما افتقد أحد منهم؛ بادرت العناصر الأخرى في السؤال عنه وعن سبب تعيّه، بسبب افتقاد المهام الذي يؤدّيه داخل جماعتهم المسجدية، فمنهم من يُسلّي، ومنهم من يجمع الشمل، ومنهم من ينسّق المواعيد، ومنهم من يأتي بالجديد من الأخبار النافعة والمثيرة، ومنهم من يتعاهد بالنصيحة والتوجيه...

ولا شك أن هذا التكامل الوظيفي الاجتماعي الذي يعيشون فيما بينهم يؤدي وظيفة هامة في صياغة وصناعة الرجال وتكوين شخصياتهم تكويناً متوازناً، كما يفرز لنا في إطار نظريات علم الاجتماع ما يسمى بأنماط القيادة، فالنماذج المسجدية هي نسخ لسائر الأفراد الذين يشكلون تركيبة المجتمع الذي نعيش فيه.

إن هذا التفاعل المسجدي الذي ينخرط فيه أهل هذه المؤسسة -بما يثمره من محبة وتأخ- يرجع إلى الفطرة التكوينية للإنسان، وهي الأنس الطبيعي حيث ينأى الإنسان بنفسه عن وصف الوحشية والنفور إلا فيما شذ من طباع، وبالتالي فالتفاعل المتمحض على الاجتماع المسجدي إنما هو إشباع وتلبية لغريزة الطبع الأنسي الاجتماعي المركوز في النفوس البشرية، يقول أبو علي أحمد مسكويه (ت421هـ): 'وإنما وضع للناس بالشرعية وبالعادة الجميلة اتخاذ الدعوات والاجتماع في المآدب ليحصل لهم هذا الأنس، والشرعية إنما أوجبت على الناس أن يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس مرات، وفضلت صلاة الجماعة على صلاة الآحاد ليحصل لهم هذا الأنس الطبيعي الذي هو فيهم بالقوة حتى يخرج إلى الفعل' (تهديب الأخلاق وتطهير الأعراق: ابن مسكويه، ص153، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بدون سنة).

ولا بأس أن يثمر هذا التعارف المسجدي الرفيع ثماراً يانعاً، بحيث يتعدى نفعها مستوى الفرد إلى مستوى الجماعة في بُعدها الحياتي أو المعيشي، سيما وأن الدين جاء لتحقيق مصلحة العباد في الآل وفلاحهم في المآل، فتتبلور بذلك علاقات جديدة على مستويات متعددة، بناء على ما يتبادل أهل المسجد في تعارفهم من أحاديث وأخبار وأفكار، يقول الأستاذ عبد الهادي أعراب: 'وفي رحابه (أي: المسجد) يتبادلون جميعاً منطلقات أولية لبناء علاقات جديدة (اقتصادية، اجتماعية، إيديولوجية... الخ). كما يسمح في الوقت نفسه سواء من خلال حلقات الذكر ودروس الوعظ، بتكوين مجموعات خاصة يوحدتها الانتماء الفكري أو العمري (مراهقين، شباب، شيوخ...)' (مقال: المساجد والتحكم الديني للدولة بالمغرب/ عبد الهادي أعراب، ص88)، إلا أن إنتاج هذه المجموعات الموحدة اعتبارياً لا يتعارض مع مبدأ المساواة الاجتماعية كمظهر من مظاهر النشاط الاجتماعي للمسجد، وإنما يعتبر هذا إفرازاً نوعياً للتواصل الفعال لأفراد المسجد الذين ينسجمون ضمنه في قوالب، إما نظراً لاعتبار السن، أو نظراً لاعتبار الفكر، أو نظراً لاعتبار المجال المهني، مع أن الكل يستوي في العلاقة التي تربطه مع مؤسسة المسجد وكذلك في الحقوق والواجبات المتبادلة فيما بينهم.

ويعتبر التعارف والتواصل المسجدي الذي يعقب الصلوات مدخلا تمهيديا لتفقد أحوال الناس واكتشاف همومهم وأحوالهم، ومعرفة الغريب منهم الذي يحتاج إلى مدد المساعدة، مع التحفظ والاحتياط في هذا الأمر الأخير، الذي توسع فيه كثير من الناس، فاستغله البعض لقضاء مآربه الشخصية وابتزاز أموال الناس، خاصة في هذا الزمان الذي فسدت فيه الذمم وخارت فيه الهمم، فأصبح فئام من الناس ممن يتكاسلون على الكسب يتوجهون للمسجد من أجل التسؤل¹، لكون هذا المسلك سهلا ميسرا، بل يغدق على صاحبه المال الوفير بدون كد أو جهد.

يقول الدكتور خليل حسن الزركاني مبينا هذا الأثر التعارفي للمسجد: 'إن الجامع كان ملجأ للغريب الذي نزلت به محنة، وفي الفتوحات المكية يقول إنه ما كان يقصد في بلد إلا الجامع، ليلقى أمثاله من الغرباء والسواحين ويأتنس بهم ويقول: إنهم كانوا إذا خرجوا من صلاة العشاء وجدوا رجالا كثيرين يحملون قطعا من الطعام يرسلها أهل الخير للغرباء، ويقول: إن هذه القصاع كانت كثيرة ولم تقتصر على الثريد وكسر الخبز وبقايا الموائد، وإنما كان فيها الجيد الرفيع الذي يصنعه أهل الخير لغرباء المسلمين خاصة' (مقال: المساجد في عيون الرحالة العرب/ د خليل حسن الزركاني، ص 97، مجلة الرافد: عدد 82/80، صفر 1425هـ / 2004م، الشارقة، الإمارات)، يتبين إذن:

- أن المسلك الوحيد للتعارف هو التعارف عن طريق المسجد، لأنه يثمر تعارفا متينا.

- أن التعارف الصادق هو الذي يتضمن البذل الخيري، أي: ليس التعارف مجرد أقوال وادعاءات، بل تطبيق يبرهن على صدق المحبة بين المتعارفين.

وتتميز الجماعة المسجدية بوجود أنماط متعددة من التفاعلات والتأثيرات والانخراط في وحدة منسجمة، إلا أن هذه المنظومة ليست بمعزل عن الوسط والمحيط الاجتماعي الخارجي، بل تأثير ذلك أمر جلي في جميع الإفرازات التفاعلية داخل مؤسسة المسجد، يقول الأستاذ منير السعيداني مؤكدا هذه الحقيقة: 'ليست كل هذه الممارسات خارجة عن تبادلهما التأثير والتأثر فيما بينهما وبين المحيط الاجتماعي، بوصفه محتضنا لأفعال وممارسات دينية وتعايير سمعية وبصرية تصلهم على محامل مختلفة' (المؤسسة المسجدية في زمن عاصف - ملاحظات ميدانية في الحالة التونسية-: منير السعيداني، ص 11).

¹ سيتم النقاش والتفصيل في قضية "المسجد والتسؤل" ضمن الفصلين الميدانيين من هذه الأطروحة.

ولعل أهم مقصد مسجدي تجلّى في الممارسات التفاعلية للجماعة المسجدية هو التكافل والتضامن الاجتماعي بين أفرادها بشكل متين ومثمر، لقد كان المسجد على عهد رسول الله منبعا ومصدرا لتقسيم الغنائم والصدقات، وذلك ليبقى البعد الديني المتمثل في النية الخالصة مؤطرا لهذه الممارسة العملية التي تحقق المصلحة العامة للأمة فعن أنس رضي الله عنه قال: ((أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ: «انْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ» وَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ، إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَعْطِنِي، فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي وَفَادَيْتُ عَقِيلًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُذْ» فَحَتَا فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقْلُهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعُهُ إِلَيَّ، قَالَ: «لَا» قَالَ: فَارْفَعُهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: «لَا» فَشَرَّ مِنْهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقْلُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعُهُ عَلَيَّ، قَالَ: «لَا» قَالَ: فَارْفَعُهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: «لَا» فَشَرَّ مِنْهُ، ثُمَّ احْتَمَلَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى كَاهِلِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُتْبِعُهُ بَصَرُهُ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا - عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ - فَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب القسمه وتعليق القنو في المسجد، رقم: 421، ج 1/ ص 91].

ولعل الحكمة في إجراء هذه القسمه داخل فضاء مؤسسة المسجد هي تحقيق العدل والاستواء في التقسيم بين من تقع عليه القسمه، [وألا يخص أحد من الناس فلا يحجب أحد من دخوله من ذوي الحاجة] (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص 385).

يقول الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي: 'ويؤخذ جواز وضع ما يشترك المسلمون فيه من صدقة ونحوها في المسجد ومحله، ما إذا لم يمنع مما وضع له المسجد من الصلاة وغيرها مما بني المسجد لأجله... ويستفاد منه جواز وضع ما يعم نفعه... ويحتمل التفرقة بين ما يوضع للتفرقة النافعة وبين ما يوضع للخرن، فيمنع الثاني دون الأول' (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص 70/71، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط 1، 1410هـ / 1990م)، ولعل هذا تأكيد عملي على ما سبق حول البعد النفعي المتعدي لمؤسسة المسجد في جدارة تسميتها بالمؤسسة.

وكما كان المسجد موطنًا لتقسيم الصدقات والغنائم فقد شكل كذلك مكتبا للخدمة الاجتماعية وجمع التبرعات ومعاونة المحتاجين، إلى جانب أداء الصلاة فيه (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/

عبد السلام العزوزي، ص16)، ودليل وظيفية هذه الخدمة ما رواه المنذر بن جريز عن أبيه قال: ((كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ خُفَاءُ عُرَاءُ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [سورة النساء: الآية 1] وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: {اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ} [سورة الحشر: الآية 18] «تَصَدَّقْ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجُزُ عَنْهَا، بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مَنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً؛ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مَنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» [صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة لو بشق تمر، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، رقم: 1017، ج 2 / ص 704]، يقول الدكتور عبد السلام العزوزي: 'ولئن كانت المؤسسات الاجتماعية اليوم تبذل قصارى جهدها للاهتمام بالفئات التي تحتاج إلى الرعاية والعناية الاجتماعية، من المعوقين والفقراء والمعوزين والمرضى والغرباء واليتامى ممثلة في دور الرعاية الاجتماعية، فإننا نرى المسجد النبوي قبل خمسة عشر قرنا من الزمان كان يقوم بهذا الدور على أكمل وجه، كما كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم مقام الجمعيات الخيرية في جمع الزكاة والصدقات من الموسرين والمتقنين، وتوزيعها على الفقراء والمساكين وغيرهم من مستحقي الزكاة' (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ عبد السلام العزوزي، ص16)، ولعل قيام المسجد بهذه الوظيفة يرجع بالأساس إلى المصادقية التي تميزه في الساحة الاجتماعية، فليس ثمة مؤسسة أو جهة تحظى بمثل ما يحظى به من مصداقية في نفوس الناس.

كما شكّل المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاء إيجابيا لاجتماع الناس على ما تيسر من طعام وشراب، خاصة بالنسبة للضيوف الوافدين والذين تكون فرصة الصلوات الجماعية هي فرصتهم المواتية للقيامهم واجتماعهم، ومعلوم أن بيوت المسلمين كانت لا تتسع في أغليبيتها لاستقبال الضيوف، نظرا للحالة الفقيرة التي يعيشها أغلبهم، فكانت هذه الاستقبالات مع ما يرافقها من تناول طعام وتبادلات أحاديثه تتم في غالبيتها داخل المسجد.

ويستند تأصيل هذه الممارسة الاجتماعية إلى ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ((وَجَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ مَعَهُ نَاسٌ، فَقُمْتُ فَقَالَ لِي: أَأَرْسَلُكَ أَبُو طَلْحَةَ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «لِطَعَامٍ»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ: قُومُوا، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب من دعا لطعام في المسجد ومن أجاب منه، رقم: 422، ج 1/ ص 92].

إن ظاهرة الاجتماع على الطعام تكاد تكون ظاهرة تبرز بالأساس في مسجد البادية أكثر مما قد تلاحظ عليه في مساجد المدينة، لكون أهلها أكثر تكتلا واجتماعا وارتباطا بالمساجد في المناسبات الاجتماعية وبشكل قوي مما هو عليه في المدينة، وذلك بسبب قوة تأثيرات الحضارة المادية على هذه المدينة، حيث تجعل التأثيرات من أصحابها أناسا مشغولين وليس لهم وقت لإحياء مثل هذه الأجواء في المسجد، كما أن هذه القضية تذكرنا بموائد الإفطار التي تنظم بالمساجد تيسيرا للمصلين، حتى يتأتى لهم الجمع بين أداء الصلاة جماعة وبين سنية تعجيل الفطر، مع ما يصاحب العملية من تنافس وتسابق في الخير والسعي إلى إفطار الصائمين، وهو أمر يعطي للمسجد إشعاعا اجتماعيا مميزا ويحفز ذوي الهمم الضئيلة نحو المواظبة على الجماعة في صلاة المغرب.

يقول الأستاذ عبد الرحمان الوشيلي: ' المسجد فيه يستقبل الضيف الوافد، ويكرم فيه، ومنه يدعى لكرم الضيافة وتناول الطعام ولنا في ذلك شواهد كثيرة وأدلة واضحة' (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص 75).

والسر في ذلك هو تحصين الارتباط الوثيق، الذي يكون بين الضيف -باعتباره غريبا منقطعا عن أهله- وبين المسجد الذي يعتبر محضن ومأوى الغرباء.

وينبغي في تبني وتحديد هذه الممارسة سلوكيا الحرص على ألا تعود على المسجد بنقيض ما شرع من أجله، حيث تواجهنا على إثر ذلك مجموعة من الإشكالات السلوكية، من بينها دخول الناس في حوارات كلامية مليئة باللغو والخوض في أعراض الناس مما يتعارض مع قدسية المكان، فقد سبقت الإشارة إلى ضوابط الحوارات المسجدية وأنواع الكلام المسموح به داخل فضاء المسجد، كما يمكن أن يترتب عن التوسع في هذه القضية الاجتماعية الجراءة على تلويث أماكن العبادة وترك روائح لا تنسجم والجو الذي ينبغي أن يسود في أماكن العبادة والخشوع، إما على سبيل التهاون في ذلك أو على سبيل صعوبة الاحتراز من هذه الأمور.

لذلك، نجد مساجد تأخذ هذه الاحتياطات بعين الاعتبار، فتقسم لمثل هذه الممارسات قاعات أو فضاءات مكانية ملحقة وتابعة للمسجد، تضيف جمالية خاصة ونظرة معتبرة للمؤسسة المسجدية.

ومن أهم الفئات الاجتماعية التي حظيت بعناية المسجد واهتمامه عبر التاريخ فئة الأيتام، على اعتبار النصوص الشرعية التي تحض على كفالته وتبوء أعلى المراتب في الجنان جزاء رعاية حقوقه، وخير مثال على ذكر ما ورد عن المسجد في أيام احتلال الجزائر والوظيفة التي أدتها المؤسسة الدينية في الاهتمام الاجتماعي بهذه الفئة، إذ يقول الأستاذ بلال ريم: 'وقد أولت الزوايا والمساجد اهتماما كبيرا بالأيتام من خلال إيوائهم والتكفل بهم وبحاجياتهم، ولم تكن المؤسسة الدينية تكتفي بتوفير المأوى والمأكل لليتامى فقط، بل كانت تهتم بتربيتهم وتعليمهم، وتسمح لهم بتولي المناصب العليا الخاصة بتسيير الزاوية أو الكتاب أو المسجد' (مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي، ص186).

3.1.3. مؤسسة المسجد ومواكبة الحياة اليومية.

تتنوع وتبدل أجواء الحياة اليومية عند كل مسلم بين مشاعر الفرح واليسر وبين مشاعر الحزن والضيق، وذلك بمقتضى السنن الربانية الكونية التي تجري على عبادته، وعليه، فقد كان المسجد في الصدر الأول ملجأ كل محزون مهموم، يتوسم فيه تبديل حزنه فرحا وهمه فرجا، ويلتقي الكلام في هذا الأمر مع الكلام على توفير الأمن في بعض جزئياته، حيث يمكن هنا أن أستشهد بما روي عن أبي سعيد الخدري قال: دَخَلَ رَسُولُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: ((يَا أَبَا أُمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟))، قَالَ: هُمُومٌ لَزِمْتَنِي وَذُيُونُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا أَعْلَمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ عَزٌّ وَجَلٌّ هَمِّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنُكَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ، قَالَ: قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ"، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزٌّ وَجَلٌّ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي)) [سنن أبي داود: أبو داود السجستاني (ت275هـ)، كتاب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستعاذة، رقم: 1555، ج2/ ص93، ضعفه الألباني].

وينبغي أن نعي أن أهم قرين الحزن، لذلك أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أبا أمامة إلى أن يستعيد منهما معا مقترنين، حيث إن كثرة الهموم تورث الحزن الذي يضيق معه الصدر، ومن نماذج فهم الصحابة

رضوان الله عليهم لعمق أثر المؤسسة المسجدية في محو آثار الحزن ومشاعر الهم أن لجأ أبو أمامة إلى المسجد مباشرة بعد تولد هذا الشعور لديه، لأن العبادة كفيلة بتحصيل شعور السعادة وملء القلب اطمئنانا، بما لا يدع معه متسعا في الصدر لشيء من الحزن والاضطراب الذي يكدر صفر القلب وهناءه، قال تعالى: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (سورة النحل: الآية 97).

ويظهر هذا الانخراط جليا كذلك في مسجد البادية بحجم كبير، فمعدات الأفراح والأحزان من أفرشة وخيام رهن إشارة أهل الدوار ومتاحة للاستخدام في أي وقت، بل بالمجان، واعتاد أهل البادية أن يضعوا هذه المعادات واللوازم في أماكن خاصة بالمسجد، ليسهل اقتناءها وتوظيفها للأغراض الاجتماعية التي تتوقف عليها. وقد كانت ظاهرة إعلان النكاح تتم في المساجد اقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، استنادا لما روي عنه مرفوعا من حديث عائشة: ((أُغْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ، وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالْذُّفُوفِ)) [سنن الترمذي: كتاب أبواب النكاح، باب ما جاء في إعلان النكاح، رقم: 1089، ج 3/ص 390، وقال: حديث غريب حسن في هذا الباب، وفي سنده عيسى بن ميمون الأنصاري، يضعف في الحديث، وضعفه ابن حجر في فتح الباري (ج 9/ص 226)].

ولعل السر في ربط هذه الأجواء الاحتفالية المفعمة بالفرح والبهجة بمؤسسة المسجد ليس راجعا إلى ما يتبادر إلى الذهن من كون منازل الناس لا تتسع لاحتواء الجموع الكبيرة التي تأتي لمشاركة هذه الفرحة، وإنما لربط الناس دائما في كل أجواء الحياة حلوها ومرها بجو المؤسسة المسجدية وما تزرعه وترسخه من قيم وآداب وغذاء روحي للقلوب والنفوس، مع ضرورة الحفاظ من الحاضرين على احترام قدسية المكان وهيبته وعدم الإخلال بثوابته، ليحصل المقصود من إقامة الحفل بهذا المكان بالذات، يقول الدكتور حساني محمد نور¹: 'إن العلماء هنا لهم قاعدة رائعة، وهي: الوسائل لها حكم المقاصد، وهذه المناسبات يستغلها العلماء دائما في ربط الناس بدينهم، وتذكيرهم بأحداث السيرة العطرة للنبي صلى الله عليه وسلم، وترقيق القلوب، ورفع درجة إيمانهم، وشحذ الهمم لحفظ القرآن الكريم والعناية به، وطالما كان الأمر كذلك، وخلت هذه الحفلات مما ينهى الشرع

¹ أستاذ مشارك بجامعة المدينة العالمية وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سابقا.

عنه، من كشف العورات، أو أن تكون ملابس الحاضرات غير محتشمة، أو حدوث هرج ومرج ورفع صوت في المسجد، أو دخول من كان جنباً أو حائضاً من الرجال أو النساء، فإذا خلت الحفلات من كل هذا فلا بأس بها، خصوصاً إذا كانت المناسبة لها علاقة وثيقة بالعلم أو بالأمور الدينية، بل إقامتها في هذه الحالة أفضل وأولى من تركها، لكثرة المصالح الشرعية التي يمكن تحصيلها من مثل هذه الحفلات، وتقوية الهمم والعزائم لإعلاء هذا الدين' (فقه المساجد في الشريعة الإسلامية-دراسة جديدة في ضوء مقاصد الشريعة-: حساني محمد نور، ص216/217، دار السلام، الإسكندرية، مصر، ط1، 1438هـ/2017م)، ويلتقي كلام الأستاذ حساني نور هذا مع ما نصّه بعض من تكلم في قضايا المستجدات الفقهية المعاصرة المرتبطة بمؤسسة المسجد حول إجراء عقد الزواج والاحتفال بهذه المناسبة في المسجد والضابط الإجرائي اللازم في ذلك، ومن هؤلاء الأستاذ محمد الجيزاني، حيث يقول: 'يندب عقد النكاح في المساجد، ولا تجوز إقامة الحفلات فيها إذا اقترنت بمحظور شرعي كاختلاط الرجال بالنساء وتبرجهن والرقص والغناء' (فقه النوازل-دراسة تأصيلية تطبيقية-: محمد الجيزاني، ص432، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط3، 1429هـ/2008م).

ويمكن أن أضيف مصلحة شرعية أخرى تترتب عن ارتباط هذا الاحتفال بالمسجد؛ وهي تسهيل أداء فريضة الصلاة على الحاضرين وتنشيط وتحفيز همهم على ذلك، نظراً لارتباطهم المباشر بمكان الشعيرة، فكيف يعقل أن الأذان فوق رؤوسهم والاجتماع منعقد لأداء الصلاة وهم عنه غافلون؟

كما أن أعظم الأحزان والمصائب والتي هي الموت لا تنفك عن المسجد، فمنه تجلب المغسلة ووسائل تغسيل الميت، وفيه تؤدي عليه صلاة الجنازة ترغيباً في حضور أكبر عدد من المصلين رجاء شفاعتهم فيه، بالإضافة إلى الوظيفة الأساس التي يؤديها الإمام، وذلك بوعظ وتذكير أهل الميت والدعاء لمفقودهم بالمغفرة والرحمة، فلا تكاد تجد مأتماً أو حزناً، إلا وفقه المسجد حاضر فيه بقوة، حيث يمثل رسالة المسجد في تخفيف آلام المصاب وتحقيق الدعم الاجتماعي والمواساة لأهله، حتى إنه لو فرض أن إمام المسجد غائب لسفر أو أمر عارض؛ تتم المناداة عليه ومهاتفته، حتى يلتحق في أقرب وقت ليؤدي ما عليه، أو ينب عليه أو يوكل من هو قادر على القيام بمهمته كما لو كان هو حاضراً معهم.

ونجد أن مؤسسة المسجد حاضرة بقوة في الأفراح، ففقيه المسجد شخص لا تعقد الأنكحة إلا بحضوره ومباركته للحفل بتلاوة آيات بينات، مع الدعاء بالتوفيق والسداد للعروسين، بل هو شخص تتم مشاورته والثقة في رأيه قبل عقد القران، لكونه له من بعد النظر والخبرة ما يؤهله ليدلي بدلوه في مثل هذه

القضايا؛ خاصة إذا كان من أهل القبيلة أو الدوار، كما أن للمسجد حضوراً قوياً في التأثيث المادي للأفراح بما يوقفه أهل الخير من وسائل وأوانٍ وخيام، ليستعين بها من يحتاجها لهذه الغاية، مع أنه ينبغي للمحتاج أن يحسن صيانة ما يجلبه من هذه الوسائل، ليعم ويدوم الانتفاع بها ممن يريدونها بعده، مع الحرص أن تستخدم فيما يرضي الله، وأن يتجنب استعمالها في المعاصي والمنكرات المعروفة التي تصاحب هذه الأفراح.

يمكن أن أسوق هنا حدثاً قصيراً عشت تجربته شخصياً يبين الوظيفة الأساس لمؤسسة المسجد في مواكبة أحزان محيطه والانخراط معه في ذلك، وهو أن أهل قرية قريبة من مدينة الجديدة طلبوا مني مد يد العون في حصولهم على إمام راتب يقوم بوظيفة الفقيه المسير لمسجدهم إمامة وتأطيراً، فعثرت على إمام متمكن يتمتع بمستوى عال من العلم والضبط لكتاب الله، ويتحلى بالأخلاق الفاضلة التي تؤهله للقيام بهذه المهمة على أحسن ما يرام، إلا أن أهل هذه البلدة -لقلة وعيهم بما ينبغي أن يتوفر في الإمام- تلکأوا في قبول إمامته لهم بصفة راتبة، وذلك بحجة أنه كفيف البصر، وبالتالي، لن يستطيع تغسيل أمواتهم عند اللجوء إليه في هذا الأمر، ورغم أنه لسنا بصدد مناقشة موقف الاتفاق معهم من عدمه، إلا أنني أردت أن أشتهد من خلال هذه الواقعة على حجم الارتباط الكائن بين مؤسسة المسجد ونوعية حياة المجتمع من أفراح وأحزان، حيث نكاد نستنبط من هذه الواقعة أن الإمام من شرطه أن يواكب بشكل إيجابي وناجح أفراح وأحزان الوسط الذي يشتغل فيه، وإلا أناب عنه في هذه المهمة أحد الناس ممن يستطيعون ذلك، ثم إن أغلب النزاعات والخصومات التي تكون بين أهل دوار أو قبيلة ما مع إمامهم إنما هي ناتجة عن تغييه المستمر أو انقطاعه عن مواكبة هذه المخطات أو إهماله لحضورها.

ومما يذكرنا كذلك بمواكبة المسجد لأفراح المجتمع حفلات سلطان الطلبة التي كانت تحظى بأهمية بالغة، نظراً للجموع الغفيرة التي تستقطبها، حيث يواكب فيها المسجد فرحة من أعظم ما يعيشه أهل بيت أكرمهم الله بحفظ ابنهم للقرآن، إلا أن الحديث عن هذا الحدث ومدى الأثر التربوي الذي يخلفه في نفوس المتخرجين الحفّاظ يغلب عليه الجانب التربوي التعليمي¹ أكثر مما هو اجتماعي، وبالتالي، فإنني أرى عدم التفصيل فيه ضمن هذا المقام، مما يؤكد أن مواصفات الحس الاجتماعي من أهم المتطلبات اللازمة لتوفرها في الإمام المسجدي خاصة بالعالم القروي.

¹المتعلق بالتحفيز والمكافأة، نتيجة التفوق في حفظ القرآن تمكنا وضبطاً.

2.3. النشاط الاقتصادي لمؤسسة المسجد التفاعلي.

إن أهم ما يستوقفنا من خلال التأمل في مركبات عنوان هذا القسم هو علاقة المؤسسة المسجدية بالمال اكتسابا وتدييرا، ومنه، فإنني خصصت فرعين أولهما حول تدبير الحاجيات المادية المسجدية وثانيهما حول التبرعات المالية المسجدية، وأضفت فرعا ثالثا معاصرا؛ وهو حول ظاهرة البيع أمام المسجد، حيث رغم أن هذا الفرع الثالث لا يعود على المسجد بالنفع المادي في تدبيره ولا في دعمه؛ إلا أنه يرتبط به تفاعليا عن طريق ممارسة التجارة وتحريك المال.

1.2.3. تدبير الحاجيات المادية للمسجد التفاعلي.

أرى أن هذا العنصر جدير بالبحث والتحليل، بل ينبغي أن تفرد له أطروحة بكاملها، إذ إن النهوض بالعمل الوظيفي لمؤسسة المسجد رهين بتوفير وتأمين الحاجيات المادية للقائمين على شؤونه، وعلى العكس؛ فإن تدني المستوى الوظيفي للمسجد يرتبط أساسا بتناقص حجم الاهتمام المادي به وبموظفيه، مما ينعكس سلبا على حجم المردودية.

إن أهم ما يمكن أن أذكره في هذا الفرع ضمن المجال الاقتصادي لمؤسسة المسجد هو أن المسجد لا يحصل على كينونته المؤسساتية إلا بتوفره على القدرة الذاتية والمستقلة للنهوض بأعبائه وتكاليفه المادية بنفسه، ولن يتأتى ذلك إلا بحسن استغلال مرافقه التابعة له، بما يدرّ عليه دخلا ماديا كافيا، يستطيع من خلاله أن يغطّي مصاريف سير نشاطه الاعتيادي، ولا شك أن مصاريف هذا النشاط الاعتيادي تشمل الرواتب الدورية لموظفيه¹، بما يقومون من وظائف تمثل مجمل الأنشطة الوظيفية لهذه المؤسسة، كما تشمل هذه المصاريف النفقات المتعلقة بما يتطلبه من سداد فواتير استهلاك الماء والكهرباء والغاز ومواد التنظيف، بالإضافة إلى ما يتعلق بالإصلاحات والترميمات التي تلزم في مكوناته المادية (المرافق/ الأبنية...).

فالمنطلق الأساس في تخطيط وتدبير الحاجيات المادية لمؤسسة المسجد التفاعلي هو توفير احتياطي من المال، وذلك عن طريق تكثيف الجهات المدعمة ماديا لهذه المؤسسة باستمرار، من أجل التغلب على هذه

¹ العاملين على شؤونه اليومية.

الحاجيات المتعددة، لأن الخلل في هذا التدبير المالي ينعكس سلباً على الوظائف التي تقوم على هذا الجانب، وبالتالي، قد تتعطل مجموعة من الوظائف المسجدية بسبب نقص في المستلزمات المادية وضعف وفرتها، وأرى- بناء على تتبع مجموع الجهات القريبة من هذه المؤسسة- أن هناك أربع جهات ينبغي ألا تألو جهداً في الإسهام المادي بشكل دوري ومستمر في تغطية موارده المالية (المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي: علي عبد الحليم محمود، ص 200 بتصرف):

1- الوزارة الوصية على الشأن الديني برصد مبلغ خاص لدعم صندوق المسجد¹.

2- تبرعات المحسنين²، وهي داخلة في عموم الصدقات الجارية التي يمتد نفعها حتى بعد ممات الشخص المتبرع، كلما انتفع الناس بما تبرع به وساهم به فيما له علاقة بالمسجد.

3- الأوقاف التي يتم وقفها على المسجد.

وتجدر الإشارة أن هذه الأوقاف المسجدية كانت تحقق اكتفاء ذاتياً في النفقات المسجدية ببعض البلدان، وذلك إما لكثرتها، أو لحسن استغلالها وتديرها، أو للأمرين معاً، يقول الأستاذ محمد الطوير عن تجربة المساجد الليبية في طرابلس إبان الحكم العثماني: 'أما الإنفاق على المساجد وطلاب العلم والعلماء، فكان عادة ما يتم عن طريق تحبيس عقارات كثيرة العدد، يكفي دخلها السنوي في تغطية كامل المصروفات اليومية المتعلقة باستمرار الدراسة وأداء الصلاة، من توفير للماء والإنارة والفرش والصيانة الخاصة بالمبنى ونظافة المكان' (مقال: دور المسجد في إثراء الحياة الفكرية بولاية طرابلس الغرب خلال الحكم العثماني/ محمد الطوير، ص 503).

4- الأرباح الناتجة عن كراء المحلات والمرافق التابعة للمسجد، حيث ينبغي تديره بشكل مواز والتركيز على ذلك، لتفادي تعميق الخصاص المادي للمؤسسة.

¹ يكاد يكون هذا الأمر شبه معدوم، إذ ليس هناك في واقع الوجود الحالي -خاصة على المستوى المحلي- إسهام مادي لدعم صناديق المساجد، وقد تتعدد الأسباب وراء هذا العجز أو هذا الركود.

² سيتم تخصيص العنصر الثاني من هذا المطلب للحديث عن التبرعات المسجدية.

وليس معناه قصر الموارد على هذه الأربع، بل كلما زاد تدفق الخير المادي على مؤسسة المسجد؛ سهّل التغلب على أعبائه وحاجياته، ولذلك، فمن جميل وحكمة الفعل وضع صندوق للمساهمات داخل المسجد، يلجأ إليه عند الحاجة، بل إنه يشجع على نفقة السر ولو كانت من القليل.

ويلاحظ على المستوى الوطني أن التمويل الذي تقدمه الدولة للمساجد يتسم بالمحدودية والضييق، وذلك لكونه يختلف بحسب تبعية المسجد في تسييره، فالجمعيات المسجدية لا تستفيد من الدولة إلا اللوجستيك المتعلق به كالأفرشة مثلاً، وفي المقابل لا يستفيد من طاقمها في التعويضات والمكافآت إلا الأئمة والخطباء، فتضطر حينها إلى تغطية هذا النقص باللجوء إلى تبرعات المحسنين (مقال: الدولة والمساجد وقيمها في المغرب/ عبد الحكيم أبو اللوز، ص116، مجلة: عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد2، المجلد1، بيروت، 2012م) والتي قد تأخذ في بعض الأحيان طابع حملة جمع، لتدارك وضعية معينة تدعو إلى هذه المبادرة، ولا شك أن هذا الوضع يطرح مشكلاً، وذلك لأنه إلى أي حدّ يمكن معه اللجوء دائماً إلى هذه التبرعات والتي قد لا تسعف في كثير من الأحيان نحو تغطية الخصائص الحاصلة، ثم إن فسخ المجال بإطلاق لعملية المساهمة عن طريق جمع التبرعات يتطلب اتخاذ احتياطات معينة لضبط هذه العملية، وذلك حتى لا تقع فيها تجاوزات وأخطاء، والتي قد تتطور في بعض الأحيان إلى اتهامات وأوضاع سيئة وخصومات لا تليق بالفضاء المسجدي وخصوصياته.

وبالنسبة لأوجه إنفاق ميزانية المسجد؛ فهي متعددة، وتختلف باختلاف أنواع المساجد وحجم الوظائف والأنشطة التي تمارس فيه، لكن هناك أوجه تظل ثابتة مهما اختلفت طبيعة المسجد وأنشطته، وأهم هذه الأوجه الثابتة (المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي: علي عبد الحليم محمود، ص201)¹:

1- إصلاح الخلل الذي يطرأ على بعض المرافق.

2- شراء بعض الأجهزة والوسائل المادية التي تلزم لنشاطه اليومي.

¹ ذكر صاحب الكتاب مجموعة من الأوجه، إلا أنها تتفاوت من حيث درجة الأهمية، أو تتفاوت من حيث الوجود والغياب حسب نوعية وطبيعة المسجد، مما جعلني أصطفي فقط أربعة منها.

3- مكافأة العاملين والقائمين على شؤونه اليومية: وتحمل المكافأة دلالة الاستحقاق مقابل ما يؤدي من وظائف، والتي تتطلب تفرغا كاملا وتخصيصا هاما للجهد والوقت.

ولعل هذا الوجه الأخير من أقواها، لأن المسجد لا ينهض ولا يتحرك بدونها؛ ولو تم تجهيزه ماديا على أكمل وأتم وجه، وأبرز العاملين في ذلك هو الإمام، حيث من اللازم أن يُخَصَّ براتب شهري يغنيه عن الاشتغال بأمور أخرى تعيق وظيفته المسجدية، بل إننا نلاحظ في بعض الأحيان ظواهر مشينة في هذا الصدد، حيث يتعاطى بعض الأئمة أمورا محرمة، وذلك لتحصيل كفايتهم المادية في الشهر، فيلجأ بعضهم إلى السحر والشعوذة أو المتاجرة بالقرآن، بدعوى أن راتبه الشهري لا يحقق كفايته الشهرية، رغم أن ذلك ليس مبررا للجوءه إلى مثل هذه الأمور التي لا تزيده إلا وهنا وتدنيا في مستوى التدين والتخلق، لكنه من المتعين أن يُهْتَم بهذه الفئة ماديا على غرار الاهتمام المادي الذي تحظى به سائر الفئات المهنية الأخرى.

فالعناية براتب الإمام المسجدي من الأولويات والأمور ذات الأهمية الكبرى في مجال التدبير المالي للمؤسسة المسجدية، ولذلك نجد الإمام في المسجد البدوي أول ما يتفق فيه مع أهل القرية هو الشرط العرفي، حيث تشارطه القبيلة على الإمامة وتعليم وتحفيظ القرآن بمقابل مادي لأداء هذه المهمة، وقد تضاف إلى هذا التعاقد المالي مكافآت عينية أو نقدية أخرى في المناسبات وغيرها (مقال: الدولة والمساجد وقيموها في المغرب/ عبد الحكيم أبو اللوز، ص120).

ولا يخفى على الملاحظ في تقييم الواقع الحالي للإمام أن راتبه المالي لا يزال دون المستوى المطلوب، بحيث لا يواكب الوضع المعيشي وحاجياته الضرورية، فكيف بالكمالية منها، ونجد في هذا الصدد الأستاذ عبد الحكيم أبو اللوز يقول: 'وعلى رغم هزالة الحصص المالية المخصصة للقيمين الدينيين، سجلت الإجراءات الجديدة تمايزا عن السياسة السابقة لوزارة الأوقاف في عهد الوزير السابق الذي كان له تصور حول الإمامة مفاده أن الأصل في الوظائف داخل المسجد التطوع، وأن كل ما تدفعه الأوقاف ما هو إلا مكافآت، وهي غير ملزمة بصرف رواتب مقابل أداء الصلاة' (مقال: الدولة والمساجد وقيموها في المغرب/ عبد الحكيم أبو اللوز، ص120).

وبالتالي، نلاحظ أن الخلل والقصور في التصور الوظيفي للإمام والقيم الديني على وجه العموم ينعكس سلبا على النظرة المادية لهذا الموقع، فالإمام موظف يتطلب عمله القيام به على أتم وجه تحقيقا للجودة المطلوبة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك في أي وظيفة من الوظائف داخل المجتمع؛ إذا نظرنا إليها على أنها مجرد تطوع تصرف إليه في أحسن الظروف مكافأة التشجيع والتحفيز، وفي المقابل توجد وظائف أقل شأنًا وأهمية منه يتقاضى أصحابها مكافآت مهمة؛ علاوة على رواتبهم الشهرية التي تصرف بانتظام ودون تأخير.

ولعله من الجهود المبذولة في سبيل تحسين الأوضاع المادية للقيمين الدينيين إحداث الدولة لمؤسسة محمد السادس للنهوض بالأعمال الاجتماعية للقيمين الدينيين، والتي قدمت خدمات معتبرة في هذا المجال لصالح هذه الفئة، بالإضافة إلى تنفيذ نظام التغطية الصحية لفائدة الأئمة وأسرة.

إن عملية السهر على تدبير الحاجيات المادية الشهرية للقيمين الدينيين تتطلب الإشراف الجدي والحكيم والمتبصر في الآن نفسه من طرف ذوي الأمانة والمسؤولية، ممن يحفظون الحقوق ويحسنون تقديرها حسب المهام المنوطة والموكولة لكل قيم يقوم بوظيفته داخل المنظومة المسجدية الكلية، لكونها ترتبط ارتباطا مباشرا بحقوق الغير، كما تتطلب في الوقت نفسه تسييرا حكيما ومضبوطا يراعي ويوازن بين الأحوال والمصالح، فالإمام الذي يمارس نشاطا آخر موازيا بالإضافة إلى وظيفته المسجدية يختلف وضعه المادي عن المتفرغ أساسا لهذا المهام، كما أن من يساعده في هذا المهام إمام مساعد ثان يختلف وضعه المادي عن الإمام الذي ليس له إلا هذا المورد ويقوم بهذه المهمة لوحده، حيث يختلف تدبير الوضع في تقدير الرواتب عما لو كان الأمر متعلقا بإمام واحد، وبالتالي، فتحديد الراتب الإمامي في جميع الأحوال يتطلب دراسة لهذه الجوانب والاعتبارات، تحقيقا للعدل وتغاديا للظلم والإجحاف.

2.2.3. التبرعات المسجدية.

ويليق بي استهلال هذا العنصر بحديث نبوي يبين البعد الخيري للتبرع المالي لصالح المسجد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ؛ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ)) [سنن ابن ماجه:

كتاب أبواب السنة، باب ثواب معلم الناس الخير، رقم: 242، ج 1/ص 163)، فالإحسان في وجوه الخير المسجدية يتسم بالاستمرار وعدم الانقطاع، لجريان الانتفاع بها مع مرور الزمن، مما يجعل فضل ذلك واصلا إلى صاحبه وهو في قبره دون انقطاع.

إن التبرعات المالية المتعلقة بمؤسسة المسجد مساهمات إحصائية خيرية تتجه في أحد الاتجاهين:

1) اتجاه الإنفاق من طرف المحسنين على المسجد لتغطية حاجياته المادية والوظيفية، فتكون بذلك مساهمات دورية منتظمة تأخذ صبغة الالتزام أو تكون مساهمات عابرة كلما دعت الحاجة إلى ذلك أو كلما تيسر الأمر لأصحابها، فلا تأخذ بذلك صبغة الالتزام لانعدام ضابط المواظبة في إخراجها.

2) اتجاه التبرع بهذا المكان للقيام بوجه من وجوه الإحسان التي يدعو إليها في إطار رسالته الدعوية، والتي تمثل في شمولها دعوة الإسلام إلى البر والإحسان في منحاه الاجتماعي، دون أن تأخذ هذه التبرعات طابع الالتزام الدوري، ويمكن أن تكون كذلك هذه التبرعات بمثابة الأصل والمنشأ الذي يكون به تأسيس وبناء هذا المسجد، إلا أن هذا الاتجاه الأخير هو داخل في عموم الأعمال التي تشمل بنائه.

ومن التقنيات المحمودة التي توظف في المساجد لتشجيع التنافس والإقبال على التبرع لفائدتها فكرة إقامة صندوق للمساهمات المسجدية في أماكن ميسرة ومحكمة داخل فضاءات المسجد، بحيث يتم فتح هذه الصناديق من حين إلى حين آخر، وذلك كلما دعت الحاجة إلى الاستئجار بما في هذه الصناديق من مساهمات مادية لتغطية حاجيات المؤسسة المسجدية، وهي التي ترد في بعض فتاوى العلماء (الموقع الإلكتروني: الإسلام سؤال وجواب، المشرف العام: محمد صالح المنجد، سؤال رقم: 126090، صناديق الأموال في المساجد) بصيغة **صناديق المال**، حيث هناك من نبه على لزوم الاحتياط والحزم في عملية جمعها وعملية إنفاق أموالها، إذ قد يقع هنالك تساهل في الجمع، فتترك تلك الصناديق بشكل غير محكم من حيث الإغلاق وأماكن الوضع، فيتسبب ذلك في سرقتها، أو تعريضها لعبث العابثين، ومن أجمل الملاحظات الميدانية التي يمكن أن أستشهد بها في هذا الصدد ما وقفت عليه في مسجد لالة فاطمة الزهراء بجماعة مولاي عبد الله بجوار مدينة الجديدة، حيث تم إنشاء صندوق للمساهمات المالية لفائدة المسجد وقيمه الدينيين، لكن الجميل في هذا الصندوق هو اتخاذه من زجاج شفاف، يظهر ما في داخله من مجموع المساهمات المتبرع بها، فيكون ذلك أكثر

تشجيعاً وأدعى للتنافس والإقبال على الخير، كما أنه يؤشر على أنه لا تزال الأمة بخير؛ ما دام فيها من يجود بماله على المساجد وأهلها بالمال، فيبعث ذلك على التحفيز وإزالة بواعث الشح والبخل، بالإضافة إلى ما يرمز إليه هذا الشكل من الصندوق من معاني الوضوح والشفافية في التعامل مع أموال الناس المتعلقة بحقوق الله تعالى، حيث يطلع الجميع على ما في داخل الصندوق من قطع وأوراق نقدية قليلة كانت أو كثيرة على جميع الأحوال.

ومن أوجه التساهل والخلط في هذه العملية عدم التمييز بين نوعية الأموال المتبرع بها، فهناك من المال ما يتبرع به على وجه الإحسان الخيري العام، وهناك من المال ما يتبرع به على وجه أنه زكاة متعلقة بالمال، حيث إن جماعة من الفقهاء يرون عدم دخول الإنفاق على المسجد ضمن مصاريف الزكاة الواردة في قوله تعالى: **"إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"** (سورة التوبة: الآية 60)، لكن هذا الأمر محل خلاف ونظر بين الفقهاء؛ فمنهم من يرى جواز صرف مال الزكاة في نفقات المسجد كالبناء مثلاً، سيما إذا كان الفقر هو الدافع الحاجي وراء اللجوء إلى صرف هذا المال في هذا الوجه، يقول الدكتور يوسف القرضاوي معللاً هذا الاختيار: 'ومن هنا أرى مطمئناً جواز دفع الزكاة لإقامة المساجد في البلاد الفقيرة المعرضة لخطر غزو التيارات المعادية للإسلام، بل قد يكون دفع الزكاة في هذه الحال أفضل من غيرها من المصارف، والحجة في ذلك:

- أن القوم فقراء ويجب أن تتم لهم كفايتهم بسدّ الحاجات الأساس التي لا بدّ للإنسان منها، حتى يحيى حياة كريمة تليق بإنسان مسلم، والمسجد من الحاجات الأساس للجماعة المسلمة.

- أن المسجد في حالة البلاد المعرضة لخطر الغزو أو الواقعة تحت تأثيره بالفعل هو دار عبادة ومركز للدفاع عن الهوية الإسلامية والحفاظ على الشخصية الإسلامية' (باختصار من فتاوى معاصرة: يوسف القرضاوي، ص 495/ 505، مكتبة وهبة، تحميل نسخة إلكترونية من موقع: www.kotobarabia.com، بتاريخ: 2018/9/16).

وليس هناك أي تحديد أو حصر في الأوجه المسجدية التي تصرف فيها هذه التبرعات المحصلة، ما دام الكل يعود على وظائف المسجد ومصلحته بالنفع؛ شريطة عدم الإسراف والتبذير أو الإنفاق على أمور محرمة كالزخارف المنهي عنها، ويستثنى من ذلك ما إذا وقع تخصيص أو تحديد من المتبرع في الجهة التي يستعمل فيها ماله المتبرع به؛ فإنه يتعين التقيد بما أوصى به، لأن هذا التقيد في حكم الأمانة التي يجب الوفاء بها وهو الوحيد الذي يملك حق تقييد الوجه الذي يصرف عليه تبرعه، بل قد يسبب إغفال ذلك إحجاما من كثير من المتبرعين على هذا العمل الخيري؛ وذلك إذا تبين لهم أن المال الذي يتبرعون به يذهب بعيدا عن القصد أو المكان الذي يرمون، وينبغي التنبيه على أن أمر التبرع المسجدي يختلف عن إعطاء الصدقة فيه، وذلك لأن النفع الحاصل في هذه القضية الأخيرة هو نفع محض متعلق بالأشخاص، وليس نفعاً متعبداً إلى المسجد، إلا بشكل غير مباشر في إطار يمكن إدراجه نسبياً ضمن وظيفته الاجتماعية.

إن الدعوة إلى التبرع المالي لمصلحة مؤسسة المسجد من السنن الحسنة التي تشمل في عموم أجزائها الداعي والمستجيب معا دون تمييز، لما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى؛ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ؛ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا)) [صحيح مسلم: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم: 2674، ج 4/ ص 2060]، وفي رواية أخرى: ((مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً؛ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))¹.

وينبغي في تعامل الناس مع التبرع المسجدي أن ينفقوا في ذلك من أجود وأطيب ما عندهم لكونه متعلقا بالله عز وجل القائل: "ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ" (سورة الحج: الآية 32)، والقائل كذلك عز وجل: "لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ

¹ سبق تخرجها في المطلب السابق.

عَلِيمٌ" (سورة آل عمران: الآية 92)، وحيث إن كثيرا من الناس لا يتبرعون إلا بالهزيل الذي لا يعبر عن مستوى التعظيم الذي ينبغي أن يكون في القلب اتجاه ما يبرهن على المحبة الصادقة لله عز وجل، ورد في مقال (المساجد في عيون الرحالة العرب) للدكتور خليل حسن الزركاني: 'ثم يشير ناصر خسرو في السفر تامة أنه كتب والي الشام في بعض السنين إلى السلطان أن الزيت قليل، ثم استأذن في أن يصرف للمساجد الزيت الحار المستخرج من بذور الفجل واللفت، فأجيب إنك مأمور لا وزير، وليس من الجائز أن تبدل في شيء يتعلق ببيت الله' (مقال: المساجد في عيون الرحالة العرب/ خليل حسن الزركاني، ص 95).

ويتخذ التبرع المالي المسجدي شكل الإنفاق الخفي من أهل الخير أو ما يعرف بصدقة السر، وذلك بالجلود على العاملين على شؤون المسجد بمساعدات مالية، تخفف من وطأة و ثقل تكليف الحياة، فتدخل الفرحة في قلوبهم، وتزيدهم تشجيعا وتخفيفا على الاستمرار والتفاني في عملهم النبيل والشريف، ابتغاء رضى الله تعالى، ولعل هذه الظاهرة تزيد نشاطا في المواسم الدينية، كموسم رمضان الذي يتميز بكثرة الجود والإقبال على هذا العمل الخيري، أو كمناسبة عيد الأضحى.

إن التبرع المالي لفائدة المسجد وجه من أوجه الوقف التي ينبغي أن يسارع فيها الأغنياء لتحصل البركة فيما عندهم من الأموال، وليدخروا في ذلك نصيبا مما ينفعهم في الآخرة، نظرا لتعدد الأوجه الخيرية التي يصرف فيها هذا المال الوقفي، يقول الدكتور حساني محمد نور: 'ومن هنا ذهب جمهور العلماء إلى جواز وقف المال أو منفعة في سبيل مسجد معين أو عمارته، وسواء أوقف ماله في سبيل بناء مسجد وعمارته، أو تجديده، أو توفير احتياجاته من فرش أو أدوات كهربائية أو أدوات صحية أو لوازم الوضوء أو الإضاءة، فكل ذلك من أعظم وجوه البر والخير، التي تعتبر بحق من أسمى أمور الوقف وتعمير مساجد الله' (فقه المساجد في الشريعة الإسلامية-دراسة جديدة في ضوء مقاصد الشريعة-: حساني محمد نور، ص 93).

وفي إطار الحديث عن الوقف في منظومة شمولية، يمكن أن نقول إنه قد يصدر من غير المسلم هذا العمل الخيري لصالح مؤسسة المسجد، لكنه لا يتجلى فيه هنا البعد التعبدية الذي يتعلق بالجزاء الأخروي وذلك نظرا لانعدام شرط الإيمان في قبول التبرع والصدقة، بدليل قوله تعالى: "وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ

كَارِهُونَ" (سورة التوبة: الآية 54)، إلا أن وقوع هذا الوقف ليس هناك من الشرع ما يدعو إلى رفضه وعدم قبوله؛ مادام الواقف قد قام بذلك إسهاما وتبرعا منه لصالح المسلمين، دون الإضرار بهم أو تبويت خطة ما لإيقاعهم في شر معين كما هو الحال في شأن مسجد الضرار الذي حذر القرآن من الصلاة فيه [كما في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ" (سورة التوبة: الآيتان 107/108)]، فهو قد أنشئ في أصله لتفرقة صفوف المسلمين وإيقاع الضرر بهم، ثم إنه قد يتوب الفاعل بعد ذلك فيدخل إلى الإسلام، وحين ذلك يصدق فيه ما رواه عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ جَرَّامٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنُّ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ هَلْ لِي فِيهَا مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَسَلَمْتَ عَلَى مَا أَسَلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ)) وَالتَّحَنُّ: التَّعَبُّدُ (صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده، رقم: 123، ج 1/ص 113).

ويمكن أن نعدل عن تسمية هذا التبرع بالوقف؛ إذا ما أردنا أن نقصر هذه التسمية على التبرع ذي البعد التعبدية النابع من الإيمان، وحينها، لا بأس أن نطلق على هذا العقد أو هذا التعامل اسم الهبة والتي تصح من غير المسلم على غرار صحة بيعه وشرائه مع المسلم، ولعل هذا الأمر ينسجم مع روح مقصدية المؤسسة المسجدية وإشعاعها الحضاري الإنساني، حيث إن المفترض فيها أن تكون منفتحة الخدمات وممتدة في التواصل مع المسلمين وغير المسلمين، ولعلي أؤيد موقفني هذا بما ذكره الأستاذ الحضيري: 'وإن كان غير المسلم إنما أوقف المسجد برا بعشيرته وإحسانا إليهم، فهو هبة منه للمسلمين صحيحة بإذن الله تعالى، والمسلمون هم المستفيدون منها بجعلها مسجدا' (أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية: حساني محمد نور، ص 84).

كما يمكن أن تتنوع أشكال التبرع المسجدي فيما يتعلق بالجوانب الثقافية والعلمية من أنشطته، فلا يقتصر الأمر في ذلك على الوقف فحسب، بل نجد أن تكوين المكتبات المسجدية أمر تديره تتعدد فيه أوجه وأشكال التبرع الخيري، يبين الأستاذ مكي بن نسيب السباعي طريقة تكوين المكتبات بالتراث الكتي

فيقول: 'وقد أخذت عملية تزويد المكتبات بالكتب أكثر من أسلوب حيث كان ذلك يتم إما عن طريق تزويدها بعمل نسخ عن المخطوطات المتوافرة أو عن طريق شراء مخطوطات جديدة، إلا أن مجموعات الغالبية العظمى من هذه المكتبات نمت وازدهرت عن طريق الهدايا والوصايا والهبات والأوقاف، وتعد الوسيلة الأخيرة العامل الرئيسي وراء إثراء العديد من مكتبات المساجد وبشكل لم يسبق له نظير' (مكتبات المساجد-دراسة تاريخية-: مكي بن نسيب السباعي، ص178، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ/ 2006م).

3.2.3. البيع بجوار المسجد.

يعتبر البيع بجوار المسجد ظاهرة اجتماعية متعددة الأبعاد، وهي ليست وليدة هذا العصر فحسب، بل هي ممتدة من عصور مضت، وتقتضي معالجة هذه الظاهرة وتحليلها استحضار جميع متعلقاتها بشكل موضوعي مع إحاطة بجميع جزئياتها، لأنه ليس المقصود من إثارة هذا العنصر فتح الباب على مصراعيه أمام الجدليات التي تكتنفه، بقدر ما أصبو من خلاله إلى تحليل هذه الظاهرة في زواياها التفاعلية، بما يوضح علاقاتها مع المؤسسة المسجدية، وذلك بغية محاولة تطهيرها تأطيرا شرعيا يخدم مصلحة مؤسسة المسجد وروّاده، ويجنب مكوناته أمر الوقوع في المحذور.

والملاحظ في ظاهرة البيع أمام المساجد أنها بدأت تنتشر بشكل ملفت للأنظار في الآونة الأخيرة بالمدن المغربية على وجه العموم بالمقارنة مع السابق، بعدما كانت قد بدأت بشكل محتشم وفي مدن محدودة معلومة، وذلك ببيع وعرض سلع لها علاقة بالوظائف العلمية والروحية للمسجد، يقول الأستاذ أحمد متفكر: 'كانت ولا تزال ظاهرة بيع الكتب المستعملة بالمزاد العلني بجوار جامع ابن يوسف بعد صلاة العصر من كل جمعة' (مساجد مراكش عبر التاريخ: أحمد متفكر، ص67، الوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، ط3، 1431هـ/ 2010م).

ويمكن الحديث في هذه الظاهرة عن نوعين من البيع: داخلي وخارجي، ولست أقصد بالداخلي ممارسة البيع والشراء داخل فضاء المسجد، فإن هذا مما قد ورد النهي عنه من الشرع كما سبقت الإشارة إلى ذلك في موضع سابق، وإنما أقصد بالبيع الداخلي ممارسة البيع في المحلات التجارية التابعة لمرافق المسجد؛ والتي

هي بمعزل عن مكان التعبد، فهذا النوع يدخل في إطار تدبير النفقات والاحتياجات العادية لمؤسسة المسجد، ولهذا الإطار موضعه الخاص بالدراسة في هذا البحث، أما نوع البيع الخارجي؛ فأقصد به ممارسة هذا النشاط خارج المسجد قرب أبوابه ومدخله، سواء عن طريق الأفرشة في الأرض أو عن طريق العربات باختلاف أنواعها، وهذا هو صلب البحث في هذا العنصر بالذات، سيما أننا أصبحنا نلاحظ في الآونة الأخيرة بعضا من التجار يسافرون وهم آمنين مساجد بعينها، يرمون تجارة معينة على مشارفها عوض التوجه إلى أسواق عرض السلع للبيع أو قصد أماكن مخصصة لذلك.

ولا شك أن هذا التطور الذي تعرفه هذه الظاهرة يجعلنا نتساءل حولها بعيدا عن تأييدها أو معارضتها، بل فقط من أجل فهمها واستيعاب مكوناتها التفاعلية وإدراك علاقتها بالمؤسسة المسجدية، ومن بين التساؤلات التي يمكن أن نقف عندها في هذا الإطار:

- لماذا يفضل الباعة المتجولون عرض بضاعتهم في هذا المكان عوض أمكنة أخرى لا تقل عنه تجمها من طرف الناس والمارة؟

- هل هناك فوارق موضوعية في ظاهرة البيع بهذا المكان بالمقارنة مع البيع في غيره من الأمكنة؟ أو إن الأمر مجرد مصادفة اعتباطية غير مخطط لها؟

- هل يلمس هؤلاء الباعة تميزا خاصا لأهل المساجد في ممارسة البيع معهم؟ أو إن هذا الأمر غير مؤثر بتاتا في هذه العملية؟

- هل هناك بضاعة معينة هي التي تعرض بالضبط على أهل المسجد؟ وبالتالي هناك تخطيط معين في هذا البيع أو إن الأمر يعرف حرية مطلقة دونما تفكير وتخطيط فيما سيعرض للبيع؟ أو تعرف بعض الأيام والمناسبات حضورا مميزا وخاصا لبعض السلع على خلاف ما هو معتاد في غيرها من الأيام؟

واخترت لمقاربة بعض العوامل المتدخلة في هذه الظاهرة أن أقوم بمعاينة ميدانية قرب مسجد النجد بمدينة الجديدة، نظرا لقربه مني ويسر إمكانية التردد وإجراء الملاحظات عليه، من خلال استجواب ثلاثة نماذج

لباعة متجولين¹ يلازمون نشاطهم التجاري قرب المسجد بشكل مستمر، أحدهم يبيع الخضر والثاني والثالث يبيعان الفواكه المتنوعة، والتي تتناسب حسب كل فصل من فصول السنة، حيث جاءت دواعي تفضيلهم للبيع أمام المساجد على النحو الآتي²:

المستجوب	الدواعي الشخصية
أ	-مكان ميسر من حيث تكاليف ممارسة التجارة بجانبه. -مكان يحصل فيه اجتماع الناس بشكل جيد.
ب	-تقريب السلعة من المواطنين رواد المسجد. -وجود تعامل مع فئة من الناس الطيبين. -اعتباره مكانا مناسباً بالمقارنة مع غيره.
ج	-وجود حركة دائمة ورواج مهم بجانبه. -تحاشي وتجنب الاصطدام مع السلطة في غيره من الأماكن. -الأمن والسكينة والهدوء بجانبه.

يتبين إذن من خلال هذه الدواعي أن هناك عوامل متعددة، يفضل من خلالها هؤلاء الباعة ممارسة نشاطهم التجاري أمام مؤسسة المسجد، فالبعض من هؤلاء الباعة يستحضر عاملاً واحداً، في حين أن البعض الآخر يستحضر أكثر من عامل في نشاطه، وذلك راجع إلى تداخل مجموعة من العوامل في الاعتبار لدى البعض ممن يمارسون تجارتهم أمام المساجد، وأهم هذه العوامل:

1-العامل النفسي: ويتجلى ذلك في الجو الذي يسود محيط المسجد بشكل عام، حيث الهدوء وتعظيم حرمة المكان، فالنفس البشرية تطمئن لهذا الجو لكونه منبعاً لراحتها وسكينتها، بخلاف ما نشاهده في الأسواق العامة من مشاجرات وخصومات أقل أحوالها السب والشتيم، فلا يجد الإنسان فيها راحتته، فعن ابن عمر أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْبَقَاعِ شَرٌّ؟ قَالَ: ((لَا أَذْرِي حَتَّى أَسْأَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ

¹قمت بتمييز كل مستجوب منهم بحرف من الحروف الأبجدية تفادياً للإحراج والتخوف الذي قد يحصل جراء ذكر الأسماء.
²لا يعتبر ما قمت به في هذا الصدد كافياً من جانب الدراسة الميدانية من أجل مقارنة شمولية لهذه الظاهرة، وذلك لأنني اقتصرته على مسجد واحد، إذ القصد مقارنة نوعية لبعض العوامل فقط.

السَّلام، فسأل جبريل فقال: لا أدري حتَّى أسأل ميكائيل، فجاء فقال: خير البقاع المساجد، وشهرها الأسواق)) [موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان: نور الدين الهيثمي (ت807هـ)، كتاب المواقيت، باب ما جاء في المساجد، رقم: 299، ج1/ص449، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني وعبد علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، ط1، 1412هـ/1992م].

2- العامل الاجتماعي: حيث يتأتى بهذا المكان اجتماع منتظم لعدد مهم من الناس، ممن لهم من صفات الخير والإيمان والخلق الطيب ما يشجع على ممارسة البيع معهم بنفس طيبة، بالإضافة إلى أن هذا البائع يقدم خدمة قريبة من المصلي، فيسهم بذلك في خدمة اجتماعية تعاونية، حيث لا يتحمل مرتادو المسجد عناء التنقل والبحث عن بعض السلع التي يحتاجونها إلى مكان آخر يكلفه وقتا وجهدا زائدين.

ولعل هذا العامل من العوامل الأكثر بروزا في تحييد هؤلاء الباعة ممارسة نشاطهم قرب المسجد، حيث إن المؤشر على ذلك هو الازدياد الذي يكون في عدد هؤلاء الباعة في مناسبة صلاة الجمعة، نظرا لوجود تجمع حاشد ليس له نظير في سائر الصلوات، فتكون بذلك فرصتهم المواتية لعرض مختلف المنتجات التي يحتاجها الناس، حتى إنه ليخيل للناظر بعد الانصراف من الصلاة وكأنه في سوق من الأسواق.

3- العامل الاقتصادي: ويتجلى في الربح المالي الذي يتأتى عن طريق اجتماع متكرر لعدد كبير من المصلين يقبلون على شراء ما يحتاجون، وفي المقابل، فالأماكن الأخرى تعرف نشاطا متفرقا في البيع، ومعلوم أن الجماعة فيها من البركة ما لا يحصل مع الأفراد متفرقين، فالدين الإسلامي يحث ويحض على الجماعة في كثير من الشعائر والتصرفات حرصا منه على تحصيل البركة وانتفاع الأفراد بها ماديا ومعنويا.

4- العامل الإيماني: ويتجلى ذلك في كون مجموعة من الناس الممارسين للتجارة يفضلون مباشرة نشاطهم قرب المساجد، حتى يسهل عليهم أداء الصلاة في وقتها، وذلك لوجودهم بالقرب منه، ونظرا للاتصال المباشر به، لكنه يلاحظ أن هذا العامل قليل من حيث الاستحضار والاعتبار من طرف المباشرين لهذه التجارة، حيث لا يعيره اهتمامه اللائق إلا من يقدر الصلاة حق قدرها، ولذلك، أخرت إيراده ضمن هذه العوامل، لا لمكانته، وإنما لحجم اعتباره من طرف الممارسين لهذه الظاهرة.

ويلاحظ كذلك حصول مجموعة من التصرفات المصاحبة للبيع أمام المساجد، والتي لا تنسجم بتاتا مع خصوصيات هذا المكان المحترم وقديسيته، وهذه التصرفات من قبيل تلفظ كثير من الباعة بألفاظ غير محترمة وفي بعض الأحيان بالسب والشتم، بل شروعهم في الصياح ورفع الصوت؛ سعيًا منهم نحو تكثير الزبائن واستقطاب أكبر عدد منهم، حيث يشرعون في سلوكهم ذلك مباشرة بعد تسليم الإمام بشكل لا يدع مجالًا للمصلي ليحصل خشوعه وتدبره في إتمام الأذكار بعد الصلوات، كما إن البعض منهم ممن يباشرون تجارتهم بواسطة العربات المحرورة بالدواب لا يتحرزون من النجاسات التي تلوث بها دوابهم جوار المسجد، ويقاس على ذلك ما يخلفه نشاط الباعة الذين يتاجرون في الأسماك، حيث يعرف هذا النوع من البيع انبعاث رائحة كريهة وترك بقايا ملوثة، فيساء بذلك إلى نظافة المسجد وجماليته؛ والتي من المفترض أن تكون أمرًا ثابتًا لا يقبل المساس، فيصبح بذلك مظهر مداخل المسجد في شكل مقزز وبشع، مما يعطي تصورا عاما مشينا، مفاده استفادة فئة من الناس وقضاء مصالحهم المادية على حساب الإضرار بالمسجد وأهله.

الفصل الرابع:

النشاط السياسي

والنشاط الحضاري

لمؤسسة المسجد

التفاعلي.

يتكون هذا الفصل كما هو جلي في مكونات عنوانه من قسمين: النشاط السياسي المسجدي والنشاط الحضاري المسجدي، ويرجع سبب دمجهما في فصل واحد إلى ارتباطهما معا بالتنظيم العلائقي التدييري الإنساني، سواء تحقق الانتماء لهذا الدين أم لم يتحقق ذلك.

1.4. النشاط السياسي لمؤسسة المسجد التفاعلي.

تقع معالجة هذا القسم في ثلاثة فروع: مؤسسة المسجد ومناهضة الاستعمار، مؤسسة المسجد ووحدة الأمة والفرع الثالث منها حول مؤسسة المسجد وعلاقتها بالأمن المؤدي للاستقرار، وقد راعيت في هذا الترتيب البعد التاريخي وأثره في هذا النشاط.

1.1.4. مؤسسة المسجد التفاعلي ومناهضة الاستعمار.

لقد اعتبر المسجد دعامة أساس في مناهضة ومقاومة الاستعمار، وذلك عبر مجموعة من المراحل التاريخية التي مرت بها الدول المحتلة التي تدين بالإسلام، ومن هذه الدول المغرب، والذي يهمني أكثر في هذا الفرع بالذات هو التركيز على كشف خطة المسجد في مناهضة هذا الاستعمار، وأهم النماذج المسجدية البارزة في هذه المناهضة، وطبيعة موقف المستعمر اتجاه هذا التصدي.

لما كانت التوجيهات الدينية المنبثقة من روح الرسالة الإسلامية ترسخ في نفوس المسلمين ثوابت التثبيت بالوحدة والأمن والاعتصام بالبيعة والولاء لولي أمر المؤمنين في المعروف؛ فقد جاءت رسالة المسجد التفاعلي مطابقة لهذا الأمر، خاصة عند اشتداد أزمات الاحتلال والغطرسة من طرف المستعمر الغاشم، وخير دليل على ذلك أن المسجد أسهم في أكبر انتصار خلال عهد الحكم السعدي بالمغرب بمعركة واد المخازن، وكان له الأثر الكبير في تحصين المقاومة المغربية بقوة خلال عهد الحماية الفرنسية للمغرب، حيث أطر علماءه ورجالاته حركة المقاومة بغرس معاني الجهاد والتضحية والحماس في نفوس الأتباع الذين لهم غيرة على الوطن وحرماته، فتشكل بفضل المسجد لدى مختلف الشرائح الاجتماعية وعي وطني بالقضية المتنازع حولها، يقول الأستاذ محمد أمrani علوي: 'وأصبح لها¹ دور مهم في مقاومة الغزو الفرنسي للمغرب، ذلك أنه بمجرد الإعلان

¹أي: المساجد.

عن توقيع معاهدة الحماية اشتعلت نار المقاومة بتأطير من العلماء والفقهاء، بل منهم من تزعم المقاومة وخاض حروباً كثيرة ضد القوات الفرنسية، وأصبح المسجد مركز انطلاق المظاهرات والانتفاضات ضد المستعمر بعد إصدار الظهير البربري¹ (المسجد وترسيخ الفكر الوحدوي بالمغرب: محمد أمrani علوي، ص 70/71).

وتعتبر هذه المرحلة التي تميزت بإصدار الظهير البربري من طرف سلطات الحماية مرحلة حاسمة وحرجة في الوقت نفسه، إذ أفصحت عن رغبة المستعمر في تشتيت شمل المغاربة وتمزيق وحدتهم، وبالتالي، فلا غرو أن تتلوها أشد أنواع المقاومات والانتفاضات من طرف الشعب الذي يأبى الخنوع ويفرض المساس بهذا الثابت الوطني الشرعي، يقول الأستاذ عبد الحفيظ ماموح عن الشكل الاحتجاجي الذي واجهته به الحركة الوطنية هذا القرار الجائر: 'ولعب المسجد أيضاً دوراً¹ أساسياً ضد الاستعمار، فوظف من طرف الحركة الوطنية للدعاية والتعبئة ضد المستعمر، من خلال الدروس والخطب والاجتماعات التي تدعو إلى المقاومة والجهاد، وتعتبر [حركة اللطيف] التي كانت كرد فعل ضد صدور الظهير البربري في ماي 1930م أهم شكل احتجاجي داخل المسجد، حيث تمت قراءة شعار اللطيف في جميع مساجد المملكة، ومنها خرجت مظاهرات واحتجاجات إلى الشوارع' (مقال: السياسة الدينية بالمغرب-وظيفة المسجد أنموذجاً، عبد الحفيظ ماموح، ص 38)، ويظهر من خلال هذا النص حجم التلاحم بين المغاربة، والاتحاد الذي ميز عناصر المقاومة الوطنية وعدم تنازلهم عن مبدأ الدفاع عن الوحدة الوطنية من خلال التربية المسجدية التي تربوا عليها، كما يظهر أنهم كانوا على تواصل وتنسيق في جميع الخطوات والقرارات النضالية التي تبناها، مما جعل مجهوداتهم تتكامل بالتوفيق والنجاح.

وبرز في تصدي مؤسسة المسجد لنفوذ الاستعمار المدمر مجموعة من النماذج التي اتخذت من المساجد منطلقاً لهذه النهضة الدفاعية عن حوزة الدين والوطن، ومن أبرز هؤلاء النماذج الملك الراحل محمد الخامس وعلال الفاسي في المقاومة المغربية، والجزائريان الأمير عبد القادر بن محيي الدين والعربي التبسي في المقاومة الجزائرية الشقيقة ضد الاحتلال الفرنسي.

فالملك الراحل محمد الخامس فاجأ الأوساط الدينية والسياسية لأهل طنجة خلال زيارته لها بإلقائه خطبة الجمعة بتاريخ 11 أبريل 1947م، والتي أرعبت الكيان الفرنسي، فجعلتهم يقومون على إثرها بعزل

¹ هكذا في النص الأصلي الذي تم الاقتباس منه، إلا أن الأولى التعبير بما هو أفصح لغوياً، أي: أدى المسجد وظيفة أساس.

المقيم العام أريك لابون واستبداله بالجينرال جوان، أما الأستاذ علال الفاسي؛ فقد كان يلقي دروس السيرة النبوية بالجامع الجديد في السيرة النبوية، ليحيي في النفوس أمجاد الأسلاف، ولينهض أهل طنجة بالدور المنوط بهم للمطالبة بالاستقلال وإخراج المستعمر [مقال: المسجد ودوره في اليقظة الطنجية لمناهضة الاستعمار/ د العربي بوسلهام¹، ص258].

وعرفت مدينة طنجة عدة مهرجانات خطابية لعدّة خطباء وسياسيين وعلماء، من بينهم الأستاذ سعيد رمضان والسيد إنعام خان الباكستاني سكرتير المؤتمر الإسلامي والشيخ المكي الناصري الذي كان همه إصلاح ما فسد من سلوك وإيقاظ المهمم، فالتف أهل طنجة حول هذا الأخير وتوحدوا لدعوته من أجل استرجاع الحقوق والإسهام في وحدة البلاد واستقلالها (مقال: المسجد ودوره في اليقظة الطنجية لمناهضة الاستعمار/ د العربي بوسلهام، ص258)، ولا شك أن هذه المقاومة والنهضة اللتين عرفتهما الحركة الوطنية قد قيض الله لهما هؤلاء الرجال من ذوي الخبرة والغيرة والإخلاص في حب الوطن، ما جعل القلوب تلتف حول كلمتهم وقراراتهم لتحقيق مصلحة البلاد والعباد، ولو لم يلمس الشعب في هؤلاء الرجال تلك المعاني والقيم الفاضلة والرائدة؛ لحصلت انتفاضة أخرى ضدهم، على غرار ما حصل ضد المستعمر من استنكار واستهجان، حيث إن الأمة لا تجتمع على ضلالة.

أما الأمير عبد القادر الجزائري؛ فقد أعلن جهاده ضد فرنسا من مسجد المبايعة في مدينة معسكر، وقام بإصدار العديد من البيانات الحماسية إلى الشعب الجزائري، يدعوه فيها إلى الدفاع عن الوطن، ومن جملة ما جاء في أحد بياناته قوله: "أيها الجزائريون قد أصبحتم الآن تحت رحمة رومي، يقاضيك رومي، ويدير شؤونكم رومي، إن الرومي قد انتهك مساجدكم وأخذ أراضيكم، وأعطاهما إلى بني جنسه واشترى أعراض نساءكم" (مقال: الدور التربوي والدعوي للمسجد أيام الثورة/ نور الدين طوابة، ص50).

ولا شك أنه أمام هذه المقاومة الصلبة لرجال الوطنية الشرعية، لم يقف الاستعمار مكتوف الأيدي، بل سعى بكل ما أوتي من قوة إلى نفس هذه المقاومة، إما بمواجهة أهل المساجد بما يشوش عن وحدتهم وتكتلهم ولحمتهم، وإما بمواجهة رجالها والتضييق عليهم في برنامجهم العلمي النضالي بالمساجد، وذلك بالمنع

¹أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بالرباط.

والتوقيف وتشويه سمعتهم لإسقاط رمزيتهن، وإما بالتعرض للمساجد بكل أشكال التدنيس والتخريب والهدم، يقول الأستاذ علي عبد الحليم محمود: 'ولم يكن شيء أهم لدى هؤلاء الأعداء من حرب المسجد، وإيقاف حركة التوجيه والإرشاد فيه، بل حرب بجميع المسجد للمسلمين في تلك الوحدة التي يتعلمونها من المسجد، وحدة الصف ووحدة الهدف ووحدة الاتجاه (القبلة)، ثم وحدة الغاية بالانطلاق بدين الله إلى عباد الله، هذا الذي أدركه أعداء الإسلام إدراكا حقيقيا، فناصروا المسجد من أجله العداء، ومهما نسي أصحاب الحضارات المعادية للإسلام فلن ينسوا أبدا أن الجيوش التي خرجت من الجزيرة العربية رافعة راية التوحيد غازية في سبيل الله قد استطاعت بروح المسجد أن تحقق من الانتصارات ما لا يزال موضع إعجاب ودهشة لكل من قرأ تاريخ هذه الانتصارات' (المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي: علي عبد الحليم محمود، ص 88)، فالوحدة الأمية والسياسية التي كان يتوخاها المسجد التفاعلي قد عمل الاستعمار على استهدافها، ليتسنى له بذلك إضعاف الصف وتشتيت القوى المقاومة من أجل سهولة قضاء مصالحه في الأرض المحتلة.

وعن الحقد الدفين الذي يكنه الاستعمار للمعاهد العلمية ذات الحس الديني المؤثر في المقاومة الوطنية يقول الأستاذ محمد السعيد: 'وكان الغاصب الدخيل ينظر بعين شزراء ملءها الحنق والحقد إلى المعاهد الإسلامية التي كان يرى فيها أوكارا لنسف مخططاته، وقلاعاً لمقاومة تحركاته، ولم يحب ظنه، فقد سجل التاريخ أن المعاهد الإسلامية عموماً وكلية ابن يوسف على الخصوص هي التي أنجبت قادة المقاومة وجيش التحرير، وهي التي أشعلت الأرض نارا تحت أقدام المستعمر، إلى أن فرّ مذؤوما مدحورا، يجر أذيال الخيبة والفشل' (مقال: مسجد ابن يوسف وإشعاعه العلمي والثقافي/ محمد السعيد (مراكش)، ص 131).

ومن المخططات التخريبية ضد كل من المساجد والمعاهد الدينية، والتي سعى إليها المستعمر من أجل القضاء على روح المقاومة والحيلولة دون سعيها في نشر الوعي بالقضية الوطنية - خاصة في الجزائر الشقيقة - يبعث بعض المساجد إلى اليهود مع إغلاق النوادي المسجدية ومحاكمة المعلمين بها، بتهمة التعليم بدون رخصة (مقال: الدور التربوي والدعوي للمسجد أيام الثورة، نور الدين طوابة، ص 43/42)، بالإضافة إلى مخطط تدميرها وتحويلها إلى كنائس ومخازن واسطبلات ومستشفيات بحجة توسيع المدن (مقال: التنظيمات المسجدية/ رؤوف القاسمي، ص 101)، ومن أمثلة هذه التحويلات الغاشمة ما حدث لمسجد كشتاوة حيث إنه من سنة 1832م إلى غاية 1962م ظلّ الناقوس يسمع من منارته بدل الآذان (مقال: الدور التربوي للمؤسسات

الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي (المساجد والكنائس) / ذ بلال ريم، ص190)، فصار على حد تعبير الشاعر أبي البقاء الرندي:

حتى المساجد قد صارت كنائس ما فيهن إلا نواقيس وصلبان

حتى المحارب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدان¹

ومن الأمثلة الحية على التدنيس ما فعله الاستعمار البرتغالي بمدن السواحل المغربية، حيث تحولت إلى أماكن لرمي الأزيال والقمامات، يقول الأستاذ إبراهيم كريدة: 'وجريا على عادتهم في احتلال أي مدينة إسلامية بالمغرب؛ فإن البرتغاليين لم يتورعوا عن تدنيس مساجدها وزواياها وإهانتها، قبل أن ينقضوا عليها بالتخريب والهدم، ويحولونها إلى مفارغ لقاذوراتهم ومرتعاً لفضلاتهم، ولم يسلم من هذا المصير المحزن والمهين مسجدنا الأعظم (بأسفي)' (شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بأسفي: كريدة إبراهيم، ص53).

والجدير بالذكر أن حملات التدنيس والتحويل شملت عددا مهما من المساجد والمؤسسات الدينية، ولم يسلم منها إلا تلك التي بقيت تحت إشراف ومراقبة المستعمر نفسه، مع أنها حرمت على العلماء الناشطين بها حركة الوعظ والتدريس في إطار أشكال التضييق عليهم (مقال: الدور التربوي والدعوي للمسجد أيام الثورة: طوابة نور الدين، ص39)، وهذا ما جعل السلطة السياسية على المساجد تتخذ إجراءات حمائية للمساجد من غطرسة وظلم المستعمر، يقول بيير بارون: 'تجلت مظاهر السياسة الإسلامية في منع التقاط الصور للقصور السلطانية وللبنائيات الدينية، ومنع الأوروبيين من الولوج إلى المساجد والمدارس الإسلامية إلا فيما ندر، طبقا لقرارات بلدية صدرت في ماي سنة 1921م، وقد أعطى ليوطي المثل بنفسه عندما أبقى إباء كليا أن يجتاز العتبة ويدخل للضريح الإدريسي' (تطويع الأهالي زمن الاستعمار الفرنسي مغرب (1912-1939): بيير بارون، ص33، ترجمة عبد الرزاق لكريط، مطبعة وراقة بلال، فاس، ط1، 1437هـ/2016م).

يمكن أن نقول إن محاولات الإصلاح التي قد تبناها المستعمر كانت جد محتشمة في مجال العناية بالمساجد وأهلها، بل هي من قبيل در الرماد في أعين الناس، فإدارة الحماية الفرنسية للمغرب كانت تتشدد في

¹ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (1362هـ)، تحقيق: لجنة من الجامعيين، دار المعارف، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

إصلاح المساجد التي تتطلب الإصلاح، وتحول دون بنائها، بل تسعى لعرقلة هذا الأمر من أجل كسر شوكة الإسلام (شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بآسفي: كريدية إبراهيم، ص64)، كما أن العاملين بالمساجد عاشوا تهميشا واضحا من قبل المستعمر، يقول الأستاذ علي عبد الحليم محمود: 'وفي الوقت الذي يزعم فيه المستعمرون أنهم يحاولون تطوير مرافق البلاد؛ لم نسمع أو نقرأ أن جهودا لهم تستهدف الظروف الاجتماعية أو الاقتصادية للعاملين على المسجد، بل لم تبذل الجهود للعناية بتنظيف وصيانة المسجد والعناية به، فضلا عن أن تعتمد له ميزانية للإنفاق عليه وعلى القائمين به' (المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي: علي عبد الحليم محمود، ص90).

ويدل ما سبق على أن المستعمر الفرنسي كان على وعي تام وإدراك عميق بالأركان التي تقوم عليها المؤسسة المسجدية، والتي يمكن أن تنجح بشكل كبير في تأطير المقاومة ضده، وذلك لكون الحس الدين الوجداني والمرجعية الشرعية المنبثقة من الصدق يمثلان الدعامين اللتين تحركان هذه المقاومة، وبالتالي، فقد عمل هذا المستعمر على مواجهتها والتصدي لها بكل ما أوتي من قوة من أجل محاولة لإضعاف تكتلها وإخماد مخططاتها ضده.

كما يدل ما سبق على أن المستعمر سعى إلى ترجمة حقه وغله على أهل الأرض ترجمة عملية تُعرب عن درجة كراهيته لهم ولدينهم ونيته السيئة في طمس هويتهم الدينية والوطنية، وبالتالي، لا يرجى منهم خير للبلاد ولا للعباد، بل إن كل الإصلاحات التي قاموا بها هي من قبيل خدمة مصالحهم الخاصة التي تناظر قيمة وجودهم بهذه الأرض، أو هي من قبيل المظاهر التي يسعون من خلالها إلى تغطية الوجه الحقيقي لوجودهم وأفعالهم بأرض الاحتلال.

2.1.4. المسجد ووحدة الأمة.

لما كانت وحدة الأمة مقصدا شرعيا؛ فقد تضافرت نصوص القرآن والسنة على بيان أهميتها وعظم شأنها والسعي الجدي بكل الجهود والسبل للحفاظ على وجودها، وهكذا جاءت رسالة المسجد رسالة تهدف بالأساس إلى تحقيق وحدة الأمة والحيلولة دون تمزيقها أو تفرقها، فالمؤسسة المسجدية مؤسسة وحدة من خلال التأمل الأولي في شكل تصميمها وأركان إقامتها، وأكبر أنموذج عملي مادّي على ذلك هو القبلة، [التي هي

رمز لوحدة جماعة المسلمين لعبادة الله الواحد] (المساجد في المدن العربية: المعهد العربي لإنماء المدن، ص185/186) حيث تعبر عن وحدة التوجه والاتباع، وبالتالي، فإن أهلها يوسمون بأهل القبلة، وأهم مميزاتهم المفترضة هي الوحدة في الاجتماع والقرار.

والجدير بالذكر أن توحيد الناس أمر يمكن أن يتحقق في عدة أمكنة، إلا أن مؤسسة المسجد التفاعلي تظل فريدة في هذا التجميع الوحدوي الذي تقوم به، من خلال تنوع الوسائل القوية والممارسات القولية والسلوكية التي تمكنها من هذه الغاية، بالإضافة إلى قدرة هذه المؤسسة على احتضان فئات وشرائح اجتماعية مختلفة، ومن النماذج النبوية التطبيقية لهذه التربية الوحدوية ما روي عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ((خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ جُلُوسَ حِلْفًا حِلْفًا، فَقَالَ: "مَا لِي أَرَأَكُمْ عَزِينَ¹)) [موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان: الهيثمي (ت807هـ)، كتاب المواقيت، باب ما نهي عن فعله في المسجد، رقم: 312، ج1/ص99]، ولا شك أن هذا مما يسهل ويمهد الانخراط الإيجابي في عملية توحيد وتقوية الصف وتوحيد الكلمة، بالإضافة إلى درء وساوس ونزغات الشيطان التي تؤثر بشكل نفسي في الأفراد، يقول الأستاذ إبراهيم كريدية: 'كانت المساجد منذ القديم بما تستقطبه ويحتشد فيها من المصلين، ينتمون إلى كل الطبقات الاجتماعية، مكانا ممتازا لتجميع الناس وتوعيتهم بما يحدق بالوطن من أخطار داخلية وخارجية، وأيضا لاستنفارهم قصد مواجهتها وحماية العباد والبلاد من آثارها وتبعاتها، وقد استمر هذا الدور حتى في عهد الحماية الاستعمارية، بل زاد قوة وتأثيرا، فعبّر الخطب وحلقات الدروس كانت نخبة من العلماء الوطنيين يفضحون بالتصريح أو التلميح ممارسات المستعمر ومكائده' (شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بأسفني: كريدية إبراهيم، ص95/96).

ومن خلال تتبع الوحدة التي تحققها مؤسسة المسجد التفاعلي وتسعى إليها من خلال نشاطها، يمكن أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام: الوحدة الفكرية والوحدة الاجتماعية والوحدة السياسية.

فالوحدة الفكرية للأمة تقتضي توحيد مرتادي المساجد في منهج تبني الأفكار، ولا شك أن هذا التوحيد يتطلب تنسيقا وتخطيطا مسبقا بين المساجد في إطار شبكة موحدة للموضوعات والمعلومات التي يتم

¹عزين: متفرقين.

تصريفها من خلال الخطاب المسجدي، ليتم بذلك إنتاج نماذج متقاربة من حيث الفكر والمنهج والغاية، جاء في الدروس الحسينية حول هذه الوحدة ما يلي: 'وفضلا عن الوحدة الاجتماعية، تسهم مؤسسة المسجد في تكريس الوحدة الفكرية للأمة التي تجسدها اختيارات معينة، الغاية منها تحقيق الوحدة بين المسلمين ودرء الاختلافات المذهبية والنزاعات العقدية التي من شأن حصولها نشوب الخلاف والتدابير والفوضى بين أفراد المجتمع' (الدروس الحسينية لرمضان 1434هـ: منشورات وزارة الأوقاف، ص 67)، ونلمس من هذا الاقتباس أن الوحدة الفكرية هي المولد الرئيس للوحدة الاجتماعية بين أفراد الأمة، فلا يمكن تحصيل نسيج اجتماعي موحد إلا بتوحيد مكوناته فكريا، كما أن التشتت الفكري للأفراد يسبب لهم التدابر والاختلاف والتفرق، وهذا مرده إلى اختلاف وتشعب مناهج التفكير وتوليد الآراء، ومظاهر هذا التمزق الفكري في المجتمع كثيرة منها حدوث الفوضى بين أفرادها والرغبة في الانتصار إلى الذات، عوض التقويم الذاتي الموضوعي والبناء الفكري المنهج لهؤلاء الأفراد، ولعل من أهم وأبرز القيم التربوية التي تتعلق بالمجال الوحدة الفكرية للأفراد والتي يسعى المسجد إلى تحقيقها هي جعل الفرد جزءا من الكل تحتفي مصلحته الذاتية أمام مصلحة الجميع، يقول الأستاذ محمد أمراني علوي حول المسجد والبناء الوحدوي للأمة: 'والتاريخ المغربي شهد في عدد من المحطات الحاسمة دور المسجد في ترسيخ الانتصارات، وفق المنطق الوحدوي المساهم في تقديم مصلحة الوطن على المصالح الفردية الضيقة' (المسجد وترسيخ الفكر الوحدوي بالمغرب: محمد أمراني علوي، ص 68/69 بتصرف).

تبرز الوحدة الاجتماعية التي يحققها المسجد في ضمان حياده واستفادة الجميع من خدماته ونشاطه، بشكل سواء دون تمييز أو إقصاء لأحد، فالجميع سواسية في الاستفادة من المؤسسة المسجدية، ولعل هذا مما يضمن له الحماية من التجاذبات السياسية والاجتماعية (الدروس الحسينية لرمضان 1434هـ: منشورات وزارة الأوقاف، ص 72)، أي أن المؤسسة المسجدية يجب أن تكون مؤسسة محايدة؛ لكي تبقى سليمة في أدائها لوظيفتها السياسية، وبالتالي، فالمؤسسة المسجدية تفترض في جودة عطائها الوظيفي ووحدةها الاجتماعية القوية أن يكون هناك تجرد تام لنشاطاتها من أي انتماء أو أي تحيز إلى جهة سياسية أو قبلية معينة، حيث إن أي ميل من هذا القبيل يضعف هذه الوحدة ويجعل أهل المسجد خلايا متفرقة ليس بينهم وشائج ولا التحام.

ومن أبرز المظاهر الوحدوية للمؤسسة المسجدية في شقها الاجتماعي خلال التاريخ المغربي-خاصة في خضم الأزمات السياسية التي عاشها الوطن-المواجهة التي واجه بها الشعب قرار المستعمر حينما حاول

خلق الصراع بين العرب والأمازيغ انطلاقا من إصداره للظهير البربري، حيث تشكلت هذه المعارضة الشرعية على امتداد ربوع المملكة المغربية تندد بهذا القرار الذي يضرب بعمق في صميم الوحدة الوطنية لمكونات الشعب المغربي، ومن أبرز المدن التي أعربت عن شجبها ونكيرها لهذا القرار الممزق مدينة آسفي، يقول الأستاذ إبراهيم كريدية: 'ومن الثابت أن الدور النضالي لمساجد آسفي صار أكثر بروزا بعد صدور الظهير البربري في 16 ماي سنة 1930، ونسجل هنا أن مدينة آسفي كانت من المدن الأولى السبّاقة إلى رفع صوت النكير ضد إجراءات هذا الظهير، الرامية إلى نسف لحمّة الإسلام التي تربط الأمازيغ بإخوانهم العرب، ففي شهر يوليوز 1930 صدعت أرجاء المسجد الأعظم بترديد اللطيف، وقد قاد هذه التظاهرة العلامة الفقيه الكانوني بتكليف من الجماعة الوطنية بآسفي' (شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بآسفي: كريدية إبراهيم، ص 97).

يتفرع عن تحقيق الوحدة الاجتماعية بواسطة المؤسسة المسجدية السعي إلى تحقيق الوحدة السياسية للأمة، أي: فيما يتعلق بالشأن العام الذي يهم تسيير البلاد وجلب مصلحة العباد في علاقتهم مع الوطن، وبالتالي، فكل استثمار من طرف هذه المؤسسة للطاقت الممكّنة سواء بشرية أو خطابية لربط رواد المسجد بالوطن والإسهام في تقوية الصلة به [عبر التذكير بتاريخه وأمجاده وغرس قيم وأسس المواطنة والفضيلة في نفوس الأجيال الصاعدة] (مقال: المرجعية الدينية الوطنية للخطاب المسجدي/ بودالية تواتية وسوالمية نورية، ص 77)؛ فهو من قبيل الوحدة السياسية التي يهدف إليها المسجد التفاعلي، وذلك حتى يسهم هذا الجهد في حماية الوطن من كل الأخطار الداخلية والخارجية التي تهدد أمنه.

يمكن القول إذن؛ إن الوحدة السياسية للمؤسسة المسجدية هي قسمان وحدة داخلية ووحدة خارجية، فالوحدة الداخلية تتميز بالوطنية والالتفاف حول الوحدة القيادية للبلد؛ تحقيقا للمصلحة العامة ووحدة الكلمة واجتنابا للفتنة، أما الوحدة الخارجية؛ فهي تحصين الجسم الداخلي للأمة ضدّ العدوان الخارجي الذي يسعى إلى إضعاف أهل البلد لاستنزاف خيراته وطاقته.

ويمكن الحديث داخل قسم الوحدة السياسية الداخلية عن الوحدة القيادية للمسجد التفاعلي والتي تستنبط من بعض فروع الفقه الإسلامي، والتي تستلزم وحدة الطاعة وعدم الخروج عن الجماعة الأصلية أو الجماعة الأم، فعلى سبيل المثال لهذه الوحدة السياسية القيادية نجد الكلام الفقهي حول حكم الجماعة الثانية

في المسجد الذي له إمام راتب¹؛ وذلك إذا أتمت الجماعة الأولى مع الإمام، حيث إن هذه النازلة لها بعد مباشر بالقيادة التي أنيطت بالإمام، فوجود إمام آخر بعده قد يضعف نمط هذه القيادة، بالإضافة إلى ما يؤدي به إلى [منافاة غرض الشارع من مشروعية الجماعة الذي هو جمع قلوب المؤمنين وتأليفهم وعود بركة بعضهم على بعض، وله شرع الجمعة والعيد والوقوف بعرفة] (المسجد في الإسلام: خير الدين واثلي، ص83)، ولذلك نجد المذهبين الحنفي والمالكي يأخذان بعين الاعتبار هذا البعد؛ فيتجهان نحو منع الجماعة الثانية في المسجد الذي له إمام راتب، حيث ورد فيما نقله ابن عابدين الدمشقي الحنفي (ت1252هـ) النص على الكراهة وعدم الجواز مستدلاً بفعل السلف في عهد النبوة والخلفاء الراشدين وأن الأفضلية المطلقة للجماعة الأولى (رد المختار على الدر المختار - حاشية ابن عابدين - ابن عابدين الحنفي، ج1/ ص396، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1412هـ / 1992م).

وينبغي أن يعلم أن أمر تحقيق الوحدة بكل مكوناتها السياسية رهين بحسن تدبير الحاكم وارتباطه التطبيقي والعملي بالمؤسسة المسجدية، ليس فقط ليضفي المصداقية والشرعية على ولايته، بل لينجح في توحيد الناس بتحقيق وحدة كلمتهم وصفهم على قراراته المصيرية وتوجهاته التي تمهمهم وتهم بلادهم، يبين الأستاذ عبد السلام العزوزي هذا التوظيف السياسي المسجدي بما يحقق الوحدة بين الحاكم ومحكوميه، فيقول: 'وكان المنبر أشبه بالعرش، يلقي منه بيان الخليفة لسياسة الدولة، ويلقي فيه خطبته الأولى، ويبين فيها سياسته في الحكم، وفي المسجد تذاع القرارات الهامة التي تتعلق بالصالح العام²، ويستقبل الخليفة السفراء، ويدير شؤون الدولة' (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ عبد السلام العزوزي، ص24)، ويمكن أن نصطلح على هذه الوظيفة المنبرية المسجدية بوظيفة التوحيد الحاكمي، وذلك بما يمتلكه المكان ويختص به من سلطة وحدوية فاعلة مؤثرة.

3.1.4. مؤسسة المسجد والأمن المؤدي للاستقرار.

¹ من المسائل الخلافية في الفقه الإسلامية، والتي لم ينقل فيها الاتفاق على قول واحد مجمع عليه.

² الأولى في هذه الوظيفة الجزئية ضمن هذا النص أن يتم تصنيفها داخل الوظيفة الإعلامية لمؤسسة المسجد التفاعلي، وذلك لأن فعل الإخبار والإعلام فيها أظهر وأولى.

لا شك أن الكلام عن علاقة مؤسسة المسجد بظاهرة الأمن تتداخل فيه عدة عناصر، يمكن أن تندرج تحت الوظيفة الاجتماعية لهذه المؤسسة، ويمكن أن تندرج تحته عناصر ضمن الوظيفة السياسية لمؤسسة المسجد، وأحسب أن الحسم في هذه القضية أمر صعب، إلا إذا كنا في إطار تحديد للأهداف التي يمكن أن تنتج عن معالجة هذه العلاقة، فلو فرضنا أن تطرقنا لموضوع الأمن في علاقته مع مؤسسة المسجد يتم بالنظر إلى قياس حجم تأثيرها في التفاعلات الاجتماعية لأهل هذه المؤسسة وأثرها في تقوية الروابط وإقامة العلاقات بين أفرادها ومدى حضورها في معالجة مختلف المشاكل الاجتماعية ومواكبة مجموعة من الظواهر الحية داخل المجتمع سواء من حيث النقد أو من حيث التعزيز؛ فإننا نكون حينئذ بصدد معالجة للأمن في سياقه الاجتماعي في إطار عمل المؤسسة وظيفيا نحو تحقيق وتثبيت هذا المبدأ، أما إذا كان النقاش في هذا الأمن يتركز حول مدى إسهام هذه المؤسسة في الأمن المتعلق بالدولة وأجهزة تسييرها وتثبيت معاني القيادة المتجلية في مبدأ السمع والطاعة والبيعة للحاكم الشرعي فيما يعود على البلاد والعباد بنعمة الأمن الذي تستقر معه الأوضاع وتنتفي معه الفتن والاضطرابات؛ فإننا نكون حينها أمام مناقشة الأمن المسجدي في شقه السياسي.

وقد سبق إيراد ما أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك في العلاقة بين الأذان والأمن¹، حيث تم التطرق إليه في خضم الحديث عن رمزية المسجد وكونه مؤشرا على تدين أهل البلد بالإسلام، لكن الحديث في الآن نفسه يدل على أن المساجد تحفظ للبلد أمنه واستقراره السياسي، لأنها تفصح عن طبيعة أهلها وأنهم مسالمون، ليس لهم هم إلا الصلة بخالقهم عن طريق أنواع التعبد المختلفة التي تمارس من خلال هذه المؤسسة.

تسهم المؤسسة المسجدية في حفظ أمن واستقرار البلاد عن طريق أمرين:

1- عقد البيعة لولي الأمر: ونظرا لأهمية هذا العنصر؛ فهو يعتبر من ثوابت الأمة التي ينتمي عليها عمل القيم الديني في مؤسسة المسجد، أي أن المسجد مؤسسة سعت ولا تزال تسعى إلى ترسيخ المصادقية السياسية لولي الأمر، [فقد كان الخليفة يبايع في المسجد، ومن منبره يلقي خطبته الأولى التي هي أشبه ببرنامجه، وكانت الأهمية السياسية يشخصها المنبر عندما كان المتكلم من فوق المنبر هو الخليفة أو من ينوب عنه، ... وظلت الرمزية السياسية للمسجد قائمة بعد الخلفاء، أي في عهد الأمويين والعباسيين] (الدروس الحسنية

¹الصفحة 102.

1434هـ: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص60 بتصرف)، وشهد التاريخ ببيعة مجموعة من الولاة بالمؤسسة المسجدية، تأكيداً على أثرها في اتخاذ القرارات السياسية ومكانتها الكبيرة في إعطاء المصادقية والشرعية على الحكم، ومن شهد التاريخ لهم بالبيعة في المسجد:

[الخليفة إدريس المامون بن يعقوب المنصور الموحيدي (ت629هـ / 1231م)، ببيع بالجامع بعد صلاة العصر من يوم الأربعاء 28 شوال 624هـ / 13 غشت 1227م.

-الخليفة إدريس بن محمد بن عمر الملقب بأبي دبوس (ت667هـ / 1268م)، ببيع في الأحد 23 محرم 665هـ / 24 أكتوبر 1266م] (مساجد مراكش عبر التاريخ: أحمد متفكر، ص87).

ولا شك أن إجراء البيعة للولاة بمؤسسة المسجد يحمل مجموعة من الدلالات العظيمة التي لها بعدها النفسي المؤثر، حيث إنها تمثل ميثاق عهد والتزام بين الراعي والرعية، يستلزم الوفاء وتمام الرعاية، فكلما تذكر أحدهم مكان هذه البيعة؛ إلا واستشعر معه عظم الأمانة الملقاة على عاتقه جراء ذلك، ومن أجمل ما ذكر في وصف بيعة الملوك الأدارسة ما ذكره الأستاذ أحمد بودهان في بيعة إدريس الأكبر: 'ومن هنا كانت بيعة المغاربة له بيعة دينية إسلامية، قائمة على الرضا والحب والوفاء والولاء والسمع والطاعة، كما عاهدتهم بدوره على القيام بواجب المسؤولية والدفاع عن مصالح دينهم وديانهم، وكانت هذه البيعة بالمسجد يوم الجمعة رابع شهر رمضان المعظم سنة 172هـ / 779م، وأول مسجد بناه المغاربة في عهد إدريس الأكبر هو مسجد تلمسان، وقيل إن بيعته جاءت بعد بناء هذا المسجد' (مقال: المسجد ودوره الحضاري في الغرب الإسلامي / أحمد بودهان، ص90).

2-الحرص على تجنب الفتن وكل ما من شأنه تهديد تماسك وحدة الأفراد والجماعة، فالأمن خط أحمر وثابت من الثوابت التي لا تقبل التنازل ولا التفاوض.

تعتبر الخطب المسجدية من الأدوات المسجدية الفعالة في حفظ وتحقيق الاستقرار والأمن داخل البلاد، وذلك عن طريق مجموعة من التدابير والإجراءات، على رأسها تأهيل وتكوين الخطباء المسجدين على

المقصد الموضوعي من زواياه المنهجية ومن زواياه المعرفية¹، فكم من خطبة افتقدت إلى هذه المقومات؛ فكانت عاقبتها التحريض وإثارة الفتن والبلبله وتشجيع الخروج عن جماعة المسلمين وولي أمرهم، فسادت الفوضى وشاع الفساد على إثر ذلك، فقد يستدعي الأمر إجراء تحديث وتجديد في نوعية الخطاب المسجدي، كما وقع في الجزائر [خلال العشرية السوداء أخذنا بعين الاعتبار التاريخي ظروف وملابسات الأزمة الأمنية التي مرت بها البلاد في تلك الحقبة] (مقال: المرجعية الدينية الوطنية للخطاب المسجدي/ بودالية تواتية وسوالمية نورية، ص 87-88).

ويحكي باتريك دي جافني عن نماذج لإسهام خطب منبرية في تحصيل الأمن والاستقرار في أوضاع البلاد، وذلك من خلال الواقع المصري، حيث يقول عن أحد الخطباء الذين يمثلون النموذج المختذى به في الوسطية والاعتدال: 'ثم يمضي الخطيب في خطبته بلغة كلاسيكية منمقة ليذكر كيف خصّ الله عباده المؤمنين، الذين يقتدون بالرسول ويهتدون بهديه، بأن ذكرهم ووعدهم بالأمن، مضى الخطيب يركز على ((الأمن)) وعلى وعود الله الثلاثة لعباده المؤمنين² مذكرا إياهم أن هذا الشكر هو لبّ ((الأمن الغذائي)) ... كان الخطيب يختار تلك الأمثلة بعناية لتوائم³ مفهوم ((الأمن الصناعي)) الذي كان السادات يردّد أنه عملية تسير متوازنة لعملية الأمن الغذائي' (خطباء المساجد من الدعوة إلى التحريض: باتريك دي جافني، ص 142).

يتبين إذن من خلال وصف باتريك أن تركيز الخطيب على معالجة الأمن يتم منهجيا من خلال تمظهراته وآثاره الواقعية، والتي تتميز بالميلول أكثر نحو الفكر المادي (غذاء-صناعة...) مع ربط ذلك بمسئلته

¹ يشير الدكتور إبراهيم بارا في المقابلة العامة التي أجريت معه حول موضوع الأطروحة إلى ضرورة العناية بالتكوين الدعوي والفني التواصل للقيم الديني، خاصة الخطيب، لما في ذلك من أثر كبير يرمي إلى إنجاح رسالته المسجدية.

² في إشارة إلى قوله تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (سورة النور: الآية 55).

³ في النص الأصلي: تتواءم، لكن يبدو أن هناك مشكلا على مستوى الترجمة، لأن الفعل (تواءم) فعل لازم يحتاج إلى حرف الجر (مع)، لذلك قمت بتعديلها إلى: توائم، مع إبداء الملاحظة في هذا الصدد.

الشرعي، لأن مستويات المتلقين غير موحدة في الإدراك؛ فمنهم من يقف على مجرد المحسوس، ومنهم من يستطيع الوصول إلى إدراك المعنويات وتذوقها بشكل سلس.

ويعتبر هذا المسلك استراتيجية منهجية للإسهام في حفظ استقرار الوضع السياسي للبلاد وإبعادها عن الفتن، ونجد في المقابل أن المقاربة الاجتماعية لموضوع الأمن في علاقته مع المؤسسة المسجدية لا تعدو أن تكون تسليطاً للضوء على الروابط والعلاقات الاجتماعية التي تربط بين الأفراد في استقلالية تامة أو شبه تامة على الوضع وأحوال العلاقة المنسوجة بين الراعي والرعية.

لكن الآية التي اعتمدها الخطيب -فيما نُقل- والمشملة على الوعود الثلاثة تصلح في عموم الاستدلال لمنشأ ومنيع الأمن، سواء كان هذا الأمن سياسياً أو كان اجتماعياً، فالعبادة مجلبة لمطلق نعمة الأمن دون تقييد له بوصف من الأوصاف.

ولذلك، نجد باتريك في موضع آخر يحلل المقاربة الأمنية لاستقرار الوضع من خلال الأنموذج الخطابي المسجدي الذي يقوم بتوصيفه عبر ربط الصلة بالعبادة بشكل دائم، حيث يسجل الملاحظات الآتية:

'-ارتباط الأمن بشهر ذي الحجة.

- كل تقصير أو خروج على التعاليم يعيق تحقيق الأمن والأمان في الدنيا (خطباء المساجد من الدعوة إلى التحريض: باتريك دي جافني، ص143).

-الإيمان يوفر الأمان، إذ إن انتساب الفرد لجماعة المؤمنين يضفي عليه الحس بالأمن الداخلي الروحاني، ويضمن حماية الجماعة الجديدة التي ينتسب إليها، حتى ولو نبذه أهله وعشيرته.

-الشيخ عثمان له مفهوم ملموس للأمن: الطعام، المأوى والرعاية الصحية، لكنه يربط هذا المفهوم مباشرة بأداء فريضة الصلاة.

-الصلاة مرتبطة بالأمن، أمن الغذاء وأمن الوطن والأمن السياسي... ' (خطباء المساجد من الدعوة إلى التحريض: باتريك دي جافني، ص161/ 165 بتصرف).

ولا شك أن هذه الدلالات والنماذج الأمنية - سواء كانت إشارات زمانية أو مكانية أو سلوكية - تؤكد أن وضعية الاستقرار السياسية التي تحتاجها الدولة لا تقوم لها قائمة إلا بحسن استغلال الآلية الخطابية التي تتخذ من المنبر المسجدي منطلقاً لبثها وتبني المنهج السليم والملائم لضمان حفظها وبقائها، نظراً لأنها بوابة ومفتاح كل خير سواء في المجال الاجتماعي والسياسي.

ومنه، فقد باتت الحاجة ماسة إلى هذا التوظيف وإلى هذا الاستثمار، خاصة مع تطور الأوضاع السياسية في مجموعة من البلدان الإسلامية، والتي آل فيها الأمر إلى زعزعة وتهديد الاستقرار الأمني الداخلي لكيانها، يقول الدكتور عبد الهادي أعراب في تعليقه عن الوضعية الأمنية وعلاقتها بالخطاب المسجدي في المغرب بعد تفجيرات الدار البيضاء: 'أما في الظروف الراهنة، فقد أمكننا أن نلاحظ أنه بعد أحداث 16 ماي 2003، تعبأت المساجد في كل أنحاء البلاد للتنديد بالأعمال العنيفة التي أودت بأرواح الكثير، ووظف الخطباء منابرهم الأسبوعية لتبرئ ساحة الإسلام من هذه الممارسات التي وصفت بالإجرام والإرهاب، وأكد بعضهم أيضاً على أن الحقل الديني لا ينبغي أن يبقى مفتوحاً كما كان أمام أئمة وخطباء نصف أميين أو متطرفين أو لا تتحقق فيهم ضوابط الإمامة من الاجتهاد الفقهي والديني' (المساجد والتحكم الديني للدولة بالمغرب: عبد الهادي أعراب، ص92).

وبالتالي، فإن من أخطر المداخل المؤدية إلى إثارة الفتن وتهديد استقرار الوضع السياسي عدم التدقيق في أهلية المتصدرين للشأن الخطابي بمؤسسة المسجد، وذلك من حيث التحقق بالأدوات العلمية والضوابط المنهجية لممارسة الوظيفة المسجدية المنوطة بهم، وممكن الخطر يتجلى في أن تصدير أمثال هؤلاء يكشف عورهم للعامة؛ فيذهبون خارج المؤسسة المسجدية يلتمسون من يسد هذا الفراغ ومن يملأ هذا الخصاص، وهنا يزداد احتمال وقوع الخطأ من طرف هذه الفئة الملتزمة.

كما أن تحقق الفراغ العلمي من هؤلاء يجعلهم يخوضون في موضوعات وقضايا كبرى، تتصل بالسياسة العامة للأمة؛ فيصدرون بذلك أحكاماً جائرة وفتاوى بعيدة، بل تفتقر إلى التأصيل المعرفي والنظر المالي، مما قد يكون سبباً في إحداث الفتن وتجييش العواطف نحو العنف والاصطدام المنافيين للأمن والاستقرار.

وعلى غرار كثير من الأنحاء الإسلامية التي وصل فيها المسجد التفاعلي مرتبة الريادة في توفير وحماية الجانب الأمني للبلاد؛ أسهم جامع الأزهر بمناهجه العلمية ورجالاته في هذا الموقف، ليسجل له هذا الموقف تاريخيا وحضاريا، يقول في ذلك الأستاذ فريد أمعشوشو: 'وقد أعانتهم¹ مكانتهم الدينية وسلطتهم الروحية على الاضطلاع بمهام تمس من قريب حياة الناس الاجتماعية والسياسية، لا سيما في زمن المخاوف والفتن والقلقل، إذ كانوا يخرجون من أقبية الأزهر وجناباته ساعين إلى استتباب وإخماد نار أية فتنة موقدة من أي جانب، وتجميع كلمة المصريين على أمر سواء، لأنهم كانوا مدركين حجم المسؤوليات الملقة على عاتقهم وخطورة الفوضى والاستقرار السياسي والاجتماعي على مصر كلها' (مقال: المسجد موضوعا شعريا/ فريد امعشوشو، ص89)، وبالتالي، فالمسجد التفاعلي أول مؤسسة يفترض فيها أن تسهر على حماية الأمن السياسي، نظرا لأن رجاله وأهله المتمكنين هم أول الناس إحساسا ووعيا بخطورته وأهميته في الحياة العامة للناس، وعليه، فإنه لم يكن بينهم خلاف على أنه² هو [المنطلق والآلية الفعالة التي لا محيد عنها لدفع الأخطار ومواجهتها، حتى يتحقق للمؤمنين الأمن والأمان اقتداء بما كان يوجه به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه] (المسجد ونشاطه الاجتماعي عبر التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي: ص86).

2.4. الإشعاع الحضاري لمؤسسة المسجد التفاعلي.

حينما نتحدث عن الحضارة؛ فإننا نوسع مجال وأفق العطاء والإشعاع المسجدي، وذلك بشكل يحقق النفع للبشرية كلّها، دون النظر إلى اعتبار الانتماء الديني المرجعي، وعليه، فإننا ننتقل تدريجيا في المقاربة الوظيفية لموضوع مؤسسة المسجد التفاعلي من دائرة محدودة إلى دائرة موسعة، تتسع باتساع المجال والفئة، وحينها نكون أمام جودة عالية من الخدمات المسجدية التي تعرب عن المكانة الرفيعة لهذه المؤسسة في علاقتها مع الإنسان والاهتمام به والسعي نحو جلب المصلحة إليه، وهذه ثمرة وغاية وظيفية تمثل منتهى الأهداف الرسالية لهذه المؤسسة، وقد قسمت الحديث في هذا الفرع المجالي إلى ثلاثة فروع: مؤسسة المسجد التفاعلي والحضارة

¹أي: علماء الأزهر ورجاله.

²أي: مؤسسة المسجد.

الإنسانية، مؤسسة المسجد وغير المسلم، وختمت الحديث عن الإشعاع الحضاري المسجدي بمعالجة محور:
الوظيفة الإعلامية للمؤسسة المسجدية.

1.2.4. مؤسسة المسجد التفاعلي والحضارة الإنسانية.

الحضارة عطاء وإنتاج إنساني مشترك، وهي علامة على الحضور الإنساني وشهوده على الأرض بشكل بارز، كما أنها دلالة على بصمته الفعلية عليها مادياً ومعنوياً، وذلك انطلاقاً من التعريف الذي اختاره مدخلا للحضارة الإنسانية، حيث يعرفها الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح: 'الحضارة هي: الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي، والاقتصادي في الحضرة...، وبعبارة أخرى أكثر شمولاً هي: الحصيصة الشاملة للمدنية، والثقافية، والفكر، ومجموع الحياة في أنماطها المادية والمعنوية' (الحضارة الإسلامية: أحمد عبد الرحيم السايح، ص70، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، السنة 10، العدد 3، 1397هـ/1977م).

المسجد قديم بقدم الإسلام، فمنذ أن وُجد الإسلام؛ وُجد معه المسجد مؤسسة تحتضنه وتشكل مركزه، ولا ينكر أحد وجود حقبة تاريخية من الماضي شهدت تقدم المسلمين حضارياً، حيث كانوا حينها أشد ارتباطاً وتعلقاً بالمسجد، ومنه، فإن المسجد كان شريكاً في تحصيل هذا التقدم الحضاري، وذلك نظراً لهذا الارتباط الزمني المتين، يقول الأستاذ أحمد بودهان: 'وما يؤكد أن المسجد في الإسلام أول مؤسسة حضارية للمسلمين، هو أن إنشاء هذا المسجد النبوي الأول، جاء متزامناً مع إقامة أول دولة فتيية في الإسلام، حين كان الرسول صلى الله عليه وسلم يومه منهمكاً في إرساء أسس هذه الدولة وذلك بانتقاله من مرحلة الدعوة والتبليغ زمن بعثته بمكة إلى مرحلة الدعوة والتنظيم والتشريع لإرساء أسس الدولة الإسلامية' (مقال: المسجد ودوره الحضاري في الغرب الإسلامي/ أحمد بودهان، ص86).

ولا شك أن مواكبة المسجد لجل التغيرات التي شهدتها الدولة الإسلامية؛ جعلته يشهد كذلك مجموعة من التغيرات تبعا لهذا التغير بالذات، فالمسجد اليوم ليس بالتأكيد هو مسجد الأمس، وهذا يقوي جانب تفاعل المسجد مع المعطيات الحضارية للأمة الإسلامية، وفي كثير من الأحيان يكون المسجد شاهداً على درجة التحضر التي وصل إليها المجتمع الذي ينتمي إليه، وفي هذا يقول الأستاذ حسين مؤنس: 'تاريخ المساجد يضم

فصولاً كثيرة من التاريخ الحضاري والاجتماعي للجماعة الإسلامية، ويعبر عن تاريخ دول المسلمين، وقد كان يقال إن الشعر ديوان العرب، وهي حقيقة تؤيدها الأدلة، ونضيف إليها حقيقة أخرى لا تقل عنها صدقاً، وهي أن المساجد ديوان أمم الإسلام، فهي تعرض جوانب كبيرة من تاريخها، فقد كان قيام مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم من معالم قيام أمة الإسلام في المدينة، ثم تطورت الجماعة ونمت واتسعت وتطور معها الجامع واتسع، وما من دولة إسلامية قامت في الحجاز أو كان لها عليه سلطان إلا أضافت إلى المسجد شيئاً أو أعادت بناءه إلى يومنا هذا' (المساجد: حسين مؤنس، ص42، مجلة عالم المعرفة، العدد 37، الكويت، يناير 1981م).

يتبين إذن من خلال هذا النص أن حضارة المسلمين كانت ولا تزال تشكل جزءاً لا يتجزأ من تاريخهم، وكلا هذين العنصرين (التاريخ والحضارة) مرتبطان بقوة مع المؤسسة المسجدية، كما أن المسجد يحتزن عدة معطيات ومعالم تعبر عن حجم ونوعية التطور الذي وصل إليه المسلمون، حيث إن هذا التطور يزداد وتتضاف إليه مؤثرات كلما تقدم الزمن، مما يؤدي بهم إلى إضافة عدة عناصر حضارية على المسجد، فتكون تلك العناصر شاهدة من شواهد الحضارة على ذلك الزمان وعلى تلك الفئة التي بصمته على حقبة زمنية معينة، ولا شك أن تلك الإضافات هي التي تشكل عنصر التميز والفرادة في الجوانب الحضارية للمسجد، وليست الجوانب والمميزات الحضارية محصورة في الجانب الجمالي والفني للمسجد والمتعلق بالبناء والزخرفة، بل قد تكون هذه الجوانب علمية، كما أنها قد تكون عمرانية تتعلق بالتصميم والمرافق التابعة للمسجد، فالشمولية سمة أساس لمختلف العناصر الحضارية المسجدية.

ومما يبرز المكانة الحضارية القوية للمسجد هو أنه كان ولا يزال يعتبر مكوناً هاماً ومرفقاً ضرورياً الوجود بالمدينة الإسلامية، حيث كان من أوائل المستلزمات التي ينبغي توفرها في مكان ما، وذلك حتى يمكن أن يصطلح عليه مسمى مدينة بالمفهوم العرفي للتمدن، خاصة عند الحديث عن المسجد الجامع أو الأعظم، يقول الأستاذ إبراهيم كريدية مبيناً الأثر الحضاري للمسجد الجامع: 'المسجد الأعظم لا يكون عادة إلا في المدن والحوضر، بل هو عنصر معماري ضروري، لا بد من توفره فيها، لإضفاء صفة المدينة على أي مركز حضري إسلامي' (شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بأسفني: كريدية إبراهيم، ص66)، وما ذلك إلا لوظيفته المحورية والمركزية في جميع أنشطة وتحركات السكان، سواء تعلق الأمر بعمل الدين أو بعمل الدنيا، دون فصل

بينهما، فكان لزاماً أن يكون حضوره وازناً على المستوى العمراني المادي للمدينة، يقول الأستاذ محمد ماجد عباس خلوصي: 'المسجد نواة التخطيط بالمدينة وفي أي تجمع معماري مسلم، بحيث هو محور لجميع النشاطات الدينية والدينية ومنبع التراث المعماري الإسلامي، لعدم وجود عمارة إسلامية قبله، ويرتبط المسجد ارتباطاً وثيقاً بما حوله في بيئته مما يؤكد وحدة المسجد مع النسيج العمراني في منطقته بشمولية النشاطات التي تؤدي فيه، عاكساً بذلك أحد أهم المبادئ الأساس للإسلام، وهو أنه دين ودنيا وعقيدة وعمل متكاملين متلاحمين' (عمارة المساجد-تصميم وتاريخ وطراز وعناصر-: محمد ماجد عباس خلوصي، ص21 بتصرف، مطابع سجل العرب، بدون طبعة ولا بلد، 1998م).

ولم يكتف المخططون للمدن الإسلامية في إنشائها بالحرص على توفر هذه المؤسسة داخل محيطها فحسب، بل حرصوا على التدقيق في حسن التخطيط لموقعها داخل المدينة بشكل يتيح لها أن تسهم في الحركة الحضارية لهذه المدينة في شكلها الإيجابي، وذلك بما يحقق المصلحة الروحية والمصلحة المادية لأهل المدينة، ويحفظ لها نظامها العام، يقول الأستاذ عبد السلام العزوي موضحاً علاقة المؤسسة المسجدية بسائر المؤسسات: 'ويمكن الجمع بين الاستفادة من تلك المؤسسات التعليمية وغيرها والاستفادة من المسجد، بإنشاء هذا الأخير في وسط تلك المؤسسات، بحيث تحيط به المؤسسات التعليمية والاجتماعية والصحية والإعلامية والرياضية والأدبية وغيرها، ويكون المسجد هو الملتقى لجميع أعضاء تلك المؤسسات، من طلاب وأساتذة وغيرهم' (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ عبد السلام العزوي، ص105).

ولا بد في هذا المقام من استحضار إشارة منهجية هامة حول الثوابت المرجعية للحضارة في المنظومة الإسلامية والتي توازن بين المادة والروح وتجعل من هذه الحضارة منظومة متكاملة ومتوازنة، حيث إنها تختلف تمام الاختلاف عن الحضارة في مفهومها الغربي، ولعلني أدمع كلامي في هذا المقام بما سطره أحمد بودهان: 'ومن هنا يأتي مفهوم الحضارة عندنا نحن معشر المسلمين، يختلف عن مفهوم الحضارة عند الغربيين، حيث إنه إذا كانت الحضارة تعني عموماً وجهة نظر الإنسان، اتجاه الكون والحياة، فإن وجهة النظر هذه لمفهوم الحضارة عند المسلمين تعني الحضارة الروحية المدعمة بالحضارة المادية، حيث يكون المنطلق الأساسي لهذه الحضارة الإسلامية هي العقيدة التوحيدية المتمثلة في الإيمان، بكل قواعده وشعبه، ثم الإسلام بكل أركانه، وبعده المنطلق

المادي الشكلي التمدني، لتصبح حضارتنا حضارة توازن وتكامل' (مقال: المسجد ودوره الحضاري في الغرب الإسلامي، أحمد بودهان، ص87).

فالعقيدة التوحيدية تطوّر ازدواجية المعالم الحضارية للأمة في كلا الجانبين المادي والروحي، ومن المسجد أيضا تنطلق الآثار العمرانية والفنية في مجال التمدن والرفي، حسب القيم والمثل والأخلاق الإسلامية (مقال: المسجد ودوره الحضاري في الغرب الإسلامي/ أحمد بودهان، ص88)، كما أن النشاط الحضاري للمؤسسة المسجدية يتسم بتبادل التأثير والتأثر.

وعن التخطيط التوقعي في تمركز المساجد داخل الأحياء الحضرية وتغير اعتباراته بين القديم والحديث، يقول الأستاذ عبد الحكيم أبو اللوز: 'وعرف تموقع المساجد في الوسط الحضاري تغيرا كبيرا، فسابقا كان يتم اختيار موقع المسجد في وسط المدينة محاطا بملحقات الكتاتيب القرآنية وأسواق ومتاجر وحمامات يجلس معظمها لمصلحة المسجد، أما اليوم فتتمركز المساجد في وسط الأحياء التي يتركز فيها السكان، أو في المجمعات السكنية الجديدة، في حين يقل هذا الانتشار في الأحياء ذات الطابع الخدماتي والسياحي' (مقال: الدولة والمساجد وقيمها في المغرب/ ذ عبد الحكيم أبو اللوز، ص113)، والجدير بالذكر أن عملية التخطيط هاته في أن يقع المسجد وسط التجمع الحضري وفي موقع يسهل التردد عليه داخل مختلف المرافق والتجمعات قد عرفت مهبها منذ انتشار وتوسع الإسلام في المراحل السابقة، وبالتالي، كانت دائما تؤخذ بعين الاعتبار قبل الشروع في إيجاد هذه المعلمة، ونجد الأستاذ سعيد بن زيد بن محمد الحليبة يقول في توصيف تخطيط بناء المساجد بالهند: 'لعل أهم المؤثرات التي تأثر بها فن العمارة الإسلامية راجع إلى فتوحات المسلمين التي تركت بصماتها واضحة خاصة بعد أن تمكنت من بسط نفوذها هناك منذ عهد الخلفاء الراشدين، ونتج عن تلك الفتوحات نقل مفاهيم عقيدتهم الجديدة وما تفرضه عليهم من متطلبات لمباشرة شعائرهم الدينية، فحرصوا على بناء المساجد والمدارس إلى جانب تخطيط مدنهم ودورهم انطلاقا من المسجد الجامع، وهذا ما حرصت عليه كافة الدول الإسلامية التي حكمت الهند الإسلامية، حيث كانت تبدأ بتأسيس المسجد كنواة للمدينة ثم تخطط بعد ذلك خطط الأحياء' (مساجد مدينة دلهي في الهند -دراسة أثرية معمارية-: سعد الحليبه، ص65، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/ 2010م).

ومن هنا، يتبين أن عنصر الإنسان هو المستهدف الأول والمقصود بالأساس من عملية العمارة المسجدية، لأنه يقع في أولوية الاهتمام ضمن هذا التخطيط، وبالتالي، فهذا مظهر تطبيقي لتوازن الحضارة الإسلامية بين الشقين المادي والروحي، فلو كانت لا تعترف إلا بما هو مادي لكان هَمُّها أن تقيم المساجد في أي مكان متاح، ومما يؤكد هذه الحقيقة ما سطره الأستاذ عبد السلام العزوي في بيان الوظيفة الحضارية للمسجد وعلاقتها بالإنسان، إذ يقول: 'ولما كان الإنسان ذاته هو المقصود بهذا التكليف، وكانت الأرض التي يتحقق فيها العمران واحدة، فإن العمران القرآني عمران إنساني متصف بأوصاف صلاح الإنسان في القرآن، وكونه مرتبطاً بالمسجد يجعله متصفاً بالغائية، أي قاصداً نحو غاية مسجدية إيمانية إحصائية، وليس حضارة عبثية، فهو عمران استخلافي إحصائي، يروم تعمير الأرض بما ينفع الإنسان ويحقق مصالحه العامة، أفراداً وأمة وإنسانية' (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ ذ عبد السلام العزوي، ص34).

وبالتالي، فالعمارة المسجدية عمارة حضارية تتكون من ثلاثة مكونات، لا بد أن تتوفر جميعاً دون تخلف أحدها، وهي: الإنسان (العضو) والأرض (المكان) والغاية (الروح).

ونجد من أهم العناصر الحضارية المتعلقة بالمسجد العنصر الجمالي الفني في المظهر الخارجي لهذه المؤسسة، رغم اختلافه من دولة إلى أخرى، بل يسهم عبر التاريخ في إثراء ما تزخر به هذه الدول من معالم وآثار، بحيث يشكل عنصر تأثير خارجي وإشعاع ممتد على المستوى الروحي الجمالي، يقول الأستاذ خليل الزركاني: 'إن المساجد أجمل ما تقع عليه عين الإنسان في عالم الإسلام بماذنها الدقيقة المنسرحة الزاهية في الجو مشيرة إلى السماء وقبابها الأنيقة، تضيف إلى المنظر عنصراً من الجلال والجمال الروحي لا يتأتى له بدونها، ثم إن المتأمل في هياكل المساجد وأشكالها وبيوت صلاتها وعمدها وعقودها¹ ومآذنها، لا يملك إلا أن يشعر

¹ البناء المعقود: له عقود عُظِفَتْ كالأبواب (القاموس المحيط: الفيروز آبادي (ت817هـ)، باب الدال، فصل العين، ج1/300، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ/2005م)، أي أن العقود أشكال من البناء تضم تجمعات وارتباطات في قالب منظم وهندسة خاصة تميز التصميم الهندسي العام للمسجد، وتتناسب مع شكل وجود وتموضع الأبواب المسجدية به، ورد في موسوعة الويكيبيديا: عنصر معماري ناتج من الاستخدام الإنشائي للخصائص الطبيعية للمواد اعتماد الجاذبية الطبيعية، حيث يعتمد على انتقال الحمل الطبيعي من النقطة الأعلى إلى النقطة الأسفل وهكذا حتى تصل إلى مستوى الأرض (الموقع الإلكتروني: /عمارةhttps://ar.wikipedia.org/wiki بتاريخ 1 أكتوبر 2018 على الساعة 09:25).

بقدرسيتهما وما توقعه في النفس من شعور ديني عميق' (مقال: المساجد في عيون الرحالة العرب/ د خليل حسن الزركاني، ص 94).

وعليه، فالعنصر الجمالي له ارتباط وثيق بالعنصر الروحي، فالعين المتأثرة بالجمال تتدبر وتسمو بروحها وتشعر بالسكينة والخشوع على إثر ذلك، وقد يكون العنصر الجمالي في أغلب الأحيان مرتبطا ارتباطا مباشرا بعنصر البساطة والطبيعة، دونما تكلف أو تصنع.

ونجد غير المسلمين في الغرب وغيره يتأثرون بالعنصر الجمالي الخارجي للمساجد، فيؤلفون حول ذلك ويهتمون به فيما يتعلق بالجانب المعماري وما يشهده من تطور ورقي في الصنع والتركيب، وذلك نظرا لأنه يختلف عن الشكل المعتاد عندهم في الكنائس (المساجد: حسين مؤنس، ص 43)، بل إن كثيرا من الكنائس اقتبست كثيرا من العناصر والمؤثرات الإسلامية الموجودة في معمار المساجد الإسلامية، وما ذلك إلا لقوة تأثير هذه العناصر، نظرا لمميزاتها الجمالية والتي تحيل على البعد الحضاري، يقول في هذا الإطار الأستاذ شاعر هادي غضيب: 'كثير من الكنائس والقصور التي بنيت في أوروبا احتفظت بكثير من الظواهر المعمارية العربية البحتة، كما في قصر أكسبورغ التاريخي بالقرب من درسدن بألمانيا الديمقراطية، ففيه نلاحظ وضوح القباب العربية وكذلك الأبراج وطريقة توزيع الأبواب والشبابيك' (الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة في المساجد الإسلامية والمرافد المقدسة: شاعر هادي غضيب، ص 26، دار الحرية، بغداد، العراق، 1397هـ / 1977م)، ومن العناصر المعمارية التي حظيت بالتأثير والاقتباس من المساجد الإسلامية إلى المعابد الغربية عنصر المئذنة، حيث يظهر ذلك جليا عند عقد المقارنة بينها وبين أبراجهم، ورد في كتاب (المساجد في المدن العربية) ما نصّه: 'ولما كان للمآذن من شكل معماري جميل في بناء المساجد، مما جعل رجال الغرب ينقلون الكثير من تفاصيلها المعمارية، حتى ليبدو الشبه أو العلاقة الكبيرة بينهما واضحة إذا عمدنا إلى مقارنة بسيطة بينهما وهذا لا ينكره إنسان ...، بل إن رجال الغرب يعترفون بأن كثيرا من أبراج كنائسهم قد تأثر إلى حد كبير بالعمارة العربية في العصر الإسلامي' (المساجد في المدن العربية: المعهد العربي لإنماء المدن، ص 214 بتصرف)، ولا شك أن هذا التأثير القوي راجع بالأساس إلى ما ميز هذا العنصر من مقومات الجمال التي تؤثر بشكل جذاب في عين الناظر، خاصة إذا لم يكن قد اعتاد رؤية هذا المنظر.

وحدث لي شخصيا - ذات يوم - أن لحت رجلا غريبا نصرانيا أمام صومعة مسجد الحى الذي أقطن فيه، وهو يلاحظ جزءها العلوي بتأمل، فتوجهت إليه لأعرف ما الذي أثار انتباهه في ذلك، فأخبرني أنه لاحظ وجود علامة خماسية في الجامور أعلى الصومعة، وأشار إلى أن تلك العلامة الجميلة تشير إلى الأركان الخمسة في الإسلام، وما كنت أعرف يومها هذا الأمر لولا إخباره لي به.

ولذلك، فلا غرو أن نجد تأثير الشكل الهندسي والمعماري للمسجد في بناء وتشيد الكنائس، يقول شاكِر هادي غضيب عن الطراز الأندلسي في المساجد والذي وصفه بأنه مدرسة أندلسية مدججة: 'وهو فن معماري إسلامي مطبق على بناء نصراني ومعدل بحسبه. وقد قاموا ببناء كنائس الأوروبيين ومدارسهم وأديرتهم وقصورهم وفق أصول الفن المعماري الإسلامي وبتعديلات يقتضيها الفارق الديني' (الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة في المساجد الإسلامية والمراقد المقدسة: شاكِر هادي غضيب، ص 18).

وبصفة عامة، فإن الأهمية الدينية التي حظيت بها المساجد في المنظومة الإسلامية جعلتها تحظى باهتمام بالغ من طرف أهلها في مجال التزيين والتجميل المظهري، [وبالتالي يمكن القول إن المساجد أصبحت مجالا جيدا للعمل الفني، أو بعبارة أوضح، نستطيع القول إن المساجد بما فيها من إبداعات فنية راقية أثرت تأثيرا كبيرا على الحركة الفنية عند العرب] (الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة في المساجد الإسلامية والمراقد المقدسة: شاكِر هادي غضيب، ص 23).

ومن المميزات الحضارية للمؤسسة المسجدية التنوع المرفقي، بحيث تتكون من مرافق متعددة، وهي التي تنهض بمختلف خدماتها وتسهم في تكامل مختلف وظائفها، فإذا أخذنا على سبيل المثال مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء والذي يمثل أنموذجا مسجديا حضاريا لا يشك أحد في قيمته الحضارية؛ فإننا نجد أنه يتحقق فيه هذه الميزة التنوعية، حيث يضم مرافق متنوعة ومتعددة بتنوع وتعدد الخدمات الوظيفية التي تؤديها، ونجد ممن تعرّض لبيان هذا التنوع في مسجد الحسن الثاني الأستاذ أحمد بودهان إذ يقول: 'ويتوفر المسجد على مدرسة قرآنية وخزانة عامة ومتحف وحمامات تقع على مساحة ستة آلاف متر مربع، لاستيعاب ألف وأربعمئة شخص، وموقف للسيارات يستوعب ألفا ومئة سيارة، مع ممرّ مزدوج تحت الأرض يبلغ طوله ثمان مائة متر' (مقال: المسجد ودوره الحضاري في الغرب الإسلامي / ذ أحمد بودهان، ص 94/95 بتصرف).

ولعل التنوع المرفقي الذي تمتاز به المؤسسة المسجدية يجعلها أكثر انخراطا في الحياة العامة للناس جميعا، وأكثر ارتباطا بالحركة العادية للحياة التي يعيشونها، لأن هذا التنوع مرتبط أساسا بالممارسات الإنسانية ونشاطاتها المتنوعة والمتعددة في الحياة، والتي تجسد في عمومها شكل الحركة البشرية والمجتمعية للتجمعات التي لها ارتباط يومي بالمسجد وتفاعلاته، يقول المستشرق غوستاف لوبون: 'ويوجد أمام أكثر المساجد القديمة ساحة محاطة بمساكن للغرباء، وإصطبلات للخيل والجمال، وحمامات للعامة ومناهل للشرب، وذلك أن المساجد الأولى ليست أماكن للعبادة وحدها، بل هي منازل للمسافرين أيضا' (حضارة العرب: غوستاف لوبون، ص 240، ترجمة: عادل زعير، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، مصر، 2013م)، ويمكن القول إن هذا المستشرق استطاع أن يعرف مفهوم المسجد بشكل تطبيقي من خلال تتبع ممارسات المسلمين في مرافقه، وخلص في ذلك إلى تحليلية مفهومه بشكل أفضل مما عرفه بعض الفقهاء والدارسين الذين عاجلوا الأحكام المتعلقة بهذه المؤسسة¹، حيث عرفه بما يلي: 'مركز الحياة الحقيقي عند العرب؛ فالعرب يتخذون المسجد محلا للاجتماع والعبادة والتعليم، والسكن عند الاقتضاء، لا لعبادة الله فقط كبيع النصارى... ومن توابع المسجد على العموم: حمامات وفنادق وأصابل²، ومشاف ومدارس، وهكذا يتجلى اختلاط الحياة المدنية بالحياة الدينية عند المسلمين في مساجدهم' (المرجع السابق: ص 438).

ولا شك أن هذا الوصف من غوستاف لوبون يؤكد أن فكرة المسجد التفاعلي الذي تسعى الأطروحة إلى محاولة الدفاع عليها فكرة أصيلة، حيث لها ما يقوي أسسها من التاريخ الإسلامي العميق، وليست بدعا من القول، وبذلك نتحول تدريجيا من مفهوم البناء إلى مفهوم الإحياء وإعادة الاعتبار لما كان عليه المسجد في سالف الأزمان، مع إحداث تغييرات وتعديلات سواء كانت شكلية أو موضوعية، بحيث لا تتعارض مع روح الشريعة ومقصدية إقامة المؤسسة المسجدية في الإسلام، بل تستند إلى قواعد المصلحة الشرعية وما يؤيد اعتبارها، وتواكب المستجدات والتكيفات المعاصرة التي ظهرت مع واقع الحياة التي نعيشها بمعطياتها وظروفها الخاصة، انطلاقا من أن الدين جاء لتحقيق مصالح العباد في الحال وفلاحهم في المآل.

¹ تطرقت في البحث الذي أنجزته لنيل شهادة الماستر لمجموعة من هذه التعاريف، ومناقشتها نقاشا تحليليا وتركيبيا، فلا أرى إعادة الكلام في هذا، لأنه ليس من أغراض هذه الأطروحة.

² جمع مفردة اصطبل.

2.2.4. مؤسسة المسجد التفاعلي وغير المسلم.

إن إثارة هذا العنصر بجوانبه العلمية تنطلق من كون مؤسسة المسجد رسالية المقصد وعالمية التوجيه، فهي لا تستهدف فئة دون أخرى، بل العموم وجهتها¹، وبالتالي، فهذا المدخل ضروري لتأصيله، انطلاقاً من أن الخطاب الشرعي يتسم بخاصية العالمية وشمولية التوجيه، لقوله جلّ وعلا: "إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ" (سورة التكويد: الآية 27).

لقد بَوَّب الإمام البخاري باباً تحت عنوان: باب دخول المشرك المسجد، وروى لذلك حديثاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: [بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلاً قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ] (صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب دخول المشرك المسجد، رقم: 469، ج 1/ ص 101)، ولعل هذا التبويب منه مقصود في إرادة القول بالجواز، لأنه فقيه في تراجمه كما هو معلوم للمختصين في هذا الشأن.

فمن خلال تبويب البخاري، نأخذ —ابتداءً— جواز دخول المشرك إلى المسجد بدون أي حرج، خاصة إذا قوي احتمال تفاعله مع الرسالة ومع منهج الدعوة ليرجى دخوله الإسلام، يقول الزركشي: 'يُمْكِنُ الكافر من دخول المسجد واللبث فيه؛ وإن كان جنباً، فإن الكفار كانوا يدخلون مسجده صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن فيهم الجنب، وقد ترجم البخاري: دخول المشرك المسجد، وأدخل فيه حديث الأعرابي السائل عن الإسلام وحديث اليهود² الذين ذكروا أن امرأة ورجلاً منهم زنيا' (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص 318).

¹ الأساس في هذا العنصر النظري المتعلق بالمسجد وغير المسلم هو التأصيل ابتداءً لهذه العلاقة، أما الخدمات والأنشطة الفاعلة التي يمكن أن يسعى إليها المسجد التفاعلي في هذا الصدد فقد أرجأت مناقشتها إلى الشق الميداني، إذ يوجد سؤال خاص بهذا الأمر في الاستمارة الميدانية.

² بعد رجوعي إلى صحيح البخاري، لم أقف على ذكر هذين الحديتين ضمن الفصل، إذ لم يذكر الإمام البخاري في هذا الفصل سوى حديث ثمانية السابق، ولعل هذا وهم من الزركشي.

ومن الوقائع النبوية الدالة على جواز دخول المشرك إلى المسجد ما جاء في استقبال النبي صلى الله عليه وسلم للوفود من اليهود والنصارى بالمسجد، حيث روي عن جابر بن عبد الله قال: ((قَدِمَ وَفْدُ نَجْرَانَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَاقِبُ وَالطَّيِّبُ، فدَعَاهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَا: أَسْلَمْنَا يَا مُحَمَّدُ قَبْلَكَ قَالَ: «كَذَبْتُمَا إِنْ شِئْتُمَا أَخْبَرْتُكُمَا بِمَا يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ؟» قَالَا: هَاتِ أَنْبِئْنَا قَالَ: «حُبُّ الصَّلِيبِ، وَشُرْبُ الْحَمْرِ وَأَكْلُ لَحْمِ الْخَنَزِيرِ، فَلَا مَالَ وَلَا حَيَاةَ» قَالَ: ودَعَاهُمَا إِلَى الْمَلَأَعَنَةِ، فَوَاعَدَاهُ عَلَى أَنْ يُغَادِيَاهُ الْغَدَاةَ، فَعَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا فَأَبَيَا أَنْ يَجِيئَا، وَأَقْرَأَ لَهُ بِالْخُرَاجِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَوْ فَعَلَا؛ لَأَمْطَرَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَارًا» قَالَ جَابِرٌ: فِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ} [سورة آل عمران: الآية 61]] الشريعة: أبو بكر الآجري البغدادي (ت360هـ) تحقيق: عبد الله بن عمر الدميحي، كتاب جامع فضائل أهل البيت، رقم: 1690، ج5/ص2201، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1420هـ/1999م، فوجه الاستدلال بهذا الحديث على دخول هذا الوفد المشرك إلى المسجد هو الاستنباط الحفي للمكان الذي بقي فيه هؤلاء، حيث لو تنقلوا للمبيت في مكان معين لنقل الخبر، على غرار ما نقل من مكان جريان أحداث أخرى في غير هذا الموطن، فالاستصحاب الأصلي للمكان يقوي ترجيح بقائهم ومبيتهم في المسجد، سيما وأنه كانت ترجى هدايتهم ويؤمل دخولهم إلى الإسلام.

وعن هذا التواصل النبوي مع هذا الوفد النصراني يقول الأستاذ منقذ بن محمود السقار: 'وكان أهم اتصال بالنصرانية قدوم وفد نصارى نجران إلى المدينة وبقاؤهم فيها أياماً يناظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أذن لهم رسول الله بالصلاة في مسجده، وقال لأصحابه: ((دعوههم))¹، ونزل بسبب هذه الزيارة بضع وثمانون آية من صدر سورة آل عمران' (الحوار مع أتباع الأديان-مشروعيته وآدابه-: منقذ بن محمود، ص19، رابطة العالم الإسلامي، بدون تاريخ ولا طبعة ولا بلد).

¹ لم أقف على تخريج هذا اللفظ بالذات.

والأحاديث النبوية الدالة على هذه الوقائع كثيرة منها:

- حديث استقبال وفد ثقيف، وفي هذا الحديث روايتان، منها ما روي عن الحسن أن وفد ثقيف أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضربت لهم قبة في مؤخر المسجد لينظروا إلى صلاة المسلمين، وإلى ركوعهم وسجودهم، فقيل: يا رسول الله أتزلهم المسجد وهم مشركون؟ فقال: ((إن الأرض لا تنجس، إنما ينجس ابن آدم)) [المراسيل: أبو داود السجستاني (ت275هـ)، كتاب الطهارة، باب من الصلاة، رقم: 17، ج1/ ص80، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ]، أما الرواية الثانية في الاستدلال على هذه الواقعة، فهي رواية مدعمة تعلل المقصد من اتخاذ هذا الإجراء النبوي ذي البعد الحضاري في إطار بناء العلاقات الإنسانية العامة، وهي رواية عن عثمان بن أبي العاص أن وفد ثقيف لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلهم المسجد، ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا عليه أن لا يحشروا ولا يُعشروا ولا يُجَبُوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لكم أن لا تحشروا ولا تُعشروا، ولا خير في دين ليس فيه ركوع)) [سنن أبي داود (ت275هـ): أول كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما جاء في خبر الطائف، رقم: 3026، ج4/ ص637].

- حديث ضمام بن ثعلبة، فعن أنس بن مالك، يقول: ((بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرائهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكى. فقال له الرجل: يا ابن عبد المطلب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «قد أجبتك». فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إني سئلك، فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك؟ فقال: «سل عما بدا لك» فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: «اللهم نعم». قال: أنشدك بالله، آله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: «اللهم نعم». قال: أنشدك بالله، آله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: «اللهم نعم». قال: أنشدك بالله، آله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم نعم». فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد

بْنِ بَكْرٍ)) [صحيح البخاري: كتاب العلم، باب ما جاء في العلم وقول الله تعالى: "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (سورة طه: الآية 114)، رقم: 63، ج 1/ ص 23].

ولا شك أن كلا الحديثين السابقين يرجح معهما اعتبار جانب مصلحة الدعوة وانتفاع غير المسلم بما يسمع من رسالة المسجد، لينقذ نفسه مما يعيشه من فراغ روحي إيماني، ولربما تعدى نفع ذلك إلى من وراءه من أتباع؛ فتتسع دائرة المصلحة حينذاك.

يقول الإمام ابن القيم (ت 751هـ) مبينا قضية دخول غير المسلم إلى المسجد وبيان الاعتبار لدخولهم: 'وأما دخول الكفار مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان ذلك لما كان بالمسلمين حاجة إلى ذلك، ولأنهم كانوا يخاطبون النبي - صلى الله عليه وسلم - في عهودهم، ويؤدون إليه الرسائل، ويحملون منه الأجوبة ويسمعون منه الدعوة، ولم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - ليخرج من المسجد لكل من قصده من الكفار، فكانت المصلحة في دخولهم - إذ ذاك - المسجد لكل من قصده من الكفار، فكانت المصلحة في دخولهم إذ ذاك أعظم من المفسدة التي فيه، بخلاف الجنب والحائض فإنه كان يمكنهما التطهر والدخول إلى المسجد، وأما الآن فلا مصلحة للمسلمين في دخولهم مساجدهم والجلوس فيها، فإن دعت إلى ذلك مصلحة راجحة؛ جاز دخولها بلا إذن والله أعلم' (أحكام أهل الذمة: ابن قيم الجوزية، ج 1/ ص 407-408، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر، الدمام، ط 1، 1418هـ / 1997م).

فيتبين إذن من خلال كلام العلامة ابن القيم أن المرجع المحتكم إليه في قضية دخول المخالفين في الدين إلى المساجد هو المصلحة الراجحة غير المتنافية مع مقصد الشريعة، ولا شك أن المصلحة الراجحة هي مصلحة الدعوة وتأليف قلوبهم¹ إذا اتضح تحصيلها من خلال وجودهم بهذا المكان، وإلا فمتى ضعف جانب تحقق هذه المصلحة أو قوي جانب تحقق المفسدة - من خلال دخولهم -؛ فإنه يتعين القول بمنع دخولهم عملا بقواعد الترجيح الأصولية في الموازنة بين المصلحة والمفسدة أو العمل على اعتبار المآل - والله أعلم -، وعليه، فتحقق الوظيفة الحضارية لمؤسسة المسجد التفاعلي مشروط بعدم ترتب المفسدة عن وجودها.

يقول مصطفى الشنضيف الفاسي: 'وأما قوله تعالى: "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ" (سورة التوبة: الآية 6) قالوا: هذا في حالة الحرب لا في حالة السلم؛ فهذا تعليل عليل من وجوه، إن كان يجوز أن نجير غير المسلم في حالة الحرب

¹ يمكن أن نصلح على هذه المصلحة المعتبرة في هذه الحالة ب: المصلحة الرسالية.

الذي لا حرمة لدمه فيه، فمن باب أولى أن نجيزه حال السلم، ثم إن إسماع غير المسلم الذي يأتي مساجدنا للتعرف على الإسلام وجبت دعوته بالحسنى ويأثم المسلم بتركها' (الإعلام بجواز دخول المسجد لغير الإسلام: مصطفى الشنضيض الفاسي، ص48، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1433هـ/2012م)، ولعل أعمال مصطفى الشنضيض هنا قياس الأولى في ردّ هذا الوجه رأي وجيه لانسجامه مع مقصد ومصلحة الدعوة والمنهج النبوي في دعوته وتعامله مع الآخر.

وذكر الأستاذ مصطفى الشنضيض أن من جملة ما يستدل به لجواز هذه القضية واقعة تعاطس اليهود في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنها ليست صريحة القول في وقوعها داخل المسجد، لأن الرواية التي أشار إليها صاحب الكتاب لا تفصح عن مكان الوقوع، وهي كالأتي: عن أبي بردة، عن أبيه قال: ((كَانَتْ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَاءً أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ، فَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)) [مسند الإمام أحمد (ت241هـ): مسند الكوفيين، حديث أبي موسى الأشعري، رقم: 19586، ج32/ص356]، وبالتالي فالاستدلال بهذه الواقعة وجه ضعيف لأنه يعتريه الاحتمال المكاني، إذ ليس هناك قطع صريح بوقوع الحادث وجريان الحوار المصاحب له في المسجد.

ونجد هنالك جدلاً فقهيًا بين أرباب المذاهب الفقهية الأربعة حول حكم دخول غير المسلم إلى المسجد، دون إغفال رأي المذهب الظاهري في ذلك، حيث يقول الإمام ابن حزم (ت456هـ): 'ودخول المشركين في جميع المساجد جائز، حاشا حرم مكة كله -المسجد وغيره- فلا يحل ألبتة أن يدخله كافر' (المحلى بالآثار: ابن حزم الأندلسي: ج3/ص162).

أما الأحناف، فيرون جواز دخول المساجد مطلقاً متأولين آية منع دخول الحرم بحديث فتح مكة، يقول علاء الدين الكاساني الحنفي (ت587هـ): ' (ولنا) أن المشركين من وفود العرب وغيرهم كانوا يدخلون المسجد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإنه روي أن أبا سفيان دخل المسجد عام الحديبية، وكذا وفد ثقيف دخلوا المسجد... وجعل - عليه الصلاة والسلام - المسجد مأمناً، ودعاهم إلى دخوله وما كان - عليه الصلاة والسلام - ليدعو إلى الحرام، (وأما) الآية الكريمة فالمراد أنهم نجس الاعتقاد والأفعال، لا نجس الأعيان، إذ لا نجاسة على أعيانهم حقيقة، وقوله عز وجل: {فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} نهي عن دخول مكة للحج، لا عن دخول المسجد الحرام نفسه، لقوله تعالى: {وَأِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ} [سورة التوبة: الآية 28]، ومعلوم أن خوف العيلة إنما يتحقق بمنعهم عن دخول مكة لا عن دخول المسجد الحرام نفسه لأنهم إذا دخلوا مكة ولم يدخلوا المسجد الحرام؛ لا يتحقق خوف العيلة... فثبت أن هذا نهي عن دخول مكة للحج، إلا أنه سبحانه وتعالى ذكر المسجد الحرام لما أن

المقصد من إتيان مكة البيت، والبيت في المسجد، والله سبحانه وتعالى أعلم¹ (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين الكاساني الحنفي، ج5/ ص128، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ/ 1986م)، ويقول كمال الدين بن الهمام (ت861هـ): 'ولا بأس بأن يدخل أهل الذمة المسجد الحرام' (فتح القدير: ج10/ ص62، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون طبعة ولا تاريخ).

ورغم تعليل الأحناف لرأيهم هذا الذي يقضي بجواز دخول المشرك للمسجد الحرام، ومحاولة جمعهم في التعليل بين النص والقصد، فإنهم قد انفردوا بهذا القول داخل دائرة الأقوال المذهبية في هذه المسألة، ولم يقل غيرهم بهذا القول، وليس كل من يؤم مكة يقصد بالضرورة البيت الحرام فيها، لأنه ذلك من الاحتمالات الواقعية الواردة في هذه القضية.

ونجد عند المالكية القول بعدم الجواز مطلقا تعليلا بالنجاسة المعنوية المتحققة في المشرك، يقول القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي (ت422هـ): 'لا يجوز دخول المشرك المسجد، ولا الكون فيه¹ بإذن، ولا بغير إذن، وجوز الشافعي في غير المسجد الحرام، وقال المزني مثل قولنا، وجوز أبو حنيفة في المسجد الحرام وغيره' (عيون المسائل: القاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي، ج1/ ص139، تحقيق: علي محمد إبراهيم بورويبة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/ 2009م)، وبين الإمام الصابوني وجه استدلال مالك على ما ذهب إليه فيقول: 'واستدل مالك رحمه الله بأن العلة وهي (النجاسة) موجودة في المشركين، والحرمة ثابتة لكل المساجد، فلا يجوز تمكينهم من دخول المسجد الحرام والمساجد كلها، فقام مالك بجميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم على المشركين، وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام ومنع من دخول الجميع في جميع المساجد' (روائع البيان تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني، ج1/ ص583، مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، ط3، 1400هـ/ 1980م)، ولعل هذا القياس تعترضه إشكالات عدة، من بينها ورود النص القرآني مخصصا في شأن المسجد الحرام، وذلك في قضية الدخول إليه، دون سائر المساجد، سيما وأن هناك فوارق عدة تميزه عن سائر المساجد، تجعل إجراء هذا القياس محل نظر.

أما الشافعية؛ فعندهم ربط جواز الدخول بالإذن، مع التفصيل في أحوال المشرك هل هو ذمي أو ليس كذلك، فقد نص الإمام الماوردي على الجواز ما عدا الحرم في ذلك، حيث نقل عن الشافعي رضي الله عنه: "ولا بأس أن يبيت المشرك في كل مسجد إلا المسجد الحرام، لقول الله جل وعز: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ

¹ الاستقرار واللبث فيه.

مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [سورة التوبة: الآية 28]، قال المزني: فإذا بات فيه المشرك؛ فالمسلم الجنب أولى أن يجلس فيه ويبيت، وأحب إعظام المسجد عن أن يبيت فيه المشرك أو يقعد فيه، قال الماوردي: وهذا صحيح، وجملة المشركين ضربان، أحدهما: أن يكونوا ممن قد شرط عليهم في عقد ذمتهم وقبول حريتهم أن لا يدخلوا مساجدنا؛ فهؤلاء ليس لهم دخول مسجد بحال، والضرب الثاني: أن لا يكونوا ممن لا يشترط ذلك عليهم، فقد اختلف الناس في ذلك على ثلاثة مذاهب: أحدهما: وهو مذهب الشافعي أنه يجوز لهم أن يدخلوا مساجدنا بإذننا إلا الحرم، ومساجده، فلا يجوز لهم دخوله...¹ (الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي: أبو الحسن البصري البغدادي المعروف بالماوردي (ت450هـ)، ج2/ص268، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1999م).

وجاء في التهذيب ما نصّه: 'وليس للكافر دخول المسجد إلا بإذن مسلم؛ فإن دخل بغير إذن: عُزِر وأُخرج، يروي أن علياً عليه السلام كان على المنبر فبصر بمجوسي، فنزل، فضربه، وأخرجه. وإذا استأذن في دخول المسجد، فإن كان لنوم أو أكل: لا يؤذن له، وإن كان لسماع قرآن أو علم؛ يؤذن له، رجاء أن يُسلم، قال تعالى: "وَلِإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ" (سورة التوبة: الآية 6).

وإن كان جنباً؛ هل يؤذن له؟ فيه وجهان: أحدهما يمنع؛ كما يمنع المسلم الجنب، والثاني لا يمنع؛ لأنه لا يعتقد تعظيمه؛ فلا يؤخذ به؛ كما لا يحذ على شرب الخمر؛ لأنه يعتقد إباحته، بخلاف المسلم. وإذا قعد القاضي للحكم في المسجد؛ فمن وقعت له خصومة من أهل الشرك؛ جاز له دخوله، لأن قعود القاضي للحكم في المسجد إذن لهم في الدخول، وإذا قدم وفد من الكفار؛ ولم يكن للإمام دارٌ ينزلها الوفود؛ يجوز أن ينزلهم المسجد؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أنزل سبايا بني قريظة في المسجد إلى أن بعثهم [لبيع]، وربط ثمامة بن أثال في المسجد¹ (التهذيب في فقه الإمام الشافعي: محيي الدين أبو محمد البغوي الشافعي (ت516هـ)، ج7/ص514-515، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1997م).

ولا يختلف ما سبق ذكره عند الشافعية مع ما ذكره الزركشي في الإعلام، إذ يؤكد على اعتبار المقصدية الشرعية في تبني القول بالإباحة، ما دام الأمر لا يترتب عليه ضرر متعدّد إلى المسجد، حيث يقول: 'ولا خفاء

¹ تقدم تخريج حديثه.

² طبيعة المقام تقتضي الاستشهاد بهذا النوع من النصوص، رغم طوله، لأن به تتضح دواعي وأسباب اختيار القول المعتمد.

أن موضع التجويز إذا لم يعد على المسجد ضرر ولا تنجيس ولا تشويش على المصلين، وأطلق جماعة القول بأن له الدخول بلا إذن، لسماع القرآن أو الحديث أو العلم، أو ليسلم أو ليستفتي كما قال الماوردي¹ (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص321).

وقد فطن علماؤنا -من باب الاحتياط وسدّ الذرائع- إلى بعض الأسباب التي قد تفضي إلى صدور سلوكات تنجيسية من غير المسلمين داخل مساجدهم، فنبهوا على وقوع ذلك، وأفتوا بعدم جواز فعل نظير تلك السلوكات في معابدهم إذا تأتى الدخول إليها لحاجة أو المرور منها لعارض معين، ولعل هذا الأمر ممن مقتضى الموضوعية والاحترام لأهل الملل الأخرى، يقول الدكتور عبد الرحمان العصيمي مبينا حكم قضاء الحاجة في معابد غير المسلمين: 'عدم جواز قضاء الحاجة فيها، وهو منقول عن المالكية وبعض الحنابلة، وذلك لئلا يفعلوا ذلك في مساجدنا، كما نهي عن سب الآلهة المدعوة من دون الله لئلا يسبوا الله تعالى¹، ولأنهم يذكرون الله تعالى فيها، فتصير لها حرمة بذلك، قال الله تعالى: "الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَبْعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَكِنْ صَرَّنَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" (سورة الحج: الآية 40)، فإن كانت هذه المعابد في بلاد الإسلام وقد أقرت بيد أهلها؛ فيجب الوفاء بما تم الاتفاق عليه بين الطرفين، ولا يجوز الاعتداء عليها ... وإلا كان نقضا للعهد، والله تعالى يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ" (سورة المائدة: الآية 1)' (أحكام المعابد: عبد الرحمان العصيمي، ص300، كنوز اشبيليا، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1430هـ/ 2009م).

أما مذهب الحنابلة في دخول غير المسلم إلى المسجد؛ فهو النصّ على جواز دخول المساجد كلّها لمصلحة شرعية معتبرة إلا المسجد الحرام، يقول الشيخ عبد الله البسام (ت1423هـ): 'أما مذهب الإمام أحمد؛ فإنه لا يحل لأي كافر دخول حرم مكة، أما المساجد الأخرى فليس له دخولها، ولو كانت مساجد الحل، إلاّ لحاجة، كما لو استؤجر، لعمارقتها وإصلاحها' (توضيح الأحكام من بلوغ المرام: عبد الله البسام، ج2/ ص119، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1423هـ/ 2003م)، وأفتى

¹ في إشارة إلى قوله تعالى: "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (سورة الأنعام: الآية 108).

بنفس المعنى الشيخ محمد التويجري الحنبلي: 'لا يجوز للمشارك دخول المسجد الحرام، ويجوز دخوله بقية المساجد لمصلحة شرعية' (مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، ص653، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، ط11، 1431هـ/ 2010م).

وبعد دراسة وتأمل أقوال هؤلاء الأئمة؛ توصل الأستاذ مصطفى الشنضيض في بحثه الذي تمحور حول هذا الموضوع إلى ما يلي:

1- عند الأحناف: يجوز دخول غير المسلمين أي مسجد، حتى المسجد الحرام في غير موسم الحج.

- عند الظاهرية: يجوز سوى حرم مكة -المسجد الحرام وغيره-.

- عند الشافعية والحنابلة: يجوز على الصحيح بإذن عدا الحرم.

- عند المالكية والمزني من الشافعية ورواية عن أحمد: لا يجوز إلا لضرورة عمل أو إتقان صنعة' (الإعلام بجواز دخول المسجد لغير أهل الإسلام: مصطفى الشنضيض الفاسي: ص35).

يلاحظ من خلال استقصاء وجمع هذه الأقوال الفقهية أنها تكاد تتفق على الحكم الخاص والمستثنى فيما يتعلق بالمسجد الحرام وما جاوره من الحرم في منع الدخول إليه بالنسبة لغير المسلم، وذلك نظرا لخصوصيات نصية لا تسوغ القول بخلاف هذا الحكم¹، أما غيره من المساجد؛ فالملاحظ من خلال الأقوال المحصلة أن أقواها وأشدها وهو القول الرابع قد أناطها بضرورة، وهذه الضرورة لا تخلو من نقاش علمي ونقد موضوعي، إذ نجد أنفسنا نتساءل في هذا المقام: ما الدافع الأقوى والأرجح في دخول غير المسلم إلى المسجد هل خدمته المادية للمسجد أو انتفاعه الروحي والمعنوي من رسالة ووظيفة المسجد؟ ولا شك أن الأمر الثاني أولى في الاعتبار انسجاما مع روح ومقصدية المؤسسة المسجدية في الإسلام، كما أننا نجد المذهب الظاهري-والذي عُهد عليه التشديد في كثير من الموضوعات الفقهية- يرى الجواز في هذه القضية، مما يؤكد لنا أن البعد الحضاري قوي في معالجة الفقهاء لهذه القضية.

ويمكن أن تتعدد الأوجه المقصدية في القول بترجيح جواز دخول غير المسلم إلى المسجد، مما لا يتعارض ولا يصطدم مع ثوابت الدين، ولا يفضي في الآن نفسه إلى أية مفسدة من المفاسد التي يتعدى ضررها سواء كان هذا الضرر على المستوى الفردي أو كان على المستوى الجماعي، يقول الأستاذ مصطفى الشنضيض

¹ سبق وأن قمت ببحث قضية الدخول إلى المسجد الحرام وحرمة ذلك على غير المسلم في رسالة الماستر، والتي أشرت إليها في غير موضع من هذه الأطروحة، ورصدت في ذلك مجموعة من الأبعاد التواصلية المتعلقة بهذا الحكم، انطلاقا من قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (سورة التوبة: الآية 27).

الفاسي: 'ولست أشك برهه أن من أجاز لهم الدخول لقلة أجرة أو لإتقان صنعة، أن لا يبيح لهم دخول المساجد في الغرب للاستماع إلى خطبة الجمعة، أو لتناول طعام الإفطار في رمضان نتألف به قلوبهم، أو لاجتماع تبادل فيه الآراء حول تربية أبناء المسلمين أو لتحسين مستوى الأجيال القادمة ... أو غيرها من المصالح' (الإعلام بجواز دخول المسجد لغير أهل الإسلام: مصطفى الشنضيض الفاسي: ص 54/55).

ومما يثيره لنا هذا النص إشكالية أخرى، وهي إشكالية التفريق بين المسجد داخل ديار المسلمين والمسجد في ديار المهجر أو في الغرب، حيث إن هناك مجموعة من الخصوصيات والملايسات تكتنف كل قسم من القسمين، لكن هذا التفريق لا يغير من طبيعة القضية التي هي محور الجدل المثار، لأن الأدلة والأحكام المتعلقة بها لا تتأثر بنوع هذا التقسيم، إلا أن المسجد خارج ديار المسلمين قد تكثر إليه الحاجة الحضارية المنطلقة من الاعتبار الواقعي لتفعيل هذه القضية، وذلك استثمارا للجوانب النفعية المرجوة من خلال إعمالها. وإذا عدنا إلى النص السابق لمصطفى الشنضيض؛ فإننا نجد يغني مجموعة من المقترحات العملية ذات الطابع الحضاري السوسيو تربوي، والتي قد يغفل عنها كثير من الممارسين في مجال الدعوة الإسلامية، وذلك إما على سبيل الجهل بالمسألة، أو تخوفا مما قد تفضي إليه من مشكل أو تشدد في الأمر...، وكل واحد من هذه السبل ينبغي الوعي به من أجل تجنبه، وذلك حتى نرتقي بفعالية الدعوة وأثرها على المستوى الحضاري. وقد ضرب المسلمون على مر التاريخ المثل الأسمى في تعايشهم مع غير المسلمين في إقامة دينهم وحسن تمكثهم خارج ديارهم من تأسيس المسجد بمنهج سليم، بعيدا عن العنف والاصطدام مع الآخر وبالحكمة التي تنصف الآخر وتعطيه الحق في ممارسة شعائره الدينية لأنهم أصحاب الأرض، ومن الشواهد على ذلك ما ورد في تاريخ المسجد الأعظم بقرطبة: 'ذكر الرازي عن الفقيه محمد بن عيسى أنه قال: لما افتتح المسلمون الأندلس، استدلو بما فعل أبو عبيدة وخالد - رضي الله عنهما - عن رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من مشاطرة الروم في كنائسهم، مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحا، فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة في كنيساتهم العظمى التي كانت بداخلها، وابتنى المسلمون في ذلك الشطر مسجدا جامعاً، وبقي الشطر الثاني بأيدي الروم، وهدمت عليهم سائر الكنائس، فلما كثر المسلمون بالأندلس، وعمرت قرطبة ونزلها أمراء العرب بجيوشهم؛ ضاق عنهم ذلك المسجد، وجعلوا يعلقون منه سقائف؛ فنال الناس من الضيق مشقة عظيمة، فلما دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس، وسكن قرطبة، نظر في أمر الجامع، وتوسيعه، وإتقان بنائه؛ فأحضر أعاجم قرطبة، وسألهم بيع ما بقي بأيديهم من الكنيسة المذكورة، وأوسع لهم البذل فيه، وفاء بالعهد الذي صولحوا عليه؛ وأباح لهم بناء كنائسهم التي كانت هدمت عليهم في وقت الفتح بخارج قرطبة، وخرجوا عن الشطر؛ فاتخذوه وأدخله في الجامع الأعظم، وكان شروع عبد الرحمن الداخل في هدم الكنيسة وبناء الجامع سنة 169؛ وثم بناؤه، وكملت بلاطاته، واشتملت أسواره في سنة 170، فذلك مدة

من عام كامل، فقيل إن النفقة التي أنفق الإمام عبد الرحمن بطول هذه السنة في بناء الجامع ثمانون ألفا بالوازنة' (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي (ت695هـ)، ج2/ ص229، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م).

وتجدر أهمية التنبيه إلى قضية فقهية حضارية تقابل قضية دخول غير المسلم إلى المسجد، وهي قضية دخول المسلم إلى كنائس النصارى، حيث تختلف القضيتان من ناحية التأصيل النظري، فلا يستلزم من اختيارنا للقول بجواز الأولى تسويغ جواز الثانية على إطلاقها، إذ إن كنائس النصارى قد تتعدد الممارسات والأنشطة بها، وليس الكل مما يسمح بحضوره طبعاً، نظراً لاعتبارات شرعية وذرائعية، ثم إن الحاضرين من المسلمين قد يختلفون من حيث رصيدهم العلمي وزادهم الإيمان، وبالتالي فليس كل واحد ممن يتاح له هذا الحضور بإطلاق، وفي هذا يقول الدكتور عبد الرحمان العصيمي: 'لا يجوز دخول المعابد لمشاركة الكفار في احتفالاتهم التعبدية وأعيادهم، لعموم النصوص الواردة في حرمة ذلك، أما حضور المناسبات العامة كالأعراس والولائم في المعابد، فلا حرج في ذلك بشرط وجود المصلحة الراجحة في الحضور كرجاء إسلام الداعي، وعدم حصول منكر فيها، كشرب خمر أو اختلاط، فمع توفر مثل هذه الضوابط لعل القول الأقرب جواز ذلك' (أحكام المعابد: عبد الرحمان العصيمي، ص305).

فلو فُتح هذا الفصل على مصراعيه في دخول من شاء من المسلمين لمعابد الكفار، فإنه سيزترتب على ذلك مخالفات كثيرة، منها تكثير سواد الكفار وتأثر ضعاف النفوس بشبهاتهم وانحراف عقيدة الولاء والبراء كذلك عند المترددين على تلك المعابد (أحكام المعابد: عبد الرحمان العصيمي، ص272/ 273 بتصرف). وبالتالي، فقضية الدخول هاته محكومة بالمقصد الشرعي ومضبوطة بقاعدة الموازنة بين المصلحة والمفسدة واعتبار المآل، ولا شك أن المقاربة الموضوعية لهاته القضايا الحضارية ينبغي أن تصطبغ بصبغة الاعتدال والوسطية بين التشدد المنتطع وبين التساهل المتميع.

وقد جوّز الإمام مالك (ت179هـ) دخول الكنيسة للضرورة الاجتماعية الملحة وعدم توفر البديل، إذ يقول: 'وأنا أكره الصلاة في الكنائس لنجاستها من أقدامهم وما يدخلون فيها، والصور التي فيها، فقيل له: يا أبا عبد الله، إنا ربما سافرنا في أرض باردة؛ فيجئنا الليل ونغشى قري لا يكون لنا فيها منزل غير الكنائس، تكننا من المطر والثلج والبرد؟ قال: أرجو إذا كانت الضرورة أن يكون في ذلك سعة إن شاء الله ولا يستحب النزول فيها إذا وُجد غيرها' (المدونة: مالك بن أنس، ج1/ ص183، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/ 1994م).

فلا بد من استحضار المعاني الشرعية المتعلقة بالاحتياط والنظر في مآلات الفعل وترجيح درء المفسدة على جلب المصلحة المظنونة؛ وذلك في مقارنتنا لقضية دخول المسلم للكنائس وبيوت العبادة خارج الإسلام.

3.2.4. الوظيفة الإعلامية للمؤسسة المسجدية.

تندرج الوظيفة الإعلامية ضمن وظيفة كبرى؛ وهي الوظيفة التواصلية، لأن الإعلام شق جزئي ضمن موضوع التواصل الذي يحمل في طياته الدلالية مفهوم التبادل والاشتراك في الأخذ والرد من حيث المعلومات أو المعرفة، وترتبط وظيفة الإعلام بشكل مباشر بالنشاط الحضاري للمسجد، نظرا لتعلقها بانخراط المسجد في الحياة العامة للناس على اختلافهم.

والجدير بالإشارة أن أشكال التواصل المسجدي تتنوع ولا تقتصر على نوع واحد فقط، مما يجعل هذه الوظيفة تخدم الإنسان بشكل كبير، وتسهم في تكوينه وإعداده بشكل متوازن، وذلك حتى يستجيب للمتطلبات الإنسانية العلائقية، نظرا لأن الإنسان مهما اختلفت طرائق تفاهمه وتواصله في هذه المؤسسة؛ فإنه لن يخرج عن الأشكال المتاحة والممارسة في الفضاء المسجدي العام، والتي تتميز بشراء مهم وفعال ومُجد، يقول الأستاذ عبد الله بوغوتة: 'إن للمسجد في الإسلام دورا هاما جدا، ورسالة عظيمة في الحياة، فبدأ صلاة الجماعة خمس مرات في اليوم أصبحت له مكانة هامة في الإسلام وفي حياة المسلمين، وما كان المسجد في فجر الإسلام إلا جامعة شعبية للتثقيف والتهديب والتشاور والتحاب والتعاون' (مقال: دور المسجد ورسالته / عبد الله بوغوتة، ص9، نشرة الأئمة والخطباء، وزارة الأوقاف، الرباط، المغرب، العدد 3، 1424هـ/ 2003م).

ولعل مدخل التأصيل لهذه الوظيفة ينطلق من كون رسالة المسجد رسالة إعلامية، فهي تنغّي إخبار الناس كافة بكل جديد نافع من شأنه أن يحقق مصالحهم في الدارين.

ولقد وظف الإسلام لتحقيق هذه الوظيفة وسائل مختلفة، أهمها المسجد لأنه أنجع وسيلة أو هو أنجع قناة لتصريف الخطاب التواصلية المستهدف، نظرا لمصداقية وقدسية رسالته، ولأن الإمام رائد، والرائد لا يكذب أهله، وأول شيء يبدأ به الإعلام المسجدي هو الأذان إخبارا بدخول وقت الصلاة (الدروس الحسنية 1434هـ: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص69 بتصرف) لقوله تعالى: "فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا" (سورة النساء: الآية 103).

ومن النماذج التطبيقية للوظيفة الإعلامية للمؤسسة المسجدية أذكر:

1- تأدية صلاة الجنازة به، إذ يعتبر ذلك إعلاما بوفاة شخص معين، خاصة إذا كان هذا الإخبار يتعلق بوفاة شخص له وزنه الاجتماعي، حيث تتحقق المصلحة الشرعية في الإخبار بوفاته بالمسجد، ويتم هذا الإعلام من خلال تأدية هذه الشعيرة بهذا المكان؛ فيتساءل الكثير من الناس على إثر ذلك عن الشخص المتوفى المصلى عليه.

إلا أن هذا النموذج التطبيقي بدأ ينفصل نوعا ما عن هذه الوظيفة في المدن والمناطق التي تعج بالسكنة، أو التي تعرف وجود أناس وافدين وغرباء، فنجد المصلين من المسلمين يؤدون هذه الشعيرة ولا يعرفون من هو الميت، في حين أن هذا النموذج لا يزال حاضرا بقوة في البوادي والمدن الصغيرة.

2- الإخبار بالأحداث والأمور التي تمم البلد أو المدينة والتي لها طابع استعجالي، من ذلك:

- قراءة الظهائر السلطانية كظواهر تولية الباشاوات والقضاة وأئمة المساجد الجامعة (شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بآسفي: كريدية إبراهيم، ص 92/93)¹.

- قراءة الرسائل السلطانية، كالإخبار بوفاة أحد الولاة ومبايعة نجله خلفا له.

- الإخبار بحملات التلقيح أو قوافل طبية أو زيارات تمم الشأن المحلي، خصوصا في البوادي، وذلك حتى يتسنى نقل الخبر إلى النساء في البيوت واللواتي لم يحضرن الصلاة في المسجد من أجل الانخراط إيجابيا في النشاط المستهدف.

3- تجاوب المساجد بشكل إيجابي مع المناسبات والأعياد والأحداث الوطنية، من قبيل الإخبار بحلول وقت ذكرى هذه الوقائع، مع الحديث عنها تعريفيا وشرحا وبيانا واستخلاصا للدروس والعبر منها، خاصة في خطب الجمعة والندوات العلمية التي تعقد لهذا الغرض، مستهدفة عددا كبيرا من الناس بمختلف فئاتهم، فأصبح بذلك المسجد ينافس بعض وسائل الإعلام في رسالتها (مقال: المسجد والضبط الاجتماعي - قراءة سوسيولوجية

¹ يمكن أن نعتبر هذا النموذج التطبيقي أنموذجا تقليديا، نظرا لانقراضه واندراسه في الوقت الراهن، حيث تم تعويضه بوسائل تواصلية أخرى تقوم مقامه.

في وظائف المسجد-: ذ صالح النشاط، ص33، مجلة الفرقان، الدار البيضاء، المغرب، العدد: 68، 1433هـ/2012م).

ويبرز هذا التجاوب المسجدي مع الأحداث الوطنية كذلك من خلال الوظيفة الإعلامية لمؤسسة المسجد في التطورات السياسية إبان الاستعمار الذي ذاقت مراراته مجموعة من الدول الإسلامية، ولعلني أسوق مثالا حيا من تاريخ الجزائر الشقيقة، حيث لم تختلف التجربة المقاومة ضد الاستعمار فيها عن التجربة المغربية؛ نظرا لعدد من الخصائص المتشابهة، فقد كان المسجد هو الموجه الأساس للثورة الجزائرية إبان الاحتلال، رغم أنه لم يكن ثكنة عسكرية لتدريب المجاهدين أو المشاركة في الحروب، بل كان يشكل القناة الإعلامية الرئيسة ولا يخفى على العاقل مدى أهمية هذه الخدمة في مثل هذه المحطات الاختبارية التي تتطلب نوعا من الثبات والصدق في نقل وإيصال الأخبار وتجنب ترويع الشائعات والأراجيف، يقول الأستاذ نور الدين طوابة من جامعة أدرار: 'وإن كان صحيحا أن المسجد لم يكن ثكنة عسكرية أيام الثورة، ولا مكانا لتدريب المجاهدين، إلا أنه شارك في الثورة من بابها الواسع، وذلك بالدعاية لها ونشرها، فكان بمثابة قناة إعلامية هامة تحظى باهتمام كل الشعب الجزائري وثقته في تبليغ أخبار الجهاد وانتصار المجاهدين عن طريق رجاله الذين كانوا يحثون الناس على الجهاد في سبيل الله والتضحية في سبيل نجاح الثورة وانتصارها' (مقال: الدور التربوي والدعوي للمسجد أيام الثورة/ ذ نور الدين طوابة، ص53)، ومن تمام وصميم التقييم الموضوعي لعطاء رجالات المسجد وأثرهم في هذا النشاط السياسي أن نشهد بتفوقهم ونجاحهم في أدائهم لهذه الوظيفة على الوجه الذي حقق مصلحة البلاد والعباد في آن واحد وحسن استثمار المسجد إعلاميا في الحدود الوسطية، يقول الأستاذ بلال ريم: 'المؤسسة الدينية ورجالها قد أدّوا ما عليهم من واجب تجاه دينهم ووطنهم ومجتمعهم الذي عاشوا فيه وتفاعلا معه، مع قضاياها، مشاكله، اهتماماته، بل كانوا يمثلون صوت الأمة وضميرها الحي في جلّ الفترات والعهود المتعاقبة، فقد نادوا بالحرية عاليا، نادوا بالثورة على الأوضاع، نادوا بالتغيير، مارسوا حق تغيير المنكر الذي منحهم إياه الشريعة الإسلامية' (مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي -المساجد والكنائس- / بلال ريم، ص188).

وفي إطار الخدمة الإعلامية التي أداها المسجد خلال فترة الاحتلال؛ فإنه لم يكن هناك تمييز بين مساجد القرى والأرياف البعيدة وبين مساجد المدن، بل إن النوع الأول من هذه المساجد كانت له البصمة

البارزة في هذه المقاومة نظرا لبعدها عن أنظار المستعمر وأثرها الفعال في تشكيل الوعي القروي، وشهدت مساجده لقاءات رجال الثورة بالشعب، لتبليغهم تعليمات وأوامر القيادة العليا حول ما يتعلق بالقضية الوطنية (مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي - المساجد والكنائس -/ بلال ريم، ص54)، ويتبين إذن أن المسجد رغم مشاركته في هذا النشاط السياسي الحاسم فقد استطاع أن يحافظ على رسالته السلمية ودعوته الآمنة، فلم يسجل في ذلك حدوث اقتتال أو فتنة سفك دماء بأرجائه.

4- إعلان الحدود في ساحة المسجد أو بالقرب منه بعد الفراغ من أداء الصلوات فيه، وله أثر حضاري اجتماعي يتجلى في ردع السلوكات المذمومة (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ ذ عبد السلام العزوي، ص23)، ويمكن أن نستشهد لذلك بما روي عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: ((بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةِ بْنِ كِنَانَةَ يَتَخَطَّى النَّاسَ حَتَّى اقْتَرَبَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقِمْ عَلَيَّ الْحَدَّ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْلِسْ» فَجَلَسَ، ثُمَّ قَامَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «اجْلِسْ» ثُمَّ قَامَ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: «وَمَا حَدُّكَ؟» قَالَ: أَتَيْتُ امْرَأَةً حَرَامًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجَالٍ مِنْ أَصْحَابِهِ «انْطَلِقُوا بِهِ فَاجْلِدُوهُ مِائَةً جَلْدَةً»....)) [مسند أبي يعلى الموصلي (ت307هـ): أول مسند ابن عباس، رقم: 2649، ج5/ ص58، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، ط1، 1404هـ/ 1984م، ضعف إسناده محقق الكتاب].

ولا شك أن هذا التطبيق الإعلامي معطل في واقعنا، نظرا لعدة اعتبارات، إلا أن وجوده في العهد الأول لتاريخ المسجد التفاعلي يصمم على مجموعة من الأبعاد التفاعلية للمسجد، حيث يدل على أن هذا الفعل يرسل إشارات رمزية تتوخى تحقيق الردع والزجر السلوكيين داخل المجتمع، بالإضافة إلى ترسيخ قيم العدل في فصل النزاع بين الناس، وأما ما نقل عن بعض الفقهاء من منع إقامة الحدود في المسجد؛ فإنه محمول على الفعل بداخله، والذي قد يفضي معه إلى انتفاء أجواء الأمن والسكينة اللازمين في هذا المكان، ثم إن الدافع وراء هذا القول هو الاحتراز مما قد يصيب المكان من تلويث جراء الجروح وانبعاث الدماء فيه، ولهذا يقول الإمام الزركشي: 'لا تقام الحدود في المسجد ولا التعزير لاحتمال تلويث المسجد بجرح أو حدث' (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص371).

5- إعلان دخول الإسلام؛ وذلك من طرف الأجانب الذين يشرح الله صدورهم لدخول الدين، حيث يتم هذا الإعلان عقب الصلوات الجماعية المفروضة، خاصة صلاة الجمعة لما فيها من كثرة الأعداد، ليتم بعدها تبادل التهاني والتحيات والهدايا التي تجسد عربون الأخوة بين المسلمين، فيتشكل بذلك مظهر حضاري عظيم ومؤثر في الآن نفسه.

ويرجع نجاح المؤسسة المسجدية في وظيفتها الإعلامية إلى كونها تتميز بصفة الوثوقية والمصداقية، فلا تنقل ولا تُعلم من الأخبار إلا بما صحّ منها دون ترويج للإشاعات أو الأكاذيب، ولذلك، فإننا نجد الكثير من الناس يرجحون الأخبار المتداولة في المسجد أو مع أهل المسجد على باقي الأخبار التي تنقل خارج هذا الإطار وتتعارض معها كلياً، نظراً لترسخ هذه الصفة القيمة في نفوسهم، يقول الأستاذ علال البوزيدي: 'خلاصة القول أن¹ للمسجد دوراً إعلامياً هاماً سواء في المدينة أو البادية باعتباره نقطة الالتقاء ومصدراً موثقاً به، لذلك يقوم بدور حيوي وفعال في مجال الإعلام المباشر والجمهوري وكذلك في مجال الاتصال والتواصل بين الناس، وهذه من الأسس الإيجابية لخدمة الفرد والأسرة والمجتمع، فضلاً على أن ذلك يشكل دعماً قوياً لبلورة الوعي الحقيقي في النفوس ويصحح ما يصل إلى الرأي العام من معلومات بواسطة بعض وسائل الإعلام التي تنهج المغالطة وإخفاء الحقائق، ومن هذا المنظور تتأكد فعالية وأهمية الدور الإعلامي في المسجد في حياة الناس باعتباره من القنوات الإعلامية الهامة' (مقال: المسجد ودوره الفعال في ترسيخ الدعوة/ ذ علال البوزيدي، ص50، مجلة الإرشاد، العدد 3، السنة: 22، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 1412هـ/ 1992م).

مع أنه لا يجزم بهذا الأمر مطلقاً، فهو عنصر بات يعرف مجموعة من المتغيرات خاصة في زمننا الذي ظهرت فيه مجموعة من المعطيات، فقد نجد عدم التورع من بعض مرتادي المسجد، في نشر بعض من الإشاعات التي تقلل من مصداقية الشأن الإعلامي للمسجد، ولعل هذا الأمر يحتاج إلى دراسة نفسية واجتماعية تكشف ملامحه وأسبابه وتقترب سبلاً لتفاديه، حفاظاً على الوظيفة الإعلامية التي تؤديها مؤسسة المسجد التفاعلي.

¹ الأولى التعبير ب: إن.

وإذا أردنا أن نعقد مقارنة وظيفية للنشاط الإعلامي الذي تضطلع به مؤسسة المسجد التفاعلي بين المدينة والبادية؛ فإننا نرصد هنالك تفاوتاً كبيراً في هذا النشاط بين الواسطين، نظراً للخصوصيات التي تختص بكل وسط من الواسطين، وذلك لأن البادية تعتمد بشكل كبير على مؤسسة المسجد في هذا الجانب، في حين أننا نجد مؤسسة المسجد لا تنفرد لوحدها بهذه الوظيفة داخل المدينة، وإنما تنافسها في ذلك جهات ومؤسسات أخرى في إطار التدافع الوظيفي داخل المجتمع، فلا يظهر هذا النشاط بالوجه الذي يكون عليه في الوسط القروي، كما أن العرف السائد في كلا الواسطين يجعل الاعتماد على المسجد في القرية أقوى مما هو عليه في المدينة، وقد أجريت مقابلة علمية في هذا الصدد بغية رصد مجموعة من أوجه وتفاصيل النشاط الإعلامي لمؤسسة المسجد التفاعلي مع الأستاذ ميمون قريون¹، والتي يمكن تجميع ممارساتها كما يلي:

-الإخبار بحالات الطوارئ والأخطار التي تعرفها القرية أو بعض مناطقها أو أهلها من أجل اتخاذ الاحتياطات اللازمة، ومثل هذه القضايا تتخذ صبغة استعجالية لا ينبغي فيها التأخر ولا التخاذل.

-الإخبار بوجود ما يستدعي التطوع وتكثيف الجهود من أجل مصلحة معينة²، حيث إن هذا الإخبار بواسطة هذه القناة يكون أكثر وأقوى تأثيراً واستجابة، فلو أن هذا الإخبار أخذ بعداً فردياً لتطلب من الوقت والجهد الكبيرين دون أن يحقق نتائج في مستوى التطلعات.

-الإخبار من خلال صومعته بضيايع الأشياء الثمينة أو التي لها أثر كبير في حياة الإنسان³.

¹أستاذ اللغة العربية بالسلك الثانوي في إقليم اليوسفية، وباحث في سلك الدكتوراه ومتخصص في قضايا الإصلاح الديني والإعلام، وقد تم تركيز المقابلة معه على تجربة ميدانية، من خلال إقليم تاونات وبعض القرى التابعة لنفوذه الترابي، والمقابلة مدونة وفق ما صرح وأدلى بها الأستاذ؛ وذلك ضمن ملاحق هذا البحث في آخره.

²يلاحظ أنه تتداخل في هذه القضية الوظيفية الإعلامية والوظيفة الاجتماعية، نظراً لأن بعدها النفعي الاجتماعي أمر واضح، ويفرض نفسه بقوة في هذه القضية.

³لا شك أن هذا هو التصرف السليم واللائق، لأن النداء من الصومعة يحدث من المقصورة أو من مكان الأذان، وفي الغالب يكون هذا المكون المسجدي منفصلاً عن المكان المخصص للصلاة، لأن هذا المكان ورد فيه النهي عن إنشاد الضالة، وذلك لما روي عن أبي هريرة يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ؛ فَلْيَقُلْ لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْمَسْجِدَ لَمْ تُبْنَ لَهُذَا» (صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النَّهْيِ عَنِ النَّشْدِ الضَّالَّةِ فِي الْمَسْجِدِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ سَمِعَ النَّاشِدَ، رقم: 568، ج 1/ ص 397).

-الإخبار بالوفاة ومكان وزمان الدفن لتمكين الناس جميعا من مراسيم التشييع وشهود الجنازة.

والملاحظ أن هذا النشاط المسجدي الإعلامي أنه نشاط مدروس ومخطط وليس أمرا اعتباطيا خال من التنظيم والتفكير، فهو لا يتزعمه إلا أهل المسجد الذين يتقنون وظيفته بشكل جيد ولهم من حكمة التصرف ما يمكنهم من التفوق والنجاح في أدائه، ولا يمكن أن يقوم به كل من يحلو له ذلك، كما أن البعد الإنساني حاضر بقوة ووزن كبيرين في غايات هذه الممارسة الوظيفية دون التجرد من البعد الأخلاقي القيمي، فليس كل خير يمكن الإعلام به يتم ترويجه عن طريق المسجد، لأن هناك من الأخبار ما يكون فيه إساءة أو ضرر بجهة معينة من الجهات.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الوظيفة لا يمكن أن تتم بمعزل عن الوظيفة الاجتماعية، فهي متداخلة معها في إجراءات عدة، وما الفصل في هذا المقام بينهما إلا من أجل التمييز وتغليب بعض الجوانب بغرض الدراسة وتركيز النقاش فقط.

ومن الأنشطة الإعلامية التي أصبحت تتم عبر مؤسسة المسجد في مناسبة العيدين الإخبار بمصليات العيد، والتي ستجرى فيها مراسيم الصلاة ووقت الصلاة، إذ تزداد الأهمية الإعلامية لهذا الأمر مع ازدياد العمران ووجود أكثر من مصلى يحتضن هذا الحدث العظيم، وذلك حرصا على توحيد مكان ووقت الاجتماع، بما يحقق مصلحة الجماعة وتكثير الأعداد وتجنب الانتظار وإيقاع الناس في المشقة، ونجد في كثير من الأحيان إعلان الجهة الوصية على القطاع محليا عن هذا الحدث على أبواب المساجد بواسطة إخبار رسمي مكتوب، لكن الإعلام الشفوي الذي يباشره الإمام أو المؤذن المسمع خلف الإمام يظل أبلغ من ذلك الإعلام الكتابي، حيث إن الإعلام الشفوي يشد الانتباه بقوة، في حين، أن الإعلام الكتابي قد لا يتفطن إليه في غالب الأحيان، لكون الداخل إلى المسجد يكون همه الدخول بشكل مسرع من أجل إدراك ما فاتته من الصلاة أكثر من التنبه لما هو مكتوب معلق.

ولا ينبغي أن ننسى أن المنبر المسجدي يعتبر أداة إعلامية يراهن عليها في الوقت الحاضر، وذلك من أجل تبليغ الناس وإعلامهم بالأمور التي تحظى بأهمية إعلامية كبرى، والتي لها طابع استعجالي من حيث الحاجة

الضالة هي الضائعة من كل ما يقتنى من الحيوان وغيره (شرح محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم بنفس الصفحة).

إلى التبليغ بها، نظرا للحشد الكبير من الناس الذين يتجمعون ويصغون إلى ما يُعلم به بتركيز كبير، وفي هذا يقول عبد الله قاسم الوشيلي: 'ومما لا شك فيه أن المنبر في المسجد أخطر مؤسسة إعلامية اعتمدها الإسلام للمسلمين ليرسلوا من خلاله التوجيهات والإرشادات والنصائح لمختلف شؤونهم وأحوالهم الدينية والدنيوية وجميع الناس، والذي زاد في خطورته ارتباط مشروعية الارتقاء عليه للخطبة للصلوات المشروعة لها الخطابة المتضمنة التوجيه لكل ما يحتاجه المجتمع وتحتاجه الأمة'(المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص 40).

والتعبير بلفظ الخطورة عن المنبر تعبير بليغ، حيث إما أن يتم توظيفه إيجابيا في التوجيه والتبليغ على الوجه المراد وإلى القصد المرضي، فيثمر بذلك تأثرا وتطبيقا لفحوى ما يثبته في الناس؛ فتبقى المؤسسة المسجد سيادتها الوظيفية على المستوى الإعلامي، وإما أن يُوظَّف المنبر سلبا في هذا العمل، فيورث اشمئزا ونفورا وتدمرا من صاحب المنبر، نظرا لسوء ورداءة توظيفه في هذا الإطار.

ولعل من أهم وأبرز الأمثلة التطبيقية على نماذج الإعلانات المنبرية: التذكير بالتسجيل في قرعة موسم الحج، أو الإخبار بحدث ذي مصلحة عامة متعددة تستدعي تعبئة مسجدية مكثفة للمشاركة في حملة دعم الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، أو الاستفادة من قافلة طبية، أو تحفيز الناس للمشاركة في حملة تبرع بالدم

...

الفصل الخامس:

المنهج

المتبع في الدراسة

وأدواته الإجرائية.

1.5. تبرير اختيارات منهجية شكلية:

-تموضع الفصل المنهجي الموسوم ب (المنهج المتبع في الدراسة):

يعتبر منهج البحث هو الوجه الحقيقي للبحث والباحث كليهما، لأنه يمثل التصور النظري الشامل حول كيفية وطريقة مقارنة موضوع البحث من طرف الباحث، ولقد جرت العادة في مجموعة من البحوث العلمية الأكاديمية-سواء تلك التي تقدم لنيل شهادة الماستر أو لنيل شهادة الدكتوراه-أن تتضمن مقدماتها محورا خاصا حول التطرق للمنهج المعتمد في إنجاز البحث مع ذكر تفاصيله الجزئية وأدواته الإجرائية الموظفة لبلوغ الأهداف المسطرة من قبل الباحث، إلا أنني في هذا البحث سلكت نهجا مغايرا للعرف المتداول ضمن التخصص الذي أُنتمي إليه (تخصص: الدراسات الإسلامية)، حيث لم أتطرق في مقدمة البحث إلى الحديث عن المنهج، بل أفردت له فصلا خاصا بعد إنهاء كافة الفصول النظرية التي بدت لي في معالجة أطراف الموضوع ضمن قسمه النظري، فجاء تموضعه في صلب البحث، ويرجع هذا الاختيار إلى توجيهات أستاذي المشرف في هذا الصدد على أن تكون الهندسة التصميمية لخطة البحث على هذه الشاكلة، بأن تخلو المقدمة من وجود هذا المحور، وذلك من أجل أن يتم التوسع بشكل مفصل في الدقائق المنهجية في فصل خاص مستقل بنفسه، خاصة فيما يتعلق بالدراسة الميدانية من حيث دوافع اختيار المنهج ومدى مؤشرات ملاءمتها لموضوع وطبيعة الدراسة، مع توضيح وتوصيف جميع المعطيات التي تم أخذها بعين الاعتبار في تخطيط وتنفيذ الاستمارة، ثم الإشارة إلى تقنية إعمال المقابلة والاستجواب، دون إغفال التطرق إلى الطريقة التي أعمل بها الملاحظة، وكيفية تحصيل التكامل المنهجي لهذه الأدوات؛ من حيث التوظيف ومن حيث التوزيع على مواطن الدراسة الميدانية، ولا شك أن التوسع في تفصيل مكونات منهج البحث من شأنه أن يخرج المقدمة عن طابعها المقتضب، فتصبح في مظهر لا يتناسب وخصائصها المضمونية ولا خصائصها الشكلية والأسلوبية أيضا، فتعين لهذا السبب أن يتحقق هذا النوع من الأفراد والتخصيص لتحقيق هذه البغية.

ويمكن أن أضيف في تحليل هذا الاختيار التموضعي أمرا آخر أقترح تسميته بالمناسبة أو قرب العهد، أي أن تموضع محور منهج البحث في فصل مستقل، بحيث تتلوه مباشرة الفصول التي تتركز على عرض وتحليل نتائج الدراسة الميدانية، من شأنه أن يسهم بذلك في تحصيل نوع من التناسق والتناسب والتسلسل، وبالمقابل إذا تم الاحتفاظ بهذا المحور ضمن عناصر المقدمة؛ فإنه قد يحصل نوع من النشاز والتباعد، فيربك القارئ بسبب وجود فارق نظري ليس هينا بين الحديث عن المنهج وبين الحديث عن تطبيق وأجرأة هذا المنهج.

-مكان تموضع الإحالات:

جرت العادة في أغلب البحوث الأكاديمية خلال عملية وضع الإحالات أن يتم فصلها عن المتن بخط أصغر على اليمين في الأسفل، ويكون ترقيم الإحالات تبعا، وذلك حسب الترتيب المناسب لتموضع كل كلمة في المتن، إلا أنني في منهجية التعامل مع الإحالات خلال هذا البحث -وبتوجيه من الأستاذ المشرف وإرشاد منه- قمت بإرداف كل موضع مقتبس من المتن بالإحالة المناسبة له على طريقة APA، والتي هي مستمدة من الجمعية الأمريكية للدراسات النفسية، إلا أنني في انتهاج هذه الطريقة ضمن الإحالات لم أعتد التقنية الإلكترونية التي يتيحها برنامج WORD في تدبير وتنظيم الإحالات المفصلي في الأخير إلى ترتيب قائمة المصادر والمراجع المضمنة في البحث، وإنما استعملت التقنية بشكل مباشر ويدوي.

تارة أضع التوثيق بين قوسين، وذلك إذا كان قبلها آية أو كلام مقتبس لأحد ما غير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما إذا كان قبل الإحالة حديث؛ فإن الإحالة أكتبها بين معكوفتين [...].، وذلك لأن الحديث أكتبه بين قوسين مزدوجتين ((....))، وبالتالي يكون هذا الاختيار الإجرائي أنسب؛ تجنباً لوقوع تداخل وارتباك في الكتابة بين الرموز بسبب كثرة الأقواس، أما الرمز «...» فإنني أستعمله لتمييز الكلام النبوي داخل الحديث؛ وذلك إذا كان الحديث يتضمن كلاماً آخر غير كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

2.5. فرضيات البحث:

يعتبر بناء فرضيات البحث منطلقاً أساساً لتحفيز الباحث من أجل الانطلاق لحل الإشكالية التي تؤطر موضوع البحث، [وتمثل الفرضية تصريحاً يقدمه الباحث، ويحدد فيه مسبقاً العلاقة التي يراها قائمة بين الظواهر في المحسوس، وعن طريقها يحدّد الوجهة التي تأخذها مسألة البحث في المحسوس] (علم الاجتماع- السوسيولوجيا-: عبد الله إبراهيم، ص229، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2010م).

وليس مجال صياغة الفرضيات مجالاً ثابتاً أو محصوراً، بل هو مجال خصب، تتناسل في خضمّه هذه الفرضيات حسب عامل الزمن والتجربة، وذلك خلال قطع جميع أشواط البحث، يقول سيرج بوغام: 'لئن كان بناء موضوع البحث يفضي بصفة تكاد تكون آلية إلى فرضيات؛ فإن هذه قابلة للمراجعة والإثراء والتغيير خلال البحث أحياناً، وليس من النادر بالفعل أن تؤدي تجارب الميدان الأولى بعالم الاجتماع إلى إعادة توجيه سؤاله الأصل، كما لا يندر أن تنبثق من مقارنات البحث أسئلة جديدة تطفو، ويستحسن إذن أن تضاف،

وأخيراً يكون من الضروري في بعض الأحيان، ولدى بلوغ مرحلة متقدمة من التحقيق الميداني بناء نماذج مثال، تستخدم كما لو كانت أرحاماً تولد صياغة فرضيات جديدة، ومن ثم تقود لجمع معطيات خبرية إضافية. فلنتوقف عند مختلف هذه النقاط' (ممارسة علم الاجتماع: سيرج بوغام، ص58، ترجمة: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، دجنبر 2012م).

يتطلب البناء العلمي الرصين للفرضيات أن يكون الباحث على اطلاع واسع بالمجال المعرفي الذي يبحث فيه، بالإضافة إلى امتلاكه قدرة على التخيل (البحث العلمي مفهومه أدواته وأساليبه: ذوقان عبيدات وعبد الرحمان عدس كايد عبد الحق، ص96، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون سنة الطبع)، وتوسيع أفق النظر دون انغلاق في أنماط التفكير التقليدية التي تتسم بالضيق والمحدودية.

وعليه، فبناء على الإشكالية الكبرى التي تمت صياغتها في مقدمة البحث؛ والتي يحاول البحث من خلال تجزئتها إلى إشكاليات صغرى أن يقوم بمقاربة لها بغية محاولة حلّها عبر المنهج الذي يلائم طبيعة الدراسة؛ فإن الأمر يقتضي أن تتم صياغة مجموعة من الفرضيات، وهذه الفرضيات هي بمثابة حلول مؤقتة يتعين على البحث أن يجيب عليها للتأكد مما هو مطروح فيها إما إيجاباً أو سلباً.

وأبرز الفرضيات التي تستوقفنا في هذا الصدد وفق الإشكالية الرئيسة للبحث ما يلي:

- 1- تتداخل المجالات الوظيفية والأنشطة الممارسة في مؤسسة المسجد التفاعلي معرفياً ومنهجياً بشكل كبير جداً، بحيث يكون الفصل بينهما في كثير من الأحيان أمراً صعباً.
- 2- هناك قضايا تفصيلية ونماذج تمثيلية تتعلق بالمسجد التفاعلي يمكن إدراجها في أكثر من مجال وظيفي من مجالات الكلية.
- 3- لا يمكن أن نقبل بجميع الأنشطة والوظائف التي يمكن أن تجرى وتمارس بمؤسسة المسجد التفاعلي دون قيد أو ضابط أو شرط أو قياس لحجم التفاعل الميداني من طرف الجمهور.
- 4- هناك عراقيل وعقبات وصعوبات تعترض سبل تنفيذ مشروع مؤسسة المسجد التفاعلي، وهي متعددة الوجّهات ومختلفة الأسباب.

5- مشروع مؤسسة المسجد التفاعلي ليس إلا خطة وظيفية تركز على الجانب العملي التطبيقي للمسجد بموازاة مع الممكن الواقعي المتاح.

6- غاية مؤسسة المسجد التفاعلي هي التقليل من حدّة المشاكل والأزمات المرصودة في المجتمع الذي نعيش فيه، وليس من الضروري أن يُدّعى أنه الحدّ الفاصل والحاسم في القضاء على جلّ المشاكل الموجودة حالياً، وقد تتحقق هذه الغاية، كما أنها قد تتخلف لأسباب ذاتية أو لأسباب موضوعية أو لهما معا.

7- الدولة مسؤولة على الوضع الحالي لمؤسسة المسجد.

8- ليست الدولة وحدها المسؤول المباشر على الوضع المتزدي الذي وصل إليه واقع المسجد الحالي، بل هناك جهات أخرى وأطراف عدة تتحمل هي الأخرى مسؤولية هذا الوضع.

9- لا ينتظر من جميع المساجد المتوفرة حالياً أن تتحول إلى مساجد تفاعلية، بل يكفي أن يوكل ذلك إلى البعض، وبالتالي، فالمسجد التفاعلي يتطلب عدتين تجهيزية ومادية.

10- العامل المادي عامل أساس في إنجاح العمل الوظيفي المسجدي.

11- ليس للعامل المادي أيّ أثر ولا ارتباط مع مؤسسة المسجد التفاعلي، ويمكن الاستغناء عنه في تخطيط وتدبير هذا المشروع دون أي إشكال.

ملاحظة:

لا يعتبر مجرد بناء وصياغة الفرضيات أمراً نهائياً أو غاية في حدّ ذاته، بل إن المرحلة الحاسمة في التعامل مع الفرضيات هي التوصل إلى إثبات الفرض أو نفيه بطريقة علمية مقنعة، مع الحرص على التعزيز بإيراد الأدلة المؤيدة أو المعارضة في ذلك (البحث العلمي مفهومه أدواته وأساليبه: ذوقان عبيدات وعبد الرحمان عدس كايد عبد الحق، ص 96/97 بتصرف)، والجدير بالذكر -حرصاً على التواصل العلمي المنهجي- أن مرحلة قياس الفرضيات إثباتاً أو دحضاً أرجأناها إلى خاتمة البحث، على اعتبار أنها الأنسب في ختم البحث بالنتائج المتوصل إليها، كما أن هذه الفرضيات التي تمت صياغتها هي على حسب قوة البروز ودرجة أهميتها، فهي ليست على سبيل الحصر.

3.5. منهج الدراسة النظرية:

سلكت في الشق الأول (النظري، أي: الفصول الأربعة الأولى من الأطروحة) من هذا البحث منهجا تحليليا يركز على منهج تحليل المضمون، والجدير بالإشارة إلى أن عملية التحليل ليست عملية إنشاء وتعبير، مجرد تسويد الأوراق وإشباعها بالكم الهائل من الكتابة وملء السطور، بل هي عملية معقدة ومركبة في الآن نفسه، حيث تعتبر بناء متسلسلا ينطلق من مقدمات وأوليات للوصول إلى نتائج ومستجدات، والتي يرجى منها أن تحقق الإضافة النوعية لمجال التخصص من خلال الإنجاز المبحوث، كما أنها عملية تستند إلى أرضية هامة، ألا وهي مرحلة الوصف، والتي تقوم على استخراج ورصد أهم العناصر والمكونات البارزة، الشيء الذي يحتاج معه إلى جهد مصحوب بالصبر والتركيز، مع أن التركيز على المعطيات الواقعية الميدانية في التحليل يظهر أكثر جلاء في الشق الثاني للموضوع، نظرا لخصوصيته التي تقتضي ذلك.

وفي إطار أجراً عملية الوصف؛ يمكنني أن أذكر أهم العمليات الإجرائية التي أعملتها في هذا الصدد، وهي على الشكل الآتي:

1- الاستقراء والتتبع:

أعملت آلية الاستقراء في أمرين مرجعيين:

أ- الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المؤطرة لموضوع فرعي أو مجال جزئي، مما يندرج ضمن الموضوع البؤرة الموسوم: مؤسسة المسجد التفاعلي، ولعل أهم الوسائل التي تسهل إدراك هذه البغية هي تفعيل تقنيات البحث الموضوعي في القرآن الكريم وضمن كتب الحديث المكونة للمصادر الحديثية الأصيلة، مع أن ادعاء القيام بالاستقراء التام والشامل أمر لا يرام بأي حال من الأحوال، وهو مما يصعب بلوغه.

وفي إطار عملية استقراء وسوق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لم أغفل تخريج الآيات وذلك بذكر اسم السورة متبوعاً برقم الآية على هذا الشكل: (سورة كذا: الآية كذا)، أما الأحاديث النبوية؛ فأقوم بتخريجها بذكر المصدر متبوعاً بنقطتي تفسير يليهما اسم المصنف مع الإشارة إلى تاريخ وفاته بين قوسين ثم أضع الفاصلة ثم الكتاب فالباب فرقم الحديث لأختتم بذكر الجزء والصفحة، وفي حالة ذكر الكتاب لأول مرة؛ فإنني أسجل اسم محققه -إن وُجد- مع الإشارة إلى دار الطبع والبلد ورقم الطبعة وسنة النشر، ولا أعيد تكرار هذه البيانات إذا تكررت التخريج من نفس المصدر مرة أخرى، كما هو الشأن مثلاً في التعامل مع صحيح البخاري، بل أكتفي بذكر اسم الكتاب والمؤلف والصفحة، لكنه إذا تعلق الأمر بتخريج حديث من المسند؛ فإنه عوض الكتاب

وبالباب أذكر اسم المسند والصحابي ثم رقم الحديث، وأحيانا أذكر ما توصلت إليه من تعليق المحدثين حول الحديث الذي استشهدت به من باب إبراء الذمة إن كان في الحديث ما يستلزم التعليق عليه، وأفرد تسجيل هذا التعليق في الهامش أسفل الصفحة؛ وذلك إذا كان طويلا.

كما أشير إلى أن كثيرا من النصوص القرآنية والحديثية تحتاج إلى تكرار الاستشهاد بها في أكثر من موضع، إلا أن كيفية التحليل وطريقة سوق الاستشهاد تختلفان من موضع إلى آخر، وبالتالي، فإنني أحاول ما أمكن أن أشير إلى سبق الذكر والاستشهاد بما قد سبق في الصفحة المناسبة التي وقع فيها الذكر لأول مرة، وذلك حتى أتجنب التكرار والإطالة.

ب- النصوص الوظيفية المتضمنة للإشارات المعرفية المختلفة والتي تدور في فلك معالجة الوظائف المسجدية المختلفة المسهمة في مشروع مؤسسة المسجد التفاعلي، وقد ساعدني في إدراك هذا المبتغى تتبع مختلف المراجع- سواء القديم منها أو الحديث- والتي اهتمت بمعالجة موضوع المسجد في جوانبه الوظيفية التفاعلية، مع أنني تجنبت الإكثار من إيراد النصوص التي تستفيض في قضايا موضوعية هامشية ولا تأتي بالجديد النوعي في صلب البحث، كما ابتعدت عن النصوص التي تغوص في المعطيات الوصفية الإحصائية المتعلقة بالمساجد، والتي لا تصطبغ ببسطة التفاعلية والوظيفية، وقد وجدت هذا النوع متوفرا بكثرة خاصة في كتب التاريخ والفنون والآثار، بل إن من المؤلفات ما أفرد فقط في هذا الصدد، ومن أمثلة هذا النوع من التأليف نجد كتاب الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة في المساجد الإسلامية والمرائد المقدسة، وهو للأستاذ شاكر هادي غضيب.

وأهم القوائم المرجعية التي اعتمدت عليها في هذه المرحلة هي تلك التي تتوفر عليها مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بمدينة الدار البيضاء، نظرا لما لها من معايير ومواصفات دولية، توفي بمتطلبات البحث العلمي في مستوى سلك الدكتوراه، كما اعتمدت على القوائم المتوفرة في بعض المكتبات الإلكترونية وعلى رأسها المكتبة الوقفية للكتب المصورة، وسلكت في منهجية التعامل مع هذه القوائم طريقة البحث الموضوعي مع انتقاء عناوين المصادر والمراجع التي لها صلة وثيقة بالموضوع.

ولا أستطيع -طبعاً- أن أجزم أنني قمت باستقراء تام لجميع الجزئيات، كما سبق وأن ذكرت آنفا في الآيات والأحاديث المؤطرة للموضوع، فهذا أمر عزيز وبعيد المنال، فغالب ما يدركه الباحثون بعد جهد جاهد

وسعي حثيث هو استقرار شبه تام، لأنه من المحتمل أن تغيب مجموعة من المراجع المتخصصة عن نتيجة العثور والتنقيب، أو التي لا تظهر إلا بعد خروج البحث إلى حيز الوجود.

وعليه، يمكن تقسيم مظان هذه النصوص إلى ثلاثة أقسام:

-مراجع متخصصة من أولها إلى آخرها في معالجة قضية أو قضايا وظيفية تتعلق بمؤسسة المسجد، فمن هذه المراجع ما يعالج الموضوع فقهيًا، ومنها ما يعالجه تاريخيًا، ومنها ما يعالج وظيفته الاجتماعية أو التربوية أو الحضارية أو السياسية، ومن أمثلة هذا القسم من المراجع يمكن أن أذكر كتاب: **مؤسسة المسجد - الرسالة الحضارية والوظيفة الاجتماعية - للدكتور عبد العالي المعكول**، على اعتبار أن صاحبه معاصر وهو من أهل البلد، ومرجع هذا له سمعة علمية وعمدة في الموضوع البؤرة، لكنه يحتاج إلى إعادة النظر في تحليله لبعض القضايا العلمية، نظرًا لأنها تفتقر إلى مزيد بسط أو تعميق نظر.

-مراجع تتضمن جزءًا محددًا أو بابًا معينًا يعالج قضية وظيفية ذات صلة مباشرة بمؤسسة المسجد، ويلاحظ أن هذا القسم نادر في وجوده ضمن مجموع المراجع المعتمدة في البحث، وذلك بالمقارنة مع حجم وجود القسمين الآخرين.

-مجالات أو دوريات تحتوي على مقال أو مقالات لمؤلف أو مؤلفين في موضوع يتعلق بشق متعلق بمؤسسة المسجد، ومن أمثلة ذلك مجلة نوافذ في عددها 40/39 لسنة 2009م فقد تضمنت مقالًا علميًا للدكتور عبد الهادي أعراب وهو بعنوان: المساجد والتحكم الديني للدولة بالمغرب.

وتنتهج هذا التصنيف الثلاثي مكتبة مؤسسة عبد العزيز آل سعود في الفهرسة الإلكترونية التي تُعتمد في الكتب المتوفرة برفوفها.

2-الحصر والعدّ:

قمت بهذه العملية في إطار التقسيم الوظيفي لما تشمله مؤسسة المسجد التفاعلي من وظائف، كما سلكت هذه المنهجية العملية تحت كل وظيفة على حدة، وذلك بحصر وعدّ ما يندرج تحتها من قضايا تفصيلية معرفية، بالإضافة إلى مناقشة حصيلة ذلك في إطار التفاعل مع الواقع وما يسفر عنه من مستجدات

وإشكالات، وليس قياسي بهذه العملية ادعاءً للحسم النهائي فيما يعدّ ويحصر، وإنما هو **اجتهاد فردي** أتبناه انطلاقاً مما استقر في عملية الجمع المعلوماتي المتعلق بالموضوع.

3-التقسيم والتصنيف:

سلكت آلية التقسيم في أجزاء ومكونات عدة من مجموع المادة العلمية المحصلة، وذلك قصد تفكيك المادة وتسهيل التعامل مع مكوناتها في إطار عملية التحليل، ليتم إعادة تركيبها في ثوب جديد يخدم مصلحة البحث، ويركز على تحقيق الأهداف المسطرة من ورائه، وبالتالي، فكثير من النصوص التي كنت أسوقها على سبيل الاستشهاد أو الاستدلال بها؛ أردفها بتقسيم الإشارات والدلالات المنبثقة منها، وقد أنتقل ضمن نفس الآلية المنهجية إلى عملية المقارنة، وذلك إذا كان هذا المسلك يرفع من جودة التحليل ويحقق الجودة في البسط الموضوعي لقضايا البحث.

أما التصنيف؛ فقد حرصت على إعماله قصد تسهيل استيعاب مجموعة من القضايا المتصلة بالجوانب الموضوعية للأطروحة، ولا أخفي أن عملية التصنيف هاته يعترضها مشكل التداخل في المجالات الحيوية التي يتم وفقها هذا التصنيف، لذلك، كان ولا بد لزاماً أن أشير إلى هذا العائق كلما صادفني وجوده.

وقد قمت باستهلال تنفيذ مراحل هذا المنهج من خلال جمع المعطيات والمعلومات المتعلقة بجزئيات ومكونات الخطة المبدئية التي تم تسطيرها في بادئ الأمر، مع تعديلات تجرى من فينة إلى أخرى، وذلك تبعاً للقراءات المختلفة التي أباشرها في الموضوع المبحوث، وتبعاً كذلك للتطور في الرؤى والتصورات المواكبة للانفعال المعرفي والمنهجي على الموضوع البؤرة.

ثم انتقلت بعد ذلك إلى ترتيب وتصنيف هذه المعطيات بشكل يتيح التعامل معها بكيفية تجزئية، من أجل إخضاعها لعملية التحليل، واقتضت طبيعة البحث أن يكون التعامل في شقه النظري مع المصادر والمراجع التي اهتمت بدراسة الموضوع والمكونة من كتب ومقالات ضمن دوريات علمية مصنفة، وذلك من أجل التأسيس للتعامل ميدانياً مع استمارة ومقابلات وملاحظة ميدانية واستجوابات مع أفراد.

وأهم ما ركزت عليه في جانب التحليل النظري مناقشة الرؤى والتصورات إما نقداً أو تأييداً، أو مقارنة للمعطيات المحصلة في نفس الوحدة الموضوعية بعد جمع المادة العلمية من مظانها، مع الاستناد في عملية التحليل

هذه إلى نصوص ووقائع الوحي في التحليل النظري، نظرا لخصوصيات وطبيعة الموضوع، والذي لا يمكن أن ينفصل في جملته عن القرآن والسنة وتاريخ المسلمين.

لم تخل عملية التحليل هاته من القيام بعملية التقسيم والتصنيف، لأنها تعتبر البوابة الأساس للقيام بالتفكيك وإعادة التركيب مع تيسير عملية التدليل والاستشهاد والتمثيل والتقييم الواقعي، ويجري التقسيم والتصنيف فيما يخص السياقات والمجالات المتعلقة بالموضوع، وذلك حتى لا يقع الخلط وعدم التركيز بين جزئياتها ومكوناتها، مع أن هناك الكثير من المباحث والمطالب التي يعتريها التداخل الموضوعي في جوانبها التفصيلية، لكنني استندت في عملية التقسيم والتصنيف -حسب ما يبدو لي- إلى عناصر الغلبة والبروز في الجوانب الموضوعية للتحليل، فالحديث على سبيل المثال حول قضية الطفل والمسجد ومناقشة القضايا المتعلقة بهذا المبحث تتضاربه إشكالات من زوايا تربوية وإشكالات من زوايا اجتماعية، لكن الترجيح في الحسم يرجع إلى نوعية التحليل التي تمارس على الموضوع، فإن كنت أروم ما يتعلق بأثر مؤسسة المسجد في تكوينه وبناء قيمه؛ فإننا حين ذلك نكون في إطار معالجة الشق التربوي للموضوع.

كما أن التطرق للقضايا المتعلقة بالأمن أوقعني في نوع من الحيرة من حيث التصنيف، لأن هذا الموضوع قد يحتضنه الشق الاجتماعي؛ وذلك باعتبار الأمن ظاهرة اجتماعية تسود العلاقات والتفاعلات بين الأفراد داخل نفس الجماعة، وقد يتم حشر هذا الموضوع ضمن الشق السياسي؛ على اعتبار أن الأمن يتحقق بفضل نوع القيادة والإدارة التي تسود وتنظم العلاقات والحقوق بين أفراد المجتمع.

لذلك، فقد قمت ببحث الموضوع ضمن المجالين معا، ضمن المجال الاجتماعي بما يتوافق مع القضايا ذات الصبغة الاجتماعية المؤطرة للموضوع، وضمن المجال السياسي فيما يتعلق بقضايا الأوضاع المؤدية للاستقرار والهدوء، أي بما يؤثر على حسن التدبير من طرف الراعي، ولا شك أن التداخل في أطراف الموضوع أمر لا مفر منه، ويصعب نفيه على كل حال.

لم أعالج الموضوع في شقيه بنفس المنهجية، بل الشق الاجتماعي لموضوع الأمن جعلته ميدانيا تطبيقيا، على خلاف الشق السياسي للموضوع، والذي يحتاج إلى شواهد ومعطيات غمادية من التاريخ لإثبات قدرة مؤسسة المسجد على ضمان هذا الاستقرار السياسي، وبالتالي، استدعى الأمر أن أقوم بمعالجته نظريا ضمن الفصل المتعلق بالوظائف السياسية لمؤسسة المسجد التفاعلي.

وعليه، ندرك أن نفس الجزئية الوظيفية لموضوع مؤسسة المسجد التفاعلي قد تختلف زاوية مقاربتها ومعالجتها تبعاً لنوع الحاجة الآتية في بسط النقاش.

لا يفوتني أيضاً أن أذكر أن الجوانب الفقهية للموضوع ليست مقصودة بالأصالة في كثير من مواطن البحث، بل لتحرير ما يتطلبه الموضوع في شقه التفاعلي وآثاره الوظيفية، لذلك، كنت في كثير من هذه القضايا الفقهية-رغم التزامي بقاعدة أصالة المراجع المتخصصة كما هو متعارف عليه في قواعد البحث العلمي-أجتنب الإسهاب والإطالة فيها بما يخرج الموضوع عن أصله وطبيعته.

وأحسب-في حدود ما وقفت عليه-من خلال مطالعة ما أُلّف في الموضوع أن التقسيم المجالي الذي سلكته في المقاربة الوظيفية للأطروحة تقسيماً حديثاً غير مسبوق، وذلك بتبئير النقاش في كل من المجال الروحي الإيماني، التعليمي التربوي، الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي والحضاري.

أشير إلى أن المباحث النظرية لم تخل من بعض الاختيارات المنهجية التي تصطبغ بالصبغة الميدانية، نظراً لعدم وجود ما يمنع من ذلك، وسأشير إلى ذلك لاحقاً.

4.5. منهج الدراسة الميدانية:

إن اختيار تبني مقاربة موضوع مؤسسة المسجد التفاعلي بمنهج ميداني هو اختيار ناتج عن رؤية هادفة ومقصدية، لإخراج هذا النوع من المواضيع الشرعية في حلة معاصرة جديدة، تستمد قوتها العلمية انطلاقاً من الجوانب التطبيقية للموضوع وملامسته للواقع المعيش عن قرب، لأن البحث النظري مهما أُسِيل فيه من مداد وأسهب فيه من كتابات؛ فإنه يبقى بعيداً عن الواقع إذا لم يرق إلى مستوى التنزيل العملي الذي يؤكد مشروعيته وملاءمته له، ولذلك ورد بكتاب أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية في تجلية ماهية البحث التطبيقي: 'هو ذلك النوع الذي يقوم به الباحث بهدف إيجاد حلٍّ لمشكلة قائمة، أو التوصل إلى علاج لموقف معين، فهو في العادة يبدأ بمشكلة عملية في نطاق الأوضاع القائمة التي تجابه الباحث ويحصر اهتمامه في البحث عن علاج تلك المشكلة، ويعتمد هذا النوع من البحث على التجارب الميدانية والدراسات الميدانية للتأكد من إمكانية تطبيق النتائج في دنيا الواقع، ومن الأمثلة على ذلك البحوث التي تجريها الشركات لإيجاد حلول لمشاكل التسويق أو الإنتاج أو غير ذلك' (أساليب البحث العلمي في العلوم

الاجتماعية والإنسانية: فوزي غرايه / نعيم دهمش / ربحي الحسن / خالد أمين عبد الله/ هاني أبو جبار، ص 7
كلية الاقتصاد والتجارة، الجامعة الأردنية، 1977م).

اخترت في الشق الميداني المتعلق بالبحث أن أشتغل بآلية منهجية تركز على تقنية الاستثمار، مع
الاعتماد بدرجة أقل منها على آليات منهجية أخرى، وهي: الملاحظة والمقابلة والاستجواب، وهي آليات
وأدوات منهجية مساعدة ومكملة، لا تقل أهمية وشأنا عن المنهجية الأصلية (الاستمارة).

1.4.5. الأعمال المنهجية للاستمارة:

يرجع اعتمادي وتركيزي بشكل كبير على آلية الاستثمار لعدة دواع، أهمها أنها تفرض نفسها بقوة في
البحث كخيار منهجي يحقق الإضافة النوعية لمجال التخصص في البحوث الميدانية، ولكونها تحقق كذلك
مجموعة من المزايا والإيجابيات، لعل من أبرزها:

- إمكانية الحصول على قدر مهم في الكم المعلوماتي من أشخاص متباعدين جغرافيا في وقت قصير، بالمقارنة
مع الوسائل الأخرى لجمع البيانات.

- اقتصاد التكلفة والجهد في التنفيذ من طرف الباحث، حيث لا يحتاج منقذها إلى كثير من العناء في التنقل،
كما لا يتطلب إنفاقا مكلفا من المال، ما عدا ما يتطلبه الطبع من استنساخ للأوراق.

- تحصيل معلومات أكثر وثوقا وموضوعية من الوسائل الأخرى، ذلك أن المستجوب يدلي بآرائه ومعلوماته
دون ذكر اسمه، فيحفزه ذلك على الصراحة في إبداء الرأي.

- توفير قاعدة من المعطيات والمعلومات بشكل مرتب ومقنن، من خلال تحكم الباحث في وضع أسئلته من
حيث الألفاظ وترتيب الأسئلة وما يتعلق بذلك.

- إعطاء الوقت الكافي للمستجوب قصد التفاعل الأيجابي مع الاستثمار دون الضغط عليه، مع أن هذا الأمر
قد ينعكس سلبا في بعض الأحيان على الباحث، وذلك حينما يتهاون بعض المستجوبين ولا يكثرثون
بالاستمارة الموجهة إليهم قصد تعبئتها وإرجاعها في الوقت المناسب؛ فتتعرض بذلك إلى الضياع، ولعل هذا
من الإشكالات التي واجهتني في التعامل مع استخلاص وجمع الاستثمارات الموزعة على مجموعة من الأفراد.

(أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية: فوزي غرايه ومن معه، ص 64).

أما فيما يخص المراحل المنهجية التي سلكتها في التعامل مع الاستثمار، فأجملها فيما يلي:

1-مرحلة الإعداد: عمدت إلى تكوين خلفية نظرية حول كيفية إعداد الاستثمار الميدانية، خاصة وأنني لم يسبق لي تكوين أو اطلاع مسبق على هذا المجال الذي ينتمي إلى حقل علم الاجتماع، واستفدت من مراجع اهتمت بهذا الأمر، منها كتاب: **منهجية البحث وتحليل المضمون للأستاذ أحمد أوزي**؛ والذي بين مجموعة من الأطر المنهجية والتقنية اللازم توفرها في الاستثمار، وذلك ليتم إعدادها بشكل علمي دقيق، ولتعطي نتائج ذات مصداقية، ولم أغفل الاطلاع على مراجع أخرى متخصصة في إعداد هذه الآلية المنهجية من قبيل كتاب: **أساليب البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية (فوزي غرايه ونعيم دهمش وربحي الحسن)** وكتاب: **البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه (ذوقان عبيدات وعبد الرحمان عدس كايد عبد الحق)**، إلا أن هذين المرجعين قد أفدت منهما حتى الضوابط المنهجية المتعلقة بباقي الأدوات الموظفة في هذا البحث وهي: الملاحظة، المقابلة والاستجواب، بالإضافة إلى الاستعانة ببعض ما ورد في كتاب: **مناهج البحث العلمي للدكتور سلمان زيدان** خاصة فيما يتعلق بإعمال الأدوات المنهجية في الشق التطبيقي الميداني للدراسة.

كما استنرت في إعداد الاستثمار بتوجيهات الأستاذ المشرف؛ والذي أشار علي بالتقليل من الأسئلة المفتوحة والإبقاء عليها فقط في المقابلات التي سأجريها، وذلك من أجل تيسير عملية تحويل النتائج الاستثمارية إلى منحنيات رقمية قصد التأويل والتحليل، حيث إن إقحام الأسئلة المفتوحة في الاستثمار من شأنه أن يثقل على المستجوبين، وقد يوقعهم في الملل نتيجة الوقت الذي يتطلبه تعبئة الاستثمار بعناية وتركيز، كما أن هذا النوع من الأسئلة قد يصعب التعامل معه في مرحلة التفريغ وتحويل المعطيات المحصلة وذلك من أجل تحليلها، بخلاف المعطيات التي يتم التعامل معها في التعبئة عن طريق الاختيار من متعدد، ومن استشرتهم وأخذت بآرائهم في بناء الاستثمار الأستاذ الدكتور عبد الهادي أعراب المتخصص في علم الاجتماع بكلية الآداب والعلوم الإنسانية -الجديدة-، حيث أشار علي -من خلال تتبعه للنموذج الذي قمت بإعداده- بتعديل بعض الصيغ والمصطلحات، وإضافة بعض الجوانب الشكلية وإعادة النظر في الترتيب، من حيث التقديم والتأخير بين بعض الأسئلة، ولا يخفى مدى أهمية العمل على تنويع وتعدد التوجيهات التي تفيد في تجويد البناء النموذجي للاستثمار، وذلك من أجل تحقق الغايات المرجوة من إعمالها.

من التصورات التي انطبعت عندي خلال هذه المرحلة الإعدادية أنه ليس هناك وصفة جاهزة في هذا الصدد، وليست هناك استثمار نمطية أو نموذجية يمكن أن تشكل عنصرا ثابتا يقاس عليه ويبنى عليه، بل الموضوع

هو الذي يتحكم في نوعية وطبيعة واختيار الأسئلة، وبقدر التخطيط الجيد لذلك وحسن مراعاة جميع الظروف والعوامل والتوقعات الممكنة؛ يحصل نوع من التوفيق في بناء استمارة صالحة لإجراء مقارنة ميدانية معتبرة علمياً، تمكن من الحصول على نتائج تصلح للتحليل وتكوين صورة معينة دون الوقوع في التعميم أو الإسقاط.

ولم أكتف في هذه المرحلة بهذه التوجيهات، بل قمت بتوسيع دائرة الاستشارة من أجل رفع جودة مستوى الإعداد، فاستشرت خارج حيز الإشراف مجموعة من الأساتذة الذين لهم تجربة واحتكاك في العمل الميداني، خاصة حول طريق إعمال منهجية الاستمارة، ومن الأساتذة الذين أفدت من توجيهاتهم المنهجية والمعرفية في إعداد وإنجاز الاستمارة الأستاذين المنتميين إلى شعبة علم الاجتماع محمد فاضل ومحسن ابن زاكور. تتكون الاستمارة التي قمت بإعدادها من فقرة تهتم بالمعلومات الشخصية المتغيرة عن كلٍّ مستجوب ومجالين مستقلين من الأسئلة:

المعلومات الخاصة بالمستجوب: حيث تتكون من خمسة متغيرات: الجنس، السن، المستوى الدراسي، التخصص، المهنة والوضعية العائلية.

وقد كانت من الإشارات المنهجية التي وُجّهت إلي في إعداد الاستمارة أن أرفق كلَّ متغير من المتغيرات باختيارات تقابل الإمكانيات التي توافق كلَّ متغير، إلا أنني لم أجنح إلى إضافة هذه الاختيارات، وذلك نظراً لأنه لم تظهر لي الحاجة إلى إضافتها، حيث لم تسجل مرحلة التجريب مع العينة الأولية أية صعوبة في هذا الصدد، فتوخيت للاختصار وعدم تكثير الكلمات في هذه الفقرة؛ ارتأيت الاختصار على ما هو مسجل في الاستمارة المعتمدة ضمن الملحق.

أما المجالان اللذان تتكون منهما الاستمارة؛ فهما:

- **المجال الأول:** وهو مجال المعرفة الدينية المتعلقة بموضوع المسجد، ويضم سبعة عشر سؤالاً مغلقاً من خمسة اختيارات لكل سؤال، وهي أسئلة خططت لها من قبل، وذلك في إطار مجموعة من المحاور التي تغطي الجوانب الوظيفية لمؤسسة المسجد، إلا أنه لا يمنع أن يوجد من الأسئلة ما يستدعي استفاضة وبسطاً في النقاش والتوسع في إبداء الرأي، لذلك، جاءت آلية المقابلة العلمية لتتميم هذا المطلب وليحصل هنالك تكامل كفي في معالجة بعض جزئيات الموضوع.

وبعد استقراء لأهم ما ألف نظريا حول المجالات الوظيفية؛ من خلال المصادر والمراجع على اختلاف زوايا مقاربتها للموضوع البؤرة؛ بالإضافة إلى المقالات التي تعالج الموضوع من قريب أو من بعيد؛ تبين لي أن المحاور المعرفية التي ينبغي أن تشكل أركان هذا المجال هي كالآتي:

-محور: التصميم المسجدي وهندسة المكونات المادية:

يبرز هذا المحور في كل من السؤالين 1 و 16، وقد يتساءل القارئ للسؤالين عن سبب التفريق والمباعدة بينهما على هذا الشكل، مع أنهما يندرجان تحت نفس المحور، كما قد يتساءل حول جوهر الفرق بين السؤال الأول الذي ينصب على التصميم الهندسي والسؤال السادس عشر والذي ينصب على انتظام المكونات الداخلية والخارجية.

ولعل الرؤية التي أطرت الاختيار الأول المتعلق بتفرقة وإبعاد السؤالين عن بعضهما البعض هي محاولة قياس نباهة المستجوب في تفاعله مع مضمون أسئلة الاستمارة، ومع هذين السؤالين على وجه الخصوص، لأن الأسئلة المتتابعة والتي تتقارب في جوانبها الموضوعية؛ يحتمل معها بقوة أن يحصل تأثير وتشابه في التعامل مع الجواب عنها، وهو الأمر الذي أثبتته نتائج التحليل العملي لاختيارات المستجوبين، حيث جُمع لنا هذا العامل الأول هذين السؤالين رغم تباعدهما، في حين أنه لو كانا متقاربين؛ لكان من المفترض أن يكون هذا التقارب سببا مباشرا في تجمعهما، فكأنني حاولت من خلال هذا الاختيار الإجرائي العمل على إبعاد جميع احتمالات التأثير والتأثر المباشرين، من أجل النظر فيما سيسفره التحليل العملي من نتائج وارتباطات.

أما وجه الفرق الدقيق فيما بين السؤالين؛ فيتجلى في كون السؤال الأول الذي يتعلق بالتصميم الهندسي هو سؤال ينجح إلى العموم والشمول في نظرة المستجوب للمؤسسة المسجدية في تصميمها الكلي دون تركيز وتدقيق في كل مكون من مكونات المسجد على حدة أو بمفرده، أما السؤال السادس عشر؛ فهو ينحو نحو تمعن وتأمل المستجوب في المكونات المسجدية الموزعة بين الفضاء الداخلي والفضاء الخارجي من أجل تقييم توزيعها وانتظامها سواء لمفردها أو بالنظر للنسيج المرتبط فيما بينها.

وبالتالي، فسؤال منهما يتوخى النظرة التقديرية الإجمالية للشكل الهندسي العام؛ كأننا نقوم برؤية كلية متكاملة من الخارج، أما السؤال الآخر؛ فهو يرمي إلى التدقيق والتتبع في كل عنصر على حدة وارتباطه وانتظامه مع سائر العناصر، أي: القيام بنظرة تجزيئية، لكنها مع وجود تقديرات علائقية.

ولعل هذا التباعد التي تبنيته قصدا في وضع الأسئلة يعتبر طريقة منهجية خاصّة، أردت من خلالها استبعاد هذا التأثير المسبق من قبل تفاعل المستجوب، وهو الأمر الذي جعلني لا أقوم بإعلان وتسطير العناوين الفرعية لأسئلة الاستمارة، حيث لا يجد فيها القارئ إلا رقم السؤال ومضمونه مكتوبا بشكل واضح وتحت الاختيارات الخمسة حسب تدرجها تردف كل سؤال على حدة، ما دامت الاستمارة تُصنّف ضمن أنواع الأسئلة المغلقة من اختيارات متعددة.

-محور: الفرد المسجدي وحاجياته الروحية.

وليس في هذا المحور سوى سؤال وحيد، وهو المتعلق بالعلاج النفسي لمرتادي المسجد يعني السؤال 5، ويرجع السبب في اقتصاري على هذا السؤال الوحيد هو كون المجال الروحي هو أول المجالات وأكثرها بروزا ونشاطا، بل ليس فيه إشكال أو تغييب واقعي، بالمقارنة مع الوظائف والأنشطة الأخرى التي تتفاوت بين الحضور والتضاؤل والغياب في الممارسة الواقعية الراهنة، وركزت في صياغة ووضع السؤال المتعلق بهذا المحور على قضية الأثر دون مجرد النشاط وجودا وحضورا، لأن الغاية من ممارسة العبادات هو تحصيل علاجها وتأثيرها وليس فقط إبراء الذمة بمجرد تنفيذ حركاتها، حيث يكاد يجمع الكثير على أن مجرد العبادة بدون تأثر أو تفاعل ذي انعكاس إيجابي على السلوك؛ لا يكاد ينفع صاحبه على الوجه المطلوب.

-محور: تربية المسلم المسجدي وتكوين شخصيته.

ويوجد تحت هذا العنوان السؤال 7، السؤال 10 والسؤال 12.

السؤال السابع سؤال منهجي ذو بعد تربوي في التربية التكوينية للشخصية المسجدية، إذ يركز على الوسطية والاعتدال، والاستهلال به في هذا المقام من ضمن مجموع الأسئلة المكونة لهذا المحور هو اختيار يخضع لمنطق الأهمية والقوة والأولوية، أما السؤال العاشر الذي هو حول الأدب؛ فهو عام من وجه وخاص من وجه آخر، فإذا نظرنا إليه من زاوية السؤال السابع؛ والذي يقع قبله في ترتيب أسئلة الاستمارة؛ فإنه يتسم بسمة الخصوصية، حيث إنه تابع له ولازم من لوازمه، فالفكر الوسطي المعتدل يتفرع عنه وجودا أو عدما نقاش الأدب المسجدي التعاملي وذلك من حيث الوجود والعدم أيضا؛ وبالتالي، فهو من ثماره ولواحقه، أمّا إذا نظرنا إلى السؤال العاشر المتعلق بالأدب المسجدي في التعامل مع الناس؛ وذلك في مقابلة مع السؤال الثاني عشر حول التنظيم مع النفس ومع المحيط؛ فإن هذا الأخير وجه خاص مهم من أوجه متضمنات ومتعلقات

السؤال العاشر، حيث يكون في تلك الحالة متسما بسمة العمومية، وعليه، يكون هذا التوضيح تعليلا لما قمت به من اختيار من حيث الترتيب تقدما وتأخيرا.

وقد يقول قائل: إن هذه المقارنة ليس لها رابط ولا إمكان في الجمع، حيث هناك فوارق موضوعية في الدلالات بين الأسئلة الثلاث، وذلك لأن هذه الأسئلة كلها مستقلة عن بعضها البعض، إلا أن الجواب يكمن في كون هذه الأسئلة الثلاث حاولت إجراء مقارنات بينها من حيث مجالات امتدادها، لأتمكن من ترتيبها ترتيبا منطقيا يفضي إلى وضعها بشكل سليم في الترتيب اللائق بها ضمن الاستمارة، ولا شك أن هناك علاقات من حيث إن بعضها يثمر الآخر، أو يكون آثارا متحققا لوجود الآخر.

لا يفوتني أيضا أن أشير إلى أن التباعد الذي سلكته في أسئلة المحور السابق، تقدم التفصيل في تعليله، وهو ذاته الذي سلكته بين أسئلة هذا المحور، تجنبنا لافتراض تأثير مسبق بين عناصر الأسئلة، حتى لا يكون التأثير المسجل في العامل الإحصائي تحصيل حاصل لوجود أسئلة متلاحقة تفرض هذا التأثير بالقوة، وبالتالي فهذا التباعد أمر مقصود، من أجل قياس بوضوح الأسئلة التي تتجمع داخل نفس العامل.

-محور: المجتمع وحاجياته الداخلية من خلال مؤسسة المسجد.

يندرج تحت هذا المحور أربعة أسئلة، وهي: السؤال 2 والسؤال 6 والسؤال 8 والسؤال 15.

أي: إن هذا المحور يحتوي أسئلة كثيرة بالمقارنة مع المحاور التي سبقتها، ويرجع هذا الأمر إلى أن من أسمى الغايات المتوخاة من العمل الوظيفي لمؤسسة المسجد التفاعلي توفير وتلبية الحاجيات المجتمعية لمكوناته، ولذلك، كان التركيز أكثر على هذه المكونات في وضع الأسئلة الخمسة المشكلة لهذا المحور، وهذه المكونات هي: **الطفل، المرأة، الأمن والمشاكل الاجتماعية**، وبالتالي، فهذه الأسئلة بهذا الحجم تعتبر ترجمة حقيقية للوزن الذي ينبغي أن يحتله المجتمع ضمن الخدمة الوظيفية المسجدية.

ولا يخفى أن الطفل والمرأة قطبا ازدهار الوضع الاجتماعي من خلال مؤسسة المسجد، وبتوفير الأمن نسهم في التقليل من المشاكل الاجتماعية، كما أننا نسهم في حكمة مواجهتها والتصدي لها، لذلك، قمت بإيراد السؤال المتعلق بالأمن قبل السؤال المتعلق بالمشاكل الاجتماعية، على اعتبار أن الأمن هو قاطرة حلها ومفتاح معالجتها.

أما بالنسبة للسؤال المتعلق بالطفل وقيمه التربوية التي ترتبط بمؤسسة المسجد؛ فقد جاء هو الآخر مقدما على السؤال المتعلق بالمرأة، ولعل الأمر الذي أُلجأني إلى هذا الخيار هو قياس مقدار الحاجة الاجتماعية ومقارنتها بين الطفل والمرأة، فلا أحد يماري في أن حاجة الطفل إلى التنشئة والتدخل المؤسساتي في بناء قيمه هي أكثر من الحاجة المتعلقة بالمرأة، لأن المرأة قد قطعت في ذلك أشواطاً، بل أصبح لديها من الآليات والملكات ما يؤهلها لاختيار مجال انخراطها وعطائها بنفسها.

-محور: المسجد والسياسة الرشدة.

يندرج تحت هذا المحور سؤالان وهما: السؤال 3 والسؤال 17.

السؤال الثالث جلي في هذا الإدراج وهذا التصنيف، أما السؤال السابع عشر؛ فلكونه يدور حول ما يعترض المسجد من مشاكل وما يلزمه من إصلاح، وهو الأمر الذي يمس من قريب أو بعيد الإرادة السياسية للدولة ونظرتها لهذا القطاع وتصورها لتدبير الشأن الديني من خلال هذه المؤسسة، فهو بذلك يتعلق بشكل أساسي بموضوع السياسة في ارتباطها مع مؤسسة المسجد.

وقد يتساءل أحد عند تأمله للسؤال السابع عشر عن سبب وجيه أو مقنع؛ والمتجلي في عدم تضمينه هامشا أو فراغا من أجل أن يتيح للمستجوب فرصة التعبير عن تفصيل موضوعي في الأسباب التي يراها تعترض سبيل إصلاح تدبير مؤسسة المسجد، إلا أن جوابي على هذا الاختيار هو أنني أتوخى عدم الإكثار والإطالة على أفراد العينة، حيث أكتفي بالاختيارات الخمسة والتي لها دلالتها التعبيرية الدقيقة في التعامل التحليلي مع اختيار كل مستجوب ضمنها، كما أنني أوظف آلية الاستجواب المفتوح في قضية أسباب ضعف رسالة المسجد الحالية، وهو الأمر المشار إليه في آلية الاستجواب المباشر ضمن هذا الفصل المنهجي نفسه، وبالتالي، فاختياري هنا مبرر بأن يتحقق هنالك نوع من التكامل المنهجي بين الآليات الموظفة؛ وأتجنب في الوقت ذاته إيقاع المستجوب في مشقة الإطالة.

-محور: المسجد والحضارة الإنسانية.

وبناء على هذا التقسيم المحوري؛ قمت بتخطيط أسئلة لتغطية كل محور منه على حدة، وقد يتساءل أحد من خلال التأمل في هذه المحاور عن سبب تغييب محور خاص بالمكونات المعنوية (الأشخاص العاملين)، والجواب عن هذا القضية أن هذا المحور مخطط له ضمناً في بعض أسئلة الاستمارة من قبيل: السؤال 17

والذي يهتم بمشاكل المسجد، بالإضافة إلى توظيف آلية المقابلة في بسط الأسس المنهجية لمعالجة هذا الأمر، حيث تركز المقابلات التي قمت بها على إتمام هذا المطلب، وذلك برصد أهم المشاكل المتعلقة بهذه المؤسسة في شقيها المادي والمعنوي.

● **المجال الثاني:** ويتعلق الأمر بمجال تقبل وتفاعل المستجوب مع جوانب ومعطيات المسجد التفاعلي، ويحتوي على ثمانية عشر سؤالاً على نفس الشاكلة التي وضعت بها أسئلة المجال الأول. وقد خططت لذلك مجموعة من المجالات الفرعية التي تغطي بحوية وفعالية ضمن المجال الحياتي لتفاعل الناس مع مؤسسة المسجد، وهي ليست على سبيل الاستقراء والحصص، بل يمكن أن نجد غيرها حسب تعدد الرؤى والإمكانات المتاحة.

وهذه المجالات الفرعية هي: المسجد واللغات

المسجد والزكاة

المسجد وفضاء ألعاب الأطفال

المسجد وإدماج الشخص المعاق

المسجد والاستشفاء

المسجد والتبرع بالدم

المسجد والأنشطة مع غير المسلم

المسجد والاحتضان للمبيت (إيواء الغريب)

المسجد والمحتاج (حاجيات متنوعة ومتغيرة)

المسجد والتبرعات الخيرية

المسجد واستقطاب الشباب

المسجد والدورات التكوينية

المسجد والمناظرات أو النقاش المفتوح

المسجد وممارسة الفنون

المسجد والتعديلات المسيرة للعصر

المسجد وتكنولوجيا الإعلام والتواصل

وبعد أن أنهيت صياغة ووضع السؤال المناسب لكل مجال فرعي؛ قمت بوضع أو اقتراح خمسة اختيارات لكل سؤال، تتدرج حسب قوة الاختيار من حيث التقييم بالرضا والموافقة مع مضمون السؤال إلى عدم الرضا التام أو الموافقة الكلية مع مضمونه أو اقتراحه.

وأهم ما يلاحظ على هذه الأسئلة التفاعلية أنها تتنوع وتتعدد مجالاتها بشكل أوسع مما هو عليه في المجال المعرفي؛ وذلك نظرا لطبيعة المجال التفاعلي لمؤسسة المسجد، حيث يفترض فيه هذا النوع من التوسع والانفتاح، لأن التوسع والانفتاح مؤثران على الحضور البارز للجوانب التفاعلية المتعلقة بمؤسسة المسجد.

أما فيما يخص صياغة الاقتراحات والاختيارات الخاصة بكل سؤال من أسئلة الاستمارة؛ فقد كنت أنوع تعابير وصيغ الاختيارات الخمسة لكل سؤال بما لا يتنافى مع طبيعة السؤال، وغاية هذا التنوع عدم إشعار المستجوب بالملل والرتابة نتيجة تكرار نفس الصيغ، مع أن هذا التنوع يحافظ في كل سؤال على الانتقال التدريجي من اختيار إلى اختيار أقوى منه درجة ودلالة.

2-مرحلة التنقيح والمصادقة:

قمت في هذه المرحلة بإخضاع الاستمارة التي هيأتها إلى مراجعة صيغها والتدقيق في مدى تلاؤمها مع مستوى العينة المستهدفة، دون إغفال محطة المراجعة المستمرة لمكوناتها والتدقيق في محتوياتها، حتى تحقق أقصى ما هو ممكن من الأهداف المرجوة من تنفيذها.

وأشير في هذا الصدد إلى أن الإعداد الأولي لهذه الاستمارة في كلا المجالين وظفت فيه بعض الأسئلة المفتوحة، متوخيا بذلك تجريبها وقياس مدى تفاعل العينة معها لاتخاذ القرار المناسب في شأنها، إما بالإبقاء أو بالإلغاء، لكن تبين لي بعد مرحلة تنفيذ هذه الاستمارة على عينة التجريب؛ أنه ينبغي أن أتجنب اقتراح هذا النوع من الأسئلة لكونه يوقع الشخص المستجوب -الذي يعاني غالب أحيانه من ضيق الوقت- في الحرج

وعدم التركيز وإعطاء السؤال حقه في الجواب، وبالتالي، همّه إنهاء الإجابة عن أسئلة الاستمارة في أقرب وقت، بالإضافة كذلك إلى أن هذا النوع من الأسئلة لم تتجاوز معه عينة التجريب بالشكل المطلوب، فمنهم من يتركه بدون جواب، ومنهم من يجيب بأجوبة خارج السياق والموضوع؛ فينبئ هذا التصرف عن رغبة المستجوب في التخلص بشكل سريع من عائق هذا النوع من الأسئلة، وأضيف كذلك أن الأسئلة المفتوحة تستغرق وقتاً طويلاً، وتتطلب جهداً مضمناً من طرف الباحث خلال عملية إدخال ومسك المعطيات المتعلقة بها؛ من أجل إخضاعها لعملية التحليل فيما يأتي من المراحل المنهجية؛ وبالتالي، كان اختيار الحذف أمراً تقتضيه مجموعة من الأسباب الموضوعية.

تبين لي كذلك في هذه المرحلة أنني قمت بتوظيف مجموعة من الأسئلة تحتاج إلى إعادة النظر من حيث مستوى صياغتها أو اللغة الموظفة فيها، ولعل المؤشر القوي في ذلك هو أن مجموعة من المفحوصين أو المستجوبين كانوا يتصلون بي مراراً للاستفسار عن دلالتها أو القصد من ورائها.

وعليه، كان لا مفر من القيام بتعديل صياغة هذه الأسئلة وتسهيل عباراتها، ليتمكن جميع عناصر العينة من التجاوب والتفاعل معها بشكل إيجابي، وليتم الحصول بذلك على نتائج وحيية ومعرفة.

لم أغفل في هذه المرحلة أنني قمت بتقديم الاستمارة النهائية التي عقدت العزم على اعتمادها على المجلس العلمي المحلي لمدينة الجديدة قصد المصادقة عليها، وتمت عملية افتتاحها من طرف بعض أعضائه إلا أن الظروف الصحية لرئيس المجلس العلمي حالت دون حصولي في الوقت الملائم¹ على مصادقة كتابية من طرفه دون أن تسجل في ذلك أية ملاحظة تنتقد أحد مكونات هذه الاستمارة، أو اعتراضاً على مشروعيتها تنفيذها على العينة.

3-مرحلة التجريب مع العينة الأولية:

اقتصرت في هذه المرحلة على التجريب مع عشرة عناصر يشكلون العينة الأولية، اتضح لي من خلال هذه المرحلة أنه ينبغي إدخال بعض التعديلات على المستوى الشكلي وعلى المستوى الأسلوبي داخل البناء العام للاستمارة، قصد تجويد مستواها، وكذلك من أجل تسهيل تفاعل عناصر العينة مع الاستمارة.

¹ترددت مراراً على مقر المجلس العلمي المحلي بالجديدة قصد تحقيق هذا المبتغى، لكن لم يتيسر ذلك لي نظراً للسبب أعلاه، ونظراً لمحدودية عامل الزمن، فقد أمضيت في المراحل الموالية لذلك، حتى لا يفوتني وقت إنجاز باقي الأشغال المنتظرة.

وتبين لي في هذه المرحلة -بعد ما نبهني أستاذي المشرف على ذلك- أن هناك أساليب يصعب على المستجوب التفاعل معها لما فيها من صعوبة التركيب والعبارات، فقامت على إثر ذلك بتعديلها وتسهيل محتواها الدلالي؛ وذلك بما لا يحيد عن القصد من السؤال المطروح.

وكنيت في كثير من أحيان أجراً هذه المرحلة أستفسر أفراد العينة عن رأيهم حول أسئلة الاستمارة من أجل قياس مدى تفاعلهم وتجاوبهم مع مضمونها.

ولم أنتقل إلى المرحلة الموالية والتي تتعلق بتنفيذ الاستمارة على العينة المستهدفة إلا بعد تسجيل ارتياح وتجاوب جيد لأغلب المستجوبين مع مضمونها وطبيعتها أسئلتها.

4- مرحلة التنفيذ:

أهم ما ميّز مرحلة التنفيذ أنني تقيدتُ والتزمتُ بالتعليمات الواردة من أستاذي المشرف، وذلك بخصوص العدد والمدة الزمنية القصوى في تحضير واستقبال النسخ العددية للاستمارة معبأة من طرف المستجوبين، ف فيما يخص العدد اللازم؛ والذي يتناسب والحجم المناسب للدراسة من أجل الوفاء بالمتطلبات العلمية اللازمة لأطروحة الدكتوراه؛ فقد قمت بتوزيع مئتي استمارة على مئتي شخص يشكلون عينة الدراسة، وهو العدد الذي حكم البرنامج الآلي للتحليل الإحصائي بكفاية حجمه، من خلال ما يسمى بمؤشر kmo، حيث إنه من أهم الشروط المعيارية في العمل بمنهجية التحليل العاملي أن تكون عينة الدراسة كافية ولها تمثيلية محترمة للمجتمع المستهدف دون تحيز.

وقبل الحديث عن تشكيل العينة؛ لا بد من استحضار مرحلة هامة قبله قد يكون اعتبارها ضمناً، لكن الإشارة إليها أمر تقتضيه المنهجية العلمية، وهي مرحلة تحديد مجتمع الدراسة أو المجتمع الأصلي (البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه: ذوقان عبيدات وعبد الرحمان عدس كايد عبد الحق، ص110)، وهو المصدر والمنبع الذي تشتق منه العينة، فالمجتمع الأصلي هنا هو الشعب المغربي المسلم على اختلاف مكوناته وتوجهاته، أي: الذي له تصور حول المسجد التفاعلي ويمتلك علاقة معه سواء عن بعد أو عن قرب، وسواء كانت علاقة موسومة بالقبول أو بالرفض، فالمهم في ذلك هو موضوعية جمع المعطيات المتوفرة حول الموضوع من خلال مجتمع الدراسة؛ ممثلاً في العينة التي تستجيب للشروط الموضوعية والكمية اللازمة في هذا الصدد.

حدّدت عينة الدراسة في: مدينة الجديدة والمناطق المجاورة التابعة لتراثها الإقليمي مع طلبة جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، وبالطبع، فإن هذا التحديد يدخل هذه العينة في صنف **العينة العشوائية**، [وهي التي يتم اختيار أفرادها بطريقة عشوائية من المجتمع الأصلي، بحيث تعطى نفس الفرصة أو فرص متكافئة في الاختيار للعينة لجميع الأفراد المنحدرين من نفس المجتمع الأصلي، وتختلف عن العينة العرضية بكون هذه الأخيرة يتم اختيار أفرادها عن طريق الصدفة] (أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية: فوزي غرايه ومن معه، ص 26).

ومن خلال ملاحظة المكونات البشرية لمدينة الجديدة؛ تبين لي أن عينة الدراسة ينبغي أن تضم فئات مختلفة بنسب متفاوتة، وهي نسب تعكس تقريبا حجم تمثيليتها داخل رقعة عينة الدراسة، وبعد التأمل في الأصناف المكونة للعينة؛ ارتأيت أن أقسم العينة إلى الفئات الآتية:

التلاميذ/ الطلبة / الأساتذة / أطر وموظفو قطاع الصحة / موظفون في إدارات عامة / التجار وأعمال حرّة / موظفو العدل ورجال السلطة / الحرفيون / أصحاب الشأن الديني / بدون عمل.

وفي ظل صعوبة الحصول على معطيات إحصائية كمية دقيقة تمكن من تحديد نسبة التمثيلية لكل صنف من أصناف العينة، فقد قمت بمحاولة تقريبية لتنفيذ الاستمارة مع العدد الذي يظهر أنه مناسب لحجم وجود الصنف في العينة الكلية، فعلى سبيل المثال: يمكن القول إن عدد الأساتذة يفوق عدد الحرفيين خاصة في جانب قوة العلاقة والتردد على المؤسسة المسجدية، وبالتالي، فهذا الاعتبار يحتم أن يكون عدد المستجوبين من فئة الأساتذة أكبر مما هو عليه عند الحرفيين.

وفي إطار إيلاء الاعتبار والأهمية لمقاربة النوع فيما يخص أعداد المستجوبين من كل جنس؛ فقد قمت بتوزيع عدد الاستمارات على النساء بالحجم المعقول الذي يمكن هذا الجنس من الإدلاء برأيه في موضوع الدراسة؛ وبما يحقق التناسب والتلاؤم بين العدد والتمثيلية المقابلة لكل جنس، وحتى لا يكون هنالك تفاوتاً فاحشاً في العدد مقارنة بين كل جنس؛ فقد كان عدد المستجوبين على الشكل الآتي: الذكور: 132، الإناث: 68 (دون احتساب الاستمارات الملغية التي لم يتم اعتبارها لعدم استجابتها لمواصفات القبول أو لاحتوائها ما يستدعي الرفض والإلغاء).

قد يستشكل أحد هذا التفاوت في العدد المفضي إلى تغليب كفة الذكور على كفة الإناث؛ إلا أن هذا التفاوت أمر مقصود لذاته وليس من قبيل سوء التخطيط أو الخطأ التمثيلي.

ويرجع هذا التفاوت المقصود إلى أمر واقعي ملحوظ؛ وهو أن أعداد الرجال تفوق أعداد النساء في تردددهم وعلاقتهم بمؤسسة المسجد، وهو الأمر الذي يجسده التصميم الهندسي للمسجد، حيث إنه نجد دائما مسجد الرجال أكبر وأوسع بكثير من مسجد النساء، وبالتالي، ليس من المنطقي أن نلزم أنفسنا بضرورة مكافأة عدد الذكور بعدد الإناث في الاستثمارات الموزعة على كلا الجنسين، وذلك لانعدام المبرر المعقول الذي يؤيد هذا التكافؤ.

5-مرحلة الجمع والتقويم:

عمدت في هذه المرحلة إلى جمع واستخلاص الاستثمارات التي وزعتها على عينة الدراسة، والتي وصلت حوالي مئتي استثمارة معبأة، فقممت بترقيمها على شكل ترتبي مع ترميز اختيارات المستجوبين، ثم شرعت في تفريغ المعطيات المرقمة والمرموزة داخل جدول EXCEL موافق لعدد المستجوبين ولعدد الأسئلة المغلقة المكونة للاستثمار؛ والتي حصرتها في خمسة وثلاثين سؤالاً موزعة على شقين، واحتفظت بمجموع الاستثمارات المفرغة بترقيمها وترميزها داخل علبة في مكتبي الشخصية، وذلك قصد الرجوع إليها عند الاقتضاء.

وقمت بتحويل أجوبة أفراد العينة المستهدفة إلى نقط تناسب نوعية الجواب الذي يجيب به كل فرد من العينة، مثلاً: إذا كانت الاختيارات المقترحة في الاستثمار على هذه الشاكلة:

ممكناً جداً ممكناً ممكناً شيئاً ما غير ممكناً غير ممكناً تماماً.

فإن الاختيار الأول ينقط ب 5 وهكذا إلى أن نصل إلى الاختيار الخامس والذي ينقط ب 1.

أما بالنسبة لترميز المعطيات الأخرى؛ والذي يتعلق بالمعلومات الخاصة بكل مستجوب؛ فقد سلكت في ترميزه بادئ الأمر طريقة رقمية، إلى أن أرشدني أستاذي المشرف إلى اعتماد الحروف في ترميزه من أجل تسهيل تحويل معطيات ورموز الجدول عبر برنامج التحليل الإحصائي، فتمت إعادة العملية وفق تعليمات الأستاذ، مع القيام في كل مرحلة من ذلك بإعداد جدول خاص بدليل الرموز المستعملة.

كما أنني سلكت في ترميز البيانات المتعلقة بالفئات المكونة للعينة مسلك الدمج بين الفئات المتقاربة بأمر من الأستاذ المشرف، وذلك تجنباً للإطالة وتكثير الجداول الوصفية بدون جدوى، حيث إن هناك العديد من القواسم المشتركة بين مجموعة من الفئات ترجح إمكانية الدمج في مجموعات أقل، ليتم بذلك اختصار الفئات التسع التي سبق ذكرها في خمس فئات مهنية فحسب، وهو ما استقر عليه العمل التصنيفي في نهايته.

6-مرحلة التحويل البياني:

قمت فيها صحبة أستاذي المشرف بعمل تقني عبر برنامج ¹spss، وذلك بدمج المعطيات الإحصائية والرقمية المعدة في الجدول المنجز في المرحلة السابقة، وتحويلها إلى قيم رقمية وجداول تظهر العوامل المؤثرة في جميع الأسئلة (المتغيرات) المكونة للاستمارة، ولا شك أن هذه المرحلة تشكل الأرضية الأساس للقيام بعملية الوصف التي تعتبر لبنة مؤسسة لعملية التحليل ضمن الفصل المخصص للتحليل العملي الاستكشافي.

والجدير بالذكر أن الجداول المحصلة في هذه المرحلة هي جداول تتعلق بالتحليل العملي، أي تظهر العوامل المؤثرة في جواب المستجوبين على أسئلة بعينها.

تتجمع في كل عامل من العوامل المؤثرة مجموعة من الأسئلة، بحيث تم اعتبار أقل قيمة لتجمع السؤال في العامل محددة في: 0,424 (مثال ذلك: السؤال التفاعلي الثامن في العامل الثاني من العوامل الثمانية المفردة كليا)².

ولم أغفل عملية استصدار الجداول الأخرى المتعلقة بالمعطيات التباينية، والتي تركز على إظهار المتغيرات في علاقة مع النتائج التي أسفر عليها تفريغ الاستمارة الميدانية، حيث سيتم توظيف هذه الجداول للقيام بعملية التحليل التبايني الوصفي، والذي يختلف منهجياً عن التحليل العملي.

تثمر لنا مرحلة التحويل البياني في الشق المتعلق بالتحليل العملي والمرتبطة بالمركبات الأساس-التي توضح الاقتراح والارتباط بين المتغيرات ضمن العامل المؤثر-عدداً من المتغيرات المشتبهة تشبهاً دالاً إحصائياً، وهو

¹أصله: برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية، ويترجم ب: statistical package for social science، وهو برنامج لتحليل البيانات الإحصائية.

²يوجد ضمن الملحق الجدول الكامل للنتائج الإحصائية للتحليل العملي، والمتعلقة بجميع العوامل التي أفرزتها هذه الدراسة الميدانية.

الشيء الذي يمكن من التجميع وحصر الافتراضات الممكنة في تشكيل العوامل، مما سيمهد لنا المرحلة الموالية وهي مرحلة التحليل العاملي من أجل تأويل النتائج المتحصلة.

مع أنني أشير إلى أن الاختبار الذي قمت باعتماده في إفراز الارتباطات العاملية عن طريق البرنامج المعتمد هو ما يعرف ب ACP، أي: التحليل الكمي المرتبط بمعطيات رقمية وليس اختيارات موضوعية وذلك في إطار المركبات الرئيسية، إذ إن هناك اختبار آخر يعرف ب AFM^1 ، حيث يتم استخدامه في التحليل الكيفي المتعلق بالاختيارات الموضوعية، مثلاً: هناك عدد ممن أجاب بموافق وآخرون أجابوا بعدم الموافقة، ففي هذه الحالة والتي تنسجم مع معطيات الاستمارة المعتمدة عندي في البحث، يتم اللجوء إلى الاختبار الثاني، بخلاف ما لو كان التعامل مع معطيات من قبيل: هناك من أجاب ب3 وهناك من اختار 7 مثلاً، فحينها يتم اعتماد اختبار ACP.

ويرجع سبب الاعتماد على الاختبار الأول الموسوم ب ACP^2 إلى اختيار الأستاذ المشرف وترجيحه على الآخر، رغم أننا أمام معطيات موضوعية كمية، وذلك نظراً لاعتبارات تقنية صرفة، حيث إن الأستاذ له خبرة وتجربة سابقتان في إطار التعامل مع هذا النوع من الاختبار في مثل هذه المعطيات، فهو يرجح التعامل مع نتائجه وفق هذا الاختبار بالمقارنة مع الاشتغال بنوع الاختبار الآخر.

يفرز هذا الاختبار قبائل من النقاط تمثل تجمع البرامترات حسب نوعية تفاعل المستجوبين مع اختياراتها، ويظهر تجمع هذه النقاط في التمثيل البياني الذي يجلي هندسياً إفراز العوامل.

7-مرحلة التأويل والتحليل:

وهي زبدة المراحل السابقة وأهمها³، بل هي الوجه الحقيقي للبحث وللباحث معاً، ويتضح أن هذه المرحلة لا بد أن تسير في اتجاهين أساسيين:

¹Analyse factorielle multiple.

²رغم أن البعض يعتبر توظيفه هنا أمراً ضعيفاً أو غير ملائم لطبيعة الدراسة.

³يشبهها البعض بمرحلة المخاض العسير في البحث، لأنها الوجه الحقيقي لإظهار قيمة المعطيات التي بُني عليها البحث تأويلاً ومناقشة، فهي المرحلة التي إما أن تضفي على البحث مواصفات الجدة والفرادة، وإما أن تزري بالبحث وتضعف روحه.

-**الاتجاه الأول:** مرحلة التأويل والتحليل بناء على نتائج معطيات التحليل العملي¹، وقمت بذلك عبر مرحلتين وهما: مرحلة التوصيف والاستكشاف، وهي مرحلة تركز على تنظيم وإيضاح أهم المعالم الواردة في جداول التحليل العملي، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التفسير والتأويل وإظهار العلاقات والروابط بين مختلف العناصر الداخلة تحت العامل الواحد، وذلك من أجل الوصول إلى أهم النتائج والخلاصات التي إما أن تثبت أو أن تنفي الفرضيات المسطرة في أول البحث، وهذه المرحلة تشكل أرضية مناسبة لإعمال وتوظيف المعطيات والمعارف الشرعية والواقعية المتعلقة بموضوع المسجد.

وبالتالي، فإن التحليل العملي إما أن يؤدي وظيفة الاستطلاع والاستكشاف؛ ويمكن حينها وسمه بالتحليل العملي الاستكشافي، وإما أن يؤدي وظيفة اختبار الفروض التي تمت صياغتها مبدئياً وفق الإشكالية الرئيسة للبحث؛ وحينها نكون أمام تحليل عملي توكيدي.

ويهدف التحليل العملي الاستكشافي كممارسة منهجية إلى:

- إعطاء قيمة ومصدقية للمعطيات والمعلومات المحصلة ميدانياً، من خلال اعتمادها واقعياً في بسط تفاصيل الموضوع وتصحيح وتقويم بعض من جوانبه، أي: إضفاء نوع من المصدقية والقوة للمعطيات الإحصائية المتعلقة بالجوانب الوظيفية للموضوع المركزي للدراسة.

- تجميع متغيرات ذات طبيعة واحدة في تركيبة واحدة متجانسة مرتبطة داخلياً، وقد نحصل تركيبة قريبة التجانس، فيشكل ذلك محكاً حقيقياً للباحث من أجل كشف الروابط والعلاقات الممكنة.

- فتح آفاق أخرى جديدة في ممارسة عملية التحليل عن طريق هذا النوع من الاستكشاف للعوامل المؤثرة، بعيداً عن مجرد الوقوف مع إمكانات التحليل الوصفي ونسبه الإحصائية.

وبجمل العالم المنهجية التي تركز عليها عملية التحليل هاته والمتعلقة بكل عامل أفرزته الجداول المتعلقة بذلك هي:

1-**التأصيل والاستدلال الشرعي لمكونات العامل** أخذاً بعين الاعتبار طبيعة وخصوصيات الموضوع.

¹ سبق في المقدمة التطرق إلى مفهوم التحليل العملي في إطار مقارنة أهم المفاهيم المفتاحية الواردة في البحث.

2- إظهار مختلف العلاقات والروابط التي تحلي حقيقة العامل وتبين أوجه الالتقاء والاشتراك، سواء تم ذلك عن طريق التأويل القريب؛ أي: المسوغ، أو تم ذلك عن طريق التأويل البعيد.

3- سوق الشواهد الممكنة والآراء والاقتباسات المرتبطة بالعامل، مع تدليلها بالتعليقات اللازمة إما نقداً أو مقارنة أو تركيباً أو ترتيباً ...

4- المناقشة التحليلية لأهم العناصر الواقعية المرتبطة بالعامل المدروس في حدود الإمكان والموجود محلياً، أو في حدود ما تم رصده عن طريق أعمال الملاحظات والتوثيق، على اعتبار أن الآليات المنهجية الموظفة في البحث الميداني يكمل بعضها بعضاً، وليس بالضرورة أن تفضي عملية المناقشة هاته إلى التأييد بالقبول، فقد تؤدي إلى الرفض وعدم التأييد، وهذا من مقتضى الموضوعية اللازمة في البحث، وذلك حتى لا يقع البحث في فخ الإسقاط أو المثالية الخيالية.

5- الإتيان بالإشكالات والصعوبات التي تعترض العامل المؤثر من حيث الأجرة والتنفيذ، ولا شك أن هذه الخطوة المنهجية لها أهمية بالغة في المقاربة التحليلية للموضوع، وذلك حتى يتميز البحث بميزة التوصيف العملي اللازم في الأفكار والاقتراحات، ويوسع من آفاق بسط ثنائيا وتفاصيل الموضوع البؤرة.

مع الإشارة إلى أن هذا الترتيب -الذي ذكرته على هذه الشاكلة- لم ألتزم به على طول البحث مع كل عامل بمفرده، بل قد أبدأ بمعلم متأخر ثم أرجع إلى ما قبله، وذلك حسب ما يبدو لي ملائماً في تحليل العامل وكشف مكنوناته، وبالتالي، فالترتيب المذكور غير موحد وغير ملزم على كل عامل من حيث خطة التحليل، بل هو فقط مستوعب ضمن أغلب العوامل الثمانية المفرزة، لأن هناك من العوامل ما يظهر فيه أحد هذه المعالم الخمسة ضعيفاً من حيث الحضور بالمقارنة مع الباقي.

-**الاتجاه الثاني:** هو الاستناد إلى المعطيات الكمية التي أسفرت عنها الجداول التباينية¹، والتي تتعلق بعملية التحليل الوصفي، حيث يتم استثمارها وصفاً وتحليلاً لإظهار العلاقات الجدلية من تأثير وتأثر بين المتغيرات والنتائج المتوصل إليها، وتجدر الإشارة إلى أن التعامل مع كل الجداول التباينية أمر بعيد، بل يفضي إلى الإغراق

¹ رقمية إحصائية عن طريق برنامج excel.

في تفصيلات قد لا تفي بالمقصود، ولذلك، قمت بانتقاء أهم الجداول التي تبرز فيها متغيرات هامة وفاعلة، وذلك عن طريق توجيه البحث صوب المتغيرات الأساس والمؤثرة.

وأهم معيار اعتمدته في انتقاء الجداول المعتمدة وإلغاء الأخرى عن الاعتماد هو حجم النسب التي أفرزتها الدراسة؛ بالنظر إلى المتغير أو البارامتر المستهدف¹، فكنت أركز على أن تكون النسب متفاوتة بشكل كبير يقدر بأكثر من الثلثين، وذلك حتى تتاح عملية التحليل الوصفي بشكل موضوعي، فكل تقارب في النسب أو وجود فرق يقدر بأقل من هذا القدر فإنني لا اعتبره مؤثراً؛ ولا يستدعي القيام بتحليل وصفي.

مثال: نسبة الرجال المؤيدين لتعلم اللغة في المسجد حوالي 19 في المئة، أما نسبة النساء في ذلك؛ فهي 81 في المئة، هنا نلاحظ تفاوتاً كبيراً يثير تساؤلات عدة، تحفز على القيام بعملية التحليل الوصفي.

ويتضح من خلال المثال السابق أن عملية التحليل الوصفي تركز على مفهومي: المتغير المستقل

والمتغير التابع.

فالمتغير المستقل هو الذي يفترض بتغيراته أن تفسر التغيرات في متغير آخر (مثاله: تأثير المستوى الدراسي على اختيار نوع العلاقة بين المسجد والوسطية)، أما المتغير التابع فهو الذي ترتبط تغيراته بالتغيرات في متغير آخر، وعليه، يمكن أن يتحول المتغير المستقل إلى متغير تابع في حالة أخرى، وذلك حسب طبيعة العلاقة التي نرمي التحقق منها في الملموس (علم الاجتماع-السوسيولوجيا-: عبد الله إبراهيم، ص242).

وتتجلى المعالم المنهجية التي قمت باعتمادها في عملية التحليل الوصفي للمعطيات الإحصائية فيما يلي:

-الملاحظة الوصفية، وذلك بتجلية ما أسفرت عنه أجوبة الاستمارة من أرقام بالنسبة للمتغيرات المعنية بالوصف والمقارنة، مع الأخذ بعين الاعتبار نتيجة الموقف المسجل تأييداً أو معارضة أو حياداً.

-المناقشة والتأويل، وذلك بمحاولة تفسير النتائج المتوصل إليها ضمن الظروف والمعطيات الواقعية، وتأويلها تأويلاً منطقياً مقبولاً، يتيح كشف المعالم الميدانية للموضوع، مع توخي التأويلات المستساغة، وتجنب التأويلات التعسفية التي فيها نوع من التكلف والأخذ والرد؛ وذلك من حيث الاتفاق وعدم الاتفاق معها.

¹ أقصد به في غالب الأحيان سؤال الاستمارة، الذي نودّ استكشاف طبيعة تفاعل المستجوبين معه.

وشكل منطلق العمل الوصفي في هذا الفصل جدول المتوسطات الإحصائية المتعلقة بكل سؤال من أسئلة الاستمارة، وذلك قصد معرفة وقياس حجم تفاعل العينة المستجوبة مع كل سؤال، وتكوين تصور شامل حول طبيعة الاختيار الذي يميلون إليه بشكل كبير.

وتم التركيز خلال عملية التحليل الإحصائي على تجلية ثلاثة مواقف: موقف التأييد، موقف المعارضة والموقف الحيادي أو الوسطي بينهما، حيث دجحت الاختيارين 1 و2 فيما بينهما في نفس الموقف، ودجحت 4 و5 كذلك في نفس الموقف، وذلك لأنهما متقاربان في درجة القوة المعبر عنها من طرف أفراد العينة.

2.4.5. الأعمال المنهجية للمقابلة:

بخصوص المقابلات التي أجريتها؛ قسمتها إلى مقابلات شاملة لقضايا وأطراف الموضوع ومقابلات متخصصة في جزئية أو قضية من الموضوع الرئيس للأطروحة، وكلاهما على نفس النهج من الأسئلة مع اختلاف هيّ من حيث الكمّ والكيف.

قمت في بادئ الأمر بإعداد الأسئلة المكونة لهذه المقابلات، وذلك في إطار المرحلة المنهجية الأولى من مراحل التعامل مع آلية المقابلة.

ففيما يخص المقابلة الشاملة أو العامة؛ فقد حصرتها في ثمانية أسئلة شبه مفتوحة، وأهم ما ركزت عليه في عملية انتقاء الأشخاص المقابلين هو علاقتهم المباشرة وصلتهم المتكررة بمؤسسة المسجد، إذ ليس من الحكمة أن تجرى مقابلة في موضوع ما مع شخص بعيد الصلة عن حيثيات ذلك الموضوع، بالإضافة إلى توفر شرط مهم في الأشخاص الذين وقع عليهم الاختيار ألا وهو امتلاكهم للرغبة والإرادة اللازمتين في التعاون مع الباحث، وذلك من أجل تزويده بالمعلومات المطلوبة؛ والتي من شأنها أن تساهم في تطوير وإغناء المادة العلمية اللازمة للتحليل والنقاش، حيث إن انعدام هذا الشرط من شأنه أن يحرم الباحث من الحصول على المعلومات المناسبة، وهو الأمر ذاته الذي عانيت منه من خلال طرق عدة أبواب لإجراء المقابلة مع عناصر وازنة في هذا الصدد، إلا أن هذا الطرق لم يُجد في شيء؛ بسبب التهرب والتخوف من الاستجابة لإجراء المقابلة نتيجة انعدام رغبة التعاون مع الباحث.

وعليه، فأركان المقابلة هي على الشكل الآتي:

- 1-المستهدف: الشخص المقابل، نظرا لاستجابته لاعتبارات موضوعية ووجدانية¹.
 - 2-المحاور: الموضوعات الفرعية المنشورة في أسئلة الدليل الخاص بالمقابلة، والتي تشكل في مجملها الموضوع الرئيس المؤطر للأطروحة.
 - 3-جوّ المقابلة: وذلك بالإشارة إلى الظروف العامة والأجواء التي صحبت إجراءاتها، وذلك فيما يخص الارتياح وطبيعة التفاعل مع أسئلتها والقناة التي جرت عبرها المقابلة، كما هو الشأن مثلا في إجراء مقابلة معينة عبر الهاتف نظرا لعارض معين كما ستنتم الإشارة إلى ذلك لاحقا.
 - 4-التحديد الزمكاني: الإشارة إلى زمان المقابلة والمكان الذي جرت فيه، لتحديد الإطار الكامل للمقابلة، كما أن ذلك قد يكون له أثره الإيجابي أو السلبي في جودة مقابلة ما.
- وتندرج المقابلات التي أجريتها ضمن نوع **المقابلة المسحية** والتي تستهدف الحصول على معلومات وبيانات وآراء كالتالي يتم إعمالها في استطلاع الرأي العام ودراسة الاتجاهات، وهي من قبيل المقابلة الموجهة، لأنها تتأطر وفق أسئلة معدّة سلفا، إذ يسهم هذا التوجيه في اقتصاد الجهد والوقت، وبحكم الأهداف المتوخاة من إعداد دليل المقابلة، ويتشكل دليل المقابلة من الأسئلة الثمانية الآتية:
- 1) ما المشاكل التي تواجه المسجد في أداء رسالته؟
 - 2) ما الوظائف التقليدية التي يؤديها المسجد والتي لا يمكن أن ينفك عنها بأي حال من الأحوال؟
 - 3) ما الوظائف الراهنة التي يضطلع بها المسجد في أداء رسالته؟
 - 4) من هم الأعضاء الفاعلون بشكل أساس في رسالة المسجد؟
 - 5) ما نظرتكم لتنظيم مكونات المسجد؟ وهل ترونها منسجمة مع رسالة الوظائف التي يضطلع بها؟
 - 6) إلى أي حدّ يمكن أن يسهم المسجد في حلّ المشاكل المجتمعية؟ وهل ترون أمثلة لهذا الإسهام؟
 - 7) كيف يمكن توظيف المسجد في وقاية المجتمع من فكر التطرف والإرهاب؟

¹أي: القابلية والحافزية للتفاعل والتجاوب في إطار المقابلة، وقد سبقت الإشارة عما قريب لذلك.

8) ما مقترحاتكم للنهوض بوظيفة المسجد في الواقع الحالي؟

وفي إطار أجرأة هذا النوع من المقابلة؛ أجريت مقابلتين مع شخصين، حيث قررت أن أجري المقابلة الأولى مع الأستاذ الدكتور إبراهيم بارا، وهو متخصص حاصل على شهادة الدكتوراه في الفقه الإسلامي، واعظ متطوع، خطيب جمعة بأحد مساجد مدينة الدار البيضاء، له خبرة وتجربة سنين في ممارسة الدعوة المسجدية ويشغل حاليا في ميدان التوثيق العدلي.

ولعل من أكبر دواعي اختيار الأستاذ إبراهيم ليكون طرفا في هذه المقابلة صلته الوثيقة بالمساجد ميدانيا، وامتلاكه لعدة تصورات ومقاربات تروم وظائف المسجد ومشاكله التي يعاني منها، بالإضافة إلى مداخل إصلاحه والنهوض برسالته، واحتفظت بالتسجيل الصوتي الكامل لها، لتوظيفه عند الاقتضاء.

أما المقابلة الثانية، فوقع فيها اختياري على الأستاذ عبد الرحيم مفكير، أستاذ مادة التربية الإسلامية وعضو مركزي بالجمعية المغربية لأساتذة هذه المادة، فاعل جمعي، مؤطر أئمة في إطار برنامج تأهيل الأئمة؛ والذي تشرف عليه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب، كما أنه عاش تجربة سابقة في تأطير الجالية المسلمة بفرانكفورت الألمانية خلال شهر رمضان، ويمتلك الأستاذ عبد الرحيم مفكير من بعد النظر وعمق التفكير ما من شأنه أن ينير عدة جوانب وقضايا تتعلق بموضوع الأطروحة تعلّقا مباشرا، بالإضافة إلى نشاطه في مجال الوعظ والتدريس بالمسجد، وقد أجريت معه المقابلة وفق دليلها الذي سبقت الإشارة إليه، واحتفظت بالتسجيل الكامل لها قصد الرجوع إليه عند الحاجة.

وأؤكد أن توظيف الكم المعرفي المتحصل من إجراء المقابلتين تمّ ضمينا دون الإشارة إليه بشكل مباشر، وذلك نظرا للطابع العمومي لمجالاتها، ونظرا كذلك لكثير من التقاطعات التي تحدث مع ما هو متحصل نظريا في مجالات الموضوع.

وفي الشق الثاني المتعلق بالمقابلة المتخصصة (أي: التي تستهدف مجالا متخصصا من المجالات التفاعلية المتعلقة بمؤسسة المسجد) أجريت مقابلتين:

الأولى منها؛ كانت في مجال علاقة مؤسسة المسجد بحملات التبرع بالدم، وقد أجريت هذه المقابلة مع الدكتور عبد اللطيف زاهر رئيس مركز تحاقن الدم سابقا بالمستشفى الإقليمي بالجديدة، والذي يشغل دوريا في هذه الحملات؛ سواء عن طريق الشراكة مع الجمعيات أو عن طريق تنظيمها في المساجد، وارتأيت تركيز

أسئلة المقابلة في دليل المقابلة الموجود ضمن ملاحق هذا البحث، حيث أثبتتها مرفوقة بما أدلى به الدكتور من أجوبة في هذا الصدد.

وأما المقابلة الثانية في إطار التخصص؛ فقد أجريتها في محور النشاط الإعلامي لمؤسسة المسجد، وذلك مع أستاذ وباحث متخصص في قضايا الإصلاح والإعلام المؤسسي، وهو الأستاذ ميمون قريون، أستاذ اللغة العربية بالسلك الثانوي بإقليم اليوسفية وباحث في سلك الدكتوراه في مجال الإصلاح الديني، وسبب اختياري لهذا الشخص على وجه التحديد أنني قرأت له بعض الكتابات التي يشير فيها إلى الدور الإعلامي لمؤسسة المسجد، فاتصلت به وأجريت معه مقابلة هاتفية في هذا المحور، إلا أن أجوبة الأستاذ اختار أن يستجمعها بشكل مجمل ويتحدث فيها بشكل كلي دونما فصل أو تجزئ، وقد سجلت ما أدلى به الأستاذ في هذا الصدد ضمن الملاحق التي تقع في نهاية البحث، وسبب إجرائي لهذه المقابلة مع الأستاذ في مكالمات هاتفية هو أن الأستاذ كان حينها موجودا في سفر بعيد، مما يحول دون اللقاء المباشر معه، وكنت حينها ملزما بإتمام الأشغال المنهجية المتعلقة بالمقابلات في أقرب وقت، حتى يتسنى لي إنجاز ما تبقى من مراحل البحث في الحيز الزمني اللازم لكل مرحلة.

وأشير أيضا إلى أن إدراج الحديث عن النشاط الإعلامي لمؤسسة المسجد يقع ضمن آخر المحاور المسطرة في الشق النظري للبحث؛ وبالضبط ضمن المجال الحضاري لمؤسسة المسجد، وبالتالي، فإعمال منهج المقابلة جاء هنا ضمن هذا الشق، نظرا لأن الاستمارة لا تتضمن سؤالا متعلقا بهذا المحور على وجه التخصص، إلا أنه ليس هناك مانع من توظيف هذه الآلية في هذا المقام ما دام الانسجام الموضوعي أمرا حاصلا بلا شك.

بالنسبة للمعلومات التي قمت بتحصيلها من خلال المقابلة؛ فقد قمت بتسجيلها إما كتابة وذلك بتدوين أهم العناصر المعرفية والمنهجية التي تم استقباليها من طرق الشخص المقابل، وإما بتسجيل المقابلة صوتيا بعد أخذ الإذن من الشخص المقابل كما هو معمول به في أدبيات التعامل مع المعلومة وأحقية نشرها، وهناك من المقابلات ما زاوجت فيه بين التسجيلين الكتابي والصوتي.

أما عن ظروف إجراء المقابلة؛ فقد ركزت في إنجازها على أن يكون الأشخاص المستهدفون في وضعية مريحة تتيح لهم الإدلاء بآرائهم وأفكارهم الموضوعية وبسطها على الوجه الذي يناسبهم في جو من السهولة

والنشاط، وذلك حتى تؤتي هذه المقابلات أكلها من حيث جمع المعلومات المراد تحصيلها منهم لإغناء موضوع البحث في جوانبه المسطرة.

ويحقق إعمال آلية المقابلة في البحوث الميدانية مجموعة من المزايا؛ من قبيل:

- تحصيل معلومات كيفية واقعية وميدانية تنم عن قرب من المجال.
- رصد انفعالات الأشخاص المستجوبين مع الموضوع، وقياس حجم علاقاتهم الودية معه.
- إعطاء هامش أكبر من الحرية في التعبير لدى المفحوصين للإدلاء بمواقفهم اتجاه الموضوع محور الدراسة.
- الحصول على معلومات ومعطيات جديدة ومغايرة لما هو مبتوت في القضايا النظرية.

3.4.5. الإعمال المنهجي للاستجواب:

الأداة المنهجية الميدانية الثالثة التي اعتمدتها هي الاستجواب، وهو سؤال مركز واحد يوجه بشكل عشوائي أو بشكل مقصود -حسب طبيعته أو الغاية المتوخاة منه-، ويهدف في نهايته إلى استطلاع رأي المستجوب حول ظاهرة معينة ترتبط وظيفيا بمؤسسة المسجد التفاعلي، وذلك قصد تحليل المواقف التي أسفر عنها الاستجواب ورصد العوامل المتحكمة فيها.

وقد قمت بتوظيف الاستجواب في ثلاثة مواطن، مع العلم أنه يختلف حجم إعماله واعتماده من موطن إلى آخر حسب الحاجة إلى ذلك:

-الموطن الأول: تحليل العنصر المتعلق بقضية [ظاهرة البيع أمام المساجد]: فقد أجريت استجوابا مباشرا مع مجموعة من الباعة جوار مسجد محاسن الكائن بحي النجد في مدينة الجديدة، وقمت بتدوين مبررات اختيارهم لهذا المكان من أجل ممارسة نشاطهم التجاري، وذلك دون الإشارة إلى أسمائهم، وأغلب هؤلاء الباعة يمارسون نشاطهم فيما يتعلق بالخضر والفواكه.

وقد يتساءل أحد عن سبب توظيف هذه الآلية المنهجية في هذه القضية وهي ذات صبغة ميدانية، في حين نجد هذه القضية ضمن عناصر فصل نظري يتعلق بالنشاط الاقتصادي لمؤسسة المسجد، والجواب عن

ذلك هو أن هذه القضية غير مضمنة بشكل مباشر ورئيس في مكونات الاستمارة، فناسب أكثر أن أضعها في الشق النظري، لأنه لم تستجوب العينة في شأنها.

-الموطن الثاني: رصد وتتبع آراء شريحة معينة من شباب مدينة الجديدة حول المسجد وأهم ما يلفت نظرهم ويجفزهم نحو الإقبال عليه بشكل إيجابي من الأمور المادية في شكلها المعاصر وليس التقليدي، وكان السؤال الذي طرحت عليهم هو كالاتي:

باعتبارك شابا من الشباب الذين يرتادون المساجد، ما الأشياء المادية التي تستهويك في المسجد وتجعلك تنجذب نحوه وتتشوق للإتيان إليه؟

واستقيت في ذلك آراء مختلفة تنبئ عن اهتمام كبير من هؤلاء المستجوبين بالسؤال وبموضوع المسجد، وقد راعيت في ذلك تنوع تخصصات المستجوبين، لأرى تأثير ذلك على نوعية أجوبتهم وآرائهم التي يدلون بها، ليتم حصر عدد هؤلاء المستجوبين في ثمانية أشخاص، وأجوبتهم مدونة كاملة في ملحق خاص، كل واحد على حدة باسمه مردفا باختياراته التي يراها مناسبة لجواب السؤال.

واعتمدت على ما أدلى به المستجوبون كأرضية وصفية لتحليل عناصر العامل السابع من نتائج التحليل العاملي للاستمارة؛ والتي تم اعتمادها في الشق الميداني للأطروحة.

مع الإشارة إلى أنني احتفظت هنا بأسماء المستجوبين لعدم وجود أي تحفظ أو حرج منهم في ذلك.

-الموطن الثالث: تعميق وتوسيع الآراء حول أسباب تدني وضعف نشاط المسجد الحالي في الواقع الذي نعيش، وقد أجريت هذا الاستجواب مع أفراد لهم صلة مباشرة بالمسجد، أي أنهم يترددون عليه ويؤدون الصلاة دون انقطاع، وذلك حتى يكون جوابهم ذا مصداقية ووجاهة، وكان السؤال على الشكل الآتي:

ما هي -في نظرك-أسباب ضعف رسالة المسجد الحالي؟ وما مقترحك للنهوض بها؟

وقد أفادتني هذه الأداة المنهجية في تحصيل قاعدة بيانات ميدانية مباشرة حول المواطن المستهدفة، بل إن هذه البيانات تكشف عن معطيات جديدة ومفاجئة، بحيث قد لا نجد لها متوفرة في المراجع التي توفر المادة العلمية المكونة للشق النظري المتعلق بالموضوع.

وليس بالضرورة أن تكون نتائج الاستجابات مشارا إليها بشكل مباشر في صلب البحث بل الأمر متروك لطبيعة المحور وطريقة تحليله والتعامل معه، فقد يتم استخدامها ضمناً في تحليل معطيات تم تحصيلها نظرياً من مراجع مختلفة، وهذا ما تعاملت به في تحليل العامل الثامن المتعلق بالمشاكل التي تعترض إصلاح رسالة المسجد، مع أنني توخيت في التعامل مع هذه الآلية منهج الاختصار وتجنب الإطالة في المعلومات الواردة، وذلك حتى لا تشتت أطراف الموضوع ويصعب بذلك استيعاب عناصره.

تتحلى أهمية الاستجواب في كونه يتيح هامشاً أكبر من الحرية للمستجوب المستهدف؛ وذلك للإدلاء برأيه في قضية ما تعالج جانباً موضوعياً من جوانب الإشكالية الرئيسة للبحث.

إن الاستجابات التي قمت باقتباسها من مختلف المراجع والدعامات النظرية ليست سوى مادة علمية؛ تخضع للتحليل المضموني ضمن الشق النظري للدراسة¹، ولا يمكن اعتبارها من قبيل الأجرة التطبيقية لمنهج الاستجواب في الدراسة الميدانية، فالاستجواب المعني في هذا المقام هو الاستجواب المباشر، أي الذي قام بإعماله الباحث من تلقاء نفسه تخطيطاً وتنفيذاً.

4.4.5. الأعمال المنهجية للملاحظة:

وعن الأداة المنهجية الرابعة التي اعتمدت عليها؛ وهي: الملاحظة، فإنني أقصد بها الملاحظة العلمية الموضوعية، ويمكن أن نختار لها التعريف الآتي: 'الاعتبار المنتبه للظواهر والحوادث بقصد تفسيرها واكتشاف أسبابها والوصول إلى القوانين التي تحكمها' (أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية: فوزي غرايه ومن معه، ص33)، وبالتالي فالملاحظة العلمية منطلق قاصد ومؤسّس.

نهجت بالتدقيق أسلوب الملاحظة بدون مشاركة، أي: دون الانتماء إلى المجال المستهدف بالملاحظة، وأغلب الملاحظات التي جرت وشكلت منطلقاً في إنجاز وتحليل عدة قضايا من صلب البحث تعتبر ملاحظات في حدود الحيز المكاني الجغرافي الذي يمثل محيطي، أي: مدينة الجديدة ونواحيها، كما أنها ملاحظات متفرقة وموزعة على مجموعة من المساجد، وليست مركزة على مسجد محدد بعينه، لأنه لا يمكن لمسجد واحد أن يشكل ويمثل بمفرده الأنموذج الوحيد والفريد في النقاط الحيوية التي تُكوّن منظومة مؤسسة المسجد التفاعلي،

¹ مثال ذلك: استجواب مجموعة من النساء حول الأثر الذي خلفته عملية استفادتهن من محاربة الأمية في بعض مساجد مدينة الدار البيضاء، والذي اقتبسته من مقال في هذا الموضوع.

والذي نطمح لتبريزه وظيفيا وإشعاعيا، بالإضافة إلى أن تسجيلي لهذه الملاحظات قد تم بتجرد عن الأفكار المسبقة حول الظواهر المشاهدة، وذلك حتى لا يحصل تأثير يشوش على نتائج الملاحظات المتوصل إليها، لأن الموضوعية أساس الأعمال المنهجية لهذه الآلية حتى تؤتي أكلها، يقول الأستاذ عبد الله إبراهيم: 'على الباحث الاجتماعي أن يمتنع تماما عن استخدام الأفكار المسبقة التي تكونت خارج العلم، كما عليه أن ينطلق من الصفر في دراسته لموضوع البحث، وأن يلاحظ الموضوع ويفهمه دون الارتكاز إلى فهم أصحاب الموضوع له -القطع مع المفاهيم والأفكار الشائعة-' (علم الاجتماع- السوسيولوجيا-: عبد الله إبراهيم ص249).

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه الملاحظات تلقائية وبسيطة، أي أنها حصلت دون تكلف أو تخطيط مسبق لعامل يؤثر في حدوثها وتنميط مظاهرها، وعليه، فهذه الملاحظة يمكن أن نصطلح عليها من حيث النوع بالملاحظة غير المنظمة؛ والتي تقابل الملاحظة المهيأة، يقول الأستاذ أحمد أوزي في تجلية حقيقة الملاحظة غير المنظمة: 'وهي الملاحظة التلقائية التي تتم في غالب الأحيان بشكل لاإرادي واعتباطي، ولا تقودها فكرة محددة منبثقة من موضوع البحث لتعمل على استشارتها وتوجيهها، إنها ذلك النوع من الملاحظة التي تنبته إلى الظواهر التي تظهر أو تحدث في حقلها الإدراكي' (منهجية البحث وتحليل المضمون: أحمد أوزي، ص38، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2015م/2016م).

من الملاحظات ما يمكن أن يكون متكررا، بحيث تتم مشاهدتها في أماكن مختلفة وبنفس السلوك والطريقة، مما يجعلنا نتساءل حول العوامل التي تتدخل في ذلك، وهذا ما يقوي أسلوب الملاحظة من حيث الاعتماد المنهجي لها في الدراسة الميدانية.

وكنت أثبت هذه الملاحظات دون تسجيل أي تعليق عليها في الوقت الذي تبرز عندي.

ولا شك أن أسلوب الملاحظة يمتاز بمجموعة من الإيجابيات؛ من قبيل:

-أنها طريقة مميزة وصالحة لدراسة أنواع من الظواهر السلوكية الإنسانية، بحيث لا تتأني دراسة أنواع من التصرفات الإنسانية إلا بهذه الوسيلة.

-أنها طريقة تقتصد الجهد ولا تتطلب بذل طاقة كبيرة مع الجهة الملاحظة بالمقارنة مع باقي الطرق.

-أنها طريقة تسمح بجمع بيانات تحت ظروف سلوكية مألوفة ومعتادة.

-أنها تمكن الباحث من جمع البيانات المعرفية عن السلوك في نفس وقت حصوله.

-أنها تتيح الحصول على معلومات من الجائز ألا يكون قد فكر بها الأفراد موضوع البحث حين إجراء مقابلات شخصية معهم أو حين مراسلتهم.

(أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية: فوزي غرايه ومن معه، ص41).

والجدير بالذكر أن أداة الملاحظة تعطي أكلها وتسهم في إثراء الجوانب التحليلية للموضوع؛ إذا تضافرت في الأعمال المنهجية مع باقي الأدوات الأخرى الموظفة في إطار تحليل المضمون، ويشكل هذا النسق الكلي الإطار المنهجي الأكبر الذي يتم وفقه مقارنة الموضوع البحثي في رمته، يقول الأستاذ أحمد أوزي: 'هذا، ويكتسي منهج الملاحظة أهمية كبيرة، وبخاصة خلال القيام بالدراسة الاستطلاعية حول موضوع البحث الذي تم اختياره، بهدف وضع الفروض واختبار أدوات البحث ومنهجه، كما تفيد الملاحظة خلال إكمالها بأدوات بحثية أخرى كالاستبيان أو المقابلة أو الاختبارات النفسية أو غيرها من الأدوات البحثية التي تغنيها وتكملها' (منهجية البحث وتحليل المضمون: أحمد أوزي، ص39).

وقمت بتعزيد آلية الملاحظة ببعض الصور الوثائقية والتي ضمنتها في الملحق الختامي للبحث، حيث سلكت هذا الإجراء المنهجي ظنا مني أنه من شأنه أن يقوي إعمال منهج الملاحظة، ويزيد في توظيفه التحليلي، وتعتبر الصور كذلك أداة أشد ارتباطا بالواقع، لأنها تمثل ممارسات مشاهدة وتجارب حية، إما أن تشجع على المضى أو أن تُقوّم المسار؛ وذلك إذا كان يعرف خللا ما أو يعاني من اعوجاج يستدعي نوعا من التدخل والترميم.

ومن المعوقات التي تعترض تبني آلية الملاحظة في الدراسة الميدانية¹ هو إمكانية إغفال تسجيل بعض الجريات والوقائع التي تسقط سهوا دون قصد، ويرجع سبب ذلك إلى الطبيعة البشرية والقصور الذي يعتريها في هذه العملية، حيث تصعب الإحاطة بكل ما نلاحظه، بل يصعب أن ندوّن كل ما تمت ملاحظته، يقول سيرج بوغام: 'إن ما يقلق الملاحظ هو النسيان، إذ، وبما أنه غير قادر على تسجيل الملاحظات مباشرة، لا يمكنه الاستناد إلى ذاكرته ما دام منقادا إلى سيل الأحداث التي تجري في حضوره مناسبة دوما، على مرّ تجاربه يطوّر حيله الخاصّة في التسجيل بحيث يتفادى افتقادا هاما لما رأى وسمع ولما شعر به' (ممارسة علم الاجتماع:

¹ خاصة اعتماد الملاحظة المباشرة.

عبد الله إبراهيم، ص111)، ولعله من حسن حظ خصوصيات وطبيعة البحث في موضوع مؤسسة المسجد -من خلال ما تبين لي- أنه لا يتأثر الأعمال المنهجية للملاحظة بهذا المعيق، وذلك لأن الأحداث والوقائع المسجدية لا تصل في ملاحظتها إلى الطول والامتداد الزمني الذي قد يسقط معه تسجيل الأهم، كما أن هذه الأحداث تقع بكيفية منفصلة ومنعزلة، حيث تترسخ في الأذهان بشكل يتيح استحضارها واسترجاعها في كل وقت بشكل مناسب دون إغفال لجزئياتها وتفصيلها.

الفصل السادس:

التحليل العاملي

الاستكشاف في نتائج

معطيات الاستمارة

الميدانية.

يرتكز هذا الفصل على نتائج جدول Acp¹ والذي يتعلق بتحليل المركبات الرئيسية، حيث يعتبر ذلك نوعاً من نوعي التحليل العاملي الذي يهم نتائج تفرغ أجوبة الاستمارة الميدانية، وقد أفرز هذا الجدول ثمانية عوامل، مما يقتضي أن يتم تقسيم هذا الفصل إلى ثمانية فروع، بحيث يهتم كل فرع منها بمحورين: توصيف العامل واستكشاف العناصر التي تدرج تحته، وذلك وفق المنهجية الموحدة في هذا العمل الميداني، والتي هي مشار إليها في الفصل المنهجي الخامس.

1.6. توصيف واستكشاف العامل الأول.

1.1.6. توصيف العامل الأول.

السؤال	1
cog14	0,815
cog10	0,790
cog13	0,753
cog6	0,731
cog7	0,702
cog12	0,700
cog5	0,695
cog2	0,678
cog11	0,672
cog8	0,659
cog9	0,645
cog15	0,595

تشكل الأرقام المسجلة أعلاه تمثيلية الحضور لكل سؤال والمتضمن لموضوع فرعي خاص داخل وضمن العامل الذي تتجمع فيه كل الأسئلة المندرجة تحته، فكل هذه الأسئلة تتجمع في إطار المركبة الرئيسية، بحيث

¹ Analyse des composantes principales

تحكمها طبيعة أجوبة المستجوبين بخصوص أسئلتها، فيتشكل العامل بذلك مكوناً وحدة مشتركة يتعين كشفها عن طريق تأمل المكونات الدلالية والموضوعية لكل سؤال على حدة من المركبة.

من خلال الجدول المبين أعلاه لنتائج إفراز العامل الأول؛ نلاحظ أن هذا العامل يتجمع فيه اثنا عشر سؤالاً، أي أن هذا العامل هو المهيمن من حيث عدد الأسئلة المجمعة فيه، وذلك بالمقارنة مع العوامل السبعة الأخرى المتبقية، بحيث ينتمي كل سؤال إلى حقل معرفي خاص يدخل ضمن المجال المعرفي الرئيس المكون لمؤسسة المسجد، وهذه الأسئلة مجمعة وفق ما هو مبين في الجدول السابق.

وبالتالي، فهي أغلب الأسئلة الموجودة في المحور الأول المتعلق بالشق المعرفي من الاستمارة وهي على التوالي: السؤال 2، السؤال 5، السؤال 6، السؤال 7، السؤال 8، السؤال 9، السؤال 10، السؤال 11، السؤال 12، السؤال 13، السؤال 14، السؤال 15.

إن أول ملاحظة يمكن أن نسجلها من خلال استقراء نوع هذه الأسئلة المجمعة في العامل الأول أنها تنتمي فقط إلى المجال المعرفي للمسجد، ولا يوجد ضمنها أي سؤال ينتمي إلى المجال التفاعلي المتعلق بالمسجد؛ أي: هناك استقلالية تامة بين المجال المعرفي والمجال التفاعلي للمسجد في أجوبة المفحوصين، وبالتالي فإننا لا نلمس نوعاً من التأثير بين المجالين في الأجوبة المحصلة، ويمكن أن نقول ذلك بأن هناك نوعاً من المعرفة الدينية لدى الناس (الفئة المفحوصة التي تمت من خلالها الدراسة) تتسم بالتحفظ والاحتياط والمحدودية، من حيث قبول الوظائف التفاعلية التي يمكن أن يضطلع بها المسجد في أنموذجه المؤسساتي، وهذا ظاهر من خلال ما تم التوصل إليه من انفصال بين المعرفة والتفاعل، وبالتالي فنحن هنا أمام احتمال واحد من بين احتمالين اثنين يمكن من خلالهما أن يتم تفسير هذا الانفصال وتأويل هذه الاستقلالية.

-ترويج تصور نمطي معين من طرف الجهات الرسمية حول الشكل التقليدي الذي ينبغي أن تكون عليه المؤسسة المسجدية، وذلك بحصر وظائفها وجعلها في إطار محدود وضيق يكاد ينحبس في الوظيفة التعبدية فقط.

-عدم الفهم الشمولي من طرف مجموعة من الناس للعمل الوظيفي الذي كان عليه المسجد في مبدأ نشأته وظهوره، مما ينتج نوعاً من التطبع مع الواقع الحالي للمسجد، رغم أنه واقع لا يخلو من الحاجة الماسة إلى النقد والتقويم.

وكلا الاحتمالين يفصحان عن نوع من التأثير العلماني على الفكر والممارسة عند الشخص المسلم في علاقته بالمسجد، حيث إن هذا الفكر يقضي نحو تخفيف منابع الدين وروحه من جميع الجوانب التفاعلية للحياة، وبالتالي يصبح التدين محدودا وقاصرا على طقوس معينة، لا أثر ولا امتداد سلوكي يرحى من ورائها. بالرجوع إلى الاستمارة الميدانية التي تم تنفيذها نجد أن هذه الأسئلة الاثني عشر تعطي العناوين الآتية على التوالي:

السؤال 2: المسجد والأمن.

السؤال 5: المسجد والعلاج النفسي.

السؤال 6: المسجد والمشاكل الاجتماعية.

السؤال 7: المسجد والقيم الوسطية.

السؤال 8: المسجد والتربية.

السؤال 9: المسجد والحضارة.

السؤال 10: المسجد والمساواة الاجتماعية.

السؤال 11: المسجد ودور العبادة الأخرى.

السؤال 12: المسجد وقيم النظام.

السؤال 13: المسجد والمواقف من القضايا الإنسانية.

السؤال 14: المسجد والبيئة.

السؤال 15: المسجد والمرأة.

وإذا أردنا أن نقوم بتصنيف وتجميع لهذه الأسئلة ضمن مجالات فرعية؛ فإنه يمكن وضعها على الشكل الآتي:

-المجال الفرعي الأول: المسجد والفرد: السؤال 5 والسؤال 12.

-المجال الفرعي الثاني: المسجد والتربية: السؤال 7 والسؤال 8.

-المجال الفرعي الثالث: المسجد وحاجيات المجتمع: السؤال 2 والسؤال 6 والسؤال 10 والسؤال 15.

-المجال الفرعي الرابع: المسجد والحضارة الإنسانية: السؤال 9 والسؤال 11 والسؤال 13 والسؤال 14.

من خلال ملاحظة مجموع هذه المجالات الفرعية من أجل إيجاد علاقات وروابط بينها؛ يتبين أن هناك تسلسلا منطقيا في تجمعها على هذا النحو، فالمجال المعرفي لمؤسسة المسجد يستهدف بالأساس بناء الفرد وتأهيله روحيا وإيمانيا، ليرقى وتزكو نفسه، فتتشرب بذلك مبادئ وقيم التربية التي يدعو إليها الإسلام في رسالته المسجدية، ثم تمكنه تلك التربية من الاندماج والانخراط الإيجابي داخل مجتمعه، الذي هو في حاجة ماسة إلى هؤلاء الأفراد بتلك التنشئة، لتكوين نسيج إيجابي فعال، والتغلب بذلك على الوضعيات الاجتماعية التي تشكل عائقا وحاجزا أمام تنميته ورفقي مستواه، فإذا ما تم تحصيل هذه البغية الاجتماعية من خلال تضافر جهود المؤسسة المسجدية بكل مكوناتها وفي كل أقطاب المجتمعات التي تدين بالإسلام وتتخذ من هذه المؤسسة أرضية للإصلاح؛ فإن ذلك سيثمر إشعاعا خارجيا ممتدا لا يقتصر عن هذه المجتمعات والبيئات فحسب، وإنما سيلحق إشعاعه ركب الحضارة الإنسانية كيفما كان تدينها.

2.1.6. استكشاف عناصر العامل الأول:

إذا أخذنا المجال الفرعي الأول (المسجد والفرد) والمتعلق بكل من العلاج النفسي والنظام الفردي؛ فإنه نكشف أوليا وجود علاقة جدلية متضمنة لعناصر التأثير والتأثر بين كل منهما، فالنفسية السوية تتصرف بسلوك سوي متزن، وبالتالي، نجد الفرد على إثرها يقوم بسلسلة أعمال ومهام متناسقة فيما بينها، وتتم كذلك على نظام منطقي في تنفيذها، من ذلك أن أهل المسجد يتربون على حسن النظام والترتيب في أفعالهم، فيقدمون ما يستحق التقديم ويؤخرون ما يستحق التأخير، ولا يخرج عن هذا الاطراد إلا من لم يتشبع بقيم الصلاة وتأثيرها المفترض في السلوك، وعلى العكس في ذلك، فإن من يتخلق في حياته بالنظام ويجنب أفعاله العشوائية والتسيب؛ يحس بالراحة ويشعر بالطمأنينة النفسية التي تجعله سويا ومتوازنا، لأنه يسير وفق منطق التخطيط المنظم من أجل الوصول إلى الهدف المحدد الذي يضعه نصب عينيه.

توفر مؤسسة المسجد علاجا نفسيا لأهلها، وذلك من خلال ما يجد المقيم فيها من شعور راحة وطمأنينة وسكينة، ولعل هذا الشعور نابع من سماع القرآن الذي هو منبع الطمأنينة ومصدر الشفاء القلبي

والعضوي للإنسان، فلا يكفي في ذلك تعاط مؤقت ومحدود، بل ينبغي أن يتم ذلك بنوع من التعاهد، ومن أدلة ذلك قوله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" (سورة الرعد: الآية 28).

إن هذا الاطمئنان يحصل كلما تمت مداواة في هذا المكان وبهذه الكيفية، ولذلك استعملت صيغة المضارع في الفعل، يقول الطاهر بن عاشور: 'واختير المضارع في تطمئن مرتين لدلالته على تجدد الاطمئنان واستمراره، وأنه لا يتخلله شك ولا تردد' (التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)، ج13/ص138، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م).

وإذا أردنا أن نتكلم عن المسجد وعلاقته بالشفاء؛ فيكفي في ذلك الحديث عن القرآن وعلاقته بالشفاء، خاصة من الأمراض النفسية والمعنوية والتي لا تجدي فيها الأدوية الكيماوية في مجموعة من الحالات، يقول تعالى: "وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا" (سورة الإسراء: الآية 82)، وليس المقصود من الآية أن بعض القرآن هو ما يتحقق به الشفاء بناء على تبعية الحرف ((من))، بل هي معنى الجنس، فجميع القرآن يتحقق به الشفاء، كما أن الشفاء هنا غير مقيد، فيشمل بذلك الأمراض النفسية والأمراض العضوية، يقول فخر الدين الرازي في تفسير الآية مؤكدا هذا العموم والشمول في الشفاء والمستشفى منه: 'ولفظه (من) هاهنا ليست للتبعية، بل هي للجنس كقوله: "فاجتنبوا الرجسَ مِنَ الْأَوْثَانِ"¹ [سورة الحج: الآية 30]، والمعنى: ونزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء، فجميع القرآن شفاء للمؤمنين، واعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية، وشفاء أيضا من الأمراض الجسمانية، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر، وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان: الاعتقادات الباطلة والأخلاق المذمومة، ... وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الأمراض، ولما اعترف الجمهور من الفلاسفة وأصحاب الطلسمات بأن لقراءة الرقى المجهولة والعزائم التي لا يفهم منها شيء آثارا عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد؛ فلأن تكون قراءة هذا القرآن العظيم المشتمل على ذكر الله وكبريائه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع في الدين والدنيا كان أولى' (مفاتيح

¹ هكذا استدلل المؤلف بجزء من آية، وتامها وكماها قوله تعالى: "ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ" (سورة الحج: الآية 30).

الغيب: فخر الدين الرازي (606هـ)، ج 21/ ص 389/ 390، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1420هـ).

وبالتالي، فإن الآية لا تدل على إرادة التخصيص فيما يقصر عنه الشفاء، لكن تفسير الإمام الرازي للآية على الرغم من نصّه على هذه الشمولية؛ فإننا لا نجد يتطرق في معرض كلامه عن الأمراض الروحية حول المرض النفسي المتجلي أساساً في الإحساس بالخوف والهوس النفسي ومحمل المشاعر والأحاسيس التي تثير لدى الإنسان القلق والاضطراب في نفسه، وقد تكون سبباً في أمراض جسمانية أخرى، تتطور مضاعفاتاً إلى ما هو أخطر وأعقد، فكلامه عن المرض الروحي لا يعدو عن المعتقد والأخلاق وهذا حصر لا دليل معتبر عليه، وإلا فلماذا شرع النبي صلى الله عليه وسلم قراءة آيات وأدعية لإزالة شعور الحزن والكآبة والقلق ؟ ولعل هذا الأمر يكاد يكون نفسه عند من جاء بعد الإمام الرازي، حيث نجدهم لا يفصلون في أنواع أمراض القلوب التي تتطلب العلاج والشفاء بالقرآن، ويكتفون بالنص على الرقى والتعاويذ منه، من ذلك ما ذكره صاحب التسهيل أبو القاسم ابن جزى الغرناطي (ت 741هـ): 'والمراد بالشفاء أنه يشفي القلوب من الريبة والجهل، ويحتمل أن يريد نفعه من الأمراض بالرقيا به والتعويد¹' (التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزى الغرناطي، ج 1/ ص 453، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ).

كما أننا نلاحظ إغفال ابن جزى الإشارة إلى الأمراض الجسدية ضمن مجموع الأمراض التي يتحقق منها الشفاء بالقرآن، وهو الأمر الذي لم يغيب على صاحب نظم الدرر إبراهيم بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ) إذ يذكر النوعين معاً من الأمراض فيقول: 'ما هو شفاء للقلوب والأبدان {ورحة} أي إكرام وقوة {للمؤمنين} أي الراسخين في الإيمان، لإنارته لقلوبهم من صدأ الجهل، وحمله لهم على سبيل الرشده الذي هو سبب الرحمة، ولحراسته لهم من كل شيطان ومرض ومحنة إذا وقع الصدق في الاستشفاء به' (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم البقاعي، ج 11/ ص 497، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، بدون طبعة ولا تاريخ).

ولعل عدم تطرق هؤلاء المفسرين للأمراض النفسية وما يعتري القلوب من نقائص وأوجال راجع إلى كون هذه الأنواع من الأمراض والاضطرابات النفسية كانت نادرة وغير منتشرة على الوجه الذي عليه حالياً، وما ذلك إلا لأن المفسرين لم ينفصلوا عن واقعهم في بيان مراد القرآن وأحكامه، بل ظلوا متأثرين به ومرتبطين به أشد الارتباط، لأن من وظائف القرآن معالجة واقع الناس وتصحيح ما فيه من خلل.

¹ ما يُقرأ من دعاء وذكر للاحتماء من المكروه.

وهذا ما أقره النبي صلى الله عليه وسلم في شمولية الاستشفاء بالقرآن، سواء حصل ذلك في حالة المرض النفسي أو في حالة المرض العضوي على حدّ السواء كما في حديث أبي سعيد الخدري والذي يمكن الاستدلال به على الاستشفاء في شأن ما هو عضوي أو جسدي، وفيه أَنَّ رَهْطًا¹ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْطَلَقُوا فِي سَفَرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ، فَلَدَغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لَدَغَ، فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَرَاقٍ، وَلَكِنَّ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعَلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَانْطَلَقَ فَجَعَلَ يَنْفُلُ²، وَيَقْرَأُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلْبَةٌ³، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ااقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَندُكِّرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَانْظُرْ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدُكِّرُوا لَهُ، فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ؟ أَصَبْتُمْ، ااقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ)) [صحيح البخاري: كتاب الطب، باب النفث في الرقية، رقم: 5749، ج 7/ص 133].

يؤطر لنا هذا الحديث النبوي مجموعة من القضايا الهامة المتعلقة بمؤسسة المسجد في اهتمامها بحالة الفرد الذي هو ركن هام في تكوين الجماعة، ومن بين هذه القضايا: التخطيط في توفير من يتولى مهمة الرقية الشرعية ببعض المساجد، حتى يتم تأطير وضبط هذه العملية التي باتت تعاني من مشاكل وتسيبات، وبالتالي، فإن إفلات هذه الظاهرة وإبعادها عن المؤسسة المسجدية يثير إشكالات وتساؤلات عديدة، فمن الذي سيحمي هذا المجال الشرعي إن لم تتدخل مؤسسة المسجد في حمايته وتأطيره وضبطه؟

ثم إنه في إطار معالجة ارتباط مؤسسة المسجد بالعلاج النفسي للأفراد، ينبغي أن تولى العناية الكافية لهذا المحور ضمن الأولويات الوظيفية لهذه المؤسسة، وذلك لأن ما يقدم في هذا المجال خارجها يفتقد لتأطير الرؤية الشرعية له، وبالتالي يترتب على هذا الوضع حدوث خلل منهجي في معالجة مجموعة من الظواهر، من

¹ الجماعة من الناس الذين يتراوح عددهم بين ثلاثة وعشرة.

² يتفل: من التفل وهو البصاق القليل وهو أكثر من النفث (تعليق مصطفى البغا على الحديث في صحيح البخاري ضمن نفس الطبعة المتعمدة).

³ وجع أو مرض يدعو صاحبه إلى التقلب ذات اليمين وذات الشمال، من شدة ما يحس من ألم.

قبيل التكذيب بمجموعة من المسلمات الغيبية، والتي من المفترض أن يتم توظيفها في تحليل تلك الظواهر، وأرى من وجهة نظري أن هذا الاهتمام ينبغي أن ينصب نحو تكوين المؤطرين تكويناً يزاوج بين المعارف الشرعية وبين التنظير النفسي، من أجل التمكن من مقارنة تلك الظواهر مقارنة شرعية، كما ينبغي أن يركز هذا الاهتمام على تضمين هذا الاتجاه في البرنامج المتعلق بدروس الخطابة أو التوعية الوعظية، وذلك من منطلق أن أصحاب هذه الحالات والذين يعانون من خصائص ومشاكل نفسية ليس بمقدورهم جميعاً أن يتابعوا فحوصات وحصصاً مكلفة مادياً للتخلص من الأزمات التي تؤرقهم.

ما أجمل أن يركز الخطباء والوعاظ في رسالتهم المسجدية على توظيف الخطاب الروحي في الاستشفاء النفسي، فإن مجموعة من مرتادي المسجد يأتون إليه وهم مرضى ينتظرون أن يجدوا بلسمهم الشافي فيما يسمعون من هذه المؤسسة من قرآن وذكر وخطاب روحي يبعث الأمل في قلوبهم، ويفتت مشاعر اليأس والقنوط من نفوسهم، ومن النماذج التي يسوقها باتريك دي جافني في هذا الصدد قوله: 'يتعاطى الشيخ عثمان بأسلوبه غير المباشر المعتاد مع الصلاة كترىاق نفسي وعلاج من التوترات وبخاصة بين الشباب، فجدده يشير إلى ما ذكرته الصحافة البريطانية وضخمته وسائل الإعلام الإسلامية من أن فريقاً من الأطباء الإنجليز توصل إلى أن للصلاة قيمة علاجية لحالات التوتر' (خطباء المساجد من الدعوة إلى التحريض: باتريك دي جافني، ص 200).

وإذا أردنا أن ننتقل إلى الشق الثاني من هذا المجال والذي يتعلق بالنظام الفردي؛ فلا شك أن هذا الشق يمكن أن تتم معالجته في عدة زوايا واتجاهات، ففيه ما هو تربوي إذا كنا نرمي التركيز على القيم النظامية في بعدها التربوي، وفيه ما هو اجتماعي إذا كنا نصبو إلى مقارنة هذا النظام في العلاقات والروابط التي تنسج بين الأفراد ضمن مفهوم الجماعة أو الجماعات المكونة للمجتمع، ولا شك أن التداخل المجالي والموضوعي لا يسلم منه من يقوم بمقارنة مثل هذه القضايا، إلا أن الذي أستهدفه من خلال السؤال الاستماري المتعلق بهذا الشق هو النظام الفردي، أي: المتعلق بالشخصية في النظام مع مكوناتها الداخلية، كالنظام في التفكير والنظام في تخطيط المهام والقيام بالمسؤوليات المتعلقة بالذمة الفردية، والنظام المتعلق بتدبير الوقت وتلبية الحاجيات الفردية في بعدها النفسي وفي بعدها الإحيائي.

يربي المسجد أهله على قيم النظام والانضباط، والتي من شأنها أن تسهم في تخليق سلوكيات وتصرفات مرتاديه، بل تحقق بشكل مهم المقصد الأمني الذي تحفظ به الكليات الضرورية في هذه الأمة، فالأمة بلا نظام تعيش حالة من الفوضى العارمة وشكلاً من أشكال التسبب الذي لا يمكنها معه أن تحقق الرفاهية

الحضارية والجودة في الحياة، بل يمكن أن نقول إن النظام صار مطلباً عالمياً عاماً، لا ينحصر فقط عند الأوساط التي تدين بالإسلام، وإنما نجد الكل يركز على هذا المبدأ، ويعتبره مؤشراً من مؤشرات التحضر والتقدم.

ويمكن تحديد أهم عناصر النظام التي يغرسها المسجد في تصرفات أصحابه فيما يلي:

1- ضبط الوقت المحدد بأمارات أو مواعيد معيّنة، وذلك من خلال رفع الأذان خمس مرات في اليوم، تبعاً لمواقيت الصلاة المكتوبة والتي تتغير بتغير أماراتها المتعلقة بوضع الشمس أو حال السماء، وقد أشار ربنا عز وجل إشارة خفية إلى أثر هذا التوقيت في تحقيق النظام والانضباط الفردي، كما في قوله تعالى: "فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا" (سورة النساء: الآية 103).

2- تجلّي الصفوف المترابطة بشكل دقيق ومعايير موضوعية:

فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سُؤُوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنْ تَسَوَّيَ الصُّفُوفُ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ)) [سنن ابن ماجه (ت273هـ): كتاب أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب إقامة الصفوف، رقم: 993، ج2/ص129]، فكأن مظهر التسوية من لوازم الإتمام؛ أي أن حصول الخشوع وتحصيل كامل الثواب أمران مرتبطان بهذا المظهر السلوكي.

وعن النعمان بن بشير يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسوي الصف حتى يجعله مثل الرمح أو القدح، قال: فرأى صدر رجل ناتئاً¹، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سُؤُوا صُفُوفَكُمْ، أَوْ لِيَخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وَجْهِكُمْ)) [سنن ابن ماجه: كتاب أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب إقامة الصفوف، رقم: 994، ج2/ص129]، وجاء في رواية عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((سُؤُوا صُفُوفَكُمْ لَا تَخْتَلِفُ قُلُوبُكُمْ)) [سنن الدارمي: أبو محمد التميمي الدارمي (ت255هـ)، كتاب الصلاة، باب فضل من يصل الصف في الصلاة، رقم: 1299، ج2/ص804]، حيث إن هذه الرواية توضح تأثير كل من الاعتدال والنظامين الصفي والاصطفائي المتعلق بالصلاة على حال القلب عند الفرد،

¹ ناتئ: مرتفع [مختار الصحاح: زين الدين الحنفي الرازي (666هـ)، باب النون، جذر (ن ت أ)، ج1/ص304، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، لبنان، ط5، 1420هـ/1999م]، وذلك بشكل لا ينفصل به عن محيطه، أو يبرز به على وجه التفرد والتميز.

وذلك [لأن تقدم البعض على البعض يعتبر أمرا مظنة للكبر المفسد للقلوب، وسبب لتأثرها الناشئ عنه الحقد والضغائن] (التنوير شرح الجامع الصغير: الأمير الصنعاني (ت1182هـ)، ج6/ ص421، تحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1432هـ/ 2011م).

وعن سيماك بن حرب قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: ((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَوِّيُنَا فِي الصُّفُوفِ كَمَا يَقُومُ الْقِدْحُ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنْ قَدْ أَخَذْنَا ذَلِكَ عَنْهُ وَفَقِهْنَا؛ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ بِوَجْهِهِ إِذَا رَجُلٌ مُتَبَدِّ بِصَدْرِهِ، فَقَالَ: لَتَسُوْنُ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوْهِكُمْ)) [سنن أبي داود السجستاني (ت273هـ): كتاب تفریع أبواب الصفوف، باب تسوية الصفوف، رقم: 663، ج2/ ص6]، فالتفريط في استواء وتنظيم الاصطفاف مجلبة لخطر وشر عظيم، ألا وهو مخالفة الوجوه والقلوب، وبالتالي حصول اختلاف الكلمة وتمزق الوحدة وإضعافها، فلا يكون المسجد بذلك مجمعا للقلوب وموحدا للكلمة، وكفى بذلك ضياعا وخسارة لاستثمار هذه المؤسسة.

ولا شك أن النظرة المتفحصة للواقع الحالي في علاقة مع المظهر الوحدوي للجماعة المسجدية ومخرجاتها؛ يفضي إلى أن هناك تفريطا في تطبيق هذا المظهر من خلال قياس حجم التماسك المجتمعي بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع، مما يدعو إلى إعادة إحياء هذا المعنى في النفوس والتذكير به بقوة، يقول خير الدين وائلي: 'بل لقد أصبحت سنة رص الصفوف نسيا منسيا مع الأسف، ولم يعد أحد من أئمة المساجد يحث عليها مع أن في التراص والتزاحم ما يوحى إلى النفوس بالأخوة والتعاون والتساوي، فكنتف الفقير ملتصقة بكنتف الغني وقدم الضعيف لاصقة بقدم القوي، وكلهم صف واحد كالبنيان المرصوص المتماسك' (المسجد في الإسلام: خير الدين وائلي، ص70)، ومن نتائج التفريط في هذه التسوية الصفية تبعثر الصفوف وانعدام الشعور بالخشوع والالتحام الأخوي فيها، حيث تؤدي الصلاة بصفوف مبعثرة غير سوية كل واحد ضمن الصف يقف وفق هواه، فمنهم المتقدم ومنهم المتأخر، ومنهم من يفرق بين ساقيه تفريقا مبالغا فيه ومنهم من يلزقهما فرارا مما يصطف إلى جنبه، فهذه المظاهر كلها تجسيد للمخالفة في إقامة وتسوية الصف، مما ينعكس سلبا على الوحدة وتأليف القلوب، فيحصل الضعف ويكون بذلك هؤلاء المصلون هم منبع الخل.

نستفيد من ذلك أن مخالفة الظاهر قد تكون سببا في مخالفة الباطن، ولا شك أن هذا النظام في الالتزام الفردي به يتعدى نفعه إلى البعد الجماعي، من خلال ما تقدم في الحديث، حيث إن الفرد لا يستوي لوحده وإنما يستوي في وجوده مع الجماعة ضمن الصفوف المكونة لها.

3-التناسق بين الحركة والعمل والفهم في التبعيدات المسجدية -قراءة وتحركا-(مكانة المسجد ورسالته: منصور الرفاعي عبيد، ص32 بتصرف واختصار):

فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مِنْ وَاقِفٍ تَأْمِينُهُ تَأْمِينُ الْمَلَائِكَةِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ - وَقَالَ ابْنُ شَهَابٍ - وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: آمِينَ)) [صحيح البخاري (ت256هـ): كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين، رقم: 780، ج1/ص156].

ومن الاستقرارات الشرعية المدعمة لهذه المبادئ النظامية نجد:

- نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن مسابقة الإمام (المسجد في الإسلام: خير الدين واثلي، ص102/105 بتصرف) وذلك في أفعال الصلاة التي نأتم به فيها، فقد ورد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أَمَّا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ)) [صحيح البخاري (ت256هـ): كتاب الأذان، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام، رقم: 691، ج1/ص140].

وقد يصير التحويل هنا حدثا يشكل حقيقة؛ وهو أمر ممكن، كما يمكن أن يكون مجازا؛ فيكون تشبيها له بالحمار؛ من حيث البلادة والغباء لقلة فقهه في الدين (تعليق مصطفى البغا على شرح صحيح مسلم، ج1/ص140)، ولا شك أن هذا أبلغ في التحذير وبيان شناعة الفعل وقبحه، حفاظا على النظام وحرمة الاتباع.

ونهى كذلك عن مسابقة الإمام في الأقوال، كما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ؛ فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَإِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا، وَإِنْ صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا)) (سنن ابن ماجه: كتاب أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء في "إنما جعل الإمام ليؤتم به"، رقم: 1239، ج2/ص295).

- نهى صلى الله عليه وسلم عن الخروج من المسجد بعد النداء، انضباطا بالوقت وتعظيما لشأن انتظار الصلاة بعد النداء، وسدا للذريعة كذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا كُنْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ فَتُودِي بِالصَّلَاةِ؛ فَلَا يَخْرُجُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُصَلِّيَ)) [مسند الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ)، مسند أبي هريرة، رقم: 10934، ج16/ص546].

- كراهية الصلاة الجماعية بين السواري¹ لغير حاجة ملحة، لكون هذا المظهر يخرق النظام الصفي العام داخل المسجد، حيث ينبغي أن تتسم الصفوف جميعها بالتجانس دون حوائل تقطعها، يقول الإمام الزركشي (ت794هـ): 'اختلف العلماء في الصلاة في المسجد بين السواري، فكرهه أنس، وقال: كنا نتقيه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي لفظ: كنا نُنهي عن الصلاة بين السواري ونطرد عنها²، ... وقال مالك: لا بأس بذلك لضيق المسجد' (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص381).

- تحديد ضوابط وثوابت خاصة بكل جنس على حدة: بحيث تضبط وتحكم السلوك داخل الفضاء المسجدي أثناء أداء العبادة وخارجها، من ذلك كيفية تصفيف هيئة النساء خلف الرجال أثناء الصلاة، وتدخلهن أثناء التصحيح والأمر المفاجئ بالإعلام تصفيقا لا تكليما، استحباب الخروج والانصراف من الصلاة قبل الرجال، تنظيمًا لخصوصيات كل جنس وتجنبًا لحدوث الفتنة.

ففي شأن التدخل لتقويم أو تصحيح أمر ما تحتل به الصلاة، ورد في ذلك أحاديث عدة تعالج ترقيع وترميم الصلاة حتى تصح، منها ما روي عن سهل بن سعد الساعدي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ، فَحَانَتْ³ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ الْمُؤَدُّنُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَتُصَلِّي لِلنَّاسِ فَأُقِيمُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَخَلَّصَ حَتَّى وَقَفَ فِي الصَّفِّ، فَصَفَّقَ النَّاسُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيقَ التَّفَتَ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ امْكُثْ مَكَانَكَ»، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ رِجْلَيْهِ عَنِ يَدَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى اسْتَوَى فِي الصَّفِّ، وَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَتَّبِعَ إِذْ أَمَرْتُكَ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ⁴ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

¹ السواري: جمع سارية وهي الأسطوانة، أو العمود المبني وفق التصميم الهندسي للمسجد.

² أصل الحديث هو ما روي عن مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نُنْهَى أَنْ نَصِفَ بَيْنَ السَّوَارِي عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَنُطْرِدُ عَنْهَا طَرْدًا (سنن ابن ماجه (273هـ): كتاب أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب الصلاة بين السواري في الصف، رقم: 1002، ج2/ص135).

³ وصل حينها، أي: وقتها.

⁴ كنية والد أبي بكر، واسمه: عثمان بن عامر (تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري في نفس الحديث).

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا لِي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرْتُمْ التَّصْفِيقَ، مِنْ رَابِعِهِ¹ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ؛ فَلْيُسَبِّحْ، فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّحَ التُّنْتَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ» (صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب من دخل ليوم الناس فجاء الإمام الأول، فتأخر الأول أو لم يتأخر، جازت صلاته، رقم: 684، ج1/ص137).

ويمكن في إطار الحديث عن النظام المسجدي أن نقسمه إلى نظام اصطفا داخل الصلاة وإلى نظام جلوس وتموضع خارجها ضمن الفضاء المسجدي، وليس أحدهما أقلأ شأنًا من الآخر، فمن الأحاديث النبوية في النظام الأول نجد:

1- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى نَاسًا فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: ((مَا يُؤَخِّرُكُمْ؟! لَا يَزَالُ أَقْوَامٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، تَقَدَّمُوا فَأَتُمُّوا بِي، وَلِيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ)) [صحيح ابن خزيمة (ت311هـ): كتاب الإمامة في الصلاة، باب التغليظ في التخلف عن الصف الأول، رقم: 1560، ج1/ص751، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ ولا طبعة].

2- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا)) [صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، رقم: 440، ج1/ص326].

أما نظام الجلوس والتموضع في المسجد خارج الصلاة، فمن الأحاديث النبوية المتعلقة به نجد ما روي عَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّةِ قَالَ: كُنَّا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ صَاحِبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُسْرِ: ((جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ»)) (سنن أبي داود (ت275هـ): كتاب الصلاة، باب تخطي رقاب الناس يوم الجمعة، رقم: 1118، ج1/ص292).

فنظام المسجد يركز على حيازة السبق في الجلوس والتقدم إلى الصفوف الفاضلة وعدم الإيذاء لأهل المسجد بتخطي رقابهم والمرور من على فوق أكتافهم، أو ظلم من حاز في ذلك سبقه إلى مكان فاضل، ولا تختلف آداب المجالس في ذلك عن آداب الجلوس في المسجد، يقول الدكتور حساني محمد نور: 'والسنة التي ينبغي التحلي بها أن يبادر المسلم بنفسه إلى المسجد ويحرص على الصف الأول، ومن حجز لنفسه مكانا أو حجزه له غيره، فقد خالف آداب الإسلام في المسجد من ناحيتين: من ناحية تأخره، وهو مأمور بالتبكير

¹أي: أصابه شك أو ريب.

والسبق، ومن جهة غصبه لبقعة معينة وتعطيلها باحتجازها لنفسه أو لغيره، وهذا لا يجوز، بل ذهب العلماء إلى أبعد من المنع، حيث ذهبوا إلى جواز أن يرفع هذا الفرش ليصلي في المكان من شاء من المصلين' (فقه المساجد في الشريعة الإسلامية: حساني محمد نور، ص130).

ويتجلى البعد الانضباطي لمؤسسة المسجد في تربية مرتاديه على الالتفاف حول كلمة ورأي القائد، من أجل توحيد الكلمة والاجتماع وعدم التفرق، وهذه من الأسرار التي جعلت بعض العلماء لا يرون جواز انعقاد الجماعة الثانية في المسجد الذي له إمام راتب، مع أن المسألة هي من قضايا الاختلاف الفقهي المعترف الذي لا ينكر فيه على المخالف¹.

وبانتقالنا إلى المجال الفرعي الثاني المدرج ضمن هذا العامل الأول؛ والذي اصطلحت على تسميته: المسجد والتربية (السؤال 7 والسؤال 8)، يمكن أن نلاحظ أولاً أن هناك ارتباطاً كبيراً بين السؤالين، فالسؤال السابع يشير إلى قضية الوسطية والاعتدال والتي تعتبر في حد ذاتها منهجاً وغاية في الآن نفسه، والسؤال الثامن يشير قضية الطفل والمسجد، وكأننا نختزن مشروعا تربوياً يهدف إلى تأهيل الطفل بمنهج وسطي معتدل، لنخرج منه أنموذجاً تربوياً مفعماً بالقيم وفي نفس الوقت متشعباً بفكر وسطي يعي من خلاله كيف يساير ويقوم من حوله من الظواهر والتصرفات التي تحيد عن الجادة.

إن الحديث عن الوسطية والاعتدال مطلب ملح، ليس فقط على المستوى المحدود محلياً أو داخلياً، وإنما على المستوى الخارجي دولياً وعالمياً، نظراً لعالمية وشمولية الرسالة الإسلامية، ونظراً كذلك لتفاقم مجموعة من الظواهر المرتبطة بالغلو والتطرف في فهم وتأويل النصوص الشرعية بعيداً عن التأصيل والتنزيل المستند لمراعاة المنهج الوسطي في الموازنة بين المصالح والمفاسد، وبالتالي فالمسجد - باعتباره المؤسسة الحاضنة والمؤطرة لنصوص الشرع - هو المعول عليه أن يشعّ تأصيلاً وتطبيقاً لهذا المنهج ويضافر جهوده لبلوغ هذه الغاية التربوية، خاصة عند النشء الذين تربوا في أفيائه منذ الطفولة.

¹ يقول عبد الرحمان قاسم العاصمي النجدي (ت1392هـ): 'كما لا تكرر الجماعة الثانية والثالثة في مسجد ليس له إمام راتب بالإجماع، وعنه: تكرر فيما إذا كان له إمام راتب، وليس مطروقا، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي، لئلا يفضي إلى اختلاف القلوب، والتهاون بما مع الإمام، وعلى المذهب، فإذا صلى إمام الحي ثم حضر جماعة أخرى؛ استحب لهم أن يصلوها جماعة، لعموم أحاديث التفضيل' (حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع: عبد الرحمان العاصمي الحنبلي النجدي، ج2/ص261، بدون دار النشر، ط1، 1397هـ).

وعليه، فإنه يفترض في مؤسسة المسجد أن تحتضن وتضم الطفل وتعاينه عناقا حارا، لا أن تلفظه كارهة له وكأنه عبء ثقيل عليها يزيد في كلفة المهام المنوطة بها، فإنه حينها تتخلى عنه وتقول له: لا مكان لك عندي، اذهب فابحث لنفسك عن بغيتك في مكان آخر ليحتضنك، فيكون بذلك هذا التخلي أول استقالة تربوية توقعها المؤسسة المسجدية ضد الطفل، بل ضد المشروع الرابع والصفقة المثمرة، لتمنح هذا الطفل وتسلمه في وعاء من ذهب إلى وجهات أخرى تنتظر هذه الفرصة على أحر من الجمر، حتى تبث فيه ما عندها من أفكار هدامة ووساوس مشككة في الثوابت الإيمانية وتربيته على سلوكيات شاذة، ولعل مجموعة من مساجد الواقع الحالي في بيئتنا تجسد هذا الواقع المؤسف.

ولننظر ولنتأمل في علاقة الطفل بالمسجد منذ نشأة مؤسسة المسجد في العهد النبوي، وحينها لا بد من وقفة تصحيح وتقويم ووقفة تأصيل وتأسيس، فوقفه التصحيح خطوة هامة، تتم معها عملية نقد ومراجعة هذه العلاقة وما علق بها من خلل، جراء إعمال بعض النصوص التي تحتاج إلى تمحيص، من ذلك ما روي عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْفَعِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ، وَمَجَانِينَكُمْ، وَشِرَاءَكُمْ، وَيَبَعَكُمْ، وَخُصُومَاتِكُمْ، وَرَفَعَ أَصْوَاتِكُمْ، وَإِقَامَةَ حُدُودِكُمْ، وَسَلَّ سِيُوفِكُمْ، وَاتَّخَذُوا عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَطَاهِرَ، وَجَمَرُوهَا فِي الْجَمْعِ)) [سنن ابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات، باب ما يكره في المساجد، رقم: 750، ج1/ص247، تعليق المحقق محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد إسناد ضعيف. فإن الحارث بن نبهان متفق على ضعفه، وقال الألباني في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (ج1/ص391): الحديث ضعيف اتفاقا، ومن ضعفه ابن الجوزي والمنذري والهيثمي والحافظ ابن حجر العسقلاني والبوصيري، وفي تعليق محمد عبد القادر عطا على السنن الكبرى للبيهقي: العلاء بن كثير هذا شامي، منكر الحديث وقيل: عن مكحول، عن يحيى بن العلاء، عن معاذ مرفوعا، وليس بصحيح، وقال أحمد بن الصديق الغماري: قال في الكبير: أخرجه شرح الترمذي: والحارث بن نبهان ضعيف، وقال ابن حجر في المختصر: حديث ضعيف، وأورده ابن الجوزي في الواهيات، وقال ابن حجر في تخريج الهداية: له طرق وأسانيد كلها واهية، وقال عبد الحق الإشبيلي: لا أصل له (المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي: أبو الفيض أحمد بن الصديق الغماري (ت1380هـ) ج3/ص349)، دار الكتبي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 1996م¹].

¹أوردت التعليق الكامل المتعلق بدرجة الحديث ضمن المتن-رغم طوله-، وذلك لأنه مستهدف عندي بالأصالة، وله أثره في التحليل الموضوعي لهذه القضية البحثية.

فتبين إذن مما سبق أن درجة الحديث من حيث سند النقل ضعيفة، لا تقوى إلى درجة الاحتجاج به على مبدأ إبعاد فئة الأطفال على المسجد، بل إن الواقع القولي والفعلية من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم يكذب هذا الأمر كما سيأتي ذكره، وبالمقابل نجد هذا الحديث مشهورا ومتداولاً بين الألسنة دونما تمحيص وبحث في درجة صحته أو على وجه دلالته، وبالتالي فالمعرفة الدينية هنا مبنية على أساس هش نتج عنه ترويج لفكرة مغلوطة لها من الأبعاد التربوية الخطيرة ما لا يفتن إليه إلا بعد عمق نظر وفهم سديد لمقصد الشرع. لقد أصّل النبي صلى الله عليه وسلم لعمق العلاقة التي تربط بين مؤسسة المسجد والطفل من خلال ما يمثل الوقفة التأصيلية التأسيسية التي أشرت لها سابقاً، حيث يظهر ذلك جلياً في مجموعة من الأحاديث من بينها:

1- عن أبي قتادة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أَطُولَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ¹ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ)) وفي رواية شريك بن عبد الله قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ((مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً وَلَا أَتَمَّ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ كَانَ لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَيُخَفِّفُ مَخَافَةً أَنْ تُفْتَنَ² أُمُّهُ)) [صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، رقم: 707-708، ج 1/ ص 143]، ولذلك أعطى النبي صلى الله عليه وسلم القاعدة الكلية في الإمامة بالناس، مراعاة لأحوال مختلف الفئات التي تستدعي الرفق وعدم التطويل عليه، ومن بين هذه الفئات فئة الأطفال؛ والذين عبّر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ ((الصغير))، لما روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِذَا أُمٌّ أَحَدِكُمْ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَالْمَرِيضَ، فَإِذَا صَلَّيْ وَحْدَهُ فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ)) [صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، رقم: 467، ج 1/ ص 341].

يؤصل الحديثان السابقان التوازن اللازم في الاشتغال الوظيفي لمؤسسة المسجد التفاعلي بين الوظيفة الروحية الإيمانية، أي: الخشوع والتدبر، وبين الوظيفة التربوية، أي: بقاء الطفل في المسجد وتعويده على التعلق والارتباط به منذ الصبي.

ويؤخذ مما سبق أن قاعدة التعامل مع الطفل -أي كان- في مؤسسة المسجد مبنية على اللطف والترغيب، لا الإبعاد والتنفير، لأن المصلحة المترتبة عن ذلك أقوى وأولى في الاعتبار من المصلحة المترتبة عن إبعاده وتنفيره، بحجة حفظ المسجد من أذاه، يقول الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي: 'والواجب أن نستعين

¹أي: يخفف ويقصّر دون الإخلال بأركان الصلاة وآدابها.

²ينشغل قلبها بكائه، فيصرفها ذلك عن الخشوع في الصلاة.

بكل وسيلة من شأنها أن تشوق الطفل إلى المسجد وتحببه إليه، ونحذر كل أسلوب من أساليب التنفير التي تكره إليه المسجد، فإن هذا أمر خطير وعاقبته وخيمة وخاصة في بناء جيل المستقبل، ولا عبرة بالمصلحة القريبة في مقابل المفسدة ولو كانت بعيدة، لأن مفسدة انحراف الأطفال أخطر من مصلحة المحافظة على المساجد وأثاثها' (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص 47)، فالمصلحة المتحدث عنها وهي حفظ الطفل بفضاء المسجد وتحفيزه عليه مصلحة مربوطة أمام المفسدة المترتبة عن هذا المنع، وهي إعراض هؤلاء الأطفال وعدم تعلقهم بالمسجد، مما قد يورث لديهم نفورا منه حال كبرهم (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ عبد السلام العزوي، ص 106)، وبالتالي فمنطق التعامل مع الطفل في الفضاء المسجدي محكوم بقاعدة الموازنة بين المصالح والمفاسد المترتبة على الفعل.

فالحديث صريح في أن ظاهرة اصطحاب الأطفال على اختلاف أعمارهم إلى المساجد رفقة أمهاتهم هي أمر طبيعي لا مشاحة فيه، بل كانوا يحظون باحترام وتقدير بالغين، دون انزعاج من بكائهم وردود أفعالهم. ويمكن الاستدلال بهذا الحديث أيضا على أن المسجد يغرس قيم التوسط والاعتدال في تصرفات أهله، وذلك من خلال مراعاة الحاجات العاطفية والإنسانية لكل مكوناته، وعدم الإفراط في تلبية حاجة الروح على باقي الحاجيات الأخرى، حتى لا يحصل هناك خلل في تلبية الحاجيات.

2- عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ قَالَ: ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، فَأَقْبَلَ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ، يَغْتَرَانِ وَيَقُومَانِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَهُمَا فَوَضَعَهُمَا فِي حِجْرِهِ، فَقَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» [سورة التغابن: الآية 15] «رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ»، ثُمَّ أَخَذَ فِي خُطْبَتِهِ)) [سنن ابن ماجه: كتاب اللباس، باب لبس الأحمر للرجال، رقم: 3600، ج 2/ ص 1190].

فكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أراد من خلال هذا الحديث أن يؤكد على حق الطفل في وجوده الطبيعي بهذا المكان، وأنه يماثل في ذلك الحق جميع الموجودين في الوقت ذاته بنفس المؤسسة، بل تكاد تكون هذه المؤسسة هي المكان الطبيعي له، نظرا لارتباطها بوظيفة تربية تتعلق تعلقا كبيرا بسننه، فإذا كان المسجد مكانا للصلاة، فتبعاً لذلك فهو موطن تعليمها وترسيخها في نفوس الناشئة، بدليل تأكيد النبي صلى الله عليه وسلم على لزوم هذا التعليم في سن مبكر كما في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور من رواية عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)) [سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم: 495، ج 1/ ص 133]، وبالتالي فهناك تبعية

تربوية انطلاقاً من هذا الحديث تبين الوظيفة الحاسمة لمؤسسة المسجد في تحقيق تعلم الصلاة وغرسها وتثبيتها في نفوس الأطفال الصغار.

وعليه، يقول خير الدين وائلي: 'وإن المدرسة الصحيحة لتعليم الصلاة هي المسجد، لذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يعلقون قنوط التمر¹ في المسجد، ليأكل منه الأطفال وغيرهم، وفي ذلك ما فيه من الترغيب في إتيان المسجد لتعلم الإسلام من يبايعه' (المسجد في الإسلام: خير الدين وائلي، ص123)، وينضاف هنا أمر تربوي في غاية الأهمية، يميز ظاهرة تعليم الصلاة للأطفال، وذلك حتى يكون لها جدوى وتعطي أكلها، وهو التحفيز لتشجيع الرغبة والإقبال على الممارسة، ولهذا؛ كان الصحابة رضوان الله عليهم على دراية بالخصوصية النفسية للأطفال وما تستدعيه من تحفيز ودعم معنوي في هذه الممارسة التربوية، من أجل الإقبال عليها بنشاط وأريحية.

ولقد تميز التعامل النبوي مع الطفل في مؤسسة المسجد بميزة الشمول، وذلك بإعطائه الحق في ممارسة طفولته هنالك على جميع الأحوال، سواء داخل الصلاة أو خارجها، فأما خارج الصلاة فقد تقدم من الأحاديث ما يكفي لتأصيله، وأما داخل الصلاة فمن أحاديثه ما روي عن أبي قتادة الأنصاري ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةً بِنْتُ زَيْنَبٍ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَأَبِي الْعَاصِ بْنِ رِبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، رقم: 516، ج1/ ص109].

ولم يكن حسن تعامله -صلى الله عليه وسلم- مع الأطفال في مرحلة الطفولة مقصوراً على أهل بيته، وذلك حتى لا يتوهم أحد أن الأمر راجع لكثرة ترددهم على المسجد بحكم الحوار والقرب منه، بل كان هذا التعامل يتسم بسمة الشمولية مع الأطفال على حدّ السواء، فقد قيل لعبد الله بن أبي حبيبة: ماذا أدركت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ((جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْجِدِنَا بِقُبَاءَ وَأَنَا غُلَامٌ حَتَّى جَلَسْتُ عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ دَعَا بِشَرَابٍ مِنْهُ، ثُمَّ أَعْطَانِيهِ وَأَنَا عَنْ يَمِينِهِ فَشَرِبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَرَأَيْتُهُ فِي نَعْلَيْهِ)) [مسند ابن أبي شيبة (235هـ): حديث عبد الله بن أبي حبيبة، رقم: 797، ج2/ ص297، تحقيق: عادل العزازي وأحمد المزيدي، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1997م].

ولا شك أن هذا الحديث يظهر مدى الوقع الإيجابي والأثر الطيب العميق الذي خلفه حسن تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع هذا الطفل في مناوئته لإناء الشرب واحترامه لحقه في الجلوس بجانبه وحقه في

¹أي: غصنه.

مناولة إناء الشرب، ولنتأمل كذلك دقة الوصف من الراوي، رغم أنه لا يزال حينها طفلاً صغيراً، لكن الأحداث المؤثرة في جوانبها الإيجابية تترك بصمتها الطيبة في النفوس.

وكون هذه العلاقة المسجدية تربط بين الطفل ومؤسسة المسجد حتى في أوقات الصلوات وأثناء تأديتها؛ ومع يقيننا الجازم بعدم وجوبها عليه؛ نظراً لانعدام أهلية التكليف؛ فإن هذا الأمر يزيد تأكيداً على أن مؤسسة المسجد أشد انفتاحاً على الواقع التربوي للطفل، وأكثر عمقاً في استهداف تلبية حاجياته العاطفية والوجدانية، فالأمر يتجاوز النظر إلى مجرد مقتضى الحكم الشرعي، [ولم يكن المسجد مقصوراً فقط على الذين تجب عليهم الصلاة، بل كان لرعاية الأطفال والتلطف بهم فيه نصيباً وافراً واهتماماً بالغاً] (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ ذ عبد السلام العزوي، ص15).

لقد كان بعض الصحابة الأجلاء يترددون على المسجد وهم في سن الطفولة، فيحكون ما يشاهدون فيه من مشاهد العبادة وسائر التفاعلات الاجتماعية التي تجري داخله، ومن بين ما ورد في ذلك ما حكاه أنس بن مالك من مشاهدات في المسجد النبوي، حيث قال: ((لَقَدْ رَأَيْتُ كِبَارَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَدَّرُونَ السَّوَارِيَ عِنْدَ الْمَغْرَبِ)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة إلى الأسطوانة، رقم: 503، ج1/ ص106].

كما كان من العادات التي تجري دون إنكار لعب الأطفال في أفنية المساجد، فعن يحيى بن سعيد أنه قال: سمعت القاسم بن محمد يقول: كانت عند عمر بن الخطاب امرأة من الأنصار فولدت له عاصم بن عمر، ثم إنه فارقتها، فجاء عمر قباء، فوجد ابنه عاصماً يلعب بفناء المسجد فأخذ بعضده فوضعه بين يديه على الدابة، فأدركته جدة الغلام، فنازعته إياه، حتى أتيا أبا بكر الصديق، فقال عمر: ابني، وقالت المرأة: ابني، فقال أبو بكر: خل بينها وبينه، قال: فما راجعه عمر الكلام، قال: وسمعت مالكا يقول: وهذا الأمر الذي أخذ به في ذلك (الموطأ: مالك بن أنس (179هـ)، كتاب الوصية، باب ما جاء في المؤنث من الرجال ومن أحق بالولد، رقم: 6، ج2، ص767، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406هـ/ 1985م).

لكننا إذا قمنا بمطالعة بعض ما سطر حول علاقة الطفل بالمسجد-خاصة في تراث المذهب المالكي- فإننا نلمس نوعاً من الجفاء والتباعد في تصوير هذه العلاقة التي ينبغي أن تتوطد بين الطفل ومؤسسة المسجد واحتياطاً مبالغاً فيه، لتحصيل نوع من الاحتراز لهذه المؤسسة مما قد يصدر من الطفل، والذي هو أمر طبيعي في مثل سنّه من العبث ونحوه، ولعلني أسوق أمثلة تجسد هذه العلاقة حتى يكون الحكم الصادر موضوعياً، من ذلك ما ورد في كتاب عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة لابن شاس (ت616هـ): 'ولا يعلم فيه الصبيان، ولا يمكنون من دخوله، إلا أن يدخل صبي للصلاة، ثم يخرج' (عقد الجواهر الثمينة: ج3/ ص954،

تحقيق: الدكتور حميد لحمر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ/ 2003م)، فالمستفاد من هذا الكلام أن المسجد شبه ممنوع على الصبي إلا في حدود ضيقة، ونفس المعنى في المنع نجده في الذخيرة للإمام القراني (ت684هـ) إذ يقول: 'ويمنع تعليم الصبيان ودخولهم له إلا للصلاة، لقوله -صلى الله عليه وسلم- جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبيعكم وشراءكم وخصوماتكم وسل سيوفكم ورفع أصواتكم...! (الذخيرة: القراني، ج6/ ص188)، وكأنني بسؤال يستوقفني بعد إيراد هذا القول، كيف سيؤدي هؤلاء الصبيان الصلاة التي يسمح بها دون تعليمهم إياها، ونحن متفقون جميعا على القاعدة الأصولية: الوسائل لها أحكام المقاصد؟

ونجد نفس المنع عند صاحب القوانين الفقهية وهو ابن جزى الغرناطي (ت741هـ) إذ يقول: 'ويرخص في الأكل اليسير فيه ويمنع منه الصبيان والمجانين ومن أكل الثوم والبصل ويرخص للنساء الصلاة فيه إذا أمن الفساد ويكره للشابة الخروج إليّه، ولا يتخذ المسجد طريقا ولا يسلم فيه سيف وإنما يفعل فيه ما بني له' (القوانين الفقهية: أبو القاسم ابن جزى الكلبي الغرناطي، ص38)، ولا شك أن هناك مفارقات كبيرة تمنع اقتران الصبيان بالمجانين ومن على أضرابهم.

إلا أن الإمام مالك (ت179هـ) يفصل في المسألة، فيفرق الحكم بين الصبي العاثر الذي يحدث تشويشا وإزعاجا يخرج عن حدّ الخشوع وبين الصبي الهادئ الذي لا يصل في حركته إلى ذلك الحدّ، حيث نقل عنه ابن القاسم (ت191هـ): 'وسئل مالك عن الصبيان يؤتى بهم إلى المساجد؟ فقال: إن كان لا يعيث لصغره ويكف إذا نهي؛ فلا أرى بهذا بأسا، قال: وإن كان يعيث لصغره؛ فلا أرى أن يؤتى به إلى المسجد، قال ابن القاسم: قلت لمالك في الصبي يأتي إلى أبيه وهو صغير وهو في صلاة مكتوبة؟ قال: فلينحه عنه إذا كان في المكتوبة ولا بأس به في النافلة' (المدونة: مالك بن أنس، ج1/ ص195).

وقد ترتب عن عدم التعامل مع هذا الموروث الفقهي بحكمة واتزان ورصانة علمية وإعمال للقواعد المقاصدية أن صار هنالك إجحاف في طريقة التصرف مع الطفل عند اصطحابه إلى المسجد، فيشعر وكأنه في سجن بكثرة ما يتم تصميمته والتشديد عليه، حتى في الحركات اليسيرة التي لا تحدث إزعاجا ولا ضجيجا؛ فنتج عن ذلك أن صار المسجد وجهة غير مرغوب فيها لدى هؤلاء الأطفال، جراء ما يتم فيه من كبح لحركاتهم بشكل مطلق، بل من الأخطاء الإجرائية التي تحدث في التعامل مع الأطفال أثناء الصلاة أن يتم تأخيرهم عن أمكنتهم بالصف الأول وعزلهم في صف مؤخر ظنا منهم أن هذا تصرف سليم، بل هو عين الخطأ، إذ سيجد فيه هؤلاء الصبيان بغيتهم للعبث والضحك وإحداث الفوضى وعدم الاكتراث بأجواء العبادة، والصواب أن يترك كل طفل في مكانه لأنه حق خالص له ولا بأس بالتفريق بين الأطفال، فيجعل كل واحد في مكان وسط الكبار، للتعود على الجدية أثناء أداء الصلاة.

وحاصل علل منع الصبيان من المسجد عند من منعه من السابقين هي:

-عدم تحرزهم من الأوساخ، ويؤكد ذلك ما ورد في التاج والإكليل لمختصر خليل: 'أما تعليم الصبيان في المسجد فروى ابن القاسم: إن بلغ الصبي مبلغ الأدب فلا بأس أن يؤتى به المسجد، وإن كان صغيرا لا يقر فيه ويعبث فلا أحب ذلك. وروى سحنون: لا يجوز تعليمهم فيه؛ لأنهم لا يتحفظون من النجاسة' (التاج والإكليل: أبو عبد الله المواق (ت897هـ)، ج7/ص619، دار الكتب العلمية، 1616هـ/1994م).

-العبث الكثير في المسجد والمسبب للإزعاج.

-قياسها على البيع والصنائع إذا كان الأمر متعلقا بتعليمهم في المسجد مقابل أجره مادية (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص326/327).

وسواء اتفقنا مع هذا القول أو اختلفنا معه؛ فإن العلل التي من أجلها جنح هؤلاء العلماء إلى القول بالمنع يمكن تجاوزها وتفاديها بعدة إجراءات، وحينها ينقلب هذا القول إلى خلافه، وهو الجواز، تحقيقا للمصلحة المعتبرة.

فمدار الحكم لا ينبغي أن ينصب حول الطفل في ذاته، وإنما الذي ينبغي في هذا الشأن أن توضع ضوابط تؤطر القضية بعينها، ويتم التحسيس والتوعية لذلك بشكل تربوي حضاري، فتناط هذه الضوابط بالمسؤول أو الوصي على الطفل في الحجيء به قصد الحيلولة دون وقوعه في توسيع المسجد أو العبث فيه، فبلوغ مبلغ الأدب أمر متعلق بالمربي والمسؤول عن الصبي لا هو نفسه، وكل والد أدري بما يحقق هذا المقصود من خلال فهم سلوك ولده وطريقة التعامل معه، ولذلك ورد في كيفية تأديب الولد إذا صدر منه شيء مغل داخل الحلقات المسجدية التي تهتم بتلقين القرآن أنه ينبغي تغليب جانب الرفق والتعامل بالحسنى وتجنب الغلظة في التأديب، جاء في كتاب (المدارس والكتاتيب القرآنية وقفات تربوية وإدارية) والذي أصدرته مجلة البيان: 'لا بد من معاملة الطالب صغير السن على خطئه من منطلق سلامة فطرته واعتبار خطاه عفويا، بدون مقاصد عميقة ناتجة عن انحراف عميق، والقيام بمعالجته على ضوء ذلك في هدوء وسكينة' (المدارس والكتاتيب القرآنية وقفات تربوية وإدارية: مجلة البيان، ص104/105).

أما العلة الثالثة في المنع؛ والتي تتعلق بقياس منع تعليم الصبيان على منع وتحريم التجارة داخل المسجد بجامع علة الامتihan¹، فهناك فروق كثيرة بين النشاطين، وذلك لأن تعليم الصبيان ليس تجارة أبدا، ولا يمكن بحال أن نعتبره تجارة، فمعلم الصبيان في مؤسسة المسجد؛ إن فرض أنه يتقاضى مبلغا مقابلًا وتعويضا على ما يمارسه من نشاط؛ فإنما يأخذ ذلك مقابل الوقت الذي فرغه للقيام بهذا النشاط، شأنه في ذلك شأن الإمام

¹ من المهنة.

والمؤذن اللذين يتقاضيا مبلغا ماليا مقابل الوظيفة التي يؤديانها، كما أن هذا المقابل ليس من أعراف تسليمه أن يتم داخل المسجد، فإذا قلنا بهذا المنع؛ فإن ذلك سيفضي حتما إلى القول بمنع أخذ الإمام والمؤذن لأجرة وظيفتهما، وهو ما لا يمكن شرعا ولا منطقا.

إن وجود الطفل داخل مؤسسة المسجد ظاهرة تعدد أبعادها المقصدية، ففيه تتغذى روحه بما تسمع من ذكر وقرآن وكلام طيب، وفيه يتربى عمليا وتطبيقيا بالقُدوة مما يشهده ويراه من قيم نظام واحترام آداب وطريقة للجلوس والتحرك، ومن خلاله يبني الطفل مكانته الاجتماعية، بما ينسج من علاقات مختلفة مع أقرانه المسجدين ومع سائر مكونات المجتمع التي يحويها المسجد التفاعلي، يقول الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي: 'المسجد روضة أطفال ومحضن تربية للصبيان، يحافظ على الفطرة وينمي الموهبة وينشئ النشأة الحسنة، ويربط الطفل بربه من أول ظهور الإدراك ويطلع فيه المثل والقيم والآداب من خلال القدوة، ويدربه على النظام من أول الحياة، ويعلمه كيفية التعامل مع طبقات المجتمع وأصنافه وفئاته، كما أنه يعلمه كيفية التعامل مع الحياة طبقا للسنن والأقدار ولما كانت هذه المعاني ضرورية لمجتمع الإسلام في أن ينشأ أبناؤه عليها؛ كان المسجد له دوره البارز في تحقيقها ونشاطه الواضح من أجل الوصول إليها' (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص44 بتصرف)، فكأنني بالمسجد مؤسسة تؤدي وظيفة المسهل الاجتماعي للطفل، وذلك من أجل انخراطه الإيجابي في الحياة.

وحتى تفلح المؤسسة المسجدية في توطيد علاقتها بالطفل وجعله في قلب الاهتمام، بحيث يصبح من هواة المسجد وعشاقه؛ فإنه يتعين عليها التجديد في خلق فرص ممتعة ومبادرات خلاقة، تحظى بانجذاب هذه الفئة نحوها وتعطشها إلى أجوائها بلهف شديد، ولا بأس في ذلك من الاستعانة بخبراء ومتخصصين في مجالات الطفل، سواء تعلق الأمر بالمستوى السلوكي أو بالمستوى الوجداني العاطفي، ولعل من هذه التقنيات أن تبادر الحلقات المسجدية إلى تنظيم وعقد [مخيمات ورحلات وزيارات هادفة] (المدارس والكتاتيب القرآنية: مجلة البيان، ص160/164)، فضلا عن المسابقات والمباريات وسائر الأنشطة الموازية التي تجعل الطفل يعيش حياة أخرى؛ قد تنسيه ما يضطلع إليه من نمط الحياة التي يعيشها أطفال آخرون وهم بعيدون عن أجواء الحياة المسجدية المفعمة بروح ونشاط الطفل.

وإذا ما انتقلنا إلى الكلام عن العلاقة بين مؤسسة المسجد ومنهج التوسط والاعتدال في شقّه التربوي، فإن هذه المؤسسة تحرص في أصل تأسيسها وعملها الوظيفي على ترسيخ هذا المنهج، سواء تعلق الأمر بالتعبّدات التي تجري داخلها، أو تعلق الأمر بالمباحثات التي يسمح فعلها في فضائها، أو تعلق الأمر بالموازنة بين أمور الآخرة وأمور الدنيا داخلها، فالوسطية تتسم إذا بكونها شاملة لمجموعة من مجالات الحياة المتنوعة ولا

تقتصر على أمر دون آخر، يقول الدكتور سعيد شبار¹: 'الوسطية: التي تضيف الاعتدال وتؤسس حالة السواء في الفكر وفي السلوك، في الأفراد وفي الجماعات، بدل الغلو والتشدد والنزوع نحو الأطراف ... الوسطية باعتبارها رؤية ومنهجاً توزن بهما الأقوال والأفعال والعقائد والأفكار، وليست موقفاً بينياً، هي اختيار الأصوب والأحسن والأقوم والأعدل' (الثقافة والعولمة: سعيد شبار، ص 92/93، مركز دراسات المعرفة والحضارة، دار الإنماء الثقافي، الرباط، المغرب، ط1، 2014م).

ففي مجال العبادات ليس معنى كون المسجد منبع ومنشأ العبادات أن يكون محلاً للإغراء والغلو والتشدد في أداء هذه العبادات، سواء من حيث أصل النشأة أو من حيث الحجم والكم الذي تتم به هذه العبادات، ويمكن أن نستدل لهذا الاتجاه الوسطي بما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ² فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الْحَبْلُ؟» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِرَيْتَبٍ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا، حُلُّوهُ لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَةً³، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ» (صحيح البخاري: كتاب التهجد، باب بدون عنوان، رقم: 1150، ج2/ص53)، فهذا الحديث يقوم بوظيفة الضبط والتقيد للمقدار الذي ينبغي أن تكون وفقه العبادة، حتى لا تخرج عن الحد المسموح به شرعاً؛ فتؤدي بذلك إلى وقوع الانحراف السلوكي لدى الأفراد لأن الخروج عن منهج التوسط والاعتدال مدعاة إلى الوقوع في الانحراف أو التكاسل على أداء العبادة في أقل الأحوال.

ويقرب من هذا الحديث تأكيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على لزوم التعامل بمنهج الاعتدال في الإمامة بالناس، تفادياً لإيقاعهم في الحرج والمشقة ومراعاة لظروفهم وأحوالهم التي تدعو إلى التيسير، فعن أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ فِي صَلَاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فَلَانٍ لِمَا يُطِيلُ بِنَا فِيهَا، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُتَفَرِّقِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ، فَلْيُجَوِّزْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَالْكَبِيرَ، وَذَا الْحَاجَةِ)) [سنن ابن ماجه: كتاب أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب من أم قوماً فليخفف، رقم: 985، ج2/ص124]، بل جُسِّدَ هذا القول عملياً من خلال مراعاته صلى الله عليه وسلم للأحوال التي ينبغي اعتبارها، وذلك في إمامته بالناس من خلال ما روي عن أنس بن مالك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَّزَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ جَوَّزْتَ؟ قَالَ: ((سَمِعْتُ

¹ أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بجامعة السلطان المولى سليمان ببني ملال وعضو المجلس العلمي هنالك.

² أي: دخل المسجد، كما جلي من خلال سياق الحديث.

³ وقت نشاطه وأريحته، وليس وقت فتوره وتعبه، لأن ذلك سيكون مدعاة إلى نفور العبادة والملل منها.

بُكَاءَ صَبِيٍّ، فَظَنَنْتُ أَنَّ أُمَّهُ مَعَنَا تُصَلِّي، فَأَرَدْتُ أَنْ أُفْرِغَ لَهُ أُمَّهُ)) [مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ): مسند المكثرين من الصحابة، حديث أنس بن مالك، رقم: 13701، ج21، ص262]، ويتجلى في هذا الحديث وجود ترابط بديع وثنائية تلازمية محورية بين الطفل والمنهج الوسطي في علاقة ذلك بمؤسسة المسجد، مما ينسجم مع نتائج معطيات هذا العامل المؤثر في إجابات المفحوصين، فليس تجمع هذه الأسئلة ضمن هذا العامل من قبيل الصدفة أو العشوائية.

أما فيما يخص منهج التوسط والاعتدال في تعلقه بمنشأ العبادات، فيمكن أن نستدل له بما روي في التحذير من منهج الخوارج الذين جانبوا منهج التوسط والاعتدال في مؤسسة المسجد، وذلك باختراعهم لطرق تعبدية ليس عليها دليل معتمد من الشرع، فعن عَمْرُو بْنُ يَحْيَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ صَلَاةِ الْعَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشِينَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُلْنَا: لَا، بَعْدَ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ أَنْفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسْتَرَاهُ، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حَلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَا، فَيَقُولُ: كَبُرُوا مَاءً، فَيَكْبُرُونَ مَاءً، فَيَقُولُ: هَلَلُوا مَاءً، فَيَهْلَلُونَ مَاءً، وَيَقُولُ: سَبَّحُوا مَاءً، فَيَسَبِّحُونَ مَاءً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتُمْ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا أَنْتَظَرُ رَأْيَكَ أَوْ أَنْتَظَرُ أَمْرِكَ، قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَعْدُوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ، ثُمَّ مَضَى وَمَضِينَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِنْ تِلْكَ الْحَلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَأَكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصَا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: فَعَدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيُحْكَمُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتِكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ، وَأَنْثِيَّتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ، قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: كَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةً أُولَئِكَ الْحَلَقِ يُطَاعُونَا يَوْمَ النَّهْرِ وَمَعَ الْخَوَارِجِ (سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله الدارمي (ت255هـ)، المقدمة، باب في كراهة أخذ الرأي، رقم: 210، ج1/ ص286، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ/ 2000م).

نلاحظ إذن من خلال هذا الحديث أن مدار النقاش والخلاف يكمن في تعلقه بمنهج الاعتدال من خلال ما تم إنكاره على من كانوا بالمسجد، ويتجلى ذلك في طريقة وأصل الفعل التعبدية، والسر في ذلك أنه يفضي إلى الزيادة، لا في مقدار وحجم التعبدات، وإنما في نفس وأصل العمل من حيث النشأة والمشروعية، ولذلك، فإنه لم ينكر عليهم ذكرهم الله تعالى من تسبيح وتهليل وتكبير؛ وإنما طريقة ممارسة هذا الذكر، وبالتالي كانت نتيجة تبني هذه الطريقة أن انفردوا بمنهج خاص سموا على إثره بالخوارج، حيث خرجوا على مجموعة من الثوابت التي ورثها الصحابة الكرام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمخض عن فعلهم ذلك أن سولت لهم أنفسهم مواجهتهم بالقتال، مما يبين خطورة الحياد عن منهج التوسط وما يفضي إليه من فتن وتمزيق للوحدة التي ينبغي أن يكون عليه المسلمون، ولا شك أن هذا الخروج الظاهري يعبر لنا كذلك عن خروج في الشخصية عن الإطار الذي ينبغي أن يستوي وفقه سلوكها وتصرفها.

وإذا أردنا أن نقدم نماذج تمثيلية حول إباحة أمور من أفعال الدنيا داخل مؤسسة المسجد، دون أن يحس المباشر لها بأي نوع من أنواع الحرج، فحسبنا أن نسوق أنموذج الأكل في المسجد حتى لا يظن ظاناً أنه مكان مقصور على العبادة فحسب؛ ولا مجال مسموح لغير ذلك، وهو أنموذج للتوسط والاعتدال بين حاجيات الروح وحاجيات الجسد، خاصة وأنه قد تأتى ظروف تحتم مباشرة الأكل داخل المسجد، تفادياً للحرج الذي قد يحصل بسبب التنقل لعزل مكان الأكل عن مكان التعبد، أو قد يتعذر إيجاد مكان خاص لهذا الأكل، ودليل جواز الأكل في المسجد وعدم التحرج من فعله ما روي عن عبد الله بن الحارث جَزْءُ الزُّبَيْدِيِّ، يَقُولُ: **كُنَّا نَأْكُلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ** (سنن ابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب الأكل في المسجد، رقم: 3300، ج2/ص1097، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد إسناده حسن. رجاله ثقات ويعقوب مختلف فيه).

وحرصاً على وسطية المؤسسة المسجدية في تأديتها لباقي الوظائف المنوطة بها وعلى وجه الخصوص وظيفة النظافة والتطهير، فإن جواز الأكل بالمسجد مقيد ومضبوط بعدم تجاوز هذا الفعل إلى حدّ التلوّث وترك روائح تكدر الجو الصافي الذي ينبغي أن يسود فضاء العبادة، وذلك لأن هذه الروائح والملوثات تشمئز منها النفوس في الأماكن العامة، فكيف ستشعر اتجاهها النفوس السوية بوجودها في أماكن العبادة، ولا شك أن هذا الأمر ميسر؛ إذا ارتقت العقول إلى مستوى النظام السلوكي المتواصل في الحياة، وتم التعامل بمؤسسة المسجد على نفس الهيئة التي نتعامل بها في بيوتنا وأحب المواضع إلينا، بحيث لا نرضى أن نتركها على هيئة تنافي النقاء وحسن المظهر الذي يعجب الناظر رؤيته، يقول الأستاذ ناصر الخزيم (1418هـ): 'يجوز أكل الخبز والفاكهة والبطيخ وغير ذلك في المسجد، والأولى أن ييسط سفرة ونحوها ويحترز خوفاً من التلوّث، ولئلا يتناثر

شيء من الطعام فتجتمع عليه الهوام، هذا إن لم يكن للأكل رائحة كريهة، فإن كانت كالثوم أو البصل أو الفجل ونحوه فيكره أكله فيه' (وظيفة المسجد في المجتمع: صالح الخزيم (1418هـ)، ص 67/68، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1419هـ، ويمكن مراجعة كتاب زاد المتعبد في أحكام وآداب المسجد: حمدا ولد التاه: ص 89، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1424هـ/ 2003م، وكتاب إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص 329).

وأرى من وجهة نظري أن ظاهرة الأكل بالمسجد إذا جرت في طابع منظم يمكن أن تكون منبع مظهر جمالي معبر على مجموعة من الدلالات الاجتماعية التي تقوي الشخصية وتغرس فيها معاني الانتماء والاعتزاز بالدين، ولعلي أمثل لذلك بملاحظة مشهد الإفطار قبيل صلاة المغرب في المساجد، خاصة وأن هذه الظاهرة بدأت تحظى بتنظيم وتنافس في الخيرات من قبل المحسنين خلال هذا الشهر في عدد كبير من مساجد مدينة الجديدة، فيتزامن أوان رفع أذان صلاة المغرب بالتفاف جموع المصلين متحلقين حول سفرة من أجل سنة التذكير في الإفطار وذلك بتناول تمرات وشرب ما تيسر من الماء.

يمكن أن ندعم المنهج الوسطي لمؤسسة المسجد في إباحة بعض من أمور الدنيا بسوق أتمودج ثان يتعلق باللعب، فقد بَوَّب الإمام البخاري في صحيحه فقال: "باب أصحاب الحراب في المسجد" ومعلوم أن فقه البخاري في تراجمه، فترجمته للباب بهذه الصيغة تفيد دلالة الجواز بناء على [إقراره للحبشة الذين كانوا يلعبون في المسجد ترويحاً للنفوس وتأليفاً لهم على الإسلام] (الأصول من علم الأصول: محمد بن صالح العثيمين، ص 59، دار ابن الجوزي، المنصورة، مصر، 2004م)، ثم ساق حديث عائشة، قَالَتْ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عَلَى بَابِ خُجْرَتِي وَالْحَبَشَةُ يُلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ (صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب أصحاب الحراب في المسجد، رقم: 454، ج 1/ ص 98) ويقرب من الحديث ما روي عَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا قَالَتْ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا فَسَمِعْنَا لَغَطًا وَصَوْتَ صَبِيَانٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبَشِيَّةٌ تَزْفِنُ وَالصَّبِيَانُ حَوْلَهَا، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ تَعَالِي فَانْظُرِي». فَجِئْتُ فَوَضَعْتُ لَحْيِي عَلَى مَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا مَا بَيْنَ الْمَنْكِبِ إِلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ لِي: «أَمَا شَبِعْتَ، أَمَا شَبِعْتَ». قَالَتْ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ لَا؛ لِأَنْظُرَ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ إِذْ طَلَعَ عُمَرُ، قَالَتْ: فَارْفَضَ النَّاسُ عَنْهَا: قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ قَدْ فَرَّوْا مِنْ عُمَرَ» قَالَتْ: فَارْجَعْتُ)) [سنن الترمذي (271هـ): كتاب أبواب المناقب، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب، رقم: 3691، ج 5/ ص 621].

إن المسجد مؤسسة تأخذ على عاتقها الترويح على نفوس أهلها ليس فقط بواسطة أنواع العبادات التي تهتم بتغذية الجانب الروحي لشخصية الإنسان، بل حتى باللعب والترفيه والتسلية وإثارة الجوانب الوجدانية في شخصية الإنسان بما يغير شعور التعب والملل لديه نحو نفس متجدد مفعم بالحياة والنشاط، فمنهج الإسلام في إقامة التوازن ليس بين العبادات نفسها فحسب، وإنما بين العبادات والأفعال الدنيوية، فإن لكل واحد لنفسه عليه حقا، يقول في هذا الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي: 'والمسجد يشرع فيه المرح والمداعبة إذا كان هادفا ونافعا واقتضته المناسبة أو الملل¹ من أجل الاسترواح وإزالة ما في النفس من تعب، وكذلك إعلان الأفرح' (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص76)، ولنا في مدرسة ابن يوسف التابعة للجامع ابن يوسف بمراكش أمثلة لإقامة الاحتفال في جو من الترفيه والدعابة ترسيخا لمبدأ الوسطية، وذلك من خلال مراسيم الاحتفال بسلطان الطلبة، يقول الأستاذ أحمد متفكر: 'بعد إعلان سمسرة بين الطلبة الأجانب في مدرسة ابن يوسف وذلك في فصل الربيع، تنتهي المزايدة بشراء الفائز لسلطنته، حيث تشرع عملية تهيئ الحفل من مصروف شراء السلطنة، ويعين محتسبا ذا مرح ودعابة يجول في الأماكن العامة يجمع ما يساهم به في تنشيط حفل ونزهة هؤلاء الشباب، وفي أثناء هذا الحفل يتولى خطيب هنلي بإلقاء خطبتين ترفيهيتين، وينتهي الحفل بتوقيع سلطان الطلبة لمرغوبه الذي يحظى بالقبول والمتمثل في: إطلاق سراح أحد المسجونين من عائلته أو نيل وظيفة' (مساجد مراكش عبر التاريخ: أحمد متفكر، ص66/67 بتصرف). وبالطبع، فإن هذه المظاهر الوسطية المتجلية في الترفيه والترويح على النفس من خلال إقامة هذا النوع من الاحتفال لا تخلو من قيم اجتماعية نبيلة²، وهي قيم أخلاقية يحتاج إليها المجتمع لتقوية تماسكه وتثمين الروابط التي تربط بين أفرادها، ولعل مجموعة من صفحات التاريخ المغربي العريق تعتبر أكبر شاهد على الإسهام المسجدي في مواكبة هذه الأجواء الاحتفالية المقرونة بالقيم الاجتماعية السامية، فمن مظاهر هذا الإسهام ضمن مجاله الاجتماعي في العهد المرابطي ما يروى عن أهل الأندلس أنه لما استنجدوا بالخليفة المرابطي يوسف بن تاشفين -الذي ندب نفسه للجهاد والدفاع عن حوزة الإسلام بهذه الأرض- ليخلصهم من غطرسة الصليبيين وما مر بهم من محن وابتلاءات؛ تم استقبال الجيش المرابطي في الأندلس بكل حفاوة، وخرج إليه أهل الجزيرة بما عندهم من الأقوات والضيافات وامتألت المساجد والرحبات بضعفاء المتطوعين مستبشرين باستعادة

¹ المقصود: تجنب الشعور بالملل.

² كالتضامن والتآزر مثلا.

ما سلب من حقوق وما هُدر من كرامة (انتصارات يوسف بن تاشفين: حامد محمد الخليفة، ص133، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، ط1، 1435هـ/2004م).

ولم يكن الإسهام المسجدي في العهد المرابطي مقصورا على الجانب الاجتماعي فحسب، بل تعدى هذا الإسهام إلى الجانب السياسي المتعلق بسلطة صنع القرار الحاسم، ولذلك تقول الأستاذة نعيمة مني: 'وإلى جامع القرويين يعود الفضل في بروز عدد كبير من العلماء الفضلاء، ولا ننسى أن نسجل ما كان لهؤلاء العلماء الأجلاء من دور في تدبير شؤون البلاد في الداخل والخارج، فنجدة ((يوسف بن تاشفين)) للأندلس لم تكن إلا بعد أن صدرت فتوى عن رجال القرويين تسمح باستجابة المرابطين لاستغاثة أهل الأندلس' [مقال: معالم ومظاهر التاريخ الفكري والثقافي للقرويين/ نعيمة مني (كلية الآداب/ الرباط)، ص36، مجلة: دعوة الحق، العدد 364، السنة: 43، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1422هـ/2002م].

ولعل التداخل والترابط الملحوظين هنا بين الوظيفيتين الاجتماعية والسياسية يعتبر مؤشرا قويا على حجم تأثير الوظيفة الاجتماعية المتجلية في التفاعل الإيجابي بين طبقة العلماء وطبقة الولاة والحكام على نشاط الوظيفة السياسية، وهو الشيء الذي يفسره ما نتج عن التأثير الاجتماعي في قضية صنع القرار من طرف من ييدهم سلطته، مما يجعل هذه القرارات تُتخذ في جو تسود فيها مقومات التوفيق في القرار المتخذ من مشاورات وتبادلات للآراء وبعد في النظر وتقدير للمصالح وتوحيد للرؤى والتصورات.

أما المجال الفرعي الثالث ضمن هذا العامل المؤثر الأول؛ والذي اصطلحت على تسميته: المسجد وحاجيات المجتمع؛ فأرى من الأولى وضع التسمية على هذه الصيغة بالذات: مؤسسة المسجد وتلبية حاجيات المجتمع، لأن المسجد لا يمكن أن يرقى لهذا التحدي بأن يكون قادرا على تلبية هذه الحاجيات إلا إذا توفرت فيه من المواصفات التنظيمية والوظيفية ماديًا ومعنويًا؛ ما يجعله حريا بهذه التسمية المركبة تركيبا إضافيا، ليكون كل مبنى لفظي منها دالا ومستوعبا لما يندرج تحته.

في خضم هذا المجال الفرعي نجد أربعة قضايا رئيسة: الأمن، المشاكل الاجتماعية، المساواة والمرأة. وقبل بيان موقع هذه القضايا وعلاقتها بمؤسسة المسجد، لا شك أنه توجد هناك روابط بينها، فليس تجميعها هنا من قبيل الصدفة، فالتخلص من المشاكل الاجتماعية والتغلب عليها بشكل محكم وممنهج¹ يعد

¹على اختلاف قدرها.

بوابة ومدخلا لتحقيق الأمن على المستوى الفردي وعلى المستوى الاجتماعي، كما أن سيادة قيم المساواة الاجتماعية¹ يضمن ويكفل أحقية المرأة في انخراطها الإيجابي؛ لإثبات ذاتها والإسهام إيجابيا في النهوض بالعمل الوظيفي للمؤسسة المسجدية على غرار ما يسهم به الرجل، ولا يفوتني أن أشير إلى أن هناك ارتباطا بين عنصر المشاكل الاجتماعية وعنصر المرأة، حيث إن مجموعة من المشاكل الاجتماعية التي سعى ويسعى المسجد التفاعلي إلى حلّها وتجاوزها تتصل اتصالا كبيرا مع المرأة، لأن المرأة شريك اجتماعي حاضر بقوة في جميع العلاقات الاجتماعية، وبالتالي فاندراج هذا العنصر إلى جانب المشاكل الاجتماعية ضمن هذا العامل المؤثر أمر دالّ، بل نكاد نجزم بوجود علاقات طردية في هذا الإطار، فعلى سبيل المثال: إذا كان انخراط المرأة في أنشطة مؤسسة المسجد يتسم بالإيجابية والحضور الفاعل دونما اقتصر على أداة الصلوات؛ فإنه يتحقق من وراء ذلك توحيد منظومة النظر إلى السياق الاجتماعي العام والذي يحدد المسؤوليات والمهام المشتركة المنوطة بين النساء والرجال على اختلاف مواقع كل مكون من مكونات هذه المنظومة الاجتماعية.

ولعلني قبل أن أُلج إلى التفصيل في كل عنصر على حدة؛ أعرض ببعض ما ورد في تاريخ المغرب مما يؤكد الارتباط بين بعض العناصر المندرجة تحت هذا العامل، فقد ذكر ابن خلدون (ت808هـ) عن تاريخ بناء القرويين وما صاحب تخطيطه وإيجاده من أبعاد اجتماعية مختلفة: 'واستجدّت فاس في العمران وبنيت بها الحمامات والفنادق للتجار، وبنيت الأرياض، ورحل إليها الناس من الثغور القاصية، واتفق أن نزلتها امرأة من أهل القيروان تسمّى أم البنين بنت محمد الفهريّ، وقال ابن أبي ذرع: اسمها فاطمة، وأنها من هوّارة، وكانت ثرية بمروث أفادته من ذويها، واعتزمت على صرفه في وجوه الخير، فاخترت المسجد الجامع بعدوة القرويين أصغر ما كان سنة خمس وأربعين في أرض بيضاء كان أقطعها الإمام إدريس، وأنبتت بصحنها بئرا شرابا للناس، فكأنما نبّهت بذلك عزائم الملوك من بعدها، ونقلت إليه الخطبة من جامع إدريس لضيق محله وجوار بيته. واختط بعد ذلك أحمد بن سعيد بن أبي بكر اليغري² صومعته سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، على رأس مائة سنة من اختطاط الجامع حسبما هو منقوش في الحجارة بالركن الشرقي منها، ثم أوسع في خطته المنصور بن أبي عامر، وجلب إليه الماء وأعدّ له السقاية والسلسلة بباب الحفافة منه. ثم أوسع في خطته آخر ملوك لمتونة من الموحدين، وبني مريم واستمرّت العمارة به، وانصرفت همهم إلى تشييده والمنافسات في الاحتفال به' (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر - تاريخ ابن خلدون - ولي

¹ دونما اصطدام مع الثوابت المقررة شرعا.

² نسبة إل قبيلة يغرن الزناتية (من زناتة).

الدين عبد الرحمان الإشيلي الحضرمي ابن خلدون، ج4/ ص20، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1408هـ / 1988م).

فمن خلال هذا النص؛ والذي يتعلق بتاريخ تخطيط وتنفيذ بناء جامع القرويين؛ تتبين العناصر التفاعلية لهذا المسجد المتجلية في الحرص على استحضار البعد الاجتماعي ومراعاة المصلحة العامة وإمداد الخير ونشره على أفراد البلاد الذين حجوا نحو المدينة من مناطق شتى لتعميرها، ويمكن إجمال هذه العناصر التفاعلية في النقاط الآتية:

1- اتخاذ قرار نقل الخطبة الجمعية إلى هذا المسجد، وذلك حرصاً على المصلحة العامة المتجلية في تكثير أعداد المصلين واستيعاب الجامع لأكثر قدر ممكن لهم، الشيء الذي لا يمكن أن يتأتى في المسجد الآخر الضيق، فالمصلحة والمنطق يقضيان بأن تكون شعائر الجمعة بالمسجد الكبير لا بالمسجد الضيق رفعا للحرص على المصلين، حتى لا يصلوا بالخارج فيتأثروا بأحوال الطقس خلال أدائهم للصلاة واستماعهم للخطبة، ولا يخفى أن في هذا الإجراء مراعاة للبعد الاجتماعي وحلاً لمشكل اجتماعي مؤرق يتجلى في عدم كفاية المساحة المسجدية وتناسبها مع أعداد المصلين.

2- تخطيط الصومعة بالجانب أو الركن الشرقي من المسجد مراعاة لعنصر الظهور للناس القادمين إلى المسجد من بعيد، ومراعاة كذلك للمكان المناسب من حيث ظروف ومعايير التشييد، إلا أنني أجدني أتساءل لماذا كل هذا التأخير الذي يصل إلى فرق مئة سنة؟ هل هو راجع إلى عدم توفر الموارد المالية الكافية أم ماذا؟

3- التركيز على عنصر الماء وأهميته الحيوية، مع التخطيط في توفيره وتسهيل سبل الوصول إليه والانتفاع به في الجامع، نظراً لأن المتوافدين على المسجد لا ينبغي إيقاعهم في المشقة والحرص في التنقل باستمرار، وذلك من أجل جلب الماء للشرب أو الوضوء، كما أن توفر الماء بشكل جيد سيمكن من الإقامة بالمسجد للحاجة العلمية، مما سيحوله بعد ذلك إلى مركز وقطب علمي وازن.

4- إقامة مجموعة من الاحتفالات الاجتماعية به على مدار التاريخ، يؤكد على نجاحه في استقطاب مختلف الشرائح الاجتماعية المكونة للنسيج العمراني بالمدينة، وبالتالي سكون وطمأنينة هؤلاء المكونات الاجتماعية لأجواء الاحتفال بأرجائه واهتمامها بشهود هذه الوقائع المؤثرة داخله.

5- بيان المكانة البارزة للمرأة في القيام بهذا العمل النبيل والمشروع الخيري ذي النفع الجزيل، فالمرأة هي التي قادت هذه المبادرة العظيمة المتعلقة بمؤسسة المسجد، وهذا من مناقب الفخر والاعتزاز لدى المرأة عامة، والمغربية على وجه الخصوص، وهو الشيء الذي يؤكد قوة العلاقة التاريخية التفاعلية التي تربط بين هذا الكائن الاجتماعي الوازن وبين المؤسسة الحيوية التي هي مؤسسة المسجد.

وذكر المؤرخ الناصري أن فاطمة الفهرية صامت منذ الشروع في بنائه إلى أن أتمَّ بناؤه، فصلَّت فيه شكراً لله تعالى (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: أبو العباس شهاب الدين الناصري السلاوي (ت1315هـ)، ج1/ ص231، بيروت، لبنان، ط2، 2012م).

ويشهد التاريخ صفحات نسوية مشرقة في قصص بناء مساجد، يعود الفضل في ذلك إلى مبادرات تتزعمها نسوة، بل بقيت تسميات تلك المساجد على أولئك النسوة شواهد حية على قوة تلك العلاقة بين المؤسسة المسجدية وبين المرأة، من ذلك ما يعرف في تاريخ دولة الأغالبة بمسجد يدعى باسم مسجد الجدة، وذلك نسبة لإحدى الجدات في بني الأغلب التي بنته (أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا، زليطن، 1992، مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، مقال: دور المسجد في إثراء الحياة الفكرية بولاية طرابلس الغرب خلال الحكم العثماني: محمد الطوير، ص501).

أما عن علاقة مؤسسة المسجد بالمساواة الاجتماعية كعنصر مستقل من عناصر هذا العامل؛ فإن ذلك يتجلى في كيفية تحقيق مؤسسة المسجد لمبدأ المساواة وأثره في سمو المستوى الأخلاقي لأفراد المجتمع، كتأثير المظهر الذي يعطيه تنظيم الصفوف والمساواة التي يحققها بين مختلف طبقات المسلمين، فليس في المسجد مكان خاص للوزير، وآخر للعامل أو الخادم، وإنما الجميع سواء أمام الكبير المتعالي، هذا المظهر من المساواة الذي يقضي على جميع الفوارق وقف أمامه كثير من الأجانب والمستشرقين مشدوهين، [فهذا الفيلسوف الفرنسي رينان يقول: إنني لم أدخل مسجدا من مساجد المسلمين، من غير أن أهتز خاشعا، وأن أشعر بشيء من الحسرة على أنني لست مسلما. ويقول توماس أرنولد عن الصلاة في المسجد: هذا الفرض المنظم من عبادة الله هو من أعظم الأمارات المميزة للمسلمين عن غيرهم في حياتهم الدينية، فكثيرا ما لاحظ السائحون وغيرهم في بلاد الشرق ما لكيفية أدائه من التأثير على النفوس] (مجلة البحوث الإسلامية: ج2 / ص510، رسالة المسجد عبر التاريخ/ أبو بكر القادري).

وأهم ما يتبادر إلى المتأمل في مبدأ المساواة الاجتماعية عدم اختصاص الأحكام المسجدية بصنف خاص من الناس دون آخر، إلا ما كان من تمييز تبعا لاختلاف الجنس، نظرا لخصوصيات كل جنس من حيث الممارسة السلوكية الاجتماعية، كندب إتيان الرجل للمسجد بالرائحة المعطرة الطيبة، وتحريم ذلك على المرأة لما

يفضي من فتن وخروج عن الإطار الشرعي في سلوك المرأة¹، ولذلك كثيرا ما تتردد على أسماعنا القاعدة الشرعية التي تقول: النساء شقائق الرجال في الأحكام إلا ما استثني من الشرع.

لقد كان المسجد ولا يزال ملتقى جميع الفئات والشرائح الاجتماعية، يسوي ويكافئ بينهم دون تمييز أو تفضيل لاعتبار عرقي أو عنصري أو انتماء قبلي أو طبقي، رغم ما يلاحظ من بعض الشذوذات السلوكية لبعض الأفراد فيه، يقول الأستاذ منصور الرفاعي عبيد: 'فالمسجد يعلم الناس عمليا هذا الوضع الاجتماعي الرائع الرائد، ليتحقق الخير في المجتمع والكل ينطلق لأداء واجبه بهدوء واستقرار، إننا نرى اليوم وفي أرقى الدول التفرقة العنصرية على أشدها حتى في مراحل التعليم أو ركوب الحافلة أو المطاعم ثم يقولون إنهم في حضارة، أين هذا من منهج الإسلام ونظامه الذي يسوي بين الناس وشعاره الذي يتردد قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (سورة الحجرات: الآية 13) [مكانة المسجد ورسالته: منصور الرفاعي عبيد، ص 33 / ص 34].

ويمكن أن نختصر مظاهر المساواة المسجدية في ثلاثة أمور أساس، أجمالها فيما يلي:

1- الاستواء التماثلي في إقامة الصف أثناء أداء الصلاة، ويمكن أن نصطلح عليه: الاستواء الشعائري أي الاستواء أثناء وقت أداء العبادات في المسجد، وهو الاستواء الذي يمتد تأثيره اجتماعيا ويسهم في إقامة روابط صافية بين أهله، نظرا لانتفاء الاعتبارات التي تحدث التفاوتات الفاحشة بين الأفراد داخل الجماعة الواحدة، يقول الدكتور عبد العالي المعكول: 'فالمسجد هو الذي يجتمع فيه كل أطراف المجتمع المتعددة التي تنسجم كلها في المسجد، فيقف الكبير بجانب الصغير، والعالم بجانب الجاهل، والأبيض بجانب الأسود، وهكذا تذوب الفوارق الاجتماعية والعنصرية والقبلية، وبذلك يتم التعارف والتآخي واستشعار هموم الناس، حيث يتم تفقد أخبار المتخلفين عن المسجد، ومناقشة احتياجات الناس حتى يتأتى مساعدة الفقراء والمساكين والضعفاء المعدمين مثل ما كان عليه العمل من أهل الصفوة زمن الرسول صلى الله عليه وسلم' (مؤسسة المسجد-الوظيفة

¹ يمكن أن نعصد ذلك بما روي عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بِخُورٍ؛ فَلَا تَشْهَدُ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ)) [صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنه، رقم: 444، ج 1/ ص 328].

الاجتماعية والرسالة الحضارية-: عبد العالي المعكول، ص93/94)، ويؤكد هذا أن المظهر السلوكي المحسوس للمساواة الاجتماعية يتوخى التأثير العاطفي الوجداني بين أهل المسجد.

2-الجلوس في المكان الذي انتهى به المجلس دون تخطّ للصُفوف أو إيذاء أو تفريق بين الجالسين، ويمكن أن نصطلح عليه: الاستواء الموضعي أو المكاني، والمتعلق أساسا بالجلوس في مكان معين بالمسجد خارج وقت أداء الصلاة¹، ومفهوم المساواة المسجدية يتعلق كذلك بالمساواة المتعلقة بعنصر المكان، والمتجذرة في استواء القريب والبعيد في التردد إليه، وحق السبق إلى مواضع الفضل داخله، يقول الأستاذ منصور الرفاعي عبيد: 'الناس فيه كأسنان المشط بل الصف الأول لمن حضر سابقا، تجد الغني بجوار الفقير والخادم أمام المخدم ...' (مكانة المسجد ورسالته: منصور الرفاعي عبيد، ص32).

3-توجيه الكلام وإصداره على الوجه التوجيهي، دون تسمية أو إشارة إلى شخص معيّن، ويمكن أن نصطلح عليه: الاستواء التوجيهي أو التواصل، أي: استواء توجيه الكلام على وجه عام، دون إحراج بالتعيين والإشارة المقصودة.

كما يتعلق مفهوم المساواة كذلك بنوعية النشاط الوظيفي الذي يزاوله أهل المسجد، فهم فيه سواء، وذلك رغم تباين مستوياتهم الثقافية المعرفية وانتماءاتهم الاجتماعية، يقول الأستاذ عبد الهادي أعراب: 'ففيه يحتشد الناس وإليه يفد القاطنون بالحي السكني الواحد أو بالأحياء الأخرى المجاورة والبعيدة، وإليه أيضا يقدم المسافرون والزوار العابرون والباعة والتجار من مختلف المناطق، وتحت سقفه يجتمع المصلّون من كافة الشرائح والمهن والمستويات المعرفية والعلمية والانتماءات الحزبية والنقابية' (مقال: المساجد والتحكم الديني للدولة بالمغرب/ عبد الهادي أعراب، ص88).

ومن ترسيخ الخطب المسجدية لمبدأ المساواة قيامه صلى الله عليه وسلم خطيبا محذرا؛ كما روي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومَةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: ((إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ

¹ سبقت الإشارة إلى هذه الفكرة في مباحث سابقة ضمن الحديث نظريا عن الحركة في المسجد.

فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)) [صحيح البخاري: كتاب الحدود، باب حديث الغار، رقم: 3475، ج4/ص175)، ولا شك أن هذا المبدأ النبوي هو من أجل إشعار المجتمع أنهم أمام حكم الله سواء لا فرق بين شريف ووضيع وأنه لا ينبغي للمجتمع أن يفاضل بين بعضه بعضا في استيفاء الحدود وعدمها وأن يخوض في ذلك (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص41).

ومن آثار قيم المساواة التي يتربى عليها أهل المسجد إثثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة؛ مما يقضي على الأنانية والفردانية المقيتة، فلا حياة حقيقية بدون حياة جماعية؛ مما يثمر لدينا مجتمعا متحضرا متين الأسس، رواده أسرة واحدة، لهم شعور واحد وإحساس واحد، يرحم قلوبهم ضعيفهم وغنيهم فقيرهم (مقال: المسجد ودوره الحضاري والإنساني: عبد القادر العافية، ص27 بتصرف).

وبانتقالنا إلى الكلام عن الأمن المسجدي ومتعلقاته؛ يمكن أن نسطر أولا أن الأمن مطلب أولوي يحتل موقع الصدارة ضمن المطالب الضرورية التي يتعين إيجادها، وبذل كافة الجهود لحفظها وجودا وعدما، ولذلك، نجد أن ورود هذا اللفظ في القرآن الكريم يتردد حوالي [اثني وأربعين مرة في سياقات مختلفة ومتعددة] (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ص81/89، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1364هـ/1945م)، حيث لا يمكن أن تكون هذه الكثرة الترددية في سياقات القرآن الكريم من فراغ أو تكون عارية من القصد، بل فيها من السر والحكمة ما يوافق هذا الوزن الكمي.

ومن السياقات القرآنية التي تربط بين مؤسسة المسجد والأمن نجد قوله عز وجل: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" (الآيتان 124/125: سورة البقرة)، حيث هناك ارتباط مباشر لهذه الآيات بمطلب الأمن، رغم أن الأمن خاص فيها بمسجد محدد بعينه، ألا وهو البيت الحرام.

وما أجمل اقترانه به كذلك في أواخر القرآن الكريم في معرض امتنان الباري جلّ وعلا على أهل الحرم بنعمة الأمن، إذ يقول في سورة قريش: "إِلَيْلَافٍ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ" (سورة قريش: الآيات 1/4)، واقتران الأمن بذكر المسجد الحرام بلفظ (البيت) -والذي يشمل معان اجتماعية قوية- يدلّ على أن الأمن مطلب اجتماعي ملح وهام لا يستغنى عنه في تسيير مصالح الحياة، كما أن سبيل تحصيله والحفاظ على وجوده هو القيام بواجب العبودية والاستقامة على دين الله تعالى.

وليس ثمة دليل يحصر ويقتصر توفر الأمن على منطقة الحرم، بل الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما، فحيثما وطّن الناس أنفسهم بالعبادة ولزوم الجادة لله تعالى؛ فقد ضمنوا لأنفسهم ظروف وأجواء الأمن والتمتع به في كل صوره، ودليل هذا الحكم إطلاق قوله تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (سورة النور: الآية 55)، وبالتالي فسبيل الحفاظ على نعمة الأمن وعدم تعرضها للزوال هو الثبات على منهج التقرب والتذلل لله عزّ وجلّ، أي التعلق بالمؤسسة المسجدية وأثرها الروحي.

ويستمر اقتران الأمن بالمؤسسة المسجدية حتى في سياق البشارة المتعلقة بالبيت الحرام، وهي بشارة دخوله في فتح مكة وأداء العمرة فيه خلال العام الثامن الهجري، وذلك بعدما منعوا في واقعة الحديبية وتم الصلح على إثرها، يقول الباري جلّ وعلا: "لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا" (سورة الفتح: الآية 26).

ولا شك أن هذه البشارة تعتبر مؤشرا إيجابيا على استقرار الوضع بمكة واستتباب الأمن في أرجائها، حيث تم الرجوع بأمان وسلام إلى الموطن الأصلي الذي كان في السابق بؤرة حرب وقتال؛ بسبب اختلاف

العقيدة بين أهل الأرض، فالبشارة إذن ثمرة ونتاج للأمن الاجتماعي الذي أغدقه الله تعالى على الفئة المؤمنة، والتي جاهدت في ذلك المكان من أجل إعلاء كلمته إحقاقاً للحق وإبطالا للباطل.

وإذا أردنا أن نلامس مفهوم الأمن في المظان الفقهية؛ فحسبنا الإتيان بما ذكر الإمام الزركشي في الإعلام من خلال معرض كلامه عن إقامة الحدّ أو القتل في الحرم، حيث ساق ثلاثة أقوال تمنع كلها ذلك؛ تحقيقاً لمقصدية الأمن المتعلق بالمكان، إذ يقول: 'من وجب عليه حدّ أو قتل بقصاص أو رجم بالزنا وغيره، فالتجأ إلى الحرم ففيه للعلماء ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه آمن ما دام في الحرم، لقوله تعالى: "وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا" (سورة آل عمران: الآية 97).

الثاني: إن كان قاتلاً لم يقتل، حتى يخرج من الحرم.

الثالث: أن الحدود تقام فيه، ويستوفي القصاص ... ولو التجأ إلى المسجد الحرام أو غيره من المساجد أُخرج وقتل صيانة للمسجد، ...' (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص 164/ 165 بتصرف).

فقد كان البيت الحرام بمكة مأمناً، يلجأ إليه الناس ليُهدأ بهم ويسلمهم من الخوف والتعرض لأنواع الأذى، كالقتل والاعتداء من المشركين، والذي كانوا يتجرؤون على من حوله ولا يستطيعون ذلك مع أهل مكة حيث يقولون عنهم: أهل الله [الإعلام بفضائل بيت الله الحرام: ملا علي القاري (ت 1014هـ)، ص 37، مكتبة نظام يعقوبي، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط 1، 1436هـ / 2015م].

وظل هذا المعنى الأمني ملازماً لبيت الله تعالى على مدار التاريخ، خاصة في عهد خاتم الرسل عليه الصلاة وسلم، والذي عمل على ترسيخ هذا المعنى في أحداث فتح مكة؛ أي: في أواخر العهد النبوي، فعن ابن عباس قال: لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ الظُّهْرَانِ، قَالَ الْعَبَّاسُ: قُلْتُ وَاللَّهِ، لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ عَنَوَةً قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ؛ إِنَّهُ لَهْلَاكُ قُرَيْشٍ، فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَجِدُ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي أَهْلَ مَكَّةَ، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيُخْرِجُوا إِلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ، فَإِنِّي لَأَسِيرُ، إِذْ سَمِعْتُ كَلَامَ أَبِي سُفْيَانَ وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ، فَعَرَفَ صَوْتِي، فَقَالَ: أَبُو الْفَضْلِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَا لَكَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟ قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ، قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ؟ قَالَ: فَركب خلفي، وَرَجَعَ صَاحِبُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ

اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا، قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ» قَالَ: فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى الْمَسْجِدِ» [سنن أبي داود: أول كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما جاء في خبر مكة، رقم: 3022، ج4/ص634].

وتكمن أهمية الأمن في تحصيل الثقة والطمأنينة ودفع جميع أسباب الخوف والحيرة والقلق، ومنبع ذلك بلا شك هو تحقيق العبودية، يقول الدكتور عبد الواحد الحسيني: 'إن الأمن في الحياة مطلب هام وعزيز، يعرف مقدار أهميته وعزته من يعيش الخوف والقلق والشك مع المعاصي، أو من أسلم أمره لله شاكرًا عند النعماء صابرا عند الضراء، فهي نعمة من أجلّ النعم ترتبط بالإيمان قولًا وعملاً، فأصل مادة الفعل في الإيمان والأمن واحد، وكلّ مشتقاتها تدور حول الثقة والطمأنينة، والوعد بالحياة الآمنة إنما كان لصلاحهم بتحقيق العبودية لله وحده، يقول تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْآمِنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ" (سورة الأنعام: الآية 82)، فالظلم الذي يهدد به الإنسان في أمنه هو ظلم المعصية، وضعف استجابته لدواعي الخير وتلمس آثار رحمة الله في كلّ شيء عن طريق الإيمان' (السياق القرآني للإصلاح: عبد الواحد الحسيني، ص235/236، دار الكلمة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1436هـ/2015م)، وعليه، فالمقاربة الأمنية لموضوع المسجد التفاعلي لصيقة بمقاربة العبودية، ولا ينفصلان، كأنهما وجهان لعملة واحدة.

فمنذ أن وُجد المسجد في أوائل التاريخ الإسلامي؛ أسهم بشكل إيجابي في تحقيق وحفظ الأمن الاجتماعي بالوسط الذي يوجد فيه، بل كان في كثير من الأحيان سببا في جلب الأمن والسلام لأهله، يقول الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي: 'وإذا كان الأمن الحقيقي ظاهرا وباطنا مرتبطا بالإيمان بالله وبما أنزل؛ فلنعلم أن المسجد مؤسسة الإيمان ومأواه، هو بالنسبة للمسلمين المؤمنين مؤسسة أمن وأمان، عاشه المسلمون الأوائل واقعا، وأحسّوا به حقيقة، واستمدّوه منه توجيهًا وتطبيقًا، فتعلقت قلوبهم به' (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص80)، وبالتالي فالتمتع بالأمن المتعدي إلى الأفراد الذي ينطلق من المسجد وينتشر من خلاله هو أمر مرتبط أساسا بالصلة الروحية والبعد الإيماني الذي يسعى إليهما المسجد في أول وظيفة من وظائفه.

لقد كان ارتباط المسجد بالأمن ارتباط لزوم لا ينفك عنه أبدا، ويحسن بي هنا أن أسوق حديثا نبويا شريفا يلامس هذا المعنى الأمني، والذي روي عن أبي عُثْمَانَ التَّهْدِيّ قَالَ: كَتَبَ سَلْمَانُ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، يَا

أَخِي لِيَكُنْ بَيْتُكَ الْمَسْجِدَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ كَانَتْ الْمَسَاجِدُ بِبُيُوتِهِمْ بِالرُّوحِ، وَالرَّاحَةِ، وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) [شعب الإيمان: أبو بكر أحمد الخراساني البيهقي (ت458هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، كتاب الصلاة، باب فضل المشي إلى المساجد، رقم: 2689، ج4 / ص381]، ويروى أيضا في ذكر الأمن المسجدي بلفظه مباشرة ما ورد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَتَكُنِ الْمَسَاجِدُ بِمَجْلِسِكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ضَمِنَ لِمَنْ كَانَتْ الْمَسَاجِدُ بَيْتَهُ الْأَمْنُ وَالْجَوَازَ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) [مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: أبو بكر أحمد العتكي (ت292هـ)، مسند أبي ذر، حديث أبي الدرداء، رقم: 4152، ج10 / ص85، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1998م / 2009م].

ويدل هذا الحديث بإعمال دلالة الواو العاطفة التي تفيد المغايرة؛ أن الأمن المضمون يتعلق بالدنيا لا بالآخرة بالنظر إلى آخر الحديث، وهو مطلق الأمن فيشمل الأمن النفسي والأمن الروحي والأمن الاجتماعي، لأن الأمن منظومة ونسق مركب، ينطلق مما هو فردي ليصل إلى ما هو جماعي، كما أننا نلاحظ مرّة أخرى ورود الأمن مقترنا بوصف المسجد بالبيت، ولعل هذا الاقتران يؤكد البعد الاجتماعي في الدلالة على المأوى ومجمع الشمل¹، وهو الشيء الذي يتوخاه الشارع من إقامته لمؤسسة المسجد التفاعلي، فالأمن يشغل حيزا هاما في هذا البعد، ويفيد هذا الحديث أيضا أن سبيل تحصيل الأمن وضمانه هو لزوم هذه المساجد وعدم مفارقتها بدليل التعبير بالعبرة (لمن كانت المساجد بيته)، وهي جملة إسمية تفيد الاستمرار والدوام، حيث لا يمكن أن يدرك هذه النعمة من لا يتعاهد المسجد، أو الذي لا يزوره إلا لَمَمًا، كالذين لا يشهدون إلا الجمعة أو بعضا من الصلوات، وإن حصل لهم من الأمن؛ فإنه يحصل لهم فقط جزءا منه، بقدر اعتيادهم المحدود لهذه المؤسسة.

إن تعامل المسلمين مع المسجد منذ أول نشأته تعامل مبني على اعتبار هذه المؤسسة ملجأ وملاذا يستمدون منه معاني ومشاعر الأمن، من خلال اصطدامهم ومواجهتهم مع مختلف الأخطار التي تباشرهم، سواء تعلق الأمر بخطر صادر عن التقدير الإلهي الكوني، أو تعلق الأمر بخطر ناتج عن ظلم وتعدٍّ بشري، أي:

¹ سبق التأصيل والبيان لهذا الأمر ومتعلقاته الاجتماعية في البحث الذي أنجزته لنيل رسالة الماجستير، وقد أشرت له في مجموعة من مواطن هذه الأطروحة.

بما كسبته واجترحته أيدي الناس، لقول الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي: 'إن المسجد جعله الله لمجتمع المسلمين داخلها مؤسسة أمن يطلبون فيه الأمان ودفع الخطر، حين ينزل بهم نازلة أو يدهمهم خطر، أي: خطر كوني أو بشري، وشرع لهم من أنواع العبادات التي يتقربون بها، حتى يكشف عنهم ما نزل بهم أو يرفع الخطر عنهم بشرط صدقهم، ففي النوازل الكونية والابتلاءات الإلهية نجد المسجد مكان اجتماع، فيه يجأرون إلى ربهم بالدعاء والصلاة والذكر، لينكشف ما بهم' (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص 81)، وبالتالي فإن الحل المباشر الذي كان نصب أعينهم لجلب الأمن وضمانه هو التعبد بشتى أنواع العبادات المشروعة في هذه المؤسسة، إذ إن هذا الحل تطبيق عملي للمضمون الأمني للآية التي سبق الاستشهاد بها من سورة النور.

ومن شواهد هذا اللجوء التعبدية الذي يرغّب في تحصيل الأمن المسجدي نجد مجموعة من التطبيقات النبوية، من قبيل:

1) الاستسقاء في المسجد:

حيث بَوَّب الإمام البخاري: باب الاستسقاء في المسجد الجامع، وذكر في الباب بسنده عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر أنه سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَذْكُرُ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وَجَاهُ الْمِنْبَرِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْتَ الْمَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُعِشْنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا» قَالَ أَنَسُ: وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةٍ وَلَا شَيْئًا، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ الثُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ، انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمَسِّكْهَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالْأَجَامِ وَالْظَّرَابِ وَالْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَانْقَطَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ، قَالَ شَرِيكٌ: فَسَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: أَهْوَ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ؟ قَالَ: لَا أَذْرِي [صحيح البخاري: كتاب أبواب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، رقم: 1013، ج 2/ ص 28].

2) الكسوف والخسوف:

ونجد مرة أخرى الإمام البخاري ييؤب في علاقة مع المسجد، فيقول: باب صلاة الكسوف في المسجد، وذكر من ضمن أحاديث الباب الذي بعده وذلك ضمن نفس الكتاب ما روي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَأَطَالَ الْقِرَاءَةَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَأَطَالَ الْقِرَاءَةَ وَهِيَ دُونَ قِرَاءَتِهِ الْأُولَى، ثُمَّ رَكَعَ، فَأَطَالَ الرُّكُوعَ دُونَ رُكُوعِهِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ قَامَ، فَصَنَعَ فِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُرِيهِمَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ ذَلِكَ، فَافْرَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ)) [صحيح البخاري: كتاب أبواب الكسوف، باب لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته، رقم: 1058، ج 2، ص 38]، وهذا الشاهد فيه أيضا ربط مباشر بين الخوف من هذا الحدث الكوني وتبعاته وبين طريق تحصيل الأمن منه وحسن التعامل معه؛ بما يهدئ من روع النفس ويطمئنئها.

3) النهي النبوي عن مجموعة من الممارسات السلوكية المخلة بالأمن الفردي والاجتماعي داخل مؤسسة المسجد:

من ذلك ما روي عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((خِصَالٌ لَا تَنْبَغِي فِي الْمَسْجِدِ: لَا يَتَّخَذُ طَرِيقًا، وَلَا يُشْهَرُ فِيهِ سِلَاحٌ، وَلَا يُنْبَضُ فِيهِ بَقُوسٌ، وَلَا يُنْشَرُ فِيهِ نَبْلٌ، وَلَا يُمَرُّ فِيهِ بِلَحْمٍ نَبِيٍّ، وَلَا يُضْرَبُ فِيهِ حَدٌّ، وَلَا يُقْتَصُّ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ، وَلَا يُتَّخَذُ سَوْقًا)) [سنن ابن ماجه (ت273هـ): كتاب المساجد والجماعات، باب ما يكره في المساجد، رقم: 748، ج 1/ ص 247]¹.

فالمتأمل في مجموعة هذه المنهيات والمحظورات يجد في اجتنابها حفظا وضمانا للأمن المسجدي، نظرا لأن في القيام بها إزعاجا لأهل المسجد وترعيبا وتخويفا لنفوسهم، فإن الذين جاؤوا إليه إنما جاؤوا لينعموا بسلام وهدوء جوّه الروحي، وبالتالي فكل ما زاد عن ذلك في الإخلال بهذا الأمن؛ فهو أولى وأحرى بالنهي والمنع، لأن الأمن المسجدي غاية وثابت لا يقبل التنازل، فهو بمثابة الخط الأحمر الذي لا ينبغي تجاوزه.

¹ حديث ضعيف، علق عليه المحقق محمد فؤاد عبد الباقي في المصدر المقتبس منه ضمن نفس الصفحة: في الزوائد إسناده ضعيف لاتفاقهم على ضعف زيد بن جبر. قال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه ضعيف.

ومنه، فإن المسجد رمز للأمن والسلام، حيث تعدى هذا الأمن والسلام؛ ليشمل عموم الحياة العامة وأجوائها عند كل من يوجد في أرجائها، ويؤيد ذلك ما روي عن حميد، قال: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَزَا قَوْمًا لَمْ يُغَزْ حَتَّى يُصْبِحَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ بَعْدَ مَا يُصْبِحُ، فَتَزَلْنَا خَيْرَ لَيْلٍ)) [صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة وألا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، رقم: 2943، ج4/ص47]، فالمسجد إذن يؤشر في عموم رسالته الأمنية على الأمن الروحي وعلى الأمن الاجتماعي معاً، ونجد من الخصوصيات الشعائرية لمؤسسة المسجد في الرمزية الأمنية وترسيخها في النفوس شعيرة الأذان، كيف وقد جاء الحديث النبوي بالنص عليها مباشرة كما في حديث أنس الذي تقدم ذكره¹.

وروى ابن عصام المزني عن أبيه رضي الله عنه: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ جَيْشًا أَوْ سَرِيَّةً يَقُولُ لَهُمْ: ((إِذَا رَأَيْتُمْ مَسْجِدًا، أَوْ سَمِعْتُمْ مُؤَذِّنًا، فَلَا تَقْتُلُوا أَحَدًا)) [سنن الترمذي: أبو عيسى محمد الترمذي (ت279هـ)، كتاب: أبواب السير، باب ما جاء في الدعوة قبل القتال، رقم: 1549، ج4/ص120، وقال الألباني: حديث ضعيف].

وقد سار على هذا النهج خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضي الله عنه في إثبات الوظيفة الأمنية للمساجد والعبادة في المجتمع، ففي وصيته لجنود الشام: وَلَا تُغْرِقَنَّ نَحْلًا وَلَا تَحْرِقْنَهَا، وَلَا تَعْقِرُوا بِهَيْمَةً، وَلَا شَجَرَةً تُثْمِرُ، وَلَا تَهْدِمُوا بَيْعَةً، وَلَا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ وَلَا الشُّيُوخَ وَلَا النِّسَاءَ، وَتَسْتَجِدُونَ أَقْوَامًا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ فَدَعَوْهُمْ وَمَا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ،... [السنن الكبرى للبيهقي (ت458هـ)، كتاب جماع أبواب السير، باب من اختار الكف عن القطع والتحريق، رقم: 18125، ج9/ص145].

إن من أهم صور الأمن الاجتماعي الذي يحققه المسجد تهدئة روع الاضطرابات التي قد تعكر صفو الحياة الزوجية، فالمسجد يأوي إليه من غاضب أهله وضاق به نفسه من البقاء في منزله، حتى تهدأ صورة الغضب وتذهب نزغة الشيطان (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص69)، وما أجمل أن نسوق شاهداً على هذا الأمر انطلاقاً مما ذكره البخاري حول إسهام المسجد في تحقيق الأمن بين الزوجين مما روي عن سهل بن سعد، قال: ((جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنُ عَمَلٍ؟» قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فَعَاظَنِي، فَخَرَجَ،

¹الصفحة 102.

فَلَمْ يَقُلْ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِنْسَانٍ: «انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟» فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، قَدْ سَقَطَ رِدْأُوهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ ثُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: قُمْ أَبَا ثُرَابٍ، قُمْ أَبَا ثُرَابٍ)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد، رقم: 441، ج 1/ ص 96]، فلم يفكر علي رضي الله عنه في أي مكان يحتضنه ويحقق أمنه ويهدئ حالة غضبه سوى المسجد، أي: أن هذا المكان يعتبر بامتياز موطن الأمن المطلق لمن قصد بابه، وما أجمل أن يتمعن الأزواج في هذه الحديث ويتأملوا في حسن استثمار مؤسسة المسجد في القضاء على المشاكل الزوجية، حيث يتغير الفضاء، فتتبدل بذلك الأفكار والوساوس، ويراجع كل طرف نفسه بما يتضح له في خلوته الحسابية بهذه المؤسسة.

يقول الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي ارتباطا بموضوع أمن الحياة الزوجية وعلاقته بالمسجد: 'المسجد دار للمنقطعين الذين لا أُسَرَّ لهم، وللغزاة الذين لا أهل لهم، وللغرباء الوافدين من أصحاب الحاجات حتى تقضى حوائجهم، بل ولمن كان قد ضاقت نفسه من بيته لمغاضبة أهله له، حتى تنطفئ نار الغضب وتذهب نزغة الشيطان' (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص 67)، أي: إنه منذ نشأة المؤسسة المسجدية؛ نشأت معها وظيفة أمنية اجتماعية، تقوم على جمع ولمّ شمل الأسرة والحفاظ على استقرار الحياة الزوجية وإبعاد كل ما من شأنه أن يسيء إلى حالها ويكهرب جوّها.

وبرجعنا إلى حديث البخاري السابق والوقوف مع فقه تبويبه له؛ يمكننا أن ندرك بعدا آمنا اجتماعيا آخر يؤديه المسجد في حالات اضطرارية تقدر بقدرها؛ وهو قضية النوم في المسجد، وما أهل الصفة وملازمتهم للمسجد إلا مثالا واقعيا على هذا البعد، مع أن هذه القضية تكتنفها بعض الملابس والإشكالات المقاصدية والواقعية، حيث إن فتح هذا الفصل على مصراعيه بدون قيود وتحرّ قد يعود على المسجد بنقيض ما أنشئ من أجله، ولعل هذا الأمر يحتاج إلى استطلاع ميداني يجلي حقيقة هذا الأمر، ويلامس بعضا من جوانب القضية، وهو الأمر الذي سيتم إفراد معالجته في عامل آخر مستقل يتضمن تحت قضية النوم في المسجد.

ومن التطبيقات العملية للارتباط المتين لمؤسسة المسجد مع الأمن ما يلي:

-أمر السنّة النبوية الشريفة بالإمساك عن السيف أو الرمح في حق من دخل المسجد، ويكره سلّ السيف في المسجد لما روي عن جابر أن رجلا مرّ بسهام في المسجد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَمْسِكْ بِنَصَالِهَا)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب يأخذ بنصول النبل إذا مر في المسجد، رقم: 451، ج 1/ ص 98]، وفي نفس المعنى نهي في السنة عن مجموعة من السلوكات المخلة بالأمن داخل

المسجد، من ذلك ما روي عن أبي بُرْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا أَوْ أَسْوَاقِنَا بِنَيْلٍ، فَلْيَأْخُذْ عَلَى نَصَالِهَا، لَا يَغْفِرَ بِكَفِّهِ¹ مُسْلِمًا)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب المرور في المسجد، رقم: 452، ج1/ ص98]².

وأما إقراره للحبشة على لعبهم بالحراب والسيوف في المسجد فهو لجهة التدريب على الحرب والتمرين والتنشيط عليه (إعلام الساجد بأحكام المساجد: محمد الزركشي (ت794هـ)، ص355)³، ولا شك أن حديث الحراب ولعب الحبشة في المسجد تأصيل لوسيلة من وسائل حفظ أمن الجماعة ودفع المكروهات وصدها عنها، بالإضافة إلى ما حوى من الفوائد الخلقية التي تؤصل لحسن التعامل مع الزوجة، يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ): 'واللعب بالحراب ليس لعبا مجردا بل فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو وقال المهلب: المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين، فما كان من الأعمال يجمع منفعة الدين وأهله جاز فيه وفي الحديث جواز النظر إلى اللهو المباح، وفيه حسن خلقه صلى الله عليه وسلم مع أهله وكرم معاشرته وفضل عائشة وعظيم محلها' (فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج1/ ص549، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1379هـ).

- كراهية بعض العلماء تزيين المسجد بقوارير الزجاج لا الوقود، وذلك لأن الزجاج معرض دائما للانكسار، مما قد يسبب ضرارا للمصلين إما عن طريق إحداث جروح في أعضاء أجسامهم، أو قد يسبب هذا الانكسار تلويث الأفرشة إذا كانت هذه القوارير تحتوي على سوائل بداخلها، فيترتب عن انكسارها أن تهرق ما بها من سوائل، فتتلطخ الأفرشة بألوان وروائح تلك السوائل.

- كراهية اتخاذ المسجد طريقا (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص356)، وذلك لأن اتخاذ المسجد طريقا من شأنه أن ينال من أذى الناس قولاً وفعلاً، حيث إن الطريق لا تسلم من جرأة الكلام وإيذاء الفعل، فقد يتفوه أحد بما لا يليق وقدسية المكان، وبالتالي يحصل من إزعاج راحة أهل المسجد والمساكن بأمنهم ما يتناقض وخصوصية هذه المؤسسة الآمنة.

¹ حتى لا يجرح بسبب عدم وضع كفه على النصال.

² سبق قريباً في نفس موضوع الأمن المسجدي حديث قريب من هذا الحديث في النهي عن خصال عدة تخل بهذا الأمن.

³ مع أن الظاهر فيه ترجيح جانب المرح والتريُّض والترويح على النفس.

- كراهية تخطي الرقاب في المسجد وإيذاء المصلين¹، حيث إن هذا السلوك يشوش على الأمن النفسي للمصلين، فلا يشعر أهل المسجد على إثره بالراحة والسكينة، ولذلك ورد النهي عن ذلك كما روي عن جابرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ لِيُخَالِفَ إِلَى مَقْعَدِهِ، فَيَقْعُدَ فِيهِ وَلَكِنْ يَقُولُ اافْسَحُوا)) [صحيح مسلم: كتاب السلام: باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه، رقم: 2178، ج4/ص1715]، وورد الحديث بصيغة أخرى دون تقييد بيوم الجمعة.

وإذا كان المسجد مأمنا للعباد؛ فإنه من باب أولى ملجأ لمختلف الشرائع الاجتماعية عند الملمات والمشاكل، يلتمسون فيه حكمة التدخل وتؤدّد الفصل فيها، فلو أردنا أن نلامس درجة حضور المشاكل في الكيان الاجتماعي العام للأمة؛ فلنستحضر الحديث النبوي فيما روي عن جابر قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ² بَيْنَهُمْ)) [صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا، رقم: 2812، ج4/ص2166]، فالحديث صريح في أن الشيطان لا يألو جهدا في إفساد وتفكيك العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع.

ويشهد التاريخ من خلال مجموعة من الوقائع أنه ما خاب ظنهم فيه، بل توفّق إلى حدّ كبير في حلّ مشاكل اجتماعية وازنة، ولعل الناظر في واقع المشاكل الاجتماعية التي تفرق بال الناس؛ يجدها تتركز في عدة نماذج من بينها أنموذج النزاع والخصومات بين الأفراد والجماعات، ولذلك كان السلف يوظفون مؤسسة المسجد توظيفاً إيجابياً في هذا المجال، فيستثمرونها في القضاء والحكم بين الناس لفصل النزاعات بينهم وتهدئة الأوضاع على إثر ذلك.

لقد عرفت مؤسسة المسجد إذن حضوراً بارزاً لإجراءات القضاء بين المتخاصمين والوساطة في تصفية الخلاف بين المتنازعين في الصدر الأول للإسلام، حيث نجد الإمام البخاري الذي فقه في تراجمه يبوب باباً بعنوان: باب من قضى ولاعن في المسجد، ثم قال: [وَلَاَعَنَ عُمَرُ عِنْدَ مُنْبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَضَى شُرَيْحٌ، وَالشَّعْبِيُّ وَيَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ فِي الْمَسْجِدِ، وَقَضَى مَرْوَانُ عَلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ بِالْيَمِينِ عِنْدَ

¹ ويمكن أن يحصل تقاطع في الكلام عن هذا المثال مع الحديث عن آداب الجلوس المسجدي والحركة فيه.

² أي: بثّ روح الفتن والشور بين الناس عن طريق الوسائوس والخصومات.

الْمِنْبَرِ، وَكَانَ الْحَسَنُ وَزْرَارَةُ بْنُ أَوْفَى يَقْضِيَانِ فِي الرَّحْبَةِ خَارِجًا مِنَ الْمَسْجِدِ] (صحيح البخاري: كتاب الأحكام، باب من قضى ولاعن في المسجد، بدون رقم، ج 9 / ص 68).

فكان المسجد بذلك يزاوُل فيه القضاء وتصدر الأحكام في ساحته، وتنفذ خارجة إذا كانت حدودا أو قصاصا، حيث كانت لا توجد هناك دار للقضاء سواه في الفترات الأولى لتاريخ الإسلام، وبمشروعية القضاء قال كثير من أهل العلم وكرهه بعضهم وهو وجه للشافعية (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص 60/62 بتصرف).

يعني: أن المسجد يفرق فيه بين إجراء القضاء مع الإفصاح عن الحكم الصادر في شأنه، وبين تنفيذ القضاء وما يتطلبه من إجراءات العقوبة والتأديب، كإقامة الحدود والتعازير، فتنفيذ هذا كان يتم خارج المسجد، لورود الأدلة عليه، ولكون هذا التنفيذ يخالف مقصدية الأمن والراحة والسكينة التي ينبغي أن تسود وسط الفضاء المسجدي، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى رَدَدَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، دَعَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَبِكَ جُنُونٌ» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَهَلْ أَحْصَيْتَ» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ» (([صحيح البخاري: كتاب الحدود، باب لا يرحم المجنون والمجنونة، رقم: 6815، ج 8 / ص 165].

وليس مع هذا الدليل وجه احتمال أن يكون تنفيذ الرجم قد جرى داخل المسجد، لأن الأمر النبوي بالذهاب يفيد الإبعاد عن مكان وقوع الحوار، لكن ما يهم في هذه القضية هو مصداقية وقوة القرار الفاصل الذي يصدر من مؤسسة المسجد.

وظل القضاء ممارسة شرعية تلتصق بالمسجد مع توالي فترات التاريخ الإسلامي، خاصة في عهد الصحابة رضوان الله عليهم عمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - حيث إنهم كانوا يقضون في المسجد، يقول ابن قدامة المقدسي (ت 682هـ): 'قال مالك: القضاء في المسجد من أمر الناس القديم، وبه قال مالك، وإسحاق، وابن المنذر...، وقال الشعبي: رأيت عمر مستندا إلى القبلة يقضي بين الناس،...، والذمي يجوز دخوله بإذن مسلم، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يجلس في مسجده، مع حاجة الناس إليه للحكومة والفتيا وغير ذلك من حوائجهم، وكان أصحابه يطالب بعضهم بعضا بالحقوق في المسجد، وربما رفعوا أصواتهم' (الشرح الكبير على المقنع: شمس الدين أبو الفرج ابن قدامة المقدسي، كتاب القضاء، باب أدب القاضي،

ج28/ ص338، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة هجر، القاهرة، مصر، ط1، 1415هـ / 1995م).

أما عن الصلح بين المتخاصمين؛ فالمسجد هو الفضاء الإيجابي اللائق لممارسة هذا العمل الإيجابي، نظرا لوجود وتهيئة جو المحبة والصفاء عقب التزود من العبادات التي تؤدي به، والعمل بالمواعظ التي تسمع في أرجائه، وهذا تطبيق عملي لقوله عز وجل: "اٰتْلُ مَا اُوْحِيَ اِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَاَقِمِ الصَّلَاةَ اِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللّٰهِ اَكْبَرُ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُوْنَ" (سورة العنكبوت: الآية 45).

ومن نماذج الممارسة النبوية للصلح بين المتخاصمين أو المتنازعين - خاصة فيما يتعلق بحقوق الغير - نجد تدخله صلى الله عليه وسلم للفصل في النزاعات المادية المتعلقة بالدين، وذلك لأن هذا التدخل يندرج ضمن وظيفة الإصلاح بين الناس؛ والتي تتولى مهامها مؤسسة المسجد التفاعلي ضمن خدمات مجالها الاجتماعي، فروي عن كعب ((أَنَّهُ تَقَاضَىٰ¹ ابْنُ أَبِي حَدَرٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ² حُجْرَتِهِ، فَنَادَى: «يَا كَعْبُ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا» وَأَوْمَأَ³ إِلَيْهِ: أَيِ الشَّطْرِ، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فُؤْمَ فَاْفَضِهِ»)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب التقاضي والملازمة في المسجد، رقم: 457، ج1/ ص99].

لقد ساهمت المؤسسة المسجدية في فضّ النزاعات والخصومات على الأرض، كما نجحت في التحكيم الرزين بين المتنازعين في القبيلة والتدخل لرفع مظلمة أو دفع مضرة على فرد أو جماعة، فضبطت بذلك النظام العام وشكلت مركزا لوحدة القبيلة، وأصبحت مع مرور الزمن معلما يلتف حوله رجال القرية، وتدور عليه حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية (مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي - المساجد والكنائس -/ذ. بلال ريم، ص183).

¹ طلب الوفاء بالدين.

² ستر الحجرة.

³ أشار.

ولعل السر وراء تأثير هذه المؤسسة في حلّ هذه المشاكل الاجتماعية هو وجود فناعة مبدئية ترتبط أساسا باستشعار قدسية المكان وهيئته، وبالتالي يستحيي المتنازع الذي يمثّل أمام هذا المشهد ألا يخضع لسلطة الموقف، ويستبعد منه ألا يدعن إلى ما يُفصل به النزاع من طرف هذه المؤسسة.

ومن نماذج إسهام المؤسسة المسجدية في حلّ المشاكل الاجتماعية تدخلها المباشر في قضايا الخلاف بين الزوجين عندما يصل الأمر إلى موقف شائك ومستفحل، كما هو الشأن في حدث الملاعنة والذي جرى في العهد النبوي بالمسجد، فعن سهل بن سعد أنّ رجلاً قال: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيْقُتْلُهُ؟ فَتَلَاعَنَا¹ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنَا شَاهِدٌ)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب القضاء واللعان في المسجد بين الرجال والنساء، رقم: 423، ج1/ص92]، حيث يستنبط من هذا الحديث أن هذا الحل المسجدي عن طريق اللعان كان سببا في حقن الدماء وحماية الأنفس والأعراض، ونجد في رواية أخرى تحديدا للمكان الذي جرى فيه اللعان بالمسجد: ((فَلَا عَن بَيْنَهُمَا بَعْدَ الْعَصْرِ عِنْدَ الْمِنْبَرِ عَلَى حَمْلٍ)) [السنن الكبرى: البيهقي (ت458هـ)، كتاب اللعان، باب أين يكون اللعان، رقم: 15306، ج7، ص653]، ولعل هذا الاختيار النبوي في موضع اللعان لم يكن من عبث، بل ليقع موقعه المؤثر في النفوس، يقول الدكتور عبد الرحمان العصيمي: 'وهو مكان له قيمته وقدره عند المسلمين، وهذا دليل على مشروعية تغليظ اللعان مكانا، ولا يتأتى اللعان في أي ديانة إلا بأن يحدث في المكان المعظم عندها، والمعظم عند غير المسلمين هو معبدهم، فإن كانت يهودية فملاعنتها في بيعتها، وإن كانت نصرانية ففي كنيستها وهكذا' (أحكام المعابد: عبد الرحمان العصيمي، ص176/177).

وفي إطار نفس العامل المؤثر ضمن علاقة المرأة بمؤسسة المسجد، يروى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَلْيُخْرِجَنَّ تَفَلَاتٍ²)) [مسند الإمام أحمد (ت241هـ): مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم: 10143، ج16/ص133]، أي: الصفة التي يترتب عليها فتنة أو إغراء، وفي هذا يقول محمد علي آدم الإثيوبي: 'ويلحق بالطيب ما في معناه؛ لأن سبب المنع منه ما فيه من تحريك داعية الشهوة، كحسن الملبس، والحلي الذي يظهر، والزينة الفاخرة، وكذا الاختلاط بالرجال، وفرق كثير من الفقهاء المالكية، وغيرهم بين الشابة وغيرها...؛ لأنها

¹ التلاعن أن يخلف الزوج خمسة أيمان على صدق مدعاه بقذف زوجته بالزنا وتحلف الزوجة خمسة أيمان على تكذيبه وأنها بريئة مما رماها به.

² تفلّات: غير متطيبات (الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم: محمد الأمين الهرزي الشافعي، ج22/ص400، دار طوق النجاة، ط1، 1430هـ/2009م).

إذا عريت مما ذكر، وكانت مستترة حصل الأمن عليها، ولا سيما إذا كان ذلك بالليل' (ذخيرة العقبى في شرح المجتبى: محمد علي آدم، ج8/ص648، دار آل بروم، بدون بلد ولا تاريخ الطبع).

وفي رواية أخرى عَنِ ابْنِ عُمرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ الْمَسَاجِدَ، وَيُؤْتِيَهُنَّ خَيْرٌ لَّهُنَّ)) [صحيح ابن خزيمة (ت311هـ): كتاب الإمامة في الصلاة، باب اختيار صلاة المرأة في بيتها على صلاتها في المسجد، رقم: 1683، ج2/ص813].

إن هذه الأحاديث صريحة الدلالة على حق المرأة في الذهاب إلى المسجد وممارسة أنشطتها التعبدية فيه، وليس لأحد الحق في منعها، مادامت تخرج إليه في الهيئة المحتشمة التي أُمِرت بها عند الخروج من بيتها، مع أن الأحاديث تبين المقارنة في الأجر والأفضلية في مكان الأداء، وأن ذلك يحصل بأداء صلاتها في بيتها، وينبغي النظر إلى هذه الأحاديث في مجموعها من أجل اكتشاف السر وراء تشريع هذا الحكم وتقرير هذه الأفضلية، ولعل ذلك ينكشف بإمعان النظر في الرواية الثانية للحديث وبالضبط في العبارة (وليخرجن تغلات)، حيث يظهر أن السر وراء ذلك هو الحرص كل الحرص على حفظ حياء المرأة وحشمتها وكمال حجابها الشرعي، والحيلولة دون وقوعها في مواطن الريية والاختلاط؛ مما قد يفضي بها إلى الاقتراب من موارد الفاحشة والوقوع في العلاقات المحرمة، فقد شكل الاستثناء في مجموع هذه النصوص ترسيخ مبدأ الحماية والصون والاحتياط؛ مما قد يفضي إليه خروج المرأة لهذا المكان دون قيود أو ضوابط من فتن وتبرج، مما قد يفسد ما تصبو إليه المؤسسة من تربية وتهذيب للنفوس على القيم والعفاف، ولم تأت هذه النصوص لترسخ أبدا مبدأ المنع في ظل وجود حق مكفول مضمون لا ينازع في شأنه.

ويتأكد مقصد المنع من خلال التأمل فيما روي عن زينب امرأة عبد الله قالت: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا شَهِدْتُ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلَا تَمَسِّي طَبِيًّا)) [صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا ترج مطيبة، رقم: 443، ج1/ص328].

ويؤكد هذا الاحتياط اللازم ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في توضيح الهيئة المنتظمة للصفوف بين الرجال والنساء داخل فضاء المسجد وما ينبغي أن تكون عليه من حيث انتظام وتراص الجنسين، حيث يروى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا)) [صحيح مسلم (ت261هـ): كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، رقم: 440، ج1/ص326]، كما يفصح هذا الحديث مع غيره من أحاديث الفصل بين الجنسين على أن النساء كنَّ يصلين مع الرجال دون حاجز أو فاصل، فجاء الاحتياط

من الشرع بما يكفل جو الحشمة والوقار داخل أجواء العبادة وأماكنها؛ إذ إن الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم.

ولعل تبويب البخاري بقوله 'باب نوم المرأة في المسجد' صريح في بيان قوة العلاقة التي ينبغي أن تربط بين مؤسسة المسجد والمرأة، فالتأمل في هذه الصيغة يستشف منها أنه ليس هناك فقط بيان للجواز أو عدم الحرج، بل الأمر يتعدى هذا الحدّ، لأنه لو كان الأمر كذلك لكانت الصيغة: (باب المرأة في المسجد) انطلاقاً من عمق فقه البخاري في تراجمه، فلفظ النوم مؤشّر على قوة الحضور والتمكن وأن لها حظاً في مؤسسة المسجد على غرار ما للرجل فيه من حظ، وذكر حديثاً موقوفاً عن عائشة، ((أن وليدة كانت سوداء لحي من العرب، فأعتقوها، فكانت معهم، قالت: فخرجت صبية لهم عليها وشاح أحمر من سيور، قالت: فوضعتة -أو وقع منها- فمرت به خديّة وهو ملقى، فحسبته لحماً فخطفته، قالت: فالتمسوه، فلم يجدوه، قالت: فاتهموني به، قالت: فطفقوا يفتشون حتى فتشوا قبلها، قالت: والله إني لقائمة معهم، إذ مرت الحدياء فألقته، قالت: فوقع بينهم، قالت: فقلت هذا الذي اتهمتموني به، زعمتم وأنا منه بريئة، وهو ذا هو، قالت: «فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت»، قالت عائشة: «فكان لها خباء في المسجد -أو حفش» قالت: فكانت تأتيني فتحدث عندي، قالت: فلا تجلس عندي مجلساً، إلا قالت:

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا ... ألا إنه من بلدة الكفر أنجاني

قالت عائشة: فقلت لها ما شأنك، لا تقعدين معي مقعداً إلا قلت هذا؟ قالت: فحدثتني بهذا الحديث¹ (صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب نوم المرأة في المسجد، رقم: 439، ج 1/ ص 95)، فقد كانت المرأة ركيزة أساساً من ركائز المسجد، حاضرة فيه على الدوام، ورغم أن الشرع لم يوجب حضور الجماعة على النساء، إلا أنهن كنّ يحرصن على حسن الصلة بالمؤسسة المسجدية، بل حتى في الأوقات التي قد يشق فيها عن البعض من الرجال حضورها كما هو الشأن في صلاة الصبح؛ مما يظهر علو الهمة الاجتهادية التي

¹ وليدة أي: أمة، جارية-الخباء: الخيمة.

الوشاح: خيطان من لؤلؤ يخالف بينهما وتتوشح به المرأة وقيل ينسج من أديم عريضا ويرصع باللؤلؤ وتشده المرأة بين عاتقها وكشحتها وعن الفارسي لا يسمى وشاحاً حتى يكون منظوماً بلؤلؤ وودع انتهى وقولها في الحديث من سيور يدل على أنه كان من جلد وقولها بعد فحسبته لحماً لا ينفي كونه مرضعاً لأن بياض اللؤلؤ على حمرة الجلد يصير كاللحم السمين.

خديّة: تصغير خداة بالهمز بوزن عنبة، ويجوز فتح أوله، وهي: الطائر المعروف المأذون في قتله في الحل والحرم (فتح الباري: ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، ج 1/ ص 534، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ).

كانت تتمتع بها النساء آنذاك، وأقف هنا مرة أخرى مع تبويب الإمام البخاري في هذا الصدد، إذ يقول: باب سرعة انصراف النساء من الصبح وقلة مقامهن في المسجد، حيث يفيد هذا الكلام أن العبادة المسجدية تتوخي حسن التربية وإقامة العلاقة المضبوطة بين الجنسين، بما يحقق الاحترام ويحفظ النفوس من الوسوس والشبهات، ويستدل الإمام البخاري للباب بما روي عن عائشة رضي الله عنها: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الصُّبْحَ بَغْلَسٍ، فَيَنْصَرِفُ¹ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَعْرِفْنَ مِنَ الْغَلَسِ - أَوْ لَا يَعْرِفُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا -)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب سرعة انصراف النساء من الصبح وقلة مقامهن، رقم: 873، ج 1/ ص 173]، وفي رواية أخرى عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ: قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ، وَيَمْكُثُ هُوَ فِي مَقَامِهِ يَسِيرًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ))، قَالَ: نَرَى - وَاللَّهِ أَغْلَمُ - أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِكَيْ يَنْصَرِفَ النِّسَاءُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ)) [صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب صلاة النساء خلف الرجال، رقم: 870، ج 1/ ص 173].

لقد تميز حضور المرأة في الأحداث والأنشطة المسجدية بالشمولية من حيث المساجد المتوفرة في العهد النبوي، إذ لم يكن حضورها مقصوراً على المسجد النبوي حتى لا يقول أحد: إن لهذا الحضور غاية تشريعية محضة، بل قررت شمولية حضورها في سائر المساجد الموجودة حينذاك أن الغاية من هذا الحضور غاية عملية سلوكية تطبيقية، ولعلني أستشهد في هذا المقام بما ذكره الأستاذ عبد العالي المعكول في شأن حادث تحويل القبلة (مؤسسة المسجد - الرسالة الاجتماعية والوظيفة الحضارية - ص 105) حيث ذكر حديث ابن عمر قال: ((بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنًا، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة ومن لم ير الإعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة، رقم: 403، ج 1/ ص 89] ووجه الدلالة في هذا الحديث على وجود النساء في غير المسجد النبوي ومشاركتهم في الحدث أن المكان هو مسجد قباء والذي يؤكد وجود النساء به ما ذكره الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث: 'ووقع بيان كيفية التحول في حديث ثويلة بنت أسلم عند ابن أبي حاتم، وقد ذكرت بعضه قريباً، وقالت فيه: فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء، فصلينا السجدين الباقيتين إلى البيت الحرام' (فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، ج 1/ ص 506-507).

¹ إثبات نون النسوة في الفعلين مع وجود الفاعل الظاهر لغة من لغات العرب (تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري على نفس الحديث).

هذا وإن شمولية حضور المرأة في الأنشطة والأحداث المسجدية يتعدى عنصر المكان إلى نوعية هذه الأنشطة، حيث إن كثافة الحضور لم تكن مقصورة على الصلوات التي تؤدي فيه، بل كانت النساء تسجلن حضوراً بارزاً في أنشطة العلم التي تحتضنها المؤسسة المسجدية، وينافسن الرجال في ذلك مؤكداً علو الهمة التي حظين بها، ومن الأدلة على هذا الأمر ما روي عن أبي سعيدٍ وأبي هريرة ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَ لَهُ النَّسَاءُ: اجْعَلْ لَنَا يَوْمًا كَمَا جَعَلْتَهُ لِلرِّجَالِ، قَالَ: فَجَاءَ إِلَى النَّسَاءِ، فَوَعَّظَهُنَّ، وَعَلَّمَهُنَّ، وَأَمَرَهُنَّ)) [مصنف ابن أبي شيبة (235هـ): كتاب الجنائز، باب في ثواب الولد يقدمه للرجل، رقم: 11876، ج3/ص35].

كما سجلت المرأة حضورها في المناسبات المسجدية التي كان الغرض من ورائها تحصيل أمن المسلمين وتهدئة روعهم إزاء بعض الظواهر الكونية التي قد تسبب نوعاً من الخوف في النفوس، كما هو الشأن مثلاً في حدث الكسوف، فقد بوب البخاري باباً بعنوان: باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف، ويستدل لهذه المشاركة النسائية في الحدث بما روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، أنها قالت: ((أَتَيْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يُصَلُّونَ وَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ تُصَلِّي، فَقُلْتُ: مَا لِلنَّاسِ، فَأَشَارَتْ يَدَهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَقُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ: أَيْ نَعَمْ، قَالَتْ: فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّانِي الْغَشِيُّ، فَجَعَلْتُ أَصْبُ فَوْقَ رَأْسِي الْمَاءَ، ...)) [صحيح البخاري: كتاب أبواب الكسوف، باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف، رقم: 1053، ج2/ص37].

وكأني بهذه الأحاديث التي أسوقها في معرض الشواهد تتداخل فيها العناصر الفرعية الأخرى من مساواة وأمن وحل لمشاكل اجتماعية على غرار ما سبق في أحاديث القضاء واللعان في المسجد، مما يؤكد أن أمر تجمع هذا الرباعي تحت هذا العامل المؤثر المتعلق بالمسجد وحاجيات المجتمع المدني ليس بالصدفة، فرغم أنني أحاول تحليل كل عنصر على حدة بمفرده إلا أنني أجد نفسي تلقائياً أمام تداخل غير مقصود مع نفس العناصر الفرعية الأخرى التي تتفق وتنسجم مع ما أقوم بتحليله.

وإذا ذكرت المناسبات والأفراح التي يعيشها المسلمون؛ فإنه على رأس ذلك نجد الاحتفال بالعيدين اللذين جاء بهما الشرع، حيث من سنن المصلى في أداء شعائرها اصطحاب النساء على اختلاف أعمارهن وأحوالهن العائلية وعلى اختلاف أحوالهن من حيض أو طهر، مما يظهر عمق تكريم الشرع لهذه المرأة وحرصه

على إشراكها الفرحة ومشاهد الخير التي يعيش أجواءها الرجال في ذلك الموقف، وبالتالي فهي شريكة الرجل في اقتسام مشاعر هذه الأجواء العيادية المتعلقة بالمصلى أو المسجد، اقترانا بهذه المناسبة، ولعلني أستدل في هذا المقام بما روي عن حفصة بنت سيرين، قالت: كنا نمنع جوارينا أن يخرجن يوم العيد، فجاءت امرأة، فنزلت قصر بني خلف، فأتيتهما، فحدثت أن زوج أختها غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشرة غزوة، فكانت أختها معه في ست غزوات، فقالت: فكنا نقوم على المرضى، ونداوي الكلى¹، فقالت: يا رسول الله، أعلى إحدانا بأس إذا لم يكن لها جلباب أن لا تخرج؟ فقال: ((لَيْسَ لَهَا صَاحِبُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا، فَلَيْشْهَدَنَّ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُؤْمِنِينَ)) قالت حفصة: فلما قدمت أم عطية أتيتهما فسألتهما: أسمعتم في كذا وكذا؟ قالت: نعم بأبي، وقلما ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم إلا قالت: بأبي قال: ((لِيُخْرِجِ الْعَوَاتِقُ ذَوَاتُ الْخُدُورِ - أَوْ قَالَ: الْعَوَاتِقُ وَذَوَاتُ الْخُدُورِ، شَكَّ أَيُّوبُ - وَالْحَيْضُ، وَيَعْتَزِلُ الْحَيْضُ الْمُصَلَّى، وَلَيْشْهَدَنَّ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُؤْمِنِينَ، قالت: فقلت لها: الحيض؟ قالت: نعم، أليس الحائض تشهد عرفات، وتشهد كذا، وتشهد كذا؟)) [صحيح البخاري: كتاب أبواب العيدين، باب إذا لم يكن لها جلباب في العيد، رقم: 980، ج2 ص22]، فأخر الحديث تأكيد على الحرص من أجل شهود النساء ومواكبتهن للمناسبات والأحداث الاجتماعية الهامة التي تعرفها الأمة.

ونجد أن هناك توسعا بالمذهب المالكي في الترخيص للنساء من أجل شهود الجنازة صلاة وتشيعا، فقد ذكر سحنون عن ابن قاسم (191هـ) في المدونة الكبرى من أجوبة مالك (ت179هـ) ما نصّه: 'قلت: هل يصلين النساء على الجنائز في قول مالك؟ قال: نعم. قلت: هل كان مالك يوسع للنساء أن يخرجن مع الجنائز؟ قال: نعم، قال مالك: لا بأس أن تشيع المرأة جنازة ولدها ووالدها ومثل زوجها وأخيها وأختها، إذا كان ذلك مما يعرف أنه يخرج مثلها على مثله، قال فقلت: وإن كانت شابة؟ قال: نعم وإن كانت شابة، قال: فقلت له: فنكره لها أن تخرج على غير هؤلاء ممن لا ينكرها الخروج عليهم من قرابتها؟ قال: نعم، قلت له: تصلي النساء على الرجل إذا مات معهن وليس معهن رجل؟

¹ الجرحى والمصابين والمعطوبين.

قال: نعم، ولا تؤمهن واحدة منهن وليصلين واحدة وأذاذا وليكن صفوفا' (المدونة الكبرى لمالك بن أنس: باب خروج النساء وصلاتهن على الجنائز، ج 1/ ص 262-263).

إن الفقهاء في هذا الأمر المتعلق بالمرأة والمسجد طرفان بين متشدد ومتساهل، والحق الذي عليه الأدلة التي سبقت هو التوسط بين عدم حرمان المرأة من هذا الحق وعدم التساهل في استحضار القيود والعمل بها في ذلك، [بل قد أدى تشديد الفقهاء في منع النساء من المساجد والمجامع عن الدروس إلى أن أصبحن في جهالة، وكل ذلك من شؤم مخالفة الأمر النبوي وما كان هديه معهن] (إصلاح المساجد من البدع والعوائد: محمد جمال الدين القاسمي (ت 1332هـ)، ص 224، تعليق وتخرّيج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط 5، 1403هـ / 1983م).

ولعل من آثار هذا التشديد أن كان من التقاليد السائدة في بعض مناطق المغرب خلال الأزمنة المتقدمة أن يتم تشييد المساجد دون تخصيص مكان للنساء من أجل الصلاة، فقد ورد في كتاب (خصوصيات معمار المساجد بالمملكة المغربية): 'لم تكن هذه القاعات موجودة في الأصل بمساجد إقليم طاطا، مما يدل على أن التقاليد لم تكن تسمح للنساء بارتداد المساجد لأداء الصلوات مع الجماعة، ولتمكينهن من أداء هذا الركن؛ أصبحن الآن يحضرن الصلاة بمعزل عن الرجال في أماكن مخصصة لهن، وذلك طبقا لمقتضيات الشريعة الإسلامية، هذه القاعات التي تتواجد بالجزء الخلفي من المسجد تعتبر حديثة، فقد عمد السكان إلى بناء جدار على طول صف العقود الموجودة بمؤخرة قاعة الصلاة، لعزل جزء من البلاط الأخير وتحويله إلى قاعة للصلاة للنساء، وفي حالات أخرى ... خصصت مساجد بأكملها للنساء بعدما ضاقت بأعداد الرجال المتزايدة' (خصوصيات معمار المساجد بالمملكة المغربية: أعمال ندوة نظمت بالرباط، ص 86، المغرب، 2007م).

يتبين إذن أنه قد حصل تحول كبير وطفرة نوعية في علاقة المؤسسة المسجدية بالمرأة في هذا المكان، وقد يكون هذا التحول تبعا للمراجعة النقدية النابعة من الرؤية الشرعية التي تؤصل للقضية واستحضارا للمقاصد الشرعية التي تحيط بهذا الأمر، كما يمكن أن يكون هذا التحول تبعا للمعطى الإحصائي الديموغرافي المتعلق بتزايد أعداد النساء، وبالتالي ولا بد أن يكون منهن من تؤم المسجد لعبادة أو تعلم أو تربية ... ويمكن أن يكون التحول كذلك ليس إلا مستجدا ثقافيا من ضمن مستجدات التقاليد التي تعرفها المنطقة على غرار التحولات التقليدية التي تشهدها باقي المناطق من المغرب نظرا لعدة اعتبارات أو تأثرا بعدة عوامل.

تؤكد في هذا الزمان الحاجة الملحة بالنسبة للمرأة إلى العطاء المسجدي وانخراطه البارز في حياتها، لتحصن المرأة إيمانها وتربويا ضد خطر الفتن التي تعرض على القلوب والأسماع فتفتك بها فتكا، يقول محمد جمال الدين القاسمي (ت 1332هـ): 'وما أحوج النساء الآن إلى واعظ سيما وقد انتشرت فيهن البدع والمنكرات

واعتقاد الخرافات والأضاليل ومخالفة الأزواج وما لا يخص من المحذورات' (إصلاح المساجد من البدع والعوائد: محمد جمال الدين القاسمي، ص224).

إن الناظر في واقع تطورات مساجد المغرب يدرك تطورا ملحوظا في الجوانب التفاعلية لمؤسسة المسجد مع المرأة، بل إنه قد أضحي للمرأة أثر بالغ الأهمية في النهوض برسالة المسجد وأعبائه الوظيفية، بل كانت لها اليد الطولى في نشأة المسجد وبنائه من أصله في مناسبات عدة، كما ذكر المؤرخ الناصري في شأن مسعودة أم المنصور: 'كانت الحرة مسعودة أم المنصور وهي بنت الشيخ الأجل أبي العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتي الورزاتي من الصالحات، حريصة على اقتناء المفاخر، رغبة في فعل الخير، قال في المنتقى وهي التي أنشأت المسجد الجامع بحومة باب دكالة داخل مدينة مراكش ووقفت عليه أوقافا عظيمة وكان ذلك سنة خمس وتسعين وتسعمائة' (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: شهاب الدين الناصري السلاوي (ت1315هـ)، ج5/ ص117، تحقيق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، بدون طبعة ولا سنة). ويشهد التاريخ لإسهام فعال للمرأة في مؤسسة المسجد في النشاط العلمي تعلما وتعلما، خاصة وأن تواصل المرأة مع المرأة أبلغ وأدعى للتحويل والإفادة، لكون المباشرة في التلقين تسهل عملية الاستيعاب، وتشجع على الانتباه وعدم شرود الذهن، ومن النماذج التاريخية المزدهرة في هذا الصدد ما يؤثر عن تاريخ مدينة القيروان وأثر النساء في إحياء الثروة العلمية بها، يقول مكي بن نسيب السباعي: 'وقد أشار أحمد فكري¹ إلى هذه الظاهرة قائلا: ولم يمس على مسجد عقبة وقت طويل في مدينة القيروان حتى صار جامعة إسلامية، ولم تكن قاصرة على الرجال فقط، بل كان للنساء حظ فيها، فحين كان سحنون وأسد يدرسان فيه، كانت خديجة بنت سحنون تدرس بالجانب اليساري بالجامع للنساء، وكانت فاطمة بنت أسد تدرس بنفس الجانب للنساء فقط' (مكتبات المساجد-دراسة تاريخية:- مكي بن نسيب السباعي، ص111، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ/ 2006م)².

وتطورت فكرة تدريس العنصر النسوي بالمساجد إلى أن تم الاهتمام بها وتحسين هيكلية وتجهيز أجزائها والعمل على مؤسسة هذا النشاط تحت الغطاء المؤسساتي الأكبر لمؤسسة المسجد، من ذلك ما يذكر في هذا الصدد عن مسجد ابن يوسف في مراكش، حيث يقول الدكتور محمد السعيد: 'وإلى جوار المسجد أنشئ

¹ أشار صاحب الكتاب المقتبس منه إلى أن كلام أحمد فكري مأخوذ من (نشأة الفن 516/ 519)، لكنني بذلت جهدي فلم أعثر على هذا الكتاب، لأتجنب النقل بالواسطة.

² بذلت جهدي في البحث عن الكتاب الأصلي الذي تم إليه العزو وهو كتاب نشأة الفن تجنبا لاستعمال الوساطة في الإحالة والتي تعتبر من معاييب البحث العلمي، فلم أحصل في ذلك على شيء، فقممت بالنقل عن طريق الوساطة لأن استعمالها هنا في هذا المقام هو استعمال ضرورة ليس إلا.

معهد للفتيات يطبق نفس المناهج المقررة في مختلف مراحل الدراسة بالكلية، زود البلاد بأفواج من العالمات والشواعر والمثقفات اللائي تشغلن اليوم مناصب مرموقة بمختلف القطاعات' (مقال: مسجد ابن يوسف وإشعاعه العلمي والثقافي / محمد السعيد، ص131).

وأهم مظهر معاصر من مظاهر تميز المرأة وبروزها في النشاط التعليمي لمؤسسة المسجد التفاعلي هو نشاط محاربة الأمية، إذ يلاحظ أن هناك جهودا حثيثة تبذل في هذا المضمار على المستوى البشري وعلى المستوى المادّي من طرف الجهات الوصية على هذا القطاع، وقد تمخض عن هذه الجهود ظهور نتائج ميدانية مشرفة رغم ما يوجد من صعوبات تواجه المباشرة لهذه العملية، ويحسن بي في هذا المقام أن أسوق بعضا من الشهادات الميدانية التي تثبت التقييم الإيجابي لهذه الجهود وهذه النتائج:

- امرأة اسمها فاطمة تستفيد من دروس محاربة الأمية في المساجد بمدينة الدار البيضاء تقول: 'عائلة زوجي من النساء كلهن متعلّقات شعرت بينهن أن كل شيء على ما يرام، إلا أنه ينقصني شيء واحد وهو أن أتعلم أنا أيضا، وبعدها تعلمت الآن والحمد لله في المسجد أصبحت أرى أن العقدة قد انحلت بالنسبة لي وأني صرت مثلن تماما، بل إنني أحفظ الآن ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم' (مقال: محو الأمية في المساجد عملية رائدة/ ذة زبيدة هرماس، ص155، مجلة التذكرة: المجلس العلمي المحلي للدار البيضاء الكبرى، العدد 4/3، 1426هـ/ 2005م).

إن هذه الشهادة الميدانية تثبت أن النشاط التعليمي للمرأة بالفضاء المسجدي عن طريق محاربة الأمية يسهم في خدمة كتاب الله تعالى تعلما وحفظا وفهما، وبالتالي تظهر جليا المقصدية التعبدية للممارسة التعليمية للمرأة من خلال مؤسسة المسجد، كما يظهر وجود تكامل بين الأنشطة التعليمية المسجدية، فهي تسهم في تطوير الجانب التعبدي عند المرأة؛ كما أنها تطور من مستوى تثقيفها وتواصلها وتفاعلها مع محيطها الخارجي بكل مكوناته.

- السيدة زهرة مستفيدة أخرى تنوه بزوجه الذي وافق على ذهابها وتشجيعها تقول: 'أنا مرتاحة والحمد لله، رتبت برنامج يومي أنفض باكرا وأقضي ما يلزمني في بيتي من أشغال، وأرى أن زوجي مسرور بهذا الأمر بل يرافقني إلى المسجد ويجعل سيارته في خدمتي، وقد أدخل هذا سرورا عظيما على أسرتي' (مقال: محو الأمية في المساجد عملية رائدة/ ذة زبيدة هرماس، ص156).

تفيدنا أيضا هذه الشهادة الميدانية في بيان حسن التخطيط والبرمجة والتنظيم بخصوص علاقة المرأة بمؤسسة المسجد، بالإضافة إلى دحض الشبهة التي مفادها أن انخراط المرأة في أنشطة المؤسسة المسجدية يضعف اهتمامها بمسؤوليات بيتها، فالأمر كله مردّه إلى حسن التنظيم وترتيب المهام والأولويات، وكم من النساء من

ليست لمن أية علاقة بأنشطة مؤسسة المسجد؛ ومع ذلك ليس لمن نظام ولا ترتيب في هذه الحياة بل العبث هو الصفة الملازمة لسائر شؤون حياتهن في البيت وخارجه.

- سيدة أخرى تدعى فاطمة، فقد أصرت حماها في انسجام غريب معها أن تقنع ابنها أن يتركها تذهب لتتعلم، وصادف الأمر أن انتقل سكنها إلى مكان بعيد، وأصبح زوجها هو الحريص على إرسالها إلى المسجد وهو الذي يمدّها بثمان المواصلات، والآن تعلمت أنا وحماي، تضيف وهي منشرحة الوجه (مقال: نحو الأمية في المساجد عملية رائدة/ ذة زبيدة هرماس، ص156).

أي أن انخراط المرأة في النشاط التعليمي لمؤسسة المسجد يتطلب تعاوناً أسرياً وتفهماً من طرف الزوج لسمو ونبل الغاية التي تتعلم من أجلها زوجته، فيؤدي به ذلك إلى تقدير هذا العمل التضحية من أجله مادياً ومعنوياً؛ نظراً لما ينتج عنه من خير وفضل كبير.

وينبغي للمرأة في إطار مشاركتها وانخراطها الإيجابي في أنشطة مؤسسة المسجد من محاربة للأمية وغيرها أن تلتزم بحزمة المكان وما يقتضيه من أدب وتربية، لأن ذلك هو الغاية المتوخاة من هذه المشاركة، وألا تكون مشاركتها تلك مدعاة وذريعة إلى التنافس المذموم مع قريناتهن من النساء حول الأمور التي لا نفع من ورائها، أو الخوض في الأمور التي هي من قبيل الفضول ومفاسد اللسان، يقول الأستاذ خير الدين وائلي في هذا الصدد: 'وقد يحدث التشويش من قبل النساء اللاتي يصلين في بعض المساجد خلف ستارة، ويكثرن من اللغط وتداول الأحاديث للتسلية، بل قد يكون في هذه الأحاديث ما هو غيبة أو نسيمة؛ فليحذر النساء مثل هذا التشويش' (المسجد في الإسلام: خير الدين وائلي، ص91).

ويأتي المجال الفرعي الرابع والأخير في اندراجه تحت هذا العامل محملاً بحمولة حضارية؛ من خلال إثارته للقضايا الآتية: بناء الحضارة وإشعاعه فيها، المقارنة بدور العبادة الأخرى، القضايا الإنسانية والبيئية.

يعتبر الحديث عن علاقة المسجد بالحضارة قرين الحديث عن عالمية الرسالة المسجدية؛ باعتبارها وجهاً لعالمية الشريعة، فلما كان الخطاب القرآني خطاباً عالمياً؛ فإن رسالة المسجد جاءت عامة لا تستهدف شريحة دون الشرائح، ولا تستثني في التوجيه أحداً أو فئة دون الباقي، ففي الجانب الإنساني نجد أن المؤسسة المسجدية منذ نشأتها عرفت انفتاحاً على المسلم وغيره، بغية توحيد رؤية صناعة الإنسان، بل عرفت نظرة وتقديراً إيجابيين حتى من غير المسلمين، مما يفضي إلى تأثرهم بما يجري داخل هذه المؤسسة، وقد تقدم في القسم النظري حديث ثمامة وغيره مما هو صريح في جواز دخول غير المسلم لهذه المؤسسة لما علم من المقاصد المتوخاة من هذا الدخول، وأستشهد كذلك بما ورد في تأثير المظهر الحضاري للمسجد بما ذكره عطية صقر: 'ومما يدل على تأثير المظهر بوجه عام في الدعوة ما ذكره "أرنولد" في كتابه "تاريخ الدعوة" إذ يقول: يتحدث سعيد بن الحسن أحد يهود الإسكندرية الذي اعتنق الإسلام سنة 1238م عن مشهد صلاة الجمعة في

مسجد؛ باعتباره عاملا حاسما في تحوله إلى الإسلام فيقول: وعندما دخلت المسجد ورأيت المسلمين يقفون صفوفًا كأنهم الملائكة، سمعت هاتفا يقول: هذه هي الجماعة التي أخبر الأنبياء بقدمها، ولما ظهر الخطيب مرتديا عباءته السوداء استولى علي شعور عميق من الرهبة، ولما بدأت الصلاة أحسست بقوة تدفعني إلى النهوض، لأن صفوف المسلمين بدت أمامي كأنها صفوف الملائكة التي يتجلى الله القدير في سجدهم وركعاتهم، وأيقنت في نفسي أنني خلقت لأكون مسلما، وقال رينان: ما دخلت مسجدا قط دون أن تهزني عاطفة حادة أو عبارة أخرى، دون أن يصيبني أسف محقق على أنني لم أكن مسلما' (الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه: عطية صقر (ت1427هـ)، ص192، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، مصر، 1408هـ/1988م).

فهناك سرّ في الصلاة يجعل لها تأثيرا خارجيا خاصا، وذلك من خلال مشهدها الذي تمتزج فيه مشاعر الجمال والجلال في الآن نفسه، ولا أدل على ذلك من انفعال وردة فعل من أبدوا أحاسيسهم فيما نقلت، حيث هي أحاسيس ملؤها الدهشة والتأثر البليغ، ولعل هذا السر الجمالي الناتج عن تأثير وإشعاع الصلاة في مظهرها الخارجي مناسبة وموافقة للزينة الجمالية المأمور باتخاذها شرعا عند كل مسجد؛ انطلاقا من قول الباري جلّ وعلا: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (سورة الأعراف: الآية 31)، ولا شك أن هذه الآية لها بعد حضاري إنساني رغم أنه ورد تفسيرها بستر العورة تبعا لسبب النزول¹، نظرا لارتباط الزينة بالعنصر الإنساني؛ حيث إن النفوس جميعها تميل إلى تأثير جاذبية عنصر الجمال، ولذلك سمي يوم العيد الذي هو حدث إنساني عام بهذا المظهر الجمالي البارز، كما في قوله تعالى: "قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى" (سورة طه: الآية 59)، ويلاحظ في آية الزينة التي سبقت أنها جاءت بعد قوله تعالى: "وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ" (سورة الأعراف: الآية 29) حيث ليس هناك بينهما فصل إلا بآية واحدة، وذلك أنه لما كانت هذه الآية الأخيرة تشير إلى البعد الروحي الإيماني لمؤسسة المسجد والأخرى تشير إلى البعد الجمالي الحضاري؛ فكأن السر في ذلك هو الإشارة إلى أن الأثر القوي للبعد الروحي لا ينبغي أن يبقى حبيسا وعقيما داخل جدران هذه المؤسسة، بل ينبغي أن تكون له فعالية تنتقل به نحو إظهار البعد الحضاري الذي يشع على الإنسانية كلها، وهذا ما يؤكد أن الرسالة المسجدية حضارية الغايات تنتفع بها الإنسانية على اختلاف مشاربها، وعلى اختلاف اتجاهاتها.

¹ سبق التطرق لذلك وعلاقته بالبعد التواصل في رسالة الماستر، والتي أشرت إليها في غير موضع من هذه الأطروحة.

وفي الجانب المادّي العمراني نجد البنيان المسجدي في شكله العام وشكله التفصيلي ينم عن قوة تخطيطية للعقل المسلم في كيفية تديره للفضاء المؤسساتي للمسجد، بالإضافة إلى حسن تكييفه مع ظروف الحياة العامة للإنسان المسلم.

ونلاحظ مرّة أخرى أنه حدث هنالك تأثر وانبهار بالعمران المسجدي كمظهر حضاري بارز للدولة المسلمة وذلك من طرف غير المسلم، يقول الدكتور حسين مؤنس: 'ولكن عمائرنا الإسلامية التي لم تستوقف انتباه مؤلفينا في الماضي أثارت إعجاب أهل الغرب عندما اتصلوا بنا، وكانت عمارة المساجد والقلاع والبيوت من أهم ما استوقف أنظار رجال الحملة الفرنسية عندما نزلوا مصر، ولهذا فقد خصصوا لها فصولا طويلة من كتابهم الفريد ((وصف مصر)) ففي هذا الكتاب الحافل نجد عشرات التصاوير التي صنعها رجال الحملة للمساجد وغيرها من العمائر التي وجدوها في مصر' (المساجد: حسين مؤنس، ص43)، ويمكن أن نستشف أن الله تعالى يقذف في قلوب المتأملين لمكونات المسجدية المادية شعورا خاصا ملؤه المهابة حيث إن هذه الأماكن حباها الله تعالى بالعظمة والتقديس بما يلقي فيها من ذكر وروحانيات، ولا يخرج عن هذا الأصل إلا من شدّت فطرته وانحرفت سجيته عن الجادة، ولذلك يقول الأستاذ محمد ماجد عباسي خلوصي: 'إن المتأمل في هياكل المساجد القديمة وأشكالها وبيوت صلاتها وعمدها وعقودها ومآذنها، لا يملك إلا أن يشعر بقدسيّتها وما توقعه في النفس البشرية من شعور ديني عميق' (عمارة المساجد-تصميم وطرّاز وعناصر: ماجد عباس خلوصي، ص15/16).

ولعل ما نقله الدكتور حسين مؤنس من فعل رجال الحملة الفرنسية في تأثرهم الحضاري بمشهد المساجد يذكرنا بما يلاحظ حاليا في مدينة الدار البيضاء عند مسجد الحسن الثاني من طرف السياح الأجانب من تأثرهم بهذه المؤسسة ومشهد الحضاري وموقعها الجذاب، حيث نجد الأفواج الكثيرة من هؤلاء السياح يحجون إلى هذه المعلمة مصحوبين بآلات تصويرهم يلتقطون الصور هنا وهناك من شتى المواضع والجنّات المحيطة بالمسجد؛ معبرين عن مدى إعجابهم العميق بالمكونات العمرانية المادية لهذه المؤسسة.

ولما كانت المساجد تحظى بهذه القوة الحضارية؛ فإن التغيرات والاستحداثات العمرانية التي تطرأ على المدن والحواسر مع تطور الأوضاع وتوسيع العمائر لم تكن لتطمس معالم الشهود الحضاري وهويته فيما يتعلق بالمساجد العتيقة، على غرار الأسوار التاريخية للمدينة، لتبقى بذلك شاهدة على العصر ودليلا على أن هذه المعلمة المؤسساتية كانت حاضرة في الكيان المجتمعي وستبقى حاضرة كعنصر ثابت من عناصر الهوية الحضارية للأمة، ولعلني أضرب المثل في هذه القضية بأنموذج المسجد العتيق بالحلي البرتغالي لمدينة الجديدة، فرغم خضوعه لبعض الإصلاحات والترميمات، فإن ذلك لم يكن ليغيّر المعالم الحضارية لهذه المعلمة، فلا يزال شكله الداخلي أصيلا على الشاكلة التي وضع عليها، كما أن صومعته المنفصلة على مصلاه لا تزال كذلك

وفي تركيبها الهندسي الذي يعود تصميمه إلى زمن الحماية والاستعمار البرتغالي للمنطقة، والجدير بالذكر أن هذا النموذج يحظى هو الآخر باهتمام وتأثر بالغين من طرف السياح الأجانب الذين يتقاطرون أعدادا على الحي البرتغالي للمنطقة، فلا يجدون بداً من التقاطهم لصور تذكارية للمسجد¹.

ويتجلى كذلك التفوق الحضاري لمؤسسة المسجد في كونها من المراكز الحساسة التي يراهن عليها في كل إصلاح يُستهدف للنهوض بالواقع المعيش من خلال تقييمه السلبي المرصود، وما ذلك إلا للاحترام الذي تحظى به في نفوس الناس، خاصّة وأن رسالته رسالة شمولية تلامس مجالات الحياة كلها دون استثناء؛ مما يجعلها قادرة على إحداث التغيير الإيجابي المنشود، وذلك إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع، يقول الأستاذ علال البوزيدي: 'إذ المسجد هو المحور والمنطلق لكل دعوة صالحة، وحركة الإصلاح والتنوير والتوعية الحقيقية تنبعث من المسجد، كما أن كل مبادرة إصلاحية وكل حركة تنموية هادفة لخير المجتمع وأفراده ترتبط بالمسجد، لكونه يرتبط ارتباطا وثيقا بكل مجالات الحياة في المجتمع، والدعوة التي تصدر من المسجد مبارك فيها، لأن الداخل إليه والحاضر فيه على صدق وحسن نية' (مقال: المسجد ودوره الفعال في ترسيخ الدعوة/ علال البوزيدي، ص47)، وبالتالي فكثيرا ما يتم الانطلاق من هذه المؤسسة للتصدي ضد العراقيل والحواجز التي تحول دون إصلاح ما في مجال من المجالات الحيوية، ويتخذ ذلك إما شكل الخطب المنبرية في يوم الجمعة، وإما الحملات التوعوية التحسيسية عن طريق دروس الوعظ والإرشاد، رغم ما يلاحظ من تعثر وضعف فاعلية في هذا الشكل الأخير، حيث إن المؤشر الواضح في ذلك هو أن كثيرا من المساجد تفتقر لهذا النشاط.

كما يعتبر الأثر الوظيفي لمؤسسة المسجد في خدمة الحضارة متجليا أساسا في قوة الكثافة الحضورية لها في النسيج اليومي للحياة الإنسانية، لدرجة امتزاج الحياة المهنية بها واقعا ملموسا، ولعل هذا هو السر في كون كثير ممن تعلقت قلوبهم بالمساجد وأنشطتها اتخذوا بالقرب منه أماكن لممارسة حياتهم المهنية، بل منهم من كانت مهنته بجوار المسجد، حتى لا يتعثر تعلقهم بذلك بما يكدر صفو عطائه، ولعلني أستشهد هنا بما يحكى عن بعض أعلام مدينة أسفي وهو [الفقيه محمد بن التهامي لعفو، والذي تلقى دراسته بالمغرب، ثم بعد ذلك قصد مصر لتوسيع معارفه، وعند عودته إلى أسفي؛ اشتغل إلى جانب التجارة في الأثواب بقيسارية المدينة بالتدريس بالمسجد الأعظم، توفي سنة 1323هـ / 1905م] (شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بأسفي: إبراهيم كريدية، ص84).

ثم إن من أهم مظاهر الإشعاع الحضاري لمؤسسة المسجد عبر التاريخ انفتاحها على مختلف العلوم التي تخدم الإنسانية جمعاء، مما أتاح فرصة مهمة لغير المسلمين من الإقبال على ما تنشره من العلم في إطار

¹ يحتوي الملحق المرافق لهذه الأطروحة على صورة ميدانية توثق لهذا المشهد.

بعده الكوني، وبالتالي فإنه كانت ولم تزل -بخلاف الصور النمطية المغلقة التي انطبعت حولها- مؤسسة مفتوحة في وجه الجميع ما دام أنها تبذل من جميع صنوف العلم، ورد في هذا الصدد عن جامع القرويين: 'وتأسست أول جامعة في العالم، وكانت هي جامعة القرويين بفاس من المملكة المغربية، المبتناة سنة 245هـ الموافق 859م، فكانت مركزا للعلوم على اختلاف أنواعها، وتخرج منها العدد العديد من العلماء الأفاضل والشيوخ الأجلاء، وبقيت مركزا للإشعاع الإسلامي ونشر جميع أنواع المعرفة الإنسانية، لا بين المسلمين فحسب، بل كان يقصدها حتى الأجانب المسيحيون، أمثال الراهب (جيرير) الذي تبوأ منصب البابوية وغدا اسمه (سيلفيستر الثاني) و(مليبار) من جامعة لوفان و(كيوليوس) من جامعة لندن، وكل هؤلاء تلقوا كثيرا من معلوماتهم في القرويين، ثم كانوا أساتذة الاستشراق في أوروبا' (مجلة البحوث الإسلامية: مؤتمر رسالة المسجد، ص504).

وإذا انتقلنا إلى محاولة المقارنة بين واقع المساجد وواقع دور العبادة (الكنائس والبيع أنموذجا)، فإن هذه الدور عرفت تحولات وتغيرات جذرية بين الماضي والحاضر، نظرا لعدة عوامل وأسباب، فلو نظرنا إلى عصر النهضة في أوروبا وما شهدته من صراع وقطيعة بين رجال العلم ورجال الكنيسة، لقلنا إن هذه المؤسسة قد سجلت انتكاسة واضحة وتراجعا كبيرا في مواكبة الحراك والتغير الاجتماعي الذي تعرفه البلاد، وبالتالي فإنها لم تكن تؤدي وظائف تسهم في خدمة المجتمع وتلبي حاجيات أفرادها، فأصبح الكل يتسخط ويتدمر إزاء الوضع الذي أصبحت عليه الكنيسة، وما مؤسسة البيعة عنها ببعيد، فكلاهما شبيه في الأطوار والتغيرات، نظرا لوجود مجموعة من القواسم المشتركة بينهما والتي تتعلق أساسا بالجغرافية والتاريخ.

لقد كان للكنيسة في بادئ أمرها نصيب من الاهتمام ببعض مسائل العلم، لما روي عن ابن مسعود قال: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ابْتَعَثَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِدْخَالِ رَجُلٍ إِلَى الْجَنَّةِ، فَدَخَلَ الْكَنِيسَةَ، فَإِذَا هُوَ يَهُودٌ، وَإِذَا يَهُودِيٌّ يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ التَّوْرَةَ، فَلَمَّا أَتَوْا عَلَى صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمْسَكُوا، وَفِي نَاحِيَّتِهَا رَجُلٌ مَرِيضٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا لَكُمْ أَمْسَكْتُمْ؟»، قَالَ الْمَرِيضُ: إِنَّهُمْ أَتَوْا عَلَى صِفَةِ نَبِيِّ، فَأَمْسَكُوا، ثُمَّ جَاءَ الْمَرِيضُ يَحْبُو، حَتَّى أَخَذَ التَّوْرَةَ، فَقَرَأَ حَتَّى أَتَى عَلَى صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّتِهِ، فَقَالَ: هَذِهِ صِفَتُكَ وَصِفَةُ أَمَّتِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «لَوْ أَخَاكُمْ»)) [مسند الإمام أحمد بن حنبل

¹ فيه الأمر لمن كان من المسلمين في حضرته صلى الله عليه وسلم بأن يتولوا أمر ذلك الرجل الذي مات؛ من تجهيز وغيره لأنه قد صار بكلمة الشهادتين أخا لهم [الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني: أحمد محمد البنا الساعاتي (ت1378هـ)، ج1/ص99، دار إحياء التراث العربي، ط2، بدون سنة].

(ت241هـ): مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود، رقم: 3951، ج7/ص64، إسناده ضعيف لانقطاعه، أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه، وبقيّة رجاله ثقات رجال الصحيح غير عطاء بن السائب، فقد روى له البخاري متابعة وأصحاب السنن، وهو صدوق قبل اختلاطه، وصحّحوا سماع حماد بن سلمة منه قبل اختلاطه].

لكن سرعان ما صفدت الكنائس والبيع أبوابها؛ فأصبحت لا تتاح إلا في الاحتفالات واللقاءات الموسمية التي يعقدونها، أو في الأيام المعلومة التي تمارس فيها طقوسهم التعبدية، بل تم تحويل مجموعة من الكنائس المعطلة في ديار المسلمين إلى مساجد؛ لما حظي به المسجد من نشاط وأثر وظيفي بالغ على المستوى الاجتماعي، ولعلني أمثل هنا بأحد المساجد بمدينة الدار البيضاء والذي يرجع أصل تكوينه إلى كنيسة معطلة، يقول الدكتور عبد الهادي أعراب: 'لا ينبغي أن ننسى أيضا أن بعض الجماعات الإسلامية كـ "الدعوة والتبليغ" مثلا، استطاعت أن تجعل من المسجد مركزا قويا لنشاطها الديني والدعوي، فمنذ تأسيس فرعها بالمغرب سنة 1975م، عمدت إلى شراء كنيسة قديمة وتحويلها إلى مسجد يعرف بمسجد النور، وقبل ذلك كان نشاطها يتم داخل مسجد "عين الشق"، وقد تمكنت من خلال هذه المؤسسة الدينية إلى جانب عوامل أخرى أن تضمن لنفسها قاعدة متزايدة، خصوصا في صفوف القرويين والفئات الشعبية بالمتجمع ككل، موجهة استقطابها أيضا لشخصيات وفعاليات دولية وأخرى محلية' (المساجد والتحكم الديني للدولة بالمغرب: عبد الهادي أعراب، ص91).

ويمكن أن نلاحظ كذلك وجود تفاوتات واختلافات منهجية بين الكنائس نفسها أو ما يمكن أن نصطلح عليه بالاختلاف والتفاوت الداخلي، كما في قضية الفصل بين الجنسين في إقامة الحفلات والاجتماعات التي يقومون بها، يقول الدكتور عبد الرحمان العصيمي: 'أحكام المعابد واحدة، فيدخل في حكم البيعة الكنيسة والمدارس وهو بيت عند اليهود يدرسون فيه ويجتمعون فيه وقت عيدهم، وكذا الصومعة وبيت الصنم وبيت النار، وأكثر النصوص ورودا هي في الكنائس، والبيع هي كنائس اليهود، وقيل الصلوات هي معابدهم... وهذه المجمع يمارس فيها نشاطاتهم الدينية يوم السبت، وهناك الكنيس الأصولي الذي يفصل بين الجنسين في جهة الجلوس وهناك المعابد المحافظة أو الإصلاحية، فلا تفصل بين الجنسين ويقام فيها ذبح القرابين وحفلات الزفاف وعقد الاجتماعات لمنظمات مجتمعهم' (أحكام المعابد: عبد الرحمان العصيمي، ص22/27 بتصرف).

وإذا كان المسجد يضطلع بوظائف حيوية نبيلة؛ وهي الوظائف التي افتقدتها الكنيسة وباتت على إثر ذلك محدودة النشاط والأثر؛ من خلال غيابها وعقم خطابها وأسطورية منهجها وفكرها؛ فقد دبّت بعض هذه الفيروسات الكنسية إلى المؤسسة المسجدية، فنخرت في جسدها نخرًا عميقًا، لتراجع في وقت تزدد فيه

الحاجة إلى النشاط الريادي لهذه المؤسسة، حتى تلبى حاجات الفرد والمجتمع وتحقق نهضتهما جميعاً، يبين الأستاذ علي عبد الحليم هذا الواقع فيقول: 'فلو قال أحد: إن المساجد بنيت فقط للصلاة، فإننا نقول إن الصلاة أن يكون الإنسان على ذكر لله وأنها لا تكون على وجهها الصحيح إلا في المسجد، ولكن ما ينبغي أن يقتصر عمله على أن يفتح أبوابه قبيل أوقات الصلوات ثم يغلق بعيداً، إذ الأصل أن يكون المسجد في حياة المسلمين في كل وقت ليسهم في تربيتهم...، ولست أدري تعليلاً لهذا الإغلاق إلا أن يكون تأثيراً بفعل النصارى في الكنائس حيث لا تربية ولا توجيه، بل هي عصاء...، ومن العجب أن أخذت بعض الكنائس أسلوب المسجد في جمع الناس وتوجيههم، فدخلت بذلك في حياة الناس حين تخلّى المسلمون عن هذا الأسلوب بالنسبة للمسجد فلم يعد كما كان في السابق منارة علم وإعداد وتوجيه' (المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي: علي عبد الحليم محمود، ص 98/99 بتصرف).

ندرك إذن من خلال ما تقدم أنه حدث هنالك تبادل تأثير وتأثر بين المسجد والكنيسة من حيث طبيعة النشاط الوظيفي، إلا أن السبق للمؤسسة المسجدية في شمولية وظائفها خاصة في تغطيتها للحاجة الاجتماعية أمر تتفوق فيه على الكنيسة، ولعل الدليل الموضوعي في ذلك هو التاريخ.

ومع ذلك تظل المجتمعات التي توطر تديّنها المؤسسة المسجدية وسطاً يتحقق فيه التوازن¹ بين المادة والروح، وهو التوازن المقرون بالتوجيه الحريص على هذا التحقق؛ وذلك بالمقارنة بالمجتمعات التي تحتضن تديّنها الكنيسة أو البيعة، وهذا ما يؤكد الحاجة الماسة إلى تفعيل مهام وأنشطة مؤسسة المسجد التفاعلي حفاظاً على هذا التوازن، يقول الأستاذ علال البوزيدي: 'في المجتمع الحديث أصبح للمسجد في حياة الناس دور فعال من حيث التوجيه التربوي والإعداد الاجتماعي والوعظ والإرشاد والهدي الديني إلى جانب رسالة المسجد المعهودة في ترسيخ الدعوة الإسلامية وتهذيب أخلاق الناس وتنبيه الغافلين منهم إلى مقتضيات التعاليم الإسلامية التي جاءت في نصوص القرآن والسنة المطهرة، وازداد تعاضد دور المسجد وفعاليته في حياة الناس بالنظر إلى ما أصبحت تتسم به سلوكيات وأخلاقيات بعض الفئات في ظل المجتمعات الحديثة المعاصرة التي أصبحت تكتسحها تيارات وتواجهها تحديات تقحم الناس في صراع دائم بين المادّة والروح' (مقال: المسجد ودوره الفعال في ترسيخ الدعوة/ علال البوزيدي، ص 45).

أما عن علاقة المؤسسة المسجدية بالبيئة وإسهامها في خدمتها، فأرى أن ذلك يتم من خلال مجموعة من النماذج التطبيقية التي يسعى المسجد إلى ترسيخها في ممارسات عملية تحقق الاعتبار والمكانة الرفيعة للبيئة، ومنطلق ذلك أن الإسلام في رسالته دعا إلى حسن التعامل مع مجموعة من المكونات البيئية كما هو الشأن في

¹ على اختلاف درجة قوة هذا التوازن؛ فقد يكون توازناً قوياً وقد يكون ضعيفاً وقد يكون وسطاً بين ذلك.

الأشجار وما يتعلق بها من تشجيع الغرس والتعهد بالاعتناء، والحفاظ على موارد الطبيعة وعلى رأسها الماء من ضرر الإسراف والإفساد والتلوث، مما له أثره في حفظ العمران ودفع شتى أنواع الأذى عنه، يقول محمد أبو الأجفان: 'كانت لأجدادنا تنظيمات للعمران تخص بيئتهم وظروفهم وتحفظ حقوق الجميع :

-يحرم اقتطاع جزء من الطريق يزداد في ملك خاص.

-إذا اتخذت سقيفة لإظلال الناس في الأبواب؛ فلا بد من رفعها حتى لا تصيب رؤوس المارين على الدواب.

-ما تجمع من أوساخ يلقيها أصحاب الحوانيت في وسط السوق وجب عليهم كنسه.

-إذا رفع الجار بناء حتى غطى نافذة جاره ...؛ يمنع من ذلك.

-يمنع السكان من طرح النفايات داخل المدينة، ويمنع أرباب الدواب من ربط دوابهم في الطريق حتى لا تعرقل المرور وتضايق الناس وتساهم في تلوثهم.

-يمنع أن يتخذ الرجل مدبغة للجلد في داره؛ إذا اشتكى جيرانه ضرر رائحته.

-لتجنب ضرر الدخان يشار برفع بنیان مداخن الأفران حتى يبعد عن المنازل المجاورة' (الشرعية الإسلامية وتنظيم العمران: محمد أبو الأجفان، ص 81/ 103 بتصرف، مجلة البحث العلمي، العدد 28، يوليو-دجنبر 1978م).

ثم جاءت مؤسسة المسجد لتؤكد هذه الأسس البيئية؛ إما عن طريق نماذج وممارسات عملية سواء أكانت هذه الممارسات داخلية أو كانت خارجية، وإما عن طريق توظيف خطبها ومواعظها لخدمة هذا الشأن وتقوية الاهتمام به.

فالطريق العملي الأول وفيما يتعلق بالأشجار، فإننا نجد الفقهاء قد تطرقوا لوجودها في المسجد واتخذوا في ذلك موقف وسطية واعتدال، حيث فرقوا بين وضعها في الداخل ووضعها في الخارج، فسمحوا باتخاذها خارج المسجد في محيط الموقع، لكي تسهم في تنقية الجو وتلطيف الهواء حتى يحلو معه التردد على المسجد ذلك أن المسلم الحق يبقى في المسجد لمدة حوالي ثلث ساعة في كل مرة لتأدية الصلاة، ولكي تقوم كذلك هذه الأشجار بحماية الجو من التلوث متعدد الأسباب (المساجد في المدن العربية: المعهد العربي لإنماء المدن، ص 152 بتصرف).

وبالمقابل نصّوا على منع اتخاذ الأشجار، بل تحريم ذلك في داخل صحن المساجد؛ لما تفضي إليه من تحجير وتضييق على المصلين في صفوفهم وجلب النجاسات بسبب ما تلوّثه الطيور التي تسكن الأشجار بذرقها¹ (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص 341).

¹أي: فضلاتها وبرازها.

وذكر الأستاذ حسين مؤنس في بيان مواصفات الطراز المسجدي الصفوي بإيران أنهم يدخلون الحدائق كعناصر أساس في تكوين المجموعة المسجدية (المساجد: حسين مؤنس، ص 87)، وهذا يضيف إلى البعد الهوائي بعدا آخر يتصل اتصالا مباشرا بالبيئة ألا وهو البعد الجمالي، وذلك لأن المقصد من وراء الحفاظ على البيئة هو التمتع بجمالها وحسن منظرها على الهيئة الطبيعية التي خلقها الله عز وجل.

أما فيما يتعلق بالهواء الداخلي لمؤسسة المسجد؛ فهو المكون البيئي الذي يتطلب عناية خاصة لأنه محل ممارسة مختلف الأنشطة المسجدية، وبالتالي، فكل إخلال فيه يعيق ويبعثر هذه الممارسة، ولذلك ينبغي الاهتمام بتلطيفه وتكييفه مع المناخ العام للمنطقة التي يوجد فيها المسجد، ولا شك أن هذه العناية البيئية لا تتم من فراغ، بل تتطلب من الوسائل المادية والمعدات التجهيزية ما يسهم في إنجاحها بشكل جيد، يقول الأستاذ ناجي محمد الأنصاري في شأن التكييف الهوائي بالمسجد النبوي: 'تلطيف الجو من خلال ما يصل من الهواء البارد عبر الفتحات المعدة بإحكام في قواعد أعمدة الدور الأرضي، وقد أنشئ لهذا الغرض مبنى جُهِزَ بالمبردات خارج الخدمات، تمتد في أنابيب عبر النفق ليتم توزيعها على مئة وأربع وأربعين وحدة تلطيف، لتغذية مناطق الصلاة بالهواء البارد' (عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف: ناجي محمد حسن الأنصاري، ص 248).

وهذا ما ينبغي مراعاته في المناطق الساخنة من توفير لأدوات التبريد والتلطيف الهوائي، يوازيه ما ينبغي مراعاته وتوفيره في المناطق الباردة من وسائل التدفئة لتحقيق الغايات والمقاصد المسجدية نفسها، مع الحرص في كلتا الحالتين أن يرفق توفير التهوية الملائمة بالإضاءة الجيدة التي تساعد على وجود الناس بالمكان دونما تعثر وارتباك، يقول الأستاذ محمد ماجد خلوصي: 'إن التهوية والإضاءة الجيدتين أمر يجب الاعتناء به في المساجد، والتدفئة أمر هام للمسجد في المناطق الباردة، وأعتقد أن تدفئة وتبريد الأرضيات هي الأجدى داخل المصلى الرئيسي' (عمارة المساجد-تصميم وتاريخ وطراز وعناصر-: محمد ماجد عباس خلوصي، ص 9).

ومن هنا تأتي بعض التدابير والتقنيات المحلية التي تتخذها بعض المناطق لتكييف الهواء مع طبيعة مناخ المنطقة التي يوجدون فيها، حيث إن بعض المساجد في المناطق الباردة من شمال المغرب يتخذون الخشب تحت الأفرشة الأرضية لاتقاء شدة البرد والقر، وهذه تقنية حامية طبيعية لا تتطلب في أجرتها كلفة تجهيزية مادية لتوفيرها، لكنه لا يخفى الأثر الأساس لهذه الإجراءات العملية من أجل حفز إقبال الناس على هذا النوع من المساجد؛ لأنها تراعي ما يكفل ويضمن الخشوع والشعور الباعث على التدبر والاطمئنان.

إن التفكير والتخطيط المعقلنين والمحكمين لتكييف وتلطيف الهواء بوسائله المادية الكفيلة بتحقيقه يتطلبان أيضا حرصا جيدا على حسن تموضع المراحيض والمياضي، وذلك لأن هذا المكون البيئي جد حساس من حيث تأثيره -سلبا أو إيجابا- على الهواء الداخلي لمؤسسة المسجد، [فالأولى أن تجعل المراحيض الخاصة

بالمسجد في منأى عن المصلى (محل الصلاة) وأن تطهر بالمطهرات ويحافظ عليها نظيفة¹ رعاية لحرمة المسجد ودفعاً للرائحة الكريهة والأمراض والحشرات] (المسجد في الإسلام: خير الدين واثلي، ص116)، وينبغي مراعاة مجموعة من الخصوصيات الاستراتيجية التي تلزم في المياضئ [وذلك بالوصول إليها في خط سير لا يعترض خط سير الداخل إلى المسجد حرصاً على السير العادي والهادئ الذي لا يزعج المصلين، وأن تكون هذه المرافق ذات مساحة مناسبة بأرضيات وحوائط قابلة للتنظيف اليومي وذات تهوية جيدة] (عمارة المساجد - تصميم وتاريخ وطرارز وعناصر-: محمد ماجد عباس خلوصي، ص7)، وهذه ثقافة بيئية من الطراز الرفيع يسهم المسجد في ترسيخها عن طريق هذه الممارسات، ونجد أن التخطيط المتعلق بالنقاء والنظافة يتعلق بالمسجد في كل بنيته، بل حتى في مواد بنائه وليس فقط في مكون الميضأة، لأن الأول أهم وأحرى وأصعب من حيث التوفير، ورد في كتاب المساجد في المدن العربية ما نصّه: 'لما كان علينا أن نقيم بيوت الله في الأماكن الطاهرة...؛ فمن الواجب أن نتخير المكان الطاهر الذي سيقوم عليه البناء، ونحافظ على طهارته، ولا نقول هذا عبث... بل لقد رأينا في بعض المواقع سيل مياه المجاري على أرض الشوارع المحيطة بالمسجد... فيخوض الداخل إلى المسجد في هذه المياه النجسة، فيكون ذلك مصدراً للنجاسة والأوبئة... ولما كانت مادة الطين تحتاج في تثبيتها إلى الخلط بمادة أخرى، فإن العامة يخلطونها بروث البهائم، مما يعرض مواد بناء المسجد للتلجس' (المساجد في المدن العربية: المعهد العربي لإنماء المدن، ص143 بتصرف).

إن أهل المسجد يتربون -من خلال هذه الممارسات- على تكوين بيئي ذي جودة عالية وثقافة راقية ذات بعد إنساني جد محترم، من شأنه أن يحقق إشعاعاً كبيراً في الواقع، وذلك لأن هذه التربية لم تأت سدى لتبقى حبيسة الجدران المسجدية، بل ليكون لها الأثر البالغ في الواقع، وينعم بها الناس جميعاً في حياتهم المعيشية، ويمكننا أن نلاحظ أن هذه التربية البيئية تتسم بالدقة، من خلال تتبع أشياء يسيرة قد لا يبدو أثر ضررها، من ذلك ما تقدم من الحديث عن النخامة وكراهيتها في المسجد، كما جاء في حديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي بِأَعْمَالِهَا، حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَرَأَيْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُنْحَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَرَأَيْتُ فِي سَيِّئِ أَعْمَالِهَا النُّخَامَةَ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ)) [مصنف ابن أبي شيبة (235هـ): كتاب الأدب، باب في تنحية الأذى عن الطريق، رقم: 26349، ج5/ ص306].

¹ سبقت إثارة شيء من هذه الجوانب الموضوعية المتعلقة بسلوك التطهر والتنظيف المتعلق بالمسجد، وذلك في المبحث المتعلق بالنشاط الوظيفي السلوكي لمؤسسة المسجد، إلا أن هذا التداخل تفرضه طبيعة الموضوع والتقاطعات الموجودة بين البيئة والطهارة.

ومن القضايا المعاصرة التي يلاحظ أنها تتصل اتصالاً مباشراً بعلاقة مؤسسة المسجد بالبيئة قضية التعامل مع الأحذية وظاهرة استعمال الأكياس المطاطية، نظراً لاحتواء هذه الأحذية على ما قد يكون قد علق بها من تراب أو مواد أخرى، مما من شأنها أن تلوث الفضاء الداخلي لمؤسسة المسجد، لأن كثيراً من الأحذية حينما يضم بعضها إلى بعض ينتشر حينها التراب من قعرها، وتتجلى هذه الظاهرة في تجميع عدد من هذه الأكياس في صندوق خاص يوضع عند كل باب أو مدخل للمسجد، بحيث يأخذ الداخل إليه كيساً ليضع فيها حذاءه، فإذا أراد الخروج؛ أعاد الكيس إلى أحد هذه العلب وأعاد ارتداء حذاءه، ويجتهد بعض أهل المساجد في انتداب من يجلس أمام الأبواب الرئيسية للمسجد، يسلم هذه الأكياس لمن يلج إلى المسجد حتى يكون ذلك تذكيراً لمن يغفل عن هذا السلوك الحضاري، فيكون ذلك تشجيعاً لأهل الخير من أجل الإنفاق والتصدق على من يسدي هذه الخدمة إلى بيت الله، خاصة وأن عامة هؤلاء الذين يتم انتدابهم لهذا العمل النبيل هم من الفقراء والمحتاجين؛ ممن هم في أمس الحاجة إلى الالتفاتة الاجتماعية.

وغير بعيد عن هذا الأمر، تجدر الإشارة إلى أنه لا بد في أماكن وضع الأحذية أن تكون في أماكن مناسبة من حيث الوصول إليها ومن حيث وضعها بالمقارنة مع باقي المكونات المادية للمسجد، يقول الأستاذ محمد ماجد عباس خلوصي: 'على المصمم الاعتناء بمكان وضع الأحذية بحيث تكون الحركة مروراً بهذه الأماكن سلسلة ولا تسبب ازدحاماً عند الخروج من المسجد' (عمارة المساجد: محمد ماجد عباس خلوصي، ص8).

كما يرتبط بالبيئة المسجدية ظاهرة معاصرة تكاد تكون منتشرة بشكل عام في مختلف المساجد وهي برادات أو ثلاثيات المياه التي توضع رهن إشارة المصلين قصد الشرب، إذ يتطلب الأمر وضعها في مواضع تكون ميسرة من حيث الوصول إليها والاستفادة منها، كما ينبغي الاحتراز في التعامل معها ألا يترتب على ذلك إيصال قطرات المياه إلى الأفرشة، خاصة في المواضع التي تعاني من تأثير الرطوبة ولا تصلها أشعة الشمس. ونجد أن الوزارة الوصية تولي عناية محترمة لقضايا البيئة في علاقتها مع المؤسسة المسجدية، ويتجلى ذلك من خلال إصدار مذكرة سنوية تحت الخطباء على تخصيص خطبة كاملة لتناول موضوع عناية الإسلام بالبيئة وترسيخ أهمية المحافظة عليها في قلوب المصلين¹.

ولعلني أختم هذا العنصر المتعلق بالبيئة بما ذكره الدكتور سعيد حوى (ت1409هـ) مبيناً علاقة العناية بالبيئة المسجدية بما له صلة بالتخطيط والتنظيم التصميمي للمرافق والمكونات المسجدية: 'فلابد من بذل الجهود لتكثير المساجد ولحسن إقامتها ولحسن ترتيب أمورها الحسية والمعنوية، وينبغي للهندسة الإسلامية

¹ يوجد في الملحق صورة لمراسلة من مراسلات مندوبية الشؤون الإسلامية في هذا الصدد.

أن تستفيد من تجارب العصور وتجارب الأقطار في إحسان بناء المساجد، بحيث يتحقق في المسجد الجديد أرقى اجتهادات المسلمين في إقامة المساجد ودقة صنعتها وتحسين مرافقها، فيلحظ في المرافق إيجاد المراحيض العامة والحمامات وأن تكون بمعزل عن بناء المسجد، وأن تهيأ لها وسائل الطهارة والنظافة من مياه وخراطيم ماء، وإحكام نظافة الخراطيم بأن يكون لها محل تعلق فيه، وأن يكون في كل مرحاض ورق وسلة مهملات، وأن يكون ماء المراحيض والحمامات يناسب فصول السنة، وأن يعتنى بمحل الوضوء في مياهه وراحة المتوضئ حين يتوضأ بأن يكون هناك مجالس من الحجارة يجلس عليها أثناء الوضوء، وأن تكون هناك مناشف يستفيد منها المتوضئ والمغتسل ويلحظ في بناء المسجد جماله وبهاؤه ومدته واحتمال كثرة المقبلين عليه، فتهيأ لذلك الأروقة ويكون في كل رواق ما يمكن أن يمد به وإن توجد مياه الشرب ووسائل التكييف' (الأساس في السنة وفقهها-العبادات في الإسلام-: سعيد حوى، ج2/ ص903، دار السلام، بدون بلد، ط1، 1414هـ/ 1994م).

وبعد الحديث عن العلاقة بالبيئة؛ أنتقل ضمن نفس العامل، إلى الحديث عن القضايا الإنسانية وعلاقة ذلك بمؤسسة المسجد، حيث إن عظم وقوة الرسالة التي يضطلع بها داخل المجتمع الإسلامي تجعل منه مؤسسة قادرة على الانفتاح حول مختلف قضايا الإنسان، على اختلاف زمان ومكان وجوده، بل نكاد نجزم أنه كلما بعدت المؤسسة المسجدية عن الإحاطة بالقضايا الإنسانية ومعالجتها برؤية شرعية متبصرة؛ فقدت المؤسسة فاعليتها وضعفت كذلك حيوية فحوى رسالتها، لأن الواقعية من الخصائص العامة للشرعية الإسلامية. وأضرب مثالا في هذا الصدد بما ورد في تردي فاعلية الخطاب المسجدي الجزائري من خلال مقال كل من الباحثين بودالية تواتية وسوالمية نورية: 'يرى العديد من المختصين ضرورة إعادة النظر في طريقة الخطاب المسجدي على نحو يكون فيه أكثر واقعية، وذلك للدور الكبير الذي يمكن لبيوت الله أن تقوم به في علاج مشاكل الناس والحيلولة دون الانتشار غير المسبوق للآفات الاجتماعية التي باتت مصدر تهديد للمجتمع الجزائري، فتحوي الجزائر حوالي ستة عشر ألف مسجد عاجز عن التخفيف من طوفان الانحراف وسيل المشاكل التي يتخبط فيها الناس، وهو ما عمق الفجوة بين المواطن والمسجد الذي وجهت إليه أصابع الاتهام في العشرية السوداء، فزاد تخوف الناس وانفصاهم عنه، وبدل المكوث في المسجد للذكر والتفقه صار الشعار هو (صلي وارقد سباطك)' [مقال: المرجعية الدينية الوطنية للخطاب المسجدي/ ص88-89]، ولعل هذا الواقع الأليم هو منشأ عزلة المؤسسة المسجدية حيث لم يعد لها أثر ولم تعد لها كلمة مسموعة، لأنها أصلا غائبة عن الميادين، يقول في هذا الصدد الأستاذ بلال ريم: 'إن المسجد لو أدى وظيفته على النحو الذي بني عليه في الحقيقة؛ فإن الأسباب التي أدت إلى عزله عن المجتمع وتحليل وظائفه عن البيئة التي صرفت الناس عنه سواء كانت أسبابا

نابعة من المجتمع أو وافدة¹؛ لبدأ المسجد يسهم في أداء الواجب المنوط به؛ فإن هذه الأسباب ستفقد فعاليتها وتزول زوالا مطلقا وعندئذ يعود للمسجد مكانته وللمجتمع عزته' (مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي - المساجد والكنائس - / بلال ريم، ص 169).

يمكننا إذن أن نقول إن الانفتاح الكلي لمؤسسة المسجد على قضايا الإنسانية يحدث قطيعة مع الفكر العلماني الذي يهدف إلى قوقعة وانحصار الخطاب المسجدي في المجال التعبدية فحسب، فلا شك أن الخطاب المسجدي يكون قويا وفعالا وحاضرا، له وزنه ويقول كلمته المسموعة في كل محفل وفي كل مناسبة، إذا اتسم بذلك الانفتاح، وكلما نخرت قوى الفكر العلماني في وظيفة المسجد ونشاطه؛ كلما أسهمت بقوة في تغييره وإضعاف روحه، فتتعطل بذلك الوظيفة الحضارية لمؤسسة المسجد، وإذا كانت الخطبة الجمعية إحدى الآليات التي تترجم من خلالها قوة المسجد الحضارية من خلال موازاته ومواكبته للقضايا الإنسانية الراهنة؛ فإنه يتعين عليها أن تكون حية من حيث المواضيع المعاصرة والمستجدة التي يتم اختيارها، قصد تناولها من أعلى المنبر في المناسبة الأسبوعية، ويتأتى هذا الأمر عبر [صندوق كصندوق البريد يضع فيه المصلّون أسئلتهم وشكاواهم ومشاكلهم، ليطلع عليها الخطيب ويخطب في الأمور التي تهم ذلك الحي، ويتعرض لحل تلك المشكلات على ضوء القرآن والسنة الصحيحة] (المسجد في الإسلام: خير الدين وائل، ص 44).

ومنه، فإن مختلف المواضيع الإنسانية في إطار الوظيفة الحضارية لمؤسسة المسجد إما أن تكون محلية تختص بأهل الحي الواحد لكنها ذات بعد إنساني مشع وممتد، وإما أن تكون على شكل قضايا وطنية وتكون هي الأخرى ذات بعد إنساني وإشعاع حضاري ممتد، وإما أن تكون مواضيع دولية تمتد خارج الإطار الوطني، فالخلاف فقط في حجم ودائرة الوجود، ويبقى عنصر الإشعاع هو الذي يمكن بالحكم عليها بأنها حضارية. ولعل من الأمثلة التي تبرز الإشعاع الحضاري من خلال هذه القضايا الإنسانية مواكبة الأحداث المتعلقة بالاقتصاد العالمي وتطوراته على ضوء تعاليم الشريعة، وأوضاع الأقليات المسلمة وظروف عيشها، وإبراز الضوابط الشرعية لفقه التعامل مع وسائل الاتصال الحديثة.

كما أن الاستثمار الجيد لمواضيع خطبة الجمعة في خدمة القضايا الإنسانية الراهنة يفرض نوعا من التجديد في أسلوب ومنهج العرض والانفتاح على الثقافات الأخرى بغية تطوير وسائل التبليغ والنجاح في النفاذ إلى القلوب من أجل الاحتواء الكلي لما يناقش والتمكن من تفاصيله الموضوعية والمنهجية كذلك، ولا شك أن هذا الأمر ضرب من ضروب الإصلاح التي ينبغي نهجها، يقول بودالية تواتية وسوالمية نورية: 'عندما

¹ هناك عامل مخصص لتحليل أسباب ومشاكل إصلاح رسالة المسجد، سيتم إفراد ذلك في العامل الثامن من العوامل الاستكشافية.

نطرح ضرورة تحديد الخطاب المسجدي لا نقصي الثوابت الأصلية ولا المرجعية الدينية الوطنية واجتهاد علماء وفقهاء أجلة، بل نحاول التأكيد على عدم إهمال متطلبات الواقع والمشكلات المطروحة في البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها المسجد، فالخطاب المسجدي يحتاج إلى إصلاح شامل يشمل الخطاب في حد ذاته، كما يشمل القائمين به' (مقال: المرجعية الدينية الوطنية للخطاب المسجدي/ بودالية تواتية، ص 89).

وبالتالي، فهذا التجديد ليس سوى مراعاة واحترام موضوعي لما يتطلبه العصر من أساليب تسهم في إنجاح تعامل الخطاب المسجدي مع القضايا الإنسانية الملحة، كما أن هذه المواضيع والقضايا قد تكون ذات صبغة اجتماعية خالصة في أول الأمر، لكنها سرعان ما تتحول بهذا التكيف الحضاري إلى مواضيع حضارية ترتقي بقيمة وجوده ما يناقش ويعالج.

تجدر الإشارة إلى أن مستوى الوعي الثقافي عند المصلين يعرف ارتقاء متواصلا بسبب التدفق الكبير الذي تعرفه المعلومة وسرعة انتشار الخبر، حتى إنهم أصبحوا يقيمون مستوى الخطيب والخطاب بمستوى درجة تفاعله مع الأحداث والقضايا الإنسانية، وبالتالي فلاحظ أن وضع المتلقي في السالف كان في كثير من الأحيان لا يتأثر بالذوق والميول، وإنما هم فقط أن يرى ذمته من واجب الشعيرة أو العبادة، أما الآن فمع الانفتاح الإعلامي تولد هنالك ذوق وميول، وأصبح المتلقي يجري مقارنات تبين درجة ارتقائه وتذوقه.

2.6. توصيف واستكشاف العامل الثاني.

1.2.6. توصيف العامل الثاني:

int3	0,757
int1	0,742
int2	0,728
int10	0,657
int5	0,587
int6	0,554
int8	0,424

يتجمع في هذا العامل الثاني سبعة أسئلة تفاعلية، تنتمي هذه الأسئلة إلى نفس المجال التفاعلي المتعلق بالمسجد، وليس بينها أي سؤال من ضمن المجال المعرفي لمؤسسة المسجد التفاعلي.

وبالتالي، لا يزال هناك استمرار للانفصال التام والاستقلالية المطلقة بين المجال المعرفي للموضوع وبين مجاله التفاعلي.

الأسئلة التفاعلية التي تتجمع في هذا العامل هي على التوالي: السؤال 1، السؤال 2، السؤال 3، السؤال 5، السؤال 6، السؤال 8 والسؤال 10.

تعالج هذه الأسئلة القضايا الآتية: تلقين اللغات، تعليم وممارسة الفنون، توظيف التقنيات المعاصرة للإعلام والتواصل، عقد الدورات التكوينية والتدريبية، تنشيط الأطفال، النوم والاهتمام بالمعاق.

تتميز الأسئلة الخمسة الأولى من مجموع هذه الأسئلة بالطابع التعليمي الحيوي على اختلاف مناحيه وأهدافه، أما السؤالان الأخيران فهما يؤطران ظاهرتين تنحون نحو البعد الاجتماعي بشكل كبير، وذلك لأن النوم يتعلق بالاجتماع، وعلاقة المعاق تتغى إدماجه وانخراطه بشكل إيجابي في المحيط الاجتماعي. وإذا أردنا أن نبحت عن مقارنة علائقية بين الأسئلة الخمسة الأولى من جهة والسؤالين الآخرين من جهة أخرى، فإن الأولى رغم طابعها الحيوي التعليمي في كل سؤال من أسئلتها، ترمي في آخر المطاف إلى تحقيق المنفعة الاجتماعية والإسهام في الانخراط الاجتماعي للأفراد داخل الجماعة، وبالتالي فهذه الأسئلة تختلف فقط من حيث القرب أو البعد من الغاية التي تصبو إليها في جميعها، فقد يكون القصد النهائي ذا طبيعة اجتماعية لكنه يتم الاشتغال نحو الوصول إليه بطريقة تربوية تعليمية؛ وعليه يمكن أن نصطلح على تسمية هذا العامل: العامل التعليمي الحيوي وأثره الاجتماعي.

2.2.6. استكشاف عناصر العامل الثاني:

عرفت ظاهرة تعليم اللغات بذورها ونشأتها الأولى مع الأحداث التي تمخضت عن غزوة بدر، حيث قبل النبي صلى الله عليه وسلم فك وإطلاق الأسرى من المشركين مقابل تعليم المسلمين مبادئ القراءة والكتابة، ولما كان المسجد حينذاك هو المدرسة ومكان الاجتماع والقبلة التي يحج إليها في كل صغيرة وكبيرة، فلا غرو أن ترتبط الممارسة الأولية لهذا النشاط بهذا المكان، تقول الأستاذة زبيدة هرماس: 'يذكر التاريخ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر بعد معركة بدر الكبرى أن يكون فداء الأسرى هو تعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة لكل أسير، وتمت مقابلة هذه العملية السامية المقدسة بالحرية الأبدية، وهو ميثاق لم يشهد له التاريخ مثيلاً، فمن افتدى نفسه؛ فيها ونعمت، ومن لم يقدر؛ فقد علم عشرة من أبناء المسلمين، وهو عدد يستوعبه المعلم الأسير، ويستطيع نقله من الظلمة إلى النور، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الحرية التي

تعتبر أعلى ما يملكه الإنسان حافزا مهما، وفي هذا درس كبير فيما يتعلق بالحوافز الشخصية المعنوية على الخصوص' (مقال: محو الأمية في المسجد عملية رائدة/ ذة زبيدة هرماس، ص154).

ولعل هذه الممارسة تبرز في المناطق التي تفتقر إلى مراكز أو جمعيات تهتم بتدريس اللغات كما هو الشأن بالنسبة للغة العربية في الدول الأوروبية، حيث يظل الارتباط بالمسجد ونشاطه الوظيفي هو السبيل المخلص من إشكال تعلم اللغة العربية، وبالتالي فأغلب المراكز التي تشتغل على الاهتمام بتلقين وتدريس اللغة العربية تتصل بمؤسسة المسجد وتندرج ضمن إطاره المادي والإداري، وعليه، فإن مقارنة مشروع مؤسسة المسجد التفاعلي في علاقته مع تدريس اللغات قضية ترتبط بالاتصال بين المسجد والمدرسة، وذلك لأن تأصيل هذا المشروع نابع من كون مجموعة من المدارس قد ألحقت تاريخيا بالمساجد، فأصبح بذلك نشاط تعليم وتدريس اللغات جزءا هاما لا ينفصل عن الوظيفة التربوية التي يؤديها المسجد داخل المجتمع.

ولم ينفصل المسجد عن المدرسة إلا في إطار ظهور مصطلح المدارس النظامية التي ترتبط بالمستويات والشواهد وتؤهل إلى سوق الشغل، يقول الأستاذ عبد السلام العزوي: 'وإذا كان بعض الباحثين يشير إلى منتصف القرن الخامس الهجري كحد فاصل بين عهدين في تاريخ المؤسسات التعليمية الإسلامية، وتحديدًا في عام 499هـ، حيث أنشئت المدرسة النظامية في بغداد، وظهر بذلك عهد تعليمي جديد، انتقلت فيه أماكن التعليم من الكتاتيب والمساجد ودور الحكمة وحوانيت للوراقين ومنازل العلماء إلى المدارس المنظمة، فإن هذا لا يقلل من دور المسجد بوصفه أول مؤسسة انطلق منها شعاع العلم والتعليم في الإسلام، حتى قيل: إن آلاف أعمدة المساجد التي كانت منتشرة في الإسلام كانت محاطة بآلاف من العلماء المسلمين وعشرات الآلاف من المتعلمين' (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ عبد السلام العزوي، ص102 بتصرف).

أي: رغم ظهور هاتين المؤسستين بشكل مستقل، فقد ظل بينهما اتصال وارتباط نظرا لوجود عنصر العلم والتعليم جامعا وموحدا بينهما، ولعلني أضرب مثالا لهذا الاتصال بين المسجد والمدرسة [بأنموذج مدرسة الهدى، والتي هي من أقدم تجارب تعلم اللغة العربية في باريس وضواحيها، تقع جوار المسجد الكبير لإيفري الذي يحظى بتجربة عشرين سنة من تعليم اللغة العربية، ومن أهداف المؤسسة تعليم اللغة العربية باعتبارها أداة لانتفاع وتطوير الفكر، يستفيد من ذلك غير الناطقين بها، بغض النظر عن الجنسية والدين، مع أنها تولي عناية للتربية الدينية لمن يرغب في ذلك، وبالتالي فقد مكن هذا الانتفاع في تعليم اللغة خارج السياق الديني من استقبال أطفال من أصول مختلفة وأوساط اجتماعية متعددة، متيحًا بذلك خلق فضاء للاختلاط الاجتماعي والانتفاع الثقافي، وهو الأمر الذي قد يسهم في تقويض جدران عدم التفهم وعدم التسامح الناشئ عن الجهل والخوف من المجهول] (اللغات في الهجرة - التحولات والرهانات الجديدة - : أشغال الندوة الدولية لمجلس الجالية المغربية بالخارج، ص341/342-362 بتصرف).

وعلى الصعيد المحلي؛ فإن تعلم اللغة العربية ممارسة نشيطة في الوظيفة المسجدية عبر مختلف عصور المسجد، بل هي النواة الأساس للتعليم العتيق الذي يتخذ من المسجد مكانا لهذه الممارسة، وبالتالي هذه الممارسة التعليمية بالمسجد تخضع لتقنين ونظام ممنهج، ينم عن عمق تخطيط وتفكير في توحي جودتها والرفع من مستوى تلقينها، يقول الأستاذ عبد السلام العزوزي: 'ولا ننسى اللغة العربية وعلومها، فقد دُرِّس النحو والصرف، وفقه اللغة والبلاغة وغيرها من علوم اللغة في فناءات المساجد المشرفة المباركة، وبرز فيها علماء متخصصون بذلوا جهودهم في إفادة أفراد المجتمع تلقينا وحفظا واستشهادا وشعرا وإعرابا واستشفاف ما في الكلام العربي من محاسن بديعية وبيانية، وأبعدوا حواشي الكلام ومتنافره وما فيه من تعقيدات لفظية ومعنوية، واستخلصوا لشباب الأمة ألفاظها الجزلة وأمثلتها السائرة وأساليبها الرائعة ومعانيها المستطابة المشوقة التي تطيب الأئدة وتستميل القلوب إلى هذه اللغة العريقة' (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ عبد السلام العزوزي، ص18).

لقد أسهمت مؤسسة المسجد من خلال اهتمامها بتدريس اللغة العربية في تخريج نخبة من النماذج التي تتقن هذه اللغة تواصلًا وتدريسًا وتقعيدًا، وتجلى هذا الاهتمام من خلال إيلاء العناية بها في مختلف المراحل والأشواط التعليمية، فعلى سبيل المثال [كان التعليم بمساجد حاضرة آسفي مقسما إلى ثلاثة أسلاك، ففي السلك الأول يتم التركيز على متن ابن آجروم في النحو والصرف، وفي السلك الثاني ينتقل إلى مثلث قطرب وجمل الزواوي في اللغة، ليختتم السلك الثالث بألفية ابن مالك بشرح المكودي ومعها لامية الأفعال في الصرف، وبموازاة هذه الدروس اللغوية هناك متون في علوم أخرى، كالفقه والحديث والمنطق] (شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بآسفي: كريدية إبراهيم، ص79 / 81 بتصرف).

وفي إطار الحديث عن اهتمام مؤسسة المسجد باللغة العربية، ينبغي أن نعلم أن هذا الأمر ليس مقصورا على هذه اللغة بالضبط، بل المطلوب في مؤسسة المسجد أن تنفتح على باقي اللغات، خاصة اللغات الحية والتي لها امتداد عالمي وأفق مستقبلي، من أجل أن يكون هذا الانفتاح قاطرة للتواصل وتصحيح الأفكار المغلوطة عن الدين، لأنه ليس الكل بمقدوره ومتاحه أن يتعلم ويتكلم اللغة العربية، ودليل أهمية ولزوم هذا الانفتاح اللغوي المتعين على المؤسسة المسجدية قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (سورة إبراهيم: الآية 4)، ولعله من المؤسف أن نلاحظ تقاعسا لكثير من المساجد في الاهتمام باللغات وتدريسها، وبالمقابل نجد جمعيات ومراكز مدنية تولي عناية كبيرة لهذا المجال، فيكون هذا التقاعس مؤشرا على ابتعاد المساجد عن مواكبة الإيقاع الحضاري للمجتمع، وأسجل هنا تجربة ناجحة لجمعية مسجد النجد بمدينة الجديدة، والتي سخرت قاعات تتوفر عليها

بالقبو الموجود أسفل المسجد، لتنظيم دروس مكثفة في اللغات ومواد دراسية أخرى بضمن جدّ رمزي، حيث يتطوع مجموعة من الأساتذة لتأطيرها، وتحظى بقبول هام وكثافة حضور من طرف الفئات المهتمة، وذلك نظرا للنفع الذي يتحصل منها، رغم أن ما يلاحظ عليها هو الاختصار على فئة المتدربين من التلاميذ، لكنها مبادرة تستحق التنويه والإشادة، وهي دعوة لمؤسسات مسجدية أخرى تمتلك تجهيزات مادية مهمة؛ لكي تسير حذوها وتنهج نهجها في هذا الاهتمام بتدريس اللغات؛ إذا أرادت أن تحقق إشعاعا متميزا في هذا الصدد.

وبات لزاما على المؤسسة المسجدية أن تحسن توظيف واستثمار وسائل وتقنيات الإعلام والتواصل في عملها الميداني، نظرا لما أبانت عليه هذه الوسائل من مزايا وأهداف جد مهمة في مجالات حيوية أخرى بعيدا عن مجال العمل المسجدي، وهي مزايا تعود على كل من الفرد والمجتمع بالنفع والجودة في العطاء والإنتاج. فمن باب الحماية الأمنية ووقاية المؤسسة المسجدية من الأخطار والسرقات؛ خاصة في هذا الزمن الذي خارت فيها المهمم وخرت في الذمم؛ أصبح من المناسب واللائق أن يزود القائمون على المسجد زواياه الحساسة بكاميرات للمراقبة تقوم بتسجيل ما يجري من الأحداث، ويرجع إليها عند وقوع حدث ما من شأنه أن يهدد أمن وسلامة المؤسسة، فهناك مساجد كثيرة تحتوي على تجهيزات ومعدات تقدر تكلفتها بأثمنة جد عالية، وهي بذلك معرضة للسرقة والضياع في كل وقت وحين.

كما أن هذه الكاميرات تكون في كثير من الأحيان وسيلة لدرء الشبهة ونفي التهمة أو إثباتها فيما قد يتهم به القيمون الدينيون في بعض المساجد التي تعرف هذه الصراعات أو تعيش هذا النوع من المشاكل؛ فيرجع إلى هذه الوسيلة لحسم الموقف وتبرئة الذمم وبيان الحق من الباطل.

ومن نماذج هذه الوسائل والتقنيات المهمة في المجال التواصلي المسجدي نجد اللوحات الإلكترونية، حيث تعمل على تزويد المصلين ومرتادي المساجد بأهم المعلومات التي يحتاجها في علاقته اليومية مع المسجد، كإعلان أوقات الصلوات والتاريخ الهجري ودرجة الحرارة، ونجد من هذه اللوحات في المساجد المقدسة من تقدم معلومات عن المسجد، كما هو الشأن بالنسبة للمسجد الحرام أو المسجد النبوي، إلا أن بعض المساجد تتعطل فيها هذه اللوحات أو يحدث فيها عطب تقني يحول دون إعلانها عن معلوماتها الدقيقة والصحيحة بشكل محين، فلا يفطن إليه لئتم إصلاحه، وتبقى بذلك تلك اللوحات معطلة، وقد تربك من يعتمد عليها دون أن يتفطن لخللها، ولا شك أن هذا مظهر سيئ لإعمال وتوظيف هذه اللوحات الإلكترونية، إذ يجب مراقبة كيفية اشتغالها باستمرار لضمان حسن توظيف هذه الوسائل التواصلية.

وتعتبر الحواسيب الآلية أيضا من أهم هذه الوسائل، مع مسلاط عاكس يساعد على عرض وتكبير المعطيات الآلية التي يرغب في عرضها بشكل واضح للعموم، سواء خلال درس أو موعظة أو دورة تكوينية أو ندوة تحسيسية حول ظاهرة معينة، فلا يكلف هذا الأمر من ميزانية المسجد شيئا كثيرا؛ إذا ما تم تزويد مقصورة

القيمين الدينيين بحاسوب آلي مصحوب بطابعة ورقية ومسلاط عاكس، خاصة إذا علم من هؤلاء إتقان وإجادة لاستعمال هذه الوسائل بما يسهم في زيادة نشاط مؤسسة المسجد التفاعلي، فمن الوعاظ والأساتذة من يحضر درسه وفق خطاطات إلكترونية على شكل شرائح ويحتاج في ذلك إلى حاسوب آلي مزود بمسلاط عاكس، ليقوم بعرضها للجمهور من أجل حسن التفاعل معها وتسهيل استيعابها وشرحها بكيفية مؤثرة وجذابة، كما أن مجموعة من الدروس تتسم بطابعها الميداني التطبيقي، فيحتاج في تقديمها إلى أن تكون مدعومة ومشفوعة بشرائط وثائقية مصورة يتم عرضها على الحاسوب لتعكس بشكل مكبر اتجاه الحاضرين.

يسهل إذن وجود هذه الوسيلة على مستعمليها تحقيق بغيته، ويضفي على الدرس طابعا خاصا، ويحقق تجديدا وتنوعا في طريقة التدريس مما ينتج لنا تفاعلا ومتابعة جيدة وإقبالا متميزا على المسجد وأنشطته، ومن الأمثلة الميدانية التي أستحضرها في هذا الصدد أنني حضرت حفل افتتاح أحد المساجد خارج المدار الحضري لمدينة الجديدة وبالضبط بمنطقة تيكني، وكان من فقرات هذا الحفل أن تم عرض شريط فيديو يوثق للمراحل التي مر منها المسجد في بنائه من أولها حتى آخرها، حيث كان هذا الشريط مؤثرا، سلط الضوء على مجموعة من المراحل الأساس، ومن فوائده الجمة أنه يحفز على الإقبال على مثل هذه المبادرات الخيرية ويشجع على التنافس فيها، نظرا لما بينه وصوره بشكل ملموس من مظاهر وتحولات شهدتها هذه المؤسسة الحيوية، وهي تحولات تتطلب مجهودات مهمة؛ لتسدي المؤسسة خدمات جلييلة لمصلحة المجتمع والإنسانية.

وقد تسهم هذه الحواسيب في خدمة أنظمة المراقبة التي تحمي مؤسسة المسجد من الأخطار والطوارئ، عن طريق ربطها بها لإدارة عملية سيرها وتغيير معالمها، كما هو الشأن في الخدمة التي تم تجهيز المسجد النبوي بها، يقول الأستاذ ناجي الأنصاري: 'وتشتمل الأعمال الكهربائية لتوسعة المسجد النبوي على ما يلي: الإنارة، مكبرات الصوت، نظام التحكم الأوتوماتيكي، الدوائر التلفزيونية المغلقة للمراقبة، نظام إنارة للطوارئ بالبطاريات وأنظمة كشف الحرائق ومكافحتها وكل ذلك يتم من خلال التحكم والسيطرة عن طريق الحاسبات الآلية وغرف خاصة للوحات المفاتيح' (عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ: ناجي محمد حسن الأنصاري، ص 235 بتصرف).

إننا نجد بعض المؤسسات المسجدية؛ والتي تتوفر على مساحات كبيرة وتعرف إقبالا متزايدا من طرف المصلين؛ نظرا لما يميزها من جودة وإشعاع؛ تنتهج تخطيطا محكما في حسن تنظيم وتسيير أنشطتها الوظيفية، عن طريق الاستخدام والاستثمار الجيد لوسائل الاتصال، ففي موسم رمضان على سبيل المثال، تنظم بعض المساجد مجريات شعائر صلاة التراويح بواسطة لجنة من الشباب الذين يسهرون على هذه العملية؛ بواسطة جهاز الاتصال اللاسلكي الذي يتحكم في الاتصال عن بعد، نظرا لتباعد المسافات بينهم، فيتبعون عن كُتب كل صغيرة وكبيرة من شأنها أن تؤثر سلبا أو إيجابا في إنجاح هذا النشاط، فيتفادون بذلك ما ينبغي تفاديه

ويُتقون ما ينبغي إبقاؤه، وأضرب مثالا لهذا الأمر بمصلى التراويح في حي الانبعاث بمدينة سلا، حيث تتميز اللجنة المنظمة هنالك بتنظيم وإحكام جيد لأطوار صلاة التراويح بفعل إجادتهم لخدمة الإعلام والتواصل. ومن التقنيات الإعلامية والتواصلية التي يمكن لمؤسسة المسجد التفاعلي أن تُعملها في إطار التعريف بإشعاعها ونشاطها الوظيفي تقنية المجلة أو السبورة الحائطية في مداخل المسجد، حيث تعمل اللجنة المكلفة بتتبع إعدادها (اللجنة الإعلامية والتواصلية) بعرض وتوثيق الأنشطة التفاعلية التي جرت داخل مؤسسة المسجد سواء كانت صورا أو مقتطفات من مقالات، حتى يطلع عليها مرتادو المسجد، فتكون بذلك منطلقا لشحن وتحفيز الهمم، إما من أجل الانخراط والمشاركة في هذه الأنشطة والإفادة من خيرها، وإما من أجل الإسهام المادي فيما تتطلبه هذه الأنشطة من تكلفة ومصاريف تستدعي تضافر وتكاثف الجهود من أجل التغلب عليها وإنجاح سيرها، ولا شك أن هذه التقنية لا تكلف الكثير من حيث الجهد والكلفة بالمقارنة مع الإشعاع والتأثير اللذين يترتبان عنها.

والجدير بالإشارة أن هذه الوسائل والتقنيات ليست محصورة أو محدودة، فهي تتغير وتتجدد بتغير وتطور أوضاع الزمان وتقدم البشرية فيما أنتجه إبداعها من تكنولوجيا تخدم مصلحة الإنسان ولا تهدد سلامته، وبالتالي تظل مؤسسة المسجد فضاء منفتحا على كل جديد نافع في هذا الصدد من مختلف الوسائل والتقنيات التواصلية والإعلامية، والتي من شأنها أن تحقق الرقي بمستوى خدماته الوظيفية الإشعاعية دون مساس أو إضرار بأي جانب من جوانب الإنسان، ولعل الحديث عن هذه القضية نظير الحديث عن موقف الفقهاء من مكبر الصوت حينما ظهر لأول مرة، وقرروا جواز استعماله مؤطرين موقفهم في ذلك بالمصلحة المرسله وما يؤيد اعتبارها من النظر الشرعي.

وبعد الحديث عن تقنيات الإعلام والتواصل نتجه نحو مقارنة لعلاقة مؤسسة المسجد بتعليم الفنون، ولا شك أن كلمة الفنون هي حمالة أوجه، فالفنون ليست على شاكلة واحدة، وليس الموقف منها موقفا واحدا محددًا، بل منها ما هو ممنوع داخل المسجد وخارجه؛ لورود ما يدل على منعه على الإطلاق، ومنها ما يمكن أن يجري خارجه دون داخله، ومنها ما دلت الأدلة على جواز حدوثه داخل المسجد وخارجه، ولا شك أن المنهج السليم والأوسط المعتدل في التعامل مع هذا الأمر هو الانطلاق من النصوص الشرعية التي تؤطر حدود التعامل في ذلك وإمكانيته، لكي ننضبط مع المنظومة الشرعية، ونحقق حماية المؤسسة وصونها، وحتى لا نشدد كذلك على الناس في منع سلوك انفتحت المؤسسة عليه منذ أول نشأتها، ولعل أبرز ما يتبادر إلى الذهن من خلال إطلاق كلمة الفنون الشعر والغناء والمسرح والرياضة والرسم، وليس هذا على سبيل الحصر والقصر، بل هو على سبيل الغلبة وشهرة التعاطي.

لقد دلت مجموعة من الأدلة الشرعية على إباحة إنشاد الشعر الجميل والحسن مما ينبئ عن الذوق الرفيع والحس الرهيف وأن يمارس ذلك في مؤسسة المسجد، ولا أدل على ذلك مما روي عن سعيد بن المسيب أنه قال: ((مَرَّ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ يُنْشِدُ، فَقَالَ: كُنْتُ أَنْشِدُ فِيهِ، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: أَنْشِدْكَ بِاللَّهِ، أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ؟» قَالَ: نَعَمْ)) [صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم: 3212، ج4/ص112]، وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ لِحَسَّانَ مَنَبْرًا فِي الْمَسْجِدِ، يَقُومُ عَلَيْهِ قَائِمًا يُفَاخِرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ قَالَتْ: يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا يُفَاخِرُ، أَوْ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) [سنن الترمذي (ت279هـ): كتاب أبواب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، رقم: 2846].

يقول الشيخ عبد الله بن عقيل (ولد في 1335هـ)¹: 'وجهور العلماء على جواز إنشاد المباح في المساجد، وحمل بعضهم حديث عمرو بن شعيب على أشعار الجاهلية وما لا يليق ذكره في المساجد' (الأربعون في فضل المساجد وعمارها مما رواه شيخ الحنابلة عبد الله بن عقيل بأسانيده عن شيوخه، ص67، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ / 2005م).

ولا بد في إباحة الشعر من الحرص على الانضباط والتقيد بالقيم المؤطرة بالشرع لقول الإمام الزركشي (ت794هـ): 'ينبغي ألا ينشد في المسجد شعر ليس فيه مدح للإسلام، ولا حث على مكارم الأخلاق ونحوه' (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص322)، أي أن الغاية التربوية للشعر في المسجد لا تتعارض مع الترفيه والترويح على النفوس، فقد يمتزجان بما يحقق أسمى المقاصد، ونكون حينها نجني الثمرتين دونما حرج، ولعل السر في هذا الأمر هو أن الشعر في حد ذاته من خلال صيغته مروج للآذان ومغذّيها عاطفيا ووجدانيا، فناسب أنه إذا تضمن ما فيه من قيم المدح والذود عن الدين؛ كان حينها ذا ميزتين، ميزة الترويح وميزة خدمة الدين، يقول الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي: 'والمسجد منتدى للشعر والأدب الهادف إذا كان يحقق للمسلمين نفعاً ويرد به على أعداء الإسلام تهجماً وانتقاداً، كأن يهجو الكافرين ويذم الكفر ويظهر محاسن الإسلام ومزاياه، ونحو ذلك من الشعر المرغوب في الآخرة أو المتعلق بمدح النبي صلى الله عليه

¹ عالم حنبلي غزير العلم في صنوف كثيرة، أخذ عن جماعة من العلماء في الحديث والفقه وغيرهما، واشتغل في القضاء والإفتاء، ولد في تاريخ 1335هـ، ولم أقف في ترجمته على خير لوفاته (من ترجمة المحقق محمد العجمي لكتابه المقتبس منه).

وسلم وذكر بعض مناقبه ومآثره ... فإن ذلك كله مما هو مشروع' (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص78).

وقد يبدو نوع من التعارض؛ إذا بحثنا فوجدنا ما يفيد النهي عن ممارسة الشعر في المسجد، من ذلك ما روى ثوبان قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((مَنْ رَأَيْتُمُوهُ يَنْشُدُ شِعْرًا فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: فَضَّ اللَّهُ فَاكَّ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا وَجَدْتَهَا، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ يَبِيعُ، وَيَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرَبَّحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ)) [المعجم الكبير: : أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني(ت360هـ)، باب الثاء، ثوبان أبو عبد الرحمن، رقم: 1454، ج2/ص103، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون طبعة ولا تاريخ].

وروى مالك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَنَى رَحْبَةً فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، تُسَمَّى الْبُطَيْحَاءَ. وَقَالَ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَلْغَطَ؛ أَوْ يُنْشِدَ شِعْرًا؛ أَوْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ؛ فَلْيَخْرُجْ إِلَى هَذِهِ الرَّحْبَةِ (الموطأ: مالك بن أنس الأصبحي (179هـ)، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة، رقم: 93، ج1/ص175).

ويظهر في هذا التخطيط الذي انتهجه الفاروق عمر رضي الله عنه من البُعد التربوي المتعلق بالمكان، حيث يترسخ في الذهن أن المسجد لا يصلح فيه من السلوك القولي أو الفعلي ما تصلح إليه الرحبة بجواره، والدافع الذي بُنيت من أجله، كما يدل هذا التخطيط أن المؤسسة المسجدية تكون عديدة المرافق التي تكمل وظائفها، بحيث قد يحتاج في أي لحظة لمرافق منها لفعل معين، وتنوع هذه المرافق بتنوع الخدمات التي تؤديها والتي يُحتاج إليها في مصاحبة وملاصقة للمسجد، فلو نظرنا إلى المسجد في بعده الروحي فقط سنجنح إلى القول بالمنع، ومرد ذلك إلى هذه النظرة التجزيئية أو التصور المحدود في الرسالة الوظيفية لمؤسسة المسجد التفاعلي، أما لو نظرنا إلى المسجد في بعده المؤسساتي المتسم بالتنوع المرفقي، فإن ذلك يفضي إلى قبول هذا الأمر، بل استثماره عن طريق هذه المؤسسة بما يحقق بدائل عدة تعود بالنفع التربوي والاجتماعي على المجتمع قاطبة، ولعل هذا التفصيل يعتبر مسلكاً إجرائياً لدفع توهم التعارض الذي قد ينقدح في الذهن من خلال ما سبق من الأحاديث والآثار، وهو ما يؤكد الإجراء الفعلي التطبيقي الذي جنح إليه الفاروق عمر بن الخطاب.

وليس أمر اللعب أو الإنشاد الشعري مقصوراً على فئة الأطفال نظراً لتوفرهم على مزيد من النشاط الحركي، بل هو أمر يمكن أن يتعدى إلى غيرهم من الفئات، وذلك لأن الآثار التي سبقت في الاستدلال على

اللعب لم تأت فيها أية إشارة تفضي إلى هذا الحصر، فيبقى إمرار الحديث على عموميه هو المتعين في وجه دلالته، وعلى هذا المنوال تأتي فكرة النوادي الرياضية المرتبطة بمؤسسة المسجد خاصة فيما يتعلق بالشباب، حيث إنها فكرة متعددة الأبعاد يتداخل فيها الاعتبار التربوي مع الاعتبار الاجتماعي، بالإضافة إلى الاعتبار الاقتصادي، فالنادي الرياضي التابع لمؤسسة المسجد يجتذب مجموعة من الشباب لممارسة رياضة يعشقونها، وبوجودهم في هذا النادي؛ يتم احتضانهم في نسق اجتماعي يتجلى في أنواع الصحبة والصدقة التي تجمعهم، كما يترابطون من خلال ذلك في جو يتجنبون من خلاله التلفظ بذيء الألفاظ، ويعمرون وقتهم بما يشغلهم عن التفكير في تعاطي السلوكات الشاذة وإدمان العادات المشينة.

ولا بد لهذا النادي أن يتم تسييره وفق نظام يأخذ على عاتقه توفير دعم مادي مقابل ما يتم استغلاله من ملاعب وحمامات، فيخصص ذلك الدعم لفائدة مؤسسة المسجد وما تتطلبه من حاجيات مادية لتدبير سير وظائفها، إلا أنه تجدر الإشارة أن هذه الفكرة لا تزال ضيقة التطبيق ومحدودة الأعمال، إما لأسباب ترجع إلى محدودية المساحة المخصصة للمرافق التابعة للمسجد، أو لأسباب تتعلق بعدم اتساع أفق النظر في التخطيط للوظائف التي يمكن أن تضطلع بها مؤسسة المسجد، ففي مدينة الجديدة على سبيل المثال لم أعثر إلا على مسجد واحد بهذا المنوال وهو المسجد الجديد الذي تم تشييده بديار المنصور بحي المطار والذي يشتمل بجانبه على ملعب خاص بالنادي الرياضي التابع للمسجد¹، وبالتالي فينبغي في التخطيط لإنجاح مشروع مؤسسة المسجد التفاعلي أن يؤخذ بعين الاعتبار عند توفر المساحة الكافية منها تخصيص جزء منها للأنشطة الرياضية، عسى أن تنقذ هذه الأنشطة ولو شابا واحدا؛ قد يذهب ضحية في أحوال المخدرات وظلمات الانحرافات التي تحضر بوفرة بالغة في الواقع الحالي.

ليست الدعوى لتبني هذه الفكرة -والتي هي متعددة الأبعاد- خطة لإقصاء النوادي والجمعيات الرياضية التي تشتغل خارج هذا الإطار أو الجزم بأن هذا التدبير سيغير من واقع الممارسة الرياضية كليا، بل كل يعمل في نطاقه ومجاله ووفق ما يسطر من أهداف، وما أرمي إليه من خلال ما سبق هو جعل المؤسسة المسجدية فضاء منفتحا على الحياة في شقها الرياضي بما يضمن رقيا تربويا واجتماعيا عند الفئة المستهدفة من ذلك، يقول الأستاذ علي عبد الحليم محمود في هذا الصدد: 'ولست أدعي هنا أن المسجد يغني عن النوادي الرياضية كلها، وإنما الذي نقول به إن المسجد يحسن توجيه الشباب في صورة متكاملة أكثر من النوادي الرياضية على صورتها الراهنة، فلو استطعنا أن ننقل روح المسجد إلى الأندية الرياضية لكان ذلك رائعا وفي خدمة الدين الإسلامي' (المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي: علي عبد الحليم محمود، ص218).

¹ يتوفر ملحق الصور من هذا البحث على ما يوثق ميدانيا لهذا المشهد التفاعلي.

أما الحديث عن الغناء، فلا شك أن العقول السوية بتأملها لما يصاحب الغناء من آلات محرمة وكلام لا يخلو من نقد؛ فإنه لا يمكن أن تجوّز ممارسته داخل فضاء المسجد، الذي نزهه الشرع عن ممارسات هي أقل من ذلك بكثير، يقول جلال الدين السيوطي (ت 911هـ): 'ومن ذلك الرقص والغناء في المسجد وضرب الدف والرباب، أو غير ذلك من آلات الطرب، فمن فعل ذلك في المسجد فهو مبتدع ضال مستحق للطرد، لأنه استخف بما أمر الله بتعظيمه، قال تعالى: "فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ" (سورة النور: الآية 36)، أي: تعظم، ويذكر فيها اسمه أي: يتلى فيها كتابه، وبُيُوت الله هي المساجد، وقد أمر الله بتعظيمها وصيانتها عن الأقدار....' (الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع: جلال الدين السيوطي، ص 191/ 192، تحقيق: ذيب بن ناصر القحطاني، مطابع الرشيد، بدون طبعة، 1409هـ).

وإذا كانت هناك مجموعة من النصوص الشرعية تنهى عن ممارسة الغناء بشكل مطلق إلا ما استثني للنساء في وليمة العرس والعديد، فمن باب أولى ألا يسمح بذلك تحت أية ذريعة بالمسجد الذي من المفترض أن يسان ويعظم شأنه.

كما تعتبر الدورات التكوينية والتدريبية من أهم البدائل الإبداعية التي تضطلع بها مؤسسة المسجد، بل تسهم في الرفع من جودة تكوين القيمين الدينيين؛ إذا تعلقت بمجالهم وتزيد من رصيدهم المعرفي وكفاءاتهم التواصلية، حيث ورد في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ما يؤكد هذا الأمر: 'ومن الأمور التي تعد من الأساسيات المتعلقة بشئون المسلم المعاصر الجوانب التربوية والاجتماعية، وطرق معالجة قضاياها المتعددة خصوصاً ما يرتبط بتنشئته وتهذيب شخصيته وإنمائها، وهذا ما يجعل من عقد الدورات التدريبية لأئمة وخطباء المساجد مطلباً ضرورياً لما لها من أهمية بالغة، تتجلى في زيادة رصيدهم من المعلومات والحقائق المستمرة، والمستنبطة من كتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، واجتهادات السلف الصالح من العلماء المشهود لهم بالنبوغ وبالالتزام بما أنزل الله على عباده من الشرع الحنيف الشامل لكل أمور الدين والدنيا والآخرة، والمتناسبة مع مختلف الأزمنة التاريخية' (مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية: العدد 103/ 104، ج 38/ ص 66، موقع الجامعة على الإنترنت).

ولعل هذا يدل على أنها آلية من آليات الاجتهاد ومستجد من مستجدات العمل الدعوي، والذي ينبغي أن يظل مرتبطاً بقوة ومتصلاً بشكل مباشر مع مؤسسة المسجد التفاعلي، وذلك بالنظر إلى أنه أرضية أساس، ومهد لممارسة الدعوة، وبالتالي، إذا سجل غياب هذه الآلية عن العمل الوظيفي لمؤسسة المسجد في إطارها المنظومي؛ فإنه يمكن أن يعد ذلك مؤشراً على ضعف مسيرته ومواكبته للشأن الدعوي العام.

كما تتسم هذه الآلية بسمة التطبيق والتنزيل الميداني، وبالتالي تكون أكثر حافزية وأقرب إلى الواقع الممارساتي، حيث إن كثرة التنظير في المجال التكويني لا يحقق النفع المطلوب والمتنظر منه، فتكون هذه الآلية فرصة لصقل مواهب الأئمة واحتكاكهم بشكل كبير مع تجارب؛ قد تسهم في تطوير كفاءاتهم، كتدريسيهم على البحث في جمع شتات موضوع معين، أو إبراز موقف علماء في قضية ما وذلك من خلال مطالعة كتبهم، أو تعلم كيفية الاقتباس منها والعزو إليها، أو تخريج حديث معين، أو مناقشة جوانب معرفية ومنهجية من خلال إلقاء خطبة أو موعظة، للتدرب على تقنية التقييم ورصد الثغرات.

ومن نماذج الدورات التدريبية متعددة الأشكال والغايات نجد ما يعقد بالمسجد النبوي للقيمين والعاملين على مختلف شؤونه، لتحسين دينامية العمل والتواصل في رحابه، حيث ورد في كتاب "وسائل الدعوة إلى الله تعالى في المسجد النبوي" ما نصّه: 'رغبة من وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي في الرفع من مستوى الخدمات وتطوير أداء العاملين في خدمة زوار المسجد النبوي؛ فقد أقامت وتقيم دورات للعاملين في مجال خدمة الزوار، وتختلف مجالات هذه الدورات فمنها الدورات التأهيلية والدورات العلمية والدورات التثقيفية والدورات التدريبية.

ومن أهم أهداف هذه الدورات:

-الرفع من مستوى العاملين بالمسجد النبوي علميا وعمليا.

-تأهيل العاملين بالمسجد النبوي بالعلم الشرعي.

-تنمية مهارات العاملين في أدب التعامل وضبط النفس والسلوك الحميد مع الزوار والمصلين' (وسائل الدعوة إلى الله تعالى في المسجد النبوي: إدارة التوجيه والإرشاد بالمسجد النبوي، ص52، المملكة العربية السعودية). يتبين إذن من خلال ما سبق أن الدورات التكوينية متعددة الأبعاد، إذ تسهم في تحقيق البعد المهني من خلال تجويد الممارسة الوظيفية لعمال المسجد، كما تحقق البعد العلمي لأن المجال المسجدي مجال يعرف احتكاكا كبيرا بالمجال الشرعي، مما يحتم على المباشر لذلك أن يسعى باستمرار إلى تزويد رصيده المعرفي بما يلزم من العلم الشرعي الذي ينور طريقه ويسددها، كما تؤثر الدورات التدريبية في تحقيق البعد الأخلاقي باعتباره مدخلا أساسيا في إنجاح البعدين السابقين، وبدونه لا يمكن أن نتكلم على الخدمة المسجدية وأثرها الإيجابي على مرتادي المسجد.

ومن الأفكار التي ينبغي أن تتجه إليها الدورات التدريبية في مؤسسة المسجد عقد تداريب عملية تتمحور حول تكفين وتغسيل الموتى، يستفيد منها أئمة المساجد ومن ينوب عنهم وباقي المصلين ممن يرغبون في تعلم هذه الشعيرة، ولعل هذه الفكرة تكاد تكون غائبة، رغم أنها لا تتطلب كثيرا من الجهد في التحضير والتنفيذ، وتسهم مثل هذه الدورات في تعليم فئة كبيرة من الناس هذا الفرض الكفائي الذي تدعو إليه الحاجة

بشدة في مجموعة من المواقف، ومن الدورات التدريبية العملية التي تعرف نشاطا ملحوظا في بعض المساجد بمدينة الجديدة دورات تدريب المقبلين على أداء فريضة الحج حول التطبيق السليم لمناسك الحج مما يسهل على الكثير تعرف مجموعة من المواقف الشعائرية التي قد تكون جديدة بالنسبة لهم، بحيث تجري أمامهم مشاهدة السيناريو الكامل لهذه الأحداث؛ فتترسخ بذلك بشكل فعال في النفوس.

أما فيما يخص تنشيط الأطفال؛ فقد مضى من الأدلة ما يقوي علاقة الطفل بمؤسسة المسجد، والواجب هو السعي بكل ما يتاح من قوة في إيجاد الوسائل الكفيلة بتنشيط الأطفال وتحبيب الجو المسجدي في قلوبهم، ومن ذلك حسن استغلال الفضاءات المتاحة والمتوفرة لصالح وجوار هذه المؤسسة، مع العمل على استثمارها في هذا الجانب بشكل يحقق هذا الهدف، ولعل التجربة التركية قد قطعت أشواطاً مهمة في هذا الصدد، حيث نلاحظ في مجموعة من المساجد هنالك وجود أركان خلفية من المساجد مجهزة بألعاب متنوعة وجذابة، تهوي إليها أفئدة الأطفال بشكل كبير، إذ تشغلهم عن العبث وإحداث الضجيج والفوضى في فضاء المسجد، وتجعل من هذا الفضاء مكاناً محبوباً بشدة، وتذكرنا هذه التجربة بما كان يفعله السلف عند تصميم أطفالهم من تحبيب لهم في هذا الفعل بشقّي التقنيات والدعابات؛ بما يسهل عليهم هذه الممارسة وينشطهم عليها، إلا أنه من الجدير بالإشارة وتطبيقاً لمنهج التوسط والاعتدال ألا يتوسع في هذا الأمر إلى حدّ المبالغة إلى أن يصبح فضاء المسجد يطغى عليه وجود هذه الألعاب؛ لئلا يفقد بذلك خصوصياته الروحية.

وعن علاقة مؤسسة المسجد بالمعاق أو بالأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، فيكفي في تأصيل هذه العلاقات أن نذكر أن تاريخ الإسلام سجل في ذاكرته البارزة مؤذناً من مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من المنتمين إلى هذه الفئة، حيث كان كفيف البصر وهو عبد الله بن أم مكتوم، فعن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ بِلَالًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ)) [مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ): مسند بني هاشم، حديث عبد الله بن عمر، رقم: 5195، ج9/ص171]، بل حظي هذا الرجل بشرف مسؤولية الصلاة بالمسلمين في غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلف ابن أم مكتوم يؤم الناس وهو أعمى (سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب إمامة الأعمى، رقم: 595، ج1/ص444)، حيث ورد في بعض الروايات أن هذا الاستخلاف قد كان في غزوة تبوك، ولا شك أن استخلاف النبي صلى الله عليه وسلم له على الصلاة -رغم إعاقته- أكبر دليل على أن هذا الأمر لم يكن ليشكل حاجزاً أو عائقاً له في القيام بوظيفة من أهم الوظائف المسجدية التي تتطلب بدرجة أولى توفر كفاءة الدين واستقامة الخلق، دونما نظر إلى أمور خلقية لا دخل للمرء في حصولها.

ونجد أن ابن أم مكتوم هو الرجل الذي لم يرنخص له النبي صلى الله عليه وسلم في التخلف عن الجماعة رغم إدلائه بعذره المتجلي في العمى وعدم توفر وسيلة الإرشاد، عن أبي رزين عن عمرو بن أم مكتوم قال: ((جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنْتُ ضَرِيرًا، شَاسِعَ الدَّارِ، وَلِي قَائِدٌ لَا يُلَاقِيَنِي، فَهَلْ تَجِدُ لِي رُخْصَةً أَنْ أَصَلِّيَ فِي بَيْتِي؟ قَالَ: أَتَسْمَعُ النَّدَاءَ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: مَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً)) [مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ): مسند المكيين، حديث عمرو بن أم مكتوم، رقم: 15490، ج24/ص243].

يُفْهَم هذا الحديث إذن في سياقه المقصدي، وذلك باستحضار مجموع الأحاديث الواردة في فضل الجماعة والأعذار التي تبيح التخلف عنها، فليس الحديث مسوغاً للقول بفرضية العين في الحضور للجماعة من قبل الأعمى، بل تأكيد على الأهمية والمكانة التي تحظى بها، وأن الفضل الذي يحصل فيها لا يحصل في البيت بالنسبة للمتخلف عنها، يقول محمد البكري الصديقي (ت1057هـ) في شرح هذا الحديث: 'وفي الحديث تأكيد طلب الجماعة واحتمال خفيف التعب في حصوله. وذلك أن الغالب على من قرب داره من المسجد أن يعرف مكابد الطريق لقصره؛ فيقل لحاق الضرر به، ثم الترخيص يحتمل أنه كان باجتهاد أو وحي، ورفع الناسخ له كان كذلك' (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، ج6/ص551، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1425هـ/2004م).

فكأن هذا الحديث يجب بطريقة تلمح لأحوال الإنسان المعذور مع كيفية تردده على مؤسسة المسجد، حيث إنه ليست جميع الإعاقات تشكل مانعاً وحاجزاً يحول دون فعل أي شيء، وتقف سدا مانعاً ضد اكتساب أي أجر، ويؤيد هذا التفصيل ما ذكره الشيخ محمد العثيمين (ت1421هـ): 'وبهذا علم أن قوله تعالى: "لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ" [سورة النور: الآية61] ليس على سبيل العموم، بل ليس عليه حرج فيما لا يمكنه فعله مع العمى، وأما ما يمكنه فعله مع العمى؛ فإنه عليه حرج في تركه، فالعلة التي هي العمى إنما تكون مؤثرة فيما إذا كان لا يمكنه فعله مع وجود العمى' (فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: محمد بن صالح العثيمين، ج2/ص257، تحقيق: صبحي بن محمد رمضان وأم إسراء بنت عرفة بيومي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ/2006م). وقيل: [الترخيص أولاً باعتبار العذر، والأمر بالإجابة للندب، فكأنه قال: الأفضل لك والأعظم لأجرك أن تجيب وتحضر؛ فأجب] (مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن عبيد الله المباركفوري (ت1414هـ)، ج3/ص488، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس، الهند، ط3، 1404هـ/1984م).

إن هذا الفقه النبوي يدل على ما لهذه المؤسسة المسجدية في الحفاظ على حيوية هذا الشخص الأعمى والحرص على نشاطه، باستحضاره لعظيم الأجر الذي يحصله، وجعله يحیی الأجواء الاجتماعية التي يتبادلها أهل المسجد، يقول الدكتور أحمد الريسوني متحدثاً عن المعاق أو الأعمى على وجه الخصوص في علاقتهما بالمسجد: 'فلو وجدت هذه المرأة من يقول لها: وما هي الرحمة يا سيدي؟ أليست دعوة الأعمى للحضور للمسجد رحمة؟ لو لم يأت للمسجد؛ سيصير مقعداً من شدة الأمراض والبدانة والقعود، فتحرّكه رحمة... وحتى لو لم يكن يصلي، قد يأتي الطبيب ويقول له: عليك أن تتحرك وتمشي ساعة في اليوم، سيقال حينئذ هذه رحمة، لكن حين يقول له الشرع: اذهب إلى المسجد ومجموع ذهابك وإيابك ساعة، أليست هذه رحمة؟... أليس اختلاطه بالناس رحمة؟ هل نريد أن نغزله في سجن في كآبة وغم ومعاناة؟ يلتقي بالناس ويعانقهم ويتحدثون إليه، أليست هذه فسحة ورحمة...؟' (محاضرات في مقاصد الشريعة: أحمد الريسوني، ص 279 بتصرف، دار الكلمة، القاهرة، مصر، ط4، 1436هـ/ 2015م).

ومن القضايا التي ترتبط بهذا الموضوع ما يجعل في بعض المساجد من ممر جانبي خاص في آخر كل صف من جهتيه معاً على الأفرشة المسجدية، يلائم تحريك عجلات الكرسي المتنقل الذي يستند إليه الشخص المقعد حينما يأتي إلى المسجد، فهذا مظهر رائع من مظاهر مراعاة رغبة هذه الفئة في شهود الجماعة المسجدية، وعبرة بليغة للأصحاء الذين يتخلفون عن هذه الجماعة من غير عذر، ويحرمون أنفسهم ثمارها وخيراتها، ولعل هذا المشهد يذكرنا بالحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيمن كان يحضر الجماعة على عهد النبوة ومن يتخلف عنها، إذ يقول: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُلْقَى اللَّهُ غَدًا مُسْلِمًا؛ فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادِي بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ؛ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ؛ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُتَافِقٌ مَعْلُومُ النَّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ¹ حَتَّى يَقَامَ فِي الصَّفِّ)) [صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، رقم: 654، ج1/ ص453].

يعتبر هذا الحديث دليلاً واضحاً على علو الهمة التي كانت تلازم المريض وشغفه الكبير بالجماعة المسجدية وتعلقه بها، رغم أنه من أهل الأعدار، وما ذاك إلا لأن أجواء الجماعة وفضلها العظيم ينسيه ما به

¹ يهادى بين رجلين: أي يمسه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما.

من الألم، وتقريب ذلك يحصل من خلال مطالعة الشعور والإحساس الذي يكون عند المريض؛ وذلك إذا زاره أحبائه في جماعة، حيث يستأنس بهم ويألف معهم في جو تفاعلي ينسى معه كل آلامه ومعاناته.

ومما يرتبط كذلك بموضوع علاقة المعاق أو المريض بمؤسسة المسجد ظاهرة وضع الكراسي التي تجعل رهن إشارة من يستند عليها في الصلاة أو أثناء الجلوس في المسجد للذكر أو لسماع درس أو موعظة ما، حيث أصبحت مجموعة من المساجد تأخذ هذه الظاهرة بعين الاعتبار وتوليها العناية اللازمة بتخصيص عدد كاف من هذه الكراسي التي يتم تعليقها في موضع خاص مراعاة لحاجة هذه الفئة لها؛ من أجل التزود بإيمانها وتربويها واجتماعيا من المؤسسة المسجدية.

ونجد كذلك في بعض المساجد في الجناح المخصص للمرافق الصحية تخصيص مرفقا منها للأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث يجعل فيه مكان قضاء الحاجة على شكل كرسي يسهل عليه القيام بهذه العملية دون عناء أو حرج، وهذا فيه من عمق الاهتمام بهذه الفئة الحيوية الرائدة واعتراف ضمني أن لها مكانتها الأساس داخل هذه المؤسسة؛ من أجل أن تسهم في وظائفها ونشاطها.

وفي آخر تحليل عناصر هذا العامل نصل إلى ظاهرة النوم في المسجد وأبعادها المتداخلة، فابتداء قد كان المسجد مكانا ينام فيه أهل الصفة من فقراء الصحابة، والذين لم يكن لهم مأوى ولا ملجأ سوى المسجد، يأوون إليه، فيبيتون فيه، ثم تأتيهم من المساعدات من المسلمين على قدر ما يسدون به رمقهم وحاجتهم، وعليه، قد كان المسجد يسد حاجتهم الإيوائية الاجتماعية في هذا الصدد.

ومن الأدلة التي وردت في السنة تفيد جواز هذه الظاهرة في مؤسسة المسجد:

(1) عن نافع عن ابن عمر قال: ((كُنَّا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ، نَقِيلُ فِيهِ وَنَحْنُ شَبَابٌ)) [مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ): مسند بني هاشم، حديث عبد الله بن عمر، رقم: 4607].

(2) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ قَالَ: ((دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَهْطٌ مَعِيَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَتَعَشَيْنَا عِنْدَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنْ شِئْتُمْ رَقَدْتُمْ هَا هُنَا، وَإِنْ شِئْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُلْنَا: فِي الْمَسْجِدِ؟ قَالَ: فَكُنَّا نَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ)) [مصنف عبد الرزاق الصنعاني (ت211هـ): كتاب الصلاة، باب الوضوء في المسجد، رقم: 1656، ج1/ص423، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ].

ولا شك أن هذه الأدلة إن دلت؛ فإنما تدل على أمور ثلاثة وهي:

-أن الصحابة كان يجدون راحتهم وطمأنينتهم في المسجد أكثر مما يجدونها في غيرها من الأماكن، وبالتالي كانوا يفضلون أخذ نصيبهم من هذا النوع من الراحة في بيت الله؛ ليكونوا أشد تعلقا به، رغم أنهم يتوفرون على بيوتهم الطبيعية، إلا أن هذا البيت له وقعه وأثره الخاص.

-أن مكانة المسجد لا تتجزأ من الحياة الاجتماعية العامة للصحابة ولا تنفصل عنها، وبالتالي، كان له نصيبه من الحضور حتى في هذه المناسبة التي لا يكاد المرء ينفك عنها في حياته اليومية وهي النوم، لما له من أثر نفسي وأثر صحي على الفرد.

-أن المسجد ليس فقط بيتا يملأه الشيوخ وكبار السن والعجزة والمقعدون؛ ممن يؤسوا من الحياة ولم يعد لهم مهام فيها، بل هو مكان يسجل باستمرار حضور فئة الشباب رغم وجود دواعي القوة والشهوة التي تحرك نفوسهم نحو ملذات الدنيا.

ومن أدلة هذه الظاهرة كذلك ما روي عن شريك بن عبد الله، أنه قال: سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه ((جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى، فيما يرى قلبه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه، فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتيه حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده، حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب، محشوا إيمانا وحكمة، فحشا به صدره ولغاديدته¹ ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا...)) [صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله "وكلم الله موسى تكليما"، رقم: 7517، ج9/ص149]، ولا بد هنا من الإشارة إلى أن الأصل في

الاستئذان بالفعل النبوي هو عدم الخصوصية، نظرا لعدم وجود الدليل على ذلك.

¹ يعني: عروق حلقه.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ نَائِمٍ فِي الْمَسْجِدِ مُنْبَطِحٍ عَلَى وَجْهِهِ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ: ((قُمْ وَاقْعُدْ، فَإِنَّهَا نَوْمَةٌ جَهَنَّمِيَّةٌ)) [سنن ابن ماجه (ت273هـ): كتاب باب النهي عن الاضطجاع على الوجه، رقم: 3725، ج2/ص1227]¹.

ولعل هذا الحديث يفيد النهي على صفة معينة في النوم، مع أنه خفي الدلالة في هل هذه الصفة متعلقة بالمكان أم هي عامة في جميع الأحوال، ولذلك وردت مجموعة من الأحاديث تصف هيئة النوم والاتكاء في المسجد على الوجه الفعلي الذي لا يتحقق فيه نهي أو إخلال بالآداب المسجدية اللازمة، من ذلك عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَبْدِ بْنِ تَمِيمٍ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَغْنِي فِي الْمَسْجِدِ، مُسْتَلْقِيًا وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى)) أخرجاه في الصحيح من حديث ابن عيينة [عرفة السنن والآثار: أبو بكر البيهقي (ت458هـ)، كتاب الصيام، باب الرجل يستلقي في المسجد ويضع إحدى رجليه على الأخرى، رقم: 9121، ج6/ص406، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي-باكستان) ودار قتيبة (دمشق-بيروت) ودار الوعي (حلب-دمشق) ودار الوفاء (المنصورة-القاهرة)، ط1، 1412هـ/1991م]، وعليه فكل نوم صاحب هذه الهيئة فليس ثمة ما يمنع منه، وليس فيه ما يدل على النهي.

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ حَكِيمٍ الصَّنَعَانِيُّ، قَالَ: أُرْسِلَنِي أَبِي إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ يَسْأَلُهُ عَنِ النَّوْمِ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «فَإِنْ كَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ يَنَامُونَ، وَلَمْ يَرِ بِهِ بَأْسًا» [مصنف عبد الرزاق الصنعاني (ت211هـ): كتاب الصلاة، باب الوضوء في المسجد، رقم: 1648، ج1/ص421، وهذا الحديث مقطوع لأن منتهاه هو سعيد بن المسيب من طبقة التابعين]، فهذا الاستفهام متضمن لنوع من الإنكار، وكان الأمر بمثابة ظاهرة مألوفة.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: ((كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَكُنَّا إِذَا أَمْسَيْنَا حَضَرْنَا بَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْمُرُ كُلُّ رَجُلٍ فَيَنْصَرِفُ بِرَجُلٍ، فَيَبْقَى مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ عَشْرَةٌ أَوْ أَكْثَرُ أَوْ أَقَلُّ، فَيُؤْتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشَائِهِ فَنَتَعَشَّى مَعَهُ، فَإِذَا فَرَعْنَا؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَامُوا فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَمَرَّ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا نَائِمٌ عَلَى وَجْهِهِ، فَغَمَزَنِي بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: يَا جُنْدُبُ، مَا هَذِهِ الضُّجْعَةُ، فَإِنَّهَا ضُجْعَةُ الشَّيْطَانِ)) [حلية الأولياء وطبقة الأصفياء: أبو نعيم الأصبهاني (ت430هـ)، كتاب ذكر أهل الصفة، حديث جندب بن جنادة، ج1/ص352، دار الكتب

¹ تعليق محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد الوليد بن جميل، لينة أبو زرعة، وقال أبو حاتم: شيخ روى عن القاسم أحاديث منكرو وقال أبو داود: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، وسلمة بن رجاء ويعقوب بن حميد مختلف فيهما، وضعفه الألباني.

العلمية، بيروت، طبعة 1409هـ]، أي: لا يزال الإنكار هنا منصبا حول الهيئة التي وقع عليها النوم، وليس أصل النوم في حد ذاته.

ولا شك أن الحديث عن النوم سواء كان في المسجد أو في غيره متفاوت الدرجات، فقد نتحدث عن الاضطجاع، وقد نتحدث عن الغفوة أو السّنة، وقد نتحدث عن العمق في النوم، ولكل من هذه الصفات خصائص وأحكام تتعلق بها.

وبالتالي، فظاهرة النوم في المسجد ظاهرة ينبغي أن ينظر إليها نظرة توسط واعتدال، دون احتياط مبالغ فيه ودون تسبب وتساهل في إباحتها، وذلك لأن النوم من الحاجيات الإنسانية التي قد ترتبط في أحيان كثيرة بالمسجد، وذلك إما لتعذره خارجه نظرا لعدم سماح الوقت، أو نظرا لعدم توفر الإنسان على مكان آخر بديل، أو رغبة منه في تفضيل البقاء قريبا من هذا المكان؛ حتى يسهل أداء العبادة في وقتها دون حرج بسبب التنقل إلى المسجد على إثر ذلك، كما أن ظاهرة النوم في المسجد ينبغي أن يتعامل معها على قدر الحاجة، بحيث لا تصبح سائدة بشكل كبير داخل الفضاء المسجدي، وذلك حتى لا تشوه صورته العامة، وحتى لا تحول دون أداء الوظائف المسجدية الأخرى، لأن من المظاهر المستنكرة في بعض المساجد أنه لو قُدِّر لأحد أن يدخلها في وقت من الأوقات؛ سيجد الكثير نياما مستلقين على الأرض؛ حتى وكأنهم لا يتحركون المجال الكافي للمصلين من أجل الصلاة أو الجلوس بشكل مطمئن، كما أن صفة النوم على الغرار الذي ورد في بعض الأحاديث السالفة مما يجدر به التنبيه على أن للمكان حرمة في كيفية الجلوس أو ممارسة هذه الظاهرة دون مساس بحق الآخرين، ودون الإخلال كذلك بالأدب العام والقيم التربوية التي يرسخها المسجد في نفوس أهله.

ولذلك، تضاربت أقوال الفقهاء في هذه الظاهرة بين مجيز ومانع، ولعل مرد ذلك إلى زاوية النظر التي انطلق منها كل واحد منهم ليؤسس موقفه حول هذه الظاهرة أو يقارنها في ظل فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد المترتبة على الفعل، ومن ذلك ما قاله أبو عبد الله ابن الحاج المالكي العبدري الفاسي (ت737هـ): 'ويُنهي عما أحدثوه من النوم في المسجد، سيما بعد صلاة الصبح وكذلك في أثناء النهار سيما في شهر رمضان، فتجد المسجد قد ارتص بالناس في الغالب، وقد ورد في الحديث: ((إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم))¹. والنائم قل أن يسلم من خروج الريح منه؛ فتأذى الملائكة به، وقد نهينا عن دخول المسجد

¹ أصل الحديث في عدة مصادر حديثية منها ما روي في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، الثُّومَ -وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ

برائحة الثوم أو البصل؛ ... فإذا كان هذا في حق الثوم؛ فمن باب أولى الريح الخارج من المخرج، وقد يحتلم
النائم فيبقى جنباً' (المدخل: ابن الحاج المالكي، ج2/ص231، دار التراث).

فلا شك أن النوم في هذه الحالة وأضرارها يتأذى منه الناس، وبالتالي فالقاعدة الشرعية التي تقول
بمنع كل ما فيه ضرر تجعلنا نقول بأنه يتعين منع هذا النوم إذا كان على هذا الشكل، لكن ابن الحاج نفسه لا
يصرح جازماً بمنع النوم داخل الفضاء المسجدي بشكل قاطع، إذ يقول متحدثاً عن المحراب: 'ألا ترى أن
علماءنا رحمة الله عليهم قالوا فيمن اضطر إلى النوم في المسجد؛ أنه ينام في محرابه، لأنه أخف من باقي المسجد،
بل ينبغي له أنه إذا كان المسجد لم يضق بالناس؛ فلا يدخل الإمام إلى المحراب' (المدخل: ابن الحاج المالكي،
ج2/ص272).

فكانه يجعل النوم في المسجد من قبيل ما يقدر قدر الضرورة التي لا يلجأ إليها إلا عند الاقتضاء، ومن
هذا الضرب ما نقل في إباحة النوم النهاري لا الليلي بالمساجد، كما في التاج والإكليل لمختصر خليل: 'وَنَوْمٌ
بِقَائِلَةٍ) قال ابنُ شاسٍ (ت616هـ): خُفِّفَ فِي الْقَائِلَةِ النَّوْمُ فِي الْمَسْجِدِ نَهَارًا لِلْمَقِيمِ وَالْمَسَافِرِ' (التاج والإكليل
لمختصر خليل: ابن شاس، ج7/ص616) أو ما نقل عن مالك من التفريق في هذا الأمر بين حال الإقامة
وحال السفر خلافاً لمذهب الشافعي في ذلك، يقول الإمام الزركشي (ت794هـ): 'يجوز النوم في المسجد،
نص عليه الشافعي في الأم، وذكره الشاشي في المعتمد، وقل من تعرض له، وحكاه في الروضة...، وأن ابن
عباس قال: لا تتخذ المساجد مرقداً، وعنه أنه قال: إن كنت تنام فيه للصلاة؛ فلا بأس، وأن مالكا قال: أما
الغرباء الذين يأتون فيمن يريد الصلاة؛ فيني أراه واسعاً، وأما رجل حاضر؛ فلا أرى له ذلك، وأن أحمد قال:
إذا كان على رجل سفر وما أشبهه؛ فلا بأس، فأما أن تتخذ مبيتاً أو مقيلاً؛ فلا' (إعلام الساجد بأحكام
المساجد: الزركشي، ص305/306).

وما دامت هذه التفريقات التي نهجها العلماء يصعب ضبطها وتوحيدها؛ فيبقى مرجع الاحتكام في
ذلك هو المصلحة والموازنة بين المنافع والمفاسد المترتبة عن الفعل من عدمه —والله اعلم—.

ونجد الإمام البخاري ييؤب في صحيحه أبواباً تحت عناوين: باب نوم الرجال في المسجد، باب نوم
النساء في المسجد وباب الاستلقاء في المسجد ومد الرجل، ويستدل للتبويب الأخير بما روي عن عباد بن تميم
عن عمه أنه رأى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَلْقِيًا فِي الْمَسْجِدِ، وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى
الْأُخْرَى، وَعَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: كَانَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ يَفْعَلَانِ ذَلِكَ (صحيح البخاري).

تَنَادَى مِمَّا يَنَادَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ)) [كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها،
رقم: 564].

كتاب الصلاة، باب الاستلقاء في المسجد ومدّ الرجل، رقم: 475، ج1/ ص102)، ولا شك أن هذه التبويبات تفضي إلى القول بأن قضية النوم لم تكن محل إنكار وتشديد في مجملها وأصلها، كيف لا والإمام البخاري يفصل في جزئيات القضية ضمن أكثر من باب، ولو كان هناك إنكار أو محل شبهة؛ لما تم إغفال إيراده.

إن هذا التبويب من الإمام البخاري يجعلنا ننظر للنوم في أشكاله المختلفة أنه يهدف إلى تحقيق الراحة والسكينة التي يتوخاها الفرد، وبالتالي، فكل نوم يخرج عن هذا الإطار ويعود بخلاف المقصود المنتظر من رسالة المسجد؛ فهو في محل نقاش وينبغي أن يوزن بميزان الشرع بقواعده وأصوله ومقاصده، ولذلك يقول الإمام الزركشي: 'يجوز الاستلقاء في المسجد ومدّ الرجل والاتكاء ...، قال البغوي في شرح السنة: إلا الانبطاح فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عنه، وقال: إنها ضجعة ييغضها الله، ... وأما ما روي من نهي في حديث جابر عن هذا الوضع فإنه محمول على الخوف من انكشاف العورة، كما قال البغوي في شرح السنة' (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص330/ 331 بتصرف).

ويستحسن في هذا الإطار -وخروجاً من الخلاف ودعواً للشبهات- أن يتخذ في المساجد مكان خاصٌ لجلوس الضيوف، ويجعل فيه متكأً لأخذهم نصيباً من الراحة في جو من الاستقلال عن الفضاء المسجدي العام؛ والذي تمارس فيه العبادات وكافة الوظائف المسجدية الأخرى، وذلك حتى لا يعيق التمتع بهذه الظاهرة أداء بقية الوظائف الأخرى.

وفي ختام هذا العامل يتبقى ما يتعلق بالعنصر المتمحور حول تنشيط الأطفال وعلاقة ذلك بمؤسسة المسجد، فالمتبادر من خلال هذا العنصر أنه لو تم استثماره بشكل جيد وتم الاشتغال على إنجاحه باهتمام بالغ؛ لحصل بذلك من الخير والنفع الكبير، وعلى رأس المقاصد المرجوة من خلال هذه الوجهة تحصيل عمق ارتباط هذه الفئة بالمسجد والحفاظ على القيم التربوية النبيلة في نفوس هذه الفئة بشكل كبير، ولعلني أسوق في هذا المقام تجربة ميدانية ملاحظة من مدينة الجديدة وتدقيقاً من مسجد حي السلام، حيث يتوفر هذا المسجد على كتاب قرآني مرافق له يشرف عليه الأستاذ (إ. ح)، ويفوق عدد المستفيدين فيه سبعين طفلاً من مختلف الأعمار، فكر أستاذهم في طريقة تنشيطية تجعلهم أكثر ارتباطاً بالكتاب المسجدي، وذلك خلال العطلة الصيفية التي تتعدد فيها المغريات المبعدة عن المسجد وجوّه، فكان هؤلاء الأطفال يحفزهم بمباريات في كرة القدم وألعاب ينخرطون فيها بشكل يومي تتخلل البرنامج اليومي لتلقي ومراجعة القرآن الكريم، كما يمدّهم بالوجبات الغذائية اللازمة عن طريق تطوع أحد الناس ممن يقومون بتحضير ذلك في الوقت المناسب، في جو يغمره المرح والفكاهة عن طريق تنويع الأطباق الغذائية التي تؤدي هي الأخرى وظيفة هامة في إقبال هؤلاء الأطفال على البرنامج الصيفي بشكل مكثف ومحفز، وخلال كل يوم أحد ينظمون خرجة جماعية في الصباح

الباكر إلى شاطئ الحوزية والغابة المرافقة له، تلك الخرجة التي ينتظرها الأطفال بفارغ الصبر، لأنهم يجدون فيها متعة كبيرة ويستفرغون فيها ما لديهم من جهد وجداني وحركي، فكان هؤلاء الأطفال يستمتعون بأنشطتهم الترفيهية والرياضية بشكل يومي مستمر، دون أن يؤثر ذلك على علاقتهم بالقرآن الكريم، يأتون كل يوم من العطلة إلى الكتاب ويقضون فيه وقتا كبيرا يتنوع بين حفظ وترفيه وراحة واستحمام ومسابقات...، وقد أثرت هذه الجهود التنشيطية من خلال هذه الخطة أن استطاع مجموعة من هؤلاء الأطفال -الذين يتمتعون بأخلاق عالية- أن يحتفظوا بحفظ كتاب الله تعالى، مع أنهم يتابعون دراستهم بشكل طبيعي على غرار أقرانهم من الأطفال، وفي كثير من الأحيان أرمق مجموعة من هؤلاء الأطفال يمارسون كرة القدم بالمساحات المجاورة لهذا المسجد مع مجموعة من أقرانهم ممن نسجوا معهم علاقات تفاعلية هامة بموازاة أنشطة هذا الكتاب، حتى إذا نودي للصلاة؛ أقبل هؤلاء الأطفال على هذه العبادة لأدائها بمعية أستاذهم وشيخهم؛ مما يغرس الأثر البارز للتربية المستقيمة في نفوس هذا النشء.

وفي السنة الماضية بمدينة الجديدة أيضا تم تنظيم دوري في رياضة كرة القدم شاركت فيه فرق عديدة، يمثل كل واحد منها كتاب مسجدي معين من الكتاتيب التابعة لمجموعة من مساجد هذه المدينة، بل كان أحيانا يتم تشكيل فريقين لبعض الكتاتيب نظرا للكم الكثير الذي يعرفه من حيث عدد المستفيدين من الكتاب، وهو نشاط حظي باهتمام بالغ وحافزية كبرى من طرف الأطفال المشاركين فيه، لكونه يمثل مجالا مناسباً لصقل مواهب الأطفال وإبراز الكفاءات الحركية التي يمتلكونها، سيما وأن أغلب الأطفال حاليا شغوفون بحب رياضة كرة القدم ممارسة وتتبعها.

إن إنجاح توطيد علاقة أي طفل بمؤسسة المسجد رهين بتوفير الخطة التنشيطية والتحفيزية التي من شأنها أن تبقيه في فضائه منخرطا ومشتاقا للتفاعل مع مكوناته المادية والمعنوية، دون أن يحس فيه بثقل وعبء وإكراه، فالتخفيف والتنويع وسيلة لتجديد النفس ومناسبة لاستبعاد شعور الاستثقال والملل.

3.6. توصيف واستكشاف العامل الثالث.

1.3.6. توصيف العامل الثالث:

int7	0,687
int9	0,640
int4	0,431

يضم هذا العامل الثالث ثلاثة أسئلة فقط، وهي أسئلة تنتمي إلى المجال التفاعلي ضمن الموضوع الرئيس للبحث دون أن يتداخل معها طبعاً أي سؤال من المجال المعرفي للمسجد، وبالتالي، لا تزال قضية الاستقلالية والانفصال تتكرر وتتأكد بين عناصر المعرفة وعناصر التفاعل فيما يتعلق بموضوع مؤسسة المسجد التفاعلي، ويمكن عنونة هذه الأسئلة على الشكل الآتي:

المسجد والزكاة

المسجد وإيواء الغرباء

المسجد وإيواء المحتاجين

والملاحظ في هذه العناوين الثلاثة أنها تصب جميعاً في اتجاه سد الحاجة الاجتماعية لأفراد المجتمع الإسلامي، وذلك في شقه **الاحتياجي المادي**، خاصة في النفع المتعدي للأفراد، نظراً لأحوالهم الخاصة، أي أنها منسجمة في وحدتها الموضوعية وليس بينها أي نشاز، ولا شك أن هذا النوع من الحاجة ينحو **منحى داخلياً**، لأنه يهم فقط عناصر المجتمع الإسلامي، وبالتالي فالمقصود بالغرباء والمحتاجين أساساً وبدرجة أولى هم الذين ينتمون لهذا المجتمع، وهذا أليق وأقرب في الأجرأة والتطبيق الواقعي، وذلك تفادياً لبعض الإحراجات والمضايقات والأخطار التي قد تنجم نتيجة توسيع دائرة الاستفادة والتنفيذ.

يمكن أن نصطلح على تسمية هذا العامل الثالث: **الخدمة المادية المتعدية لمؤسسة المسجد التفاعلي**، أي أننا في إطار الخدمة المادية لمؤسسة المسجد التفاعلي، ويمكن الحديث عن ذلك في شقين متعاكسين تماماً، إما أن نتحدث على الخدمة المادية لمؤسسة المسجد فيما يتعلق بالمتطلبات المادية من النفقات والمصاريف اللازمة لتدبير مختلف شؤونه ووظائفه، وهذه خدمة لا يستغنى عنها، بل لا تقوم لهذه المؤسسة قائمة إلا بتوفرها، كما يمكن الحديث كذلك في شق آخر عن الخدمة المادية لمؤسسة المسجد؛ فيما يحققه من نفع وبذل مادي للمجتمع أفراداً وجماعات، وبالتالي، فالمؤسسة المسجدية في شقها المادي مؤسسة أخذ وعطاء مستمرين متلازمين، كأهمها وجهان لعملة واحدة، بل تخلف وتعطل إحدى هاتين الوجهتين ينبئ عن خلل وظيفي أو لا توازن في العمل المادي لهذه المؤسسة.

2.3.6. استكشاف عناصر العامل الثالث:

يعتبر العنصر الأول من عناصر هذا العامل والذي يتعلق بالزكاة عنصراً هاماً في تحليل هذا العامل من حيث الإمكان الواقعي ومن حيث ضوابط الممارسة، فالملاحظ من خلال الواقع المشاهد أن علاقة هذه المؤسسة بظاهرة الزكاة تبقى في حدود ضيقة، يمكن أن نرصدها مثلاً في لجوء مجموعة من الأثرياء إلى إعطاء نصيبهم الواجب من الزكاة إلى القيمين الدينيين، سواء تعلق الأمر بالإمام أو المؤذن أو المنظف على اعتبار أن

هناك روابط عاطفية تتولد من خلال علاقة هؤلاء الأثرياء بهؤلاء القيمين الدينيين، ونظرا لأن فئة عريضة من هؤلاء القيمين تنتمي إلى صنف الفقراء والمساكين ممن يمكن أن تصرف لهم الزكاة، إلا أن هذه العملية من حيث التقييم ينبغي أن تتم بنوع من التحري واليقين، وذلك حتى يتم صرف الزكاة إلى مستحقيها، إذ بات من شبه المؤكد أن القيمين الدينيين ليسوا على درجة واحدة من حيث المستوى المادي، ولا يمكن كذلك أن نجزم بانتمائهم كليا إلى صنف الفقراء والمساكين؛ حتى يستحقوا بذلك أخذ هذه الزكاة، ومن جهة أخرى تستوقفنا قضية أخرى لها علاقة بموضوع الزكاة، وهي صرف مالها لصالح مؤسسة المسجد، سواء من حيث البناء أو من حيث الخدمة، حيث تعرف هذه القضية جدلا فقهيًا بين أهل هذا الشأن، فمنهم من لا يرى دخول بناء المساجد والإنفاق عليها تحت مصرف الزكاة¹، ومنهم من يوسع في المجالات المنضوية تحت هذا المصرف فيدخلها تحته، ولذلك ورد في الموسوعة الفقهية الكويتية: 'ذهب الفقهاء إلى أنه لا يجوز صرف الزكاة في جهات الخير غير ما تقدم بيانه، فلا تنشأ بها طريق، ولا يبنى بها مسجد ولا قنطرة، ولا تشق بها ترعة، ولا يعمل بها سقاية، ولا يوسع بها على الأصناف، ولم يصح فيه نقل خلاف عن معين يعتد به، وظاهر كلام الرملي أنه إجماع، واحتجوا لذلك بأمرين:

الأول: أنه لا تملك فيها؛ لأن المسجد ونحوه لا يملك، وهذا عند من يشترط في الزكاة التملك.
والثاني: الحصر الذي في الآية، فإن المساجد ونحوها ليست من الأصناف الثمانية (الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج23/ ص328-329، دار السلاسل، الكويت، 1427هـ).
ويبقى السؤال المطروح ميدانيا: إلى أي حد يمكن لمؤسسة المسجد أن تنجح في عملية جمع الزكوات وتوزيعها بشكل منظم؟ وذلك لأن هذه الأمر يتطلب وجود منهجية تسيير وتدير ثلاثية الأبعاد؛ حتى يتم التوفيق بين عمليات الجمع والتوزيع والتفويج كل واحدة على حدة، إذ يمكن للمؤسسة المسجدية أن تشتغل في عملها الوظيفي على شكل لجان متعددة التخصصات، فمنها ما هو اجتماعي ومنها ما هو ثقافي، ومنها ما هو تربوي ومنها ما هو اقتصادي مالي، حيث نجد الأستاذ علي محمد مختار يقسم لجان العمل المسجدي في تنظيم محكم منظم وفق ما يلي: [لجنة الإعمار والإصلاح-لجنة الكتاب-اللجنة الثقافية-لجنة التعليم-اللجنة الاجتماعية-لجنة التبرعات]² (دور المسجد في الإسلام: علي محمد مختار، ص12/ 15 بتصرف).

¹ في سبيل الله.

² مع أنه من الأولى أن تتوسع دائرة خدمات هذه اللجنة لتشمل بذلك كلما يتعلق بتدبير وتسيير الموارد المالية لمؤسسة المسجد، وبالتالي يجدر أن تسمى باللجنة الاقتصادية للمسجد.

وهناك تقسيم آخر محكم ينهجه الأستاذ عبد الحفيظ ماموح لهذه اللجان: [لجنة المؤسسات التعليمية-لجنة الجامعات-لجنة الصحة(المستشفيات)-لجنة الخيريات-لجنة الطفولة (ورشات الأطفال)-لجنة الأسرة (المشاكل الأسرية/ توجيهات)] (السياسة الدينية بالمغرب-وظيفة المسجد أمودجا-: عبد الحفيظ ماموح، ص44/45 بتصرف)، حيث يسمي اللجنة المعنية بهذا المهام بما يجلي مقصدية عملها وغايته. وحينذاك لا بأس أن يوكل ضمن مهام لجنة التبرعات أو الخيريات -والتي تهتم بالشؤون الاقتصادية والمالية- القيام بجمع الزكاة من أهلها، لما تتميز به هذه العملية من تحفيز وتنشيط للمهم على هذا العمل الرفيع، وبعد تجميع تلك المبالغ المخصصة للزكاة، ينظر في مجموع المسجلين الذين تم رصدتهم في إطار دائرة الاستحقاق المصري للزكاة، وتوزع عليهم تلك المبالغ حسب تقدير المصالح والأولويات من طرف هذه اللجنة؛ وبالمشورة مع الهيئة العلمية لمؤسسة المسجد، وذلك لأن اجتهاد الجماعة في مثل هذه القضايا أولى وأفضل من اجتهاد الفرد.

ولعلنا نصطدم في إطار أجراء عملية جمع الزكاة مع إشكال واقعي؛ يتجلى في كون مجموعة من الميسورين اعتادوا إخراج الزكاة لأناس معينين خارج إطار المسجد، أو لا يرغبون في إخراج الزكاة عبر هذه القناة (المؤسسة المسجدية) حفاظا على سرية هذا الأمر وتجنباً للرياء، ولا شك أن هذا الخيار من حقهم، ولا أحد يملك تغيير هذه القناة ما دامت تستند إلى أمر شرعي، إلا أن النظر الفقهي والمقاصدي للوجه الذي تخرج عليه الزكاة والصدقة لا يتجه دوماً إلى الكتمان، فقد يكون من مقتضى المصلحة أن يتم إبداء وإعلان هذا الإخراج؛ تحقيقاً لمبدأ التحفيز والتشجيع على التنافس في الخير والإقبال عليه بكثرة، ودليل ذلك قوله تعالى: **"إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"** (سورة البقرة: الآية 271).

وبالتالي، فالناظر المتبصر في هيكلة نظام الزكاة عن طريق عمل مؤسسة المسجد يدرك أنه أمر تنظيمي يتوخى تجويد مردودية ونفع هذه الفريضة، مع أنه يتطلب تخطيطاً محكماً واحتياطاً لازماً في توزيع وتصريف أموال الناس، لأنها أمانة عظيمة، خاصة وأنها تتعلق بفريضة ربانية وأسس الإسلام، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأيادي التي يجب أن تشتغل في هذا الإطار ينبغي أن تكون نزيهة غير مشبوهة، حتى يقبل الناس على هذا العطاء بأريحية وثقة كبيرة، وينبغي أن تكون لأصحابها دراية تامة بواقع الناس وأحوالهم المعيشية؛ لئيم التفتن بنجاح إلى المستحقين للزكاة؛ فلا يعطى هذا النصيب إلى غيرهم، حيث إن أهل البلدة هم أدرى الناس بفقراء ومحتاجي بلدتهم، وكم وقعت من نزاعات ومشاكل في هذا الصدد، نظراً لعدم إعطاء الأولوية لتلك الاعتبارات اللازمة.

ولعل من الأمور المرتبطة بإخراج الزكاة ما يجده الناس من صعوبات نتيجة ضيق الوقت في التعامل مع إخراج زكاة الفطر، حيث يستغرقون وقتاً في البحث عن مستحقي هذه الشعيرة، فلماذا لا تأخذ اللجنة المالية لمؤسسة المسجد على عاتقها عملية تجميع زكاة الفطر، وتسهيل مأمورية تدبير تصريفها على الفقراء والمحتاجين؟ سيما وأن كثيراً من الناس يتجهون إلى المسجد عندما تضيق بهم السبل لإيجاد من يأخذ منهم زكاة الفطر، بل قد يدرك بعضهم وقت صلاة العيد وهو لم يخرجها بعد، فلا شك أن هذا الإشكال يدخل ضمن الخدمة الاجتماعية الفعلية للمسجد.

وإذا انتقلنا إلى العنصر الثاني من عناصر هذا العامل؛ والمتعلق أساساً بإيواء الغرباء؛ فإننا نجد أنفسنا أمام خدمة عظيمة، يمكن أن تؤديها مؤسسة المسجد، إذ لها جذور عريقة في السنة والتاريخ الإسلامي، لكننا في الوقت ذاته لا يمكن أن نطلق العنان للقول بالممارسة المطلقة لهذه الخدمة؛ دون قيود وضوابط تحمي الجانب الأمني للمؤسسة المسجدية، وتسهم في وقايتها بما قد يعود عليها بنقيض مقصدها الرسالي.

ولعل من القضايا الإشكالية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا العنصر هي تحديد نوعية هؤلاء الغرباء وطريقة تعرفهم مع الأخذ بعين الاعتبار الاحتياط الإجرائي اللازم في التعامل معهم، بالإضافة إلى نوع وحجم الإيواء والخدمة الذي يمكن أن تُسدى من طرف المؤسسة المسجدية إلى هذه الفئة.

فقد كان المسجد عبر تاريخ المسلمين قبلة لكل غريب ينزل في بلد ما، ويحتاج فيه إلى مأوى، وبالتالي كان هذا الأمر مفتاح خير لاستضافة هذه الفئة؛ إما داخل مرافق المسجد؛ وإما في بيت أحد من أهل البلدة، استحضاراً للنية الصالحة في إكرام الضيف؛ عملاً بالنصوص الشرعية المرغبة في هذا العمل الجليل، يقول الدكتور حسين مؤنس: 'ولكي يزداد وضوح الدور الاجتماعي للمساجد في عالم الإسلام، نلفت النظر إلى أننا عندما نقرأ كتب كبار الرحالة المسلمين-مثل ابن جبيرة والعبدري وابن رشد-نلاحظ أن أولئك الرجال كانوا إذا نزلوا بلداً لا يعرفون فيه أحداً اتجهوا إلى المساجد، وهناك يلقون الغرباء من أمثالهم، فيسألونهم عن الفنادق والأسعار وسبل المعيشة للغريب الطارئ، وفي معظم الأحيان كانوا يتعرفون هناك ببعض أهل البلد، ويعرفونهم بأنفسهم، فما يكاد هؤلاء يعرفون أنهم أمام عالم مسلم غريب حتى يفتحوا له الأبواب، يستضيفونه بعضهم أو يدلونه على رجل من أهل الخير يقوم بالواجب نحوه' (المساجد: حسين مؤنس، ص 33/34 بتصرف).

يتبين إذن أن تحقيق هذه الخدمة أمر رهين بقوة التواصل وحكمة التعرف على الشخص دونما تلبس أو غموض؛ بما قد يثير نوعاً من الشكوك والمخاوف، فكلما قويت وشائج التواصل وتجاذب أطراف الحديث مع الشخص الغريب كلما ظهر معدنه وحصل أو لم يحصل الأئس والارتياح معه لشخصه وطبعه، كما أنه ليس من الضروري في هذه الخدمة أن يتحقق المبيت أو الإيواء داخل فضاء المسجد، وإنما يكفي في ذلك أن

يكون المسجد وسيطا وسببا مباشرا في هذا العامل الخيري، كما أن خدمة المسجد للشخص الغريب قد تكون مفتاح خير عظيم؛ وذلك بالدلالة على أهل العلم وتقريبهم من محبيهم من أهل المسجد. ومن قبيل الخدمة الإيوائية لمؤسسة المسجد التفاعلي احتضان الطلبة الوافدين من أماكن خارج البلدة، حيث يأتون لحفظ القرآن وطلب العلم، فيكون ذلك مدعاة لإقامتهم بالمسجد وإيوائهم به؛ إما في شكل قسم داخلي أو مؤسسات تابعة له، على غرار ما ذكره الأستاذ عبد العالي المعكول عن القرويين، حيث يقول: 'وقد بنيت عدة مدارس كي يأوي إليها طلبة جامع القرويين، وحجبت عليها أحباس خاصة زمن المرينيين، ومن هذه المدارس: مدرسة العطارين، مدرسة المصباحية، مدرسة الشراطين، ...' (مؤسسة المسجد: عبد العالي المعكول، ص 26 / 27 بتصرف).

وبصور لنا الأستاذ أحمد متفكير مشهدا متميزا من مشاهد الخدمة الإيوائية لطلبة العلم بمساجد مراكش العتيقة فيقول: 'كان القصد من بناء هذه المدارس إيواء الطلبة، وكان بعضها يستعمل للتدريس أيضا إلى جانب المساجد الكبرى، ويتولى الإشراف على المدرسة مقدم، يخضع لمراقبة القاضي بعد أن يختاره الطلبة، حيث يجمع بين مهام المقتصد والمؤذن والبواب، وكثير من البيوت يتوارثها الطلبة من نفس العائلة عن طريق عدل ...، وللطلبة مؤونة يومية ظلت تتناقص مع الأيام، حتى انحصرت في خبزة، بالرغم من كثرة الأوقاف المخصصة لهذه المدارس' (مساجد مراكش عبر التاريخ: أحمد متفكير، ص 60 بتصرف). وعليه، يتبين من خلال ما سبق أن:

- خدمة مؤونة الطلبة الغرباء عملية مقننة، تتطلب تنظيما وتسييرا، بل وصاية، وذلك حتى لا يتم العبث بمكوناتها المادية فلا تتحقق حينها الغاية المرجوة.

- مرافق إيواء واحتضان هؤلاء الطلبة هي أماكن متعددة التخصصات، وذلك من أجل الاستغلال الأمثل للمرافق المادية المتاحة، رغبة في تحصيل الجودة والمنتوج اللائق في الكفاءة والتربية.

- خدمة إيواء واحتضان الطلبة الغرباء عرفت تضاؤلا من حيث نشاطها الوظيفي، ولا شك أن هذا الأمر يثير لدينا إشكال الوقوف مع محطة هامة في إطار مشروع مؤسسة المسجد التفاعلي، وهي محطة تقييم الخدمات الوظيفية التي يتم تقديمها، وذلك من أجل المراجعة والتقويم.

ولا بد من أخذ الاحتياطات اللازمة لضمان توفير المرتكز الأمني والحيلولة دون الوقوع في الأخطار، والوقوع في الشبهات الناتجة عن الانفتاح المطلق على المجهولين، سواء أكانوا من فئة الطلبة أو غيرهم، ولذلك فإن مجموعة من المساجد الموجودة بالقرى؛ خاصة فيما اطلعت عليه بشمال المغرب؛ يتعامل أهلها بطريقة حكيمة مع من يدركهم المبيت بها، حيث يشترطون في تلبية هذه الخدمة أن يدلي الشخص ببطاقته الوطنية للتعريف، ولا يسمح لأحد يمتنع عن الامتثال لهذا الشرط بالمبيت بالمسجد، حماية للجانب الأمني له، لأنه كم

أدى التساهل في هذا الأمر وعدم التعامل معه بإحكام إلى التسبب والوقوع في الجرائم والاعتداءات والمشاكل، والتي يعتبر المسجد في غنى عنها، بل ينبغي أن يظل في منأى عن هذه الشذوذات التربوية والسلوكية.

إن الاختيار السائد الذي يطبق في أجراً هذه القضية هو انتهاج أسلوب المنع سدا للذريعة، حيث إن كثيراً من الظروف والمتغيرات ساعدت على ترجيح هذا الاختيار، لكننا لا نفطن إلى أن الميل نحائياً مع هذا الاختيار يكرس منطق إغلاق المسجد والحد من إمكانياته الوظيفية وجعله مكاناً محدوداً، من حيث الأثر، لا يفتح إلا في أوقات الصلاة ويغلق مباشرة بعد الفراغ منها، إلا أن رجوع مؤسسة المسجد إلى سالف عهدها من حيث الوظائف التي كانت تضطلع بها أمر يدعو إلى التخطيط المعقلن والحكيم في حسن تقديم هذه الخدمة، لكونها قد تكون بوابة ومفتاحاً لخير عظيم، فلعن الله تعالى أن يهدي من هؤلاء الغرباء الذين يأوون إلى المسجد، ويشرح صدره نحو الخير والصالح بسماعه للذكر والقرآن الذي ينبع من هذا المكان.

ومن حسن التخطيط في تصميم كثير من المساجد المعاصرة خاصة في البوادي أنهم يجعلون من المرافق التابعة لها غرفة تخصص للضيوف الذين يأتون سواء في ضيافة إمام المسجد، أو أحد القيمين العاملين به، أو الذين يحلون ضيوفاً غرباء على المنطقة، ولا يجدون حينها أحداً يضيفهم هنالك.

أما بالنسبة للعنصر الثالث من هذا العامل في ارتباطه بإيواء وخدمة المحتاجين، فباعتبار أثر الصلاة في تحسين السلوك وتقوية الروابط الاجتماعية؛ فإن هذه الخدمة لا ينبغي أن تفارق العبادات المسجدية، ويتعين أن تظل مرافقة لها، ومن الشواهد التاريخية لهذه الخدمة في مساجد المسلمين ما جاء عن خليفة بن عبد الله الغبري، إذ يقول: سمعت عائذ بن عمرو المزني قال: ((بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ نَبِيْنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَعْرَابِيٌّ قَدْ أَلَحَّ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَطْعِمْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِنِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلَ الْمَنْزِلَ، وَأَخَذَ بِعَصَا دَتِي¹ الْحُجْرَةَ، وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، وَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ فِي الْمَسْأَلَةِ، مَا سَأَلَ رَجُلٌ رَجُلًا وَهُوَ يَجِدُ لَيْلَةً تُبَيِّتُهُ»، فَأَمَرَ لَهُ بِطَعَامٍ)) [مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ): مسند البصريين، حديث عائذ بن عمرو، رقم: 20645، ج 34/ص 246]، وفي رواية أخرى عن بكر بن عبد الله المزني، قال: ((كُنْتُ جَالِسًا مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ الْكُعْبَةِ، فَأَتَاهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَا لِي أَرَى بَنِي عَمِّكُمْ يَسْقُونَ الْعَسَلَ وَاللَّبَنَ وَأَنْتُمْ تَسْقُونَ النَّبِيْدَ؟ أَمِنْ حَاجَةٍ بِكُمْ أَمْ مِنْ بُخْلِ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا بَنَا مِنْ حَاجَةٍ وَلَا بُخْلٍ، قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَخَلْفَهُ أُسَامَةُ، فَاسْتَسْقَى فَاتَيْنَاهُ بِإِنَاءٍ مِنْ نَبِيْدٍ فَشَرِبَ، وَسَقَى فَضْلَهُ أُسَامَةَ، وَقَالَ: «أَحْسَنْتُمْ وَأَجْمَلْتُمْ، كَذَا فَاصْنَعُوا» فَلَا تُرِيدُ تَغْيِيرَ مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) [صحيح

¹ خشبتان من جانبي الباب.

مسلم: كتاب الحج، باب وجوب المبيت بمنى ليالي أيام التشريق والترخيص في تركه لأهل السقاية، رقم: 1316، ج2/ ص953].

وعليه، فقد ظل المسجد على مر العصور متنوعاً من حيث خدماته المادية المتعدية، بل [محلاً يساعده فيه الفقراء والمعوزون وتتفقد فيه أموال المحتاجين، وتجمع فيه الزكوات وتقسم فيه الصدقات] (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ عبد السلام العزوي، ص108)، وسبق سوق شاهد على ذلك، فيما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه¹ حول المال الذي أوتيته صلى الله عليه وسلم من البحرين.

ومن أروع المشاهد في ارتباط هذا البعد الاجتماعي بمؤسسة المسجد واهتمام أهله بسد حاجات الناس الذين يفدون عليه ما أثر عن مصلى جبانة بمدينة صنعاء، إذ هو من المشاهد الوصفية التاريخية التي توثق لعهد تفاعلي مشرق، عرفته مؤسسة المسجد في نشاطه الإشعاعي، وفي هذا يقول الأستاذ محمد الحجري: 'كان إذا جاء يوم الأضحى أو الفطر أمروا عبيدهم وإماءهم، فكنس كل واحد منهم ساحة باب داره، ورشوها بالماء، فيصير الموضع كله نظيفاً مرشوشاً بالماء، ويجعلوا الحصى على الأبواب...، ويطرحون الریحان والأزهار الطيبة والأنوار العبقية، ويرشونها بالماورد والكافور ويطرحون من العود الرطب والند المتعالي، فيبخرون الموضع كله مع المصلى من صلاة الفجر إلى انصراف الإمام والناس من صلاة العيد، ويجعلون على كل باب من تلك الأبواب كيزان الماء الجدد قد برد لشرب الناس...، وكانوا يأمرّون بتأخير صلاة العتمة في الجماعة في الجبانة، ليتمكن الناس في داخل البلد' (مساجد صنعاء - عامرها وموفيها-: ص43 بتصرف، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، 1425هـ/ 2004م).

وما أجمل هذا المشهد في دلالاته على اقتران البعد الاجتماعي مع البعد الجمالي المتمثل في طيب الرائحة ورونق المظهر في المصلى وما يحيط بها، لأن هذه الجمالية وهذا الاعتناء مما يجذب القلوب، ويحبب إليها المكان وأهله وما يقدم فيه، ولعل هذا المشهد يثير لدينا قضية أخرى ذات صلة بعلاقة المؤسسة المسجدية بالمحتاج، وهي ظاهرة السقاية في المسجد [ذلك أن بعض السلف كرهوا السقاية في المسجد، والمشهور الجواز وقد سقى سعد بن عبادة في المسجد، وقد سئل مالك عن الماء الذي يسقى في المسجد، أترى يشرب منه؟ قال: نعم، إنما يجعل للعطشان ولم يرد بها أهل المسكنة فلا أرى أن يترك شربه] (إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص354).

ولعل كراهية بعض السلف لهذه الظاهرة ترجع إلى كون هذه الممارسة قد تفضي إلى تلويث المسجد بما يتقاطر من الماء على أفروشته، أو لأنها تحدث نوعاً من الضجيج أو التشويش، مما يحول دون تحصيل الخشوع

¹ الحديث الوارد في الصفحة 109 من البحث.

اللازم في العبادات، وإلا، فالتقيد بالضوابط الشرعية العامة في الفضاء المسجدي لا يمنع من ممارسة هذه الظاهرة؛ لما لها من أثر خيري وبعد اجتماعي هام، إذ ينسجم ذلك مع روح الرسالة المسجدية التي تتوخى تحقيق المنفعة الاجتماعية وتلبية حاجات الناس.

كما أننا نلاحظ في شأن هذه الظاهرة -من خلال استقراءنا لمجريات واقعنا المعاصر- أنه حدث هنالك تألق وتطور كبيران في الاهتمام بتطبيقها والحرص عليها، استحضارا للبعد الإنمائي الأخروي، وانطلاقا من الحديث النبوي الذي روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)) [صحيح مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم: 1631، ج3/ص1255]، حيث أصبح كثير من المحسنين يتنافسون بشكل إيجابي في شراء برادات وثلاجات متطورة تكنولوجيا لحفظ الماء بشكل جيد وتكييفه حسب الحاجة وحسب الفصول السنوية، فما إن يدخل أحدنا إلى مسجد جامع من الجوامع الحديثة؛ إلا ويجد فيه على الأقل واحدة من هذه الثلاجات، والتي يؤمها العطشى من المصلين قصد السقيا، أما في المسجدين الحرام والنبوي فهنالك ميزة خاصة في ظاهرة السقاية، نظرا لوجود ماء زمزم بمحيطهما، ونظرا لكبر المساحة في هذين المسجدين، حيث تم تخصيص عمال منتبذين لخدمة هذه السقاية وتعهده حاويات المياه بالتتبع، حتى لا تجف، ليتبين بذلك أن خدمة السقيا على وجه العموم خدمة اجتماعية جليلة، لما توفر من راحة وطمأنينة للمصلين، كما أن الأجر العظيم الذي يترتب عليها يعتبر من الدواعي الأساس للتنافس في هذا العمل الخيري والاهتمام به.

ولا شك أن هذه الظاهرة ممتدة على طول التاريخ الإسلامي منذ عهد النبوة، فقد ذكر صاحب كتاب تاريخ الإسلام شمس الدين بن قايماز الذهبي (ت748هـ) أنها كانت عادة مسنونة من ضمن الأشغال اليومية لأهل المسجد حيث يقول: 'وَقَالَ حماد بن سلمة: أخبرنا ثابت عن أنس أن ناسا جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ابعث معنا رجلا يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القراء، وفيهم خالي حرام بن ملحان، يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل ويتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء، فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعون ويشتررون به الطعام لأهل الصفة (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ج1/ص155، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بدون بلد، ط1، 2003م).

وقد يقول قائل إن حاجة أولئك في ذلك الزمان إلى الماء وأهمية توفره في المسجد أكثر وألح من حاجة هذا الزمان وأهله؛ نظرا لتطور وتغير الأوضاع وقرب منابع الماء؛ وذلك بالمقارنة مع الوضع السابق، وفي نظري أن هذا الكلام لا يستقيم واقعا ولا مؤسساتيا، فمن الناحية الواقعية نجد أن كثيرا من الناس يحتاجون إلى توفر الماء للشرب داخل المسجد بشكل كبير، وليس في وسعهم أن يتنقلوا خارج المسجد لتلبية هذا المطلب خاصة

في المناسبات التي يكثر فيها المصلون، ويصعب حينها الخروج والرجوع إلى المكان الطبيعي بالمسجد، كما أن ارتياح وسكينة أهل المسجد المتعلقين به داخل فضائه أمر يتطلب توفير الحاجيات الإنسانية ذات الأولوية داخل المسجد؛ من أجل تسهيل حركتهم ونشاطهم به.

إن ظاهرة السقيا وتقديم الماء لأهل المسجد تقتزمان لأمر تقديم ما يحتاجون إليه هؤلاء من طعام، خاصة إذا اقترن الأمر بالطعام الفاضل المتعلق بشهر الخيرات وهو شهر رمضان، وذلك بالحرص على إفطار الصائم، تطبيقاً فعلياً لحديث نبوي فيما روي عن زيد بن خالد الجهني، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ، وَمَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ؛ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْغَازِي شَيْءٌ)) [مسند الإمام أحمد (ت241هـ): مسند الشاميين، بقية حديث زيد بن خالد الجهني، رقم: 17033، ج28/ ص261].

ويتخذ هذا الإجراء الخيري الاجتماعي شكلاً من أحد الشكلين الآتين:

1- إعداد صفرة من البلاستيك توضع قبيل المغرب في ناحية مناسبة من نواحي المسجد، وعليها تمر ومصفوف فوقها عدد من أكواب الماء، وذلك حتى يتيسر للمصلين الجمع بين خير تعجيل الإفطار وبين المحافظة على أداء الصلاة في جماعة المسجد.

2- تنظيم عملية إفطار كامل؛ وفقاً لما تعارف عليه الناس في توفره ضمن وجبة الإفطار العادي في البلد، دون إسراف أو تقتير، حيث يتم تجهيز ذلك والتخطيط في وضعه بمكان مناسب من فضاء المسجد أو بجواره داخل خيمة تنصب لهذا الشأن، وتكون الفرصة في إطار مائدة الرحمان مواتية للمحتاجين، ممن لا طاقة لهم في الكسب بأن يأتوا للاستفادة من هذا الإطعام، فيكون ذلك المظهر سبباً مباشراً أو غير مباشراً في تحصيل تعلق فئة من هؤلاء الآمين لهذا الإفطار بمؤسسة المسجد وتقوية صلتهم بها.

وقد يستفيد من هذه الخدمة غير فئة المحتاجين، أي: بعض الغرباء أو المسافرين أو ممن لا يتسع مجال وقتهم لتحضير إفطارهم بأنفسهم، ولا شك أن أغلب من يتبرع بإسهاماته الإفطارية لا يتوخى بذلك قصر عمله الإحساني على فئة المحتاجين، نظراً لأن أجر إفطار الصائم ورد في النصوص الشرعية مطلقاً دون تقييد للمستفيد منه بصفة الحاجة أو الفقر¹، وبالتالي تتسع دائرة الخدمات الاجتماعية لمؤسسة المسجد في شقها النفعي المادي، كما أن تنظيم هذه العملية في المسجد يعتبر أكثر نفعاً وتحقيقاً للخير، نظراً للأعداد الكثيرة التي تتوافد عليه من أجل الصلاة، وهم ممن يشهد لهم لذلك بالخير والصلاح، لما يصاحب إفطار هؤلاء من جوٍّ إيماني روحي وتأخ اجتماعي يُغبطون عليه.

¹ تقدم الحديث السابق في الاستدلال (من فطر صائماً...) والذي جاء مطلقاً دون تقييد بصفة الحاجة.

4.6. توصيف واستكشاف العامل الرابع.

1.4.6. توصيف العامل الرابع.

int13	0,659
int12	0,657
int11	0,463

يقترن في هذا العامل الرابع ثلاثة أسئلة تنتمي هي الأخرى إلى المجال التفاعلي لموضوع مؤسسة المسجد، وهي على التوالي: السؤال 11، السؤال 12 والسؤال 13.

ويمكن أن نحدد المعطيات المركزية لكل سؤال على الشكل الآتي:

المسجد والحوار والنقاش الواسع

المسجد والاستشفاء الصحي

المسجد والتبرع بالدم

ويطرح هنا إشكال موضوعي يتعلق بكيفية تجميع هذه العناوين الثلاث، حيث نلاحظ أن هناك تباعدا بين محور السؤال الحادي عشر وبين محوري السؤالين الثاني عشر والثالث عشر، إلا إذا حاولنا توسيع وتعميق دائرة التأويل والتسويق بين المعطيات الموضوعية لكل الأسئلة الثلاث.

فالسؤالان الأخيران من هذا العامل يوحدان محور الخدمة الاستشفائية في المجتمع، وذلك بموازاة مع الخدمة الاستشفائية التي تقدمها الجهات المختصة، والتي يفترض فيها أصالة أن تكون هي المسؤول الأول والمباشر عن تقديم هذه الخدمة والبروز فيها بشكل واضح، وما السؤال الأخير إلا تخصيص وتركيز في نوعية هذه الخدمة بالمقارنة مع العموم المركزي الوارد في السؤال الثاني عشر.

بناء على ما سبق؛ وفي إطار توسيع دائرة التأويل المعرفي لاحتواء الأسئلة الثلاثة كلها في عنوان جامع؛ يمكن أن نستخدم تجوزا على تسمية هذا العامل هكذا: **التواصل الفكري وأثره الاستشفائي من خلال مؤسسة المسجد التفاعلي**، حيث إن الأسئلة الثلاثة تتطلب في تنفيذ خدماتها عبر مؤسسة المسجد أن تتجسد عملية التواصل فيها جميعا بشكل جلي، فضلا على أن عملية التواصل مدخل أساس لإنجاح جميع الخدمات والوظائف المسجدية.

إن مدخل التوفيق والسداد في إنجاح الخدمة الاستشفائية لمؤسسة المسجد يتوقف على حسن استثمار الآليات التواصلية الكفيلة بذلك وعلى رأسها الحوار والنقاش الفعال للتعريف بهذه الخدمة وبيان علاقتها

الوطيدة بهذه المؤسسة، بالإضافة إلى حسن تطبيق هذه الآلية التواصلية في الأجرأة العملية للاستشفاء المسجدي، لنخلص بذلك إلى أن عملية الاستشفاء هاته تنبني وترتكز على المداخل المعنوية والنفسية قبل الولوج إلى التدخلات المادية والتقنية لهذا الاستشفاء، والتي تتطلب نوعاً من التخصص والتركيز، وليس هذا الترتيب التدخلية خاصاً بمؤسسة المسجد في استشفائها العلاجي، وإنما هو أمر ممتد وحقيقة ثابتة في الاستشفاء الكائن بالمؤسسات الصحية خارج المسجد، وليس هذا التوافق العاملي الذي أسفرت عنه الدراسة إلا تأكيداً للأهمية ولفتاً للانتباه، وذلك حتى لا يغفل عنه الممارسون وأهل الشأن المهتمون.

2.4.6. استكشاف عناصر العامل الرابع:

بملاستنا لأهم العناصر الميدانية للمكون الأول حول الحوار والنقاش المسجدي يمكن أن نستشف أن المؤسسة المسجدية ظلت في تاريخها المزدهر تحتضن أهم الحوارات والنقاشات الفكرية التي أسهمت في بلورة مجموعة من الرؤى والمناهج التي لها علاقة بالعقيدة أو الفكر أو المذاهب بصفة عامة، وكان المسجد دائماً يذكر كحدث مكاني بارز الحضور في هذه المناسبات.

ولعل من الأمور البارزة في هذا الصدد أنه من الصعوبة القصوى التمكن من استقصاء جميع الحوارات والنقاشات التي جرت في المسجد خلال العهد النبوي، ويزداد الأمر صعوبة إذا قمنا بتوسيع المجال الزمني لهذا الاستقصاء، أي إذا انتقلنا إلى عهد الصحابة أو التابعين أو إلى عصر من العصور التي عرفت بتطور مستوى الحوار والنقاش الفكري المرتبط بمؤسسة المسجد، وعليه فإن ملامسة نماذج وأمثلة هذا المحور لا تعدو أن تتسم بسمة التمثيل والاستئناس.

ويمكن أن نقول إن منهج الحوار وقصده في الممارسة النبوية يختلف عما هو عليه في العهود التي تلت هذا العهد، حيث كان التعليم والتوجيه اللذان يرميان إلى تركية النفس وسموها هما القصد الأساس من ممارسته صلى الله عليه وسلم للحوار والنقاش المسجدي، ولا أدل على ذلك من الحديث الذي روي عن العيزار بن حريث عن أبي بصير، قال: قال أبي: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ، رَأَى مِنْ أَهْلِ الْمَسْجِدِ قَلَّةً، فَقَالَ: «شَاهِدُ فَلَان؟» قُلْنَا: نَعَمْ، حَتَّى عَدَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ صَلَاةٍ أَثْقَلُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَمِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوِيلِهِ)) [مسند الإمام أحمد (ت241هـ): مسند الأنصار، حديث أبي بصير العبدي وابنه عبد الله بن أبي بصير، رقم: 21272، ج35/ص195]، فهذا الحديث باعث أساس على تنشيط وتحفيز الهمم نحو فضل الصلاة الليلية؛ نظراً لما يحصل فيها من تكاسل وتناقل.

ويروى كذلك عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلَقَةِ؛ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَذْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ، فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا؛ فَاسْتَحْيَى اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ؛ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ)) [صحيح البخاري (ت256هـ): كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، رقم: 66، ج1/ص24].

فالملاحظ من خلال التوجيهين النبويين في كلا الحديثين أن الأول يتعلق بالعبادة في بعدها الجماعي، بينما يتعلق الثاني بالعبادة في بعدها السلوكي، ولا شك أن كلا البعدين لازم في مجال إصلاح الفرد والجماعة، كما أن الحوار في كلا الحديثين تميز بسمة الأنية في معالجة المشكل المطروح، إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، كما أن الحديث الثاني يلامس قضية التشجيع والترغيب في العمل الخيري المسجدي، حيث إن الجزاء من جنس العمل، وعلى قدر الإقبال من الخير هنا؛ يكون الإقبال من رب العالمين هنالك.

ونجد نظير هذا الحوار النبوي التوجيهي في المسجد ضمن البعد السلوكي الرامي إلى تربية وإصلاح الأفراد في علاقتهم مع المحيط والمجال الذي يعيشون فيه، من ذلك ما يعرف ويشتهر بحديث الأعرابي الذي تبوّل في المسجد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ((بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه¹، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعْوَهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ² عَلَيْهِ)) [صحيح مسلم (ت261هـ): كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها، رقم: 285، ج1/ص236].

من النماذج الحوارات النبوية في المسجد مما يستدعي التدخل العاجل من أجل الإصلاح والترميم فيما يتعلق بالعبادة خاصة في بعدها الفردي لتكون تأديتها على الوجه الصحيح الموافق للسنة النبوية، ومن أبرز

¹ اسم فعل، يستعمل لإفادة التوقف على الفعل بشكل عاجل.

² فضّبه عليه.

الأمثلة على ذلك ما يعرف بحديث المسيء صلاته وهو حديث مشهور في فقه الصلاة يروى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل، فصلّى، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فرد وقال: ((«ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»))، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» (ثلاثاً)، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحْسَنُ غَيْرُهُ، فَعَلَّمَنِي، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»)) [صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلاة في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت، رقم: 757، ج1/ص152].

يلاحظ من خلال هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بإمكانه أن يقرر ما يصبو إليه في أول وهلة بجملة أو عبارة واحدة، لكنه آثر أن يسلك أسلوب الحوار عن طريق الأخذ والرد المتكرر بواسطة الحوار التوجيهي، وذلك لعلمه بأن الحوار المسجدي أداة قوية صالحة لترسيخ القيم التعليمية والتوجيهية التي يستهدفها من خلال ممارسته.

وقد يقول قائل: لماذا لم يتم تعليم هذا الرجل المسيء في أول وهلة من طرف الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أمره بإعادة نفس الصلاة الخاطئة؟ والجواب على ذلك هو من منطلق التأمل التجريبي، حيث يتشوق المرء بدافعية أكبر إلى اكتشاف خطئه؛ كلما نبّه إلى ذلك ولم يفتن إلى هذا الخطأ، يقول الإمام القاري علي بن محمد بن سلطان: 'واستشكل تقريره - عليه السلام - على صلاته، وهي فاسدة ثلاث مرات على القول بأن النفي للصحة، وأجيب: بأنه أراد استدراجه بفعل ما جعله مرات لاحتمال أن يكون فعله ناسيا أو غافلا، فيتذكر فيفعل من غير تعليم، فليس من باب التقرير على الخطأ، بل من باب تحقق الخطأ، أو بأنه لم يعلمه أولا ليكون أبلغ في تعريفه وتعريف غيره، ولتفخيم الأمر وتعظيمه عليه، وقال ابن دقيق العيد: لا شك في زيادة قبول المتعلم لما يلقي إليه بعد تكرار فعله، واستجماع نفسه، وتوجه سؤاله مصلحة مانعة من وجوب المبادرة إلى التعليم، لاسيما مع عدم خوف' (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (1014هـ)، ج2/ص650، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2002م).

وقد حرص الصحابة على حسن توظيف مؤسسة المسجد في الحوار الرامي إلى الإصلاح السلوكي للأفراد، وخير أنموذج على ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعن السائب بن يزيد، قال: كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ، فَحَصَبَنِي¹ رَجُلٌ، فَتَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأَتِنِي بِهِذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا،

¹ رمانى بالحصباء وهي الحجارة الصغيرة (تعليق مصطفى البغا على الحديث نفسه في صحيح البخاري).

قَالَ: مَنْ أَنْتُمَا - أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ - قَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد، رقم: 470، ج1/ص101)، فلا شك أن هذا التوجيه العمري تربية على حسن احترام المقام ومراعاة للآداب المسجدية العامة بما يحقق السكينة والهدوء ويجنب الفضاء المسجدي جميع مظاهر التشويش والفوضى التي تحول دون سيادة الخشوع والتدبر في محاله، حيث إن الخشوع مقصد روحي عظيم من مقاصد رسالة المسجد.

ولم يكن المنشأ الكلامي للحوار المسجدي دائما من الموجه والمرشد الذي يباشر هذه المهمة، بل قد يكون من الشخص المستفيد أو المتلقي، حيث ثبت في مجموعة من الأحاديث أن الحوار جرى في المسجد عن طريق سؤال أو استشكل من أحد الحاضرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده، يأتي ليستوضح أمرا مبهما لديه كما هو الشأن عند بعض الأعراب الذين كانوا يأتون المسجد النبوي لهذا الغرض الأساس، يقول الأستاذ علي عبد الحليم محمود: 'إن الحوار والمناقشة هما أساس الدروس التي تلقى في المسجد، وبالمناقشة والحوار يتعمق الفكر وتتعمق الثقافة، وتصبح المراثيات أكثر وضوحا من التساؤلات التي تدور في أذهان الناس ولا يجدون لها جوابا شافيا، قد يجدون لها الجواب الشافي عند مدرس المسجد الأمين ...، بل ربما جرّ هذا الحوار بين مدرس المسجد والسامعين إليه إلى كثير من المسائل التي ما كانت تخطر للمدرس ببال، وعندئذ يكون النفع أعم' (المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي: علي عبد الحليم محمود، ص213 بتصرف).

ومن النماذج الماثورة في هذا الصدد ما روي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ((بَيْنَمَا أَنَا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجَانِ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَلَقِينَا رَجُلًا عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِدِ¹، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟»، فَكَانَ الرَّجُلُ اسْتِكَانًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتُ»)) [صحيح البخاري (ت256هـ): كتاب الأحكام، باب القضاء والفتيا في الطريق، رقم: 7153، ج9/ص64]، ولعل وصف كيفية مجريات هذا الحوار ضمن هذا الحديث يعتبر دليلا على تنوع الوضعيات النبوية في حواراته المسجدية من أجل حسن استثمار هذا التنوع تعليميا وتوجيهيا وتكثيف جهوده من أجل تحقيق هذا المقصد السامي، فليس الحوار حكرا في جريانه على المنبر أو بالقرب من محراب المسجد أو بالضبط داخل حلقة العلم أو الدرس، فكل وضعية مكانية ترجح معها نفع وإجاء الحوار إلا وتميزت بحدوثه وجريانه توخيا لهذه المنفعة، وذلك على اختلاف الباعث أو جهة انطلاق الحوار.

¹ المظلة عند بابها للوقاية من المطر والشمس، وقيل الساحة أمامه (تعليق مصطفى البغا على نفس الحديث).

إن الحوار المسجدي النبوي لم يكن مقتصرًا فقط على إثارة ومعالجة القضايا ذات الصلة بمجال العبادات والآداب والسلوك، سواء في البعد الفردي أو في البعد الجماعي، وإنما كان المجال العقدي من ضمن القضايا التي استهدفها الحوار المسجدي كذلك، كيف لا وقد شهد المسجد في حالات عدة دخول غير المسلمين إلى رحابه، فكان لا مفر حينها من جريان حوارات ذات صبغة عقدية، ولعلني أستشهد في هذا المقام مرة أخرى بما يعرف عند العلماء بحديث ثمامة بن أثال¹ حيث يروى عن سعيد بن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه، قال: ((بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلَ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمَ؛ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ؛ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمَ؛ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ»، فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاعْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينَكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنْ خَيْلُكَ أَخَذَتْني وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ²، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللَّهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) [صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب وفد بني حذيفة وحديث ثمامة بن أثال، رقم: 4372، ج 5/ص 170].

ولا شك أن هذا الحديث ركيزة؛ رغم أنني سقتة سابقا في معرض الكلام عن الوظيفة الحضارية للمسجد وجواز دخول غير المسلم إليه؛ تدعو الحاجة هنا إلى إعادة النظر فيه، خاصة فيما يتعلق بالحوار المسجدي، حيث يشير إلى مجموعة من الدلالات، لعل من أبرزها:

¹ سبق الاستشهاد والاستدلال بهذا الحديث في الفصل النظري الرابع، والذي يتعلق بمؤسسة المسجد وغير المسلم، أي أن هناك تداخلا مجاليا ومعرفيا في توظيف واستثمار بعض الأحاديث المتعلقة بالمسجد، نظرا لما تقتضيه طبيعة الموضوع وتفاصيله.

² ملئت إلى دين غير دينك ودين آبائك (تعليق مصطفى البغا على نفس الحديث).

- أن طول المكث في المسجد يورث لدى الماكث تأثيرا خاصا في القلب، ويجعله متأثرا برسالة المسجد وجوّه الروحي، ولا شك أن طول البقاء في المسجد لا مفر معه من إنشاء حوارات، إذ لا يعقل أن يظل الإنسان ملتزم الصمت طول بقائه فيه، معه أناس يشاركونه القصد الذي من أجله هو موجود هنالك.

- أن المسجد لا يرغم أهله أو يلزمهم بطول البقاء والمكث فيه، وذلك حتى لا يصبح مكانا مملولا وغير مرغوب فيه، بل يرغب النفوس فيه بعظيم الأجور ويتركها تشتاق العود إليه بعد بدء.

- أن قضية دخول المشرك أو غير المسلم إلى المسجد مصحوبة بما ترتب عنها من حوارات ونقاشات داخل المسجد، من أجل حسم أمور عقدية، وبالتالي فإن دخولهم لم يكن مجرد الدخول فقط، بل لغاية عظيمة اقتضت هذا الجواز تعظيما وتقديرا لمبدأ الحوار الهادف والسامي.

- أن للمسجد قوته المتجلية في تأثيره القيادي والإداري، وذلك أنه لما كان رمز صلاح وإصلاح القلوب كان أخرى به وأجدر أن يتبوأ رمزية إصلاح التحكم القيادي والإداري والتدبيري (لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيه النبي صلى الله عليه وسلم).

- أن المسجد هو المكان المناسب - نظرا لمجموعة من الخصوصيات الاجتماعية والانضباطية التي تميزه عن غيره من الأمكنة - لحل الإشكالات وتدارس وضعيات الأزمات الاستراتيجية، عن طريق المدخل الوحيد والأسلم لمعالجة ذلك، وهو مدخل الحوار والنقاش بين الأطراف التي تشكل محور هذه الوضعيات.

- أن الخطاب المسجدي سواء كان حوارا أو نقاشا أو غيرهما ليس خطابا إلزاميا أو إكراهيا، بل هو خطاب إقناعي يسعى بكل قواه أن يجلب المصلحة للأفراد، لكنه يدع هامشا معنا للاختيار من قبل الأطراف المتحاور، وغايته تحقيق طمأنينتهم وراحتهم الإقناعية حول موضوع الحوار ومرتكزه.

إذا جاز لنا أن نصطلح على تسمية الحوار العقدي السالف بالحوار الخارجي باعتباره جرى مع طرف لا يزال في منشأ هذا الحوار خارجا عن منظومة الإسلام، فقد يكون الحوار المسجدي العقدي حوارا داخليا أي أن أطرافه ينتمون إلى المنظومة الإسلامية، وذلك نظرا لأن الكل في حاجة إلى تقوية الحس العقدي عنده سواء كان مسلما أو غير مسلم، ويحسن في هذا الإطار أن نستشهد بما روي عن زيد بن خالد الجهني، أنه قال: ((صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكُؤُكِبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا؛ فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكُؤُكِبِ»)) [صحيح البخاري (ت256هـ): كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، رقم: 846، ج1/ ص169].

ومن النماذج الحوارية التي جرت في مؤسسة المسجد بعد العهد النبوي؛ في إطار تحرير قضية عقدية هامة تتعلق أساسا بالاتباع؛ وبيان مجال إعمال الرأي في القضايا الشرعية ما تقدم من رواية الدارمي¹ للحوار الذي جرى في المسجد، بين عبد الله بن مسعود وبين الخوارج حول ما استنكره الصحابة في طريقة ذكرهم وتعبدهم بمؤسسة المسجد.

إذ يتبين من خلال هذا الأثر أن الحوار المسجدي العقدي هو حوار يعطي لكلا الطرفين أحقية تبادل وجهة النظر والأخذ والرد في الكلام؛ من أجل تجلية الحجج وكشف الشبهات وإزالة الملتبسات، مع الحفاظ على الهدوء وأدبيات الحوار، نظرا لأن أدواته الأساس هي العلم والبرهان، ومقامه هو أظهر البقاع، أي: مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحرى بذلك أن يؤتي أكله، ويحقق بغيته من توحيد الصف وإيصال المقصود إلا أن يشاء الله خلاف ذلك.

وعليه، فكل حوار يجري في مؤسسة المسجد يكون الدافع من ورائه هو حب الانتصار للنفس؛ أو الدفاع عن الباطل؛ أو التجرد من الآليات العلمية في المنهج والحجاج والتناظر؛ فهو حوار بعيد كل البعد عن الحوار المسجدي الأصيل منهجا ووسيلة وغاية، وإننا لنعجب من صنيع كثير من الناس ممن تسوّّل لهم أنفسهم خوض معارك كلامية وجدالات عقيمة عنيدة داخل بيوت الله، لا يجنون على أنفسهم من وراء ذلك إلا قسوة القلوب وتنافرها، مما يتعارض كليا مع القصد التوحيدي والغاية الاجتماعية لمؤسسة المسجد التفاعلي.

وامتزجت الحوارات النبوية المسجدية أيضا بمواكبة البعد الاجتماعي لأفراد الأمة وأحوالهم العامة التي يمتزجون بها في حياتهم، والتي تتنوع بين فرح وحزن، لتترسخ بذلك قوة الارتباط الحوارية به مهما اختلفت المجالات الحياتية لأفراد الأمة بين ما هو روحي وما هو سلوكي تربوي وما هو اجتماعي، ومن الأمثلة التي أختار سوقها في التدليل على مواكبة الحوار النبوي المسجدي للأحوال الفردية الاجتماعية ما روي عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ بْنَ مَالِكٍ، وَكَانَ، قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ²: ((لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزَاةِ تَبُوكَ، ...، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَخْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضَعَّةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَارِيَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَحِثُّهُ فَلَمَّا سَلِمْتُ عَلَيْهِ

¹الصفحة 242 من البحث.

²قمت باختصار الحديث لأنه طويل، حيث أقيمت على ما له اتصال مباشر بالقضية المسجدية المستهدفة من الحديث.

تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتِغَيْتَ ظَهْرَكَ». فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَاخِرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بَعْدُ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صَدَقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لَا وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ»، ... فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكْنَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ¹ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أَصْلَى قَرِيبًا مِنْهُ، فَأَسَارِفُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطٍ² أَبِي قَتَادَةَ، ... وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهْتُونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لَطْلَحَةً، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبَشِّرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ³ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ⁴...»

¹أحدثهم سنًا، أي: في عَرَّ مرحلة الشباب.

²أي: بستان أو حديقة.

³أزِيل منه على وجه الخير.

⁴يمكن توظيف هذا الحديث في المجال الاقتصادي لمؤسسة المسجد، وذلك في إطار معالجة قضية الصدقة والتبرع المسجدي.

[صحيح البخاري: كتاب المغازي، بابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} (سورة التوبة: 118)، رقم: 4418، ج6/ص3].

إن أول الحديث مواكبة مسجدية لحالة حزن اجتماعية عاشها كعب بن مالك، واقتضت الحكمة التربوية للأستاذ المسجدي العظيم محمد صلى الله عليه وسلم أن تدوم هذه الحالة تحقيقاً لمقاصد أخرى، بل هي في ذاتها نوع من البلاء، لتتوطد بذلك شدة الارتباطين النفسي والاجتماعي بالمؤسسة المسجدية، ثم انقلبت كلياً طبيعة المواكبة في آخر الحديث، حيث صارت مواكبة اجتماعية لحالة الفرح والبشرى التي عاشها كعب بن مالك بعد قبول توبته، ولم يعلن ذلك رسمياً إلا في داخل هذه المؤسسة، لتكتمل الفرحة بها وترتبط في أسمى المشاعر الاجتماعية التي تعود على النفس بالطمأنينة والراحة والسكينة.

فلا شك أن للمكان انطباعاً خاصاً ووقعا مؤثراً، فالأحداث لا تجري بمعزل عن الزمان والمكان، بل هي مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً، وما دام هذا المكان المسجدي عنصراً ثابتاً مهما تغير الوقت ومرّ الزمان؛ فسيظل يذكر كعباً بهذه الأجواء وبهذه الأحاسيس الاجتماعية التي عاشها، ولذلك لا يمكن أن يتصور أحد وجود هجران أو قطيعة لأحد من هذا الجيل من الصحابة مع المؤسسة المسجدية، نظراً لهذا الامتزاج الحياتي ونظراً كذلك لهذا الانصهار في المواكبة لعمق الأحداث اليومية حلوها ومُرّتها.

وإذا ما انتقلنا إلى الحوارات المسجدية للعلماء بعد العهد النبوي؛ فإن استكشاف بعض صفحاتها يظهرها مجالاً خصباً ومليئاً بالمتعة والإثارة وجديراً بالقصّ والاستئناس في تطييب المجالس ذكرًا وتمعناً، ليس فقط في مجال المعتقد أو السلوك، بل حتى في مجال الفكر واللغة، ولعلني أذكر في هذا المقال على سبيل التمثيل ما ذكره الإمام شهاب الدين المقرئ التلمساني (1041هـ): ' واجتمع أبو الوليد الوقشي وأبو مروان عبد الملك بن سراج القرطبي، وكانا فريدي عصرهما حفظاً وتقدماً، فتعارفاً، وتساءلاً، ثم بادر أبو الوليد بالسؤال، وقال: كيف يكون قول القائل:

ولو أن ما بي بالحصى فعل¹ الحصى وبالريح لم يسمع لهن هبوبٌ

ما ينبغي أن يكون مكان فعل الحصى، فقال أبو مروان فلق الحصى، فقال: وهمت، إنما يكون قلق الحصى ليكون مطابقاً لقوله لم يسمع لهن هبوب، يريد أن ما به يحرك ما شأنه السكون ويسكن ما شأنه الحركة، فقال أبو مروان: ما يريد الشاعر بقوله:

وراكعة في ظل غصن منوطة بلؤلؤة نيّطت بمنقار طائر

¹فعل: فلق.

وكان اجتماعهما في مسجد، فأقيمت الصلاة إثر فراغ ابن سراج من إنشاد البيت، فلما انقضت الصلاة؛ قال له الوقشي: ألغز الشاعر باسم أحمد، فالراكعة الحاء، والغصن كناية عن الألف، واللؤلؤة الميم، ومنقار الطائر الدال، فقال له ابن سراج: ينبغي أن تعيد الصلاة لشغل خاطرك بهذا اللغز، فقال له الوقشي: بين الإقامة وتكبيرة الإحرام فككته.

والبيت الأول لعبد الله بن الدمينه، وبعده: ولو أنني أستغفر الله كلما ذكرتك لم تكتب علي ذنوب' (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: شهاب الدين المقرئ، ج4/ ص162-163، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م).

وهكذا كانت المساجد المغربية التي حظيت بالريادة والتألق على مستوى الإنجازات العلمية، حيث كانت محضنا للحوار والنقاش الإيجابي الفعال الذي يثمر ويغني في مجال العلم والفكر، ويسهم في تكوين الجيل المثقف الذي يعود على بلده بالنفع والعطاء ويحقق الإشعاع المرجو، ومن النماذج التي يحسن سوقها في هذا الصدد ما سطره الدكتور محمد السعيد عن جامع ابن يوسف حيث يقول: 'وهكذا بدأ مسجد ابن يوسف نشاطه مكانا للعبادة، ومجلسا للقضاء وناديا لاستقبال الوفود وعقد الاجتماعات واتخاذ القرارات، وقاعة للمناظرات والمناقشات وجامعة للدراسة والبحث، فكانت جنباته تضج بأمارات العلماء العظام، من أمثال ابن رشد الكبير وابن زهر ومالك بن وهيب، وابن عطية وابن القصيرة وابن أبي الخصال وغيرهم، ومنه تخرج عدد من علمائنا الكبار الذين نعتر بهم ونفخر، من أمثال أبي علي المراكشي وابن البناء العددي والمنصور السعيد والنبييل زيدان وابن القاضي .. وجماعة كثيرة من العلماء والأدباء...' (مقال: مسجد ابن يوسف وإشعاعه العلمي والثقافي، محمد السعيد، ص129).

إن من اللازم على مؤسسة المسجد التفاعلي إذا أرادت أن تعلي من شأن الحوار والنقاش في المجال الديني وقيمه أن تسعى إلى الاهتمام بتطبيقه وتفعيله ضمن أنشطتها والتخطيط لذلك في بنيتها المادية، كأن تخصص قاعة من مرافق مؤسسة المسجد للاجتماعات وعقد الحوارات والمناظرات، فكم من مرة يأتي أحد للاستفسار من أجل مناقشة قضية ما أو من أجل استيضاح أمور معينة لغرض الدخول إلى الإسلام، في حين أن المسجد ليس به حتى مكان مناسب متوفر من أجل الجلوس قصد التحوار في هذا الصدد، مما يشعر أن هنالك نقصا في التنظيم التواصلي، مع أنه من الممكن أن يتم تداركه بسهولة ما دمنا نؤمن بقدرة ونجاعة المؤسسة المسجدية على تبوؤ المكانة المرموقة في مجال الحوار الديني، ثم إن أهم العناصر المعول عليها لإحياء التفاعل الحوارية بالمسجد، وذلك من أجل نسج علاقات حيوية بين ومع المصلين هو الإمام، باعتبار وظيفته المركزية في العمل المسجدي، ويكون ذلك تطبيقيا مباشرا، عن طريق تخصيصه لوقت من أوقاته من أجل الجلوس مع أهل المسجد لهذه الغاية، وإما تطبيقيا بشكل غير مباشر، عن طريق التذكير بالحوارات الشرعية المأثورة في

هذا الصدد، ولذلك يقول عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري: 'وكما أن المسجد مكان مهياً للحوار؛ يحرص إمام المسجد على أن يجالس طلاب التحفيظ ويتحاور معهم، ليكسبهم الثقة ويشاركهم في حل الإشكالات التي تعترضهم في الحفظ، بل والمشاكل الاجتماعية والأسرية، ويحث إمام المسجد أساتذة التحفيظ على استعمال الحوار مع طلابهم في حل مشاكلهم.

ويحاول إمام المسجد قراءة بعض القصص الحوارية وذلك من خلال تضمين السيرة النبوية من خلال دروس المسجد؛ ... ويقرأ إمام المسجد في الصلوات الجهرية أحياناً بعض الحوارات القرآنية وخاصة في صلاة الفجر، كحوار الله عز وجل مع آدم ومع موسى عليهما السلام، وحوار يوسف عليه السلام مع إخوته وغيرها' (أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير - رضي الله عنه - وتطبيقاته التربوية: ص191، أطروحة للماجستير في التربية الإسلامية بقسم التربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بإشراف: د عبد الرحمن بن رجاء الله الأحمد، 1433/1434هـ).

وبانتقالنا إلى التواصل الاستشفائي أو الطبي لمؤسسة المسجد؛ فإننا يمكن أن نكتشف أن المسجد قد اعتبر في نشأته خلال العهد النبوي مصحة يسكنها المرضى للضرورة، وتوجد فيه عيادة المجارحة ومعالجة المرضى، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم وصف فيه بعض الأدوية ولأي مرض تكون، وشخص فيه بعض الأمراض ونصح ما يؤخذ لها من علاج (المسجد ونشاطه الاجتماعي عبر التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص63). وأبرز المظاهر المعاصرة التي يمكن أن يضطلع بها المسجد في هذا الصدد مظهران: خدمات التبرع بالدم من خلال الحملات التنظيمية التي تشترك فيها مراكز تحاقن الدم مع المجالس العلمية أو الجمعيات المخول لها تسيير المساجد¹، والمظهر الثاني وهو عقد دورات تدريبية تحسيسية للإسعافات الأولية تنظيراً وممارسة من أجل توعية الناس بكيفية التدخل من أجل الإنقاذ في حالة الخطر.

ومن أهم ما يمكن الاستئناس به في الاستدلال على مكانة الخدمة الاستشفائية لمؤسسة المسجد التفاعلي والتأصيل لها شرعاً ما روي عن عائشة رضي الله عنها: ((أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ² فِي الْأَكْحَلِ³، فَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِيَمَةً فِي الْمَسْجِدِ، لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ فَلَمْ يَرَعْهُمْ⁴، وَفِي الْمَسْجِدِ خِيَمَةٌ مِنْ

¹ سيتم التطرق إلى ذلك قريباً في نفس هذا العامل.

² غزوة الأحزاب.

³ الأكحل: عرق في وسط الذراع، قال الخليل: هو عرق الحياة.

⁴ لم يرعهم: لم يفرعهم.

بَنِي غِفَارٍ، إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخِيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قَبْلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْدُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ فِيهَا)) [صحيح البخاري (ت256هـ): كتاب الصلاة، باب الخيمة في المسجد للمرضى وغيرهم، رقم: 463، ج1/ص100].

يستفاد من الروايات الواردة في هذا الإطار أن جزءا من داخل المسجد قد تم تخصيصه لهذه الخدمة الاجتماعية، ولم يكن هذا الأمر معزولا عن المسجد أو خارجه، كما هو الشأن الوارد في رواية لعب الحبشة بالمسجد، وفرق بين ما يجري من الأنشطة داخله وبين ما يجري من الأنشطة خارجه، ثم إن الإطار العام التي تجري فيه قضية الخدمة الصحية هو إطار الحروب والشدائد بين المسلمين والمشركون (رسالة المسجد في الإسلام: عبد العزيز محمد اللميم، ص138/139 بتصرف، مؤسسة فؤاد، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ/1987م)، ولعل يدلّ على حجم مواكبة المسجد للمدلهمات التي تعيشها الأمة، وأنه دعامة أساس لا يستغنى عنها في تدبير القضايا الاجتماعية من العيار الثقيل، كما أننا نجد هنا نوعا من التداخل بين البعد الاجتماعي وبين البعد السياسي الدولي، لكن ترجيح الخدمة الاجتماعية التي تتعلق بداخل كيان الأمة أظهر في الاعتبار.

إن اتخاذ الخيمة الاستشفائية في المسجد يدلنا على عدة حِكم منها: مزاجية العلاج المادي بالعلاج الروحي الإيمان المرتبط بالذكر وسماع القرآن، بالإضافة إلى تيسير سبل عيادة المصاب وتقوية حظوظ أكبر عدد من الزوار عليه، ولا شك أن هذا الإجراء له أيضا من البعد الاجتماعي الخيري ما لا يخفى على ذي لبّ، ولما كان إيمان الأوائل له من الرفعة الشيء الكثير؛ فإنهم كانوا يكررون ويعيدون زيارة المريض والمصاب، مما جعل قرار الاحتفاظ بالمريض داخل المسجد قرارا صائبا يحقق رفع الحرج الذي قد يترتب عن انزعاج أهل المريض بكثرة من يزوره، وهذا بعد مقصدي بامتياز ينحو منحى تنظيميا.

كما أن هذا الأمر يثير لدينا قضية نقاش مهمة؛ والتي قد تواجه في تفعيلها وأجرائها بعض الإشكالات النوعية، وتتمثل في تأطير مؤسسة المسجد لممارسة الرقية الشرعية¹، حتى لا يحدث هناك توسع في هذا الباب،

¹ سبق الحديث عن الرقية الشرعية وعلاقتها بمؤسسة المسجد التفاعلي في العامل الأول ضمن مكون العلاج النفسي للمسجد، ويحصل هنا نوع من التداخل في معالجة هذا الأمر نظرا لعدة نقاط التقاء.

فيعرف بذلك ظهور عدّة ممارسات محظورة، وبالتالي، سنكون هنا في إطار التأسيس لخدمة اجتماعية يمكن أن تنهض بها مؤسسة المسجد تأطيرا وتنفيذا؛ وهي خدمة خلية الرقية الاستشفائية¹.

إن التأسيس والتأصيل للخدمة الصحية لمؤسسة المسجد لا يعتبر تبخيسا وإضعافا لعمل المستشفيات والمراكز الطبية؛ التي لها إطارها الإداري والخدمي؛ أو محاولة خفية تسعى إلى تضيق الخناق عليها في مهامها، وإنما هو إحياء لخدمة أصيلة لها جذورها الممتدة في تاريخ المؤسسة المسجدية، وذلك على غرار الطب البديل الذي تبذل فيه حاليا جهود حثيثة لإحيائه؛ لمن يرغب في التوجه إليه عن طوعية واختيار، كما أنه اتجاه يتبنى الرؤية التعاونية والتشاركية التي ينبغي أن تتحد وفقها القطاعات الحيوية الرامية إلى خدمة الإنسانية في جوانبها الوظيفية التفاعلية.

والذي أراه -والله أعلم- منطقيا ومنسجما مع مقتضيات الواقع هو أن تسعى المؤسسة المسجدية في رؤيتها التفاعلية المعاصرة؛ وذلك عبر الجهة الوصية المسيرة لأنشطتها وأمورها الإدارية؛ إلى إحداث مركز صحي أو ملحق استشفائي خيري على شكل مرفق يهتم بالأمر الطبي والصحي للمحيط القريب، خاصة في المناطق التي تبعد عن المستشفيات والمستوصفات بسبب توسع العمران الحضري، حيث تكون هذه المرافق الصحية ملجأ وملاذا للمضطرين تغيثهم وتقدم لهم الإسعافات الأولية اللازمة، كما أن إحداث مثل هذه الخدمات قد يسهم بلا شك في تشغيل أعداد من المعطلين في المجال الصحي، وبالتالي قد يتم من خلال هذا الإجراء العملي حل مشكلين وازنين في نفس الوقت مشكل اجتماعي ومشكل اقتصادي.

وأستحضر هنا في ظل مناقشة مقترح إحياء الخدمة الاستشفائية للمسجد تجربة ميدانية معاصرة حديثة العهد أحدثت في عدد من مناطق المغرب، وتستحق الإشادة وهي تجربة الإسعافات الأولية المقدمة من طرف خدمة 2222؛ والتي تحظى برضى تام من قبل المواطنين بناء على الأثر الطيب الذي خلفته، فكيف لو كانت مثل هذه الخدمات صادرة عن مؤسسة مسجدية تتبناها وتشرف على نشاطها؟ وكيف سيكون الأثر الذي تخلفه مثل هذه المبادرات الخلاقة؟

إن هذا النوع من الخدمات يحقق منفعة التقريب والتسهيل من المواطنين وتخفيف العبء عليهم، وغالبا ما يحظى باستحسان وتأيد كبيرين.

¹ سبق الحديث عن فكرة الخدمة الاستشفائية المسجدية في شقها المتعلق بالرقية الشرعية، وذلك في معرض الحديث عن العلاج المسجدي النفسي لمرتادي المسجد في العامل الأول من هذا الفصل الميداني.

ويبقى المكون الثالث من مكونات هذا العامل والمتعلق بخدمة المؤسسة المسجدية لحملات التبرع بالدم وانخراطها الإيجابي في هذا المسار، وهو مكون يمثل خصوصا بعد عموم كما سبق وأن أشرت في هذا الصدد، حيث يندرج في عموم الخدمة الاستشفائية لمؤسسة المسجد التفاعلي، وقد تبين لي في هذا الإطار من خلال تبني آلية المقابلة مع الدكتور عبد اللطيف زاهر وبالاخص في هذا الموضوع أن حملات التبرع بالدم عن طريق مؤسسة المسجد التفاعلي تتميز بالإيجابيات الآتية:

1- كونها تشكل نوعا من الانفتاح اللازم والتفاعل الإيجابي بين مختلف المؤسسات الحيوية الفاعلية في المجتمع، حتى لا تبقى كل مؤسسة منغلقة عن نفسها، ففي انفتاحها على باقي المؤسسات تقوية لمجال عملها وتوحيد ورفعة لمدوديتها، حيث من النادر أن تحقق مؤسسة ما فعاليتها ونجاحاتها بدون مؤازرة غيرها ماديا أو معنويا. ولذلك فإن أهم مظهر معاصر أصبح يتجسد فيه هذا الانفتاح هو مختلف الشراكات والاتفاقيات التي تبرم قصد نظير هذا التعاون الخيري.

2- كونها تطبيقا عمليا وممارسة ترسخ تربية عميقة في نفوس المصلين، أساسها الحس الروحي والتعاوني في إنقاذ الأنفس التي تحتاج كمية من الدم، حيث ارتبطت بالبعد المكاني ألا وهو المسجد. ويكون ذلك عبر حسن استثمار وتوظيف الأساليب المسجدية في الدعوة إلى هذا الخير، سواء تعلق الأمر بخطبة أو موعظة أو ندوة أو لافتة تستأثر الأنظار والاهتمامات.

3- كونها رهانا إيجابيا نحو تكثيف وتكثير الجهود والأعداد المساهمة من المحسنين، انطلاقا من أن رسالة المسجد تنحو نحو حث هؤلاء المصلين وتشجيعهم على البذل، خاصة إذا تعلق الأمر بالبذل المتعلق بتعدي المنفعة نحو دفع الضرر عن النفس وإنقاذها من المهالك.

فالمسجد مكان يستقطب عبر مختلف محطاته ومناسباته الدينية أعدادا كثيرة وجموعا غفيرة، تكون الفرصة معها مناسبة لقوة الاستجابة وحماسة التحرك نحو الخير الذي يصاحب رسالة المسجد.

4- كونها تجعل قضية اصطحاب النية والباعث الروحي الإيماني نحو الفعل الخيري أمرا قويا وشيئا ملازما نظرا لقوة تأثير المقام سواء المكاني أو الزماني.

وتجدر الإشارة¹ إلى أن الأعداد التي تقبل على هذه الحملة في موسم شهر رمضان تمثل الذروة في الإقبال، وذلك نظرا لأن هذا الشهر يشهد ازديادا في الإقبال على الخير بكل أنواعه وأصنافه؛ على وجه أكثر مما هو عليه في سائر الشهور، وعليه، حري بهذه المراكز والجهات التي تهتم بهذه الحملات أن تكثف من

¹ انطلاقا مما ورد في ثنايا المقابلة المنجزة في هذا الصدد.

جهودها في هذا الشهر لتسهم في توفير أقصى التبرعات، مع السعي دائما على إشراك مؤسسة المسجد كفضاء مكاني في هذا الاستحقاق.

5.6. توصيف واستكشاف العامل الخامس.

1.5.6. توصيف العامل الخامس.

int16	0,790
int17	-0,552
int15	0,550

تتجمع في هذا العامل ثلاثة أسئلة، تنتمي كلها إلى المجال التفاعلي ضمن الموضوع الكلي لمؤسسة المسجد، وهي على التوالي: السؤال 15 والسؤال 16 والسؤال 17.

ويمكن تحديد المحاور الموضوعية لهذه الأسئلة التفاعلية على الشكل الآتي:

المسجد والخدمة الفاعلة لغير المسلم

المسجد والتبرع الخيري

المسجد والتسول

ومن خلال التأمل في مدلولات مكونات العناصر الثلاثة لهذا العامل؛ فأهم ملاحظة يمكن نسجلها على غرار ما سُجِّل في العامل الذي مضى، هي عدم التقاء العنصر الأول في مجاله الوظيفي مع العنصرين الثاني والثالث في المجال الوظيفي المتعلق بهما، حيث إن المتبادر من قراءة السؤال الخامس عشر أن مجاله حضاري باعتباره عالمية امتداده، كما أن المجال الذي يوحد مضمون العنصرين الآخرين هو المجال الاقتصادي أو المالي، أي أن هناك فرقا ملحوظا بين المجالين، إلا أن الأمر يستدعي قراءة عميقة ونافذة من أجل التمكن من الربط بين هذا الثلاثي؛ كما حصل ذلك في العامل السابق.

إن الخدمة الوظيفية المتعدية لمؤسسة المسجد والمتعلقة بجوانبه التفاعلية التي يتعدى نفعها إلى غير المسلم هي عمل يتطلب كلفة ومجهودا ماديا، خاصة على مستوى التجهيز والإعداد، حتى يظهر المسجد التفاعلي بالصورة الحضارية الرائقة التي تؤهله للنجاح في هذه الخدمة وإقناع الآخر بها، وبالتالي، فخدمة غير المسلم مرتبطة بالتبرع الخيري الذي يؤهل المسجد ماديا لهذه الخدمات، كما أن التبرع المالي قد تزاخمه ظاهرة تختلف من حيث التقويم والممارسة بين التأييد والمعارضة وهي ظاهرة التسول.

وعليه، فإن البذل المالي لمؤسسة المسجد له مجال وحدود، كما أن له أثرا وتدعيما لمبدأ الخدمة الحضارية لغير المسلمين، وبالتالي، فإن الوجه الذي يمكن أن نجتمع فيه هذه العناصر الثلاثة التي تكون هذا العامل هو أن نجتمعها في هذه التسمية: **التبرع المسجدي الواسطي وخدمة غير المسلم**.

وقد سبق الحديث في الشق النظري التأصيلي من البحث عما يتعلق بعلاقة المسجد وغير المسلم، لكننا نحتاج ميدانيا إلى ما يسعى إلى تقوية هذه العلاقة، نظرا لما لها من غايات حضارية كبرى، ونحتاج كذلك إلى ما يسهم في توفيرها واقعا بشكل ملموس ومحفز وجذاب.

2.5.6. استكشاف عناصر العامل الخامس:

إن أهم الخدمات الفاعلة التي يمكن أن تضطلع بها مؤسسة المسجد التفاعلي في علاقتها مع غير المسلمين أن تثبت ميدانيا أنها لا تحدث قطيعة مع هذه الفئة، وبإمكانها أن تحتضنها وأن تجيب عن أسئلتها وتبسط إشكالاتها المختلفة للعرض والنقاش من أجل إيجاد الحلول.

فغير المسلمين في بلاد الإسلام تعترضهم مشاكل عدة وتواجههم صعوبات متنوعة، فيحتاجون بذلك إلى من يمد إليهم يد العون لحلها، وأقصد بذلك المشاكل النفسية منها والعقدية، وعليه، فإن تقييم وضع المساجد الحالية يكشف لنا نقصا كبيرا في هذا الصدد، حيث ليس هناك تفكير في إيلاء هذا الأمر ما يلزم من العناية والتخطيط، مع العلم أنه لا يكلف كثيرا؛ إذا ما أردنا أن نقوم بمحاولة تجربة أولية.

ويمكن مثلا أن تعقد ندوات مسجدية شهرية في علم النفس أو المشاكل النفسية وطرق معالجتها بالدين أو القرآن، ثم يستدعى لذلك بشكل رسمي من هم غير مسلمين ممن يشتغلون في نفس المدينة، ويحرص في معاملتهم على حسن الأدب والخلق، بما يضمن تكرار حضورهم لندوات أخرى من هذا القبيل، أما فيما يخص المشاكل العقدية؛ فقد شاهدنا مرارا إجراء مناظرات في الأديان، فحري بالمؤسسة المسجدية أن تحوز قدم سبق في تنظيم هذه المناظرات، ويصطفى لذلك المتمكنون المتخصصون في العقيدة والأديان والمثل، مع ضبط آليات الحوار والجدل والحجاج والمنطق، وتتم التعبئة الجيدة والمنظمة لضمان حضور مكثف ووازن لغير المسلمين، حتى يكون ذلك سببا في تبين الحق لديهم وكشف الشبهات التي ترسخت في أذهانهم، فيلج منهم من أخذ الله بقلبه إلى الإسلام، فيكون في ميزان حسنات من سعى إلى هذا الخير العظيم، أو تكون المؤسسة المسجدية على الأقل قد قامت بواجبها المنوط بها في التبليغ الحضاري اللازم.

ولا شك أن هذه الخدمات ليست سهلة من حيث التنفيذ والتبني، نظرا لكونها تتطلب مجهودا وكلفة في التجهيز والتنظيم سواء من الجانب المادي أو من الجانب البشري، وحتى من الجانب العلمي والمهاري كذلك، لكن هذه المعدات ليست معدومة بالكلية، بل قد تكون متاحة، بالإضافة إلى أن كثيرا من الناس يتعاملون مع

هذه المستجدات بمنطق التشييط والتعجيز والتخوف، ولو أننا بدأنا الأجرأة والتنفيذ بأيسر التجارب في ذلك؛ دون المراهنة على النتائج الباهضة والأرقام الضخمة؛ فيمكن أن نكون حينها فعلا قد قطعنا أشواطاً في منهج العمل بالمشاريع المسجدية التفاعلية ذات العائد الحضاري على الأمد البعيد؛ وليس فقط القريب.

وتعزُّ لي في هذا المقام فكرة قد تكون محققة للفاعلية المرجوة منها مع غير المسلم كما أنها قد تعود على مؤسسة المسجد بالنفع المادي، وهي فكرة إقامة معرض فكري ثقافي يعنى بعرض الأعمال الثقافية للمسلمين، وذلك على اختلاف مجالاتها.

لكن نظير هذه الفكرة لا يصلح تنفيذه وتطبيقه إلا في المساجد التي تتوفر على المرافق والبنىات والتجهيزات التي تسمح بذلك، حيث يحتضن المسجد التفاعلي هذه التظاهرة، ويشرف على تنظيمها وتأطيرها بشكل مدروس ومخطط يراعي فيه الإشعاع والجودة في العرض والتأثير في الجمهور، مع توظيف المستجدات المعاصرة في تنظيم عرض المنتج وحسن توظيف تقنية الإشهار.

إن كثيراً من الناس حينما يسمعون بمثل هذه الأفكار التي تدخل ضمن المشاريع والبدائل المعاصرة في مجال العمل الوظيفي المسجدي، يكون رد فعلهم متجهاً نحو التعجب والإنكار، وفي أحسن الأحوال يتجه رد فعلهم نحو استبعاد النجاح والإقبال، إلا أننا نلاحظ في واقعنا المعاصر أن فكرة تبني وتنظيم معارض أضحت فكرة معاصرة تتسم بالانفتاح والامتداد، لا من حيث الجهات المحتضنة، ولا من حيث الموضوع أو المحور الذي يركز عليه المعرض في تنظيمه، وما ذلك إلا لأن هذه المعارض تشكل ملتقيات تواصلية هامة، وتحظى بقبول واهتمام كبيرين من المهتمين والمختصين على حدٍّ سواء، خاصة إذا تم توجيه دعوات ورسائل تدعو الناس للزيارة والحضور.

إنه لم يسبق لنا وأن سمعنا مسجداً معيناً قد تبني بادرة تنظيم معرض معين، إلا ما كان بشراكة مع جهات أخرى قد تكون هي المحتضن الرئيس للتظاهرة أكثر من المسجد، وعلى هذا المنوال ينظم معرض بجوار مسجد الحسن الثاني وبالضبط في المكتبة أو الخزانة المحيطة بالمسجد، تعرض فيه أعمال ثقافية، ويجذب زواراً كثيراً من المسلمين ومن غيرهم، لكننا نكاد نجزم أنه لم يسبق لنا وأن سمعنا مسجداً يعلن عن تنظيمه معرضاً ثقافياً في قاعة العروض التابعة له، ويوسع مجال العرض للعموم.

وغير بعيد عن فكرة إقامة معرض مسجد؛ تطاردنا فكرة توجد في حيز التطبيق بعدة مساجد، لكنها في حدود ضيقة أو هي فتوية التوجه¹، وهذه الفكرة هي مشروع المكتبة المسجدية، فهو مشروع له بذوره، لكن

¹ أقصد أنها متوجهة في إفادتها ونفعها فقط للمسلمين، كما هو الشأن بالنسبة للمكتبة التي تحتوي فقط على كتب في علوم شرعية وبلغة واحدة فقط.

المشكل في هذا المشروع يكمن في المواصفات والمعايير التجديدية والتحديثية التي ينبغي أن تتميز، وذلك إذا أراد أن يحقق خدمة غير المسلمين، فليس المقصود فحسب أن نحرص على وجود مكتبة في شكل حزمة من الكتب ذات مجالات شرعية محدودة لا تتعدى علوم اللغة في أقصى انفتاحها؛ بل المقصود من المشروع إيجاد مكتبة تتسم بسمة الشمولية والإحاطة الواسعة بالعلوم على اختلاف مشاربها، مع الحرص على توفرها على اللغات الحية، ليتطور المشروع بعد ذلك إلى براعة الإشهار له، مع التركيز على استهداف المثقفين غير المسلمين ليحجوا إليه من أجل اكتشاف درره وكنوزه.

وحسبنا من هذا المشروع أن يحقق خدمة تغذية الخصاص الثقافي لمرتاديه، ويزودهم بالمعارف التي تزيد من منسوبهم وزادهم العلمي، كما أن من شأن هذا المشروع أن يصحح عدة أفكار مغلوطة ويقوّم صورا نمطية انطبعت على التصور العام للعالم الإسلامي؛ بسبب ضعف أهله في ممارسة الإنتاج الثقافي، وبات الغرب ينظر ويكتب ويؤسس لنظرياته في غياب مكتبات إسلامية تزاخم وتدافع هذه الجهود الغربية، ولا شك أننا سنجد من يثبط الهمم في إطار التخطيط لهذا المشروع، لكنه كما سبق وأن أشرت؛ فإن نجاح المشروع رهين بحسن وجودة الإشهار والعرض، مع التخطيط في رونق وجمالية المظهر، لأن ذلك بوابة نحو الإقبال عليه بلهفة.

وليس القول بتبني مشروع المكتبة المسجدية بدعا من الأمر أو هو وليد العصر، بل يسجل التاريخ خاصة المغربي منه شمولية وموسوعية معرفية للعلوم التي احتوتها هذه المكتبات، ويكفي أنه أُلّف في ذلك كتاب خاص وُسم بعنوان: مكتبات المساجد (دراسة تاريخية) والذي يقول فيه الأستاذ مكّي بن نسيب السباعي: 'وقد حظيت مراکش التي كانت عاصمة المغرب لفترات طويلة بالعديد من مكتبات المساجد، وتعد المكتبة اليوسفية واحدة من أهم المكتبات ...، وقد أنشأها السلطان إسماعيل العلوي 1111هـ/ 1700م بجامع علي بن يوسف، وتحتوي على بحوث ودراسات في العقيدة بالإضافة إلى أعمال في اللغة والسير والفلسفة والأدب والرياضيات والعلوم الطبيعية' (مكتبات المساجد-دراسة تاريخية-: مكّي بن نسيب الرفاعي، ص109/ 110 بتصرف)، ونفس الموسوعية وُجدت في مكتبات مسجدية أخرى خارج المغرب كما هو الشأن في مكتبة مسجد محب الدين الواقف الصغيرة في القاهرة، كانت تضم مؤلفات في الطب والجراحة والعقاقير والموسيقا والفروسية والشعر (مكتبات المساجد-دراسة تاريخية-: مكّي بن نسيب الرفاعي، ص195).

ومن أهم الجوانب الإشعاعية الوظيفية التي ميزت جامع ابن يوسف في مراکش ما كانت تحظى به خزانته، حتى إنه يمكن القول بأنها أصبحت لوحدها معلمة قائمة ومستقلة بذاتها، تحظى بشهرة وصيت، بفعل عاملين أساسيين، وهما إسهام العلماء والمفكرين في هذه الحركة العلمية الرائدة، بالإضافة إلى دعم السلاطين والأمراء وتأييدهم لهذا المشروع العلمي، لما فيه من ازدهار ثقافي، يقول الأستاذ أحمد متفكر: 'وضعت في مقصورة هذا الجامع النواة الأولى لخزانة الكتب، إذ في هذا العصر توحدت الأندلس والمغرب، وازدهرت الثقافة

الإسلامية بالعدوتين، ونزح عدد من علماء الأندلس وكتابخها وفقهائها إلى مراكش حاضرة الدولة، لينعموا بالنفوذ والجاه في كنف السلاطين والأمراء، وبوجود هذا الحشد الغفير من العلماء والأدباء والفقهاء تكاثرت الطلبة المتعطشون للعلم، وظهرت حركة جمع الكتب واستنساخها للخزائن الملكية والمسجدية في عصر ابن تاشفين، واستمرت في عهد خليفته علي بن يوسف، يدلنا على ذلك ما تحتفظ به بعض الخزائن من مخطوطات كتبت في عهدهما، أو بأمرهما، وتنافس الأمراء اللمتونيون في إغناء هذه الخزانة' (مساجد مراكش عبر التاريخ: أحمد متفكر، ص54).

ولست أتفق مع اتخاذ المقصورة مكانا لإقامة مشروع المكتبة المسجدية في مؤسسة المسجد، لأن ذلك لا يضمن عليها الصفة التفاعلية، وقد يحول في الغالب من تحقيق الغاية الخدمية لغير المسلمين، نظرا لقصور هذا المكان على القيميين الدينيين للمسجد، إذ هم الذين يترددون عليه باستمرار دون غيرهم، وبالتالي فينبغي دائما أن يحرص على إقامتها في مكان جد مناسب ومتاح لكل أحد على اختلاف موقعه أو دينه، حتى لا يكون في ذلك حرج أو عائق يحول دون الوصول إليها، كما لو فرضنا أن شخصا ما لا يصلي ويريد بغيته من هذه المكتبة قد يجد حرجا في الوصول إليها وهي على هذه الحالة، وإلا فيمكن حينها أن نفرق بين المكتبة الخاصة وبين المكتبة العامة، فالمكتبة الخاصة تحدث في إطار محدودية المستفيد ومحدودية الغاية، بخلاف المكتبة العامة التي تعتبر هنا غاية المشروع، وعليه فإن من دواعي إنجاح مشروع المكتبة المسجدية في إطار الخدمة المتعدية لغير المسلم أن يدرس موقعها بعناية، يقول الأستاذ مكي بن نسيب السباعي: 'شيدت بعض المكتبات فوق المداخل الرئيسية أو بالطابق الثاني بحيث تكون مطلة على صحن المسجد، ومن أمثلة ذلك المكتبة المجيدة التي كانت في أول أمرها بصحن الحرم المكي، ثم انتقلت فيما بعد، بسبب الفيضانات عام 1278هـ / 1861م إلى قاعة فوق دربية، كما يروى أن المكتبة النصرية في المسجد الأقصى احتلت هي والمدرسة ذات الاسم نفسه قاعتين فوق باب الرحمة' (مكتبات المساجد-دراسة تاريخية:- مكي بن نسيب السباعي، ص174).

ومما يمكن أن نستشهد به وأن ندعم به في الحديث عن إسهام كل من العلماء والسلاطين في إغناء المكتبة المسجدية ودعم مشروعها ما يرويه الفاسي من أن أبا العباس الوطاسي قد أوقف نسخة من فتح الباري على جامع القرويين في 939هـ / 1532م (مكتبات المسجد: مكي بن نسيب السباعي، ص186)، وقد كان من علماء زمانه المشهود لهم بالخير والصلاح، أما عن السلاطين؛ فيقول الأستاذ مكي السباعي: 'وبجانب هاتين المكتبتين، كان بجامع القرويين مكتبة ثالثة ذات أهمية كبيرة، وهي التي أنشأها الملك الأديب المنصور السعدي الملقب بالذهبي، وقد احتوت هذه المكتبة التي أطلق عليها اسم الخزانة المنصورية على مجموعات لا تقدر بثمن، قدم أكثرها المؤسس نفسه، كما تولى رعايتها بعد وفاته ابنه زيدان، ويذكر في هذا الصدد حديث الفاسي عنها حيث يقول: ولست في حاجة إلى بيان ما كان لأحمد المنصور هذا من الشغف بالمكتبة والكتب

النادرة وجلبها من أقاصي العالم الإسلامي' (مكتبات المساجد-دراسة تاريخية-: مكّي بن نسيب السباعي، ص107).

ومن الأفكار التي يتبين لي مناسبة اقتراحها في إطار الحديث عن المشاريع المسجدية التي تخدم فاعليا غير المسلمين هي ما يتصل أساسا بالعلاقة والصلة مع أقارب الأجانب الذين يعلنون إسلامهم في مسجد معين، إذ لا يفكر أحد من رواد المسجد في إقامة حفل غداء أو عشاء على شرف أسرة الشخص الذي أعلن إسلامه، مع الحرص أن يحضر فيها أقرب أقاربه من غير المسلمين، من أجل أن يلاحظوا الجو الاجتماعي الذي يتميز به المسلمون وقوة الالتحام التي قد تنعدم في أوساطهم، والتي هم في أمس الحاجة إليها، نظرا لما يعانونه من خصائص نفسي وانغماس كبير في أجواء الحياة المادية.

وقد يقول قائل في ظل ما يخالج صدره حول هذه الفكرة الأخيرة أنه من المحتمل جدا ألا يحضر هؤلاء الأقارب، نظرا للتصور النمطي الذي قد ينقدح في ذهنهم والمتمثل في وجود القطيعة والفصل النهائي بين أصحاب الديانتين، بحيث لا صلة بينهما، إلا أننا في المرجعية الإسلامية نستند على نصوص شرعية تنفي نفيا باتا أن تكون هذه القطيعة قائمة، خاصة في مثل هذه المواقف الرسالية والدعوية التي تحتاج إلى القيم السلوكية والأخلاقية، مما يذكي جوانب التواصل الحضاري مع الآخر، ولعلني أستشهد في هذا الموقف بقوله تعالى: "لَا

يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" (سورة الممتحنة: الآية 8)، ومن السنة ما يدل على مشروعية هذا الفعل لما يحقق

من مصالح اجتماعية وحضارية، من ذلك ما روي عن أسماء قالت: ((قَدِمْتُ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَمَدَّتْهُمْ إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ ابْنِهَا، فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ)) [صحيح البخاري (ت256هـ): كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج، رقم: 5979، ج8/ص4].

ثم إن مما ينبغي أن نستحضره ونستصحه دائما على ضوء ما سبق من استدلالات وشواهد ونحن نعالج هذا الشق من هذا العامل؛ أنه لا ينبغي المراهنة على النتائج المتمثلة في دخول هذه الفئة المستهدفة إلى الإسلام، فهذا الأمر ليس شرطا ولا دافعا من وراء القيام بهذه الخدمات التفاعلية، وإنما الأساس أن نجد ذواتنا من خلال تحقيق هذه الخدمات، وأن نسهم بها في الرقي حضاريا بالوظيفة المسجدية، لتقول كلمتها الرائدة في العمل المؤسسي، وإن تحقق الدخول إلى الإسلام عن حب وقناعة فيها ونعمت، لما روي عن سهل بن سعد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لعلي رضي الله عنه: ((...فَوَ اللَّهُ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا

وَاحِدًا خَيْرٌ لَّكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)) [مسند الإمام أحمد (ت241هـ): تنمة مسند الأنصار، حديث أبي مالك سهل بن سعد الساعدي، رقم: 22821، ج37/ ص477].

والجميل في هذا الحديث هو ارتكاز الخطاب النبوي على الفعل الدعوي وبيان أجره، دون المراهنة والتعويل على تضخيم النتائج، لأن الهداية القلبية في آخر المطاف هي بيد الله تعالى، فهو المتحكم في القلوب وهو الذي يملك وحده تصريفها إما نحو الخير وإما نحو الشر، وهو القائل سبحانه وتعالى: "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (سورة القصص: الآية 56).

ولنا في الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أسوة رفيعة من خلال حرصه على هداية أقرب أقاربه وجلب المصلحة إليه، دوغما انتظار لنتيجة الاهتداء والاستجابة لما يدعو إليه، ويتعلق الأمر بعمه أبي طالب فعن ابن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل، فقال: ((«أَيَّ عَمٍّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرَعْبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَلَا يُكَلِّمَانِهِ، حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ» فَنَزَلَتْ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [سورة التوبة: 113]، ونزلت: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [سورة القصص: 56])، [صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، رقم: 3884، ج5/ ص52].

وإذا انتقلنا إلى معالجة العنصر الثاني من هذا العامل؛ والذي يتعلق أساسا بالتبرع الخيري في إطاره الميداني؛ فلا شك أن هذا العامل الوظيفي يتطلب إطارا هيكليا وتنظيميا هاما وقويا، لا يمكن أن ينهض إلا به، ويتجلى ذلك في وجود الجمعية المسجدية، ونظرا لأن كثيرا من الناس يقبلون على التبرع الخيري؛ إذا علموا توفر هذا الإطار، إذ يعاينون النتائج الملموسة والميدانية لما ينجز من قبلها، خاصة وأنها تتوفر على حساب مالي، له رقم معلن ومتاح للجميع، فيكون ذلك دافعا نحو الإقبال على الخير تبرعا وإسهاما في المشروع، حيث إنه في الغالب ما يكون الأفراد محلّ شكوك وتخوفات في مجال التبرع الخيري.

وتجدر الإشارة إلى أن السنن والابتلاءات الكونية لا تعفي هذه الجمعيات من الأذى اللساني للبشر، فلا بد وأن نجد من يتعرض لها بالسوء والاتهام رغم نظافة يد أصحابها، إلا أن جهودها وإسهاماتها في مجال التبرع الخيري أمر لا ينكره منصف، يقول الأستاذ رؤوف القاسمي عن شأن التجربة الجزائرية في هذا المضمار: 'لعبت الجمعيات المسجدية منذ تأسيسها دورا أساسيا في مجال بناء المساجد، وقامت بتجنيد المواطنين وجمع

التبرعات، وساهمت في عملية إصلاح وترميم المؤسسات الدينية، وتعرضت إلى مواجهات وتضييق الخناق على تسييرها، وانفردت بأشكال التعامل معها عن بقية الجمعيات الأخرى مسايرة بالأوضاع التي عرفت الجزائر خلال العشرية المنصرمة، جاءت محاولة السلطة تجنيب المسجد من الصراعات السياسية، إلا أن أمر بناء المساجد بقي متروكا إلى المبادرات الجماعية للفعل الخيري وحتى إلى المبادرات الفردية' (مقال: التنظيمات المسجدية/ رؤوف القاسمي، ص110).

تتميز الجمعية في مجال تنظيم استقبال وتدبير الموارد المالية التي ترد إليها عن طريق التبرع الخيري بتنوع هذه التبرعات من حيث الجهات التي تشكل مصادرها، رغم الاختلاف والتفاوت الذي يطبع حجم هذه التبرعات الواردة، وذلك راجع إلى عدة اعتبارات وعوامل يصعب تفسيرها ومقارنتها، يحدد الأستاذ رؤوف القاسمي المصادر المالية لهذه الجمعية في التجربة الجزائرية أيضا على الشكل الآتي: 'تعتمد الجمعية المسجدية في تمويل مشاريعها على تبرعات المحسنين المادية بالدرجة الأولى، ثم تليها مساعدات محلية من طرف الهيئات الإدارية، غالبا ما تكون شحيحة، وحتى الإعانات المالية لوزارة الشؤون الدينية لا تفي بحاجات ومتطلبات العدد المعتبر للجمعيات، رغم التحسن في حوصلة مبالغ الإعانات على المستوى الوطني' (مقال: التنظيمات المسجدية/ رؤوف القاسمي، ص121).

ولا شك أن العمل الجمعوي المسجدي رغم جودته ونفعه الميداني الذي ثبت باللموس، فإنه لا يزال مع ذلك يعرف ويعيش إشكالات واقعية من حيث الإطار القانوني والصلاحيات التسييرية وأشكال تنظيم المشروع الاجتماعي، بالإضافة إلى السؤال الملح الذي يفرض نفسه في هذا الإطار: هل الإقبال على الجمعيات المسجدية يتحدد بمقتضيات متابعة مشروع بناء المسجد وتمويله وتجهيزه أم يتعدى ذلك إلى صلاحيات أخرى؟ (مقال: التنظيمات المسجدية/ رؤوف القاسمي، ص99).

وفي نظري الشخصي أن الجمعية المسجدية ينبغي أن يوطر عملها باليتين اثنتين للحفاظ على مكاسبها الإنتاجية الجيدة، وهما آليتا التقييم والتتبع، عبر مراقبة الإنجازات ومختلف الأعمال التي قامت بها الجمعية المسجدية، دون الحدّ من صلاحياتها ودائرة نشاطها التي تخفف كثيرا من العبء على الجهات الوصية على الشأن الوظيفي لمؤسسة المسجد، يقول الأستاذ رؤوف القاسمي مبينا بعضا من النتائج الميدانية للعمل الجمعوي المسجدي: 'إن الجمعيات المسجدية تساهم في عملية التنمية المحلية من عمران وسوق عمل، بينت الدراسة في عمومها على أن الجمعيات المسجدية لعبت دورا كبيرا في دفع حركية بناء المساجد...، العمل الجمعوي في الحقل الديني ساعد في عملية الإقبال والإشراف على بناء المساجد، ويرجع ذلك بحكم نسق القيم الدينية الموروثة إلى الصراعات بين السلطة والجمعيات من حيث الأدوار والوظائف' (مقال: التنظيمات المسجدية/ رؤوف القاسمي، ص130/ 131 بتصرف).

لقد كان لإحداث نواة جمعيات مسجدية في عدة نقاط من المناطق المحيطة والقريبة من الجديدة إحداث طفرة نوعية في العمل الوظيفي لمؤسسة المسجد، خاصة في الجانب التربوي الخيري، ولعلني أسوق في هذا المقام مثالا ميدانيا من دوار القواولة (الجماعة القروية للعطاطرة) المجاورة لمدينة سيدي بنور، حيث كان مسجده يعاني من نقص كبير في تجهيزاته وتنظيم مرافقه، وهذا النقص راجع بالأساس إلى انعدام وشحة الموارد المالية، التي كانت لا تكفي حتى لتغطية مصاريف الأجرة الشهرية الزهيدة لإمام المسجد، فخطط أبناء المنطقة لمواجهة هذا الوضع المزري وتدارك هذا المشكل في تأسيس جمعية تُعنى بتدبير شؤون المسجد وإصلاحه وتوسيعه. تولت هذه الجمعية بعد تأسيسها قانونيا مهمة فتح الباب لجمع التبرعات والمساهمات المالية الخيرية من أهل الفضل والعطاء، سواء وُجدوا بالمنطقة أو بخارجها، وبعد تحصيل مبلغا من المال، تمت مباشرة عملية الإصلاح والتوسعة لمسجد الدوار، ليشهد المسجد بذلك زيادة مهمة في مساحة قاعة الصلاة وترميم لمسجد النساء، بالإضافة إلى إنشاء مراحيض للوضوء وتزويدها بمسخن كهربائي للماء، ولم يقف جهدها عند هذا الحد، بل ضاعفت جهدها في جمع ما يستلزم من مال لشراء مكبرات الصوت ولوازم صوتية تستجيب لمتطلبات المسجد في حلتته وتوسعته الجديدين، ولذلك فقد حظيت هذه الجمعية بتقدير واحترام كبيرين من طرف سكان المنطقة، نظرا للآثار الحميدة التي خلف عملها ذلك في المجال التدبيري المالي.

ويستحسن في باب العمل الجمعي المسجدي أن يتم تشكيل أعضاء الجمعية من أبناء المنطقة لأنهم أحرص على جلب الخير لمنطقتهم من غيرهم، وهذا أمر مشاهد بقوة في الميدان الجمعي، نظرا لما يتمتع به هؤلاء الأعضاء من غيرة وإرادة خالصة في التغيير وجلب المصلحة إلى مقامهم الأصلي، لأن هذا النفع يعود إليهم ابتداء وانتهاء بالإضافة إلى أن هؤلاء يكونون محط ثقة وتقدير من طرف جيرانهم وأبناء منطقتهم، فيشكل ذلك حافزا ودافعا قويا نحو الإنفاق والتبرع عليهم من أجل تحقيق هذه المصلحة، يقول الأستاذ رؤوف القاسمي في هذا الصدد: 'تبين نتائج التحقيق الميداني أن علاقة انخراط أعضاء الجمعيات مرتبطة بمكان الإقامة في نفس الحي الذي يوجد عليه مشروع إنجاز المسجد بنسبة 86,39% مقابل 6,80% التي هي من خارج الحي و6,80% فضلت ألا تجيب، وقد يعود ذلك إلى عدم وجود جمعية في جرتهم أو إلى أسباب أخرى، قد تكون بغية العمل مع أصدقائهم ومعارفهم' (مقال: التنظيمات المسجدية/ رؤوف القاسمي، ص126).

كما ينبغي للجمعيات المسجدية واللجان المالية التابعة لها والتي تباشر عملية السهر على جمع وتسيير وتدبير التبرعات المالية أن تسعى في منهجية الاشتغال عن طريق ما يمكنني أن أسميه بالامتداد الأفقي الخارجي، وأعني بذلك: فتح جسور التعاون والشراكة مع الجمعيات المسجدية الأخرى في باب التدبير المالي، وذلك في حدود ما يسمح به ويتيح تحقيق المصلحة المسجدية في أرقى جودتها، ومن ذلك [إقامة توأمة بين المساجد في إطار التضامن المادي والمعنوي] (المؤسسة المسجدية في زمن عاصف: منير السعيداني، ص19)، وذلك لأنه

يُحصل في بعض الأحيان أن مؤسسة مسجدية معينة تعاني من خصاص مادي لتغطية بعض الحاجيات الهامة، وبالمقابل نجد قريبا منها مؤسسة مسجدية أخرى تتمتع بفائض مالي في هذا الإطار، فتكون تلك التوأمة أمرا متعينا لترشيد عملية تدبير الموارد والنفقات المالية.

أما عن العنصر الثالث في هذا العامل؛ فمن أبرز النماذج التطبيقية التي تتصل بخدمة المؤسسة المسجدية لفئة المحتاجين نجد ظاهرة السؤال داخل المسجد وإمداد السائلين بما يسد حاجتهم، ولذلك يتمحور هذا العنصر حول علاقة مؤسسة المسجد بالتسول، أي احتراف مهنة السؤال واعتياده بشكل دائم في هذا المكان، وعليه فهناك فرق بين السؤال والتسول، حيث إن السؤال نتاج عن دافع اجتماعي ملح نظرا لظروف القاهرة¹ أو حالة واقعية معينة استدعت لدى الشخص أن يعرف بنفسه ويسأل ما في حاجة إليه، حتى يتفطن إليه وتسد حاجته بذلك من طرف أهل الخير، أما التسول فهو احتراف لمهنة السؤال على وجه الدوام والاعتياد، سواء كانت الحاجة أو الضرورة تدعو إلى ذلك أو لم تكن.

فلا بأس أن يعطى السائل في المسجد شيئا مما يحتاجه في حياته، ومما يستشهد به على جواز هذا الأمر في بيت الله ما روي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟))، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا أَنَا بِسَائِلٍ يَسْأَلُ، فَوَجَدْتُ كِسْرَةً خُبْزٍ فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَأَخَذْتُهَا مِنْهُ فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ)) [سنن أبي داود (ت275هـ): كتاب الزكاة، باب المسألة في المساجد، رقم: 1670، ج2/ص127، قال الألباني: ضعيف وهو صحيح دون قصة السائل]، ذكر العظيم أبادي معلقا على هذا الحديث ما نصّه: 'قال السيوطي الحديث فيه استحباب الصدقة على من سأل في المسجد ذكره النووي في شرح المذهب وغلط من أفتى بخلافه' (عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته: أبو عبد الرحمن العظيم أبادي (ت1329هـ)، ج5/ص60، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ).

إن مناقشة ظاهرة السؤال في المسجد لا يمكن أن تناقش من حيث المشروعية من عدمها، وإنما ينبغي أن تناقش من حيث الضوابط والمآلات المرتبطة بها، على غرار باقي الأفعال المسجدية التي لا دليل من الشارع على منعها أصالة، وعليه فإن ممارستها ينبغي ألا تعود على المؤسسة المسجدية بنقيض مقصد رسالتها، ويمكن أن ندرك -من باب حسن الظن- أن السر وراء لجوء المحتاجين إلى السؤال في المسجد هو توسمهم الخير في هذه الفئة المسجدية التي تتزود وتتشبع بمبادئ الإيمان من المسجد ورسالته، مما يحثّها ذلك على النظر بعين الرأفة

¹تتعدد نماذج الظروف القاهرة المشاهدة في الواقع الحالي، ولعل المصطلح الشرعي الذي يعبر عنها بقوة هو مصطلح المحنة أو الابتلاء سواء كان معنويا أو كان ماديا، ومن أمثلة ذلك: المرض، العاهة أو الإعاقة، الفقر المدقع أو فقدان الشغل لأزمة ما...

والرحمة إلى إخوانهم من أهل القبلة من أجل سدّ حاجاتهم الاجتماعية، فإن هذه الفئة هي التي يرجى منها أن تلتفت اجتماعيا إلى من حولها بناء على ما تسمعه من آيات وأحاديث في هذا الشأن، لكننا في إطار هذه الظاهرة نلاحظ أن السائلين إما أن يمارسوها خارج فضاء المسجد، أي: ببابه أو بقربه، وإما أن يلجوا إلى ذلك بأبواب المسجد ومداخله، فيشرعون في سؤالهم نحو المصلين بطرق مختلفة مباشرة بعد فراغ الإمام من الصلاة، وبالتالي نجد أنفسنا أمام حالتين لهذه الظاهرة.

فلا شك أن ممارسة هذه الظاهرة داخل فضاء المسجد تكتنفها مجموعة من المحاذير والمخالفات وبالتالي، فهي أشد وطءا من ممارستها خارجه، فالمصلّون عقب صلاتهم في جوّ من الخشوع والتدبر، منهم من يكمل ذكره ودعائه، ومنهم من هو مسبوق يتم ركعاته المتبقية، ومنه، فهذا الأمر غالبا ما يحدث تشويشا عليهم، ويزيل صفة السكينة والهدوء على الجو التعبدي بالمسجد، بالإضافة إلى أن هؤلاء السائلين لا يتحرزون عن رفع أصواتهم بشكل ملفت ومزعج، إما صياحا وإما بكاء، بل نجد منهم من يستعمل خطابا لا يمتّ للجو المسجدي بأيّة صلة، أو يقومون بتخطي الرقاب وإيذاء المصلين، حتى أصبح الأمر عادة ومصدرا للاستنزاق عند البعض وتجاوز حدود الحاجة الملحة، يقول الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي: 'وإذا كانت الكفالة الاجتماعية قد تحققت في المسجد من خلال التصديق على المحتاجين ..؛ فاعلم أنه في الوقت نفسه لا يجوز لغير ذي الحاجة ... أن يتخذوا المسجد مكانا للسؤال والشحت المزري والاستعطاف الكاذب واستخدام الحيل لاستكثار المال ...، فإن ذلك منهى عنه وشنيع' (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص73).

ومن أهم الأدلة الشرعية التي يمكن الاستدلال بها على هذا النهي ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لَا يَفْتَحُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ؛ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، يَأْخُذُ الرَّجُلُ حَبْلَهُ فَيَعْمِدُ إِلَى الْجَبَلِ، فَيَحْتَطِبُ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَأْكُلُ بِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ مُعْطًى أَوْ مَمْنُوعًا)) [مسند الإمام أحمد (ت241هـ): مسند المكثرين من الصحابة، حديث أبي هريرة، رقم: 9421، ج15/ ص246]، كما يروي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف منها والمسألة: ((الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمُنْفَقَةُ، وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ)) [سنن أبي داود (ت275هـ): كتاب الزكاة، باب في الاستعفاف، رقم: 1648، ج3/ ص86]، وما أجمل قوله تعالى في امتداح وصف أهل الفاقة الجديدين بالعطاء نظرا لتعففهم عن السؤال: "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" (سورة البقرة: الآية 273)،

وقد كان أهل الصفة يمثلون أقصى أنواع الفقر والحاجة عند الصحابة، ولم يكن لهم مأوى يأويهم سوى المسجد، فشكل هذا الوضع بذلك علامة وسمّة على ما بهم من حاجة، فيتفطن لهم بذلك دون أن يمدوا أيديهم بالسؤال، كيف لا وهم يسمعون حديث نبيهم صلى الله عليه وسلم في ذمّ السؤال وبيان وعيد ذلك، لما روي عن سهل ابن الحنظليّة، قَالَ: ((قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فَسَأَلَاهُ، فَأَمَرَ لَهُمَا بِمَا سَأَلَا، وَأَمَرَ مُعَاوِيَةَ فَكَتَبَ لَهُمَا بِمَا سَأَلَا، فَأَمَّا الْأَقْرَعُ فَأَخَذَ كِتَابَهُ، فَلَفَّهُ فِي عِمَامَتِهِ وَانْطَلَقَ، وَأَمَّا عُيَيْنَةُ فَأَخَذَ كِتَابَهُ وَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتُرَانِي حَامِلًا إِلَى قَوْمِي كِتَابًا لَا أَذْرِي مَا فِيهِ، كَصَحِيفَةِ الْمُتَلَمِّسِ، فَأَخْبَرَ مُعَاوِيَةُ بِقَوْلِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ؛ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنَ النَّارِ - وَقَالَ الثَّقَلَيْنِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ - فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا يُغْنِيهِ؟ - وَقَالَ الثَّقَلَيْنِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: وَمَا الْغِنَى الَّذِي لَا تَبْغِي مَعَهُ الْمَسْأَلَةُ؟ - قَالَ: قَدَرُ مَا يُغَدِّيهِ وَيُعَشِّيهِ، وَقَالَ الثَّقَلَيْنِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: أَنْ يَكُونَ لَهُ شِبَعُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، أَوْ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ)) [سنن أبي داود (ت275هـ): كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى، رقم: 1629، ج2/ص117]، فتأتيهم المساعدات والنفقات إلى مكائهم وهم موجودون بالمسجد، لتخفف بذلك من شدة معاناتهم، وتجسد حجم مواساة المجتمع المسلم وتشبعه بقوى التلاحم الاجتماعي التي يستظل بها من خلال توجيهات المسجد في تحقيق التكافل بين الناس، خاصة وأن الفرد يترى في مؤسسة المسجد على [روح الجماعة التي يقف معها بين يدي الله تعالى، فيجعله ذلك يسعى إلى الحفاظ على كيان المجتمع الذي هو جزء منه، وما الأمة إلا تلك المجتمعات المكونة من الأفراد] (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين، عبد السلام العزوي، ص15).

إن الملاحظ في ممارسة ظاهرة التسول عند أبواب المسجد أو في داخله أنها تتخذ أشكالا متنوعة؛ من حيث طريقة الممارسة التفاعلية العددية، فهناك من يتسول لنفسه ولأسرته وهو موجود لوحده أثناء التسول، في حين، أننا نجد أناسا آخرين يتسولون ومعهم أسرهم كشاهد عيان لتقوية موقفهم ومصادقيتهم.

أما من حيث اللغة وطريقة التواصل في ممارسة التسول؛ فإننا نجد من يتسول مستعملا خطابا مؤثرا يستهدف فيه التأثير على العواطف، بحيث قد يجيش القلوب الرقيقة المرهفة على البكاء أو على الأقل الرقة لحالها- بغض النظر عن كونه صادقا في دعواه أو كاذبا-، وفي المقابل نجد هناك من يمارس تسوله مصطحبا معه وثائق مكتوبة وصور طبية، لتكون حجة شاهدة على كلامه، وهناك من ينوع طريقة تسوله من حين لآخر ومن مسجد لآخر، ولا شك أن جل الظواهر التفاعلية التي تصاحب ممارسة التسول على تنوعها واختلافها تستهدف الحصول على أكبر قدر من التعاطف والتكافل مع من يقوم بهذا العمل، إلا أن انتشار ظاهرة

الكذب في هذه الممارسة من خلال مجموعة من الناس الذين عرفوا بالواقع والتجربة أنهم ليسوا من أهل الاستحقاق جعلت فئات كثيرة يتخوفون من هؤلاء المتسولين، ولا يثقون فيهم ولا يتفاعلون معهم بقوة، وهذا ما تبرزه الأجوبة الاختيارية للمستجوبين في السؤال المتعلق بظاهرة التسول.

وليس من الحكمة أن يتم التعرض لفئة السائلين بشيء من الانتقاص أو المنع، بالنظر إلى أنها فئة ضعيفة مستضعفة، وليس من منهج الإسلام مقابلة الخطأ بخطأ مثله وردّ الإساءة بمثله، حيث جاء النص الشرعي بالنهاي عن انتهار السائل¹، وإنما ينبغي أن يوجه وينصح هؤلاء بالتي هي أحسن وبالكلمة المؤدبة، فيكفي هؤلاء جرح الحاجة الذي يشعرون به، دون أن يضاف إليهم إحساس بجرح آخر يعمق من جراحاتهم.

6.6. توصيف واستكشاف العامل السادس.

1.6.6. توصيف العامل السادس.

cog1	0,656
cog4	0,645
cog3	0,528
cog16	0,474

نلاحظ من خلال النتائج التي أسفر عليها التحليل العملي أن هذا العامل السادس تتجمع فيه أربعة أسئلة، تنتمي جميعها إلى المجال المعرفي لمؤسسة المسجد التفاعلي، مع استمرار تسجيل انعزالية واستقلالية هذا المجال عن المجال التفاعلي، وذلك على غرار ما تمت ملاحظته في العوامل التي سلفت، وهذه الأسئلة على التوالي هي: السؤال 1، السؤال 3، السؤال 4 والسؤال 16.

ومواضيع هذه الأسئلة هي على التوالي:

–مؤسسة المسجد والتصميم الهندسي.

–مؤسسة المسجد ومناقشة القضايا السياسية.

–مؤسسة المسجد وتدير المتطلبات المادية.

–مؤسسة المسجد وانتظام المكونات الداخلية والخارجية.

¹ في إشارة إلى قوله تعالى: "وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ" (سورة الضحى: الآية 10).

ولعل أهم الأسئلة الاستشكالية التي تتبادر إلى الذهن من خلال هذه المعطيات الميدانية قبل محاولة إيجاد الروابط والقواسم المشتركة بين العناصر الأربعة المكونة لهذا العامل: لماذا نجد عنصر المتطلبات المادية للمسجد منفردا ومنعزلا عن التبرع الخيري وعن الخدمة الاقتصادية المالية لمؤسسة المسجد، والذي سبق أن جُمع في عامل سابق؟ حيث إن المتبادر إلى الذهن هو أن العنصر المالي ينبغي أن يوحد بين هذه الأسئلة الثلاثة وهو الشيء الذي لم يحصل، وبالتالي، فهذا الانعزال لهذا العنصر ووجوده مع هذه العناصر الثلاثة في تشكيل هذا العامل السادس ليس أمرا اعتباطيا أو شيئا وليد الصدفة قد أتى من فراغ، بل لا بد أن تكون هناك أسرار وعوامل وراء هذا التجمع والارتباط.

يكمن السر وراء هذا التجمع في احتمال كبير هو ضرورة ولزوم توفر الجانب المادي، حيث إن له تأثيرا مباشرا في تصميم المسجد وانتظام مكوناته، فكلما أردنا أن نحسن من جودة التصميم المسجدي وأن نبعد في هندسة وتنظيم مكوناته الداخلية والخارجية كلما تطلب الأمر حضورا وازنا للموارد المادية التي تتحكم في الرفع من جودة ذلك تخطيطا وتجهيزا.

كما أن هذه النتيجة التجمعية لهذه العناصر الأربعة في العامل تبرز أن التصميم الهندسي لمؤسسة المسجد يمثل رؤية متكاملة وتصورا نسقيا، لا بد فيه من الأخذ بعين الاعتبار جميع المكونات والأجزاء المادية سواء كانت داخلية أو خارجية دون إغفال أحدها من هذه النظرة الاعتبار، حيث إن مناقشة بعض القضايا السياسية المسموح بها والتي لا تتنافى مع روح الرسالة المسجدية تتطلب إعدادا ماديا وتنظيما مكانيا يوفر من خلاله مرفقا خاصا لهذا الغرض ولهذه الوظيفة، حتى لا يؤخذ عن المسجد تصور القصور في معالجة الوظائف الحيوية التي يضطلع بها، فبتعدد الوظائف التي يؤديها المسجد؛ تتعدد مرافقه ومكوناته المادية، والتي تجسد على أرض الواقع وبالملموس هذه الحيوية وهذا النشاط.

وعليه، فالعناصر الأربعة التي تكون مجموع العامل تجمع بين ثلاث مراحل منهجية توحد رؤيتها، ويمكن تحديد هذه المراحل المنهجية الثلاثة كما يلي: التخطيط الكلي والشمولي، التجهيز والتنفيذ الوظيفي، مع أن مرحلة التنفيذ الوظيفي (نقاش القضايا السياسية) هي ثمرة ومؤشر على توفر المرحلتين السابقتين.

فالتخطيط الكلي يشمل عنصري التصميم والمكونات بنوعيهما، فيما يتعلق التجهيز بعنصر المتطلبات المادية للمسجد، أي: الكلفة اللازمة لتنفيذ المشروع¹، بينما يتعلق التنفيذ بعنصر مناقشة القضايا السياسية،

¹ سأقوم في هذه العامل بمعالجة مشتركة للعناصر الثلاثة الأولى: التصميم، المكونات والمتطلبات المادية، دون أن أفرد كل واحد منها بفقرة خاصة مستقلة عن الباقي، وبالمقابل سأقوم بإفراد العنصر الرابع المتعلق بمناقشة القضايا السياسية في المسجد ضمن فقرة خاصة نظرا لأنه نتاج ومؤشر عن جودة وإحكام تحقيق العناصر الثلاثة الأولى التي تمهد إليه.

وقد يطرح تساؤل في هذا المقام: لماذا اختزال النشاط الوظيفي في القضايا السياسية؟ ولعل الجواب على ذلك يرجع إلى أمرين أساسين وهما:

1- أن هذا النشاط الوظيفي هو بمثابة هضم واستيعاب واستيفاء فعلي لبقية الأنشطة المسجدية التفاعلية الأخرى، فهو مؤشر على أنه إذا ما تم الوصول إليه وتطبيقه بنجاح؛ على أن البقية قد تم تحقيقها كذلك والقيام بها من باب أولى.

2- أن هذا النشاط لا يتم التسليم بإطلاق ممارسته الوظيفية، دون قيود وضوابط تحكم رزانة ووسطية سيره حتى لا يعود ذلك سلبا على رسالة المسجد ويحقق مفساد عوض جلب مصالح معتبرة، وعليه، فإننا سنجد أخذنا وردا واحتياطا في التفاعل مع قبوله من عدمه.

إن التوفيق والنجاح في إنجاز تصميم مسجدي لائق وحسن تنظيم مكوناته -داخلية كانت أو خارجية- يعتبر مدخلا أساسا للنهوض بنشاطه الوظيفي وتحقيق إشعاعه التفاعلي، ولن يتأتى ذلك إلا بمنهج متكامل يراعي في هذين العنصرين الأسس الآتية:

التخطيط الموقعي -التخطيط التشييدي -التوسعة المسجدية -الترميم المسجدي

2.6.6. استكشاف عناصر العامل السادس:

أقصد بالتخطيط الموقعي حسن اختيار موقع بناء المسجد، فليس كل موقع يصلح لبناء مسجد، وليس البناء في حد ذاته غاية، بل هو وسيلة لتحقيق مصلحة العباد في الأرض، على اختلاف مجالها، ولذلك نصّ العلماء على أنه من البدع المحدثثة كثرة المساجد في المحلة الواحدة لما فيه من تفريق الجمع وتشيتت الكلمة وذهاب رونق وفرة المتعبدين وتعدد الكلمة (إصلاح المساجد من البدع والعوائد: محمد جمال الدين القاسمي، ص96)، فلا يلجأ إلى بناء مسجد إلى جنب آخر إلا مع وجود الحاجة الشرعية الماسة إلى هذا البناء، بحيث يضيق بأهله نظرا لازدياد السكان، أو لعدم توفر الأول على إمكانية توسيعه وإضافة مرافق حيوية يحتاجها، [كما ينبغي أن يكون توزيع بناء المساجد توزيعا ملائما ومنسجما مع وتيرة التزايد السكاني والتوسع العمراني وتقنين إلزامية بناء مساجد بكل المشاريع المحدثثة بالتجزئيات العمرانية المفتوحة للتعمير] (مؤسسة المسجد: عبد العالي المعكول، ص117)، وعليه، فمن الملائم جدا أن يكون المسجد موجودا وسط تجمعات مع مراعاة ظروف بيئتهم لنضمن نجاح المسجد في رسالته وسط كل تجمعات معينة، بحيث يُلحق إلى المسجد ما من شأنه جذب الناس إليه والانسحاق إلى هدف المسجد (مجلة البحوث الإسلامية: مؤتمر رسالة المسجد، ص535).

ومن المواصفات الاستراتيجية التي ينبغي أن تميز موقع المؤسسة المسجدية:

- سهولة الوصول إليه بأمان، وأن يكون في متناول الجميع ومقدوره الذهاب إليه، وهنا يجدر التنويه بتخطيط بعض المشرفين على المساجد في تكييف مداخل المسجد وأبوابه مع عجلات الكراسي المتحركة التي يستعملها ذوو الاحتياجات الخاصة لتسهيل بلوغهم بأمان إلى المسجد، وولوجهم إلى مرافقه على غرار باقي المصلين، بالإضافة إلى [تجنب فتح مجموعة من المساجد على الشارع الرئيسي مباشرة، حتى لا يتعرض المصلون لحوادث المرور إثر خروجهم] (المساجد في المدن العربية: المعهد العربي لإنماء المدن، ص165).

- مباشرة الاتصال بين المسجد وبين الفراغات العامة الأخرى، مثل السوق والطرق التجارية وسائر الفضاءات التي تعرف ترددا وحركة دائبة (عمارة المساجد-تصميم وتاريخ وطرز وعناصر-: محمد ماجد عباس خلوصي، ص25-28): أي أن يتوفر المسجد على موقع استراتيجي في ارتباط له مع باقي المكونات الحيوية الأخرى، والتي تتطلبها نشاط حياة المجتمع المسلم، وبالتالي، فإن هذه المواصفة تثمر لدينا نسيجا حضاريا هاما يسهل دورة الحياة على الأفراد والجماعات.

- تجنب إلحاق الضرر بالناس عند تشييد المسجد في الطريق، لأن ذلك يتنافى والمقصد الأصلي الذي أنشئ من أجله المسجد، ويمكن الاستدلال لذلك بما جاء في صحيح البخاري والنظر إلى فقه تبويه في ذلك؛ فعن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: ((لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفِي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ؛ فَأَبْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَاءً، لَا يَمْلِكُ عَيْنِيهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَفْرَعُ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس، رقم: 476، ج1/ ص102]

- لا حرج في بناء المسجد مكان معابد قديمة لغير المسلمين، أو بجنبها في غير ديار المسلمين (أحكام المعابد: عبد الرحمان العصيمي، ص78 بتصرف/ إعلام الساجد بأحكام المساجد: الزركشي، ص347) لأن هذا الإجراء قد يكون من باب تغيير المنكر وتحقيق التدافع الحضاري الحكيم المبني على نشر الحق بسلم وأمان، ويمكن الاستشهاد على ذلك بما روي عن عثمان بن أبي العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم ((أَمَرَهُ أَنْ يَجْعَلَ مَسْجِدَ الطَّائِفِ حَيْثُ كَانَ طَوَاعِيَّتُهُمْ)) [سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد، رقم: 450، ج1/ ص123، ضعفه الألباني].

فإذا ما تحققت مرحلة التخطيط الموقعي لمؤسسة المسجد التفاعلي؛ فإننا ننتقل إلى الأساس الثاني والمتعلق بالتشييد والبناء، حيث إن تخطيط التصميم ينبغي أن تؤطره الرؤية الوظيفية التفاعلية لإنجاح المشروع،

وأرى أن تخطيط البناء ينبغي أن يتم وفق ازدواجية الاعتبار بين التنوع المرفقي¹ المحكم وبين المعاصرة المتجددة، حيث إن إغفال أحد هذين العنصرين من شأنه أن يفشل المشروع ويزري بجودة التصميم المسجدي. وقبل مقارنة هذه الازدواجية، يجدر بي التأكيد على أن أرض المسجد ليست كباقي الأراضي، بل لها خصوصيات تنفرد بها، حيث إنه منذ تعيين بقعة ما لتتخذ مسجداً؛ فإنها تصبح في عداد الوقف (مقال: الطبيعة القانونية للمسجد في ظل التشريع المغربي والمقارن/ أحمد الريسوني، ص145)، وبالتالي لا حق فيها للملكية الخاصة، بل يحرم التصرف فيها أو تحويلها لغير غرض المسجدية، يقول الدكتور أحمد الريسوني: 'ولعل هذا ما يكرس توجه المشرع المغربي في الفصل السادس من الظهير الشريف المتعلق بالأماكن المخصصة لإقامة شعائر الدين الإسلامي فيها، بإشارته إلى أن المساجد لا يمكن أن تكون محل ملكية خاصة، وبالتالي يصير المسجد بهذا الوصف غير قابل للعديد من التصرفات القانونية التي من شأنها أن تخرجه من طبيعته، ونخص بالذكر هنا البيع، المعاوضة، الاستبدال، المناقلة، الميراث ونزع الملكية لأجل المنفعة العامة' (مقال: الطبيعة القانونية للمسجد في ظل التشريع المغربي المقارن/ أحمد الريسوني، ص148).

ولا شك أن هذه الحماية القانونية التي تم سنّها من قبل المشرع المغربي تنسجم مع المقتضيات المقصدية التي تميز المؤسسة المسجدية عن غيرها من الأمكنة، وذلك حتى لا تصير مرتعا لكل من هبّ ودبّ؛ يأتي ليستغلها ويوظفها لصالح أهوائه ومصالحه الشخصية، فيكرس بذلك منطق التفرقة والفتنة في مؤسسة يفترض فيها أن تجتمع وتبقى في منأى عن هذه الدنيا.

ويستثنى من هذه التصرفات ما لو بني المسجد على أرض مغصوبة، فقد نصّ الإمام مالك في المدونة قياسا على ردّ العتق إذا استحقه شخص ما أنه يجوز الهدم (المدونة: مالك بن أنس، ج4/ ص203)، كما يستثنى من هذه التصرفات أيضا بعض التصرفات التي تحكمها المصلحة الراجحة من قبيل التحويل الذي لا يفقد معه وجود شيء اسمه مسجد، يقول الدكتور محمد الجيزاني: 'يجوز بيع المسجد الذي تعطل الانتفاع به، أو هجر المسلمون المكان الذي هو فيه، أو خيف استيلاء الكفار عليه، على أن يشتري بثمنه مكان آخر يتخذ مسجدا' (فقه النوازل-دراسة تأصيلية تطبيقية-: محمد الجيزاني، ص430).

يرتكز التنوع المرفقي المحكم لمؤسسة المسجد التفاعلي على إيجاد كل ما من شأنه أن يضفي على المكان صبغة الحياة، ويغطي جل الجوانب الحيوية في شخصية الإنسان، ومن أهم العناصر اللازمة في حسن التخطيط التصميمي لمؤسسة المسجد التفاعلي قسم الطهارة، وذلك بما فيه من مطاهر ومياضئ وبئر وأواني الطهارة (المسجد وترسيخ الفكر الوجداني بالمغرب: محمد أمrani علوي، ص45)، حيث إن موضعه المناسب

¹ أقصد بهذه النسبة الإشارة إلى المرافق كمكون مادي من مكونات المسجد.

في المسجد يضمن سهولة الوصول إليه، مع عدم تأدّي الفضاء المسجدي بالروائح التي قد تنبعث منه، ولذلك نجد مجموعة من المساجد ورد في وصفها التصميمي وجود هذا المرفق في مدخل المسجد قريبا من التهوية التي تحمي من الروائح المؤذية للمصلين، ولعلني أضرب لذلك مثالا بما ورد في وصف بعض المساجد العريقة في مدينة الصويرة، تقول الأستاذة مينة المغاري: 'ويوجد على يمين باب المسجد بيت للوضوء، وينتظم هذا البيت على نمط البيوت التقليدية، إذ تتوزع بيوت الوضوء من حول ساحة مكشوفة، وفي الزاوية الجنوبية الغربية توجد مصطبة بنيت فوق سقف خزان مائي قديم لم يعد مستعملا' (مدينة موكادور-الصويرة¹ - دراسة تاريخية وأثرية: مينة المغاري، ص236، دار أبي رقراق، الرباط، المغرب، ط1، 2006م).

وقد تخلو بعض المساجد من قسم الوضوء نظرا لعرف المكان أو خصوصيته أو لضيق المساحة، ولم يكن هذا الأمر يعتبر نقصا أو أمرا مشينا، لكن المشكل يتجلى في أن تتوفر إمكانية إقامته ثم يتم التفريط أو الإهمال في توفيره، رغم أنه من مقومات نجاح المسجد التفاعلي في عمله، ومن أمثلة وشواهد انعدام هذا المرفق ما ورد في وصف بعض مساجد درنة بليبيا: 'ولا غرابة أن يخلو مسجد الجرابية من ميضأة بوصفه مؤسسا على ساقية البلاد كما أسلفنا، ويبقى هناك سؤال حول موضوع المراحيض، والحقيقة لم أجد لهذا العنصر المعماري أثرا في الوقت الحاضر، وعلى الأرجح أن المسجد لم يزود أصلا بمراحيض لوقوعه وسط المباني السكنية' (مساجد مدينة درنة-دراسة أثرية-: فتح الله محمد أبو عزة، ص98، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2012م)، مع أن هذا التعليل الأخير لا يرقى إلى أن يكون دافعا لترك هذا المرفق وعدم التفكير في بنائه مع المسجد على وجه العموم، إلا أنه قد يكون أمرا رجع في هذه الحالة ألا يكون هناك عائق في إقامة المسجد دون توفر هذا العنصر الذي يصعب إيجاد له ظروف قاهرة.

ولعل الشكل المعاصر الذي أصبحت تخطط وفقه تصميمات أماكن المراحيض في أغلب المساجد يعتبر أليق وأنسب من المثالين السابقين، حيث يتم الإبقاء على المياضي دائما ولزوما، نظرا لوظيفتها الأساس في النشاط الوظيفي المسجدي، مع جعل باب أو مدخل هذا المرفق معزولا كلياً عن الفضاء الداخلي لمؤسسة المسجد، وذلك لأن هذا المكان مظنة انبعاث رائحة النجاسة، وموضع لإزالة الأقدار، فناسب هذا الإجراء صيانة للمسجد مما قد يصل إليه منه، بالإضافة إلى أن ضحيج خضخضة المياه وأواني التطهر وكلام الناس به قد يحدث تشويشا يصل إلى فضاء المسجد، فيكدر صفو الخشوع والهدوء اللذين ينبغي أن يهيمنوا على الجو العام للفضاء المسجدي، ونلاحظ ظاهرة سلوكية تحدث في المساجد التي يلج من داخلها الناس إلى المياضي

¹ هكذا مضبوطة بالسين، ووجدتها كذلك في الكتاب الذي اقتبست منه، حيث أكد لي بعض المتخصصين في الدراسات التاريخية المهمة بالمغرب أنها بالسين، لأنها مشتقة من التسوير، أي: التسييج والإحاطة.

وهي خروجهم مباشرة بعد الوضوء ببقايا المياه فوق الأفرشة، فتتبلل بذلك على إثر قطرات المياه المتتابعة والمتلاحقة، فتصبح الأفرشة في روائح كريهة جراء ذلك، مما يحتم الميل إلى هذا التخطيط المعاصر في التصميم، حفظاً وتحقيقاً لمبدأ الحماية والنقاء الذي هو من تمام صيانة مؤسسة المسجد وحمايتها من كل سوء.

أما المرفق الثاني الذي يتعين وجوده من باب حسن استثمار المساحة المسجدية فهو الشُّدات والطوابق، فالعلو الذي تتمتع به تصميمات المساجد لا ينبغي أن يذهب سدى، فهو أمر يزيد من فخامة البناء ويحقق جودة في انتشار الصوت، مما يسهم في حسن تدبر القرآن، كما تنتج عنه تهوية وإضاءة جيدة داخل الفضاء الداخلي للمسجد، وعليه يمكن استغلال هذا العلو في إضافة طوابق وسدات تخفف الضغط في أعداد المصلين عند اشتداده، أو [قد تصلح مصلًى للنساء، على غرار المساجد الجامعة الحديثة بالقيروان] (مساجد القيروان: نجوى عثمان، ص 190/ 191 دار عكرمة، مكتبة الأسد، دمشق، سوريا ط 1، 2000م)، أو قد تكون مناسبة كمرافق للتدريس ومحاربة الأمية أو غيرها من الأنشطة التي تتطلب هذا الانفصال الجزئي عن وسط المسجد المخصص لأداء الصلاة.

ولا بد في تصميم مؤسسة المسجد¹ أن يتم توفير سكن لكل من الإمام والمؤذن، وهو المرفق الثالث الذي لا يقل أهمية عما سبق، مع الحرص على أن يكون هذا السكن لائقاً ومناسباً للحالة الاجتماعية لهذه الفئة (المساجد في المدن العربية: المعهد العربي لإنماء المدن، ص 170)، إذ إن أغلب القيميين الدينيين هم أرباب أسر، وبالتالي فهم يحتاجون إلى سكن يستجيب لمتطلباتهم الاجتماعية، وذلك حتى يؤديوا مهامهم على الوجه الذي ينبغي، بل إن التفریط والإهمال في تخطيط إيجاد هذا المرفق يمكن أن يعتبر سياسة تهميشية تسيء إلى حملة كتاب الله.

وعن علاقة التصميم بالمعاصرة؛ فإن استحضار المتغيرات والتطورات المعاصرة التي وصلت إليها الإنسانية في خضم سير قطارها الحضاري وأخذها بعين الاعتبار في التصميم الهندسي المسجدي من الأمور التي تزيد من حافزية الإقبال على الأنشطة التي تمارسها هذه المؤسسة التفاعلية، وذلك لأن المساجد بتكويناتها المادية هي نتاج تفاعل الإنسان المسلم مع مكونات بيئته حيث [تعكس ثقافة وأوضاع منتجها] (خصوصيات المعمار المسجدي: أعمال ندوة بالرباط 2007م، ص 43)، مع الحفاظ على الثوابت الشرعية التي تضع الإطار العام والمحدد لتصميم المسجد، فكان المسجد يشهد مع مرور الزمن وتغير العوامل المكانية والزمانية والبيئية تغيرات في التصميم، نظراً لما ينتج عن ذلك من اختلاف في الرغبات والتصورات والرؤى في تفاعل مع العصر ومستجداته.

¹ خاصة عند توفر المساحة الكافية والملائمة لحسن الاستغلال والتقسيم.

وعليه، فإن مهام هذا التخطيط التصميمي لا ينبغي أن تتم وفق تصور أحادي بل يتطلب الأمر [تشكيل لجنة متخصصة من رجال الدين والتخطيط والعمارة والفنون الهندسية وغيرها لدراسة تخطيط المساجد الجديدة حتى تكون التصميمات مناسبة لأحكام الفقه الإسلامي ومتماشية مع التخطيط المعماري السليم لمباني المسجد] (المساجد في المدن العربية: المعهد العربي لإنماء المدن، ص21).

إن قضية المعاصرة التصميمية ليست قاصرة على الرؤية المحلية في الشكل والإمكانات المحلية، بل تتعدى كذلك إلى حجم التطور الذي وصلت إليه المنطقة من حيث المواد وتكنولوجيا البناء والانفتاح على كل جديد نافع في هذا الصدد، يقول محمد ماجد عباس خلوصي: 'في بدايات الدولة الإسلامية كان بناء المسجد الجامع بسيطاً ومرناً يوافق مواد البناء المحلية وأساليب البناء التقليدية المتبعة...، ومع اتساع حدود الدولة الإسلامية لتضم شعوباً وثقافات مختلفة ومناطق بيئية ومناخية متنوعة؛ امتدت من الصين في الشرق إلى مناطق المحيط الأطلسي في الغرب، أصبح من السهل استقدام العمال المهرة من مختلف الأنحاء، وأصبح هناك تداخل في أساليب ومهارات البناء داخل المضمون الإسلامي، مما أفرز أشكالاً جديدة ومميزة وأدى إلى تطور العمارة وصناعة البناء، بالإضافة إلى استيراد مواد جديدة للأسقف ومواد للتكسية والزخرفة' (عمارة المساجد-تصميم وتاريخ وطرز وعناصر-: محمد ماجد عباس خلوصي، ص30).

ولا شك أن في هذه المواكبة المعاصرة لمنهج ووسائل البناء تحقيقاً لمجموعة من المزايا، من ذلك تحصيل الوحدة النسقية بين المسجد وسائر المباني التي تكون النسيج العمراني والحضاري في المنطقة، بالإضافة إلى الاستفادة من جودة هذه الأمور المعاصرة التي تمثل غاية الفكر الإنساني فيما توصل إليه ضمن هذا المجال، وفي إطار هذا التفاعل المعاصر لإيجاد تصميم مسجدي ناجح، لا بد من الأخذ بعين الاعتبار كذلك عنصر المناخ في التخطيط، لأنه يرمي إلى تأهيل جيد لمجموع المكونات المادية والتجهيزية للمؤسسة، ولذلك، نلاحظ وجود اختلافات في أشكال البناء المسجدي بين المناطق الساخنة والمناطق الباردة داخل نفس البلد، فكيف إذا انتقلنا من بلد إلى بلد آخر يختلف عنه في المناخ بشكل كلي، يقول الأستاذ سعد بن زيد بن محمد الحليبي عن التصميم المسجدي في الهند: 'وقد تأثر المعمار الهندي المسلم بتلك العوامل المناخية وشيد المنشآت المعمارية الدينية، مثل المساجد وغيرها حسب الأجواء المناخية التي تحيط بكل منطقة في أنحاء الهند، حيث شيد الأسقف المائلة أو الجمالونية في المناطق الجبلية التي تتساقط عليها الثلوج، وأكثر من استخدام القباب، ورفع منسوب أرضية المناطق السهلية التي تكثر فيها الأمطار وتغمرها سيول الأمطار، ومن أمثله مساجد مدينة دلهي' (مساجد مدينة دلهي "دهلي"-دراسة أثرية معمارية-: سعد الحليبي، ص58، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/2010م).

وتأسيًا بعمل السلف في تعاملهم مع المساجد العظمى المقدسة؛ وذلك في تفاعل وانسجام مع تغير وتطور الأوضاع السكانية والعمرانية؛ فإن سائر المساجد تخضع لعملية التوسعة بل قد تخضع لعدة توسعات كلما اقتضى الأمر ذلك كما هو الشأن محليا فيما نقل عن المسجد الأعظم بآسفي والذي خضع لتوسيعات عدة توازي تصاعد وتزايد أعداد المصلين فيه (شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بآسفي: كريدية إبراهيم، ص67)، وبالتالي، شكلت هذه التوسعات استجابة لمتطلبات أهل المسجد حتى يتسع لأكثر قدر ممكن من المصلين مع الحفاظ على روحه التراثي وفرادته المعمارية.

ويمكن أن نقول إن العوامل الاقتصادية تسعف في مباشرة هذه التوسعات وتشجع عليها، وذلك لأن العامل الاقتصادي شكل منطلقا قويا لتوسع وانتشار المساجد، كما هو الشأن فيما نقل عن توسع وانتشار المساجد العثمانية في البلاد السورية، حيث يقول الأستاذ محمود زين العابدين: 'فلم تنتشر المنشآت العثمانية إلا في مراحل الرخاء التي كانت تعيشها الدولة بعيدا عن الحروب والفتوحات، لأن الميزانية التي كانت تخصصها الدولة العثمانية في صنع المدافع الثقيلة، أو في صنع السفن الحربية وغيرها من المعدات العسكرية لا تسمح لها إطلاقا باستعمال قسم من هذه الميزانية في إنشاء المساجد أو القصور' (عمارة المساجد العثمانية: محمود زين العابدين، ص120، دار قابس، بيروت، لبنان، ط1، 2006م)، وهو نفس العامل الذي كان من بين العوامل الهامة التي ساعدت على توسيع الحرمين وتحسين الخدمات المتعلقة بهما، حيث كان لاستخراج البترول وتسويقه عالميا وتوظيف ثروته أثر هام فيما عرفه من تحسن وتوسع (عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي -دراسة تاريخية حضارية: عبد اللطيف بن عبد الله دهيش، ص428/427 بتصرف، مكتبة الملك فهد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ / 1999م).

فقد شهد المسجد النبوي عدة توسعات عبر التاريخ، حيث تم ضم جميع الحجرات النبوية إليه بما في ذلك حجرة أم سلمة آخر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وفاة سنة 63هـ (قطوف من تاريخ المسجد النبوي الشريف: سليمان بن صالح العبيد، ص26، دار التوحيد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ / 2006م) وكان من أغراض هذه التوسعات التي شهدها المسجد النبوي مراعاة الحاجات الطبيعية للمصلين بدرجة أساس، مع تكييف ذلك وفق الخصوصيات المناخية للمكان، وفي هذا يقول الأستاذ سليمان العبيد: 'ولم يمض وقت طويل على هذه التوسعة -توسعة الملك عبد العزيز آل سعود- حتى ضاق المسجد بالمصلين، فتم هدم البيوت الواقعة شمال وغرب المسجد النبوي عام 1393هـ في عهد الملك فيصل، وجعل عليها مظلات لحماية المصلين من حرارة الشمس، محاطة بسور، وتم تبليطها بالرخام وإنارتها وتوحيثها' (قطوف من تاريخ المسجد النبوي الشريف: سليمان بن صالح العبيد، ص13).

وعليه، فقد جاءت مجموعة من المواصفات التي تم تنفيذها في إجراءات وتفاصيل التوسعات الطارئة بالمسجد النبوي؛ تبين الاعتبار اللائق للبعد الإنساني ومراعاة مصلحته في هذه التوسعة المسجدية، ومن أهم هذه المواصفات ومن بين هذه الإجراءات نجد:

[تهيئة سطح التوسعة الجديدة ليستوعب أكبر قدر ممكن من المصلين.

-زيادة عدد المداخل لتسهيل عميات الدخول والخروج وتجنب ما يترتب عن الازدحام من أخطار.

-إنشاء شبكة متكاملة للمياه والصرف الصحي وتأمين مياه زمزم.

-استخدام الرخام البارد المقاوم للحرارة.

-إنشاء مواقف للسيارات] (عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ: ناجي محمد حسن الأنصاري، ص209/211).

وبالتالي، ينبغي دوماً أن يتم التركيز في عملية التوسعة على تحقيق راحة الإنسان وجلب معاني السعادة إليه، وجعله يتمتع بالراحة والطمأنينة في ظلها، لأنه محور هذه العملية والهدف الأساس من ورائها، كما ينبغي أن يسلط الضوء في إجراء هذه التوسعة على المناطق التي هي في أمس الحاجة إلى هذه العملية من غيرها، أي أن الأمر يتطلب تخطيطاً ودراسة من طرف المحسنين والقائمين على هذا الشأن مع مشورة أهل العلم والخبرة في الأمور الشرعية، حتى لا يقع المشرفون على التوسعة في محذور من المحظورات الشرعية، وحتى لا يتم كذلك إهدار الأموال فيما لا طائل وراءه؛ نتيجة سوء التفكير والعشوائية في اتخاذ القرار، أو الرغبة فقط في التشهي العاطفي كالتباهي والتفاخر في البناء دون هدف التعمير بالخير والإخلاص في البناء، يقول الأستاذ علال البوزيدي: 'يلاحظ أن بعض المساجد لم تكن تتوفر على الطاقة الاستيعابية الكافية، أي أنها لا تتسع لجميع المؤمنين الذين يرتادونها للصلاة، وخاصة أيام الجمعة والأعياد والمناسبات الدينية، إذ كثيراً ما نلاحظ أن الناس يصلون خارج المسجد يفترشون الأرض إذا لم يصحبوا معهم شيئاً يصلون عليه، لذلك ينبغي الالتفات لمثل هذه المساجد، وخاصة إذا كانت تتواجد في بعض الأحياء الشعبية المكتظة بالسكان' (مقال: المسجد ودوره الفعال في ترسيخ الدعوة/ علال البوزيدي، ص48).

إن عملية التوسعة المسجدية عمل تجديدي تحسيني، ينتظر منه دوماً أن يغير الأوضاع إلى الأحسن والأجود، لا أن يحقق السيئ ويضيع معالم الشهود في المكان الأصلي للمؤسسة المسجدية، وإلا لقي الأمر استنكاراً واسعاً ورفضاً من قبل الغيورين على المسجد والمحبين له، ولذلك لما شهد المسجد الأعظم بأسفلي إجراء عملية التوسعة؛ تم ارتكاب خطأ في التعامل مع جهة قبلته، فسجلت بذلك نقطة نقص في هذه التوسعة،

يقول الأستاذ إبراهيم كريدية: "أما الخطأ الثالث في تحريف محراب المسجد عن القبلة، فقد كان خارجا عن وجهتها، ويعود سببه إلى أن المدينة غداة تحريرها من البرتغال كانت خالية من العلماء العارفين بدلائل القبلة وأن من قام بأعمال التجديد هم العامة الذين ليس عندهم استدلال صحيح، وبعد زمن طويل انتبه عدد من العلماء إلى هذا الانحراف، وتساءلوا بشأن شرعية الصلاة في المسجد المنحرف القبلة" (شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بآسفي: كريدية إبراهيم، ص 58/59 بتصرف).

وما أجهل أن تراعي عملية التوسعة المسجدية العمل على تنويع المرافق المسجدية التي كانت تفتقدها مؤسسة المسجد قبل هذه العملية، حتى يتحقق الجديد والإضافة النوعية فيما تمت توسعته، [فيمكن أن تستوعب المساجد خدمات أكثر، فتشتمل على قاعات للمحاضرات، كما يمكن أن تحيط بالمساجد مساحات فضاء كبيرة للتشجير الحدائقي والتكوين المنظري، وتوفير أماكن انتظار السيارات، ومكتبة لتوفير كتب دينية متنوعة، وفصول لتحفيظ القرآن] (المساجد في المدن العربية: المعهد العربي لإنماء المدن، ص 170)، يقول الأستاذ فريد أمعشوشو في بيان بعض ما حدث في جامع الأزهر من إصلاح: 'فانطلاقا من فترة حكم السلطان الفاطمي الحافظ لدين الله؛ شرع في هذه الإصلاحات توسيعا وتطويرا، بحيث أضيفت إليه أروقة ومحارِب ومآذن ومدارس، وأقيمت في محيطه بنايات أخرى تابعة له' (مقال: المسجد موضوعا شعريا/ فريد أمعشوشو (المغرب)، ص 91).

ومنه، يكون هذا التنوع المرفقي وحسن التوزيع والاستثمار للمكونات المادية المسجدية - سواء كانت داخلية أو خارجية - متنفسا لروح ونشاط حيوي متجدد في الحياة المسجدية العامة، ومنطلقا أساسا لتدبير النفقات المادية للمسجد والنهوض بتكاليفه وأعبائه المادية المختلفة، من مصاريف لتغطية فواتير الماء والكهرباء وما يلزم من شراء لأشياء ومواد وأفرشة وترميمات، بالإضافة إلى الالتزامات الشهرية المتعلقة بالقيمين الدينيين للمسجد، وفي هذا الصدد لا بد من أمرين في غاية الأهمية؛ ينبغي استحضارهما من أجل إنجاح عملية التوسعة:

1- الاقتصاد في عملية التوسعة من حيث مصاريف البناء، والحرص على أن يتم الاقتصاد على إيجاد وتوفير ما هو ضروري ولازم، مع تجنب العناصر الكمالية والتي ليس لها تأثير على المجال الوظيفي للمسجد، من قبيل الزخارف والإسراف في النقوش التي تستهلك أموالا باهضة على حساب توفير مرافق وتجهيزات تعتبر ركيزة هامة في الأنشطة المسجدية التفاعلية، يقول حمدا ولد التاه نقلا عن ابن بطال: 'هذا يدل على أن السنة في بنين المسجد القصد وترك الغلو في تحسينه، فقد كان عمر مع كثرة الفتوح في أيامه وسعة المال عنده لم يغير

المسجد كما كان عليه، وإنما احتاج إلى تجديده، لأن جريد النخل كان قد نخر في أيامه، ثم كان عثمان والمال في زمانه أكثر؛ فحسبه بما لا يقتضي الزخرفة' (زاد المتعبد في أحكام وآداب المسجد: حمدا ولد التاه، ص33).

2- الاستغلال المادي الجيد والأمثل للمرافق الحيوية لمؤسسة المسجد التفاعلي، وذلك بما يدر عليها مدخولا ماديا ينعش ميزانيتها، وينشط رواجها الاقتصادي، فالقاعات التي تكون ملحقة به والتي يمكن أن توظف في الاجتماعات وتنظيم المحاضرات والتكوينات، يمكن أن يدعم المنظمون المستفيدون منها صندوق مالية المسجد بمكافأة مادية؛ يراعى فيها البعد التعاوني مع المسجد في حدود المستطاع والمقدور، وذلك حتى لا نبعد الناس عن أجواء المسجد ومرافقه، وفي هذا الإطار تأتي أيضا فكرة إقامة المحلات التابعة لمؤسسة المسجد، والتي يتم كراؤها، حتى يبقى هذا المدخول الشهري مصدرا هاما منتظما ودوريا يدعم صندوق المسجد من أجل تغطية مختلف مصاريفه ونفقاته.

وهكذا تتحول مؤسسة المسجد من مؤسسة آخذة ومكتسبة تنتظر من يمد إليها عونته في كل وقت وحين إلى مؤسسة منتجة تقوم بالعطاء المادي الدائم والمتواصل، وتوفر فرصا للشغل وموردا ماليا لمن يقوم بالنشاط المستحق، ولذلك، نفهم موقف الوزارة الوصية على القطاع في عدم موافقتها على ضم مساجد معينة إلى نفوذها التسييري، لأن ذلك يفضي إلى تحمل الوزارة لمجموع التبعات والمصاريف المادية التي يستلزمها السير العادي لمؤسسة المسجد، وهو الشيء الذي يتنافى مع الوضعية المادية الخاصة بكل مسجد، حيث إنه ليس كل مسجد له مورد أو مصدر وقفي يدر عليه مدخولا ليغطي به ما يلزم، يقول الأستاذ عبد الحكيم أبو اللوز: 'وأبانت الوضعية السابقة الرفض المتكرر الذي أبدته مصالح وزارة الأوقاف سابقا في مواجهة طلبات الضم لأسباب عديدة، أهمها عدم احتواء المساجد المعنية مرافق خاصة، فكان لا يقبل للضم سوى المساجد التي تضم محلات تجلب موارد تعفي الوزارة من تحمل أي عبء مالي ينتج من الضم، وقد وقفنا على جمعيات مسجدية عدة تقدمت مرات كثيرة بطلب الضم من دون أن يستجاب لها للأسباب نفسها' (مقال: الدولة والمساجد وقيمها بالمغرب/ عبد الحكيم أبو اللوز، ص115).

وقد استطاعت مؤسسات مسجدية كثيرة أن تغطي من خلال ما تتوفر عليه من محلات تجارية مجموع ما يلزمها شهريا من نفقات والتزامات مادية، ومن الأمثلة الميدانية القريبة التي يمكنني أن أسوقها في هذا المقام تجربة مسجد الجوهرة في مدينة الجديدة، حيث إن كراء محلاته التجارية الكائنة في جنبات المسجد، يمكن هذه المؤسسة من تسديد الرواتب الشهرية لكل من الإمام والمؤذن والمنظف، وبالتالي تخفف الثقل على الوزارة

الوصية في تحمل هذه الأعباء المادية، بل قد تكون هذه الإسهامات المادية المسجدية في كثير من الأحيان وسيلة تخفف من وطأة وقساوة الظروف المادية لهؤلاء القيمين الدينيين إذا كانوا ممن لم تتم بعد تسوية وضعيتهم المادية مع الوزارة الوصية، أي: لا يتقاضون أي مبلغ مالي منها.

وإذا ذكرت التوسعة المسجدية في إطار الكلام عن تصميم وتخطيط المكونات الداخلية والخارجية لمؤسسة المسجد؛ فإنه يكون لزاما علينا أن نذكر الترميم المسجدي، لأنه يرتبط بها ارتباطا وثيقا، بل قد يشكلان في كثير من الأحيان وجهين لعملة واحدة، والمقصود من عملية الترميم إصلاح ما تعطل من المرافق المادية وتجهيزات المؤسسة المسجدية، وذلك لأن تعطيل هذه المرافق يلزم منه تعطيل القيام بالوظائف المسجدية التي تتوقف عليها عمليا، ويستدل لتأصيل عملية الترميم المسجدي بما روي عن عروة عن حدثه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا أَنْ نَصْنَعَ الْمَسَاجِدَ فِي دُورِنَا، وَأَنْ نُصْلِحَ صَنَعَتَهَا وَنُظَهِّرَهَا)) [مسند الإمام أحمد (ت241هـ): أحاديث رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: 23146، ج38/ص221]، بل كان من شيم السلف العناية بمن يرمم ويصلح المسجد وحسن مكافأته تشجعا له على هذا الفعل، من ذلك أن عمر بن عبد العزيز كان لا يألو جهدا في سبيل تحسين المسجد وإظهاره بالمظهر اللائق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين أجمعين، [وكان إذا عمل العامل الشجرة الكبيرة من الفسيفساء وأحسن عملها؛ نقله ثلاثين درهما] (بهجة النفوس والأسرار في تأريخ دار هجرة النبي المختار: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن عبد الملك المرجاني (ت770هـ)، ص202، الباب السادس: في ذكر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله، تحقيق: أبو عبد الرحمان عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م).

وتأتي المناسبة هنا مرة أخرى في معرض الكلام عن الترميم المسجدي للإشارة إلى حجم الارتباط القوي مع عنصر الميزانية المادية لمؤسسة المسجد، وهو الشيء الذي أكدته نتائج إفراز هذا العامل، فوفرة المادة تسهل ترميم مستلزمات ومرافق المسجد، إذ من الصعوبة وغير اللياقة أن نثقل كاهل الناس والمحسنين في كل مرة بالدعوة إلى الدعم والإسهام، لأن هذا السلوك قد يوقعهم في الملل والتشاغل.

وبالتالي فكلما حصل التوفيق والنجاح في تصميم هندسي مدروس وتنظيم مخطط لتوزيع المكونات الداخلية والخارجية لمؤسسة المسجد؛ كلما خلف ذلك أثره المادي الإيجابي على مؤسسة المسجد، لتتمكن بذلك من النهوض بمتطلباتها المادية بشكل مستقل، كما أن عملية الترميم يتغلب عليها المسجد التفاعلي في

هذا الإطار بسهولة، لأن احتياطها اللازم من حيث الكلفة المادية أمر متوفر من خلال المسجد نفسه، فيحصل بذلك اقتصاد للجهد واقتصاد للوقت أيضا، يقول حمدا ولد التاه: 'إذا كان للمسجد أوقاف وتعطلت منفعته وخرب ما حوله من الدور فإن احتاج إلى بناء يقام به رسمه وتبقى عليه به حرمة المسجد، مخافة دثوره فإنه يبنى من غلة أحباسه وما فضل من ذلك فقليل يصرف إلى المساجد إليه وقيل إلى أحوجها وإن بعد' (زاد المتعبد في أحكام وآداب المسجد: حمدا ولد التاه، ص35).

ومن أهم التقنيات الإجرائية التي ينبغي اتخاذها والعمل بها خلال عملية الترميم المسجدي:

- 1- عدم الهدم على الإطلاق، وتجنب البناء فوق مسجد قديم؛ تفاديا للمخاطر التي قد تنجم عن ذلك.
 - 2- إعطاء الأولوية الترميمية لإنقاذ العناصر ذات الخصوصية بحكم هشاشتها.
 - 3- استخدام الوسائل المتاحة في الترميم دون تكلف، مع تلافي الأضرار الخارجية الناتجة عن عدم احترام المواد اللازمة في البناء من أجل متانته.
 - 4- الوقوف على الوضع القائم من خلال تصاميم أدق تفصيلا مع استعادة الأشكال الأصلية.
- (خصوصيات معمار المساجد بالمملكة المغربية: أعمال ندوة نظمت بالرباط، ص107 بتصرف).
- ولعل هذه التقنيات تمثل إجراءات تخطيطية لا ينبغي إغفالها؛ وذلك حتى تؤدي هذه العملية أكلها وتحقق المأمول منها، ليظهر هنالك فرق وتغيير نوعي بين الوضع الحالي والوضع السابق.
- وعن العنصر الرابع ضمن هذا العامل وهو علاقة المسجد بالقضايا السياسية؛ فلا شك أن هذا العنصر يمثل زبدة ما قبله من العناصر، فقد كان التصميم المسجدي يخدم تلبية هذه المؤسسة للحاجيات السياسية للمجتمع، وما يبرر ذلك أن المسجد كان يضم عدة أسطوانات وأعمدة، وشكلت هذه المكونات عناصر تفاعلية بمؤسسة المسجد، فكانت كل أسطوانة منها تسمى باسم ما يجري حولها من حدث تعبدية أو تربوية أو سياسي أو غير ذلك من المجالات، ومن الأسطوانات التي تأثرت في تسميتها بحدث سياسي نجد ما يعرف في تاريخ المسجد النبوي بأسطوانة الوفود، والتي كانت تجري بها مختلف استقبالات الوفود والسفراء من سائر البلدان والذين يأتون لمختلف مصالحهم الأمية وشؤونهم السياسية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الإمام نور الدين أبو الحسن السهمودي (ت911هـ): 'ومنها: أسطوانة الوفود، قال المطري: هي خلف

أسطوان المحرس من جهة الشمال، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءته، وكانت مما يلي رحبة المسجد قبل أن يزداد في السقف القبلي الرواقان، وكانت تعرف أيضا بمجلس القلادة، يجلس إليها سروات الصحابة وأفاضلهم رضوان الله عليهم' (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: أبو الحسن السموهدي، ج2/ص45، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ).

ومما يبرز أيضا حجم العلاقة الكائنة بين التصميم والسياسة في مؤسسة المسجد التفاعلي احتواء المساجد الأولى في صدر الإسلام على [ساحة للتدريب العسكري] (المسجد وترسيخ الفكر الوحدوي بالمغرب: محمد أمrani علوي، ص59) والعمل على إعداد المجاهدين من أجل الدفاع عن دينهم ومقدسات وطنهم، ولا شك أن بيان قوة العلاقة التي تصل بين التصميم والسياسة من خلال هذا النموذج الأخير لا يستلزم منه أن نقول بتعطيل المصالح التي تهتم بالشؤون العسكرية خارج هذه المؤسسة، وإنما هو بيان الأصل الذي أنشئت عليه هذه المؤسسة ألا وهو التطابق بين الدين والسياسة من خلالها، وعدم الفصل بينهما، وذلك أمر متحقق، ليس فقط في الحرب والتدريب العسكري، وإنما في نماذج وتطبيقات أخرى، يقول الأستاذ عبد الحفيظ ماموح: 'بالإضافة إلى وظيفته التعبدية والتعليمية، فإن المسجد في التاريخ الإسلامي ومنذ تأسيسه قام بوظائف سياسية مهمة، من منطلق عدم التمييز في الإسلام بين الدين والسياسة، سواء في مستوى تأسيس وتدعيم السلطة أو في مستوى معارضتها' (مقال: السياسة الدينية بالمغرب-وظيفة المسجد أنموذجا-: عبد الحفيظ ماموح، ص38).

ومن الأدلة العملية على قوة العلاقة التي نسجت بين المؤسسة المسجدية وبين المجال السياسي أن تسمية بعض المساجد في العهد النبوي تأثرت بما جرى في تلك المساجد من أحداث سياسية، ومن أمثلة تأثير الأحداث في تسمية المساجد نجد تسمية مسجد البيعة، وذلك تأثرا بحدث بارز في السيرة النبوية، وهو بيعة العقبة، تقول الدكتورة سعاد ماهر في شأن هذا المسجد: 'وتجمع المراجع التاريخية التي تناولت دراسة مكة المكرمة والمسجد الحرام على أن مسجد البيعة سمي بهذا الاسم لوقوعه في شعب العقبة، حيث التقى الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل يثرب من قبيلتي الأوس والخزرج، وتمت البيعات الثلاث على تفصيل ما سبق' (مساجد في السيرة النبوية: سعاد ماهر، ص27، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م).

وتجدر الإشارة إلى أنه ليست كل الأحداث الزمنية كانت حاضرة في تسمية المساجد، وإنما المقصود بذلك إبراز الأحداث التي حولت من مجريات التاريخ؛ وكانت لها وظيفة وازنة في صنع وقائع حاسمة على المستوى البناء السياسي للأمة.

ولما كان المسجد في منطلق تأسيسه ونشأته مؤسسة تعمل على حماية الدين والوطن من كل ما يهددهما من خطر؛ فإنه لزم ألا تنفك هذه الوظيفة السياسية عن وظائفه العامة؛ بأي حال من الأحوال، مع الإيمان بإمكانية الاختلاف في التفاصيل التطبيقية التي قد تختلف باختلاف الزمان والمكان وكذلك باختلاف الظروف والمصالح المعتبرة، بل إن القول بانعدام الصلة بين المسجد والسياسة هو ضرب من ضروب تعطيل وظائف المسجد في الحياة العامة، وسعي نحو إفراغه من روحه الحيوية التي تذكي روح الإصلاح والتغيير الشاملين.

ولو لم تكن لمؤسسة المسجد مكانتها وكلمتها الحاسمة في المجال السياسي؛ لما سعى المستعمر بكل ما أوتي من جهد وقوة في سبيل محو معالمها والشلل من حركتها، يقول الأستاذ نور الدين طوابة: 'ولما لم تشف هذه الطريقة غليل المستعمر في القضاء على هوية الشعب الجزائري وديانته؛ انتقل إلى خطة أخرى محاولا بما تركيع الشعب الجزائري، وفصله عن دينه ألا وهي الاستيلاء على المساجد وتحويل البعض منها إلى كنائس تُدقُّ فيها النواقيس والأجراس، إعلانا عن قيام دولة الصليب مكان دولة التوحيد' (مقال: الدور التربوي والدعوي للمسجد أيام الثورة/ طوابة نور الدين، ص41)، فلا شك أن علم المستعمر بحجم تأثير الرسالة المسجد وارتباطها الوثيق بالشأن السياسي هو الذي جعله يسعى نحو محاربتها والكيد لها، لأنها تضيق عليه وعلى مصالحه، وتحول دون تحقيق المخططات التخريبية التي يسعى إليها.

وبالفعل، قد حظي المسجد بمكانته المرموقة على مستوى القرارات السياسية الحاسمة التي تتخذها الدولة، والجدير بالذكر في إطار التداخل المجالي بين الوظائف الحيوية لمؤسسة المسجد؛ أن الممارسة السياسية عن طريق مؤسسة المسجد تميزت بمنطق الإصلاح، وبالتالي لم تكن السياسية أمرا مخيفا؛ يخشى منه أن يقود نحو الفتن والمعارك، وذلك من أجل إظهار عدم استقرار الوضع واستتباب أمنه، ففي عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر الشقيقة لم تكن عملية تأطير الجنود وإعدادهم في المسجد تتم بمعزل عن التربية اللازمة لإصلاح النفس وتهذيبها، يقول نور الدين طوابة: 'لقد اهتم علماء الإصلاح في المساجد إبان الثورة التحريرية بالتربية الروحية للمجاهدين وعامة الشعب، حيث كانوا على اتصال دائم بقيادة الثورة وحاملي السلاح من المجاهدين، يربونهم

التربية المسجدية، ويعلمونهم حقوق الله وحقوق العباد، ويلهمونهم الخير والصواب' (مقال: الدور التربوي والدعوي للمسجد أيام الثورة/ ص55).

إن المكانة السياسية لمؤسسة المسجد تفرض أن تكون هناك علاقة وطيدة بينها وبين مؤسسة إمارة المؤمنين، ولذلك لا بد لأمر المؤمنين أن يأخذ على عاتقه إيلاء العناية اللازمة لهذه المؤسسة، وذلك حتى تسهم في خدمته، من خلال حفظ الاستقرار الأمني السياسي وحفظ شرعية إمارته، ولعل هذا من بين الأسرار التي جعلت الولاية في كثير من العصور يهتمون ببناء وتشيد المساجد، ومن بين ذلك تجربة حكم العثمانيين في ليبيا، يقول الأستاذ محمد الطوير: 'تنافس الولاية الأتراك العثمانيون في بناء العديد من المساجد الواسعة، وفي طليعتها الوالي مراد آغا (1551/ 1553م) ودرغوت باشا (1553/ 1565م) وعثمان باشا الساقزي (1649/ 1672م) وأحمد باشا القرمانلي (1711/ 1745م)' (مقال: دور المسجد في إثراء الحياة الفكرية بولاية طرابلس الغرب خلال الحكم العثماني/ محمد الطوير، ج1/ ص503)، أي أن الاهتمام بشأن المساجد -بناء وتعمير- كان أمرا لا يتجزأ عن السياسة العامة لكل وإل من هؤلاء الولاية.

وبالتالي، فالمؤسستان المسجدية والأميرية في حاجة لبعضهما البعض، في إطار الخدمة التكاملية لكل واحد منها في اتجاه الآخر، مما يثبت مرة أخرى أن البعد الديني والبعد السياسي يرتبطان في علاقة لا انفصام لها، يقول الأستاذ عبد الحفيظ ماموح: 'ففي أول خطاب للعرش 30 يوليوز 2000، الذي بين فيه الملك فلسفته وبرنامجه وأولوياته في الحكم، أكد فيه على مركزية الشأن الديني في مشروعه، حيث قال: وبالرؤية نفسها نظرنا إلى الشأن الديني، فاتخذنا بصدد تدابير جديدة، وأصدرنا تعليماتنا السديدة، كي يأخذ مجراه الذي تستوجبه وظائف الإمامة العظمى والتزامات أمير المؤمنين الراعي الأمين لجميع متطلبات هذا الشأن في نطاق وسطية الإسلام واعتداله وتسامحه...، وتحقيقا لهذه الغاية أمرنا بإعادة هيكلة المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الجهوية... كما أمرنا بالترتيبات اللازمة لرسالة المسجد' (مقال: السياسة الدينية بالمغرب-وظيفة المسجد أنموذجا-: عبد الحفيظ ماموح، ص36/ 37).

ومن نماذج خدمة مؤسسة المسجد لإمارة المؤمنين أنه أهم فضاء عمومي لتصريف الخطاب الإيديولوجي للدولة (المرجع السابق: ص40)، فالدولة التي تركز عليها من أجل التأثير الجماهيري في الناس¹؛ تنجح في

¹ خاصة إذا تعلق الأمر بالقرارات الحاسمة التي تهم الشأن المجتمعي العام.

إيصال خطابها على الوجه الذي يحقق المبتغى منه بالجهد والوقت المناسبين، فينصاعون بذلك لاختياراتها عن قناعة وطوعية واطمئنان، ولقد كانت المساجد ولا تزال مكانا لإضفاء الشرعية وترسيخها بالنسبة لمؤسسة الإمارة، عن طريق الحضور المباشر للسلطان وخطبته بالمسجد، كما أثر في ذلك عن الملك الراحل محمد الخامس أنه ألقى خطبة جمعة في المسجد، وكان مما جاء فيها: 'أيها الناس تمسكوا برابطة الدين، فهي الحبل المتين، والحصن الحصين الذي ركن إليه آباؤنا الأولون، ففتحو البلاد وسادوا العباد، وحرروه من رقة الاضطهاد، فكانوا أحسن الناس أحوالا وأصوبهم كلاما، وأعظم برابطة دين ألف بين القلوب المتناثية والشعوب المتنافرة المتعادية...' (من مقال: المسجد ودوره في اليقظة الطنحية لمناهضة الاستعمار/ العربي بوسلهم، ص258)، حيث تُبرز لنا هذه الخطبة مدى القرب الذي حرص السلطان على إيجاده مع الرعية، ليضمن على إثره دعمهم وتأييدهم له في مختلف المواطن العصبية التي تستدعي ذلك، بالإضافة إلى ارتباطه بالدين في نوعية الخطاب الذي يصدره، حيث يعتبر ذلك شرطا في الولاء والبيعة التي تتم بين الراعي والرعية على أسس الإسلام ومرجعيته، كما يبرز تركيزه على المنطق الإصلاحي في السياسة التي يتبناها وينتهجها، لأنه لا سياسة مجردة عن الإصلاح.

كما كان هذا الترسخ يتجلى في الدعاء لولي الأمر بذكر اسمه مباشرة، ونستأنس في هذا المقام بما ذكره أبو عبد الله محمد المكي الفاكهي (272هـ): 'أن سليمان بن عبد الملك كتب إلى خالد بن عبد الله القسري أن أجر لي عينا من الثقبه يخرج من مائها العذب الزلال، حتى تظهر بين زمزم والمقام تضاهي بها فيما ذكروا زمزم، قال: فعمل خالد بن عبد الله البركة التي بقم الثقبه، يقال لها: بركة القسري، ويقال لها: بركة السروي، وهي قائمة إلى اليوم بأصل ثبير، فعملها بحجارة منقوشة طوال، وأحكمها وأنبط ماءها في ذلك الموضع، ثم شق لها فلجاً يسكب فيها من الثقبه، وبنى سد الثقبه وأحكمه، والثقبه شَعْبٌ يفرغ فيه وجه ثبير، ثم شق من هذه البركة عينا تخرج إلى المسجد الحرام، فأجراها في قصب من رصاص، حتى أظهرها من فواره تسكب في فسقية من رخام بين زمزم والركن والمقام، فلما أن جرت وظهر ماؤها، أمر القسري بجزر، فنحرت بمكة، وقسمت بين الناس، وعمل طعاما، فدعا إليه الناس، ثم أمر صائحا فصاح: الصلاة جامعة، وأمر بالمنبر، فوضع في وجه الكعبة، ثم صعد، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس احمدا الله وادعوه لأمر المؤمنين الذي سقاكم الماء العذب الزلال النقاه بعد الماء الملح الأجاج الذي لا يشرب إلا صبرا' (أخبار مكة في قسمة الدهر وحديثه: محمد المكي الفاكهي (272هـ)، باب ذكر ملحاء أهل مكة وطرائفهم ومن كان يجد في نفسه منهم

ومزاحهم، ج3/ص118، رقم: 1878، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ).

يقول باتريك دي جافني في توصيفه لهذا الجانب السياسي المتجلي في الدعاء لولي الأمر؛ وكيف كان يتم توظيف هذه الآلية في حسم القرار السياسي بشكل محكم: 'كان أحد مظاهرها¹ الشكلية تاريخيا هو أن يحتملها الخطيب بالدعاء للخليفة، مع ذكر اسمه، وكان ذلك يعتبر أحيانا مصادقة من طبقة علماء الدين على الحاكم في مواجهة منافسيه، كان يحدث أحيانا في وقت الأزمات ... أو الفترات الانتقالية ... إعلانا لتغيير الولاءات بأن يذكر الخطيب اسم المتطلع للاستيلاء على العرش، ويدعو له بدلا من ذكر اسم الحاكم القائم فعلا، مما قد يعرض الخطيب للخطر؛ إذا استمر الحاكم الفعلي ممسكا بالسلطة' (مقال: خطباء المساجد من الدعوة إلى التحريض: باتريك دي جافني، ص136)، ونجد في واقعنا المعاصر تأكيدا حثيثا من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب على الثوابت الأربعة لممارسة مهمة القيم الديني بالمساجد سواء تعلق الأمر بإمامة أو خطابة أو وعظ أو تأطير، ومن هذه الثوابت إمارة أمير المؤمنين انطلاقا من النصوص الشرعية التي تؤكد هذا الثابت وتقوي مصداقيته، وذلك من أجل ضبط وتأطير الوظيفة السياسية التي تضطلع بها مؤسسة المسجد حفظا لها من الانحلال والتسيب وسوء المآل.

وإذا كان هذا الإضفاء للمشروعية والترسيخ لها قد تمّ في كثير من مراحل التاريخ الإسلامي عن طريق المؤسسة المسجدية؛ فقد كان يتم على غرارها مراسيم التعيين والتولية (الدروس الحسنية لرمضان 1434هـ: منشورات وزارة الأوقاف، ص60) في مواقع المسؤولية ومناصب القرارات السياسية عن طريق هذه المؤسسة تبركا وتيمنا بها؛ وتقوية للقرارات والإعلانات السياسية التي تنبثق منها، كما أن خلع مسؤولية ما أو منصب معين كان يتم كذلك انطلاقا منها بتزعم من أهل الرأي والمشورة والقرار.

لقد كانت القرارات السياسية التي تنبثق من المؤسسة المسجدية تعتبر نتاجا وإفرازا لتفاعلات تشاورية يمارسها أهل الحلّ والعقد من الأمة، ممن تتوفر فيهم رجاحة العقل وملكات العلم ومقومات الحكمة، أي أن المسجد التفاعلي يضطلع في المجال السياسي بوظيفة الشورى، والتي تمثل أرقى أنواع الحوار لارتباطها بالشأن

¹أي: الخطبة.

العام، لأنه لا يمكن لأهل الحوار السياسي أن يتوقفوا وينجحوا فيه؛ إلا إذا تمكنوا من استيعاب الحوار الاجتماعي فيما بينهم.

ولعل أهم ما يجعل المؤسسة المسجدية حريّة ممارسة الشورى داخل فضاءها-خاصة في المجال السياسي- هو ما يميزها من خصوصيات مكانية وروحية تنفرد بها عن باقي الأمكنة، فقدسية المكان تجعل أهله يتشاورون ويتبادلون أفكارهم في سكينة وهدوء، بعيدا عن الفوضى وعدم احترام الرأي الآخر، لأن ذلك لا ينسجم وطبيعة المكان، كما أن السمة التي تغلب على أهل المسجد هي العقل والالتزان، وهذان الأخيران من أسس الشورى والحوار السياسي، ولذلك يكون أهل هذا المكان أجدر أن يتشاوروا في القضايا السياسية التي تهم الأمة، يقول الأستاذ صالح بن ناصر الخزيم في بيان المكانة التشاورية لمؤسسة المسجد: 'والمسجد منتدى تشاور، ومحك خبرات، وصقل مواهب، ومتلاقح أفكار، وميدان لتبادل الآراء في عرض أي مشكلة تهم المسلمين لحلّها ورأب صدع الخلاف فيها، حتى يلتئم الشمل، وتتحد الكلمة، فلا يجد العدو الكاشح منفذا لإفساد صف المسلمين وتفريق جمعهم وبذر تقاوي الضغينة والإحن في نفوسهم، ... والله جل وعلا يقول: {وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ} [سورة الشورى: الآية 38] ويقول: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [سورة آل عمران: الآية 159]' (وظيفة المسجد في المجتمع: صالح الخزيم، ص 28).

إن إشراك مؤسسة المسجد التفاعلي في مجال السياسة الشرعية عن طريق تشجيع ممارسة الشورى من خلالها بأرقى وأنجع السبل والتقنيات هو بالأساس استراتيجية منهجية وآلية إجرائية من أجل رد الاعتبار لهذه المؤسسة في الواقع المعاصر عن طريق إشراكها في هذا الأمر الهام، وذلك لأن اتخاذ القرارات السياسية يتطلب تضافر الجهود وتكثير الإفادة من مختلف الجهات التي من شأنها أن تسهم في تصويب ما يمكن تصويبه، بل إن إقصاء هذه المؤسسة عن دائرة القرار السياسي وعزلها عن هذا المجال هو إيمان بعدم قدرتها على ذلك، وتهميش لحضور الوازع الديني وإضعافه فيما هو سياسي، وبالتالي يعتبر هذا المظهر تكريسا لمنطق القصور الوظيفي لهذه المؤسسة.

ولعل هذا المظهر يمكن أن يكون نتيجة حتمية لمجموعة من الممارسات السياسية التي جرت في المسجد خارج الإطار الذي يحفظ الأمن والاستقرار ويحقق جمع الكلمة، فتحوّلت بذلك هذه السياسة التي اتخذت من المسجد مهدا لها إلى نقطة سوداء ومصدر تخوف لدى الجميع، والتجربة الجزائرية خير دليل على هذا التوظيف

السيء الذي يبين خطورة ما آل إليه هذا الأمر، يقول الدكتور عبد الهادي أعراب: 'وبالنظر إلى ما حصل في دول مجاورة، يمنحنا النموذج الجزائري تجربة خاصة، تحولت فيها المساجد كأماكن للعبادة والتقوى إلى مراكز خاصة للجهاد وتفريخ المجاهدين المساهمين في حرب العصابات والمنضوين تحت لواء جبهة الإنقاذ، التي استطاعت تعبئة شبابها بأفكار سياسية معارضة، وذلك من خلال المضمون السياسي الذي أضفته على خطابها الديني، وهنا نصل إلى مستوى قد يتحول فيه المسجد تحت التأثير الإيديولوجي لجماعات معينة إلى مركز تنظيمي لترويج ثقافة العنف والوصول إلى السلطة، وإن هذا العنف يأخذ في لغة هذه التنظيمات معنى محرفا هو "الجهاد"' (مقال: المساجد والتحكم الديني للدولة بالمغرب/ عبد الهادي أعراب، ص 91).

وهنا، لا بد للدولة أن يكون لها موقف حازم بممارسة مراقبتها ووصايتها على المساجد، حيث لا ينبغي عزلها عن هذه الممارسة، حفاظا على الأمن العام للأمة وتجنبنا للفتن وترسيخا لمعنى الأمن الروحي الذي ينبثق من المسجد وأنشطته، وليس ذلك معناه تحجير الممارسة السياسية داخل المسجد وشملها، وإنما ضبطها وترشيدها وتتبع كيفية توظيفها، حتى لا تتناقض هذه الوظيفة السياسية مع روح الرسالة السلمية التي تعتبر ثابتا من ثوابت المؤسسة المسجدية ومقصدا من مقاصدها الكبرى، ولذلك ففي 17 يناير 1992 [قررت ولاية الجزائر منع كل تجمع حول المساجد وأصدرت مديرية الإرشاد الديني والتعليم القرآني بوزارة الشؤون الدينية بيانا نشر في الصحف خاصا بأداب المسجد وضرورة المحافظة على حرمة] (مقال: التنظيمات المسجدية/ رؤوف القاسمي، ص 106)، وقد يكون هذا الإجراء التدخلي من المديرية مناسبا بهذا الشكل في هذه المرحلة ولا يكون كذلك في غيرها، وبالتالي، فينبغي تخطيط ودراسة الوجه الحكيم الذي يتم بها التصدي لهذا الخطر، وذلك في تفاعل تام ومتكامل مع عنصري الزمان والمكان وتأثيرهما على القرار المتخذ مع تحمل تبعاته.

لقد كانت مؤسسة المسجد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حاضرة في كل المشاورات السياسية التي تستدعي أن تجلّى للعموم ولا تبقى حبيسة أناسا محدودين، ولو لم يكن في ذلك مصلحة راجحة ويُعد نظر لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم، ومن نماذج مشاوراته السياسية-صلى الله عليه وسلم- في مؤسسة المسجد ما يتعلق بمحاضرة الإفك، فرغم حسنها الاجتماعي؛ فإن الجانب السياسي يطغى عليها بقوة، نظرا لأنها تهدف إلى المساس بسمعة وصيت القائد، فقد كانت ابتلاء عظيما ومحنة عصبية، لجأ فيها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى إعمال الشورى المسجدية مع أصحابه، رغم أنه نبي مسدد بالوحي، مما يدل على مكانة هذا الأسلوب في حسن تدبير المواقف، فعن عائشة: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: «مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي؟ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ»

وَعَنْ غُرُوةَ قَالَ: لَمَّا أُخْبِرَتْ عَائِشَةُ بِالْأَمْرِ؛ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى أَهْلِي؟ فَأَذِنَ لَهَا، وَأَرْسَلَ مَعَهَا الْغُلَامَ، وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)) [صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: "وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ"، رقم: 7370، ج9/ص113].

لقد كانت هذه المشاورات التي يجريها النبي صلى الله عليه وسلم في مؤسسة المسجد تتسم بالشمولية لا تقتصر على مجال دون آخر، وإجرائها في المسجد دليل على أن المواقف المسجدية السياسية لا ينبغي تجريدها عن التربية والتحلي بالقيم، ولعل هذا الأمر هو ما جعل السياسة التي يؤطرها العمل المسجدي ممارسة متوازنة تتسم بالوسطية والاعتدال، وبالتالي فالإبعاد الكلي للقضايا السياسية عن هذه المؤسسة بقصد تنزيهها عما يشوش ويكدر صفوها قد يكون قرارا غير صائب، لأنه سيحني على هذا المجال ويبعده عن الجو الذي يحكمه من الانفعالات، ومن شأنه أن يجعل السياسة مستنقعا مليئا بالأحوال وطريقا وعرا يغص بالأشواك، ولقد سار الصحابة الكرام على منهج التشاور المرتبط بمؤسسة المسجد، لعلمهم بأن هذا المسلك هو طريق الهدى والعصمة من الضلال، فعن محمد ابن الحنفية قال: كنت مع علي حين قتل عثمان رضي الله عنهما، فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ قُتِلَ، وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ إِمَامٍ، وَلَا نَجْدَ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكَ، أَقْدَمَ مَشَاهِدًا وَلَا أَقْرَبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي وَزِيرٌ خَيْرٌ مِنِّي أَنْ أَكُونَ أَمِيرًا، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ مَا نَحْنُ بِفَاعِلِينَ حَتَّى نُبَايِعَكَ.. قَالَ: فَفِي الْمَسْجِدِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي بَيْنِي أَنْ تَكُونَ خَفِيًّا، وَلَا تَكُونَ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: فَقَامَ سَالِمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: فَلَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ كَرَاهِيَةً أَنْ يُشْغَبَ عَلَيْهِ، وَأَبَى هُوَ إِلَّا الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا دَخَلَ؛ جَاءَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَبَايَعُوا، وَبَايَعَ النَّاسُ (السنة: أبو بكر الخلال (ت311هـ)، تثبت خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمير المؤمنين حقا حقا، رقم: 623، ج2/ص416، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1410هـ/1989م).

وكثيرا ما عقدت مجالس الشورى في المسجد على غرار تشاورهم قبيل غزوة أحد والأحزاب وغيرها، كما تشاور فيه الخلفاء الراشدون في شؤون الحرب والمعاهدات والصلح (مجلة البحوث الإسلامية: مؤتمر رسالة المسجد، ص487)، فمما ورد في غزوة الأحزاب من التشاور المسجدي فيها ما روي عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ((أَنَّ النَّاسَ تَفَرَّقُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا جَائِي مِنَ الْبَرْدِ، وَقَالَ: «يَا ابْنَ الْيَمَانِ، فَمَ

فَانْطَلِقْ إِلَى عَسْكَرِ الْأَحْزَابِ، فَانْظُرْ إِلَى حَالِهِمْ»...، ثُمَّ قُمْتُ، فَاتَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ بِيَدِهِ أَنْ اذْنُ فَدَنَوْتُ، ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَيَّ أَيْضًا أَنْ اذْنُ، فَدَنَوْتُ حَتَّى أَسْبَلَ عَلَيَّ مِنَ الثَّوْبِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ، قَالَ: «ابْنَ الْيَمَانِ أَفْعُدْ، مَا الْخَبَرُ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عُصْبَةٌ تُوقِدُ النَّارَ قَدْ صَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَرْدِ مِثْلَ الَّذِي صَبَّ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْجُو مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُو» [المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت405هـ)، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب المغازي والسير، رقم: 4325، ج3/ص33، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/1990م].

إن إشراك المسجد في مثل هذه المدلهمات دليل واضح على أن هذه المؤسسة كانت تمتلك كلمة الحسم في القرار السياسي الذي به حلول الوضعيات الصعبة، وكانت بمثابة المنقذ من المراحل الحرجة التي تجتازها الأمة، ومنه فإن مؤسسة المسجد التفاعلي لم تكن مشاركتها في السياسة مشاركة مقصورة على الشأن اليسير من هذا المجال؛ فقط لنسعى من أجل تلميع صورتها لا غير، بل ليس هناك ما هو أحلك وأشد من الحروب والغزوات، لأنها تتعلق بالدماء والأنفس والأوطان.

وشهد المسجد النبوي في عهد الصحابة كذلك مجموعة من الحوارات السياسية، تم توثيقها لتبقى شاهدة على تاريخ المسجد وإسهامه في القضايا السياسية، بل أُلْفَ في ذلك كتاب خاص موسوم بعنوان: أعظم حوار ديمقراطي في التاريخ بين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد في مسجد رسول الله، والذي أقتطف منه بعضاً مما يوضح هذا الحوار¹: 'بعد أن توافد المسمون إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ كل مكانه، يدخل خالد بن الوليد... فيجلس في الجانب الأيسر من الصف الأول... عمر يقف على المنبر قائلاً: ... فقد سألتني خالد أن أجمعكم اليوم ليناقشني أمامكم وأناقشه، وقد أشفق بعض ذوي الرأي من ذلك على كلمة المسلمين أن تفترق، فنصحوني ألا أقبل، ولكنني استخرت الله، فقبلت...، عمر يهدئ من روع المسلمين...، احتدام المناقشة بين الخليفة وخالد...، عمر يحتد ويقول: جاهلية، جاهلية، يعينك يا خالد ما تقول عنك العرب غدا؛ ولا يعينك ماذا أنت قائل لربك...، ولكن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قابل القوة بالقوة، مراعيًا آداب الحوار، فلم يتعال بمركزه على الأمة' (أعظم حوار ديمقراطي في التاريخ بين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد في مسجد رسول الله: حسين أبو اليزيد، ص116/141 بتصرف، الدار المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1413هـ/1992م).

¹ نقلت الحوار بتصرف كبير، وحذفت منه ما لا أراه يحقق إضافة نوعية في هذا الحوار.

ولعل في الإشارة النصية إلى داعي الابتعاد عن هذا الحوار من أجل وحدة كلمة المسلمين إيلاءً للاعتبار بشكل كبير إلى اعتبار المقصد من ممارسة السياسة في مؤسسة المسجد، وأهمية الموازنة في ذلك بين المصالح والمفاسد المترتبة عن الفعل، وهذا مستمد بقوة من المنهج التشريعي الإسلامي الكلي في شموليته، وإلا عُدد نقيص ذلك هدمًا لرسالة المسجد السياسية وسوء توظيف لها وعبثًا بها.

7.6. توصيف واستكشاف العامل السابع.

1.7.6. توصيف العامل السابع.

int14	0,688
int18	0,613

يتكون العامل السابع من سؤالين فقط: السؤالان التفاعليان 14 و 18، أي ليس فيه إلا موضوعان ينتميان إلى المجال التفاعلي فقط وهما:

الشباب المعاصر ومؤسسة المسجد

التوزيع والتنظيم المسجدي المسائر للعصر

ولا شك أن هذين الموضوعين يصبان في عنصر يوحدتهما يمكن أن نصطلح عليه باسم: الاتجاه المسجدي المسائر لروح العصر وتطوراتها، رغم أن طرفي الموضوع هما: الشباب وتعديل التوزيع المكوناتي. فالشباب المعاصر له نظراته الخاصة وتصوره النموذجي للهيئة التي ينبغي أن تكون عليه مؤسسة المسجد التفاعلي، حتى يكون بذلك مكانًا مريحًا بالنسبة إليه، ويكون كذلك وسطًا يجتذبه ويستمتع بالبقاء فيه، حيث لا يمكن لأحد أن يرغمهم على الإتيان إلى المسجد وهم يشمئزون من عدة أشياء وظواهر سلوكية يرونها فيه، ولا شك أن ذلك يستدعي نمطًا معينًا من التوزيع المكوناتي لما يوجد بالمسجد، وهو ما يفسره هذا الارتباط الذي أسفرت عنه نتيجة التحليل العاملي لهذا العامل السابع.

والملاحظ أن أمر التوزيع المادي لمكونات المسجد ارتبط في عامل آخر سابق مع المتطلبات المادية، وذلك حينما كان السؤال منصبًا بالأساس على أمر التخطيط والتوزيع بين المكونات الداخلية والمكونات الخارجية في إطار التصميم الهندسي الكلي للمسجد، إلا أنه لما جاء السؤال في هذا العامل مرتبطًا بروح العصر في هذا التصميم المكوناتي جاء الارتباط غير متصل بالكلفة المادية، وإنما ارتبط بفئة الشباب واجتذابه إلى الجوّ الروحي لمؤسسة المسجد، ليدل ذلك على أن أهم أمر ينبغي أخذه بعين الاعتبار في إضفاء روح المعاصرة على

تنظيم الهندسة البنائية والتنظيمية للمسجد هو مراعاة حاجيات الشباب المعاصرة في هذه المؤسسة، وإلا ستكون المؤسسة المسجدية فضاء عقيماً لا يستجيب للمكونات البشرية للمجتمع.

2.7.6. استكشاف عناصر العامل السابع:

تعتبر مراعاة ذوق الشباب وميولاتهم في تكييف التوزيع والتنظيم المسجدين مع روح العصر أمراً في غاية الأهمية، وذلك من أجل ضمان وفرة هذه الفئة الحيوية ووجودها بكثافة داخل الفضاء المسجدي، ولأنه بهذا الإجراء التخطيطي يتم انتشار عدد من هؤلاء الشباب من صنوف شتى من ألوان الانحراف التي يعج بها المجتمع في مختلف المجالات، سواء كانت فكرية أو نفسية أو سلوكية أو اجتماعية، وبهذا نفهم عن قرب وعمق السر الكائن وراء ذكر الشباب وربطهم بمؤسسة المسجد في حديث السبعة المشهور¹، بل إن هذا الحديث يمثل منزلة سامية عظيمة في منقبة هؤلاء الشباب، لما تعلقت قلوبهم بهذه المؤسسة، وكانت هذه المنقبة متجلية في تظليلهم يوم القيامة مما يلحقهم من حر الشمس.

وعليه، فإن من حسن الحرص على هذه المراعاة ضمن تنفيذ وإنجاز مشروع المسجد التفاعلي أن يتم توزيع شبكة من المعطيات والمقترحات على شباب الحي، يتم استفسارهم من خلالها عن المنتظر والمرغوب فيه ضمن هذه المؤسسات، ثم تدرس تلك المقترحات التي يدلي بها شباب الحي ضمن لجنة علمية تبث في مصداقيتها، حتى يؤخذ ذلك بعين الاعتبار فيما يطمح الوصول إليه ضمن مكونات المسجد المادية.

ومن خلال تأمل أولي لما يدلي به مجموعة من الشباب في هذا الصدد تبين باللموس أنهم لا يقترحون أموراً مكلفة تستدعي كلفة مالية باهضة، وإنما إعجاب هؤلاء الشباب بما يرونه في بعض المساجد من مظاهر معاصرة في التنظيم وحسن التمثيل داخل المسجد؛ يجعلهم يطمحون لذلك في مسجد حيهم، حتى يجدون فيه راحتهم وتتوق أنفسهم إلى التردد إليه بمتعة وشوق من صلاة إلى صلاة أخرى.

لقد بين الاستجواب الذي أجري مع مجموعة من الشباب في مدينة الجديدة أن الأمور المادية التي تعجبهم وتستهوهم في مؤسسة المسجد تتجلى في:

1- الاتساع والفخامة: (المستجوب رقم 2)²

¹ تقدم ترجمته في الصفحة 35 وأشارت إليه في غير هذا الموضع.

² يراجع ترقيم المستجوبين وآراؤهم في شأن ما يستهوهم ويجذبهم نحو الجو المسجدي، وذلك ضمن الملحق الموجود في آخر البحث، بحيث يتضمن تفاصيل الاستجابات والمقابلات والصور التي تم إنجازها في إطار العمل المنهجي للشق الميداني للأطروحة.

فالنفس ترتاح أكثر للصلاة وأداء العبادة في المسجد الذي يتميز بكبر المساحة، حيث إن تهيئته تكون جيدة وصفوفه كثيرة، كما أن المتأخر يدرك فيه الصلاة داخل قاعة الصلاة، ولا يصلي خارجها نظرا لامتلاء داخله بالمصلين، وبالتالي فالشباب الفطن يتجه نحو المساجد الفسيحة لعلمهم بأنه قد يجدون المسجد ممتلئا؛ فيتجنبون بذلك الصلاة في الخارج اتقاء حر الشمس أو برودة الجو.

ويتصل بفكرة اتساع المسجد أمر مستجد مهم، بدأ يكثر في المساجد المعاصرة -خاصة مع تطور أشكال البناء والاتجاه نحو تمتينه بأرقى الطرق-، ألا وهو تقليل الأعمدة والسواري في الفضاء الداخلي للمسجد، وهو ظاهرة تفيد في حسن استغلال المساحة المسجدية بشكل جيد، مع وجود نظرة أفقية شاملة تتيح الاطلاع الكامل على جنبات المسجد كلها، كما أن هذا التقليل يحقق بعدا تواصليا هاما بين الخطيب والمصلين، وذلك بمزاوجة المسموع بالرئي، مع تسهيل تسوية الصفوف ووصلها، يقول الأستاذ عبد العالي المعكول: 'ولما كانت كثرة السواري عاملا على قطع صفوف المصلين، ومانعا من رؤية الخطيب، بينما المطلوب وصل الصفوف والتوجه نحو الخطيب، فإن المطلوب من المصمم أن يعمل على تصميم المساجد بدون أعمدة أو يقلل من عددها ما أمكن، وقد وجدنا في فتاوى "المعيار الجديد" ما يفيد أن مساجد الأندلس كان منها ما له أساطين ومنها ما لا أساطين به' (مؤسسة المسجد-الوظيفة الاجتماعية والرسالة الحضارية-: عبد العالي المعكول، ص31).

ويزداد هذا الأمر تحبيذا من طرف الشباب نظرا لقوتهم وقدرتهم على الجلوس في وضعيات متعددة بالمسجد، دونما حاجة إلى اتكاء أو اعتماد على أي شيء مادي، إلا أن هذا الأمر يكاد يكون معكوسا أو مرفوضا بشكل كبير عند كبار السن، حيث إنهم يفضلون كثرة السواري والأعمدة في المسجد، حتى يجدوا ما يتكئون عليه من أجل انتظار الصلاة، ومن أوائل المساجد التي تميزت بظهور هذا النمط المتجه نحو تقليل عدد الأعمدة في داخل المسجد نجد عندنا في مدينة الجديدة مسجد السلام، حتى إنه ليخيل للناظر في داخله أنه حال منها، نظرا لكبر مساحته التي تتوسطها فقط أربعة أعمدة متوازية مع شكله المستطيل، واتساع مساحة المسجد لا يقل أهمية عن حسن موقعة وتموضع الأعمدة به في شكل يحقق انسجاما وتكاملا مرئيا وتواصليا، [فالمصلي الرئيسي في العادة يكون مستطيلا في حالة طواعية الموقع ...، كما على المصمم أن يراعي مواقع الأعمدة وتعارضها مع صفوف المصلين ...، وعليه كذلك أن يتجنب الحوائط¹ المائلة في صالة المسجد الرئيسية، تجنباً لانحراف المصلين في صلاتهم المنفردة عن القبلة ...، وبالنسبة لفتحات النوافذ؛ فأفضلها ما كان

¹ الأولى التعبير بصيغة: الحيطان أو الجدران.

أعلى من مستوى نظر المصلي، لتجنب انشغاله بما يجري خارج المسجد] (عمارة المساجد-تصميم وتاريخ وطرارز وعناصر-: محمد ماجد عباس خلوصي، ص8 بتصرف).

2- النظافة: (المستجوبون 1، 2، 5، 6، 7 و8).

يمثل هذا العنصر المادي هيمنة اختيارية من طرف المستجوبين الذين تمت محاورتهم في هذا الشأن، ويدل هذا الأمر على أن الشباب المسجدي المعاصر يولي عناية وازنة لهذا العنصر في حياته العامة، وما دام المسجد قد انصهر عنده بشكل كبير في جزئيات وتفصيل حياته العامة؛ فقد أصبح لا يستساغ أن يكون المسجد مفقدا لهذا العنصر في جوه ونشاطه الوظيفي.

ونجد المستجوب رقم 6 قد عبر على عنصر النظافة ضمنا بشكل غير مباشر بقوله: [ومراحيضه]، وبالتالي، يمكن أن نقول بأن النظافة لها تظاهرات، ويستطيع شبابنا المعاصر أن يقيسها عبر مؤشرات دقيقة، ولعل من أبرز ذلك هذه الإشارة المكانية، لأن المراحيض هي أقوى وأبرز مكان تتجلى فيه النظافة من عدمها، فقد تكون المراحيض سببا في إبعاد وتنفير مجموعة من الشباب بسبب انعدام النظافة، وقد يكون توفر النظافة بشكل مميز في مراحيض مسجد معين عاملا مؤثرا في إقبال كثير من الشباب على المسجد ذاته، ولا يظن أحد أن هذه الأمور هامشية في الاعتبار، فشباب اليوم يتميز بدقة الملاحظة وجودة التقييم وعدم إغفال الجوانب الحساسة المؤثرة في قرارات اختيارهم، فليس أمر تفضيلهم لمسجد على آخر أمرا اعتباطيا وشكليا.

تعتبر مهمة تنظيف المسجد أمرا بالغ الأهمية في إضفاء رونق جميل على مرافقه وانبعث رائحة طيبة تجذب النفوس إليه، ويمكن أن ندرك هذا الأمر بشكل خاص في أماكن الوضوء والمرافق الصحية بالمساجد، إذ إن العناية بنظافتها وتطهيرها مما يدنسها له من الأثر الإيجابي على نفوس المصلين الذين يؤمونها من أجل الوضوء، ولذلك نلاحظ أن المساجد التي تعرف نوعا من الإهمال في هذا الصدد ينطبع حولها انطباع سيئ من قبل المصلين، فنجدهم يأخذون احتياطهم من التطهر حتى لا يلجؤوا إليها، أما إذا امتد هذا الإهمال إلى وسط المسجد بحيث أصبحت أفرشته في مظهر مقزز من قلة التنظيف ووجود روائح منفرة تنبعث منها في حالة السجود؛ فلا شك أن الحالة هذه أسوأ، وستؤدي بلا شك إلى نفور المصلين من الصلاة فيه، لأنهم يفقدون معها متعة التلذذ بالسجود والقرب من الله للسبب المذكور.

وأدعم هذا الأمر انطلاقا من تجرّبي الشخصية، وذلك حينما أتوجه إلى مدينة أزموور في أوقات الصلوات المفروضة؛ أرتاح وأطمئن للوضوء بمسجد معين هنالك، تتميز فيه مرافق الوضوء بنظافة دائمة وانبعث رائحة طيبة جميلة وتظهر في جمالية دائمة، إذ يهتم بذلك منظم وبواب المسجد على الوجه اللائق، وعلى العكس هناك مساجد أخرى أتجنب الصلاة فيها لما بها من تفريط في هذا الجانب، أو لربما يغيب فيها وجود عنصر المنظف، والذي توكل إليه هذه المهمة.

وتجدر الإشارة إلى أنه ينبغي على الناس أن يسهموا من باب التعاون في المحافظة على نظافة هذه الأماكن بما هو متعارف عليه وفي مقدور كل إنسان، مع تشجيع هؤلاء المنظفين ماديًا، وذلك لأن غالبهم من ذوي الحاجة، ويقومون بهذا العمل نظير أجر زهيد لا يسد حاجتهم كما ينبغي، فإن عدم أحدنا مساعدتهم ماديًا؛ فلا يعدم نفسه من مساعدتهم معنويًا بالقول المعروف والدعاء لهم بالخير. ومن أمثلة تقدير الشباب لأهمية النظافة واعتبارها محفزًا رئيسًا لهم نحو الإقبال على المسجد ما نجد من بعضهم من تحرز واستحياء من الدخول إلى المسجد؛ نظرًا لأن لباسه لا تتوفر فيه مواصفات النقاء اللازمة، وقد حدث لي شخصيًا ذات يوم أن كان معي بعض الشباب؛ فاعتذر عن الولوج معي إلى داخل مكان الصلاة بمؤسسة المسجد، وذلك نظرًا لأن جواربه غير نظيفة.

3- طيب الرائحة: (المستجوب 5)

إن شباب اليوم يمتلك ذوقًا رفيعًا، فهو يخالط الكثير ويختلط مع الكثير، وعليه فإنه يحرص على حسن مظهره وطيب رائحته، وبالتالي فإنه يقيم رائحة المسجد انطلاقًا مما هو عليه، بل يكون حساسًا بشكل كبير لأدنى رائحة تنبعث من المسجد أو من أحد مكوناته؛ فتسبب لديه إزعاجًا على إثر ذلك، وسبق أن كنت في إطار حديث مع أحد الشباب، وإذ به يعبر لي عن اشمئزازه من رائحة تنبعث من بعض أفرشة المسجد جراء بقايا قطرات المياه عليها من أرجل المصلين بعد فراغهم من الوضوء، فكم تكون مثل هذه الظواهر سببًا مباشرًا في انصراف الناس وتخليفهم عن الجماعة في المسجد.

لقد كانت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسطوانة من الأساطين، لها علاقة بالطيب وحسن الرائحة، بل عرفت باسم له علاقة بهذا السلوك الراقي، وهي الأسطوانة المخلّقة، أي الأسطوانة المعطرة والمطيبة (من الطيب)، وكان بعض الصحابة يهوى الصلاة إليها لما لها من تأثير إيجابي في نفسه، [وكان سلمة بن الأكوع رضي الله عنه يتحرى الصلاة عندها، استنانا بالفعل النبوي في ذلك، وقال مالك: أحب مواضع التنفل في مسجده صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلوق] (عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ: ناجي محمد حسن الأنصاري، ص 69 بتصرف).

إلا أن أهم ما ينبغي أن يفتن إليه في تطيب وتعطير المسجد أنه ينبغي اتقاء بعض الأنواع من العطور التي تتميز برائحة مخنقة نتيجة كثرة تركيز مواد مكوناتها، لأن ذلك مما يضيق به بعض المصلين ممن يعانون من أمراض حساسية التنفس، فالمقصود الأساس هو حسن وجمالية الرائحة دون مبالغة في ذلك، مما قد تصل إلى تنفير المصلين من الجوّ المسجدي العام.

4- الأفرشة: (المستجوبون 1، 3، 4 و7).

وقد عبر المستجوبون عن هذا العنصر المادي الذي يحفزهم نحو الإقبال على المسجد بفاعلية بعبارات مختلفة، فمنهم من ذكر نظافته، ومنهم من ذكر تناسق الزرابي، ومنهم من ذكر راحته، ومنهم من ذكر الجودة، وبالتالي فهذه العناصر الأربعة {النظافة والتناسق والراحة والجودة} تدل على أن شباب اليوم ينسج علاقته بمؤسسة المسجد في إطار عاطفي روحي، حيث يأتي إليها وهو يرى فيها بيته الذي ينبغي أن يطمئن فيه وإليه، وبالتالي ينبغي أن نحمد الله على هذا الخير المتجلي في شعور الشباب الذي يرتاد المسجد؛ ويجب من صفات الخير والجمال التي يعيشها في نفسه وسلوكه؛ أن يجدها في البيت الذي يتعبد فيه خالقه، وكما يعجبني ويلفت نظري مشاركة مجموعة من شباب الحي في حملة تنظيف بعض المساجد، كما هو الشأن في مسجد الجوهرة بمدينة الجديدة أيضا، فيجمعون بذلك في هذا العمل بين قيم التعاون التطوعي وقيم الجمال الروحي.

لا يتصور أن إنسانا سويا من فئة الشباب الحالي وميولاتهم المعاصرة يركن إلى مكان يفقد لتلك العناصر الأربعة ويتخذ بيتا له، فهذا من شبه المحال، فراحة الفراش تمكن من راحة الجلوس عليه والتعبد به، وهذا من مقومات تحصيل المتعة الروحية في المسجد، كما أن تناسق الفراش يمكن من الرؤية العينية الجيدة والمناسبة، مع أن التناسق نظير البساطة واليسر، فهو لا يقتضي بالضرورة وجود التلوينات والزخارف المتداخلة والكثيرة بما يلهي عن التأمل والتدبر اللازمين في أجواء التعبد والخشوع بالمسجد، فلا شك أننا سنكون هنا في إطار الحديث عن أمر مخالف ومناقض لما ترمي إليه رسالة المسجد في بعدها الروحي الإيماني.

وأضحت جودة الفراش أمرا مهما في الواقع المعاصر من أجل تجهيز المساجد الحالية، نظرا لوجود مجموعة من المتغيرات في هذا الصدد، فالفراش الجيد يحقق الراحة في الجلوس، بالإضافة إلى أنه يقاوم ويحقق تأقلا جيدا مع الظروف المناخية في المنطقة التي يوجد بها المسجد، ويستطيع البقاء في حلة جيدة ولا يتأثر مع عوادي الزمن، وبالتالي يوفر كلفة مالية في ميزانية المؤسسة المسجدية، تغني عن تجديد الفراش في مدة قصيرة، كما أن الفراش الجيد يتميز بسهولة وسلاسة في عملية التنظيف وامتصاص الغبار الذي يعلق به، حيث يتمكن القائمون على هذه المهمة من القيام بهذه العملية بواسطة آلة الامتصاص الكهربائية في أسرع وقت، وبشكل ملائم يحافظ على رونق وجمالية الفراش المستعمل.

وعليه، أصبحت أغلب المساجد المعاصرة التي تطمح جمعياتها التسييرية نحو أرقى سبل التهيئة المسجدية في استقبال أمثل للمصلين؛ تختار وتنتقي من أروع وأجود ما هو متاح من الأفرشة التي توفر مواصفات الارتياح والأناقة، بما يجذب الشباب المعاصر إلى الفضاء المسجدي.

كما ينبغي في هذا الإطار أن تحقق مؤسسة المسجد تدييرا حكيما وجيدا من أجل صيانة ورعاية هذه الأفرشة من كل ما من شأنه أن يؤدي إلى التردّي والرداءة، ولعلني أستشهد في هذا المقام بما ورد في حسن تعامل القائمين على المسجد الحرام مع الأواني التي استعملت في بعض من مظاهر التزيين، حيث يقول الدكتور

عبد اللطيف بن دهيش: 'وفي الوقت نفسه تم استبدال الأواني الفخارية التي كانت توضع أمام المصلين في الأروقة والساحات طوال العام، وتزداد أعدادها في أيام رمضان والحج، وكانت تلك الأواني الفخارية كثيرا ما تتعرض للكسر دون قصد بين فترة وأخرى، مما قد يؤدي إلى إراقة الماء على أرضيات الساحات والأروقة وعلى السجاد¹ المنتشر في الحرمين الشريفين، فيسبب إزعاجا كبيرا للمصلين' (عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي: ص 439).

5- جودة الصوت: (المستجوبون 1، 3، 4 و 8).

بات ضبط مستوى جودة الصوتيات أمرا مهما في إسماع الأذان وتأثيره في الأسماع، وليس هذا الاعتبار محصورا فقط في الأذان، بل حتى في قراءة الإمام، وذلك من أجل التأثير بقراءته والخشوع في سماعها، مع سلامة الالتقاط لما يخرج من كلمات القرآن، وبالتالي، ينبغي أن يؤخذ هذا الأمر بعين الاعتبار في هذه العملية، يقول الأستاذ محمد ماجد عباس خلوصي: 'إن دراسة الصوتيات في المسجد مهمة جدا، وتستحق التعمق في تحليل اتجاهاتها وقوتها، ليشعر كلّ مصلّ في أي مكان بالمسجد بالراحة التامة من الضوضاء والسماع الكامل للعظات والصلوات' (عمارة المساجد-تصميم وتاريخ وطرز وعناصر-: محمد ماجد عباس خلوصي، ص 9).

فشباب اليوم أغلبه شباب متذوق، لا يهمه فقط مجرد تأدية الشعائر وإبراء الذمة منها كيفما اتفق، بل يريد أن ينال حظه من متعة ولذة القرآن، من خلال سماعه بالمؤثرات الصوتية التي تتيحها أجهزة ومعدات الصوت، من ترددات وترقيق وتزيين في مخرج الأصوات، فالصوت الحسن يزيد القرآن حسنا، ويجعل الأذن تستمتع إليه على أكمل وجه بما يحقق التأثير والخشوع في القلب، فلا يعقل أن شباب اليوم المنفتح على مختلف المسموعات حلالها وحرامها وبما يصاحبها من معدات معاصرة تتطور يوما بعد يوم مع تطور التكنولوجيا المتخصصة في هذا المجال؛ أن نسمعه القرآن في مسجد تفاعلي تفتقد مكبرات أصواته لهذه العناصر، بل إن مجموعة من الشباب حينما تطلب آراءهم ومواقفهم حول مساجد معينة، يصرحون بكل جرأة وصراحة أن مستوى الصوت وآلياته ضعيف، ويحتاج إلى إعادة نظر.

ويوجد في واقعنا المعاصر أناس متخصصون في الهندسة الصوتية بالمواصفات العلمية الدقيقة، لهم خبرة وتجربة في ضبط متغيرات الصوت، وذلك بما يناسب وضعية وارتفاع المكان الذي يوجد فيه فضاء الصلاة، مع مراعاة شكل البناء وطبيعة العلو (السقف)، فهناك مسافات معينة بين المكبرات ينبغي مراعاتها واحترامها في التوضع، كما أن ارتفاع تموضع هذه المكبرات له أثره في جودة الصوت الذي ينبعث من هذه المكبرات الصوتية، فاستغلال خبرات مثل هؤلاء المتخصصين من شأنه أن يعود إيجابا على جودة الصوت، فكم من

¹أي: الأفرشة التي توضع وتفرش من أجل الصلاة والسجود عليها.

شباب ابتعدوا عن مساجد معينة - رغم ما فيها من مواصفات تفاعلية لا تقل أهمية في مقومات المسجد التفاعلي - وأقبلوا على مساجد أخرى لهذا السبب، وعليه، فإنه لا ينبغي إغفال وإهمال هذا الأمر، لأن أهمية بالغة من أجل استقطاب هذه الفئة الحيوية إلى الجو الروحي للمسجد التفاعلي.

كما أنه من واجب التنبيه ألا يترك أمر ضبط الصوتيات ومؤثراتها لأهواء الجميع ومزاجاتهم، حيث إن هناك أنواعا من الناس لا يأبهون بطبيعة الصوت المنبعث، بل يرفضون جملة وتفصيلا تردد الصوت ومزيجاته، رغم أن هذه المؤثرات تنجذب معها أذواق الشباب، وتسهم في جلب الخشوع إلى القلب، وذلك بما تحقق من تغذية لحسّهم الوجداني.

وبعد ما قمت بتحليل ما أسفر عنه استجواب هؤلاء الشباب حول ماديّات المسجد التي تجذبهم نحو جوه الروحي، لا يفوتني أن أذكر أن مؤسسة المسجد لها أهميتها الواقعية الكبيرة في إكساب الشباب ما يحتاجونه من تركيز وقوة فكرية، لمواجهة التيارات الخطيرة التي تواجههم في الحياة، وذلك لأن كثيرا من المؤسسات المجتمعية الأخرى وأجهزة تغييره وإصلاحه¹ [مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ عبد السلام العزوي، ص17] عجزت عن تلبية حاجيات هؤلاء الشباب وسدّ فراغاتهم، نظرا لأنها لا تمتلك ما يمتلكه المسجد من خصوصيات ومميزات تؤلف بين ما روحي وبين ما هو نفسي وبين ما هو تربوي وبين ما هو اجتماعي، فهذه التوليفات لا توجد على الوجه المتحقق في المؤسسة المسجدية، يقول الأستاذ عبد العزيز بغداد: 'لقد بحث العلماء عن مؤسسة أخرى يمكن أن تكون مثل المسجد في عطائه التربوي فلم يجدوا له مثيلا، فليست هناك مؤسسة تستطيع أن تنفذ إلى نفوس الشباب وتخالط مشاعرهم وتوجههم نحو الخير كما هو المسجد' (مقال: الإمامة ورسالة المسجد/ عبد العزيز بغداد، ص64، مجلة: دعوة الحق، العدد 241، المغرب، 1984م).

ولا شك أن ذلك مما يجعلها قادرة على مواكبة الشباب ومصاحبهم في هذه المرحلة الحساسة والخطيرة، حتى يجتازونها دون مشاكل ودون انحرافات، قد تؤدي بهم إلى فقدان الثقة في ذواتهم وفيمن حولهم وفي مجتمعهم على وجه العموم، فالمسجد هدفه الأساس بالنسبة لهذه الفئة هو جلب ما يؤدي بهم إلى الوصول نحو بر الأمان، [فكل مسجد جديد هو بمثابة تحصين للكثير من الشباب من الضياع والانحراف، خاصة وأن الفراغ وقلة ذات اليد وعدم تيسر أسباب العيش الكريم إذا لم يواكبه إيمان يجعل صاحبه يتحلى بالصبر والثبات، قد يؤدي ذلك إلى كثير من الأزمات النفسية] (مؤسسة المسجد - الوظيفة الاجتماعية والرسالة الحضارية -: عبد العالي المعكول، ص20/21).

¹ كالمنازل والمدرسة ووسائل الإعلام.

وعليه، فإنه يتعين أن نتتبع ونرصد أثر وجود هذه المؤسسة من عدمها في أماكن انتشار الانحرافات والجرائم، ولعلني أسوق في هذه المناسبة ملاحظة ميدانية في واقعي المحلي الذي أرجع إليه من حين لآخر، وذلك من خلال مسجد الجوهرة بمدينة الجديدة، فقد تم الانتهاء من تشييد هذا المسجد في سنة 2002م، وكان هذا الحي قبل هذه المرحلة يعرف وجود مجموعة من الانحرافات الشبابية المختلفة، من قبيل تعاطي المخدرات وكثرة المشادات الكلامية التي لا تخلو من كلام فاحش، بحيث لا تفضيها في كثير من الأحيان إلا التدخلات الأمنية، فبدأت هذه الظواهر تقل شيئاً فشيئاً بسبب تأثير المسجد على هذه المنطقة، بل أصبح مجموعة من الشباب ممن كانوا يشاركون في تلك الانحرافات من رواد الصف الأول في هذا المسجد.

ولو سلم جدلاً أن مؤسسة المسجد هي مأوى الشيوخ من كبار السن والعاجزين عن الحركة، نظراً لياسهم من مناحي الحياة الأخرى؛ فما الذي يحرك الشباب نحو هذه المؤسسة ويجعلهم أكثر ثقة فيها وقابلية عليها؟ سوى علمهم وقيمتهم بأنها تغذي خصائصهم الروحي والنفسي والتربوي، بما يجعلهم أسوياء في شخصياتهم دون شذوذ أو ميل عن الجادة، ولذلك كان العهد المسجدي الأول يعرف حضوراً متميزاً لفئة الشباب في أحضانهم، وخير مثال على ذلك تخرج أسامة بن زيد الشاب الصحابي الجليل من المؤسسة المسجدية قائداً لجيش فيه عمر بن الخطاب وعمره وقتها لا يتجاوز ثمان عشرة سنة.

إن العلاقة الوطيدة التي ربطت المسجد التفاعلي مع فئة الشباب عبر التاريخ خاصة في العهد النبوي نابعة من منهج مسجدي حكيم، قوامه التربية ومراعاة خصائص هذه الفئة في كل نواحيها، سواء المعرفية منها أو العاطفية الوجدانية أو الحركية السلوكية، وذلك لأن التربية المسجدية تتميز بأربع خصائص تمكنها من إنجاح وتقوية إقبال الشباب عليها (مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي - المساجد والكنائس - / بلال ريم، ص 159/ 160 بتصرف):

- 1- تربية إيمانية روحية: تهدف إلى تكوين الإنسان المؤمن الموحد الذي يراقب الله تعالى في سره وعلايته، من خلال أساليب: الترغيب والترهيب، القصص القرآنية والنبوية وضرب الأمثال.
- 2- تربية متوازنة: تهتم ببناء شخصية الإنسان في جميع جوانبها من التربية الروحية والعقلية والجسدية، وتتجلى أهمية الدين في الحياة البشرية من خلال ارتباط الراحة النفسية بالاعتقاد أو الدين.
- 3- تربية مستمرة: ليست محصورة في مرحلة عمرية معينة بل مدى الحياة، في مرحلة الصغر يقوم بها المربي وفي مرحلة الرشد يواصل الإنسان تربية نفسه، والجميل في هذا الاستمرار وهذه المواصلة أن المستفيد فيها خلال مرحلة الشباب ذاتها قد يتحول من آخذ إلى معط، أي: يصبح هو نفسه يمارس عملية التربية انطلاقاً مما تلقنه من هذه المؤسسة التفاعلية.

4- تربية علمية وعملية: حيث اهتم الإسلام من خلال الخطاب المسجدي بالجانب العلمي وتنمية العقل وشجع عليه من خلال تنمية القيم العلمية ورفع مكانة العلماء، وأن تكون دراسة من أجل التطبيق العملي لها في مجال التربية.

و يتمخض عن المزاجية بين العلمي والعملي في التربية المسجدية ترسيخ مجموعة من القيم التربوية في نفوس الشباب، وأحسب أن من أعظم القيم التي ترقى بمستوى تدين الشباب المسجدي وحسن مواجهته لمختلف وضعيات الحياة الامتثال والصبر.

فحينما يدخل الشاب إلى مؤسسة المسجد ويألف نظاما معيناً وترتيباً لازماً يتضمن نوعاً من التناقص بين الأقوال والحركات والسلوكيات؛ سواء داخل جوّ العبادة أو خارجها في نفس المؤسسة؛ فإن ذلك يريبه على الطاعة والامتثال في مواقف الحياة التي يصادفها خارج هذا المكان، مما تستدعي التحلي بهذه القيمة لكسب مجموعة من المصالح، ولحسن تدبير مجموعة من المواقف، [فصلاة الجماعة التي يؤديها المسلمون وراء إمام رجل واحد يؤم المصلين جميعهم؛ ينفذون ما ينفذ تماماً؛ فهي بذلك تطبيق للقيادة في إصدار أوامرها وتنفيذها] (مؤتمر رسالة المسجد: مجلة البحوث الإسلامية، ص 482)¹.

كما أن انتظار الصلوات بل أداء الصلاة نفسها والمواظبة على ذلك يتطلب من عُدة الصبر ما يؤهل للشبات والاستمرار على ذلك، وبالتالي فالشباب الذين يفتقدون قيمة الصبر سرعان ما يفترقون عن أداء الصلاة الجماعية والتردد على المسجد، فالمسجد يحقق بامتياز التربية على قيمة الصبر، لا من أجله فقط بل ليتعدى ذلك إلى الحياة في شمولها، يقول الدكتور عبد العزيز الحميدي: 'ولقد قرن الله تعالى الأمر بالصلاة بالصبر في مواجهة الشدائد وتحمل الصعاب، حيث يقول جلّ وعلا: "وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ" (سورة البقرة: الآية 45) ويقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" (سورة البقرة: الآية 153).

ولقد كان الأنبياء يفزعون إلى الصلاة عند الشدائد كما جاء في الحديث الذي روي عن صهيب رضي الله عنه قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى هَمَسَ شَيْئًا لَا نَفْهَمُهُ، وَلَا يُحَدِّثُنَا بِهِ، ... «فَهَمْسِي الَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ: اللَّهُمَّ يَا رَبِّ، بِكَ أَقَاتِلُ، وَبِكَ أَصَاحِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا

¹ تقدمت الإشارة في الصفحة 229 إلى حديث الوعيد فيمن يسابق الإمام أن يمسح وجهه، وهو أصل في الامتثال الذي يتربى عليه الشاب المسجدي من خلال مدرسة الصلاة ومقتضى المتابعة فيها.

بِاللَّهِ» [مسند الإمام أحمد (251هـ): مسند الكوفيين، حديث صهيب بن سنان، رقم: 18937، ج 31/ص 267].

ولعل الحديث عن الشباب وعلاقته بالصبر من خلال المسجد أمر مهم من الناحية العملية الواقعية، وذلك لأن الشباب أجدر ما يكون بهذه القيمة من غيرهم من الفئات، نظرا لأنهم مؤهلون لكثير من الانفعالات وردود الأفعال وقوى الشباب التي قد تعود عليهم في غالب الأحيان سلبا أو ندما، مما يستلزم تهذيبها بالصبر، حتى تنضبط ولا تخرج عن نطاقها العادي إلى ما يحدث الفتن والشور، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة، فهل يتوتر شباب المسجد وينفعل في الخصومات بمثل ما عليه من هم بعيدون عن أجواء المسجد وروح تعاليمه؟ صحيح أنه قد ينفع البعض ممن لم يتشرب القيم التربوية للمسجد، أما المتشبعون بهذه القيم من فئة الشباب فهم أبعد الناس عن الوقوع في هذه النزاعات وهذه الشجارات، لأن قيمهم لا تسمح لهم بذلك، بالإضافة إلى أنهم ليس لهم وقت للخوض في مثل هذه المتاهات التي لا تعود عليهم بأية فائدة.

إن الشباب المسلم الذي يواظب على الصلاة؛ ويحرس في ذلك على تأكيد علاقته القوية بها؛ عن طريق تعلقه بمؤسسة المسجد؛ يكتسب -فضلا عن القيمتين اللتين سبقت الإشارة إليهما- ترقية نحو مرتبة عظيمة من المراتب التي تكسبه خيرية نفسه وطهارتها، ألا وهي تركية النفس لمواجهة تحديات الواقع، وهذه التركيبة هي قرينة ارتفاع درجة الإيمان الذي يزيد بأداء الطاعات كما هو مقرر شرعا، كما أنها أشبه ما يكون بالتزود للمواجهة، يقول محمد إدريس بن عبد الملك¹: 'من المفاهيم الرقيقة التي يحملها مصطلح الإسلام هي تركية الخلق، وهذه التركيبة هي رفع الإنسان إلى درجات سامية، ليصبح صاحب سيادة دينية وخلقية كبيرة على باقي الناس، لذلك جعلت مرحلة السلام هي آخر المراحل في سلسلة الأذواق القدسية التي يتلقاها العبد من ربه عز وجل، لأجل أن تكون تركية لهذا العبد بعد الخروج إلى الواقع، هذه هي غاية الصلاة، وهي أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، ... أي أنه فوق الفواحش والمعاصي والشور، لأنها عبارة عن مؤثرات ضعيفة جدا مقارنة مع هذا الإنسان الذي هو أعلى درجات القوة' (سيمائيات الصلاة: محمد إدريس بن عبد الملك، ص 117 بتصرف يسير، فاس بريس، المغرب، ط 1، 2015م).

ولا شك أن هذه القيم ومثيلاها من أقوى ما يستمدده الشباب في احتكاكهم بالوظائف المسجدية وتخلهم من معينها، ولعل هذه القيم -رغم شمولية نفعها لجميع الفئات العمرية- هي أنفع ما يكون بشكل جلي لفئة الشباب على وجه الخصوص، نظرا لأنهم سواعد المجتمع، وعليهم يعول في مسؤولية بناء صرحه الثقافي

¹ باحث في العلوم الشرعية والقانونية.

والحضاري، وبالتالي فهم في أمس الحاجة إلى البناء القيمي، من خلال إسهام المؤسسة المسجدية في ذلك عبر تدخلاتها الوظيفية الحيوية.

8.6. توصيف واستكشاف العامل الثامن.

1.8.6. توصيف العامل الثامن.

cog17

0,814

ينفرد في هذا العامل الثامن السؤال المعرفي الأخير من أسئلة الاستمارة ضمن مجالها المعرفي، وهو السؤال الذي يتعلق بموضوع: **مشاكل إصلاح مؤسسة المسجد**، أو بعبارة أخرى قريبة: **أسباب ضعف الرسالة الحالية لمؤسسة المسجد التفاعلي.**

وليس انفراد هذا السؤال لوحده في عامل مستقل أمرا اعتباطيا وليد فراغ أو من قبيل الصدفة، بل هو مؤشر ودال بقوة على أن مشاكل المؤسسة المسجدية لا ترتبط بأي سؤال آخر، كما أنها تعتبر في حد ذاتها مركبا معقدا يستدعي مقارنة ودراسة خاصة به لوحده، وذلك من أجل كشف روابط وعلاقات أخرى، وهذه المشاكل هي التي تحول دون إصلاحها، بل تسير بها نحو الضعف وقلة الفاعلية والتأثير.

إن الواقع الحالي الذي تعيشه مؤسسة المسجد -سواء على المستوى المحلي أو على المستوى الخارجي- ينبئ عن تراجع ملحوظ في أداء وظيفة المسجد، بل يكاد يصل إلى درجة توصيف بليغ ورد في مؤتمر رسالة المسجد: [أوشك أن يفقد سلطانه على النفوس بعد هذه التطورات التي سلخته من معظم مقوماته] (مؤتمر رسالة المسجد: مجلة البحوث الإسلامية، ص496)، ولا ننكر أن هناك نماذج من مؤسسات مسجدية تؤدي وظائف في مجالات مختلفة على الوجه المطلوب، لكن التقييم العام يفضي إلى تسجيل هذا التراجع، مما يجعلنا نتساءل حول الأسباب التي تكمن وراء هذا التراجع، وما المشاكل التي نتجت عن هذا التراجع؟

ومن خلال قراءة أولية للواقع من أجل فهم وتصور هذه الأسباب؛ يتبين أنها تشكل مركبا يتكون من صنفين من الأسباب: أسباب داخلية وأسباب خارجية، فالأسباب الداخلية ترتبط ارتباطا مباشرا بالتركيب الداخلي للأمة الإسلامية ومنظومتها، أي: ما يتعلق بالمشاكل المرتبطة بالبناء الداخلي، دون إدخال تأثير لعامل خارجي من غير المسلمين، أما الأسباب الخارجية فهي مرتبطة بشكل مباشر بالمحاولات والمخططات الخارجية التي ينتهجها غير المسلمين، والتي تروم إضعاف رسالة المسجد والتقليل من شأنها ومصدقيتها في النفوس، حتى تصبح عديمة الأثر والهيبة عند عامة المسلمين.

2.8.6. استكشاف العناصر المكونة للعامل الثامن:

يمكن القول إن المكانة الحيوية لمؤسسة المسجد تتناقص وتتضاءل شيئا فشيئا؛ كلما قويت وتقوت الأسباب التي تستهدف النيل من رسالة المسجد وإضعاف روحه وحيويته، وفي مقابل ذلك تنهض وتحيا وظيفة مؤسسة المسجد عند التغلب على هذه الأسباب وضعف تأثيرها، فهناك إذن علاقة اطرادية عكسية بين الحيوية المسجدية وتأثير الأسباب المضعفة لرسالة المسجد، ولعلني أسوق هنا كلاما يلامس هذه العلاقة الاطرادية انطلاقا مما ذكره الأستاذ محمد أمrani علوي: 'كان دوره حيويا من خلال مساهمته الفعالة في كل أمور الحياة ... لكن مع توالي السنين بدأت المساجد تعرف تغيرا في خصوصيات أدوارها، خصوصا بعد الحماية' (المسجد وترسيخ الفكر الوجودي بالمغرب: محمد أمrani علوي، ص 63).

أي: مع مجيء الحماية وتزايد تأثير القوى الاستعمارية على البلاد الإسلامية، تكاثفت المشاكل الداخلية، وانضافت إليها بقوة جملة المشاكل الخارجية الناتجة عن هذا الاستعمار، فنتج ما نتج من ضعف رسالة المسجد، وعليه فانضمام المشاكل الخارجية إلى جملة ما يعانيه المجتمع من مشاكل داخلية يؤثر بشكل سلبي على وظيفة وأثر المسجد.

إن الوعي بهذه الأسباب ومكان الخلل هو أول خطوة منهجية نحو محاولة إصلاح رسالته واستعادة مكانه وأثره الوظيفي في المجتمع وخارجه، لكن حصر واستيعاب هذه المشاكل والأسباب يكاد يكون أمرا صعبا، وذلك لأن واقع المساجد يختلف في الواقع الإسلامي من بلد إلى آخر، وذلك تبعا لاختلاف الخصوصيات والظروف والوقائع التي يعيشها كل بلد على حدة، بل نجد هنالك اختلافات جوهرية في الواقع الوظيفي للمساجد داخل البلد الواحد في كثير من الأحيان.

فمعالجة هذه القضية لا يمكن أن تكون عبر وصفة نهائية جاهزة، بل ليس هناك سوى مقارنة تجلي أهم الملامح التي تميز هذه القضية.

تبين إذن مما سبق؛ أن أول سبب أو مشكل خارجي¹ أسهم في إضعاف الأثر الوظيفي لمؤسسة المسجد هو الاستعمار أو الاحتلال، حيث كانت المساجد أماكن لتوعية المجتمع بما يحرق بهم من أخطار

¹ الترتيب المنطقي يقتضي أن يتم استهلال مناقشة هذه القضية بذكر الأسباب الداخلية، ثم الانتقال بعد ذلك إلى الأسباب الخارجية، إلا أنني حرمت هذا العرف المنطقي في هذا المقام مراعاة للنسق والنسيج التحليلي، كما هو واضح من خلال وصل السابق باللاحق، خلال قراءة هذا الموضوع من البحث، على أن يتم في ختام هذا العامل إعادة تركيب خلاصة للأسباب التي تمت مناقشتها بدءا بالداخلي ثم الخارجي منها.

المستعمر، والذي يطمع في نهب خيرات ومصالح البلاد والقضاء على معالم الدين، فكان لا بد من وقوع صراع بين هذه المؤسسة وقوى الاحتلال، نظرا لأنها تحدد وجوده وتربك مصالحه¹.

ويلحق بما صدر من الاحتلال من هجمات ومضايقات نحو المسجد لتفريغه من روحه الوظيفية مجموع الخطط والحملات التبشيرية والاستشراقية التي تشوه صورة المسجد، وتسعى للنيل من سمعته بشتى الطرق، ويمكن القول إن المستعمر كان ذكيا في حملة مهاجمته لمؤسسة المسجد في مجموعة من الوضعيات، حيث إنه لم يواجهها مباشرة بتصفيد أبوابها وإخراج أهلها من داخلها، بل سعى تخطيطيا واستراتيجيا بكل ما أتيح له من سبل تديرية نحو تقزيم الوظائف الحيوية التي يقوم بها المسجد في الأوساط الإسلامية داخل المجتمع، فتحول المسجد بذلك من منهج الحيوية اليومية إلى سمة التخليلية² الموسمية أو المناسبة، يقول الدكتور عبد العالي المعكول: 'لقد دار الزمن دورته، ففتقلص ظل المسجد عن المجتمع وانعزل عن حياة الناس وفارقه معظم الوظائف التي كان يضطلع بها، فخرج القضاء عن المسجد، وفارقه روح المسجد، وخرج التعليم عن المسجد، وخرج التشاور والتناصح بين المسلمين، وخرج إعداد الجيوش المحاربة عن المسجد، وفارقه روح المسجد، لقد أراد أعداء الإسلام أن يصبح المسجد كالكنيسة والبيعة، لا تتراده الناس إلا في المناسبات، وهكذا نجحوا في إهمال المسجد وإهمال القائمين على العمل فيه، وإهمال الخطباء والدعاة فيه، ثم حاربوه بمؤسساتهم المختلفة من نواد وملاعب وملاجئ ومدارس، واستطاعوا أن يجذبوا عددا كبيرا من السُّدَج الغافلين' (مؤسسة المسجد-الوظيفة الاجتماعية والرسالة الحضارية-: عبد العالي المعكول، ص110).

ولعل كلام الأستاذ المعكول يثير لدينا نقاش قضية مهمة، وهي التعدد المؤسساتي داخل المجتمع من حيث القبول والرفض، فلا شك أن تعدد المؤسسات الذي سعى إليه المستعمر يمثل منهجه الخاص في إطار تضيق الخناق على هذه المؤسسة، وذلك من أجل صرف الناس عن رسالة المسجد الوظيفية، لبيتغوا بذلك البديل في هذه المؤسسات المحدثة، وهو يختلف كلياً عن التعدد المؤسساتي الذي ينتهج في إطار التكامل والتغلب على الجوانب التي تتطلب تضافر الجهود وتدخل جهات عدة ليسهل معالجتها وظيفيا، سواء في المجال الاجتماعي أو في المجال التربوي أو في المجال الاقتصادي أو في المجال السياسي والحضاري كذلك.

¹ سبق الحديث في عنصر نظري ضمن المجال السياسي لمؤسسة المسجد التفاعلي عن علاقة المسجد بالاستعمار، وكيف استهدف الاستعمار هذه المؤسسة بكل أشكال المواجهة والقطيعة والعدوان، نظرا لموقفها الحازم والصارم ضده دفاعا على حمى الدين والوطن.

² من التخلل، أي: وجود أيام عدة تتخللها أحداث محددة ومعينة زمنيا، في إشارة إلى ضعف الحضور المسجدي في الحياة اليومية.

ومن أمثلة مخططات المستعمر في الفصل التربوي التعليمي لمؤسسة المسجد عن هذا المجال الحيوي إحداث تقسيم للتعليم الذي يجري داخل هذه المؤسسة والذي يجري خارجها، عن طريق حرب المصطلحات وما ينتج عنها من محاولات دلالية وخلفيات مرجعية، تخدم مصالحهم دون الحاجة إلى الإفصاح عن ذلك، يقول الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي مبينا هذا المشكل الخارجي الذي أحدثته الاستعمار: 'السعي الجاد في إخراج التعليم العام منه، بالفصل بين التعليم تسمية في قولهم تعليم مدني وتعليم شرعي، وانطلاقا من هذا التقسيم أنشأوا المؤسسات التعليمية الأخرى، وفصلوها عن هيمنة المسجد وروحه، وشجعوا هذه المؤسسات تشجيعا ماديا ومعنويا كما شجعوا المتخرجين منها، فأوكلوا إليهم إدارة الحياة وسياسة الأمة في الوقت الذي خذلوا فيه عن التعليم الشرعي وقللوا من شأنه' (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص 275).

إن الملاحظ في إطار الحديث عن المشاكل الخارجية التي أضعفت من روح الرسالة الوظيفية للمسجد أن كثيرا من الناس لا ينتبهون إليها، فمن خلال الاستجابات التي أجريتها في هذا الصدد تبين لي أن الإجابات تنحو نحو القسم الأول من المشاكل، أي: المشاكل الداخلية، ولعل هذا راجع بالأساس إلى المنطلق والمرجع في تقييم وظائف المسجد، حيث إن البيئة المحلية والمحيط هما المنطلق في كشف الخلل ورصد المشكل وراء هذا الضعف الحاصل، فالاستعمار قد قام بما قام به في ذلك واختفى أثره، لكنه ترك بصماته خلف الضعف الموروث في ذلك.

ومنه، فالذين أدلوا بأرائهم في هذه القضية انطلقوا مما هو مشاهد وحاصل من ظواهر ومؤشرات قابلة للقياس، لكن عنصر التاريخ وتراكماته ومتغيراته أمر غائب في التقييم، ولو أن السؤال الاستجوابي طرح في زمان سابق؛ لكان من المحتمل أن يتغير الجواب تبعا لتغير الظروف والمتغيرات الزمانية والموضوعية، فهناك الكثير من يشير إلى عزل وظائف المسجد وتقزيمها، لكن هذا الجواب لا يفصح عن السبب الخارجي وراء هذا العزل، لأنه من الممكن جدا أن يكون العزل أمرا مستهدفا من تدبير الشأن الداخلي.

ومن المشاكل الخارجية التي باتت تهدد المؤسسة المسجدية في نشاطها الوظيفي -خاصة خارج الديار الإسلامية أي في بلاد المهجر- مشكل التأثير بالأحداث التفجيرية والإرهابية التي يتبناها بعض منحرفي المعتقد ضد غير المسلمين؛ باسم الجهاد وإنكار المنكر، فكان من نتاج هذه الأفعال التخريبية التي تولد الفتن وإشاعة الفكر الثوري أن اتخذت بلدان المهجر عدة إجراءات وتدابير قانونية تحد من نشاط المسجد وتقيّد مجال عمله ومشاركته الحيوية، لأنهم يربطون تلك الأفعال مباشرة بالخطاب الديني الذي ينبعث أصلا من المؤسسة المسجدية، ولا يفرقون في ذلك بين الخطاب الديني المرجعي وبين الفهم الذي يجسده عمل الأشخاص، والذي قد يكون بعيدا عن مقتضيات ومستلزمات الخطاب الديني المرجعي.

وعليه، يمكن أن نقول تجوزا بأن مؤسسة المسجد صارت ضحية لسوء أفعال وتصرفات بعض المسلمين، فصار من اليسير على الغرب [ربط الإسلام بالإرهاب، ونشر العديد من المفاهيم الخاطئة ضد الإسلام ومبادئه] (مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ عبد السلام العزوي، ص 27)، ومما زاد في حجم هذا التأثير والتأثر في إطار هذا المشكل الخارجي هو إسهام وسائل الإعلام -التي تخدم مصالح أجندة خفية معادية للدين- في [تقزيم صورة المسجد وإظهاره بشكل سلبى قائم] (المسجد وترسيخ الفكر الوحدوي بالمغرب: محمد أمrani علوي، ص 65 بتصرف).

من أجل ما سطره الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي في هذا الصدد وهو يناقش قضية الفصل والوصل بين المسجد والإسلام في قوله: 'وكان من نتائج الدخن الذي بدأ يتدرج بتدرج فصل الدين عن السياسة، حتى وصل إلى ما وصل إليه الإسلام اليوم في عصرنا هذا، بفصله تماما عن الحياة السياسية والاجتماعية، إلا ما يتعلق بالشعائر التعبدية¹ كما حصل في المسجد نفسه، وناله الضعف الذي نال الإسلام نفسه، لأن المسجد والإسلام لا ينفصل بعضهما عن بعض، كما أن الأعداء لا يفصلون بينهما، ولذا متى ضرب الإسلام وأهله من قبل أعدائه؛ إلا وكانت أول ضربة موجعة تتوجه إلى المسجد وأنشطته العامة' (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص 255 بتصرف).

وبالتالي، فمناقشة قضية تأثير الحملات الإرهابية على إشعاع المؤسسة المسجدية ترتبط بما يمكن أن نسميه بالصورة النمطية الناتجة عن الإسقاط اللامنهجي، لأن هذا المشكل الخارجي هو نابع من خلل فكري. ومن المشاكل الخارجية التي هددت مجموعة من المساجد -خاصة في السابق بالمقارنة مع الوضع الحالي محليا ووطنيا- مشكل خراب المساجد ودمارها تبعا لسقوط ودمار حكم أو دولة ما، فتكون الظروف السياسية الخارجية التي تمر منها البلاد عاملا أساسا ومباشرا في طمس معالم مؤسسة مسجدية معينة، سواء كان هذا الطمس طمسا ماديا وذلك بزوال مكوناته التي به قوامه كالجران والأعمدة والأسقف التي بها يأخذ المسجد مسماه وكيونته، أو كان هذا الطمس طمسا معنويا بشل جميع الحركات المسجدية والأنشطة الوظيفية التي تنعش حياته وحيويته.

وقد يتولد الطمس المعنوي عن الطمس المادي لمؤسسة المسجد إذا طالها الخراب، إذ لا يعقل أن ينشط المسجد ويعيش حركية وظيفية ما وهو خاو على عروشه، يقول الأستاذ فريد أمعشوشو وهو يتحدث عن تأثير عامل التخريب على بعض المساجد المصرية التي عاشت من قبل نشاطا متميزا: 'فترات التخريب

¹ يمكن أن نصطلح على هذه النتيجة السيئة والمسيئة والمستهدفة التي وصل إليه الواقع العام لأغلب المؤسسات المسجدية بمصطلح: علمنة المسجد.

الطويلة التي مرت بالمسجد: فإذا كان تاريخ المسجد طويلا زما فإنه قصير حدثا- حسب تعبير الدكتور أحمد فكري- حيث انخفضت مكانته كمسجد جامع أول في مصر بعد سقوط الطولين' (مقال: المسجد موضوعا شعريا، فريد أمعشوش، ص 107)، وعلى العكس فإنه إذا كانت بعض المساجد تسهم عوامل خارجية في إضعاف روحها وتنويع رسالتها؛ فإن زوال تلك المشاكل أو التغلب عليها بأنجع الطرق قد يعيد لتلك المساجد نهضتها وتألّفها وسموها، ولذلك فخراب المساجد ليس علامة يأس وفقدان للأمل، فإن المساجد لا تذهب أبدا، يقول حمدا ولد التاه: 'إذا خرب ما حول المسجد؛ فقال ابن القاسم لا يتعرض لنقله ويترك على حاله، سواء رجيت عمارته أم لم ترج، وأجاز غيره من الأئمة نقل نقضه إلى مسجد آخر وبنائه به، بعد الرجاء في عمارته وعودة أهل القرية إلى سكنها' (زاد المتعبد في أحكام وآداب المسجد: حمدا ولد التاه، ص 35).

وليس وصف هذا المشكل الخارجي بأنه قديم ويرجع إلى سابق التاريخ مدعاة لعدم ذكره، بل الحاجة ماسة للتذكير به بقوة، وذلك لرد الاعتبار لمجموعة من المساجد التي تم هجرانها وتعطيل وظائفها، حتى أصبحت في حكم الأطلال والمآثر التاريخية.

وهنا لا بد من التنبيه على أن التعامل مع سائر الآثار يختلف اختلافا كليا عن التعامل مع المساجد التاريخية، إذ إن الحمولة التاريخية لهذه المؤسسة لا يمكن بأي حال من الأحوال تجريدتها عن حمولتها العملية والوظيفية، وذلك بما جرى فيها من خدمات ذات نفع متعدد ومصلحة شاملة للفرد والمجتمع، فالمسجد يمتدح بما فيه من أعمال ووظائف تعميرية، سواء عبادات أو مهمات تربوية أو اجتماعية أو ...، وذلك لأن مؤسسة المسجد -باعتبارها الترجمة العملية الحقيقية والوجه المكشوف للدين الإسلامي- لا تحتل فقط لغة التنظير والكلام؛ بعيدا عن العمل والحركة الدؤوبة اللذين يؤشران على حياة أهله حياة حقيقية لها طعم ومعنى، فالمساجد التي تأثرت بمشاكل خارجية طمست معالمها ثم انمحت تلك المشاكل بعد ذلك؛ ثبتت مسؤولية إعادة إحيائها وبعث الروح الوظيفية فيها من جديد، وإلا غُدد ذلك تفريط فيها وسعي غير مباشر نحو طمس معالمها وهويتها. وعلى وجه العموم، يمكن أن نحمل أبرز الأسباب الخارجية وراء تدهور وضع الرسالة الوظيفية لمؤسسة المسجد فيما يلي:

- 1- تأثير الأوضاع السياسية للبلاد على استقرارها.
 - 2- تأثير مخططات المستعمر الهادفة إلى المساس بالشأن الديني والنيل منه، ويوازي ذلك تأثير المسلمين بمظاهر الحضارة المادية عند الغرب، وتضييق الخناق عليه في بلاد المهجر.
 - 3- إصباغ التهم والأحداث السيئة بهذه المؤسسة، سعيًا نحو تشويه سمعتها وتقزيم أثر رسالتها.
- أما الأسباب الداخلية التي ساهمت في هذا الإضعاف؛ فمن أبرز ما تم تسطيره نظريا وتطافت حوله أجوبة مجموعة من المستجوبين في هذا الصدد نجد:

1- الجهل بمحورية ومركزية المؤسسة المسجدية وقدرتها على قيادة المجتمع:

لقد كان من إفرازات الجهل المتعلق بموقع المؤسسة المسجدية ضمن المنظومة الإسلامية - في كليتها وشمولييتها- توليد تصور نمطي محدود وضيق جدا حول النظرة الوظيفية لهذه المؤسسة، [حتى ارتسم عند البعض أن المساجد لا تصلح إلا لقيام الصلاة والذكر، وما عدا ذلك فله مؤسساته وأماكنه] (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص265).

ويمكن أن نقول أن هذا الجهل سبب ونتيجة في الآن نفسه، فإذا نظرنا إليه من جهة ما يظهر وينتشر من أفكار الناس في الواقع المعيش؛ فإنه يؤثر لنا عن نتيجة حتمية لمجموعة من الأسباب أرادت من المؤسسة المسجدية أن تصيرها وفق ذلك المظهر، وإذا نظرنا إليه من جهة المقارنة بين واقع المسجد في سالف العصور والحالة التي أضحي عليها؛ فإننا سنقول أن هذا الجهل سبب في تخلي المسلمين عن مؤسستهم التي هي رمز عزتهم وقوتهم ونهضتهم، ورد في مؤتمر رسالة المسجد ما نصّه: 'وحيث نقف اليوم على مساجدنا؛ فإننا لا نرى فيها هذه الملامح المشرقة، ذلك لأن دور المسجد أخذ يتضاءل مع عصور الانحطاط والتأخر وغفلة المسلمين عن المؤامرات الأجنبية التي استطاعت في فترة ركود الحماس الديني أن تعمل على تعطيل منابع القوة والوحدة في كيان الأمة، وذلك نتيجة لجهل المسلمين وانصرافهم عن القيام بالدور الرائد الذي خصّهم الله به كخير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف ... وينهون عن المنكر ...، حتى رأينا مساجدنا وقد انحصرت في دائرة ضيقة لا تتعدى أداء الصلوات الخمس يوميا .. وتبقى بعد ذلك مقفلة' (مجلة البحوث الإسلامية: مؤتمر رسالة المسجد، ص448).

وحينما يكون الجهل بحقيقة هذه المؤسسة ووظائفها في المنظومة الإسلامية أمرا متحققا لا محالة، فإن هذا الجهل يكون حينها جزءا من الجهل الكلي بهذا الدين ونواميسه وأسراره، ويتجلى ذلك في مجموعة من الشبهات التي تثار حول استرجاع المكانة السابقة للمؤسسة المسجدية في السابق من خلال استعادة مجموعة من الأنشطة الوظيفية إلى واقعها العملي، فنجد حينها من يقول: إن الواقع الحالي لا يسمح بأن يؤدي المسجد هذه الوظيفة نظرا لأن العهد القديم يختلف عن الواقع المعاصر، في حين أن الضعف الحيوي الذي يعيشه المجتمع الحالي يُجَرِّب معه جميع الحلول والإمكانات، إلا الحلول التي تتخذ من المسجد محورا ومنطلقا في هذا التغيير وهذا الإصلاح؛ فإنها تُبادر بالنفي وعدم القبول من أول وهلة، وكأن المسجد صفدت في طريقه مفاتيح المشاركة في المجتمع واستنفذت فرص ومحاولات مواكبة أحوال أفرادها.

2- تدني مستوى الأئمة والقيمين الدينيين عامة:

وذلك لأن هذه الفئة تشكل قطب ومحور الأنشطة الوظيفية لهذه المؤسسة، فهي المحرك الأساس لها والأداة الأولى لإنجاحها، وإن اختلفت مجالات العمل الوظيفي المسجدي وتعددت أهدافه، ويمكن رصد هذا التديني بجلاء في موطينين أساسيين:

الموطن الأول: الزاد المعرفي الشرعي المطلوب توفره فيمن يتصدى لهذه المهمة، حيث نجد أناسا في هذا المجال يفتقدون للحد الأدنى من المعايير التي يلزم توفرها في ممارسة نشاطهم المسجدي، فهناك أئمة لا يتقنون القراءة المرتلة بما يسهم في خشوع وتدبر المصلي أثناء صلاته.

الموطن الثاني: القدرة والكفاءة على مواجهة التحديات المعاصرة وتقديم حلول لمشاكل العصر ومطالبه المتزايدة (مؤتمر رسالة المسجد: مجلة البحوث الإسلامية، ص 448).

ومن العناصر التي أسهمت في ترسيخ هذا التديني وتأكيد داخل المجتمع هو التعامل المقصود أو غير المقصود الذي تُعامل به هذه الفئة من طرف مختلف الشرائح الاجتماعية المكونة للنسيج المجتمعي العام، حيث تتعرض للتهميش، من خلال إظهار ضعف مكانتها الاجتماعية عبر الكلمة العرفية المتداولة: فلان ليس إلا فقيه أو مؤذن، وأصبح عامل حجم الراتب هو المعيار المتحكم في المركز الاجتماعي الذي يحتله القيم الديني، [فتراجعت مكانتهم الاجتماعية بالمقارنة مع ما كانت عليه من قبل] (محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين: عبد السلام العزوزي، ص 27).

ويرجع الحديث عن هذا السبب الداخلي بالأساس إلى موضوع الأمانة والمسؤولية والرقابة في أداء المهن والوظائف، وهو الأمر الذي لا يمكن اعتباره مقصورا على هذا القطاع، بل هو ممتد خارجه بلا شك، فكل قطاع فقدت فيه هذا القيمة؛ فإنه آيل للضعف والسقوط لا محالة.

كما أن هذا السبب هو نتيجة حتمية لعدم التعامل الصارم والدقيق مع شروط قبول وتعيين هؤلاء القيمين الدينيين في مناصبهم، وذلك بوضع معايير حاسمة لا يتنازل في شأنها ضمن عملية الانتقاء، حفاظا على مصداقية المنصب وشرف المهام، فكثيرا ما يحصل تساهل في إسناد هذه المهمات واعتبار جوانب أخرى غير موضوعية في تكليفهم بهذه المسؤوليات، مما ينتج عنه من تردّد في جودة الوظائف المسجدية المقدمة وشيوع الظواهر اللاأخلاقية في التسيير والتدبير ضمن الشأن الديني، والذي يفترض فيه أصالة أن يحمل المشعل وأن يكون القدوة التي يحتذى بها في هذا الصدد، فيصبح كثير من الناس إذا دخلوا هذه المساجد التي فيها من هذا الصنف يصلون وكأنهم لم يصلوا، فلا يلمسون تغيرا فيها، ولا شك أن الواقع الحالي أكبر دليل وأوضح مؤشر على هذا التساهل الانتقائي.

وقد يقول قائل إن هذا السبب المتعلق بتديني مستوى الأئمة والقيمين يرجع بالأساس إلى قلة عدد المؤهلين لممارسة هذه المهمة، لكن الحل المرتبط بهذه المشكلة يعود بالأساس إلى ضرورة الاشتغال عبر منهج

التكوين والإعداد لتأهيل نخبة من هذه الفئة، وذلك حتى تكون قادرة على تقلد هذا المهام بنجاح، على غرار مركز تكوين الأئمة المرشدين الذي يساهم في تكوين وتأطير المرشدين، ولعل السبب وراء هذه القلة في أعداد المؤهلين-إضافة إلى ضعف عامل التكوين والإعداد-المهمة الإمامة هو [عزوف القادرين على تحمل هذه المسؤولية، بحجة أنه يربطهم عن الكثير من حوائجهم وأشغالهم] (مجلة البحوث الإسلامية: مؤتمر رسالة المسجد، ص464).

3- ضعف مستوى إشراف وتدخل الوزارة الوصية على القطاع:

تكاد تتفق أغلب آراء المستجوبين -دون التفصيل في جزئيات ألفاظها- على أن الوزارة الوصية على القطاع تحول في كثير من الأحيان دون تحقيق المؤسسة المسجدية للمنتظر منها على المستوى الوظيفي، وذلك بأساليب شتى، قد تكون في بعضها إدارية متعلقة بنوع العلاقة بينها وبين موظفيها من أئمة وقيمين، أو إدارية من حيث القوانين والقيود المرتبطة بالمساجد، وقد تكون في بعضها وظيفية تنميطية¹، وذلك بالسعي نحو جعل المؤسسة المسجدية في قالب وظيفي معين لا يقبل التغيير ولا التجديد ولا الانفتاح المجتمعي، يقول الأستاذ عبد الله الوشيلي معبرا عن هذا العامل المؤدي إلى تدني رسالة المسجد على المستوى الداخلي: 'سيطرة الجهات الوصية على بعض المساجد وأنشطتها لهدف معين' (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص265)، وغالبا ما تكون هذه السيطرة تحت تأثير إملاءات خارجية وضغوط من أعداء الدين، الذين يجدون -مع الأسف الشديد- آذانا صاغية تستجيب لما يلقون من سموم ومخططات تستهدف تخطيط وتجفيف منابع التي تتخذ من الإسلام مرجعية وأصلا.

ويستوقفنا هنا سؤال الوسطية والاعتدال في التعامل الإشرافي مع العمل الوظيفي المسجدي، باعتباره مدخلا رئيسا للإصلاح في هذا الشأن، فتشدد الوزارة في ممارسة ضغوطها وقيودها وسلطتها على المساجد لا تجني منه هذه المؤسسة إلا الضعف والتردي وفي أحسن الأحوال عدم الرقي والتقدم، كما أن التساهل في تتبع ومراقبة الشأن المسجدي في شقه الوظيفي مدعاة إلى التكاثر والحمول وانسلاخ المؤسسة المسجدية من مسؤوليتها المنتظرة في المجالات الإيمانية والتربوية والاجتماعية والسياسية، فتصبح بذلك رمزا للسلبية والانعزال المجتمعي، وذلك من خلال استئصالها الصورية عن ممارسة مجموعة من الوظائف ومواكبة مجموعة من الأحداث الحية.

¹أي: على نمط معين وقالب دقيق محدود ومرسوم المعالم قد حُدّد سلفا، بحيث لا يجوز الخروج عن حدوده المرسومة لخدمة أهداف معينة.

وبالتالي، يتعين على الوزارة الوصية على القطاع في إطار ممارسة صلاحياتها وسلطاتها على طول امتدادها الوطني أن تتعامل بمنطق الوسطية والاعتدال في علاقتها مع المؤسسات المسجدية -مراقبة وتتبع وتنشيطا-، مع توفر الإرادة الباعثة على الإصلاح، لأن الإرادة هي أصل ومنطلق مباشرة العمل الإصلاحي، والملاحظ أيضا في هذه العلاقة المشار إليها -بشكل موضوعي وصادق- هو غياب منطق التحفيز والتشجيع في التعامل مع المبادرات الخلاقة والأنشطة الوظيفية، مع العلم أن هذا الأسلوب المعاصر هو من أرفع الأساليب الناجعة والفعالة التي تقود نحو العطاء والتنافسية والإنتاجية، فقلما نسمع من الوزارة الوصية على القطاع أنها قامت بتخصيص جائزة معينة أو مكافأة مادية محفزة لمن ينجح في نشاط معين من الأنشطة المسجدية التي تحظى بحيوية وتفاعل كبيرين، وذلك حتى يحذو حذوه باقي المساجد التفاعلية، من أجل خلق دينامية وتنافسية في الأنشطة والمبادرات التي تحرك المجتمع وتبعث الروح والدفء في أحضانها.

وتجدر الإشارة أنه يزداد حجم غياب الوزارة الوصية في ممارسة إشرافها الوظيفي في منهجه الوسطي المعتدل بشكل كبير وملحوظ في المساجد التي تقع بالبوادي، رغم أن هذه المؤسسات المسجدية منها ما يتوفر على مستوى من التجهيز المادي والمرافقي بشكل ممتاز أكثر مما هو عليه في بعض مساجد المدينة، وفي مقابل ذلك نجد أن أهل هذه المساجد البدوية متعطشون بلهفة إلى من يغذي أرواحهم ويسقي أذواقهم إيماناً ونفسياً وتربوياً واجتماعياً، أي أنهم يعانون من خصاص يستدعي تدخلا وظيفيا من الوزارة الوصية واهتماما منها بهذه الأماكن التي أصبحت هي الأخرى على غرار المدن والحواضر تتسرب إليها مجموعة من الظواهر السلوكية الشاذة التي تبعد عن الفطرة السوية والمنهج القويم.

وعليه، فإن هذا الغياب يشكل عاملا مؤثرا بقوة وفي اتجاه سلبي خطير، يصير هذه المساجد القروية - في أغلب الأحيان- أماكن مقصورة على أداء الصلوات الخمس، إلا إذا تدارك الأمر أهلها ببعث روح الحياة والفاعلية الوظيفية بأرجائها، وذلك بإبقائها حية مسايرة -على الأقل- للأجواء الاجتماعية اللازمة في المنطقة.

4- الأنشطة والسلوكيات الممارسة وظيفيا في مجموعة من المساجد الحالية:

ليست كل الأنشطة الوظيفية التي تقام في المؤسسة المسجدية تنهض برسالتها الوظيفية، بل على العكس في ذلك قد تكون هناك من الأنشطة ما تعود ممارستها سلبا على الرسالة المسجدية -خاصة إذا تعلق الأمر بجانب العبادات-، وبالتالي فالممارسة الوظيفية للأنشطة المسجدية في شقها التعبدي الروحي ممارسة علمية تأصيلية ومقصدية في الآن نفسه، أي: لا يسوغ فيها حسن القصد غرض الطرف عن جانب التأصيل العلمي، بل لا بد في ذلك من الجمع بين حسن القصد والتأصيل العلمي التعبدي، يقول الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي في ذكر مجموعة من الممارسات الداخلية التي تشكل أسبابا تعطل الرسالة الوظيفية والتفاعلية للمسجد:

¹-البدع وزخرفة المسجد تشبها بالنصاري.

-دفن الموتى بأفنية المساجد وبناء القبور والقباب عليها "لا تتخذوا القبور مساجد"¹.

-بناء الأريطة والزوايا من قبل بعض المتصوفة استعاضة بها عن المساجد.

-إغلاق أبواب المساجد من بعض القائمين عليها أو الحكام السياسيين، بدعوى الحفاظ على مصالح المساجد وزينتها أو لتحقيق هدف سياسي¹ (المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص256/ 258 بتصرف).

فالممارسات والأنشطة المسجدية الوظيفية إذا تجردت عن العلمية؛ تكون مدعاة ومجلبة للتفرقة وتحويل الفضاء المسجدي إلى جو لممارسة طقوس ذات أبعاد معينة بعيدة عن تغذية الروح وتهذيب النفس، بل هي ترجمة لاتجاهات عقدية وإيديولوجية ترضي مصالح أطراف واتجاهات معينة ذات خلفية خاصة، ولا تحقق إرضاء الأمة في شموليتها، ثم إن إغلاق أبواب المساجد سلوك ينبغي أن ينضبط بدقة وإحكام وفق منهج الوسطية والاعتدال، دونما إفراط أو تفريط، لأن هذا الأمر -رغم يسره- قد يكون عاملاً مؤثراً بقوة في إضعاف الرسالة المسجدية دون التفتن إليه، فكثرة وطول إغلاق أبواب المساجد مؤثر على ضعف اشتغاله وغيابه عن الحياة العامة، ومن أراد أن يتمعن هذا الأمر بقوة؛ فلينظر إلى ردة الفعل التي تكون عندما نتردد على محل معين أو مرفق لقضاء مصلحة معينة؛ فنجد هذه الوجهة في كل مرة مصفدة في وجوهنا، فلا شك أنه حينها ينطبع عندنا تصور سيئ وسليبي اتجاه هذا المرفق أو هذه المصلحة.

وبالتالي، يتعين أن يكون لمؤسسة المسجد التفاعلي نظام مناسب متميز في تعاملها مع إغلاق وفتح الأبواب، بما يضمن ويلائم صفة التفاعلية والوظيفية لهذه المؤسسة، ويحقق إشعاعها الخارجي بنجاح وتوفيق، وأن يكون هذا النظام معلوماً عند الناس، لأنهم هم المستفيد الأول والأخير من ذلك.

5-المكانة التي يحتلها المسجد عند كثير من المسلمين:

¹ جزء من حديث نبوي صحيح، من رواية جندب، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: ((إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا؛ لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ)) [صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، رقم: 532، ج1/ ص377].

لقد أصبح المسجد عند كثير من المسلمين أمرا ثانويا وهامشيا في حياتهم، ليس لأمر أو سبب ذاتي يتعلق بالمسجد نفسه أو بما يقدم فيه، بل هكذا أصبح نمط الحياة عند هذه الفئة، حيث تتميز العلاقة بينهم وبين هذه المؤسسة بقطيعة تامة وهجران حقيقي، لا أقول إن هذه الفئة لا تعرف المسجد إلا في المناسبات والأعياد، بل لا تعرفه أصلا، لا في المناسبات ولا في الأعياد، فالمسجد خارج حساباتها وبعيد عن قاموس تفكيرها، ولعل هذا السبب الداخلي قد تولد عن مجموعة من العوامل أهمها عاملان اثنان:

-الاهتمام بملذات الحياة والإقبال على المادة وإيثارها على حسنات وأجور المسجد، حتى أصبحت سمة هؤلاء استكثارهم دقائق ينتظرون بها صلاة أو يسمعون فيها درسا (مجلة البحوث الإسلامية: مؤتمر رسالة المسجد، ص464).

-الانبهار والتأثر بالحضارات الغربية في نمط حياتها (المسجد وترسيخ الفكر الوجدوي بالمغرب: محمد أمrani علوي، ص64 / 65).

يتحصل إذن في إطار مقارنة بعض الأسباب الداخلية الكامنة وراء تقهقر الرسالة الحالية لمؤسسة المسجد أنها تتجمع فيما يلي:

1-الجهل بمحورية ومركزية المؤسسة المسجدية وقدرتها على قيادة المجتمع.

2-تدني مستوى الأئمة والقيمين الدينيين عامة.

3-ضعف مستوى إشراف وتدخل الوزارة الوصية على القطاع.

4-عدم إحكام وضبط نوعية الأنشطة والسلوكيات الممارسة وظيفيا في مجموعة من المساجد الحالية.

5-انحطاط المكانة التي يحتلها المسجد عند كثير من المسلمين.

الفصل السابع:

التحليل الوصفي

لمعطيات نتائج

الاستمارة الميدانية

1.7. التحليل الوصفي لجدول المتوسطات.

1.1.7. وصف النتائج المتوسطة ومقارنتها.

المتوسط	السؤال
3,62	cog1
4,00	cog2
2,24	cog3
3,47	cog4
4,29	cog5
3,45	cog6
3,94	cog7
4,40	cog8
4,40	cog9
4,21	cog10
4,41	cog11
4,34	cog12
3,32	cog13
3,57	cog14
3,49	cog15
3,29	cog16
3,83	cog17
3,43	int1
2,46	int2
3,48	int3
4,14	int4
3,31	int5
2,36	int6
3,51	int7
4,10	int8
3,67	int9
3,91	int10
3,62	int11
3,00	int12
3,93	int13
4,39	int14
4,34	int15
3,99	int16
1,88	int17
3,96	int18

يشير الرمز المختصر cog إلى طبيعة السؤال، أي: اندراجه ضمن المجال الأول في الاستمارة، وهو المجال المعرفي للموضوع الرئيس للاستمارة، في حين يشير الرمز المختصر int إلى اندراج السؤال ضمن المجال التفاعلي وهو المجال الثاني المكون للاستمارة.

يحتسب متوسط كل سؤال بجمع اختيارات المستجوبين (النقطة المماثلة لكل اختيار) كلهم؛ والمتعلقة بالسؤال المعني بالحساب، ثم اقتسام المجموع المحصل على العدد الإجمالي للمستجوبين، حيث يمثل: 200 في هذه الدراسة.

ويعتبر المعدل 3 هو القيمة المتوسطة لكل متوسط حسابي، وذلك لأن هناك 5 تقديرات تنقيطية من 1 إلى 5 توافق كل سؤال على حدة كما هو جلي في تموضع وتنظيم الأسئلة الاستماراتية؛ أي أن القيمة 3 هي المؤشر المتوسط لكل سؤال.

نلاحظ من خلال جدول المتوسطات أن القيم الإحصائية تتراوح بين 1,88 كأدنى قيمة و4,41 كأقصى قيمة في هذه المتوسطات، مع وجود قيمة 4.40 توافق سؤالين من أسئلة الاستمارة، وهي قيمة تداني القيمة القصوى المسجلة في هذه المتوسطات.

توافق القيمة الدنيوية 1,88 السؤال التفاعلي رقم 17 من الاستمارة، وهو السؤال الذي يتعلق بظاهرة التسول وسؤال الحاجة بداخل المسجد.

أما القيمة القصوى للمتوسطات والمتمثلة في 4,41 فهي توافق السؤال المعرفي 11 من أسئلة الاستمارة، وهو السؤال الذي يتعلق بالمقارنة بين الأهداف التي يحققها المسجد والأهداف التي تحققها دور العبادة (الكنائس والبيع) خارج الإسلام.

ونجد القيمة 4,40 التي تداني القيمة القصوى 4,41 توافق سؤالين من أسئلة الاستمارة السؤال المعرفي 8 والسؤال المعرفي 9، فالسؤال المعرفي 8 يتعلق بأثر المسجد في ترسيخ القيم التربوية في نفوس الأطفال من خلال المسجد، أما السؤال المعرفي 9 فهو يتعلق بأثر المسجد في البناء الحضاري للأمة.

نلاحظ من خلال تأمل جميع المتوسطات الحسابية في الجدول أنه ليس هناك سوى أربعة أسئلة من أصل خمسة وثلاثين سؤالاً، حيث تقل قيمتها المتوسطة عن 3، بمعنى أن أكثر من المعدل المتوسطي يتحقق في واحد وثلاثين سؤالاً.

2.1.7. تحليل النتائج المتوسطة.

إن القيمة الدينية المسجلة في المتوسطات والتي توافق سؤال التسول في المسجد تؤثر على تصور مجتمعي خاص لنوع العلاقة التي يريدها المستجوبون بين المحتاج وبين المسجد، فظاهرة التسول عندهم لا تعني بالضرورة تعطيل الوظيفة الاجتماعية للمؤسسة المسجدية، وإنما هناك حرص على صيانة مختلف الوظائف المسجدية الأخرى وضبط للتوازن اللازم بينها، وذلك حتى لا تختل إحداها بطغيان الأخرى، فظاهرة التسول في المسجد لا تخلو في ممارستها الواقعية من تشويش ورفع للأصوات وتضييق على الوظيفة الروحية التعبدية للمسجد وما تستلزمه من خشوع وطمأنينة وتدبر، مما لا يمكن أن يتحقق في ظلّ هذا التسول في المسجد، وبالتالي فإننا سنكون في هذه الحالة أمام اختلال وظيفي ولا توازن في المهام بين النشاط الروحي والنشاط الاجتماعي في مؤسسة المسجد.

لا يمكن لمؤسسة المسجد أن تحتل بُعدها وأثرها الاجتماعي في مجرد تقديم دربهات معدودة لأفراد قد يكونون ممن يحترفون مهنة التسول، وليسوا بالضرورة من المحتاجين والمستحقين لهذا النوع من العطاء، ولذلك نجد النصّ القرآني صريحاً في عدم ربط الحاجة والفاقة بفعل التسول ومدّ اليد¹، كما أن الممارسة الوظيفية للنشاط الاجتماعي في تاريخ المسجد لم تكن يوماً ما مترجمةً فقط في هذا الشكل على سبيل التخصيص، والذي لا بد فيه من انضباط بقيود وشروط حتى لا يحقق على إثر ذلك مفسدة من المفاسد، بل كانت الممارسة الوظيفية الاجتماعية بالمسجد متنوعة الأشكال والأهداف، لأن المادة لم تكن هي الهاجس الأوحده الذي يؤرق مضاجع المسلمين على مرّ تاريخ الدعوة الإسلامية.

ويمكن أن نضيف أمراً آخر يكتنف ممارسة هذه الظاهرة الاجتماعية؛ ألا وهو الملل المتولد عن العادة، فكثير من الناس يسأم من كثرة تردد هذه الظاهرة بشكل كبير، بل أصبحت مساجد بعينها معروفة بانتشار هذا الأمر، حتى إن الوجوه التي تمارس هذا النشاط لا تكاد تتغير في تلك المساجد على طول فصول السنة، مما يثير الشكوك في النفس، سيما وأن كثيراً ممن يمارسون هذا النشاط يؤثرون أمواله، والتي تأتي بلا جهد ولا كسب، فيشبههم ذلك عن التكسب والتعفف، مما يتنافى كلياً مع المقصد الشرعي الخلقي في الحث على العمل والاكتساب من عرق الجبين.

¹ تقدم في ذلك الاستشهاد بالآية 273 من سورة البقرة كما في الصفحة 338 من هذا البحث.

إن التصور الذي يطبع النظر إلى ظاهرة التسول في المسجد-عند هؤلاء المستجوبين-هو تصور نابع من رؤية مقصدية واقعية، وهي رؤية تحكمها الموازنة بين المصلحة والمفسدة المترتبتين على الفعل، فليس معنى عدم القبول لهذه الممارسة الاجتماعية وجود رفض مطلق لوظيفة اجتماعية حيوية من الوظائف التي يضطلع لها المسجد، أو التأثير بفكر معين له نظرتة الضيقة المحدودة لموقع المسجد في المجتمع تقضي بعزل وظائفه عن المجتمع والواقع، ودليل ذلك هو المؤشر الرقمي 1.88، بمعنى رجحان الميل نحو القيمة 2، أي التي تقابل الاختيار: غير موافق، حيث إن هذه الصيغة لا تفيد بالضرورة الرفض النهائي، لأن هناك اختيارا بجوارها صيغته: غير موافق بتاتا، فلو كانت أغلب المواقف تتجه نحو الرفض النهائي؛ لحصلنا ميلا نحو القيمة 1، مع أن احتمال عدم انتباه المستجوب لكل الخيارات الممكنة في السؤال؛ ومن ضمنها الاختيار الخامس يظل احتمالا ضعيفا، وذلك في ظل المواصفات الثقافية لأغلب المستجوبين، والتي تبين حسن تجاوزهم وتفاعلهم كمؤشر إيجابي على الفهم والاستيعاب الجيدين للسؤال.

إن هناك فرقا شاسعا وبونا كبيرا بين التسول كحرفة وامتهان يومي، يصبح إلفا وعادة في الممارسة عند من تسول له نفسه ذلك ويتلذذ بما يجمعه من مال على إثره، وبين من تدعوه الحاجة الملحة وضائقة معينة إلى أن يمدّ يده في ساعة ما على وجه الاضطرار من غير استكثار.

أما القيمة القصوى والتي توافق السؤال المتعلق بالمقارنة بين الأثر الوظيفي للمسجد مع الأثر الوظيفي للكنائس والبيع، فإن هذه القيمة تؤثر على الأمل المعقود في رسالة المسجد والثقة المجتمعية في مختلف وظائفه، وأن هؤلاء المستجوبين يسجلون ارتياحهم العام لعطاء المسجد، رغم ما يكتنف الرسالة المسجدية من خلل وتعثر، وبالتالي فهم يعبرون عن حسّهم الديني وتعلقهم العاطفي بهذه المؤسسة، مهما كان بُعدهم عن التطبيق الوظيفي لتعاليمها.

وبالتالي، تعبر هذه القيمة عن قياس هؤلاء المستجوبين لحجم مشاركة المسجد وانخراطه في حياتهم العامة وحاجاتهم التربوية والاجتماعية، وذلك بالمقارنة مع حجم هذه المشاركة في البلدان التي تعرف وجود المؤسسة الدينية الكنسية أو البيعة، فنظرة هؤلاء المستجوبين لهاتين المؤسستين هي أنهما مؤسستان صورتان شكليتان، كما أن أثرهما ضعيف، وذلك بالمقارنة مع المسجد الذي يتميز بأثر معين قابل للقياس والملاحظة في المجتمع الإسلامي، وهذا القياس أمر جلي عند هؤلاء المستجوبين، نظرا لاعتمادهم على النتائج الواقعية التي يمكن رصدها من خلال العلاقات المنسوجة في الأوساط مع كل مؤسسة على حدة.

يمكن القول إن السمة التي تطبع هؤلاء المستجوبين في تفاعلهم مع هذا السؤال هي أنهم فئة تتمتع بثقافة محافظة وأصيلة، بغض النظر عن حجم تدينهم وكم قرباتهم، لأن النظرة التقديرية نحو المؤسسة المسجدية تحمل وراءها دلالات مليئة بالتقدير والاحترام والقدسية نحوها، بالإضافة إلى الثقة فيما تسديه من منافع تعود على الفرد والجماعة بالخير العميم.

فالملاحظ في هذا السؤال أن من مجموع الذين أجابوا بالموافقة أو الموافقة الجيدة يوجد 99 مستجوب لهم مستوى جامعي (إجازة/ ماستر/ دكتوراه)، وذلك من أصل إجمالي للجامعيين يقدر ب 125، أي: نسبة 79,20%، ولا شك أن هذه النسبة الكبيرة تبين أن المستوى الثقافي والدراسي له أثر فعال في فهم واستيعاب الموقع الوظيفي الذي يحتله المسجد التفاعلي داخل المجتمع، سواء كان هذا الموقع حاضرا أو مغيبا لأسباب معينة، وأنه كلما ازداد هذا النوع من الوعي والإدراك؛ ازدادت معه نسبة اكتشاف الخلل في وظائف المؤسسة الدينية خارج الإسلام.

ولا أجزم بالإطلاق في إطار التعامل مع هذا السؤال -من حيث صيغة وضعه وما يحتمله من أجوبة- أن كل التقييمات الصادرة من المستجوبين موضوعية، بل يمكن أن يحكمها الحس العاطفي النابع من مرجعية الانتماء، لكن نتائج أجوبة المستجوبين على أسئلة أخرى تبرز أن هناك نسبة من الموضوعية حاضرة، ولا يمكن أن نعدم صفة الموضوعية على الإطلاق فيما تحصل من نتائج إحصائية، ودليل ذلك أن السؤال 17 المتعلق بحجم المشاكل التي تعاني منها مؤسسة المسجد نجد فيه 131 أجابوا بوجود مشاكل كثيرة ومتداخلة تحول دون تحقيق مؤسسة المسجد لما هو منتظر منها وظيفيا وتفاعليا.

من خلال تتبعي لعدد المستجوبين الجامعيين من هذا الرقم وجدت مجموع 87 من أصل 131 جامعا كلهم أيدوا الاختيارين الرابع والخامس (مشاكل كثيرة ومتداخلة)، بل عندما استعملت تعليمة ¹filter في كلا السؤالين 11 و 17 بالتركيز على المستوى الجامعي حصلت على عدد 66 مستجوبا جامعا أجاب بتفضيل الأثر الوظيفي للمسجد على دور العبادة الأخرى، وفي نفس الوقت بوجود مشاكل كثيرة ومتداخلة، وبالتالي فهذه الفئة لها من الوعي ما يمكنها من التمييز بين الحقيقية الوظيفية وبين الحقيقة الواقعية في الأنشطة الممارسة بمؤسسة المسجد، وهذا ما يضيف صفة الموضوعية على نسبة كبيرة من الأجوبة المحصلة كما تبين.

¹ داخل الملف المعد وفق برنامج Excel.

وعليه، يمكن القول إن احتمال إمكانية غياب التقييم الموضوعي في السؤال 11 ليس احتمالا قويا بالشكل الذي يمكن معه إلغاء نتائج استجابات هذا السؤال، وذلك نظرا لطبيعة المستوى الثقافي للفئة المستجوبة، ونظرا كذلك لوجود أسئلة أخرى تمكن من قياس حضور هذه الموضوعية من غيابها في التفاعل الاختياري للمستجوبين داخل الاستمارة.

أما فيما يخص القيمة المتوسطة 4,40 وما يقابلها من علاقة المسجد بالطفل؛ فإن النتائج تظهر أن المستجوبين لهم اهتمام كبير بتربية وتنشئة أطفالهم، حيث يعولون في ذلك على أثر المؤسسة المسجدية وما تستهدفه من تغيير إيجابي على هذه الفئة، ولعل هذا التطلع من هؤلاء المستجوبين يرجع بالأساس إلى معرفتهم بالعلاقة التي نسجها التاريخ الإسلامي بين الطفل وبين مؤسسة المسجد، وبالتالي فهم يتطلعون إلى مشاركة المسجد ضمن هذا الورش التربوي، وذلك في ظل الخصائص الواقعي المسجل في هذا المجال، بالإضافة إلى تدافع عدة جهات وأصعدة في الاتجاه المعاكس، أي: نحو تهدم القيم الأخلاقية والتربوية، فلعل هؤلاء المستجوبين يستنجدون بالوظيفة المسجدية لمقاومة هذه التيارات الجارفة، أو أنهم ممن أثبتت لديهم التجربة الوظيفية المسجدية نجاحها في حمل الأطفال على جميل السلوك وأرقى القيم.

وضمن نفس القيمة السابقة والتي تقابل إسهام المسجد في بناء الحضارة الإنسانية؛ فلا شك أن التقدير الإيجابي من المستجوبين لهذه القضية يؤشر بشكل قوي على أن مؤسسة المسجد تمتاز برسالة عالمية، أي: أنها غير محدودة وغير مخصوصة في التوجيه والاستهداف التبليغي، وذلك لأن الرسالة المسجدية هي بؤرة الرسالة التشريعية العامة، حيث إن من سماتها البارزة العالمية، وذلك انطلاقا من قوله تعالى: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (سورة الأعراف: الآية 158).

ومن المؤشرات التي تؤكدتها النتيجة المتوسطة لهذا السؤال أن المستجوبين بلغوا درجة مهمة من الوعي والإدراك المتعلقين بالعمل الوظيفي لمؤسسة المسجد التفاعلي، مما يجعلهم ينظرون إلى هذا العمل المسجدي نظرة وسطية واعتدال، ملؤها الانفتاح والإشعاع الإنساني، بالإضافة إلى عدم اقتصره في ذلك على المسلمين، بل امتداده في ذلك إلى غيرهم تأكيداً على عالمية رسالة هذا الدين، أي أن المهام الوظيفية للمسجد يُفترض فيها حضارياً أن تأخذ على عاتقها نسج علاقة وظيفية رسالية مع غير المسلمين، حيث إن القول بخلاف هذا

الانفتاح لا يعدو أن يكون واحدا من أمرين، إما جهلا أو تعتيماً لهذه العلاقة الحضارية المؤصلة شرعا وتاريخا، وإما انغلاقا وتشددا بمسلك التأويل المحدود والضيق، والذي لا يأخذ بعين الاعتبار الجوانب المقصدية والمصلحية التي تؤطر نظير هذه القضايا.

فمن أصل 174 مستجوب ممن عبروا بالموافقة أو الموافقة الجيدة على إسهام المسجد في بناء حضارة الأمة، نجد منهم 106 من ذوي التخصص الجامعي (إجازة/ ماستر/ دكتوراه) هم الذين يشكلون هذه الفئة؛ أي: كلما ازداد المرء وعيا وثقفا؛ ازداد إيمانا ويقينا بأن المسجد هو الوسيلة التي بها حققت الأمة نخصتها وشهوها في مواكبة ركب التقدم وإعلاء قيمة هذه الأمة، سواء في مجالها الروحي القيمي أو في مجالها المادي الملموس، أي أن التطور الحضاري للأمة لم يكن يوما ما مفصولا ومعزولا عن التمسك بالدين.

2.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد بالأمن.

1.2.7. توصيف العلاقة إحصائيا.

نوعية الإجابات المسجلة	الإجابات المؤيدة للإسهام المسجدي في تحقيق الأمن بشكل كبير جدا أو بشكل كبير (5/4) ¹	الإجابات المعارضة للإسهام المسجدي في تحقيق الأمن أو التي ترى ضعف هذه العلاقة (2/1)
العدد الموافق لكل نوعية	142	22
النسبة المئوية من مجموع الإجابات الكلية (200)	71%	11%

يلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن هناك تباينا كبيرا وتفاوتا ملحوظا بين النسبة المسجلة في التأييد وبين النسبة المسجلة في المعارضة، حيث يقدر الفرق بينهما بأكثر من الضعفين، وتبقى النسبة التي تمثل الفارق 18% تقابل التنقيط 3 وهو الذي يماثل المتوسط أو موقف الحياد للعلاقة، أي: الموافقة النسبية بين التأييد المطلق والمعارضة الكلية.

¹ يقابل هذا التقييم التنقيط المتعلق بكل اختيار من الاختيارات الخمسة في كل سؤال، وذلك حسب درجة قوته.

2.2.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

من خلال تأمل صيغة السؤال المتعلق بهذه العلاقة يتبين أن هناك احتمالين واردين في الجواب المقدم من خلال المستجوبين، فإما أن يكون الجواب استنادا إلى معرفة الشخص واطلاعه على وظيفة المسجد وموقعه في المنظومة الإسلامية، وإما أن يكون الجواب مستندا إلى الواقع الحالي، أي: المحيط الذي يعيش فيه المستجوب في تفاعل مع مؤسسة المسجد.

وفي كلا الاحتمالين نكون أمام علاقة وطيدة يراها هؤلاء المستجوبون بين شيوع ظاهرة الأمن ونشاط مؤسسة المسجد التفاعلي، ففي الحالة الأولى يكون المدخل المعرفي مؤصلا لها ودليلا عليها، وبالتالي لا محيد عن وجود هذه المؤسسة في الأوساط التي تعاني من ضعف هذه الظاهرة، وذلك من أجل إحداث التغيير عن طريقها لتوفير الجو الملائم من الأمن والاستقرار.

وفي الحالة الثانية يكون الواقع شاهد عيان على قوة هذه العلاقة، وذلك من خلال ما تبصمه هذه المؤسسة من استتباب أمني، بالمقارنة مع ما تعانيه وتعيشه أوساط عدة تفتقد لوجود هذه المؤسسة في نسيجها العمراني والحضاري.

ونجد في الوقت ذاته مجموعة من المدن تعرف وجود عدد مهم من المساجد؛ بل إن وجود هذه المؤسسة بها هو من قبيل المسلّم أو الضروري، لكن هذه المدن تعرف تزايدا في أعداد الجرائم والاعتداءات، مما يؤشر على ضعف هذه العلاقة، فنكون حينذاك أمام إشكالين رئيسيين:

1- الإشكال الأول: تقييم الاشتغال الوظيفي لمؤسسة المسجد، خاصّة في آليات معالجة مشكل الأمن والعمل على ضمانه وتثبيته، فكثير من المساجد تعاني من مشكل التباعد وانعدام التخطيط المحكم في تشييدها داخل الأوساط التي تعج بالجرائم والظواهر الشاذة التي تستدعي التركيز والاهتمام.

2- الإشكال الثاني: اختزال مفهوم الأمن في التمثّل الخارجي، أي: أن الذهن ينصرف مباشرة عند سماع لفظ (الأمن) إلى الأمن الاجتماعي، في حين، أن وجود الأمن النفسي هو المدخل الأساس لتحقيق الأمن الاجتماعي، لأن من يُقدم على تهديد وزعزعة الأمن الاجتماعي هو شخص يعاني من خلل ولا توازن نفسي، بمعنى افتقد للأمن النفسي اللازم للفرد، حتى يؤهله هذا التوازن النفسي لحفظ الأمن الاجتماعي في الوسط الذي يعيش فيه.

3.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد بتدبير متطلباتها المادية.

1.3.7. توصيف العلاقة إحصائياً.

نوعية الإجابات المسجلة	الإجابات المؤيدة لإمكانية تدبير مؤسسة المسجد لمتطلباتها المادية بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (5/4)	الإجابات المعارضة لإمكانية تدبير مؤسسة المسجد لمتطلباتها المادية بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (2/1)
العدد الموافق لكل نوعية	105	35
النسبة المئوية من مجموع الإجابات الكلية (200)	52.5%	17.5%

تفوق نسبة التأييد نسبة المعارضة بضعفيها، مع أن نسبة 30% تتخذ موقف الحياد، أو الوسط بين التأييد والمعارضة.

2.3.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

تعتبر النسبة الممثلة لمن يرى تأييد إمكانية تدبير مؤسسة المسجد لمتطلباتها المادية (52.5%) نسبة معبرة عن وعيهم بالإمكانات التسييرية في المجال المادي، وأن هذه المؤسسة قادرة على ذلك، أي: لها الأهلية الاستقلالية بما يمكنها من تدبير حاجياتها المادية بنفسها، وبالتالي فهذه النسبة المسجلة تبين أن هذه الفئة تمتلك عقلية استثمارية واعية، حيث تنظر لمؤسسة المسجد بأنها قادرة على أن تطور وضعها المادي من خلال حسن استغلال واستثمار ممتلكاتها ومرافقها المادية، وذلك بما يعود عليها بالنفع ويوفر لها من الاحتياط ما تسدّ بها خصاصها.

ولعل النسبة التي تمثل المعارضة تنطلق من الواقع التصميمي لهذه المؤسسة، حيث إن التصميم السابق لأغلب المساجد كان لا يأخذ بعين الاعتبار أن يوفر مرفقا أو مساحة لاستغلالها تجارياً، وذلك من أجل مدخول ينعش ميزانية المسجد، فكانت المساجد في غالب الأحيان -إن لم يكن له أوقاف أو مدخول شهري معين- تعيش تحت رحمة المحسنين وحملات التبرع لتغطية مصاريفها المادية المختلفة، وقد يكون منطلق هذه الفئة من نظرهم المحدودية والضيق التي يطبعها التخوف والاحتياط حول وتيرة وإيقاع الاشتغال المادي لمؤسسة

المسجد التفاعلي، حيث لم نعتد أن نسمع أو أن نرى استثمارا أو تنمية لمشروع اقتصادي معين تتبناه وتشرف عليه مؤسسة المسجد بشكل انفرادي.

لكننا في الوقت ذاته يمكن أن نقول إن النسبة المسجلة في التأييد ليست كافية ولا تعبر عن قناعة كلية للمستجوبين لأنها لا تتجاوز منتصف عددهم الإجمالي، أي أن المؤسسة المسجدية مهما بلغت في استقلاليتها المادية وحسن تدبيرها لذلك من أجل تغطية حاجياتها ووافقنا على ذلك؛ فإنه لا يسعها إلا أن تنفتح على مختلف الواجهات المادية من مساعدات ومساهمات، وذلك نظرا لتعدد الحاجيات والأنشطة الوظيفية المنتظرة من عمل المسجد التفاعلي، حيث إن هذا الجهد الوازن يتطلب من الاحتياط وتوفير العدة المادية لإنجاح الأنشطة المبرمجة وتلبية الحاجيات المسجلة.

وعليه، فتأييد الإمكان المسجل في هذا المقام يظل في تحفظ، وذلك نظرا لإكراهات واقعية وإكراهات تصميمية، فلا يمكن المخاطرة في هذا المجال في ظل وجود صعوبات موضوعية تفرض نفسها بقوة.

وقد تكون المعارضة موقفا ناتجا عن نقص أو انعدام الاطلاع على التجارب الرائدة والناجحة في مجال العمل المسجدي وتنمية اشتغاله الوظيفي، بما يجعل هذه المؤسسة هيكلًا ماديًا ومعنويًا مستقلا قادرا على إدارة شؤونه المادية بنفسه.

كما أنه قد يكون موقف المعارضة أو الموقف الوسط بين المعارضة والتأييد موقفا نابعا من النظر إلى طبيعة التسيير وشكل التنظيم المادي للمرافق المسجدية بما توفره من ميزانية مالية في ذلك، فلا يكفي أن تتوفر الموارد المالية الكافية في الميزانية الخاصة لمؤسسة المسجد، وإنما ينبغي أن تتوفر حكمة التدبير وحنكة التسيير لهذه الموارد، وذلك حتى يؤتي الاشتغال الوظيفي المادي أكله ويعطي ثمارا يانعة، لأن الجهة التي تشرف على هذا التسيير يشترط فيها تخطيط أوجه توزيع هذه الموارد والسهر على تدبيرها بما يحقق الأهداف ويراعي ويوازن بين مختلف المصالح والمتطلبات، ولا شك أن هذا العمل ليس أمرا سهلا، بل لا يقل أهمية عن هاجس توفير هذه المستلزمات المالية.

4.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد بالعلاج النفسي.

1.4.7. توصيف العلاقة إحصائيا.

نوعية الإجابات المسجلة	الإجابات المؤيدة لعلاقة مؤسسة المسجد بالعلاج النفسي بشكل كبير جدا أو بشكل كبير (5/4)	الإجابات المعارضة لعلاقة مؤسسة المسجد بالعلاج النفسي بشكل كبير جدا أو بشكل كبير (2/1)
العدد الموافق لكل نوعية	164	10
النسبة المئوية من مجموع الإجابات الكلية (200)	82%	5%

هناك تباين كبير في النسبتين المسجلتين بين موقف التأييد وموقف المعارضة للعلاقة الكائنة بين المسجد والعلاج النفسي، حيث يقدر التفاوت بينهما في هذه الدراسة بأكثر من ستة عشر ضعفاً، وتبقى الفئة التي تمثل الموقف الوسط بين التأييد والمعارضة لا تتجاوز نسبة 13%.

2.4.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

إن الهيمنة الرقمية التي سُجّلت عند الفئة المؤيدة لم تأت من فراغ، فهي إما ناتجة عن ملاحظة استقرائية واقعية لواقع المسلمين في علاقتهم مع المسجد، وإما هي ناتجة عن فهم عميق لمقصدية المؤسسة المسجدية في معالجة أحوال الأفراد روحياً ونفسياً.

فبالاعتبار الأول يمكن القول إن التردد على المسجد يغيّر المعتاد اليومي، فيكسر أحواله وما يعانيه أغلب الناس فيه من ضغوط ورتابة في الحياة، مما هو ناتج عن كثرة المخالطة والاحتكاك بالأجواء المادية للدنيا، فتأتي مواعيد الصلوات، ليجدد من خلالها المسلمون علاقتهم الروحية بالخالق، فينقطعوا حينها عن العالم المادي وعن الصلوات بالمخلوقين، والتي لا تخلو من مشاكل وعراقيل، فتكون تلك الصلوات بمثابة تصفية للنفوس وفرصة سانحة لإخراجها نحو أجواء تغير وتجدد مشاعرها، فتشعر النفوس حينها بالراحة النفسية والطمأنينة بما تسمعه وتمارسه من ذكر وقرآن ودعاء، وبما تنسجه من علاقات اجتماعية وصحية وأخوة ...

إن الأغلبية الفتوية في هذا السؤال تؤمن بقناعة مفادها أن المسلم المسجدي ينجح في استثمار هذه المؤسسة للمحافظة على توازنه النفسي، وللتغلب على المشاكل والمشاعر النفسية التي توقعه في الاضطراب، وعليه فإن من يمتلك علاقة وطيدة مع هذه المؤسسة يتوفر على آليات وأساليب تُكسبه حصانة ومناعة داخليتين يواجه بهما ما يعترضه نفسياً، فقلماً تجد -في تصورهم- من يتردد على المسجد وأجوائه وهو يعاني من خلل أو مشكل نفسي، وإن وُجد ذلك -وهو أمر ممكن- فمرّدّه إما إلى الشخص ذاته من خلال نوعية علاقتهم بالمؤسسة،

وإما لأن هذا أمر عارض مؤقت يدخل في مسمى الابتلاء، والذي يعتبر سنة كونية تجري على سائر البشر بما فيهم الأنبياء والرسل المؤيدين بالوحي.

وبالاعتبار الثاني؛ فإن المؤسسة المسجدية تنبني رسالتها على تحقيق مجموعة من الأسس المقصدية، تتنوع بين ما هو فردي وبين ما هو جماعي وبين ما هو أوسع من ذلك، وسواء لوحظ تعطيل مجالات معينة أو وجود ضعف في توظيفها عن طريق هذه المؤسسة، فإن الجانب الفردي المتعلق بالأحوال الروحية والنفسية يظل متاحا وفي متناول ومقدور الجميع، ولا يملك أحد أن يدعي أنه يخضع لتقييد أو تضيق.

فليس هناك من يُقبل بصدق على محراب هذه المؤسسة؛ إلا ويجد فيها بغيته النفسية أو علاجا لموممه ومشاكله النفسية، لأن ذلك من صميم المهمات الوظيفية التي جاءت المؤسسة المسجدية لتحقيقها واستهداف التغلب عليها.

وإذا ما انتقلنا إلى تحليل موقف المعارضة والذي لا يمثل سوى نسبة 5%؛ فإنه قد يكون موقفا ناتجا عن تسرع في التقييم، أي: دون استحضار وتأمل لمعطيات واقعية في هذا الصدد، وقد يكون الموقف كذلك ناتجا عن نقص الوعي بحقيقتها الوظيفية وتأصيل مجالات اشتغالها، كما يمكن للمعارضة أن تكون ناتجة عن الدافع الذي يكون وراء التردد عليها، حيث إن كثيرا من الناس لهم علاقة تردد مع مؤسسة المسجد وهم ممن يعانون مشكلا نفسيا¹ يؤرقهم، لكنهم لا يستحضرون هذا البعد في تردددهم المستمر على المسجد، فنجدهم يذهبون إليه باستمرار دون أن يتوخوا في تردددهم ذلك إزالة ما يعانون منه نفسيا، مع أنه قد ينتج عن ذلك حلّ وانفراج لأزمته النفسية، لكن استحضار الدافع أمر في غاية الأهمية، لأنه يمثل إيمانا وقناعة بأن هذه المؤسسة لها ارتباط بعلاج الأزمات النفسية والتخفيف من حدتها.

إن الموقف الوسط الذي يقابل نسبة 13% في هذا السؤال موقف لا يعبر بالضرورة عن مقتضى من مقتضيات المعارضة والرفض للعلاقة بين المؤسسة المسجدية والعلاج النفسي؛ وإنما هو موقف يستحضر في تحقيقه العلاجي وجوب توفر شروط وانتفاء موانع، ذلك لأن كثيرا من الناس قد يترددون على المسجد؛ لكنهم لا يتوفرون بالضرورة على النيات القلبية الصالحة التي تؤهلهم لتحقيق هذا العلاج، وعليه فلا يمكن الجزم مطلقا بتحقيق هذا العلاج إلا بضمان توفر المواصفات والشروط التي تؤهل لذلك، ثم إن هذا التحقق قد يختلف

¹ تقدمت الإشارة سابقا إلى الأثر الاجتماعي للمؤسسة المسجدية في كشف هموم الناس وتفريجها من خلال بعض الأحاديث.

درجته حسب الأفراد وحسب نوعية العلاقات المنسوجة، حيث إن الناس ما داموا مختلفين على درجات متفاوتة في حجم ترددهم وتعلقهم بالمؤسسة المسجدية؛ فإنه لا يحصل لهم من تحقق العلاج وثماره النافعة إلا بقدر قوة ذلك التعلق والتردد، ولعل هذا ما يفسر الموقف الاحتياطي لهذه الفئة، وذلك بترجيحها التوسط والاعتدال بين الموافقة والمعارضة.

5.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بالوسطية والاعتدال.

1.5.7. توصيف العلاقة إحصائياً.

نوعية الإجابات المسجلة	الإجابات المؤيدة لعلاقة مؤسسة المسجد بالوسطية والاعتدال بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (5/4)	الإجابات المعارضة لعلاقة مؤسسة المسجد بالوسطية والاعتدال بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (2/1)
العدد الموافق لكل نوعية	139	17
النسبة المئوية من المجموع (200)	69,5%	8,5%

Nombre de n		Étiquettes de colonnes					Total
Étiquettes de lignes	1	2	3	4	5	(vide)	général
ابتدائي			1	1	7		9
إعدادي		2	2	4	5		13
ثانوي		2	11	20	19		52
جامعي (إجازة)	5	5	20	30	33		93
جامعي (ماستر / دكتوراه)	1	2	10	13	7		33
(vide)							
Total général	6	11	44	68	71		200

هناك تباين كبير في النسبتين المسجلتين مقارنة بين موقف التأييد وموقف المعارضة للعلاقة الكائنة بين مؤسسة المسجد وقيم الوسطية والاعتدال، حيث يقدر التفاوت بينهما في هذه الدراسة بأكثر من ثمانية أضعاف، وتبقى الفئة التي تمثل الموقف الوسط بين التأييد والمعارضة لا تتجاوز نسبة 22%.

ويلاحظ كذلك من خلال الجدول أن هناك تمثيلية كبيرة في موقف التأييد من ضمن المنتمين دراسياً إلى الدراسات العليا، حيث من بين المجموع الإجمالي لهذه الفئة الدراسية والذي يقدر بـ 32 فرد نجد منهم

20 فردا يمثلون موقف التأيد للعلاقة المدروسة، ولا يوجد من هذا العدد الإجمالي سوى 3 يمثلون موقف المعارضة لهذه العلاقة.

2.5.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

إن اختيار موقف التأيد في تقييم هذه العلاقة أمر لم يأت من فراغ، بل هو راجع إلى نظرة هذه الفئة إلى مؤسسة المسجد ومشروعها الرسالي، حيث استطاعت من خلال معرفتها بذلك أن تصدر عليه هذا الحكم القيمي، ويمكن أن يكون هذا الانطباع قد تكوّن انطلاقاً من الممارسات السلوكية التي تجري داخله، حيث إن المؤسسة المسجدية فضاء يمتاز بتنوع أنشطته ووظائفه في توازن بين مطالب الروح ومطالب الفكر ومطالب الحسّ ومطالب الجسد، دون إغفال شيء من هذه الحاجيات، حيث لا يمكن لعامل أن يقول إن المؤسسة المسجدية مقصورة على الوظيفة الروحية التعبدية، بل إن قصرها على هذا الأمر وتعطيل باقي الوظائف الحيوية الأخرى قد يكون سبباً غير مباشر في توليد فكر التطرف والابتعاد عن منهج الوسطية والاعتدال، وذلك لأن هذا النهج يفضي إلى نقص التوعية الوسطية بفحوى الرسالة المسجدية، بالإضافة إلى نقص الممارسة الوسطية التطبيقية لأنشطة وسلوكات تحسد المنهج الإسلامي الوسطي.

وعليه يمكن أن نُعبّر اختيار هذه الفئة إما بحجم وعيها ومعرفتها بأثر المسجد في التربية على قيم الوسطية من خلال نماذج عدة: خطب، مواعظ، أنشطة، مسابقات، ملتقيات وندوات ...، وإما أن نعبر موقف هذه الفئة بتقييمها للوضع الواقعي الحالي، والذي لا يخلو من مجانبة وحياد عن المنهج الوسطي المعتدل، وذلك راجع بالأساس إلى ضعف أو غياب الإشراف الفعال لمؤسسة المسجد التفاعلي في مقاومة هذا الشذوذ، وغياب برنامج تطبيقي فعال يرمي إلى الرفع من ترسيخ القيم الوسطية داخل المجتمع.

ولذلك، وجهت عدة انتقادات ومؤاخذات في هذا الصدد إلى طبيعة وإيقاع الاشتغال الوظيفي لمؤسسة المسجد التفاعلي، وذلك مباشرة بعد أحداث التفجيرات التطرفية التي وقعت في 16 ماي سنة 2003 بمدينة الدار البيضاء، والتي أبانت عن خصائص في تغطية مؤسسة المسجد لمجموعة من مواطن الضعف والفراغ في تشكيل العقلية الوسطية المؤصلة بالقواعد الشرعية التي تنير التفاعل مع الواقع ومستجداته.

وبانتقالنا إلى موقف المعارضة؛ والذي لا يمثل سوى نسبة ضئيلة بالمقارنة مع نسبة الموقف السابق؛ فإنه من المحتمل أن يكون هذا الموقف ناتجاً عن التقييم الواقعي الحالي، حيث إنه ما دمنا نرصد حالات عدة تحيد

عن منهج الوسطية والاعتدال؛ فمرد المحاسبة في ذلك إلى المسجد، وذلك لأن هذه النماذج لها علاقة بالمسجد، فلماذا لم يغير فيها المسجد منهج تفكيرها وسلوكها؟

وعليه، فإن أصحاب هذا الموقف يستحضرون الجانب الموضوعي اللازم في تقييم الوضع والتجرد من الذاتية والحسّ العاطفي، حيث إنه ليس عيباً أن نعترف بالحق ولو كان على أنفسنا¹، بل لا يمكن أن نتصور أبداً أن مؤسسة المسجد التفاعلي أنموذج كامل، بل تحتاج إلى تقييم مستمر ومتواصل، حتى تتمكن من تصويب مسارها وطبيعة اشتغالها الوظيفية.

يشير الجزء الأخير من الجدول إلى تأثير المتغير المتعلق بالمستوى الدراسي على تقييم نوعية العلاقة الكائنة بين مؤسسة المسجد وقيم الوسطية، حيث يظهر أن نسبة كبيرة من هذه الفئة تجنح إلى تأييد هذه العلاقة، وبالتالي يمكن أن نقول إنه كلما ارتفع المستوى الدراسي قويت القناعة بقوة العلاقة المعنية في السؤال، وكأن المستوى الدراسي له أهمية بالغة في فهم الفلسفة المسجدية العامة وعلاقتها بالفكر الوسطي المعتدل، حيث لا يمكن الوعي التام بهذه العلاقة في وجود مستوى دراسي متدنٍ، كما أن هذا المستوى الدراسي المرتفع يتيح فهما واستيعاباً جيداً للواقع الحالي بما يتيح إدراك المكانة الكبيرة للمؤسسة في ترسيخ قيم الوسطية وتربية النماذج المسجدية عليها، وذلك من أجل تنقية المجتمع من لوثات التطرف والتشدد التي تجلب الفتن والمحن.

6.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد بالطفل.

1.6.7. توصيف العلاقة إحصائياً.

نوعية الإجابات المسجلة	الإجابات المؤيدة لعلاقة مؤسسة المسجد بالطفل بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (5/4)	الإجابات المعارضة لعلاقة مؤسسة المسجد بالطفل بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (2/1)
العدد الموافق لكل نوعية	174	8
النسبة المئوية من الكل (200)	87%	4%

¹ يمكن أن نؤيد هذه الفكرة التي تعد من القواعد الموضوعية لمنطق النقاش والتحاور بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" (سورة المائدة: الآية 8).

Nombre de n	Étiquettes de colonnes					Total
Étiquettes de lignes	1	2	3	4	5 (vide)	général
الطلبة والتلاميذ			3	20	37	60
الموظفون	1	3	9	25	38	76
التجار والأعمال الحرة		1	2	7	10	20
أهل الشأن الديني			2	5	13	20
بدون مهنة أو عمل		3	2	3	16	24
Total general	1	7	18	60	114	200

عدد كل نوع من الإجابات ممن ينتمون مهنيا إلى فئة الموظفين	63 مؤيد (من أصل 76 موظف)	4 معارض (من أصل 76 موظف)

نلاحظ أن هناك اكتساحا كبيرا في نسبة المستجوبين المؤيدين لهذه العلاقة، وذلك أن الفرق كبير جدا بين 87% و 4%، أي: تقدر نسبة تمثيل الموقف الوسطي ب 9%.

ومن هؤلاء المؤيدين نلاحظ وجود عدد كبير من الفئة المهنية للموظفين، حيث إنه من بين عددهم الإجمالي المقدّر ب 76 هناك 63 موظفا مؤيدا لهذه العلاقة، أي: نسبة 82,89%، في حين أن نسبة المعارضة داخل فئة الموظفين لا تتجاوز نسبة 5,2%، وعليه فنسبة اختيار الموقف الوسطي في هذه العلاقة تقدر ب 11,9%.

ولا شك أن هذا الفرق في النسب المسجلة المقارن بينها يخفي وراءه عدة معطيات، ويبحث على التساؤل لتحليل الأسباب والمواقف المرصودة التي تتحكم في هذا التباين.

2.6.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

يتبين من خلال ما سبق أن النسبة الكبيرة من الإجابات المؤيدة لعلاقة الطفل بمؤسسة المسجد التفاعلي ترى أن في هذه المؤسسة فضاء ملائما لوجود الطفل، وتطمئن إليه لاحتضانه وترتاح لذلك، ولا شك أن هذا مؤشر إيجابي على أن هذه المؤسسة لم تفتقد للثقة اللازمة من طرف المجتمع في تزويد الناشئة بالمبادئ والقيم التربوية التي تؤهلهم للانخراط الإيجابي في حياة المجتمع، فرغم الظروف الصعبة التي مرت منها المؤسسة المسجدية والمحاولات العديدة التي تستهدف النيل منها داخليا وخارجيا؛ فإنها لا زالت تحظى بقبول هام وثقة كبيرة، حيث يراهن عليها كثير من الآباء والأمهات في الإسهام الإيجابي من أجل تربية أبنائهم، ولذلك، نجد مجموعة من الآباء والأمهات يبادرون باصطحاب أبنائهم وبناتهم معهم إلى المسجد في الصلوات العادية وفي المناسبات

الدينية، بل يخصصون لذلك ملابس خاصة، ويتأهبون لهذا الحدث بشكل استثنائي، وذلك رغبة منهم في تلقين فلذات أكبادهم مجموعة من القيم التربوية وتعويدهم على الفضائل والآداب المسجدية.

ومن المحتمل بشكل كبير أن تكون هذه الفئة قد جربت في واقعها الحالي عدة تجارب تربوية على مجموعة من الأصعدة، من خلال ما هو متاح من مؤسسات التربية ممن تضع الطفل في قلب اهتماماتها ومحور لنشاطها، ولم تخل تلك التجارب من مؤاخذات واختلالات، وذلك لأن البعد الديني يغيب استحضاره في كثير من الأحيان بكثير من المؤسسات التي تحتضن الطفل تربويا، مما يجعل المؤسسة المسجدية تتفرد وتتميز بمنهجها الخاص في تلبية وإرواء الحاجيات النفسية والعاطفية لدى الطفل.

إن موقف المعارضة المسجل في هذه العلاقة لا يمثل بالضرورة رفضها أو فقدان الأمل والثقة فيها، بل هو نقدٌ موضوعي لممارستها الوظيفية في الواقع، انطلاقا من بعض الأحداث التي تقع في الساحة، والتي قد تسبب في بعض الأحيان نفورا من بعض الآباء وابتعادا منهم عن تمتين هذه العلاقة، ولعلي أضرب مثالا في هذا الصدد بالأخطاء التي يرتكب بعض القيمين الدينيين¹ في بعض المساجد أثناء تنشيطهم لبرامج تربوية لفائدة الأطفال كتحفيز القرآن وتدريس بعض العلوم الشرعية، حيث تُنقل عدّة أنباء في ذلك تبين سوء تصرفاتهم وسلوكياتهم، مما ينعكس سلبا على روح هذه العلاقة، ومن ذلك استعمال وسائل العنف كالضرب والشتم من أجل التأديب والردع، أو محاولات الاغتصاب والاستغلال الجنسي في بعض الأحيان، حيث لا يمكن أن نتصور أن أحدا من الآباء سيضحى بابنه، ليذهب به عند من سيعينه في تربيته؛ وهو يسمع عنه إمكانية صدور هذه المظاهر الشاذة، والتي لا تمت بأي صلة إلى الجوّ المسجدي وقديسيته وسمعته.

ولعلنا نجد أنفسنا هنا أمام قضية جوهرية، قد تكون من أبرز القضايا التي تطفو فوق سطح المشاكل المتداخلة التي تعاني منها مؤسسة المسجد التفاعلي، وهي قضية تأهيل القيمين الدينيين والعاملين وإعدادهم للممارسة التربوية لدى فئة الأطفال داخل الفضاء المسجدي، وذلك وفق أنموذج يحقق الإقبال والحافزية والانجذاب، حيث إن كل إخلال بهذا الأمر وتهاون في إعطائه الاعتبار اللازم ينقلب سلبا على مؤسسة المسجد ورسالتها التربوية.

¹ القيم الديني هو الشخص المسؤول والمكلف بمهام ديني يؤديه كوظيفة منوطة به في مؤسسة المسجد، وغالبا ما ينصرف هذا المفهوم إلى الإمام والمؤذن، رغم أنه يشمل حتى الخطيب والمنظف والبواب، لأنهم يمارسون أيضا مهامها مسجدية.

كما يمكن أن يكون موقف هذه المعارضة نابعا من المشاهدة الواقعية لكثير من المساجد الحالية وما عليه واقعها الوظيفي من ضعف وجمود، حيث يغيب فيها استحضار البعد التربوي المتعلق بالأطفال وأنشطتهم الجذابة والمحفزة، وسبب ذلك انعدام الرؤى والتصورات الإصلاحية من أهل المسجد، والتي يمكن أن تضع نصب عينيها هذا الجانب الحيوي تخطيطا وتنفيذا، حيث إن هؤلاء الأطفال هم من سيعمرون المساجد وسيسهرون عليها؛ حينما سيصيرون كبارا وحينما سيقضي الجيل المسجدي الحالي نحبه، مما يستدعي أن يتم تأهيلهم لذلك، فلا يمكن لأحد وهو يمارس تقييما موضوعيا للوضع المسجدي الحالي أن ينكر أن هناك خصاصا مهولا وفراغا كبيرا مرصودا في عدد كبير من المساجد في هذا الجانب، وأظن أنه لو سجلت أكثر من هذه النسبة في صفّ المعارضة لما كان ذلك أمرا عجبا، لأن أول خطوة ينبغي أن تكون في تصحيح الوضع الحالي هي الاعتراف أولا بمكان الخلل ومواطن الثغرات.

أما عن الموقف الوسطي، فإن أصحاب هذا الاختيار المحدد ميدانيا في 9% يمكن أن يُفسّر توسطهم بوجود بعض الصعوبات والعراقيل الواقعية التي تحول دون نسج علاقة وطيدة بين الطفل والمؤسسة المسجدية، فهناك مساجد تهتم أنشطتها بتربية الطفل وتضعه في قلب اهتمامها التربوي والترفيهي، لكننا نجد مقابل ذلك تعارضا وتضادا عند الآباء بين هذه الأنشطة وبين أنشطة أخرى تكميلية موازية لها ارتباط مباشر بدراسته، فعلى سبيل المثال لو فُرض وجود تعارض بين الأنشطة المسجدية مع الساعات الإضافية أو مع كثرة الواجبات الدراسية المنزلية؛ فحينها يختار كثير من الآباء تفضيل الانشغال بالأمر الأخرى على حساب الأنشطة المسجدية، دون أن يتفطنوا إلى أن كثيرا من الأنشطة المسجدية -على اختلاف مجالاتها- قد تكون خادمة ونافعة في تنمية عدة جوانب من شخصية الطفل، بل قد تعطيه دفعة قوية نحو الجد والاجتهاد في دراسته وتنمية وتحسين عطائه في ذلك.

ويمكن أن يفسر اختيار الموقف الوسطي كذلك بوجود مخالطات واصطدامات حياتية كثيرة، تمثل تناقضات واقعية صريحة، يعيش في ظلّها الطفل صراعات ومواقف جدلية عدة، فحينما يتربى في مؤسسة المسجد على مجموعة من القيم والمبادئ السلوكية التي تتخذ من الخطاب الشرعي مرجعا لها؛ يصطدم في واقعه المعيش مع أطفال آخرين، إما أن يزدروا ما تشيع به هذا الطفل من قيم مسجدية، وإما أن يسحبوه عن طريق تأثير رفقة السوء إلى ما هم عليه من انحلال وتسيّب، وإما أن تغلبه نفسه الأمانة بالسوء -دون تأثير أحد-؛ فتجره نحو ما يشيع وينتشر من قيم تناقض تربية المسجد.

أما كون أغلبية من الموظفين تختار تثمين العلاقة بين مؤسسة المسجد والطفل؛ فالآن ذلك راجع إلى حجم الحاجة الملحة التي عند هذه الفئة في هذا الجانب التربوي، ومدى حجم اهتمامها بهذه المؤسسة، حيث تحتل مكانة بارزة ضمن المكونات العامة لحياتها، فنظرا لضيق وقتها وكثرة مشاغلها، فهي تجد بغيتها وضالتها في هذه المؤسسة حتى تكون مأوى ومحضنا لأطفالهم، وذلك لأن وقت هذه الفئة المهنية لا يتسع لما يكفي من حيز لتفريغه من أجل تحفيظ أبنائهم القرآن والنيابة عن المهام التي يؤديها المسجد في ذلك.

ولعل هذا ما يجعل كثيرا من الموظفين يخططون بشكل محكم للسكن الذي يقررون الاستقرار به، أخذا بعين الاعتبار هذا العامل، فيميلون إلى مجاورة مساجد معينة رغبة في استفادة أطفالهم من أنشطتها المتعلقة بتحفيظ القرآن، ويمكن أن نقول إن هذه الفئة تمتلك حسا تربويا ولها غير متوقدة على أطفالها، لأن هذا نابع من الحب الفطري للوالد نحو ولده، بالإضافة إلى الرغبة الصادقة في جلب الخير لهم ودفع جميع أنواع الشر عنهم.

7.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة المسجد بتربية أهله على الأدب وحسن التعامل.

1.7.7. توصيف العلاقة إحصائيا.

نوعية الإجابات المسجلة	الإجابات المؤيدة لعلاقة المسجد بالأدب وحسن التعامل بشكل كبير جدا أو بشكل كبير (5/4)	الإجابات المعارضة لعلاقة المسجد بالأدب وحسن التعامل بشكل كبير جدا أو بشكل كبير (2/1)
العدد الموافق لكل نوعية	157	14
النسبة المئوية من مجموع الإجابات الكلية (200)	78,5%	7%

يفوق عدد المستجوبين المؤيدين والمثمنين للإسهام الإيجابي لمؤسسة المسجد في تربية مراتديها على الأدب والتعامل الحسن عدد المستجوبين المعارضين لهذا الإسهام بأكثر من إحدى عشر ضعفا، ونجد عدد المستجوبين الذين يمثلون الموقف الوسطي لا يجاوزون نسبة تمثيلية تقدر ب 14,5%، مع الأخذ بعين الاعتبار أن صيغة وضع السؤال لا تحتل تأويلا، حيث تشير بوضوح إلى تقييم العلاقة المستهدفة في الوضع الواقعي الحالي حسب رأي واختيار كل مستجوب على حدة.

2.7.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

قد أبدأ تحليل هذا المحور بتسجيل ملاحظة واقعية ترتبط ارتباطا كبيرا به، وهي ردة الفعل التي تلي مباشرة حدوث سلوك مشين صادر من شخص يتردد على المسجد وله به علاقة صلة قوية، سواء كان هذا السلوك قوليا أو فعليا، حيث يُبادر تصرفه ذلك بالانتقاد والاستغراب والاستنكار، بل قد تكون تلك الانتقادات كلها مرتبطة بعلاقته بمؤسسة المسجد، وتكاد تكون معظمها متفقة على المعنى الآتي: ((فلان يذهب إلى المسجد ويفعل هذا السلوك أو ويقول هذا الكلام)).

إن هذه الانتقادات وردود الأفعال التي تلي صدور هذا السلوك تؤثر على وجود قناعة مبدئية لدى الناس؛ وهي أن المسجد لا يربي أهله على تلك الخصال ولا يقرهم عليها، أي: يربي مرتاديه على الجميل والمحمود من الآداب قولاً وفعلاً، والمفترض فيه أن يغير ما بهم من سوء أدب، حيث يستنبطون ذلك ضمناً من قوله جلّ وعلا: "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ" (سورة العنكبوت: الآية 45).

يتضح من خلال النتائج المسجلة أن مؤسسة المسجد تمتلك سراً خاصاً وهيبه منفردة في تأديب مرتاديه، حيث تضع أهلها طوعاً في نسق أخلاقي خاص، له امتداده البعدي وأثره المستمر، وذلك لأن أهل المسجد تربطهم بهذه المؤسسة علاقة تردد، يتربون من خلالها على قيم الانضباط والنظام سواء فيما يتعلق بالبعد الزمني حيث إن التردد يكون يومياً في خمسة أوقات معلومة، أو فيما يتعلق بالبعد السلوكي في تفاعل وانسجام تام مع الخصوصيات الأدبية للمكان، مثال ذلك: التزام أهل المسجد بسلوك الهيئة اللائقة بالدخول إلى المسجد والجلوس فيه بهدوء واطمئنان، أو تعويد أهل المسجد على التأدب بألفاظ تناسب عظم وشرف المقام الذي يوجدون به، كالتأدب بآداب اللقاء والتعارف...

والملاحظ أن هذا التأثير يتحقق تحقّقاً فعلياً لا مرأى فيه -حسب استطلاع رأي المستجوبين- بغض النظر عن حيوية أو ضعف الوظائف المسجدية المنتظرة من هذه المؤسسة، فكأن مؤسسة المسجد تمتلك سلطة تربوية سحرية ثابتة، لها أثرها البالغ على النفوس وتترجم عملياً على السلوك، فرغم التغيرات والتراجعات التي شهدتها المؤسسة المسجدية عبر التاريخ؛ فإنها ظلت محافظة على هذه السلطة الأدبية والتربوية، بل هي من الخصوصيات التي تلازمها ولا تنفك عنها قيد أنملة.

وإذا انتقلنا إلى النسبة الضئيلة الممثلة للمعارضة؛ فيمكن أن نرجعها إلى أمر منهجي وحيد؛ ألا وهو تقييم العلاقة بناء على عدم تعميم تحقق نتائجها، أي: اختيارهم للمعارضة هو مقابل لعدم اطراد العلاقة بشكل كلي ومعمم، وسواء اتفقنا مع منهج هذا التقييم ومصادقية هذا الربط أو لم نتفق؛ فإن أهم ما يتبين من خلال ذلك هو أن المواطن يراهن على النتائج المنتظرة والملموسة، ويستدل بالأثر الواقعي المشاهد على ضعف أو قوة العلاقة محور الدراسة.

8.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد بجمع وتوزيع الزكاة.

1.8.7. توصيف العلاقة إحصائياً.

نوعية الإجابات المسجلة	الإجابات المؤيدة لعلاقة المسجد بجمع وتوزيع الزكاة بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (5/4)	الإجابات المعارضة لعلاقة المسجد بجمع وتوزيع الزكاة بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (2/1)
العدد الموافق لكل نوعية	156	19
النسبة المئوية من مجموع الإجابات الكلية (200)	78%	9,5%

بلغت نسبة المؤيدين لعلاقة مؤسسة المسجد مع فريضة الزكاة 78%، ومن خلال السؤال الموضوع في الاستمارة يتبين أنها علاقة تضمّ عميات الجمع والتوزيع والاستثمار، وهي نسبة تفوق بشكل كبير جداً نسبة المعارضين، حيث يقدر الفرق بينهما بأكثر من ثمانية أضعاف، لتبقى النسبة التي تماثل عدد المستجوبين في الموقف الوسطي بين التأيد والمعارضة هي: 12,5%.

2.8.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

لعل اختيار النسبة الكبيرة لموقف التأيد لعلاقة مؤسسة المسجد مع جمع وتنظيم وتوزيع الزكاة يرجع إلى أن ارتباط هذه الفريضة بالبعد المؤسسي وما يترتب عن هذا الارتباط من مصالح عديدة الجوانب والاعتبارات يجعلها تحظى باهتمام بالغ في تحقق النتائج المنتظرة منها سلوكيا واجتماعيا وحضاريا واقتصاديا، ولا شك أن الزكاة تترجح وتتقوى مقاصدها بالحرص على ربطها بمؤسسة المسجد التفاعلي، حيث إن هذا الارتباط

المؤسساتي يجعلها أكثر ضبطاً وتنظيماً، مما يوفر الجهد ويقتصد الطاقة، فيتحصل حق الفقير والمسكين في مدّة محكمة وعلى وجه يحقق الكفاية وينفي بالحاجيات المقصودة.

كما أن إشراف المؤسسة المسجدية على هذه الفريضة يكسيها هبة وتعظيماً من أهل المسجد، حيث تستشعر النفوس الغافلة عظم قدر هذه الفريضة بالتذكير بها تطبيقياً وعملياً، فيفتح بذلك باب التنافس والإقبال على العمل الخيري ذي البعد التكافلي الاجتماعي، نظراً لما يعاين ويشاهد من مظاهر حركية تتعلق بها، وحينها يكون أهل المسجد في جو تفاعلي مباشر مع مراحلها، عبر حملة تجند لها طاقات من أجل التعبئة لإنجاحها، ونظير هذا التأييد الاختياري في هذه العلاقة قياسها على النصوص الشرعية التي تبين أفضلية إعلان الصدقة لما يترتب عنها من مصالح متعددة الاتجاهات مصداقاً لقوله تعالى: **"إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"** (سورة البقرة: الآية 271)، يقول الطاهر بن عاشور (ت1392هـ): 'الصدقات تعريف الجنس، ومحملة على العموم فيشمل كل الصدقات فرضها¹ ونفلها' (التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج3/ص67)، يقول الرازي في تفسيره للآية: 'إظهارها يتضمن المسارعة إلى أمر الله تعالى وتكليفه، وإخفاءها يؤهم ترك الالتفات إلى أداء الواجب فكان الإظهار أولى' [مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (606هـ)، ج7/ص64].

ومما يجنى من مصالح إخراج الزكاة علناً وإظهارها عن طريق مؤسسة المسجد التفاعلي أنها أدعى للامتثال وأجدر للعمل على تقوية الروابط الاجتماعية بين المسلمين من خلالها وتجنب ما يخل بأواصر الأخوة الإيمانية بينهم، حيث ذكر الإمام ابن الجوزي (ت597هـ) نقلاً عن الزجاج بأنه كان إخفاء الزكاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن، فأما اليوم؛ فالناس مسيئون الظن؛ فإظهارها أحسن [زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، ج1/ص243، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ].

كما يكون البعد المؤسساتي عاملاً قوياً من عوامل التشجيع على الفعل عن طريق قوة التأسيسي والافتداء عبر الإظهار العلني للشعيرة، يقول فخر الدين الرازي (606هـ): 'وأما الوجه في جواز إظهار الصدقة، فهو أن

¹أي: الزكاة.

الإنسان إذا علم أنه إذا أظهرها، صار ذلك سببا لاقتداء الخلق به في إعطاء الصدقات، فينتفع الفقراء بها فلا يمتنع، والحال هذه أن يكون الإظهار أفضل' (مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج 7/ص 63).

ونجد الإمام النسفي (ت710هـ) ينصّ على الجمع بين المقصدين السابقين واللذان يقويان البعد المؤسساتي في تنظيم عملية إخراج الزكاة، فيقول: 'والجهر في الفرائض أفضل لنفي التهمة، حتى إذا كان المزكي من لا يعرف باليسار؛ كان إخفاؤه أفضل، والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل' (مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات حافظ الدين النسفي، ج 1/ص 221، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، ط 1/ 1419هـ / 1998م).

وبانتقالنا إلى موقف المعارضة لهذه العلاقة بين الزكاة ومؤسسة المسجد؛ يمكن أن نكتشف أن بعض دوافع معارضتها نابعة من رؤية كيفية التعامل مع الصدقات على وجه العموم، وذلك دون تفصيل في نوعية هذه الصدقات ولا في النظر المالي إلى ما يترتب عنها من مصالح أو مفسدات، وذلك أن بعض الأوجه التفسيرية للآية السابقة من سورة البقرة¹ تنجح إلى القول بأفضلية السر على الإعلان في الصدقات على وجه العموم، ولعلني أستشهد في هذا المقام بما ذكره فخر الدين الرازي (606هـ) في تفسيره للآية: 'الإظهار يوجب إلحاق الضرر بالآخذ من وجوه، والإخفاء لا يتضمن ذلك، فوجب أن يكون الإخفاء أولى، وبيان تلك المضار من وجوه الأول: أن في الإظهار هتك عرض الفقير وإظهار فقره، وربما لا يرضى الفقير بذلك والثاني: أن في الإظهار إخراج الفقير من هيئة التعفف وعدم السؤال، والله تعالى مدح ذلك في الآية التي تأتي بعد هذه الآية² ... والثالث: أن الناس ربما أنكروا على الفقير أخذ تلك الصدقة، ويظنون أنه أخذها مع الاستغناء عنها، فيقع الفقير في المذمة والناس في الغيبة، والرابع أن في إظهار الإعطاء إذلالا للآخذ وإهانة له، وإزالة المؤمن غير جائز' (مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج 7/ص 62).

فتبين إذن أن الدوافع التي تكمن وراء معارضة هذه العلاقة المؤسساتية للزكاة قد تكون نابعة من النظر إلى تبعات نفسية، يمكن أن نعتبرها -تجوّزا- مفسدات ذاتية قد تحصل على إثر هذا الإعلان، لكننا في الوقت

¹ الآية 271 من سورة البقرة.

² في إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة كذلك: "الْفُقَرَاءَ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" (سورة البقرة: الآية 273).

ذاته يمكن أن نلاحظ أن مؤسسة المسجد التفاعلي تمتلك من الآليات والتقنيات ما يجعلها تتفادى الوقوع في مثل هذه المفاصد، وذلك بأن تتولى عملية التوزيع بشكل تقني مضبوط لا يتحصل معه وضع المستفيدين في موقف حرج يجعلهم يشعرون بالمهانة ...، كما يمكن أن يكون موقف المعارضة ترجمة مباشرة لقاعدة سد الذرائع، وذلك حتى لا يتحول الفضاء المسجدي إلى ساحة متاحة لممارسة ظاهرة التسول، بحجة أنه مؤسسة تتولى تنظيم جمع أموال الزكوات وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين.

وليس بالضرورة أن يكون موقف المعارضة لهذه العلاقة يعبر عن خلفية مرجعية تخالف الثوابت الشرعية التي تستهدف تعطيل شرائع الدين، حيث إن هذا الموقف قد يمثل تطورا للنظرة الاستراتيجية في تدبير القضايا المجتمعية عبر المؤسسات في بعدها التخصصي، أي: أنه ليس من المعقول والمنصف أن نرمي بكل الحِمل والثقل على مؤسسة المسجد لوحدها، بل ينبغي أن تتدخل معها وتشاركها مؤسسات أخرى، حتى تتعاون معها على تدبير القضايا والمشاكل التي تحتاج إلى نوع من الانفتاح على جهات أخرى أكثر تخصصا وتدقيقا، فتدبير قضايا الزكاة قد يتطلب خبرة في مجال الاقتصاد تخطيطا وتنفيذا، وحينها لا يمكن أن تتحمل مؤسسة المسجد التفاعلي لوحدها هذه المسؤولية، بل لا بد من تدخل أطراف أخرى تعنى بهذا الشأن، ولها ريادة في إنجاحه وتوقيفه، حتى تكون العملية علمية الإجراء خالية من العبثية والتسيب.

ولعل أكبر ما يستند إليه الموقف الوسطي بين التأييد والمعارضة فيما يذهب إليه هو عدم وجود وصفة جاهزة تمثل أنموذجا ناجحا أو تجربة حيّة لهذه العلاقة بين مؤسسة المسجد والزكاة، مما يشير عدة تحولات وهواجس في هذا الصدد، حيث يبقى الغموض يلف كيفية أجرأة هذه العملية، خاصة في ظل مجموعة من الصعوبات والعراقيل الموضوعية والواقعية.

9.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد بظاهرة النوم فيه.

1.9.7. توصيف العلاقة إحصائيا.

نوعية الإجابات المسجلة	الإجابات المؤيدة لعلاقة المسجد بالنوم بشكل كبير جدا أو بشكل كبير (5/4)	الإجابات المعارضة لعلاقة المسجد بالنوم بشكل كبير جدا أو بشكل كبير (2/1)
العدد الموافق لكل نوعية	39	120

60%	19,5%	النسبة المئوية من مجموع الإجابات الكلية (200)

تميل أغلبية المستجوبين بنسبة 60% إلى معارضة إمكانية النوم في مؤسسة المسجد التفاعلي، ولا تؤيد هذه الفكرة سوى أقلية تقدر ب 19,5%، أي: هناك نسبة وسط بين التأييد والمعارضة تقدر بحوالي 20,5%، فكأن هناك تساوي بين الحياد الوسطي والتأييد لهذه العلاقة.

2.9.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

يمكن تفسير اختيار الأغلبية لمنع ظاهرة النوم في المسجد من الحس الذي يمتلكونه في رؤيتهم لهذه المؤسسة، وهي الرؤية التي تتسم بسمة التقديس والتهيب، مما يقتضي أن صيانتها عن كل سلوك أو تصرف غير ملائم لقدسية مكانتها في النفوس أمر مقرر وثابت مسلّم، حيث إنه مهما بلغ المرء من إسراف على نفسه في المعاصي والأخطاء؛ فإن النفس لا تتجرأ على أن تسيء بالفعل إلى مؤسسة المسجد، لأنه وسط مقدس ذو هيبة عظمى.

كما أن هذا الموقف قد يكون نابعا من الرغبة الأكيدة في إبعاد مؤسسة المسجد عن جميع مظاهر الكسل والخمول، حيث إن النوم في كثير من الأحيان يعتبر رمزا للكسل والدعة، وبالتالي فإطلاق العنان للسماح بهذه الظاهرة في المسجد قد يؤدي إلى انطباع هذا التصور عند كثير من الناس؛ وهو أن المسجد مكان للخمول وترك العمل والتفرغ للنوم وما شاكله، وعليه يتعين بناء على هذا الاعتبار المنع المطلق له ومعارضة حدوثه بشدة، كما أن أصل إنشاء وإقامة مؤسسة المسجد التفاعلي إنما هو للعبادات وسائر الأنشطة الحيوية الحركية، والتي من شأنها أن تجعل من هذه المؤسسة وسطا يعج بمظاهر التفاعل والحركة المعطاءة.

وبالتالي، فهذه المظاهر لما كانت تتنافى كليا مع النوم فيه؛ وجب منع كل ما يتنافى مع مقاصد المؤسسة ومنع ما يحول دون تحقيق ذلك، وباعتبار النوم مظنة تعطيل هذه الوظائف؛ أي: جعل المسجد وسطا ساكنا بدون حركة؛ فإنه يتعين منعه بإطلاق، ولعل مثالا واضحا يستوقفنا ونحن نعالج هذا الموقف، وهو أنه لو فرضنا أن أشخاصا نائمين في مسجد معين؛ وإذ بجماعة من الناس يلحون إلى داخل المسجد من أجل عبادة ما أو نشاط وظيفي معين؛ فإنهم قد ينزعجون بهذا المنظر، بل يمكن أن يمتنعوا عن نشاطهم ذلك تجنباً لإحداث أية حركة من شأنها أن توقظ النائمين من نومهم.

وقد يكون موقف معارضة حدوث النوم في المسجد ناتجا عن كون هذه الظاهرة تكون مصاحبة بإحداث محاذير ومفاسد لا تناسب قدسية وطهر الجوّ المسجدي، وذلك لأنه لا يخفى عن الجميع ما يصاحب النوم من هيئات خاصّة في الاضطجاع، بل ما يخلفه كذلك من روائح وغطيط وغير ذلك، مما يستحي من التفصيل في دقائقه، وهو مما لا يمكن أن تتردد معه نتيجة حتمية، وهي نفور الناس من الوسط المسجدي وامتعاضهم من هذه الظاهرة.

يعتبر الموقف الوسطي بين التأييد والمعارضة ناتجا عن كون ظاهرة النوم لا ينبغي أن يتم النظر إليها بمنطق التشديد المطلق، ولا ينبغي في نفس الوقت أن يتم النظر إليها بمنطق التساهل المطلق والليونة غير المنضبطة بمقاصد الشرع واعتبار مآلات الأفعال، فكأن أصحاب هذا الموقف يريدون أن يقرروا أن هناك حدودا معينة للسماح بهذا السلوك في الوسط المسجدي، أخذا بعين الاعتبار دلالة مجموعة النصوص الشرعية على جواز هذا الفعل¹، إلا أن هذا الجواز محكوم ومقيد بعدم الاصطدام مع ما هو أسمى من الوظائف والمقاصد الحيوية لمؤسسة المسجد التفاعلي، ولعل هذا الموقف أكثر انسجاما وتناسقا مع وسطية الإسلام واعتداله في معالجة القضايا الشرعية، بحيث يتم استحضار جميع المعطيات المتاحة سواء الشرعية أو الواقعية أو المالية في حسم حكمه، دون ميل إلى أي جانب من جوانبه الموضوعية.

أما إذا انتقلنا إلى موقف التأييد لعلاقة مؤسسة المسجد بالنوم، فإننا يمكن أن نستشف أن هذا الموقف نابع من عدة اعتبارات تقوي هذا الاختيار، والتي يمكن أن أجمالها فيما يلي:

1- الاعتبار النفسي:

ويتجلى ذلك في كون مؤسسة المسجد التفاعلي وسط لتحقيق الراحة النفسية والطمأنينة القلبية لأهله، وذلك بكل ما تحمله الكلمة من معاني الراحة والطمأنينة، ولعل النوم مظهر من مظاهر الراحة وإزالة التعب النفسي والجسماني مما يشعر به الناس، وبالتالي فلا مانع من صدوره داخل هذا الوسط -عند من يؤيده مطلقا- لأنه لا يصدر إلا ممن يريد به راحة نفسه وإزالة عيائه داخل هذا الوسط الذي تحفه الملائكة، وله من الخصوصيات الروحية والإيمانية ما لا يوجد في غيره من الأمكنة.

¹ سبقت الإشارة في ثنايا الفصل السادس المخصص للتحليل العاملي إلى مجموعة من النصوص الشرعية والآثار التي تبين ممارسة هذا الفعل في الوسط المسجدي.

2- الاعتبار المؤسساتي:

حيث إن المفهوم المؤسساتي للمسجد يقتضي أن تفتح كلياً على مختلف الوظائف والأنشطة، دون أن تغلق الباب على هامش الراحة وتجديد الأنفاس، مما تتطلبه من نوم وترفيه وما شاكل ذلك، حيث لا يتصور أن تكون أوقات المؤمن كلها في المسجد مخصصة لجميع الوظائف والأنشطة التي تصطبغ بصبغة الجدية والحزم، لأن النفس البشرية لها حدود معينة، ومن فطرتها الطبيعية حاجتها إلى النوم وكسر المعتاد الحركي، لتجديد العودة إليه بنفسية حيوية متجددة، فلا يمكن أن نتصور أن ملازمة وتعلقاً بهذه المؤسسة - نشاطاً ووظيفة - يمكن أن يخاطب أصحابه والمباشرين له بالانفصال عن الوسط المسجدي كلية عند الهمم بالنوم.

وعليه، فمن مقتضيات التأسيس لنظرية مؤسسة المسجد التفاعلي السماح المطلق للنوم بالمسجد، لأن هذا التأسيس يستلزم نوعاً من الانفتاح على مختلف الأحوال التفاعلية التي يعيشها الإنسان في حياته.

3- الاعتبار السببي بين العادة والعبادة:

وأقصد بذلك أن مؤسسة المسجد وسط تعبدية، تتكامل فيه العادات مع العبادات، وذلك في انسجام تام، بما يسهل ويمهد أجواء العبادات - أداء وتذوق -، ويجعلها سهلة الأداء، قوية الآثار والمنافع، فقد يحتاج المتعبد في جو المسجد إلى أخذ قسط معين من الراحة في شكل نوم أو استلقاء؛ وحينها تكون هذه العادة سبباً قوياً في التشجيع على الإقبال على العبادة في جو من النشاط والحيوية، ومعلوم أن الوسائل لها أحكام المقاصد، حيث لا يمكن أن يتناقض حكم النوم الذي هو وسيلة مع حكم العبادة التي هي مقصد وجود الخلق في الحياة.

10.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد بالمعاق¹.

1.10.7. توصيف العلاقة إحصائياً.

¹ استعملت مصطلح المعاق هكذا ولم أستبدله بمصطلح [ذوي الاحتياجات الخاصة]، وذلك لأن توظيف القرآن الكريم له يقوي هذا الاستعمال، وليس في ذلك أي غضاظة أو حرج، من ذلك قوله تعالى: "قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا" (سورة الأحزاب: الآية 18).

الإجابات المؤيدة لعلاقة المسجد بالمعاق بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (5/4)	الإجابات المعارضة لعلاقة المسجد بالمعاق بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (2/1)	نوعية الإجابات المسجلة
154	12	العدد الموافق لكل نوعية
77%	6%	النسبة المئوية من مجموع الإجابات الكلية (200)

تمثل نسبة المعارضة لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بالمعاق أقلية شديدة، وذلك بالمقارنة مع حجم النسبة التي تمثل تأييد هذه العلاقة، في حين لا تتجاوز نسبة الوسط بين التأييد والمعارضة 17%.

2.10.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

إن ارتفاع نسبة الموقف الوسطي بالمقارنة مع نسبة المعارضة هو أمر ناجم عن موقف تفاعلي مع المعطيات والظروف الواقعية في المحيط الذي نعيش به، فقلما نجد تفكيراً في الأخذ بعين الاعتبار إمكانية وجود هذه الفئة الاجتماعية بالوسط المسجدي وما يتطلبه ذلك من تسهيل الولوج وتيسير الإفادة من المرافق الضرورية للمؤسسة المسجدية، بل ربما نجد ندرة في التخطيط لأنشطة وبرامج ثقافية وتربوية تخص هذه الفئة، حيث إذا كانت مجموعة من المساجد تفتقد فيها برامج ومرافق تلبي حاجيات الأصحاء من الناس؛ فكيف ستلبي هذه المساجد حاجيات المرضى والمعاقين منهم.

وبالتالي، فأصحاب هذا الموقف يشيرون إلى أنه ليس من السهل أن يُزعم أن مؤسسة المسجد تلبي حاجيات المعاق، فقد تلبي بعض المساجد حاجاته، أو بالأحرى بعض حاجاته، وليست كلّها، لأن واقع المساجد وما يعرفه من صعوبات وعراقيل يمنع التأييد المطلق عند أصحاب هذا الموقف، وقد يكون هذا الموقف نابعا من أن ليس كل معاق يجد نفسه مرتاحاً ومطمئناً ومتوازن الشعور النفسي في الوسط المسجدي، وحينها لا يمكن لأي أحد أن يجبره على ذلك ما دام أنه لا يجد بغيته هنالك؛ لأنه قد توجد من المؤسسات من تعنى بشكل أجود وأقوى بخدمات المعاق؛ وحينها يميل هذا الشخص إليها أكثر من غيرها، لأنه يجد فيها بغيته المنشودة، وبالتالي نكون في هذه الحالة أمام اعتبار التدافع والتنافس المؤسساتي من عوامل تبني الموقف الوسطي لهذه الفئة بين التأييد والمعارضة.

ولما كان المسجد مؤسسة الكل؛ حيث إن الكل ينتظر منها أن تلبي حاجاته المختلفة؛ فإن نسبة كبيرة أيدت هذه العلاقة، وذلك لأن المعاق هو من جملة من ينتظر أن تمد إليه هذه المؤسسة يد المساعدة، لتخفف من معاناته وتسهم في رفع معنوياته ودعم حالته النفسية، بل هو أحوج الناس إليها من غيره.

هناك مؤسسات اجتماعية عديدة تهتم بأنشطة المعاق من أجل دمجها في المحيط الاجتماعي بشكل إيجابي؛ إلا أن المرجعية الدينية تظل غائبة أو مغيبة في كثير من مناهج العمل عند هذه المؤسسات، في حين أن الدين ينبغي أن يظل مؤطرا ذا أولوية، وذلك لأن الدين ينجح في تكييف آليات التعامل مع الحالات النفسية للمعاق وللمريض على وجه العموم، وعليه، فتأيد هذه العلاقة أمر تقتضيه أسباب موضوعية؛ حيث إن المؤسسة المسجدية باعتبار مرجعيتها الدينية هي المؤسسة التي تحظى بالجدارة والأولوية في وجوب تقديم الخدمات النفسية والاجتماعية للشخص المعاق.

ومما يقوي علاقة التأيد بين مؤسسة المسجد وفئة المعاقين هو أن هذه الفئة تكون في ظل ما تعيشه من ابتلاءات ومحن أقرب إلى الأجواء الروحانية الإيمانية، وأبعد من التأثير بمغريات الدنيا وملذاتها، بالمقارنة مع غيرهم من الفئات الاجتماعية، مما يستدعي أن تستثمر هذه المؤسسة هذا الجانب بشكل إيجابي لجعل هذه الفئة تشاق وتحن للأجواء الروحانية المسجدية، وذلك بما ينسبها ألم ومعاناة ما تعيشه من أوضاع صحية؛ حيث إن هذه الفئة إذا فقدت أملها وخاب ظنها فيما تقدمه لها هذه المؤسسة من أنشطة ومعاملات؛ بل تعرضت للشعور فيها بالنقص والإحباط والمهانة؛ فإنها ستفر من الأجواء المسجدية بالجملة، وقد يسبب هذا الفور تأزما وتعقيدا نفسيا آخر ينضاف لما تعانيه هذه الفئة من أصلها، وقد تبتغي هذه الفئة بديلا عن المسجد في أماكن ومؤسسات أخرى يكون تخريبها للقيم المرجعية والمبادئ أمرا لا مفر منه.

ولا شك أن هذا التأيد هو دعوة لمراجعة حسن التدبير المادي المرفقي، بما يكفل الحق الوجودي لهذه الفئة بمؤسسة المسجد التفاعلي، بالإضافة إلى أنه دعوة إلى مراجعة التدبير السلوكي المعنوي؛ وذلك بتوعية الناس وتكوينهم حول التعامل السليم والملائم مع هذه الفئة.

وعن موقف المعارضة للعلاقة بين مؤسسة المسجد والمعاق؛ فتتعدد الاحتمالات والأوجه التي يمكن أن تكون خلف هذا الموقف، ومن جملة ما يمكن أن نفسر به هذه المعارضة اعتباران أساسان:

● **عدم الإلمام بالحاجات النفسية والاجتماعية الأساس** لهذه الفئة؛ حيث إنها تشترك مع الفئات الأخرى في حاجاتها الإنسانية¹، فكثير من الناس يظنون أن هذه الفئة ينبغي أن تنعزل وتنقطع عن الحياة العامة، لكونها تفتقد لمقومات العطاء والإنتاج الدينامي الحركي داخل المجتمع، ولا شك أن هذا الاعتبار يمثل قصورا في الفهم والتصور، لأن العطاء لا ينحصر أبدا في المجال الحركي؛ فقد يكون العطاء الفكري مولدا أساسا ومصححا لكثير من المسارات التي يحتاجها المجتمع، بل إن تهميش هذه الفئة وإقصائه عن المشاركة الفعالة في المجالات الحيوية للحياة يسبب لها من الأزمات والمشاعر السلبية، مما يزرع فيها شعور اليأس والقنوط ويقتل فيها رغبة الإبداع والإنتاج الخلاق.

● **الخلط بين الحكم الشرعي والإجراء العملي في تأصيل هذه العلاقة؛** فالحكم الشرعي لهذه العلاقة لا يصل إلى الوجوب الحتمي بتاتا؛ وذلك لأن الواجب منوط بالقدرة والاستطاعة، كما أن المشقة تجلب التيسير، وهذا معلوم باستقراء النصوص والأحكام الشرعية العملية، لكن هذا الأمر لا يستلزم الإلغاء والإقصاء والتهميش للعلاقة المذكورة، على غرار ما تم التأصيل له في العلاقة بين المسجد والطفل أو العلاقة بين المسجد والمرأة، لأنه لو كان الأمر منوطا بالوجوب الشرعي في كل علاقة مسجدية؛ للزم من ذلك تعطيل مجموعة من الأنشطة والوظائف التي تحقق حيوية المسجد ونهضته الحركية في المجتمع برمته، وعليه، فمشروع المسجد التفاعلي يتحرر من هذه النظرة المحدودة.

11.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي باللغات.

1.11.7. توصيف العلاقة إحصائيا.

Nombre de n	Étiquettes de colonnes					Total
Étiquettes de lignes	1	2	3	4	5 (vide)	général
الطلبة والتلاميذ	5	17	16	15	7	60
الموظفون	5	7	12	24	28	76
التجار والأعمال الحرة	3	2	3	4	8	20
أهل الشأن الديني	1	2	6	8	3	20
بدون مهنة أو عمل	5	3	6	8	2	24
Total général	19	31	43	59	48	200

¹ نسبة إلى الأنس أو الإناسة، والتي هي من أهم المميزات السوسيو وجدانية للإنسان في علاقاته مع أخيه الإنسان.

نلاحظ من خلال هذا الجدول أنني ركزت في بيان المعطيات الإحصائية للاستجابات المحصلة بدلالة المتغير المتعلق بالمهنة، حيث يتضح أن فئة الموظفين هي التي تهيمن على تأييد العلاقة المدروسة في هذا الفرع، إذ بلغ مجموع الموظفين الذين اختاروا موقف التأييد 52 موظفاً من أصل 76، أي: نسبة 68,42%، وبالمقابل؛ لا تتجاوز نسبة كل من المعارضة أو الموقف الوسطي 15,76%، مما يعني أن متغير المهنة يشكل عاملاً قوياً في وصف وتفسير النتائج المحصل عليها.

2.11.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

يعتبر تأييد النسبة الكبيرة من الموظفين لعلاقة المؤسسة المسجدية بتدريس اللغات دليلاً على أن هذه المؤسسة يفترض فيها الانفتاح على المحيط بكل مكوناته، خاصة الثقافية منها، وذلك حتى يتم تأطيرها من قِبَلِها تأطيراً شرعياً وتربوياً هادفاً، كما أن هذا التأييد يعتبر مؤشراً على عدم الرضى والافتناع بما يقدم من خدمات في المجال اللغوي، وذلك من طرف المؤسسات التي تعنى بهذا الجانب، حيث إن الملاحظ على مجموعة من المؤسسات والمراكز تغليبها للاعتبار المادي بشكل مفرط، وبالتالي، فاهتمام المؤسسة المسجدية باللغات تدريساً سيأخذ بعين الاعتبار الجانب الإحساني التعاوني، نظراً لطبيعة ومرجعية هذه المؤسسة.

إن ارتباط هذه النسبة الكبيرة للتأييد بفئة الموظفين يدلّ على أن هذه الفئة تمتلك وعياً مميزاً بخصوص قدرة هذه المؤسسة على القيام بممارسة هذه المهمة، بالإضافة إلى تعبيرها عن مدى حاجتها إلى هذا النشاط عبر مؤسسة المسجد التفاعلي على وجه الخصوص، وذلك لكون الرسالة الدينية ترتبط -في وجهة نظرهم- ارتباطاً مؤكداً باللغات تدريساً وممارسة، لأن الدين الإسلامي عالمي التوجيه والقصد، ولأن ممارسة هذا النشاط عن طريق هذه المؤسسة قد يكون سبباً يؤمل فيه أو وسيلة من شأنها أن تربط الناس بأجواء المسجد؛ في وقت غفل فيه الكثير عن الارتباط بالأجواء الروحانية والتربوية لهذه المؤسسة.

أما فيما يخص النسبة التي تمثل موقف الوسط؛ فذاك اختيار يمكن أن يؤوّل بميلها نحو الاحتياط والمراعاة اللازمة لخصوصيات المكان في ممارسة الأنشطة المتعلقة بتدريس اللغات، حيث إن الأجواء التي تسود تدريس اللغات في المؤسسات والمراكز التي تعنى بهذا النشاط لا تخلو في معظمها من مظاهر وتصرفات لا تتناسب في كثير من الأحيان مع ما يتطلبه الفضاء المسجدي من احترام وهيبة تلائم قدسيته وطهارته ومكانته التقديرية في النفوس، مثل التوسع في الضحك والكلام المصحوب بالتشويش والإزعاج، بالإضافة إلى الألبسة المحلّة

بالحياء، وبالتالي، ينبغي أن تتخذ الاحتياطات الحكيمة التي تحفظ الآداب العامة اللازمة من أجل توقيف المؤسسة المسجدية، مع عدم التشدد المطلق في منع تنظيم مثل هذه التظاهرات التي تزيد في إشعاع ومردودية مؤسسة المسجد التفاعلي وتجعل منه فضاء حيويًا، فوسيطية الإسلام تتطلب جمعًا رصينًا متوازنًا بين حكمة التوجيه وضمان قدسية ومهابة المكان.

أما أصحاب موقف المعارضة؛ فإنهم يمثلون تصورًا منهجيًا يقوم على الانطلاق من الواقع لإسقاط الحكم القيمي على العلاقة المدروسة، فكأنهم لا ينظرون نظرة تغيير وإصلاح لوظائف المؤسسة المسجدية، أي: يرون ثباتها وبقائها على ما هي عليه دون تجديد أو تغيير، فما دامت ظاهرة تدريس وتعليم اللغات تكاد تكون شبه منعدمة في تخطيط أنشطة المساجد الحالية، سواء تعلق الأمر بإكراه واقعي معين أم لم يتعلق، فإنهم لا يؤيدون تبني هذا النشاط عبر مؤسسة المسجد التفاعلي، حفاظًا على وضع المسجد الحالي، بغض النظر عن تقييمه ونقد حاله، وإنما يترك ذلك لباقى المؤسسات التي تهتم بباقي أنشطة المجتمع المدني.

وقد يكون هذا الموقف نابعا من نظرة متشددة منغلقة، مفادها أن كل ما يرتبط بالغرب من ثقافة ولغة فهو مرفوض ومنبوذ، ولم يستحضر أصحاب هذه النظرة المنغلقة المتطرفة أنه لا يمكن التحوّل مع الآخر إلا بفهمه واستيعابه وفهم مكوناته واستيعاب جوانب ثقافته وتفكيره، ومع ما يكون عنده من الشر في ثقافته ولغته؛ فإن الاطلاع على ذلك واكتشافه مما يفيد متعلمه بلا شك، ولذلك فقد كان بعض الصحابة يسألون عن الشر أكثر من سؤالهم عن الخير، كما هو الشأن عند الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان، والذي كان يقول: 'كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي' (صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: 3606، ج4/ص199)، والله در الشاعر أبي فراس الحمداني إذ يقول: عرفت الشر لا للشّر ر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه¹

(الحماسة المغربية - مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب -: أبو العباس أحمد التادلي (ت609هـ)، باب اللام، ج2/ص1253، تحقيق: محمد رضوان الدايدة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1991م).

¹ البيت من الوافر.

ويمكن أن نستخدم على أصحاب هذه النظرة في هذا الموقف المعارض: نظرة القطيعة والحظر اللامبرر، إذ إن المتأمل في إصدار هذا الحكم أو الموقف؛ سيجد أنه مبني على مجرد المنع، دونما اعتماد على أي مبرر معقول أو سبب مقنع يقوي مصداقية القرار.

12.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بالدورات التكوينية.

1.12.7. توصيف العلاقة إحصائياً.

Nombre de n	Étiquettes de colonnes					Total
Étiquettes de lignes	1	2	3	4	5 (vide)	general
الطلبة والتلاميذ	6	13	19	17	5	60
الموظفون	4	7	16	21	28	76
التجار والأعمال الحرة	3	2	6	3	6	20
أهل الشأن الديني	2	3	1	5	9	20
بدون مهنة أو عمل	3	4	4	8	5	24
(vide)						
Total general	18	29	46	54	53	200

تتكرر في هذا الجدول نفس الملاحظة التي تم تسجيلها في جدول الفرع السابق مع الحفاظ على نفس المتغير الدال؛ ألا وهو عنصر المهنة، حيث نلاحظ هيمنة نسبية في فئة الموظفين الذين اختاروا تأييد العلاقة بين مؤسسة المسجد وإقامة الدورات التكوينية به، إذ نجد أن مجموع الموظفين الذين اختاروا موقف التأييد 49 موظفاً من أصل 76، أي نسبة 64,47%، وبالمقابل لا تتجاوز نسبة المعارضة 14,47%، وبالتالي يتضح أن الفرق المقدر بين نسبة التأييد ونسبة المعارضة يصل إلى أكثر من أربعة أضعاف.

أما أصحاب الموقف الوسطي؛ فتقدر نسبة تمثيلهم بـ 21,05%، وبالتالي فمتغير المهنة -خاصة في تأثير عامل الوظيفة- له أثره في وصف وتفسير النتائج الإحصائية المرتبطة بدراسة هذه العلاقة، إذ إن باقي المهن الأخرى لا تسفر عن تباينات رقمية تتيح كشف نوع من التأثير في الاختيار.

2.12.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

ينطلق تحليل موقف التأييد للعلاقة المدروسة في هذا الفرع من ربطه بخصوصيات هذه الفئة وما يميزها عن باقي المهن الأخرى، فهي تعبر عن امتلاكها لنظرة مؤسساتية عميقة، وهي تمثل درجة وعيها بالطريقة المركبة التي ينبغي أن يسير وفقها المسجد التفاعلي في اشتغالها الوظيفي، وبالتالي فنظرهم للمؤسسة المسجدية هي

نظرة حركية حيوية تأبى الفراغ، فكأن الواقع المهني الوظيفي الذي يعيشه الموظف في حياته العامة بما فيه من أشغال وأعمال والتزامات يؤثر عليه في تكوين نظرتة وتصوره نحو مؤسسة المسجد التفاعلي، فيرغب بذلك في توسيع أفقه المهني حتى داخل الفضاء المسجدي، فيرى أنها فضاء ملائم لعقد دورات تكوينية وتدريبية في مجالات متعددة، كالطب والاقتصاد والإعلاميات وغيرها، مما قد يسهم في تكوين مرتادي المساجد وانفتاحهم على محيطهم خارج ما يتعلق بالمجال التعبدية.

إن الموظف الذي يؤيد هذه العلاقة يحب الخير لمسجده، فهو حريص على ظهوره وإشعاعه في أجمل مظهر وأزهى حلّة، ويريد من المؤسسة المسجدية أن تكون فاعلة ومساهمة بشكل كبير في إنماء المجتمع، بل تسعى نحو امتلاك أفرادها عقلية علمية متطورة؛ من شأنها أن تساعد في حياتهم الدينية وفي حياتهم الدنيوية، مع أن الحياتين معا تحتاجان لبعضهما البعض، فلا يخفى أن المجال التعبدية هو في حاجة ماسة إلى انفتاحه على المجالات العلمية الأخرى عن طريق هذه الدورات لما فيها من تقريب المسافة إلى مرتادي المساجد وحسن تدبير الوقت وحسن اختيار المكان، فتكون بذلك هذه التظاهرات الدورية فرصة مناسبة ومواتية لتنمية مهارات وكفاءات التأمل والتدبر لديهم، بما يحقق خشوع القلوب وتهذيب السلوك وتربية النفوس، ولا يفوتني أن أذكر أن هذا الموقف يبين أن إقامة هذه الدورات يضفي صفة التجديد والاستمرارية على المؤسسة المسجدية في طبيعة اشتغالها التفاعلي الوظيفي، ولا شك أن لهذا موقعه الهام في إزالة الشبهات والصور النمطية التي علق بكثير من الأذهان، والتي مفادها أن كل ما هو مرتبط بالدين هو قديم وغير مسير وبعيد عن مواكبة روح العصر وتطورات الراهنة.

أما عن موقف الرضا والمعارضة للعلاقة بين مؤسسة المسجد وإقامة الدورات التكوينية به؛ فأهم ما يمكن أن يُفسّر به هذا الموقف هو رغبة أصحابه في إبعاد المؤسسة المسجدية عن الأنشطة المكثفة التي قد تعتم الوظيفة التعبدية والتي هي أساس إقامة هذه المؤسسة، حيث لا يخفى أن هذه الدورات التكوينية يصاحبها جوّ من الازدحام والامتلاء، بما قد يتسبب في حدوث إزعاج وضوضاء، قد يعرقلان أداء العبادات في جوّ من السكينة والخشوع اللازمين خلالها، بالإضافة إلى أن إقامة هذه الدورات تتطلب توفر التعبئة المادية والعدة التجهيزية الكافية، مما قد يكون على حساب أنشطة ووظائف مسجدية أخرى، تعتبر أكثر أولوية وأبلغ أهمية، وبالتالي، سيقع هنالك اختلال منهجي في تخطيط وتدبير المهام المسجدية حسب الأولوية وقوة الأهداف، وعليه، يكون من المتعين عند هذه الفئة رفض هذه الدورات، مراعاة للوضع وحفظا للمصالح العليا المعتمدة.

وبخصوص الموقف الوسطي بين التأييد والمعارضة؛ فهو اختيار يوازن أصحابه بين المزايا الإيجابية لإقامة هذه الدورات وبين ما تتطلبه من إعداد لإنجاحها وتحقيق المنتظر منها، وإلا سيكون التحمس لعقد هذه الدورات من قبيل العبث والعشوائية؛ والتي لا يرتجى منها سوى تحقيق الشهرة والسمعة، مع فراغ المحتوى وضعف الأساس الذي يبنى عليه الأمر، وقد يكون هذا الموقف منطلقاً من إكراهات واعتبارات واقعية تتجلى في كون المؤسسة المسجدية لا تتلقى تأييداً ودعماً يمكنها من سهولة النهوض بمثل هذه المبادرات والتظاهرات، بل على العكس في ذلك قد تكون هنالك عراقيل متعددة تحول دون سيرها وانطلاقها.

13.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بتوظيف وسائل وتقنيات الإعلام والاتصال.

1.13.7. توصيف العلاقة إحصائياً.

Nombre de n	Étiquettes de colonnes					Total
Étiquettes de lignes	1	2	3	4	5 (vide)	général
ابتدائي			3	3	3	9
إعدادي		2	1	7	3	13
ثانوي	3	9	6	22	12	52
جامعي (إجازة)	2	11	19	29	32	93
ماستر / دكتوراه				13	20	33
(vide)						
Total general	5	22	29	74	70	200

يلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن إبراز العلاقة المدروسة في هذا الفرع تم بمسلكين:

- مسلك المتغير المتعلق بقوة وضعف الإجابة، وهو الذي يتعلق بالترميز المتتابع من 1 إلى 5.

- مسلك المتغير المتعلق بالمستوى الدراسي، من أجل قياس حجم تأثيره على نوعية الإجابة، وهو ما يشار إليها كتابة في أسطر الجدول كما هو مبين.

بالإضافة إلى أن الجدول يبين المجموع الخاص بكل فئة، مما يسهل حساب النسبة التمثيلية عند الحاجة.

ويمكن أن نوضح نسبة كل من التأييد والمعارضة لهذه العلاقة كما هو مبين في الجدول الآتي:

الإجابات المؤيدة لعلاقة المسجد بتقنيات الاتصال بشكل كبير جدا أو بشكل كبير (5/4)	الإجابات المعارضة لعلاقة المسجد بتقنيات الاتصال بشكل كبير جدا أو بشكل كبير (2/1)	نوعية الإجابات المسجلة
144	27	العدد الموافق لكل نوعية
72%	13,5%	النسبة المئوية من مجموع الإجابات الكلية (200)

بلغت نسبة التأييد للعلاقة المدروسة 72% من المجموع الإجمالي للإجابات، وهي النسبة التي تُشغل في معظمها من مستوى دراسي جامعي يفوق الإجازة، كما هو مبين في الجدول السابق، حيث تصل نسبة هذه المستويات الدراسية العليا من مجموع المؤيدين: 64,58%.

نلاحظ أن نسبة المعارضة لهذه العلاقة لا تتجاوز 13,5%، أي أن نسبة الموقف الوسطي تقدر فقط بنسبة 14,5%، وبالتالي فهما متقاربتان، وما دام أن الفرق بين أعلى نسبة (التأييد) وأقلها (المعارضة أو الوسط) يقدر بأكثر من خمسة أضعاف؛ فإن هذا الفرق المسجل يتيح عملية التحليل والتفسير للمعطيات الإحصائية.

2.13.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

لا شك أن هذا الارتفاع المسجل في نسبة التأييد يدل على أثر المستوى في اختيار نوع الإجابة، ومعلوم أن المستويات الدراسية المتقدمة مظنة الميل نحو العلاقة الوطيدة بينها وبين وسائل الاتصال، وذلك لأن لهذه الوسائل وظيفة هامة في تسهيل مجريات الحياة واقتصاد الكلفة والجهد، وبالتالي فهذه الفئة ترغب في نقل علاقتها وتجربتها نحو المؤسسة المسجدية من أجل تسهيل الحركة بها، وجعلها تتفاعل بنفس الإيقاع الذي تعرفه الحياة خارج المسجد، فيصير بذلك هذا الوسط مواكبا ومسائرا للتطورات والتقنيات التي تنفع الناس خارجه، وذلك لأن الحياة داخل المسجد لا تختلف في حاجتها إلى هذه الوسائل عن الحياة خارجه.

وبالتالي، لا يمكن -عند هذه الفئة المؤيدة- أن نقصر نفع هذه الوسائل التواصلية على خارج المسجد، كما يلاحظ أن هذا التأييد المقترن بتطور المستوى الدراسي والثقافي للفئة المؤيدة يدل على أن هذا التطور الدراسي يسهم في انفتاح العقلية وامتلاكها لوعي أكثر تقبلا لما هو نافع من الإبداعات والاختراعات الإعلامية والتواصلية، بما يحقق الإضافة النوعية للمجالات الوظيفية التي توجد في مؤسسة المسجد التفاعلي.

أما عن موقف المعارضة؛ فيمكن أن يكون ناتجا عن الخلل المتجلي في سوء استعمال وتوظيف هذه الوسائل وما تحدّثه من إرباك وضجيج وإزعاج، مما ينشأ عنه ذهاب الهدوء والسكينة اللازمين في أجواء هذه المؤسسة، وبالتالي يتخلف تحقيق مقصد صفاء الروح، ومن مظاهر هذا الخلل ما ينتج عن استعمال الهواتف النقالة داخل الفضاء المسجدي أو نسيانها بدون وضع صامت، فتختلط أصوات الرنانات الهاتفية من هنا وهناك حتى لا يبقى لجو العبادة ولا لخشوعها طعم يقاس.

وقد أدى هذا المظهر في كثير من الأحيان إلى حدوث مشادات كلامية بين المصلين، ولا شك أن ذلك راجع إلى عدم الانتباه إلى الهاتف قبل الدخول في الصلاة، أو هو راجع إلى الجهل بطريقة التصرف وإدراك حكم جواز الحركة لإطفائه داخل الصلاة، كما أن من مظاهر التردد في استعمال هذه التقنيات التواصلية ما يُتحرّج منه في تخطيط وضع كاميرات المراقبة وما يثيره ذلك من حساسيات في أمكنة الوضع، خاصّة فيما يتعلق بأمكنة وجود النساء، لأن خصوصيات هذه الفئة تطرح عدة تساؤلات حول إمكانية التوظيف، ويترتب عن ذلك إشكالات قد توقع المؤسسة المسجدية في حسابات ضيقة تكون في غنى عن هذه المشاكل المترتبة عن هذا التوظيف.

وقد يكون موقف المعارضة للعلاقة بين مؤسسة المسجد التفاعلي ووسائل الاتصال ناتجا كذلك عن التصور المتجلي في كون هذه المؤسسة لا تحتاج في طبيعة سيرها وعملها لخدمات هذه الوسائل، لأن أنشطتها تستغني عن هذه التقنيات، حيث إن صبغتها تعبدية محضة، ولا شك أن هذا التصور قد يكون مقبولا في مساجد معينة لا تدعو الحاجة فيها إلى هذا الأعمال وهذه الاستعانة بهذه الخدمات، وذلك نظرا لطبيعتها وخصوصية تصميمها وإمكاناتها الوظيفية وطاقمها المحدود، فحينها لا يمكن لعامل أن يؤيد هذه العلاقة نظرا لأن ذلك يقتضي تدبيرا قد يفضي إلى إهدار المال وإسرافه في غير حاجة وفي غير وجه حق، والأولى في ذلك ترشيد نفقات المؤسسة المسجدية وحسن تدبيرها حسب الحاجة والأولوية.

ويمكن أن يكون الموقف الوسطي معبرا عن الاحتياط وحسن التفكير في استعمال هذه الوسائل وهذه التقنيات، بما يحقق القصد المناسب والملائم مع الجوّ المسجدي وحيثياته الوظيفية العملية، وحينها تُتخذ الإجراءات الاحتياطية والصيانية اللازمة، حتى لا تحرم المؤسسة من الانفتاح على خدمات هذه الوسائل التي لا ينكر نفعها إلا جاهل أو مكابر، مع عدم التوسع والإفراط في استخدامها دون قيود وضوابط، مما يعود سلبا

على طبيعة سير الوظائف المسجدية الأخرى وما يلزمها من صفات مصاحبة، ولا شك أن هذا الموقف يدعو إلى التكيف المبدئي لهذه الوسائل والتقنيات مع خصوصيات العمل الوظيفي المسجدي قبل وجودها بوسطه.

14.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد بالنقاش الفكري والمناظرات.

1.14.7. توصيف العلاقة إحصائياً.

Nombre de n	Étiquettes de colonnes					Total
Étiquettes de lignes	1	2	3	4	5 (vide)	général
ابتدائي		2	2	4	1	9
إعدادي		1	2	5	5	13
ثانوي	4	9	10	19	10	52
جامعي (إجازة أو أقل)	5	16	19	29	24	93
ماسر / دكتوراه		3	8	8	14	33
(vide)						
Total general	9	31	42	65	54	200

من خلال هذا الجدول أعلاه، يتبين أن الإجابات المسجلة تم إخراجها بدلالة المتغير المتعلق بالمستوى الدراسي، حيث لا توجد تباينات وفروق في العدد الإجمالي المتعلق بقوة الإجابة (من 1 إلى 5) تتيح عملية تحليل وتفسير الحصيلة الناتجة.

وبتسليط الضوء على حصيلة الفئة الأخيرة (الماسر والدكتوراه)؛ فإن نسبة التأييد للعلاقة المدروسة داخلها بلغت 68,75% (22 مؤيد من بين 32)، وبالمقابل لا تتجاوز نسبة المعارضة لنفس العلاقة 9,37% (3 معارضين من بين 32)، لتبقى النسبة الممثلة للموقف الوسطي داخل نفس الفئة هي: 21,87%.

2.14.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

إن أهم ما يمكن أن نفسر به موقف الأقلية التي تجنح إلى المعارضة -ضمن هذه الفئة- هو تخوفها من الآثار السلبية التي قد تنتج عن النقاش والتناظر داخل المؤسسة المسجدية، فكأنها تريد تنزيه وإبعاد هذا المكان القدسي الطاهر عما يصاحب هذه الأشكال الحوارية من حدة واشتداد، لأن ذلك لا يتوافق مع خصوصيات المكان، إذ إنه جرت العادة في المناقشات الفكرية والمناظرات أنها لا تخلو مما سبق ذكره، فالمعارضة والمنع عندهم هما الوسيلة الناجعة والكفيلة بحفظ هذا المكان وتنزيهه عن هذه الأجواء المكهرة.

وليس بالضرورة أن يكون موقف المعارضة معبرا عن الرغبة في تعطيل هذا النشاط من خلال مؤسسة المسجد التفاعلي ورفضه ألبته، إذ إن المشكل يتجلى في كون الممارسة العملية لهذا النقاش داخل الفضاء المسجدي هي التي يدور حولها الموقف، وليس أمر النقاش في حد ذاته، فلو أنه تمت مراعاة الآداب اللازمة من قبل المتناقشين وتم اعتياد ذلك بشكل ملحوظ وسائد؛ لتقوى احتمال تغيير أصحاب هذا الموقف نحو التأييد المطلق، حيث يستبعد بشكل كبير أن يكون رأي هذه الفئة رافضا للنقاش والتناظر من أصله ومنشأه، وهي الفئة التي بلغت من المستوى الدراسي والثقافي ما يجعلها أكثر محبة للنقاش وأشد ميلًا وانجذابًا نحوه.

أما موقف الوسط بين التأييد والمعارضة؛ فارتفاع نسبته بالمقارنة مع نسبة المعارضة مؤشر دال على الحضور القوي للمستوى الثقافي وتحكيمه في اختيار نوع الإجابة عن هذا السؤال، وذلك لأن النقاش أمر مطلوب في المؤسسة المسجدية وهو من أوجه إشعاعها، ومما يزيد في مردوديتها، لكن بابه لا ينبغي أن يفتح على مصراعيه، لئلا يلج إليه كل من هبّ ودبّ، وفي الوقت ذاته لا يمكن أن يسمح بأي نوع من النقاش والتناظر في أي وقت بشكل مطلق، لأن ذلك من شأنه أن ينفر المصلين وعموم المرتادين من الجوّ المسجدي، إذ قد يتحول المسجد على إثر ذلك إلى حلبة للصراع، مما يتنافى مع قصد النقاش والتناظر، والذي يتجلى في إقناع وتوسيع أفق الفكر والمنطق من أجل تكوين الملكة التي تسمو بإيمان الأشخاص وترفع من مستوى تدينهم وتعلقهم بالدين عقيدة وقيما.

ويبقى اختيار موقف التأييد للعلاقة المدروسة موقفا يعبر عن الحاجة الماسة إلى هذا النشاط عن طريق مؤسسة المسجد التفاعلي، وذلك لأنها المؤسسة الناجعة والكفيلة بترسيخ قيمه ومبادئه ومقاصده على الوجه اللائق، حيث إن الممارسين له في هذا المكان مَهْمًا سَوَّلَتْ لهم أنفسهم خروجًا عن الإطار العام للنقاش والتناظر؛ فإن هيبة المكان وخصوصياته النفسية تجعلهم يمتثلون لمقتضى ذلك في أسرع وقت وبأقل جهد ممكن، وبالتالي يكون اختيار الفضاء المسجدي للمناقشات والمناظرات أنسب من غيره لضمان جريانها في غطاء آمن.

وليس معنى هذا الكلام أنه لا يمكن أن يقع خرق في الآداب اللازمة والضوابط المؤطرة أثناء مناقشة أو مناظرة مسجدية ما، فلا شك أن الواقع يشهد أن العديد منها قد يخرج عن إطاره اللازم، لكن جريانه في مؤسسة المسجد يغذيه بالقيم التربوية التي تزرع فيه تدريجيا، وتجعله يحافظ على أقل ما يمكن من معاني الانضباط والالتزام القيمي بالمقارنة مع ما لو جرى خارج هذا الإطار المكاني، ولذلك فإبعاد النقاش والتناظر عن المؤسسة المسجدية -عند هذه الفئة- هو ضرب من ضروب التعطيل الوظيفي الفكري والثقافي لمؤسسة المسجد التفاعلي،

حيث يتعارض مقتضى ذلك مع ما وصلت إليه هذه الفئة من تقدم في مستواها الدراسي والثقافي، ويتعارض كذلك مع ما تراه من أهمية لاستثمار كل الإمكانيات والطاقات المتاحة¹، لتطوير كفاءات النقاش والمناظرات العلمية، وذلك من أجل نفع أفراد المجتمع والراقي بهم عن طريق هذه الآلية، وبالتالي تحقيق أسمى هدف وهو توحيد الأفراد وجمع شملهم الفكري والاجتماعي، فالمسجد له قوى خفية في توحيد صفوف أهله وتذويب جليد النزاعات والشقاق المختلفة بين أفرادها، وعليه؛ فالمؤسسة المسجدية تمتلك هبة خاصة في النفوس، وتحظى بتقدير خاص وسلطة تربوية تجعل من ممارسة الحوار داخلها ممارسة مضبوطة بسلطة الأخلاق والقيم.

15.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد بحملات التبرع بالدم.

1.15.7. توصيف العلاقة إحصائياً.

Nombre de n	Étiquettes de colonnes					Total
Étiquettes de lignes	1	2	3	4	5 (vide)	général
التلاميذ والطلاب	3	11	15	21	10	60
الموظفون		6	8	30	32	76
التجار والأعمال الحرة		2	2	8	8	20
أهل الشأن الديني			3	7	10	20
بدون مهنة أو عمل	1	1	3	11	8	24
Total general	4	20	31	77	68	200

من خلال الجدول أعلاه؛ نلاحظ أن إجابات المستجوبين في الاستمارة تم إفرازها بدلالة المتغير المتعلق بالمهنة، حيث لا يزال هنالك تفوق ملحوظ لفئة الموظفين ضمن مجموع المؤيدين لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي مع حملات التبرع بالدم، لأن هناك 62 مؤيداً من بين 76 في مقابل 6 معارضين من 76، أي: نسبة الموظفين المؤيدين لهذه العلاقة هي: 81,57%، في حين أن المعارضين منهم تقدر نسبتهم بـ 7,89%، أما النسبة الممثلة لنوع الإجابة دون اعتبار أي متغير فهي وفق ما يبينه الجدول الآتي:

نوعية الإجابات المسجلة	الإجابات المؤيدة لعلاقة المسجد بحملات التبرع بالدم بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (5/4)	الإجابات المعارضة لعلاقة المسجد بحملات التبرع بالدم بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (2/1)

¹ ومنها: إمكانيات وفرص مؤسسة المسجد التفاعلي.

24	145	العدد الموافق لكل نوعية
12%	72,5%	النسبة المئوية من مجموع الإجابات الكلية (200)

وعليه، فإن النسبة المقابلة لأصحاب الموقف الوسطي بين التأييد والمعارضة هي 15,5%، أي أنها مقارنة نسبيا لتمثيلية المعارضة في هذه العلاقة المدروسة، ويقدر الفرق المسجل بين أعلى نسبة المتعلقة بالتأييد وأدنى نسبة المتعلقة بالمعارضة من المجموع الإجمالي للإجابات بأكثر من ستة أضعاف، مما يتيح التساؤل حول العوامل التي تكمن وراء هذا التباين، وهو ما تحاول عملية التحليل والتفسير الكشف عنه في الفقرة الموالية.

2.15.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

من خلال التأمل في المكونات الدلالية لموضوع العلاقة، يتبين أن الدافع الخيري التعاوني ذا الطابع الاجتماعي المحض هو الذي يحكم منطق التأييد الذي اختارته النسبة الممثلة لهذا الموقف، حيث إن هذا الدافع يرتبط ارتباطا قويا بمؤسسة المسجد، إذ إنها تزرع وترسخ القيم التضامنية الاجتماعية التي تجعل المجتمع يؤازر أفراد بعضهم بعضا، ومن جملة المظاهر التضامنية الاجتماعية التي برزت في الواقع التفاعلي المعاصر نجد حملات التبرع بالدم لفائدة الأشخاص الذين يعانون من خصاص في هذه العملة النادرة، فكان لزاما على مؤسسة المسجد أن تواكب هذه الحملة الاجتماعية، على اعتبار أن الخطاب المسجدي يعجّ بالمحفزات الخيرية التي تحث النفوس نحو الإقبال على هذا العمل النبيل، وبالتالي، فهو الوسيلة الملائمة التي من شأنها أن تضمن تكثيف الأعداد المنخرطة في هذه الحملة عطاء ومشاركة ودلالة.

كما يعتبر التأييد لهذه العلاقة موقفا إيجابيا ينطلق من إسهام المؤسسة المسجدية في حفظ الأمن الاجتماعي داخل الأوساط الإسلامية، وما دام أن الأمن الاجتماعي متعلق كذلك بالإسهام في سلامة وصحة الأفراد والسعي نحو حفظ حياتهم من التعرض إلى الهلاك؛ فكل مشاركة للمؤسسة المسجدية في هذه السلامة الصحية لهؤلاء الأفراد عن طريق هذه الحملات التبرعية هي عمل وظيفي هام وجاد في سبيل تحقيق وظيفة الأمن الاجتماعي عن طريق مؤسسة المسجد التفاعلي.

وعلى هذا الأساس؛ يمكن أن يكون موقف المعارضة لهذه العلاقة يحمل في طياته نظرة تعطيئية سلبية للوظيفة الحيوية الاجتماعية التي ينبغي أن يضطلع بها المسجد التفاعلي في الوسط الذي يوجد فيه، والذي من

المنتظر أن يضم إشعاعا اجتماعيا وازنا للمؤسسة المسجدية باعتبارها إحدى المؤسسات التي يعول عليها اجتماعيا في إحداث التغيير الإيجابي المنشود.

لقد أثبتت هذه الدراسة أن نسبة مئوية تقارب الثلاثة أرباع من المستجوبين تؤيد حملات التبرع بالدم عن طريق مؤسسة المسجد، مما يبين أن هذه الفئة تمتلك حسا اجتماعيا فاعلا ذا خلفية دينية، أي أنها ترى الأثر الوظيفي الفعال لمؤسسة المسجد التفاعلي يكمن في انفتاحها على جلّ الأنشطة الاجتماعية المتاحة التي تجعل منها معلمة بارزة في المجال الاجتماعي، وذلك بما يحقق الأمن والاستقرار المتعديين والشاملين على امتداد المجتمعات والأوساط التي تنعم بحضور هذه المؤسسة.

وبالنسبة للفئة المعارضة؛ فإن موقفها إما أن يكون ناتجا عن جهل معرفي بالتصور الوظيفي لمؤسسة المسجد التفاعلي؛ وإما أن يكون موقفها ناتجا عن اليأس في الأثر الإصلاحي الاجتماعي لهذه المؤسسة، وذلك بناء على التهميش والتعطيل الواقعيين اللذين يكادان يسيطران على العمل الوظيفي المسجدي، كما يمكن أن يكون موقف المعارضة ناتجا عن نظرة نمطية حول تصور سير العمل المؤسسي في الوسط الاجتماعي، حيث إن كثيرا من الناس لا ينظرون إلى هذا العمل بمنطق الشراكة والتعاون والانفتاح، بل يعتقدون أن على كل مؤسسة أن تشتغل في استقلالية وانعزال تام عن باقي المؤسسات الأخرى، إما احتراما لمعايير التخصص، وإما احتراما لمبدأ التنافسية.

وعن موقف الوسط بين التأييد والمعارضة للعلاقة المدروسة؛ فهو موقف يشير ضمنا من خلال تبني اختياره إلى ما تتطلبه هذه الحملات من اعتبارات، لكي تكون ناجحة وتؤدي أكلها المرجو، فليست العبرة في مجرد تبني هذه الحملات وتنظيمها وذلك فقط من أجل مجرد الإشهار وتلميع الصورة؛ بلا عطاء إشعاعي يبعث على الاطمئنان ويحقق الجودة الملموسة؛ وإلا كانت مثل هذه المظاهر ضربا من ضروب الرياء والسمعة، ولا شك أن هذا مما دلّ الشرع على مقتته والتنفير والتحذير منه، لأن الهَمَّ من ورائه يجسد فقط في مجرد الظهور أمام الملاء، وليست غايته تحقيق النفع المتعدي نحو مواطن الخصاص والمعاناة ابتغاء وجه الله تعالى.

ولعل من أهم ما يستحضره أصحاب هذا الاختيار في تحديد موقفهم الوسطي لهذه العلاقة:

- ضرورة توفير العدةّ التجهيزية اللازمة لتنظيم هذه المبادرات الاجتماعية، من خيام وإضاءة وأماكن للاشتغال في جوّ من الأريحية اللازمة لمثل هذه التظاهرات، مع ضرورة تعضيد هذه العدةّ بالطاقم البشري اللازم لتسيير هذا العمل على أتم وجه.
 - حسن التعاون والشراكة مع الجهات المختصة والمعنية سواء على الصعيد العلمي، أي: المجال الطبي المختص، أو على الصعيد القانوني، أي: السلطات والجهات المخول لها ترخيص إقامة هذه المحطات بما يحفظ سلامة الجميع ويحمي الحدث من المخاطر التي قد تنجم عن تنظيمه.
 - التخطيط الجيّد للمساحة المكانية اللازمة لأجراء مختلف مراحل هذه الحملة من البداية إلى النهاية، وذلك بما لا يدع مجالاً للانتقاد ورصد ثغرات أو هفوات أو ارتباك معين في عملية أو مرحلة ما.
- 16.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي باستقطاب الشباب.**

1.16.7. توصيف العلاقة إحصائياً.

نوعية الإجابات المسجلة	الإجابات المؤيدة لعلاقة المسجد باستقطاب الشباب بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (5/4)	الإجابات المعارضة لعلاقة المسجد باستقطاب الشباب بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (2/1)
العدد الموافق لكل نوعية	175	3
النسبة المئوية من مجموع الإجابات الكلية (200)	87,5%	1,5%

يلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن أكبر نسبة تأييد في الاستجابات الاستمارة تم تسجيلها في إطار تأييد علاقة المؤسسة المسجدية بفئة الشباب واستقطابها نحو أجوائه الروحية والتربوية، إذ لم تتعد سائر النسب المؤيدة في الأسئلة الموضوعية 87,5%، وفي المقابل تكاد تكون نسبة المعارضة لهذه العلاقة شبه معدومة، لأنها لا تمثل سوى ثلاثة مستجوبين من مجموع 200، فكأنه لا يوجد معارض لعلاقة المسجد بالشباب، لتبقى نسبة 11% هي التي تمثل أصحاب الموقف الوسطي (22 من بين 200) بين التأييد والمعارضة لهذه العلاقة، وبالتالي هناك عوامل ودوافع عدة وراء هذا الاكتساح القوي في نسبة التأييد، بالمقارنة مع النسبتين المقابلتين للوسطية والمعارضة، وقد تم إخراج نتائج الاستجابات بالنظر إلى طبيعة الجواب من حيث القوة والضعف دون تركيز على متغير معين من المتغيرات، لأن هذه المتغيرات تُظهر جميعها نفس التأييد بنفس الإيقاع.

2.16.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

ينطلق تأييد العلاقة المدروسة من كون مؤسسة المسجد التفاعلي يفترض فيها أن تواكب مراحل نمو الإنسان من صغره إلى كبره مروراً بشبابه، فليس المسجد مكاناً فقط للمتفرغين من العجزة وكبار السن الذين عجزوا عن الحركة ولم يعد لهم عطاء في هذه الحياة؛ بل العكس هو ما ينبغي أن يكون؛ وذلك بأن يكون المسجد مكاناً يحظى بحضور وازن وكبير لفئة الشباب أكثر من غيرهم من الفئات، نظراً لحاجة هذه الفئة إلى المسجد أكثر من غيرها من الفئات، كما أن منطق التأييد لهذه العلاقة ينطلق من كون فئة الشباب -بما تتميز به من حيوية ونشاط- هي المعول عليها في تحريك الوظائف التفاعلية لمؤسسة المسجد من أعمال ومبادرات خيرية وأنشطة إصلاحية عن طريق حسن التخطيط وتكثيف الجهود، من أجل التعاون لإنجاز ما يُطمَحُ إليه في هذا الصدد، ولذلك، فالمساجد التي ينشط ويتحرك فيها الشباب بالخدمة والتعاون لجلب مختلف المصالح المتاحة تكون لها المردودية، وتحظى باستقطاب جيد وفعال لمحبي المساجد من عشاق الخير ورؤاد عمارتها.

ولا ننسى أن أصحاب موقف التأييد يعبرون عن موقفهم هذا ليس عن استقلال فكري محض، بل في ظل ما يعيشونه من تفاعلات وظروف واقعية وإكراهات تربوية واجتماعية معاصرة، والتي قد تصل في كثير من الأحيان إلى درجة المآسي، ولعل من أهم مظاهرها ما يعانيه أغلب الشباب من بُعد عن الدين وقيمه التربوية التي تحصنهم ضد مختلف الآفات التي يقعون فيها نتيجة ضعف الإيمان وكثرة الفراغ حتى غدا الدين وما يتعلق به من معارف وقيم -عند هذه الفئة- شيئاً غريباً¹ قريباً من الخيال.

وبالتالي، فإنه قد يكون تأييدهم هذا بمثابة موقف استنجاج، وذلك لكي تتدخل هذه المؤسسة من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه، مما وصل إليه وضع الشباب من تفسخ وتردّ وانحطاط أخلاقي، حيث تم تجريب عدّة مناهج وطرق ووسائل في مواجهة موضوع الشباب وانحرافه عن الجادة، إلا أن هذه المحاولات تكاد تبوء جميعها بالفشل، نظراً لافتقادها إلى المرجعية الدينية في التأطير والتوجيه، مما يستوجب أن تعود الكلمة لهذه المؤسسة

¹ يمكن أن نستشهد على هذا الواقع بالحديث النبوي الذي روي عن ابن عمر، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرُزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرُزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا)) [صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بدأ الإسلام غريباً، رقم: 145، ج 1/ ص 130].

من أجل أن تقوي علاقتها بهذه الفئة لإصلاح وضعهم التربوي والاجتماعي، أو على الأقل للتخفيف من وطأة ما يعانون منه.

إن موقف التأييد نداء صريح ومباشر للجهات المعنية أن تعمل على تركيز الجهود والأهداف في هذا الإطار الشبابي، لما له من أهمية وتأثير في تعدي جوانبه الإصلاحية إلى المجتمع بأسره، حيث إن فئة الشباب هي الفئة التي تشكل ساعد المجتمع وقاعدته الأساس التي يبنى عليها بنيانه وتقوم عليها أعمدته، فما بني على أسس متينة؛ فإنه يستمر ويبقى مقاوما لا تزعزعه الرياح التي تهب، وما بني على ضعف وانحيار؛ فهو معرض للزوال والأفول في أية لحظة، ولعل هذا ما يفسر اتجاه كثير من الجمعيات والمؤسسات المعاصرة في تركيز جهود اشتغالها الإصلاحية على مجال الشباب، لعلمها أنه مرتبط الفرس في هذا الإصلاح.

أما عن الموقف الوسطي؛ فالراجع في هذا الاختيار أن أصحابه يأخذون بعين الاعتبار ضرورة توفير العدة البشرية اللازمة والملائمة لهذه الخدمة من طاقم مهتم بالتنشيط والتدريس والوعظ والتعليم، وذلك لأن هذه العدة هي الوسيلة المنهجية الكفيلة بإنجاح الصلة العاطفية والحسية بين المؤسسة المسجدية والشباب، كما أن إهمال الاهتمام بهذه العدة وبملائمة كفاءاتها وإمكاناتها لخصوصيات ومتطلبات الشباب قد يفضي إلى تنغير هذه الفئة واشتمزازها من المسجد ونفورها من خطابه ومللها من أجوائه.

وبالتالي، فاختيار أصحاب الموقف الوسطي يحيل على عظم هذه المسؤولية وحجمها، كما أن التخطيط الجيد للعدة البشرية التي تسهم في تقوية العلاقة المسجدية بالشباب لا يقل أهمية عن التخطيط المحكم المتعلق بتوفير العدة التجهيزية المادية اللازمة، فالمسجد يستقطب الشباب بما يحترم أذواقهم ويناسب أريجيتهم داخل فضائه، ولذلك، نلاحظ أن مجموعة من الشباب يجتنبون التردد على مساجد معينة؛ وذلك إذا كانت تجهيزاتها المادية الداخلية من صوتيات وأفرشة ومرافق ... لا تلائم شعورهم النفسي داخل الفضاء المسجدي.

كما يمكن أن يكون الموقف الوسطي موقفا معبرا، يشير إلى صعوبة هذا العمل الوظيفي الذي يضطلع به المسجد التفاعلي، وذلك في ظل سيادة جوٍّ من اليأس والإحباط وفقدان الأمل والثقة في صفوف مجموعة من الشباب اتجاه علاقة هذه المؤسسة بالشباب، بل إن الواقع المعاصر يدل بشكل منصف وموضوعي على أن المؤسسات والجمعيات المدنية الأخرى قد تكون في أغلب الأحيان أشدّ اهتماما بعنصر الشباب، وأكثر استقطابا لهم بالمقارنة مع مؤسسة المسجد، ولا أدلّ على ذلك من مظهر حيّ مشاهد بكثير من المدن، حيث

إن مجموعة من المساجد تعرف وجودا ومكوثا أكبر وأطول لفئة الشيوخ والعجزة أكثر من فئة الشباب والناشئين، وهذا لا ينفي -طبعاً- عامل الإقبال والإرادة الذاتيتين والشخصيتين، فلا شك أنهما مؤثران كذلك، لكن غياب الحوافز والأمور الجذابة التي تستهدف وجدان الشباب في مؤسسة المسجد -من قبل المسؤولين عن ذلك- يظل أمراً يسهم في تخلي الشباب وتنازلهم عن مكانهم الأصلي والطبيعي بمؤسسة المسجد والتماسهم سدّ الفراغ الكائن خارج هذه المؤسسة، وحينها نكون أمام فشل واضح ملموس لمؤسسة المسجد في استقطاب وجذب الشباب إلى أجوائها الروحية والتربوية.

ولا يمكن أن يكون موقف المعارضة لهذه العلاقة إلا ناتجاً عن جهل أو نقص إدراك للتصور الوظيفي العام لمؤسسة المسجد في المنظومة الإسلامية، وإما موقفاً قد وصل بمن يتشبث به أو يتبناه إلى درجة اليأس البعيد الذي لا يرحى معه أي أمل في المصالحة بين طرفي هذه العلاقة المدروسة.

17.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بالتسول

1.17.7. توصيف العلاقة إحصائياً.

نوعية الإجابات المسجلة	الإجابات المؤيدة لعلاقة المسجد بالتسول بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (5/4)	الإجابات المعارضة لعلاقة المسجد بالتسول بشكل كبير جداً أو بشكل كبير (2/1)
العدد الموافق لكل نوعية	23	156
النسبة المئوية من مجموع الإجابات الكلية (200)	11,5%	78%

تمثل نسبة 78% من مجموع المستجوبين اختيار أصحاب الموقف المعارض لممارسة ظاهرة التسول في مؤسسة المسجد التفاعلي، في حين لا تتجاوز نسبة التأييد لهذه العلاقة نسبة 11,5%، أي أن نسبة الموقف الوسطي تقاربها وذلك بنسبة 10,5%، وما دام أن الفرق بين أعلى نسبة وأدناها يقدر بحوالي سبعة أضعاف؛ فإننا نتساءل بقوة عن العوامل التي تكمن وراء هذا التباين الذي ينبغي كشفه وتحليله، وهو ما يهدف إليه الفرع الموالي في هذا المحور.

2.17.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

لا شك أن موقف الاعتراض على العلاقة بين مؤسسة المسجد وممارسة التسول موقف نابع من عدّة عوامل، تراعي في أغلبها فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد المترتبة عن الفعل، أو النظر العميق لما يؤول إليه من تقييم سلبي للنتائج المتمخضة عن الممارسة، وأهمها:

- **العامل النفسي:** ويتجلى ذلك أساسا فيما يخلفه هذا الفعل من أثر سلبي على نفسية الفقير الذي يمارسه، حيث يصير في وضع حرج، وذلك نتيجة مدّ يده إلى الناس إضافة إلى أن المسجد هو محطة تجمع عدد كبير من الناس والذين من المحتمل بشكل كبير أن يكونوا على معرفة بهذا المتسوّل أو تربطهم به علاقة ما، وبالتالي فتفضلهم بإعطائه ما تيسر من نقود؛ يصيّر في مرتبة أدنى منهم، بل قد يولد الأمر مفاسد نفسية عدّة تعود عليه سلبا، ولذلك أشار ابن القيم (ت751هـ) لهذا المعنى في تفسير الآية 271 من سورة البقرة والتي سبقت الإشارة إليها ضمن هذا الفصل، فقال: 'وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد: الستر عليه، وعدم تحجّيله بين الناس، وإقامته مقام الفضيحة، وأن يرى الناس أن يده هي اليد السفلى، وأنه لا شيء له فيزهدون في معاملته ومعاوضته، وهذا قدر زائد عن الإحسان إليه بمجرد الصدقة، مع تضمّنه الإخلاص، وعدم المراءاة وطلب المحمدة من الناس' (التفسير القيم: ج1/ ص137، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1410هـ).

- **العامل الاجتماعي:** حيث إن شيوع هذه الظاهرة بشكل مطلق؛ يسهم بشكل مباشر في خلق وتوليد طبقة اجتماعية تتكسب من لا شيء، أي: اعتادت أن يدرّ عليها هذا المصدر السهل مقدارا معينا من المال دون أن تحتهد أو أن تسعى في كسبه، فهي راضية به، بل تتركّز إليه لكونه لا يكلف أيّ جهد أو عناء، ولو حصل ذلك على حساب التنازل عن الكرامة وذهاب ماء الوجه، وما دام سلوك أغلب الناس يتجه نحو التقليد والمحاكاة في جلب المصالح المادية؛ فإن فئات كثيرة من الناس ستتجه نحو هذا المسلك، نظرا لانعدام القيم والمبادئ التي تدعو إلى عزة النفس وكرامتها، ولعل أهم مظهر يثبت ذلك هو الازدياد المطرد الذي يُلاحظ في أعداد المتسولين أمام المساجد، حيث إنه يكاد يكون لكل مسجد متسوّلون معروفون به¹.

¹دون أن يكون تحليل هذه العلاقة تشكيكا في وضعهم الاجتماعي المزري أو تبريرا للأسباب والدوافع التي خلفت وضعهم المتردي ذلك.

• **العامل التربوي:** لا شك أن الازدياد الكبير والمطرّد في أعداد المتسولين -الممارسين لهذه الظاهرة أمام أبواب المساجد بشكل دوري ومستمر- من شأنه أن يحوّل هذه الظاهرة إلى عادة طبيعية، إذ تفتقد مع هذا الشكل إلى اللذة المتعلقة بالبذل والجود، فأغلب المحسنين حينما تتكرر وتتردد عليهم نفس الوجوه؛ يثير لديهم هذا الأمر مجموعة من الشكوك والتساؤلات؛ فيما إذا كان أمر الإحساس بالحاجة والفاقة قد تحوّل إلى مهنة اعتيادية تفتقد إلى معاني الإحساس، مما يجعل مجموعة من أهل الخير يكفون أيديهم عن العطاء، ويتجهون إلى الدقة والتحري في من يستحق الأخذ ومدّ يد المساعدة، وذلك حتى تكون صدقاتهم وأعطياتهم تقع في الموقع اللائق بها، وبالتالي، يمكن أن ينظر البعض إلى أن ظاهرة طلب الحاجة والتماس المساعدة قد تم تميمها من خلال شكل ممارسة ظاهرة التسول.

أما موقف التأيد لهذه العلاقة؛ فينطلق من كون التسول وسيلة للتعاون والتكافل والتآزر المسجدي بين المحتاج والمستغني، بل قد يكون في ذلك تسهّلا لممارسة التعاون المادي بين الأفراد، دون تحمّل المشقة والعناء في البحث عن أهل الصدقة والاحتياج بعيدا عن مؤسسة المسجد.

وعليه، فهذا المظهر من صميم التطبيق العملي الواقعي للوظيفة الاجتماعية لمؤسسة المسجد التفاعلي، دون أن يتم تقييد هذه الممارسة -في نظر أصحاب هذا الموقف- وضبطها بضوابط معينة تجعل لها حدودا معينة، وذلك حتى لا يعود الأمر سلبا على واقع المؤسسة المسجدية في كليتها، أو يصادم بذلك واقع الممارسة العملية لوظيفة أخرى من الوظائف المسجدية الحيوية، كما أن هذا التأيد المطلق قد يكون منطلقا من النظر إلى الحجم الكبير لوقوع الأزمات الاجتماعية على نفسية هؤلاء المتسولين وما يعيشونه من حالة اقتصادية مزرية.

18.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بالتخطيط

التصميمي المسائر للعصر.

1.18.7. توصيف العلاقة إحصائيا.

نوعية الإجابات المسجلة	الإجابات المؤيدة لعلاقة المسجد بالتخطيط التصميمي المعاصر بشكل كبير جدا أو بشكل كبير (5/4)	الإجابات المعارضة لعلاقة المسجد بالتخطيط التصميمي المعاصر بشكل كبير جدا أو بشكل كبير (2/1)
العدد الموافق لكل نوعية	146	16

8%	73%	النسبة المئوية من مجموع الإجابات الكلية (200)

يلاحظ أن نسبة التأييد التي جنح لها المستجوبون -حول قضية مسايرة مؤسسة المسجد للتطورات والحاجيات العصرية في تخطيط وتنظيم مكوناتها- وصلت 73%، حيث تتجاوز بأكثر من تسعة أضعاف نسبة المعارضة لنفس العلاقة، والتي لم تتجاوز 8%، مما يوضح أن نسبة الموقف الوسطي تُحدّد في 19%، ولا شك أن هذه المعطيات الرقمية تخول لنا القيام بعملية التأويل قصد استكشاف العوامل المتدخلة في هذا التباين.

2.18.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.

ينطلق موقف التأييد في هذه العلاقة من نظرة تجديدية مفادها أن مسجد اليوم ينبغي أن يستفيد من كل معاصر نافع، لأن ذلك من مقومات توفير الجوّ الملائم المريح لمرتاده، ولا شك أن هذه النظرة تعبر عن حجم الانصهار الكبير بين هذه المؤسسة وبين سائر مكونات الحياة العامة والعادية للمجتمع الإسلامي، كما أن هذه النظرة التجديدية يمكن أن تمتزج في الآن نفسه مع نظرة أخرى تطويرية تفرزان هذا الموقف التأييدي، ومفاد هذه النظرة التطويرية أنه يتعين تكييف الوسط المسجدي وتطوير تنظيم مرافقه ومكوناته المادية حسب الحاجيات والمعطيات اليومية التي تصاحب الإنسان في بيته ومحيطه، وبالتالي، لا مجال لعزل المسجد عن الحياة العامة، وذلك لأنه في قلب الاهتمام اليومي المتعلق بنمط عيش الأفراد والجماعة.

ويمكن أن يكون التأييد لهذه العلاقة موقفا متولدا عن النظرة العلائقية بين التخطيط المادّي وبين الأجرأة الوظيفية للمهام المسجدية، إذ هناك ارتباط وثيق بين التجهيز المادّي والعمل الوظيفي المسجدي؛ فكلما انفتح وتطور الفكر المسجدي في تخطيطه ومواكبته للوضع المعاصر في المرافق والمكونات المادية كلما استطاع المسجد التفاعلي أن يؤدي أعمالا ووظائف أكثر استجابة للحاجيات الواقعية، حيث ستتسم هذه الأعمال والوظائف المسجدية بالنجاعة والجودة والتأثير الفعال.

كما يمكن أن يكون موقف التأييد لهذه العلاقة ناتجا عن نظرة تخطيطية تنوعية، مفادها أن مواكبة المسجد للمستجدات المعاصرة في تنظيم وتوزيع مرافقه قد يتيح إمكانيات متعدّدة في أنماط مؤسسة المسجد التفاعلي داخل المنظومة الإسلامية، وهكذا، يكون المجال واسعا ومفتوحا أمام تنوعية وظيفية ونمطية في الأشكال التي تميز المساجد التفاعلية، فنرى بذلك عدّة خدمات متنوعة، تختلف من مسجد إلى آخر حسب نوعية وخصوصية الاعتبارات التخطيطية التي أنتجت شكله التصميمي وتنظيمه المرافق.

وحينها؛ يمكن أن نجد مساجد تفاعلية تتميز بريادة وتفوق خدماتها الاجتماعية أكثر من تميزها في الخدمات التربوية على سبيل المثال، وذلك بتوفرها على مرافق خاصة بالإطعام أو استقبال الضيوف أو إيواء فئات معينة من الناس، كما يمكن أن نجد في هذا الصدد مساجد تفاعلية تمتلك مرافق أنسب لممارسة الفعل التربوي، وتتميز في هذا المجال أكثر من تميزها في غيره من المجالات الحيوية، وذلك بتوفرها على مرافق تتيح عقد حلقات تعليمية في القرآن أو غيره من العلوم في شكل تنظيمي يراعي الاعتبارات التربوية المشجعة والمحفزة على التحصيل والاكتمال، كما تتوفر على مدرج يسمح بعقد محاضرات تزيد من إشعاع وشهرة المسجد، ويمكن أن تكون هذه المساجد مزودة في هذا المجال بما يسمح بتنشيط الفئات الصغرى وتقوية علاقتها بأجواء المسجد.

أما عن الموقف المعارض لهذه العلاقة؛ فمن أبرز ما يمكن أن تُرجع إليه هذا الاختيار هو النظرة الضيقة والمتشددة التي تطبع فكر قلة من الناس حول هذه العلاقة، ومفادها أن التصميم المسجدي عنصر ثابت من قبيل التعبدات التوقيفية التي لا تقبل الاجتهاد والتجديد، وليس من قبيل المتغير الذي لا يؤثر في روح العمل الوظيفي المسجدي، وبالتالي فالمسجد -عندهم- ينبغي أن يظل في منأى ومعزل عن كل تطور وتحديد حاصل، حتى لا يتأثر تصميمه وتوزيع مكوناته بكل جديد حاصل.

إن معارضة هذه العلاقة تنبئ عن رؤية استقلالية بين العدة المادية وبين العدة الوظيفية، وبالتالي فالسير الوظيفي للمسجد التفاعلي لا علاقة له بالتخطيط التصميمي، وعليه؛ يمكن -في هذا الاختيار- أن تشتغل مؤسسة المسجد وظيفيا في استقلالية تامة عن مواكبة هذا التطور، كما أن وجود مفارقات كثيرة بين مؤسسة المسجد وسائر المؤسسات المدنية والمرافق المجتمعية الأساس -التي تتداخل مع المسجد في مجموعة من المجالات- يفرض على المسجد أن يظل شكله ثابتا نمطيا، لا يخضع لتغيير مع مرور الزمن، وذلك لأن الوظيفة البارزة فيه وهي الوظيفة التعبدية تحتم نوعا من النمطية في التصميم لا ينبغي الخروج عنها، حتى لا تختل المؤسسة في سير نشاطها من خلال التأثير السلبي لأي تغيير على إيقاع سير الوظيفة التعبدية الروحية، مما سيجعل سائر الأنشطة المسجدية في اختلال متواصل، ولا شك أن هذه النظرة ستنتج نتيجة قد تكون محل نقاش وأخذ وردّ، وهي أن الوظائف المسجدية ليست على درجة واحدة، أي أنه يمكن تقسيمها إلى وظائف أصلية وإلى وظائف تبعية أو ثانوية.

خاتمة البحث:

أهم النتائج المتوصل

إليها

بذلت جهدي في محاولة مقارنة تفاعلية وظيفية في موضوع (مؤسسة المسجد التفاعلي)، وذلك بغية تجلية أبرز الصور والمظاهر التفاعلية لهذه المؤسسة، في مختلف المجالات الحيوية التي يعرفها المجتمع، والتي بما قوام حياته في بعدها الفردي والجماعي مع آثارها التفاعلية بما يحقق المصلحة المتعدية في كلا البعدين، متتبعا في ذلك أسسا وخطوات منهجية تزوج بين التحليل النظري والتحليل الميداني التطبيقي، ومتوخيا إشراك عينة من الناس في رصد تصورها ونظرتها للواقع التفاعلي لهذه المؤسسة وما تنتظر منها من تطلعات وتلبية حاجيات، ولعل من أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ما يلي:

-المسجد الأول في عهد النبوة مسجد تفاعلي بامتياز، نظرا لحجم انخراطه القوي داخل المجالات الحيوية المختلفة التي عرفها المجتمع حينذاك.

-وظائف مؤسسة المسجد التفاعلي لها جذور وامتدادات، لأنها تستمد قوتها وتأصيلها من نشأة المسجد في أول وهلة له ضمن المنظومة الإسلامية، مع أنها قابلة للتجديد والانفتاح حسب الحاجة والأوضاع.

-المفهوم المؤسسي للمسجد يتمظهر أساسا في التكامل والتنوع الوظيفي بين ما يقدمه المسجد في محيطه من خدمات وأنشطة، سواء كانت ذات مصلحة فردية أو ذات مصلحة جماعية؛ وبين ما ينتظر منه من تدخل وظيفي لإنقاذ الأوضاع المجتمعية في أبعادها المختلفة.

-هناك تداخل كبير بين المجالات الوظيفية الحيوية لمؤسسة المسجد التفاعلي، بحيث يحصل الفصل في المجالات بغرض الدراسة وتبسيط الضوء فقط.

-حاجة المجتمع إلى خدمات المؤسسة المسجدية حاجة ملحة في شتى المجالات الحيوية، مما يبرز أن هناك خصاصا فيها، وأن المؤسسات الأخرى لا تلبي هذه الحاجة في المجتمع.

-اصطدام الممارسة الوظيفية لخدمات مؤسسة المسجد التفاعلي مع مجموعة من العراقيل والصعوبات الواقعية، مما يحتم التفكير والتخطيط في الوسائل الكفيلة بإنجاح المشروع التفاعلي للمسجد، وذلك بشكل يتم فيه التغلب الحكيم والمناسب على هذه الصعوبات.

-أهمية استحضار جميع الأبعاد ومراعاة فقه المال مع الموازنة بين المصالح والمفاسد المترتبة عن الفعل وذلك عند التأيد أو المعارضة لتبني وظيفة مسجدية ضمن مجال من المجالات التي ينشط فيها المسجد.

-لا بد من الحرص على تحقيق حسن التوازن بين مختلف الأنشطة المسجدية، بما يحقق تلبية مختلف الحاجات الفردية والجماعية لمرتادي المسجد.

-لا بأس أن تتميز وتبرز بعض المساجد التفاعلية في نوع من الخدمات أو الأنشطة أكثر من غيرها، وذلك من باب تنويع أشكال وطرق الاشتغال الوظيفي التفاعلي، وذلك في إطار التعاون والتكامل بين منظومة المساجد، ولكي تشتغل هذه المنظومة في نسق منتظم محكم التخطيط.

-الانخراط في مشروع مؤسسة المسجد التفاعلي لا يعتبر إلغاء أو مزاحمة لمشاركة سائر المؤسسات والجمعيات المدنية فيما تنشط فيه من مجال حيوي أو خدمات ضمن مشروع معين، بل إن هذا الانخراط يندرج في إطار الشراكات الإيجابية ومبادرات التعاون التي ينبغي أن يشتغل وفقها الكل، وذلك من أجل التغلب على الصعاب والحواجز التي تعترض مختلف المجالات الإنسانية ذات الأبعاد المركبة.

-الموافقة على وظيفة مسجدية معينة لا تستلزم التسليم المطلق أو الموافقة غير المشروطة لكل التطبيقات والممارسات التي تندرج تحت هذه الوظيفة، بل قد يعتري أكثرها الأخذ والردّ، نظرا لطبيعة الرؤى التي تؤطر هذا التبنى، أو نظرا للوقائع والظروف التي تصاحب هذا التبنى لهذه الممارسة التطبيقية.

-أهمية الارتباط الوثيق والصلة الأكيدة بين الأجرأة الوظيفية للأنشطة المسجدية وبين المستلزمات المادية المتجلية أساسا في التصميم الهندسي والوسائل المادية المعينة على التنفيذ الوظيفي، مما يؤكد أن الرؤية التي يمتلكها المستجوبون حول هذه العلاقة هي رؤية واعية، تستحضر معايير ومقومات النجاح الوظيفي.

-الطفل والمرأة عنصران أساسان في العمل الوظيفي المسجدي، ولا يمكن إغفالهما في الأنشطة الوظيفية لمؤسسة المسجد التفاعلي ضمن المجال السوسيو-تربوي، وذلك لأن المجتمع في حاجة ماسة إلى الانخراط الإيجابي لهذين العنصرين في نهضته وتنميته الشاملتين.

-الاستسلام للإكراهات الواقعية أو المشبطات الراهنة يعيق تحقيق وتبني مشروع مؤسسة المسجد التفاعلي، ولذلك يتعين الانخراط والتفاعل الإيجابي مع كل مجهود أو مبادرة بقصد الرفع من جودة خدمات المسجد وتحقيق إشعاعه في المحيط.

-العلاقة التي تطبع وتميز مختلف الوظائف والأنشطة المسجدية هي علاقة تبادل التأثير والتأثر فيما بينها، خاصة الوظيفة الإيمانية الروحية مع سائر الوظائف الأخرى، حيث إن هذه الوظيفة تدعو أهلها لتنشيط وحفز الوظائف

الأخرى في إطار تجلياتها على السلوك والوجدان، كما أن تنشيط الوظائف الأخرى بالمؤسسة المسجدية يجعل النشاط الإيماني المسجدي في مظهر قوي، نظرا لشدة التعلق الزماني والمكاني بالمؤسسة.

-مقاربة أسباب ودواعي تدني الرسالة الوظيفية لمؤسسة المسجد التفاعلي مقارنة تكاملية شاملة، تفرز لنا أن هذه الأسباب في مجموعها يمكن أن تصنف إلى أربعة أصناف: أسباب فردية شخصية ترتبط أساسا بالفرد المسلم ذي العلاقة الافتراضية بينه وبين المسجد، أسباب جماعية ترتبط أساسا بالجماعة المسجدية أو المجتمع الذي يعتبر المسجد أحد أهم مكوناته التي لا غنى له عنه، أسباب وصائية ترتبط بنوعية توجه الوصاية والسلطة المتحكمة في القرار المتعلق بوظائف المسجد وأسباب خارجية متعلقة بإملاءات وتدخلات تفرض على هذه المؤسسة من خارج المنظومة الإسلامية.

-من الواضح أن مؤسسة المسجد التفاعلي وسط منفتح على الجديد والمعاصر في مجال تكنولوجيا الإعلام والتواصل، لأن ذلك من شأنه أن يحقق الإضافة النوعية في مجال الاشتغال الوظيفي بالمسجد، مع ضرورة الحكمة وحسن التخطيط في كيفية التوظيف والاستخدام، بما يحقق المصالح المرجوة من وراء ذلك، دون أن يشوش على سير اشتغال وظيفة ما أو يريك وضعاً معيناً أو يحقق مفساد معين.

-القابلية لتبني نشاط وظيفي معين ليست مرتبطة فقط بمدى تقبله من طرف الناس وقياس حجم النفع الذي يسديه؛ وإنما ترتبط كذلك بحجم الدراسة والتخطيط لكيفية أجرته وضوابط وقيود تنفيذه على أرض الواقع، وذلك بما يرجح نجاحه وتوقيه، ولهذا، فقد طُبعت مجموعة من أجوبة المستجوبين على أسئلة الاستمارة بطابع التردد والأخذ والردّ، تبعاً لاعتبار التخطيط والدراسة القبليّة لتنفيذ نشاط مسجدي معيّن.

-مشروع مؤسسة المسجد التفاعلي مشروع الممكن والمتاح، بما هو متوفر ويحظى بالإقبال والتحفيز، وليس مشروعاً يتسم بالخيال والمثالية، لأن التأسيس لهذا المشروع ينطلق من نماذج وتطبيقات واقعية، تبرهن بالملحوس على صداها الطيب ونتائجها المرجوة، مع أنه من الموضوعية أن تكون هناك من النماذج ما تتطلب تقييماً يفضي إلى النقد والتصويب، وذلك لأن الاجتهاد البشري لا يخلو من هذه المرحلة.

-مؤسسة المسجد التفاعلي تشتغل في عملها الوظيفي بنوعين من التكامل: تكامل داخلي وتكامل خارجي، فالتكامل الداخلي؛ هو بين مختلف الوظائف والأنشطة ذات المجالات المختلفة والتي تؤديها هذه المؤسسة، سواء كان هذا الأداء بإيقاع متوازن أو بإيقاع متفاوت بينها، أما التكامل الخارجي؛ فهو التكامل داخل الوظيفة

الواحدة بين اشتغال مؤسسة المسجد التفاعلي في هذا الإطار وبين كيفية الاشتغال الوظيفي لسائر المؤسسات والجهات خارج المسجد وفي نفس المحيط أو الوسط.

-مسؤولية الدولة في إنجاح مشروع مؤسسة المسجد التفاعلي مسؤولية مادّية ومسؤولية معنوية في الآن نفسه، فالمسؤولية المادية تُعنى بتكثيف الموارد المالية لدعم جوانبها الوظيفية والتفاعلية، بما يحقق إشعاعها ويجعلها في مستوى الريادة على غرار الاهتمام بباقي المؤسسات والقطاعات الأخرى، أما المسؤولية المعنوية فتتجلى في تذليل الصعوبات ومختلف العراقيل التي تحول بينها وبين تحقيق أهدافها على مستوى الواقع.

-موقف التأييد المطلق أو المعارضة المطلقة لتبني نشاط وظيفي مسجدي معيّن لا يعني بالضرورة أن هذا الموقف متولد عن خلفية إيديولوجية ما تحكم طبيعة الفهم الديني الثاوي خلفها، بل هناك اعتبارات ودواعٍ تراعي الأبعاد المختلفة **واقعيًا وماليًا** فيما يتعلق بالنشاط الوظيفي، سواء كان ذلك أخذًا باعتبار ما من شأنه أن يسهم في إفشال المشروع أو أخذًا بعين الاعتبار ما يمكن أن يسهم في إنجاحه.

-الموقف الوسطي -في أحيان كثيرة- موقف يعبر عن احتياط في شأن الجوانب التي قد تعود بالضرر على المؤسسة المسجدية، أو هو موقف أكثر استحضاراً للعوامل المتدخلة بشكل مباشر في تحديد النشاط المسجدي وكيفية تبنّيه أو تخطيط أجرأة مرحله.

-الموقف التأييدي -في كثير من الأحيان- يكون محكوماً بمنطق الحسّ العاطفي، كما قد يكون هذا الموقف محكوماً بمنطق التعبير عن حجم الحاجة الواقعية الملحة في ظل الخصائص الحيوي الوظيفي، والذي لم تتمكن باقي المؤسسات المدنية من تغطية مناطق فراغه.

ويبقى مشروع مؤسسة المسجد التفاعلي في حاجة ماسّة إلى سبر أغوار البحث في إشكالاته، بغية تأسيس فعال وناجح لأجرائه والنهوض من خلاله بعملية إصلاح الواقع الوظيفي للمسجد الحالي، وذلك حتى يعود للمسجد مجده ويسترجع مكانته في الانخراط الاجتماعي الإيجابي.

وأهم التوصيات التي أختتم بها هذا البحث:

- الحاجة إلى بحوث ميدانية مقارنة في المجال الوظيفي للمساجد بين الدول التي حققت ريادة في هذا الصدد.
- الحاجة إلى إنجاز دراسة منهجية متخصصة في الإكراهات الواقعية التي تعترض أجرأة إصلاح مسجدي معين.

الملاحق

المستخدمة في إنجاز

البحث:

الملحق الأول: استمارة ميدانية حول مؤسسة المسجد التفاعلي:

أ) معلومات عن المستجوب:

الجنس: السن:
المستوى الدراسي: التخصص:
المهنة: الوضعية العائلية:

ب) أسئلة حول المعرفة الدينية المتعلقة بالمسجد:

المرجو من المستجوب (ة) وضع علامة أمام الاختيار الذي يناسب:

1- ما هي نظرتك للتصميم الهندسي لمؤسسة المسجد؟

ممتاز وهائل حسن لا بأس به مقبول ضعيف.

2- يسهم المسجد في تحقيق الأمن بالمجتمع:

بشكل كبير جدا بشكل لا بأس به بشكل متوسط بشكل ضعيف بشكل منعدم.

3- يمكن مناقشة القضايا السياسية بالمسجد:

بشكل جيد ومريح بشكل حسن بشكل متوسط بشكل ضعيف بشكل منعدم.

4- يمكن للمسجد أن ينهض بتدبير متطلباته المادية:

يمكن جدا يمكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن تماما.

5- يحقق المسجد علاجا نفسيا لمرتاديه:

بشكل كبير جدا بشكل كبير بشكل عاد بشكل قليل بشكل منعدم.

6- يسهم المسجد في حل المشاكل الاجتماعية لمختلف أفراد المجتمع:

بشكل ممتاز بشكل حسن بشكل متوسط بشكل ضعيف بشكل منعدم.

7- ينشر المسجد قيم الوسطية والاعتدال في المجتمع:

بشكل موفق جدا بشكل كبير بشكل متوسط بشكل ضئيل
بشكل منعدم.

8- يعتبر الفضاء المسجدي مجالا رحبا لترسيخ القيم التربوية في نفوس الأطفال:

موافق جدا موافق موافق شيئا ما غير موافق غير موافق بتاتا.

9- أسهم المسجد في البناء الحضاري للأمة الإسلامية:

بشكل كبير جدا بشكل مستحسن بشكل متوسط بشكل قليل
بشكل منعدم.

10- هل يربي المسجد مرتاديه على الأدب وحسن التعامل مع الناس؟

بشكل كبير جدا بشكل مستحسن بشكل متوسط بشكل قليل
بشكل منعدم.

11- يحقق المسجد أهدافا أكثر مما تحققه بيوت العبادة (الكنائس والبيع) خارج الإسلام:

موافق جدا موافق موافق شيئا ما غير موافق غير موافق بتاتا.

12- يمكن المسجد من تنظيم حياة الفرد مع نفسه ومع محيطه:

بشكل كبير جدا بشكل مستحسن بشكل مقبول بشكل ضعيف
بشكل منعدم.

13- يسهم المسجد في معالجة القضايا والمواضيع المعاصرة والملحة:

بشكل كبير جدا بشكل مستحسن بشكل متوسط بشكل قليل
بشكل منعدم.

14- يؤسس المسجد لثقافة حماية البيئة والحفاظ عليها:

بشكل ممتاز جدا بشكل حسن بشكل مقبول بشكل قليل
بشكل منعدم.

15- يوفر المسجد مجالا خصبا لعطاء المرأة وانخراطها في المجتمع:

بشكل كبير جدا بشكل مستحسن بشكل متوسط بشكل قليل
بشكل منعدم.

16- ما هو تقييمك لانتظام المكونات المسجدية؟

منتظم وفعال وهادف منتظم متوسط النظام والتوزيع يحتاج في نظامه إلى نظر
منعدم النظام.

17- تعترض سبيل إصلاح مؤسسة المسجد مشاكل:

كثيرة جدا ومتداخلة كثيرة متوسطة ومعدودة نادرة وقليلة منعدمة.

ج) أسئلة حول المسجد التفاعلي ومدى تقبله من طرف المستجوب:

1- هل يمكن للمسجد أن يكون فضاء لتدريس اللغات؟

ممكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

2- هل يمكن للمسجد أن يكون فضاء لتعليم وممارسة الفنون؟

ممكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

3- هل يمكن للمسجد أن يشكل فضاء لعقد الدورات التدريبية والتكوينية في شتى المجالات؟

يمكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

4- هل يمكن لمؤسسة المسجد أن تشرف على عملية تنظيم جمع وتوزيع الزكاة؟

يمكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

5- هل يمكن للمسجد أن يشتمل على فضاء خاص بالألعاب وأنشطة الأطفال؟

يمكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

6- هل يمكن للمسجد أن يشكل فضاء للنوم؟

يمكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

7- هل يمكن للمسجد أن يقدم خدمة لإيواء الغرباء؟

يمكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

8- هل يمكن للمسجد أن يقدم خدمات وظيفية للشخص المعاق؟

يمكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

9- هل يمكن للمسجد أن يقدم خدمة إيواء المحتاجين ويسهم في سد حاجياتهم؟

يمكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

10- هل يمكن للمسجد أن يوظف بشكل فعال وإيجابي مستجدات وسائل وتقنيات الإعلام والتواصل؟

يمكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

11- هل يمكن للمسجد أن يؤسس فضاء للنقاش وعقد المناظرات؟

يمكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

12- هل يمكن للمسجد أن يكون مؤسسة استشفائية تقدم خدمات صحية هامة في المجتمع؟

يمكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

13- هل يمكن للمسجد أن يحقق نهضة على مستوى قوافل وحملات التبرع بالدم ويسهم في توفير احتياطي هام من الدم المتبرع به؟

يمكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

14- هل يمكن للمسجد أن يحظى بفعالية وقبول هام في جذب فئة الشباب إلى جوّه الروحي والتربوي؟

يمكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

15- هل يمكن للمسجد أن يقدم خدمات فاعلية لغير المسلمين تمكنهم من اكتشاف رسالته وتصحيح التصور النمطي حوله؟

يمكن جدا ممكن ممكن شيئا ما غير ممكن غير ممكن بتاتا.

16- يمكن استثمار مؤسسة المسجد في جمع التبرعات الخيرية من المحسنين:

موافق جدا موافق موافق شيئا ما غير موافق غير موافق بتاتا.

17- يمكن استغلال مؤسسة المسجد في السماح بظاهرة التسول وسؤال الحاجة بداخله؟

موافق جدا موافق موافق شيئا ما غير موافق غير موافق بتاتا.

18- ينبغي التخطيط لتوزيع وتنظيم مكونات المسجد مع إدخال تعديلات معاصرة:

موافق جدا موافق موافق شيئا ما غير موافق غير موافق بتاتا.

ملاحظة: تعتبر هذه الاستمارة آلية منهجية أوظفها لإتمام الأشغال العلمية المتعلقة بأطروحة أكاديمية لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع مؤسسة المسجد التفاعلي (دراسة نظرية ميدانية).

الملحق الثاني: استجواب مجموعة من الشباب في مدينة الجديدة حول المكونات المادية التي تعجبهم في المسجد وتستهوهم نحوه.

السؤال الذي طرح على جميع هؤلاء الشباب هو: باعتبارك شابا من الشباب الذين يرتادون المساجد، ما الأشياء المادية التي تستهويك في المسجد وتجعلك تنجذب نحوه وتتشوق للإتيان إليه؟

1-المهدي الصوتي (موظف في مندوبية وزارة الأوقاف بسيدي بنور):
حسن تعامل القائمين على رعاية شؤون المسجد بالابتعاد عن كل ما يثير الفتنة بين الناس ونظافة المسجد.
جودة الأفرشة
وجودة الأجهزة الصوتية.

2-جواد مفتاح (مهندس دولة في الجيولوجيا بالجديدة):
بالنسبة لي الأشياء المادية التي تجعلني أفضل مسجدا على غيره:
النظافة.
اتساع المسجد.
وعي المصلين بآداب المسجد.
قراءة الإمام.

3-زكرياء العامري (موظف في شركة خاصة تابعة للمكتب الشريف للفوسفات بالجديدة):
الصوتيات
الإضاءة
الزرايبي المتناسقة
مسجد ابراهيم الخليل مثالا

4-رشيد التعقبلي (موظف في شركة مطاحن القمح بالجديدة):
مكبرات صوت والأفرشة

5- جمال الكسواني (تاجر في مدينة الجديدة):

أعتقد أنه من بين أهم الأشياء المادية التي تجذبني إلى المساجد:

النظافة والرائحة الطيبة

بالإضافة إلى التلاوة الطيبة للإمام

6- حمزة شلهواوي (طالب بسلك ماستر العلوم الشرعية في كلية الآداب بالجديدة):

من بين الأشياء المادية أذكر:

هندسة المسجد الجميلة وزخرفته ومراحضه...

إمامه وخطيبه حيث تفضل إماما على آخر أو خطيبا على آخر فتفضل حينها مسجدا على غيره لهذا الأمر.

كذلك موقع المسجد، حيث بعض المساجد يتموقعون في مواقع تكون صالحة لقضاء حوائج المصلين من

تسوق وغيرها.

7- عبد المجيد عصري (إطار في الاقتصاد والتسيير بمصحة الضمان الاجتماعي بالجديدة):

الفراش النقي و المريح

8- اسماعيل مرابط (أستاذ اللغة الإنجليزية بالسلك الثانوي بالجديدة):

1) التلاوة

2) النظافة

3) جودة السماعات وباقي المعدات

الملحق الثالث: النشاط الإعلامي لمؤسسة المسجد في بعض قرى المغرب- إقليم تاونات أنموذجا-

مقابلة أجريت مع الأستاذ ميمون قرمون (أستاذ اللغة العربية بالسلك الثانوي إقليم اليوسفية وباحث في سلك الدكتوراه ومتخصص في قضايا الإصلاح الديني والإعلام).

أجمل ما لامسته عن قرب بإقليم تاونات؛ خاصة الجماعات التابعة له (عين مديونة، أولاد ازام، بوعادل، بني قرة، بني وليد...) وبالإضافة إلى وفرة المياه الجبلية العذبة وتنوع الغطاء النباتي الطبيعي والفلاحي؛... ما لاحظته عن كتب؛ وترك في نفسي شيئا من حتى، هو دور المسجد في خدمة المجتمع، أي القبيلة أو الحي التابع للمسجد، فمن بين الخدمات الأساسية التي تؤديها هذه المؤسسة الأولى في الإسلام (مسجد قباء أنموذجا) هنا بتاونات، نذكر: وظيفة التواصل والإخبار والحفاظ على روح الجماعة، ومن ذلك نذكر ما يلي:

1) عند موت أحدهم بالقبيلة؛ يتم الاعلان عن ذلك في مكبر الصوت التابع لمئذنة المسجد، إذ يعلن عن اسم المتوفي وزمن ومكان الجنازة.

2) عند نشوب حريق أو خطر يهدد الجميع، يعلن عنه من مئذنة المسجد قصد التوجه لعين المكان، أو أخذ الاحتياطات اللازمة....

3) الإخبار بالمشاركة في الأعمال التطوعية، بالأمس بعد أن أدينا صلاة العصر بالمسجد، وبعد انصراف المصلين، رفع النداء على المئذنة وكان موضوعه (... إن مسجد العين يعرف إصلاحات حاليا، وقد وصلت حمولة مواد البناء (الآجر) الى مرفأ السيارات، لذا على المحسنين إحضار حميرهم للمساعدة في نقل الآجر، والعجيب في النداء كان اسميا (مثلا، على فلان ابن فلان أن يحضر حماره ليساعد إلى آخر اللائحة).

4) عند ضياع مفاتيح أو أوراق أو ابن أو...؛ يعلن عن ذلك من مكبر المسجد ...

وغير ذلك من المهام الاجتماعية والإنسانية التي يؤديها المسجد هنا بتاونات، خاصة الجماعات القروية، هذا الوضع دفعنا لطرح التساؤلات التالية: أليس لهذه المهام ولغيرها وُضع المسجد؟ منذ متى يحصر دور المسجد في الصلاة فقط، كما هو الشأن في العديد من مساجد المملكة؟ لماذا يتم استهداف هذه المؤسسة، وتقزم أدوارها؟ أين نحن من أول مسجد؟ وهو قباء الذي بناه المفكر والمنظر والأستاذ والشيخ والعالم..... الحبيب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم؟ والذي كان يرمان مناقشة الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية

.... أليس وضعهم أفضل من وضعنا عندما كان المسجد قبة برلمان عندهم، بينما أصبح عندنا يفتح ويغلق بنظام محكم؟ إن وظيفة المسجد هنا بتاونات قائمة على العرف الذي له امتداد تاريخي بالإسلام، والممارسون للنداءات أشخاص من عامة الناس، من رواد المسجد، والوضع في تناغم تام بين السكان ورقابة الداخلية، فحقيقة هذا الوضع يثلج الصدر.

الملحق الرابع: عملية تحويل واستخراج جداول نتائج التحليل العاملي للمعطيات الإحصائية للاستمارة.

1-المحدد أو **déterminant** بلغ **2,084** وهو محدد مصفوفة وذلك لقياس مشكلة الارتباط الذاتي إذ لا يجب أن تقل قيمة المحدد عن **0,0001**، فإذا كان قيمة المحدد تقل فإن المتغيرات مرتبطة فيما بينها ارتباطا عاليا أكثر من **0,80** وبالتالي لا يجوز القيام بالتحليل العاملي الاستكشافي ولكن مادام قد بلغ المحدد **2,084** فإنه يجوز ولا يمكننا حذف أية متغيرات

-2

Indice KMO et test de Bartlett

Indice de Kaiser-Meyer-Olkin pour la mesure de la qualité d'échantillonnage.		0,858
Test de sphéricité de Bartlett	Khi-deux approx.	2869,074
	ddl	595
	Signification	0,000

بناء على الجدول فإن كيمو قد بلغ **0,8** وهو جيد فالمطلوب أن يكون أكثر من **0,05** بل إن المؤشر **0,80** هو مؤشر عن جودة كيمو وهذا يدل زيادة الاعتمادية على العوامل التي نحصل عليها من التحليل العاملي وكذلك نحكم بكفاية حجم العينة.

كما نجد أن قيمة مستوى الدلالة لا اختبار بارنلت للدائرية تساوي **0,000** وهي أقل من **0,05** وهذا يؤكد وجود علاقة دالة احصائيا يمكن إجراء التحليل العاملي:

-3

Variance totale expliquée

Composante	Valeurs propres initiales			Sommes extraites du carré des chargements			Sommes de rotation du carré des chargements		
	Total	% de la variance	% cumulé	Total	% de la variance	% cumulé	Total	% de la variance	% cumulé
1	7,665	21,901	21,901	7,665	21,901	21,901	6,653	19,007	19,007
2	5,249	14,997	36,898	5,249	14,997	36,898	3,618	10,338	29,345
3	1,719	4,910	41,808	1,719	4,910	41,808	2,236	6,390	35,735
4	1,603	4,581	46,390	1,603	4,581	46,390	2,019	5,769	41,504
5	1,471	4,203	50,593	1,471	4,203	50,593	1,888	5,394	46,898
6	1,291	3,688	54,280	1,291	3,688	54,280	1,828	5,222	52,120
7	1,173	3,350	57,630	1,173	3,350	57,630	1,735	4,957	57,077
8	1,138	3,253	60,883	1,138	3,253	60,883	1,332	3,807	60,883
9	0,949	2,712	63,595						
10	0,907	2,591	66,186						

11	0,888	2,538	68,724					
12	0,806	2,303	71,027					
13	0,780	2,228	73,255					
14	0,687	1,962	75,218					
15	0,663	1,894	77,112					
16	0,638	1,823	78,935					
17	0,603	1,724	80,658					
18	0,568	1,622	82,281					
19	0,556	1,589	83,870					
20	0,519	1,482	85,352					
21	0,504	1,440	86,792					
22	0,488	1,395	88,188					
23	0,481	1,375	89,563					
24	0,413	1,179	90,741					
25	0,403	1,151	91,892					
26	0,379	1,084	92,976					
27	0,340	0,971	93,947					
28	0,331	0,945	94,892					
29	0,314	0,898	95,790					
30	0,295	0,844	96,634					
31	0,292	0,833	97,467					
32	0,250	0,715	98,182					
33	0,227	0,648	98,830					
34	0,221	0,631	99,461					
35	0,189	0,539	1					

Méthode d'extraction : Analyse en composantes principales.

نجد ان هناك ثمانية عوامل تتمتع بجدر كامن **Eigenvalue** اكثر من واحد صحيح انظر العمود الملون بالأحمر فيمكن اعتمادها ولا يمكن رفضها.

العوامل الثمانية تفسر التباين بنسبة **60,88**

العامل الأول بنسبة **19,007** الثاني بنسبة **10,338**

الثالث بنسبة **6,390** الرابع بنسبة **5,769**

الخامس بنسبة **5,394** السادس بنسبة **5,222**

السابع بنسبة **4,95** الثامن بنسبة **3,807**

السؤال المطروح على ماذا تؤثر هذه العوامل وهذا ما سنتعرف عليه من خلال الجدول التالي:

Rotation de la matrice des composantes^a

	Composante							
	1	2	3	4	5	6	7	8
cog14	0,815						-0,130	
cog10	0,790							-0,103

cog13	0,753			0,126			-0,220	-0,117
cog6	0,731	-0,136	0,296			0,157		
cog7	0,702		0,241		0,133	0,161		-0,113
cog12	0,700				0,188			
cog5	0,695		0,274			0,194		
cog2	0,678					0,263		
cog11	0,672	-0,101	-0,101				0,353	
cog8	0,659			-0,136			0,349	0,168
cog9	0,645	0,191				-0,162	0,238	0,217
cog15	0,595		-0,183	0,327	-0,208			
int3		0,757					0,179	
int1		0,742		0,187		0,135		0,141
int2		0,728	0,141		0,138	0,222		
int10		0,657		0,136	0,306		0,321	
int5		0,587	0,143	0,375	0,121			
int6	0,120	0,554	0,474	-0,171		-0,152		0,129
int8	0,230	0,424	0,398	0,290	0,215		0,162	-0,163
int7		0,137	0,687	0,215	0,126			0,122
int9		0,255	0,640	0,403	0,114			
int4	0,187	0,194	0,431		0,371	0,120	0,235	0,117
int13		0,249		0,659	0,180		0,291	
int12	0,124	0,184	0,333	0,657				-0,116
int11		0,416	0,108	0,463	0,333	0,123		
int16			0,185	0,102	0,790	0,120		
int17		-0,200	0,433	-0,136	-0,552	0,289	0,147	-0,118
int15	0,217		0,236		0,550		0,361	
cog1	0,345	0,144	-0,113			0,656		-0,149
cog4	0,129	0,169	0,134			0,645	0,111	
cog3	0,259		0,113	0,301		0,528		0,481
cog16	0,383			-0,230		0,474		-0,350
int14	0,254	0,140		0,176	0,172		0,688	
int18	-0,232	0,261	0,112				0,613	
cog17	-0,161							0,814

Méthode d'extraction : Analyse en composantes principales.

Méthode de rotation : Varimax avec normalisation Kaiser.

a. Convergence de la rotation dans 11 itérations.

الملحق الرابع: مقابلة حول: حملات التبرع بالدم بالمساجد، أجريت مع الدكتور عبد اللطيف زاهر
رئيس سابق بقسم تحاقن الدم بالمستشفى الإقليمي محمد الخامس بمدينة الجديدة.

دليل المقابلة:

- 1- ما العلاقة التي تربط بين المسجد وحملات التبرع بالدم؟ وكيف يتم تنظيم ذلك؟
 - 2- ما الأهمية التي تميز حملات التبرع بالدم في المساجد؟
 - 3- هل هناك مشاكل ومعوقات تعترض هذه الحملات من خلال تنظيمها في المساجد؟
 - 4- من خلال تجربتكم الواقعية، ما الاقتراحات التي ترونها كفيلة لإنجاح هذه الحملات من خلال المساجد والرفع من جودتها ونفعها؟
- ملاحظة: وردت أجوبة الدكتور على الأسئلة أعلاه بشكل مجمل وفي ترتيب واختيار خاص، التزمت بنقله على الشكل الذي هو عليه.

1. أهمية حملات التبرع بالدم بالمساجد:

منذ أزيد من 14 سنة والمركز الجهوي لتحاقن الدم بالجديدة ينظم حملات للتبرع بالدم بمساجد المدينة وخاصة خلال شهر رمضان الكريم وقد بدأت هذه السنة الطيبة بمسجد واحد وهو مسجد بدر لتعم فيما بعد عدة مساجد: المسجد الأعظم، مسجد النور، مسجد ابراهيم الخليل، مسجد الحسن الثاني، مسجد السلام ومسجد محاسن.

وتلعب هذه الحملات دورا مهما وفعالا في تحسيس المواطن بأهمية التبرع بالدم وتشجيعه على التبرع بالدم وتمكينه من التبرع في ظروف ملائمة داخل المسجد الذي اعتاد على الصلاة فيه.

2. كيف تتم؟:

تتم الحملة على عدة مراحل:

✓ مراسلة المجلس العلمي لبرمجة الحملة داخل المسجد

✓ حملة تحسيسية قبل العملية من خلال:

● خطبة الجمعة أو دروس الوعظ

● لافتات بواجهات المسجد

● توزيع مطويات على المصلين

✓ عملية التبرع بالدم

3. فوائد حملات التبرع بالدم التي تتم في المساجد

✓ التعريف بأهمية التبرع بالدم

✓ تحسيس المواطن وتشجيعه على التبرع بالدم

✓ تيسير التبرع على المواطن من خلال انتقال الطاقم الطبي الذي يسهر على حملة التبرع بالدم داخل فضاء قريب من المتبرع.

4. المشاكل الميدانية:

✓ في غالب الأحيان، يتم انتقاء وبرمجة المساجد التي تحتوي على قاعات خاصة أو مساحات تمكن الطاقم من عمله دون التشويش على أداء فرائض الصلاة داخل المسجد، وتبقى هناك بعض المشاكل من قبيل:

✓ نظام وتنظيم طوابير المتبرعين

✓ العدد الغير كافي لعمال الطاقم بالنسبة لعدد المتبرعين مما يؤثر سلبا على سيولة الحملة وبالتالي يطول

انتظار المتبرعين مما يضطر بعضهم على المغادرة

✓ ...

5. علاقة مؤسسة المسجد بالتبرع بالدم:

✓ عديد من الحالات سواء مرضية أو حوادث تستوجب نقل الدم للمريض أو المصاب لعلاجيه أو في بعض الأحيان إنقاذ حياته، وحتى الساعة ورغم التقدم العلمي والتطور التقني، لم يتمكن الانسان من اختراع مادة تلعب دور الدم في جسم الإنسان ويبقى التبرع بالدم هو الحل الوحيد لحد الساعة لعلاج المرضى والمصابين المحتاجين للدم.

✓ لهذا يجب على المسجد أن يلعب دورا رياديا في زرع ثقافة التبرع بالدم لدى المواطنين من خلال خطبة الجمعة ودروس الوعظ والإرشاد وتيسير تنظيم حملات التبرع بالدم بداخله.

"ومن أحيائها فكأنما أحيى الناس جميعا"

الملحق الخامس: ملحق الصور المدعمة لآلية الملاحظة الميدانية.



توثق الصورتان أعلاه للمسجد العتيق الكائن بالحي البرتغالي في مدينة الجديدة، حيث صومعته منفصلة تماما عن المسجد، وذلك في شكل أثري تقليدي يحافظ على أصالة التكوين والإنشاء، وقد تمت الإشارة إلى هذا الملحق وذلك في الصفحة 277/276 (الصورتان من واجهتين مختلفتين).



مذكرة

إلى

السادة الخطباء و الوعاظ والمرشدين
بإقليم الجديدة

الموضوع : الاحتفال باليوم العالمي للبيئة.

سلام تام بوجود مولانا الإمام أبيه الله.

وبعد، بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للبيئة في خامس يونيو من كل سنة، ومساهمة من الوزارة
في نشر الوعي البيئي لدى كافة فئات المجتمع، تهيب بكم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن
تعملوا على:

- تخصيص محاضراتكم ودروسكم الوعظية للحديث عن عناية الإسلام بالبيئة ورعايتها وترشيدها
- استخدام الموارد الطبيعية بما يضمن استدامتها ومردوديتها .
- تخصيص خطبة الجمعة ليوم 05 يونيو 2015 (أو الخطبة الثانية) للحديث عن هذه المناسبة.

و الله ولي التوفيق

و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته.



0523342047. الفاكس، 0523342047. الهاتف، (المغرب). 0523342047.

الصورة أعلاه توثق إجراء ميداني يتمثل في توظيف الخطبة المسجدية من أجل ترسيخ ثقافة الحفاظ على
البيئة، وهو الشيء الذي يجسد جانبا عمليا من جوانب العلاقة بين مؤسسة المسجد والبيئة، وقد تمت
الإشارة إلى هذا الملحق وذلك في الصفحة 284.



الصورة أعلاه توثق للكتاب القرآني التابع لمسجد السلام بالجديدة، والذي أغلب مستفيديه من فئة الأطفال، وقد تمت الإشارة إلى هذا الملحق، وذلك في الصفحة 307 من البحث.



الصورتان أعلاه شاهد ميداني من جوار مسجد ديار المنصور بمدينة الجديدة؛ توثقان للمشهد التفاعلي الوارد في الصفحة 296.



توثق الصوتان أعلاه لمجموعة من الأنشطة النسائية التي تتبناها جمعية مسجدية بمسجد حي السلام بالجديدة.



الصورتان السابقتان تم أخذهما من جانب مسجد حي المطار بمدينة الجديدة، والذي يحتوي على ساحة كبيرة بجانبه، يجد فيها كثير من الأطفال مع والديهم مجالا ملائما للاستحمام واللعب والمتعة.

فهرس

الآيات القرآنية الواردة

في البحث:

1- سورة البقرة:

- "وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ... الآية 45" ص377
- "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ... الآية 124" ص58
- "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ... الآية 125" ص252
- "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ... الآية 153" ص377
- "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ... الآية 186" ص51
- "إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ... الآية 271" ص413/311
- "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... الآية 273" ص414/343

2- سورة آل عمران:

- "قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ... الآية 61" ص161
- "لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا ... الآية 92" ص127
- "وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ... الآية 97" ص255

3- سورة النساء:

- "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ... الآية 1" ص114
- "وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمُ ... الآيات 66/68" ص95/65
- "فَإِذَا فَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ ... الآية 103" ص227/171

4- سورة المائدة:

- "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ... الآية 1" ص167

5- سورة الأنعام:

"الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ... الآية 82" ص255
6- سورة الأعراف:

"وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ... الآية 29" ص275
"يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ ... الآية 31" ص275/27
"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... الآية 158" ص397
"فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ... الآية 176" ص98
"وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا ... الآية 204" ص56
7- سورة التوبة:

"وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ... الآية 6" ص166/163
"إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ... الآية 18" ص43/40
"فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ... الآية 27/28" ص168/165/164
"يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ ... الآية 32" ص68
"وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ ... الآية 54" ص129
"إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ... الآية 60" ص127
"لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ... الآيتان 109 / 108" ص129/26/20
"مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ... الآية 113" ص339
"وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ ... الآيتان 125 / 124" ص59
8- سورة يونس:

"وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ... الآية 18" ص51

9- سورة هود:

"قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ ... الآية 87" ص53

10- سورة الرعد:

"الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ... الآية 28" ص223

11- سورة إبراهيم:

"وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ ... الآية 4" ص290/92

12- سورة الحجر:

"لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ... الآية 71" ص44

13- سورة النحل:

"مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى ... الآية 97" ص117

14- سورة الإسراء:

"وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ... الآية 82" ص223

15- سورة الكهف:

"وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ ... الآية 21" ص46

16- سورة طه:

"قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ... الآية 59" ص275

"وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ... الآية 114" ص163

17- سورة الحج:

"ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ ... الآية 30" ص223

"ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ... الآية 32" ص127

"الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ... الآية 40" ص167

18- سورة النور:

"فِي بُيُوتٍ أذنَ اللَّهُ ... الآيتان 36 / 37" ص297/49

"وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ... الآية 55" ص253/148

19- سورة الشعراء:

"قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ... الآية 17" ص45

20- سورة القصص:

"إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ... الآية 56" ص339

21- سورة العنكبوت:

"إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ... الآية 45" ص411/264/53

22- سورة الأحزاب:

"قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ... الآية 18" ص418

23- سورة الزمر:

"أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ... الآية 3" ص51

24- سورة الفتح:

"لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا ... الآية 26" ص253

26- سورة الحجرات:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ ... الآية 13" ص250

27- سورة الحشر:

"اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ... الآية 18" ص114

28- سورة الممتحنة:

"لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ... الآية 8" ص338

29- سورة الصف:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ... الآيتان 3/2" ص95

30- سورة التغابن:

"إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ... الآية 15" ص235

31- سورة الجن:

"وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ ... الآية 6" ص49

"وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ... الآية 18" ص46

32- سورة التكويد:

"إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ... الآية 27" ص160

33- سورة الضحى:

"وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ ... الآية 10" ص345

34- سورة العلق:

"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ... الآية 1" ص64

35- سورة قريش:

"لِيَالِافٍ قُرَيْشٍ ... الآيات 4/1" ص253

فهرس

الأحاديث النبوية

الواردة في البحث:

رقم الحديث	طرف الحديث	راوي الحديث	الصفحة
1	إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ ...	أبو هريرة	15
2	سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ الْمُسْلِمَ ...	أبو هريرة	26
3	مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَحْسَنَ ...	أبو ذر الغفاري	27
4	طيب رسول الله ...	عائشة	27
5	لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي ...	أبو هريرة	27
6	مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ...	ابن عمر	28
7	مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا ...	جابر بن عبد الله	29
8	إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي ...	ابن عمر	29
9	البُرَاقُ فِي الْمَسْجِدِ ...	أنس بن مالك	30
10	كَانَتْ تُرَجِّلُ رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...	عائشة	30
11	امرأة سوداء كانت تقم ... فَهَلَّا آذَنْتُمُونِي ...	أبو هريرة	31
12	عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي ...	أبو ذر	31
13	العقيق واد ...	عثمان بن عفان	31
14	أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاءَ ...	عائشة	33
15	إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ ...	أبو قتادة السلمي	35

35	أبو هريرة	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ ...	16
36	أبو هريرة	إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا ...	17
36	عبد الرحمان بن شبل	نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقرة...	18
37	الشريد بن سويد	مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا جَالِسٌ ...	19
37	عمرو بن شعيب	نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِخْتِبَاءِ ...	20
37	علي بن شيبان	اسْتَقْبِلْ صَلَاتَكَ ...	21
38	البراء بن عازب	إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ ...	22
38	أبو هريرة	لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّفِّ ...	23
38	بسر بن سعيد	لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ ...	24
39	سماك بن حرب	كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ ...	25
42	أبو هريرة	أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ إِذَا صَلَّى ...	26
43	أبو سعيد الخدري	إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ ...	27
44	أبو هريرة	لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ ...	28
44	أبو هريرة	الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ ...	29
46	عائشة وابن عباس	لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ...	30
47	أبو هريرة	قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ ...	31
48	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ	أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ...	32

48	أبو هريرة	إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيُسَلِّمْ ...	33
49	سالم عن أبيه	اسْتَشَارَ النَّاسَ لِمَا يُهْمُّهُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ...	34
51	مُعَاذُ بْنُ رِفَاعَةَ الْأَنْصَارِيِّ	يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ...	35
54	أبو هريرة	مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُزْبَةً ...	36
54	عبد الله بن أبي قتادة	بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي ...	37
54	معاذ بن جبل	إِنَّ الشَّيْطَانَ ذُنْبُ الْإِنْسَانِ ...	38
55	أبو هريرة	صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ ...	39
55	أبو الدرداء	مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ ...	40
55	أبو هريرة	هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ ...	41
56	ابن عباس	مَنْ سَمِعَ النَّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ ...	42
59	أنس بن مالك	إِنِّي لِأَهْمُّ بِأَهْلِ الْأَرْضِ ...	43
59	عبد الله بن عمر	مَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ ...	44
59	أبو الجعد الضمري	مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعٍ ...	45
60	أبو هريرة	مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلًا ...	46
60	أوس بن أوس	مَنْ غَسَلَ وَاعْتَسَلَ ...	47
60	أوس بن أوس	إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ...	48
61	أبو هريرة	خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ ...	49

61	كعب بن مالك	كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ ...	50
62	أبو هريرة	مَنْ عَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ ...	51
62	أنس بن مالك	بَشَّرَ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ ...	52
66	أبو هريرة	مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا ...	53
66	عقبة بن عامر	أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَعْدُو ...	54
67	عبد الله بن عمرو	خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ...	55
67	أبو سعيد الخدري	خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلَقَةٍ ...	56
73	سهل بن سعد	وَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدَى بِهَذَاكَ ...	57
88	عبد الله بن عمرو بن العاص	إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ	58
95	سعيد الجُمَحِي	الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ...	59
102	أنس بن مالك	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ ...	60
113	أنس بن مالك	أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ...	61
114	المنذر بن جرير عن أبيه	كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ ...	62
115	أنس بن مالك	وَجَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ ...	63
116	أبو سعيد الخدري	دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ ...	64
117	عائشة بنت أبي بكر	أَعْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ ...	65

124	أبو هريرة	إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ ...	66
127	أبو هريرة	مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ...	67
127	أبو هريرة	مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ ...	68
129	حكيم بن حزام	أَسْلَمْتُ عَلَى مَا أَسْلَفْتُ ...	69
132	ابن عمر	سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْبِقَاعِ شَرُّ ...	70
142	أبو هريرة	خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ ...	71
322/160	أبو هريرة	بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ ...	72
161	جابر بن عبد الله	قَدِمَ وَفَدُ بَحْرَانِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...	73
162	الحسن بن علي	وَفَدَ ثَقِيفٍ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...	74
162	عثمان بن أبي العاص	وَفَدَ ثَقِيفٍ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ...	75
162	أنس بن مالك	بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ...	76
164	أبو بردة عن أبيه	كَانَتْ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ...	77
174	ابن عباس	بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ ...	79
225	أبو سعيد الخدري	أَنَّ زُهَاطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ...	80
227	أنس بن مالك	سُؤُوا صُفُوفَكُمْ ...	81
227	النعمان بن بشير	سُؤُوا صُفُوفَكُمْ، أَوْ لِيخَالَفَنَّ ...	82
227	البراء بن عازب	سُؤُوا صُفُوفَكُمْ لَا تَخْتَلِفُ ...	83

228	النعمان بن بشير	كان النبي صلى الله عليه وسلم يُسَوِّبُنَا ...	84
229	أبو هريرة	إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا ...	85
229	أبو هريرة	أَمَّا يَخْشَى الَّذِي ...	86
229	أبو هريرة	إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ ...	87
229	أبو هريرة	إِذَا كُنْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ ...	88
230	سهل بن سعد الساعدي	رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَمْرِو ..	89
231	أبو سعيد الخدري	دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى ...	90
231	أبو هريرة	خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا ...	91
231	عبد الله بن بسر	جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى ...	92
233	واثلة بن الأسقع	جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ ...	93
234	أبو قتادة	إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ ...	94
234	شريك بن عبد الله	مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ ...	95
234	أبو هريرة	إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمْ النَّاسَ ...	96
235	عبد الله بن بريدة عن أبيه	رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ ...	97
236	عمرو بن شعيب	مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ ...	98
236	أبو قتادة الأنصاري	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي ...	99

236	عبد الله بن أبي حبيبة	جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...	100
237	أنس بن مالك	لَقَدْ رَأَيْتُ كِبَارَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ...	101
241	أنس بن مالك	دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبْلٌ ...	102
241	أبو مسعود عقبة بن عامر	أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا ...	103
241	أنس بن مالك	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَزَ ذَاتَ يَوْمٍ ...	104
242	عَمْرُو بْنُ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ	كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ...	105
243	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ	كُنَّا نَأْكُلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ...	106
244	عائشة بنت أبي بكر	لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ...	107
244	عائشة بنت أبي بكر	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا ...	108
251	عائشة بنت أبي بكر	أَنَّ فُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْرُومَةِ ...	109
254	ابن عباس	لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ الظُّهْرَانِ ...	110
256	سلمان الفارسي	الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ ...	111
256	أبو الدرداء	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ضَمِنَ ...	112
257	أنس بن مالك	يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْمَوَاشِي ...	113
258	عائشة بنت أبي بكر	كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ ...	114
258	ابن عمر	حِصَالٌ لَا تَنْبَغِي فِي الْمَسْجِدِ ...	115

116	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَزَا ...	أنس بن مالك	259
117	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ ...	ابن عصام المزني عن أبيه	259
118	جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَ فَاطِمَةَ ...	سهل بن سعد	259
119	أَمْسِكْ بِنَصَاهَا	جابر بن عبد الله	260
120	مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا ...	أبو بردة عن أبيه	261
121	لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ...	جابر بن عبد الله	262
122	إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ ...	جابر بن عبد الله	262
123	أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...	أبو هريرة	263
124	أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنُ أَبِي حَذَرْدٍ دَيْنًا ...	كعب بن مالك	264
125	يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ رَجُلًا ...	سهل بن سعد	265
126	لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ ...	أبو هريرة	265
127	لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ الْمَسَاجِدَ ...	ابن عمر	266
128	إِذَا شَهِدْتَ إِحْدَاكُنَّ ...	زينب امرأة عبد الله	266
129	خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا ...	أبو هريرة	266
130	أَنْ وَلِيدَةً كَانَتْ سُودَاءَ لَحْيٍ مِنَ الْعَرَبِ ...	عائشة بنت أبي بكر	267
131	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي ...	عائشة بنت أبي بكر	268
132	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ ...	عائشة بنت أبي بكر	268

268	ابن عمر	بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ ...	133
269	أبو سعيد وأبو هريرة	أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَ لَهُ ...	134
269	أسماء بنت أبي بكر	أَتَيْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...	135
270	حفصة بنت سيرين	لِتُلْبِسَهَا صَاحِبَتُهَا ...	136
278	ابن مسعود	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ابْتَعَثَ ...	137
283	أبو ذر	عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمِّي ...	138
294	سعيد بن المسيب	مَرَّ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ ...	139
294	عائشة بنت أبي بكر	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ ...	140
295	ثوبان	مَنْ رَأَيْتُمُوهُ يَنْشُدُ ...	141
299	ابن عمر	إِنَّ بِلَالًا يُؤَدِّنُ بِلَالٍ ...	142
299	أنس بن مالك	أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَخْلَفَ ...	143
300	عمرو بن أم مكتوم	جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...	144
301	ابن مسعود	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَدًّا مُسْلِمًا ...	145
302	ابن عمر	كُنَّا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ...	146
302	أبو سلمة بن عبد الرحمن	دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...	147
303	أنس بن مالك	جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ ...	148
304	أبو أمامة	مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ ...	149

304	عَبَادُ بْنُ تَمِيمٍ عَنْ عَمِّهِ	رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...	150
304	أبو ذر	كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ ...	151
305	جابر بن عبد الله	مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبُقْلَةِ ...	152
306	عباد بن تميم عن عمه	رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...	153
314	عائذ بن عمرو المزني	بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ نَبِينَا ...	154
314	بكر بن عبد الله المزني	كُنْتُ جَالِسًا مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ ...	155
316	أبو هريرة	إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ ...	156
317	زيد بن خالد الجهني	مَنْ فَطَرَ صَائِمًا ...	157
319	أُبَيّ	صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...	158
320	أبو واقد الليثي	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ ...	159
320	أنس بن مالك	بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ ...	160
321	أبو هريرة	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ ...	161
321	السائب بن يزيد	كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَّنِي ...	162
322	أنس بن مالك	بَيْنَمَا أَنَا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجَانِ ...	163
324	زيد بن خالد الجهني	صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...	164
325	كعب بن مالك	لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ...	165
329	عائشة بنت أبي بكر	أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخُنْدَقِ ...	166

338	أسماء بنت أبي بكر	قَدِمْتُ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ ...	167
338	سهل بن سعد	فَوَ اللَّهُ لَأَنْ يَهْدِيَ ...	168
339	ابن المسيب عن أبيه	أن أبا طالب لما حضرته الوفاة ...	169
342	عبد الرحمان بن أبي بكر	هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَطْعَمَ ...	170
343	أبو هريرة	لَا يَفْتَحُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ ...	171
343	عبد الله بن عمر	الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ...	172
348	عائشة بنت أبي بكر	لَمْ أَغْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ ...	173
348	عثمان بن أبي العاص	أَمَرَهُ أَنْ يَجْعَلَ مَسْجِدَ الطَّائِفِ ...	174
357	عروة عن حدثه	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا أَنْ ...	175
365	عائشة بنت أبي بكر	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ ...	176
366	حذيفة بن اليمان	أَنَّ النَّاسَ تَفَرَّقُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ...	177
377	صهيب	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى ...	178
389	جندب	إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي ...	179
435	ابن عمر	إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيْبًا ...	180

فهرس المصادر

والمراجع المعتمدة في

البحث:

-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

الكتب والمؤلفات في عامّة المجالات:

- 1- أبحاث في الفقه المقارن: هند الخولي، دار المقتبس، بيروت، لبنان، ط1، 1435هـ / 2014م.
- 2- الأثر التربوي للمسجد: صالح بن غانم السدلان، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية بدون بيانات.
- 3- أحكام أهل الذمة: ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر، الدمام، ط1، 1418هـ / 1997م.
- 4- أحكام المعابد: عبد الرحمان العصيمي، كنوز اشبيليا، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1430هـ / 2009م.
- 5- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه: محمد المكي الفاكهي (ت272هـ)، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ.
- 6- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: أبو الوليد الأزرقى (ت250هـ)، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت.
- 7- الأربعون في فضل المساجد وعمارتها مما رواه شيخ الحنابلة عبد الله بن عقيل (ولد في 1335هـ)¹ بأسانيده عن شيوخه، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ / 2005م.
- 8- الأساس في السنة وفقهها-العبادات في الإسلام-: سعيد حوى (ت1409هـ)، دار السلام، بدون بلد، ط1، 1414هـ / 1994م.
- 9- أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية: فوزي غرايبه/ نعيم دهمش/ ربحي الحسن/ خالد أمين عبد الله/ هاني أبو جباره، كلية الاقتصاد والتجارة، الجامعة الأردنية، 1977م.
- 10- أساليب في الوعظ الإرشاد: محمود سالم عبيدات، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط1، 1410هـ.
- 11- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: شهاب الدين الناصري السلاوي (ت1315هـ)، تحقيق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، بدون طبعة ولا سنة.

¹ لم أقف على تاريخ وفاته.

- 12- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: أبو العباس شهاب الدين الناصري السلاوي (ت1315هـ)، بيروت، لبنان، ط2، 2012م.
- 13- الإسلام في الحياة اليومية - بحث حول القيم والممارسات الدينية بالمغرب-: محمد العيادي / حسن رشيق / محمد الطوزي، منشورات: مطابع la croisée des chemins، الدار البيضاء، المغرب، 2006 بدعم من مؤسسة فريديرش إيبيرت.
- 14- أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير -رضي الله عنه- وتطبيقاته التربوية: عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري، أطروحة للماجستير في التربية الإسلامية بقسم التربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بإشراف: د عبد الرحمن بن رجاء الله الأحدي، 1433 / 1434هـ.
- 15- إصلاح المساجد من البدع والعوائد: محمد جمال الدين القاسمي (ت1332هـ)، تعليق وتخرّيج: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط5، 1403هـ / 1983م.
- 16- الأصول من علم الأصول: محمد بن صالح العثيمين (ت1421هـ)، دار ابن الجوزي، المنصورة، مصر، 2004م.
- 17- أعظم حوار ديمقراطي في التاريخ بين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد في مسجد رسول الله: حسين أبو الزيد، الدار المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1413هـ / 1992م.
- 18- الإعلام بجواز دخول المسجد لغير الإسلام: مصطفى الشنضيض الفاسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1433هـ / 2012م.
- 19- الإعلام بفضائل بيت الله الحرام: ملا علي القاري (ت1014هـ)، مكتبة نظام يعقوبي، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط1، 1436هـ / 2015م.
- 20- إعلام الساجد بأحكام المساجد: محمد الزركشي (ت794هـ)، تحقيق: مصطفى المراغي، مطابع الأهرام، القاهرة، مصر، 1431هـ / 2010م.
- 21- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع: جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: ذيب بن ناصر القحطاني، مطابع الرشيد، بدون بلد ولا طبعة، 1409هـ.
- 22- انتصارات يوسف بن تاشفين: حامد محمد الخليفة، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، ط1، 1435هـ / 2004م.
- 23- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي (ت745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون طبعة، 1420هـ.

- 24- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين الكاساني الحنفي (ت587هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ / 1986م.
- 25- البصيرة في الدعوة إلى الله: عزيز بن فرحان العنزي، دار الإمام مالك، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1426هـ / 2005م.
- 26- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: أبو محمد الحارث البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (ت282هـ)، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة النبوية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1413هـ / 1992م.
- 27- بحجة النفوس والأسرار في تأريخ دار هجرة النبي المختار: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن عبد الملك المرجاني (ت770هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م.
- 28- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي (ت695هـ)، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان/إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.
- 29- التاج والإكليل: أبو عبد الله المواق (ت897هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1616هـ / 1994م.
- 30- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين بن قايماز الذهبي (ت748هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بدون بلد، ط1، 2003م.
- 31- تاريخ الرسل والملوك=تاريخ الطبري: أبو جعفر الطبري (ت310هـ)، دار التراث، بيروت، لبنان، ط2/ 1387هـ.
- 32- التحرير والتنوير -تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد-: الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، بدون طبعة، 1984م.
- 33- التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزري الغرناطي (ت741هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ.
- 34- تطويع الأهالي زمن الاستعمار الفرنسي مغرب (1912-1939): بيير بارون، ترجمة عبد الرزاق لكريط، مطبعة وراقة بلال، فاس، المغرب، ط1، 1437هـ / 2016م.
- 35- التفسير القيم: ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ.
- 36- تفسير المنار: محمد رشيد رضا القلموني الحسيني (ت1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م.

- 37-التنوير شرح الجامع الصغير: أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت1182هـ)، تحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم، دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1432هـ / 2011م.
- 38-تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ابن مسكويه (ت421هـ)، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بدون سنة.
- 39-التهذيب في فقه الإمام الشافعي: محيي الدين أبو محمد البغوي الشافعي (ت516هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ / 1997م.
- 40-توضيح الأحكام من بلوغ المرام: عبد الله البسام، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1423هـ / 2003م.
- 41-الثقافة والعملة: سعيد شبار، مركز دراسات المعرفة والحضارة، دار الإنماء الثقافي، الرباط، المغرب، ط1، 2014م.
- 42-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه -صحيح البخاري-: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- 43-جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر الطبري (ت310هـ)، تحقيق: أحمد شاکر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ / 2000م.
- 44-الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي: أبو الحسن البصري البغدادي المعروف بالماوردي (ت450هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ / 1999م.
- 45-الحضارة الإسلامية: أحمد عبد الرحيم السايح، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، السنة 10، العدد 3، 1397هـ / 1977م.
- 46-حضارة العرب: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، مصر، 2013م.
- 47-الحكمة في الدعوة إلى الله: سعيد بن علي القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ.
- 48-حلية الأولياء وطبقة الأصفياء: أبو نعيم الأصبهاني (ت430هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون طبعة، 1409هـ.

- 49- الحماسة المغربية - مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب - أبو العباس أحمد التادلي (ت 609هـ)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 1، 1991م.
- 50- الحوار مع أتباع الأديان - مشروعيته وآدابه - منقذ بن محمود، رابطة العالم الإسلامي، بدون تاريخ ولا طبعة ولا بلد.
- 51- خصوصيات معمار المساجد بالمملكة المغربية: أعمال ندوة نظمت بالرباط، المغرب، 2007م.
- 52- خطباء المساجد من الدعوة إلى التحريض: باتريك دي جافني، ترجمة: فاطمة نصر، مكتبة سطور الجديدة، القاهرة، مصر، ط 1، 2013م.
- 53- الدروس الحسنية 1434هـ: منشورات وزارة الأوقاف، دار أبي رقيق، 1435هـ / 2014م.
- 54- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت 1057هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 4، 1425هـ / 2004م.
- 55- دور المسجد في الإسلام: علي محمد مختار، إصدار: مجلة دعوة الحق: عدد 14، السنة 2، جمادى الأولى، 1402هـ.
- 56- الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه: عطية صقر (ت 1427هـ)، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، مصر، 1408هـ / 1988م.
- 57- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر - تاريخ ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمان الإشبيلي الحضرمي ابن خلدون (ت 808هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 2، 1408هـ / 1988م.
- 58- الذخيرة: شهاب الدين القرافي (ت 684هـ)، تحقيق: محمد حجي وسعيد أعراب ومحمد بوخبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1994م.
- 59- ذخيرة العقبي في شرح المجتبى: محمد علي آدم الإثيوبي، دار آل بروم، بدون بلد ولا تاريخ الطبع.
- 60- رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين): ابن عابدين الحنفي (ت 1252هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 2، 1412هـ / 1992م.
- 61- رسالة المسجد في الإسلام: عبد العزيز محمد اللميم، مؤسسة فؤاد، بيروت، لبنان، ط 1، 1407هـ / 1987م.
- 62- روائع البيان تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، ط 3، 1400هـ / 1980م.

- 63- زاد المتعبد في أحكام وآداب المسجد: حمدا ولد التاه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1424هـ / 2003م.
- 64- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي (ت597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ.
- 65- السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير: علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي، بدون بيانات.
- 66- السنة: أبو بكر الخلال (ت311هـ)، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1410هـ / 1989م.
- 67- سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ / 2009م.
- 68- سنن أبي داود: أبو داود السجستاني (ت275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
- 69- سنن الترمذي: أبو عيسى محمد الترمذي (ت279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر (ج1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج4، 5)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ / 1975م.
- 70- سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله الدارمي (ت255هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ / 2000م.
- 71- السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني البيهقي (ت458هـ): تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ / 2003م.
- 72- السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد الخراساني النسائي (ت303هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شليبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ / 2001م.
- 73- السياق القرآني للإصلاح: عبد الواحد الحسيني، دار الكلمة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1436هـ / 2015م.
- 74- السيرة النبوية دروس وعبر: مصطفى السباعي، دار السلام، القاهرة، مصر، ط4، 1423هـ / 2003م.

- 75- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة: محمد بن سويلم أبو شهبه (ت1403هـ)، دار القلم، دمشق، سوريا، ط8، 1427هـ.
- 76- سيميائيات الصلاة: محمد إدريس بن عبد الملك، فاس بريس، فاس، المغرب، ط1، 2015م.
- 77- شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بآسفي: كريدية إبراهيم، دار وليلي، مراكش، المغرب، ط1، 2005م.
- 78- شعب الإيمان: أبو بكر أحمد الخراساني البيهقي (ت458هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 1423هـ / 2003م.
- 79- الشرح الكبير على المقنع: شمس الدين أبو الفرج ابن قدامه المقدسي (ت682هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة هجر، القاهرة، مصر، ط1، 1415هـ / 1995م.
- 80- شرح معاني الآثار: أبو جعفر الطحاوي (ت321هـ)، تحقيق: محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، عالم الكتب، بدون بلد الطبع، ط1، 1414هـ / 1994م.
- 81- الشريعة: أبو بكر الآجري البغدادي (ت360هـ) تحقيق: عبد الله بن عمر الدميحي، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1420هـ / 1999م.
- 82- صحيح ابن خزيمة: أبو بكر بن إسحاق بن خزيمة (ت311هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ ولا طبعة.
- 83- صحيح وضعيف تاريخ الطبري: أبو جعفر الطبري (ت310هـ)، تحقيق: محمد بن طاهر البرزنجي، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط1، 1428هـ / 2007م.
- 84- عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة: أبو محمد جلال الدين ابن شاس المالكي (ت616هـ)، تحقيق: حميد لحر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ / 2003م.
- 85- علم الاجتماع-السوسيولوجيا-: عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2010م.
- 86- العمارة الإسلامية بإيران -مساجد ومدارس وحسينيات-: غادة عبد المنعم الجميحي، كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة، مكتبة الأنجلو، المصرية، القاهرة، مصر، 2014م.
- 87- عمارة المساجد-تصميم وتاريخ وطرارز وعناصر-: محمد ماجد عباس خلوصي، مطابع سجل العرب، بدون طبعة ولا بلد، 1998م.
- 88- عمارة المساجد -دراسة في تاريخ عمارة المسجد خلال العهود الإسلامية-: رؤوف الأنصاري، دار النبوغ، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ / 1996م.

- 89-عمارة المساجد العثمانية: محمود زين العابدين، دار قابس، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.
- 90-عمارة المساجد المعنوية وفضلها: عبد العزيز عبد الله الحميدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ.
- 91-عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي -دراسة تاريخية حضارية-: عبد اللطيف بن عبد الله دهيش، مكتبة الملك فهد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/ 1999م.
- 92-عمارة المسجد النبوي الشريف -دراسة جديدة في ضوء مشاهدات ابن عبد ربه الأندلسي-: محمد حمزة الحداد، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ/ 1999م.
- 93-عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ: ناجي محمد حسن عبد القادر الأنصاري، إصدار: نادي المدينة المنورة الأدبي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1416هـ/ 1996م.
- 94-عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم (تأليف سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته): أبو عبد الرحمن العظيم آبادي (ت1329هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ.
- 95-عيون المسائل: القاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي (ت422هـ)، تحقيق: علي محمد إبراهيم بورويبة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/ 2009م.
- 96-فتح الباري شرح صحيح البخاري: الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي وتحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1379هـ.
- 97-فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: محمد بن صالح العثيمين (ت1421هـ)، تحقيق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ/ 2006م.
- 98-الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني: أحمد محمد البنا الساعاتي (ت1378هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط2، بدون سنة.
- 99-فتح القدير: كمال الدين بن الهمام (ت861هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون طبعة ولا تاريخ.
- 100-فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: سعيد بن علي القحطاني، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1421هـ.
- 101-الفقه المالكي في ثوبه الجديد: محمد بشير الشقفة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3، 1432هـ/ 2011م.
- 102-فقه المساجد في الشريعة الإسلامية-دراسة جديدة في ضوء مقاصد الشريعة-: حساني محمد نور، دار السلام، الإسكندرية، مصر، ط1، 1438هـ/ 2017م.

- 103-فقه النوازل-دراسة تأصيلية تطبيقية-: محمد الجيزاني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط3، 1429هـ/ 2008م.
- 104-الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة في المساجد الإسلامية والمرافد المقدسة: شاعر هادي غضيب، دار الحرية، بغداد، العراق، 1397هـ/ 1977م.
- 105-فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد زيد الدين المناوي (ت1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ.
- 106-قطوف من تاريخ المسجد النبوي الشريف: سليمان بن صالح العبيد، دار التوحيد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ/ 2006م.
- 107-قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: أبو محمد الطيب الحضرمي (ت947هـ)، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1428هـ/ 2008م.
- 108-الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة العبسي (ت235هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1409هـ.
- 109-الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم: محمد الأمين الهرري الشافعي، دار طوق النجاة، ط1، 1430هـ/ 2009م.
- 110-لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ.
- 111-اللغات في الهجرة-التحولات والرهانات الجديدة-: أشغال الندوة الدولية، مجلس الجالية المغربية بالخارج، الرباط، المغرب، 25/24 يونيو، 2010م.
- 112-مؤسسة المسجد -الرسالة الحضارية والوظيفة الاجتماعية-: عبد العالي المعكول، مطبعة أميمة، فاس، المغرب، الطبعة 1، 1433هـ/ 2012م.
- 113-المؤسسة المسجدية في زمن عاصف -ملاحظات ميدانية في الحالة التونسية-: منير السعيداني، بحث محكم لمؤسسة دراسات وأبحاث: مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 17 دجنبر 2015م.
- 114-المجتمع الإسلامي: أحمد شلي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط6، 1983م.
- 115-مجموع الفتاوى: أحمد ابن تيمية الحراني (ت728هـ)، تحقيق: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/ 1995م.
- 116-محاضرات في مقاصد الشريعة: أحمد الريسوني، دار الكلمة، القاهرة، مصر، ط4، 1436هـ/ 2015م.

- 117- مختار الصحاح: زين الدين الحنفي الرازي (ت666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت -صيدا، لبنان، ط5، 1420هـ / 1999م.
- 118- مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، ط11، 1431هـ / 2010م.
- 119- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات حافظ الدين النسفي (ت710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ / 1998م.
- 120- المدارس والكتاتيب القرآنية -وقفات تربوية وإدارية-: إصدار مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار الكتب المصرية، ط3، 1428هـ / 2007م.
- 121- المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي: أبو الفيض أحمد بن الصديق الغماري (ت1380هـ)، دار الكتب، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 1996م.
- 122- المدخل: أبو عبد الله ابن الحاج المالكي العبدري الفاسي (ت737هـ)، دار التراث، بدون طبعة ولا تاريخ ولا بلد.
- 123- المدونة: مالك بن أنس (ت179هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ / 1994م.
- 124- مدينة موكادور-السّوية-دراسة تاريخية وأثرية-: مينة المغاري، دار أبي رقرق، الرباط، المغرب، ط1، 2006م.
- 125- المراسيل: أبو داود السجستاني (ت275هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ.
- 126- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن عبيد الله المباركفوري (ت1414هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس، الهند، ط3، 1404هـ / 1984م.
- 127- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت1014هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ / 2002م.
- 128- المساجد: حسين مؤنس، إصدار مجلة عالم المعرفة، العدد 37، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1981م.
- 129- مساجد صنعاء -عامرها وموفيها-: محمد بن أحمد الحجري، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، 1425هـ / 2004م.
- 130- مساجد في السيرة النبوية: سعاد ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.
- 131- المساجد في المدن العربية: المعهد العربي لإنماء المدن، وزارة الإعلام، 1410هـ / 1990م.

- 132-مساجد القيروان: نجوى عثمان، دار عكرمة، مكتبة الأسد، دمشق، سوريا، ط1، 2000م.
- 133-مساجد مدينة درنة-دراسة أثرية-: فتح الله محمد أبو عزة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2012م.
- 134-مساجد مدينة دلهي -دهلي- في الهند -دراسة أثرية معمارية-: سعد الحليبه، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ / 2010م.
- 135-مساجد مراکش عبر التاريخ: أحمد متفكر، الوراقة الوطنية، مراکش، المغرب، ط3، 1431هـ / 2010م.
- 136-المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ / 1990م.
- 137-المسجد في الإسلام: خير الدين واثلي، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، ط1، 1391هـ / 1971م.
- 138-المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني: محمد هنزاع الشهري، دار القاهرة، مصر، ط1، 2003م.
- 139-المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي: علي عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، مصر، بدون طبعة، 1976م.
- 140-المسجد وترسيخ الفكر الوجداني بالمغرب: محمد أمrani علوي، مطبعة الودغريون، الرشيدية، المغرب، ط1، 2012م.
- 141-المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ / 1990م.
- 142-مسند أبي بكر ابن أبي شيبة العبسي (ت235هـ): تحقيق: عادل العزازي وأحمد المزيدي، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1997م.
- 143-مسند أبي يعلى الموصلي (ت307هـ): تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، ط1، 1404هـ / 1984م.
- 144-مسند الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط/عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ / 2001م.
- 145-مسند البزار المنثور باسم البحر الزخار: أبو بكر أحمد العتكي (ت292هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1998م/2009م.

- 146- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: أبو نعيم الأصفهاني (ت430هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ / 1996م.
- 147- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم-صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ الطبعة.
- 148- المصنف: أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني (ت211هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ.
- 149- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2010م.
- 150- المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (ت360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون طبعة ولا تاريخ.
- 151- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1364هـ / 1945م.
- 152- معرفة السنن والآثار: أبو بكر البيهقي (ت458هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعي، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي-باكستان) ودار قتيبة (دمشق-بيروت) ودار الوعي (حلب-دمشق) ودار الوفاء (المنصورة-القاهرة)، ط1، 1412هـ / 1991م.
- 153- مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (ت606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1420هـ.
- 154- مقاييس اللغة: ابن فارس (ت395هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1399هـ / 1979م.
- 155- مكانة المسجد ورسالته: منصور الرفاعي عبيد، مطبعة العاصمة، القاهرة، مصر، ط1، 1978م.
- 156- مكاتبات المساجد-دراسة تاريخية-: مكّي بن نسيب السباعي، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ / 2006م.
- 157- ممارسة علم الاجتماع: سيرج بوغام، ترجمة منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، دجنبر 2012م.
- 158- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: حمزة محمد قاسم، مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية، 1410هـ / 1990م.

- 159-مناهج البحث العلمي: سلمان زيدان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1432هـ/ 2011م.
- 160-منهجية البحث وتحليل المضمون: أحمد أوزي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2015م/2016م.
- 161-موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان: نور الدين الهيثمي (ت807هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني وعبدالله علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، سوريا، ط1، 1412هـ/1992م.
- 162-الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار السلاسل، الكويت، 1427هـ.
- 163-الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة: حسين بن عودة العوايشة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ.
- 164-الموطأ: مالك بن أنس (ت179هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406هـ/ 1985م.
- 165-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، بدون طبعة ولا تاريخ.
- 166-نيل الأوطار: محمد بن علي الشوكاني (ت1250هـ)، تحقيق: عصام الدين الصباطي، دار الحديث، مصر، ط1، 1413هـ/ 1993م.
- 167-الوابل الصيب من الكلم الطيب: شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط3، 1999م.
- 168-وسائل الدعوة إلى الله تعالى في المسجد النبوي: إدارة التوجيه والإرشاد بالمسجد النبوي، المملكة العربية السعودية.
- 169-الوسيط في رسالة المسجد العسكرية: محمود شيت خطاب، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط7، 1401هـ/ 1981م.
- 170-وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: أبو الحسن السمهودي (ت911هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ.

الدوريات والسلسلات والمجلات الورقية:

- 1-الإرشاد: العدد 87، السنة 18، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 1986م، مقال: المسجد ودوره الحضاري والإنساني/ عبد القادر العافية.

- العدد 3، السنة: 22، 1412هـ / 1992م، مقال: المسجد ودوره الفعال في ترسيخ الدعوة/ ذ علال البوزيدي.
- 2- أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا: زليطن، 1992، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، مقال: دور المسجد في إثراء الحياة الفكرية بولاية طرابلس الغرب خلال الحكم العثماني: محمد الطوير.
- 3- إنسانيات: دفتر رقم 1، منشورات crasc، الحركة الجمعوية في الجزائر-الواقع والآفاق-، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، 2005م، مقال: التنظيمات المسجدية/ ذ رؤوف القاسمي.
- 4- التذكرة: المجلس العلمي المحلي للدار البيضاء الكبرى، المغرب، العدد 4/3، 1426هـ / 2005م، مقال: محو الأمية في المساجد عملية رائدة/ ذة زبيدة هرماس.
- 5- التراث الشعبي: العدد 9، دار الحرية، بغداد، العراق، 1398هـ / 1978م، مقال: مساجد البادية المغربية، إدريس كرم.
- 6- حوليات كلية اللغة العربية (مجلة سنوية): العدد 3، كلية اللغة، مراكش، المغرب، 1415هـ / 1994م، مقال: مسجد ابن يوسف وإشعاعه العلمي والثقافي/ محمد السعيد.
- 7- دراسات تاريخية: إصدار بيت الحكمة، العدد: 36، السنة: 12، 1999م، بغداد، العراق، طبعة: مؤسسة تائر العصامي، 1434هـ / 2013م، مقال: أهم المساجد والمدارس الحفصية ودورها الفكري/ ذ علي عطية شرقي.
- 8- دعوة الحق: العدد 308، السنة 36، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، مارس 1995، مقال: المسجد ودوره الحضاري في الغرب الإسلامي، أحمد بودهان.
- مجلة: دعوة الحق، العدد 241، المغرب، 1984م، مقال: الإمامة ورسالة المسجد/ عبد العزيز بغداد.
- 9- الراشد: عدد 80/82، الشارقة، الإمارات، صفر 1425هـ / 2004م، مقال: المساجد في عيون الرحالة العرب/ د خليل حسن الزركاني.
- 10- صوت المجلس: العدد: 2 و3، صفرو، المغرب، 1433هـ / 2011م، مقال: بلاغة الإقناع في الخطاب المسجدي/ الحسن الطاهري.
- 11- طنجة في التاريخ المعاصر (1800-1956)، مقال: المسجد ودوره في اليقظة الطنجية لمناهضة الاستعمار، العربي بوسلهام، كلية الآداب، الرباط، السنة: 1991م.
- 12- العلوم القانونية: العدد الأول، السنة: 2013م، مقال: السياسة الدينية بالمغرب-وظيفة المسجد أمموذج- / عبد الحفيظ ماموح.

- 13- عمران: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 2، المجلد 1، بيروت، 2012م، مقال: الدولة والمساجد وقيمها في المغرب/ عبد الحكيم أبو اللوز.
- 14- الفرقان: العدد 68، 1433هـ / 2012م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، مقال: المسجد والضبط الاجتماعي - قراءة سوسيولوجية في وظائف المسجد - / ذ: صالح النشاط.
- 15- مؤمنون بلا حدود، محور: تحديد التعليم الديني، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2016م، مقال: التعلم الديني من الحلقات المسجدية إلى المؤسسة/ عبد السلام الجعماطي.
- 16- مجلة البحث العلمي: العدد 28، يوليو-دجنبر 1978م، الشريعة الإسلامية وتنظيم العمران: محمد أبو الأجنان.
- 17- مجلة البحوث الإسلامية: مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السنة 1395 هـ / 1396 هـ، العدد: 2، المملكة العربية السعودية، الرياض، مؤتمر رسالة المسجد.
- 18- المعيار: العدد 4، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 1424هـ / 2003م، مقال: الدور التربوي والدعوي للمسجد أيام الثورة/ طوابة نور الدين (جامعة أدرار).
- 19- منار الهدى، ماي 2001، مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين، محمد الغزوي.
- 20- المنهل: العدد 629، جدة، المملكة العربية السعودية، جمادى 1، 1356هـ / 1937م، مقال: المسجد موضوعا شعريا/ ذ فريد امعششو (المغرب).
- 21- الناصرية: جامعة معسكر، الجزائر، العدد 2، دار الرشاد، يونيو 2012، مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي - المساجد والكنائس - / ذ بلال ريم، مقال: المرجعية الدينية الوطنية للخطاب المسجدي/ بودالية تواتية وسوالمية نورية.
- 22- نشرة الأئمة والخطباء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، العدد 5، شوال 1424هـ / دجنبر، 2003م، مقال: المنظومة الوظيفية لخطبة الجمعة في البناء الحضاري للأمة/ فتيحة عبدلاوي، العدد 3، 1424هـ / 2003م، مقال: دور المسجد ورسالته / عبد الله بوغوتة.
- 23- النظام القانوني للأموال الوقفية، ج1، مجلة القضاء المدني، جمع: زكرياء العماري، مقال: الطبيعة القانونية للمسجد في ضوء التشريع المغربي والمقارن، أحمد الريسوني.
- 24- نوافذ، السنة 10، العدد 39 / 40، الرباط، المغرب، مارس 2009، مقال: المساجد والتحكم الديني للدولة بالمغرب/ عبد الهادي أعراب.

الموسوعات والمواقع الإلكترونية:

- 1- فتاوى معاصرة: يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، تحميل نسخة إلكترونية من موقع: www.kotobarabia.com، بتاريخ: 2018/9/16.
- 2- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية: العدد 104 / 103، موقع الجامعة على الإنترنت.
- 3- المكتبة الوقفية للمكتب المصورة <http://waqfeya.com>.
- 4- موسوعة ويكيبيديا en.m.wikipedia.org.
- 5- الموقع الإلكتروني: الإسلام سؤال وجواب، المشرف العام: محمد صالح المنجد، سؤال رقم: 126090.

الفهرس التفصيلي

لموضوعات البحث:

مقدمة البحث: وتحتوي العناصر الآتية: ص2

- كلمة شكر وتقدير ص3
- إشكالية البحث ص4
- موضوع البحث وأهميته وأسباب اختياره ص5
- الدراسات السابقة حول موضوع البحث ص9
- أهداف البحث ص11
- حدود البحث وقيمه ص13
- مفاهيم البحث ص15

الفصل الأول: النشاط السلوكي لمؤسسة المسجد التفاعلي وأثره الإيماني.

- 1.1 النشاط السلوكي لمؤسسة المسجد ص25
- 1.1.1 التطهر والتنظيف بمؤسسة المسجد ص25
- 2.1.1 النشاط الحركي والكلام بمؤسسة المسجد ص34
- 3.1.1 العمارة المسجدية ص39
- 2.1 الأثر الإيماني لمؤسسة المسجد ص45
- 1.2.1 مؤسسة المسجد والتوحيد ص46
- 2.2.1 أثر الصلاة المسجدية على السلوك الفردي ص52
- 3.2.1 مؤسسة المسجد وتقوية الإيمان ص57

الفصل الثاني: النشاط العلمي والتربوي لمؤسسة المسجد التفاعلي.

- 1.2 النشاط العلمي لمؤسسة المسجد ص64
- 1.1.2 مؤسسة المسجد والتعلم ص64

2.1.2. مؤسسة المسجد التفاعلي والعلماء.....	ص70
3.1.2. معالم التدريس بمؤسسة المسجد التفاعلي.....	ص75
2.2. النشاط التعليمي التربوي لمؤسسة المسجد التفاعلي.....	ص81
1.2.2. الحلقات القرآنية والكتاب المسجدي.....	ص81
2.2.2. الجمعة وأثرها التربوي الإصلاحي.....	ص86
3.2.2. الوعظ المسجدي.....	ص94

الفصل الثالث: النشاط الاجتماعي والاقتصادي لمؤسسة المسجد التفاعلي.

1.3. النشاط الاجتماعي لمؤسسة المسجد التفاعلي.....	ص101
1.1.3. المسجد المؤسسة.....	ص102
2.1.3. التعارف الإنساني والجماعة المسجدية.....	ص110
3.1.3. مؤسسة المسجد ومواكبة الحياة اليومية.....	ص116
2.3. النشاط الاقتصادي لمؤسسة المسجد التفاعلي.....	ص120
1.2.3. تدبير الحاجيات المادية للمسجد التفاعلي.....	ص120
2.2.3. التبرعات المسجدية.....	ص124
3.2.3. البيع بجوار المسجد.....	ص130

الفصل الرابع: النشاط السياسي والحضاري لمؤسسة المسجد التفاعلي.

1.4. النشاط السياسي لمؤسسة المسجد التفاعلي.....	ص136
1.1.4. المسجد ومناهضة الاستعمار.....	ص136

2.1.4. المسجد ووحدة الأمة.....	ص141
3.1.4. مؤسسة المسجد والأمن المؤدي للاستقرار.....	ص146
2.4. الإشعاع الحضاري لمؤسسة المسجد التفاعلي.....	ص151
1.2.4. مؤسسة المسجد التفاعلي والحضارة الإنسانية.....	ص152
2.2.4. مؤسسة المسجد وغير المسلم.....	ص159
3.2.4. الوظيفة الإعلامية للمؤسسة المسجدية.....	ص171

الفصل الخامس: المنهج المتبع في الدراسة وأدواته الإجرائية.

1.5. تبرير اختيارات منهجية شكلية.....	ص180
2.5. فرضيات البحث.....	ص181
3.5. منهج الدراسة النظرية.....	ص184
4.5. منهج الدراسة الميدانية.....	ص189
1.4.5. الأعمال المنهجية للاستمارة.....	ص189
2.4.5. الأعمال المنهجية للمقابلة.....	ص208
3.4.5. الأعمال المنهجية للاستجواب.....	ص211
4.4.5. الأعمال المنهجية للملاحظة.....	ص214

الفصل السادس: التحليل العاملي الاستكشافي لمعطيات الاستمارة الميدانية.

1.6. توصيف واستكشاف العامل الأول.....	ص219
1.1.6. توصيف العامل الأول.....	ص219

2.1.6.	استكشاف عناصر العامل الأول.....	ص222
2.6.	توصيف واستكشاف العامل الثاني.....	ص287
1.2.6.	توصيف العامل الثاني.....	ص287
2.2.6.	استكشاف عناصر العامل الثاني.....	ص288
3.6.	توصيف واستكشاف العامل الثالث.....	ص308
1.3.6.	توصيف العامل الثالث.....	ص308
2.3.6.	استكشاف عناصر العامل الثالث.....	ص309
4.6.	توصيف واستكشاف العامل الرابع.....	ص318
1.4.6.	توصيف العامل الرابع.....	ص318
2.4.6.	استكشاف عناصر العامل الرابع.....	ص319
5.6.	توصيف واستكشاف العامل الخامس.....	ص333
1.5.6.	توصيف العامل الخامس.....	ص333
2.5.6.	استكشاف عناصر العامل الخامس.....	ص334
6.6.	توصيف واستكشاف العامل السادس.....	ص345
1.6.6.	توصيف العامل السادس.....	ص345
2.6.6.	استكشاف عناصر العامل السادس.....	ص347
7.6.	توصيف واستكشاف العامل السابع.....	ص368
1.7.6.	توصيف العامل السابع.....	ص368

- 2.7.6. استكشاف عناصر العامل السابع.....ص369
- 8.6. توصيف واستكشاف العامل الثامن.....ص379
- 1.8.6. توصيف العامل الثامن.....ص379
- 2.8.6. استكشاف عناصر العامل الثامن.....ص380

الفصل السابع: التحليل الوصفي لمعطيات نتائج الاستمارة الميدانية

- 1.7. التحليل الوصفي لجدول المتوسطات.....ص392
- 1.1.7. وصف النتائج المتوسطة ومقارنتها.....ص392
- 2.1.7. تحليل النتائج المتوسطة.....ص394
- 2.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد بالأمن.....ص398
- 1.2.7. توصيف العلاقة إحصائيا.....ص398
- 2.2.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص399
- 3.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بتدبير متطلباتها المادية.....ص400
- 1.3.7. توصيف العلاقة إحصائيا.....ص400
- 2.3.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص400
- 4.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد بالعلاج النفسي.....ص401
- 1.4.7. توصيف العلاقة إحصائيا.....ص401
- 2.4.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص402
- 5.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بالوسطية والاعتدال.....ص404
- 1.5.7. توصيف العلاقة إحصائيا.....ص404

- 2.5.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص405
- 6.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد بالطفل.....ص406
- 1.6.7. توصيف العلاقة إحصائيا.....ص406
- 2.6.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص407
- 7.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة المسجد بتربية أهله على الأدب وحسن التعامل.....ص410
- 1.7.7. توصيف العلاقة إحصائيا.....ص410
- 2.7.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص411
- 8.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بجمع الزكاة توزيعها.....ص412
- 1.8.7. توصيف العلاقة إحصائيا.....ص412
- 2.8.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص412
- 9.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بظاهرة النوم فيه.....ص415
- 1.9.7. توصيف العلاقة إحصائيا.....ص415
- 2.9.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص416
- 10.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بالمعاق.....ص418
- 1.10.7. توصيف العلاقة إحصائيا.....ص418
- 2.10.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص419
- 11.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي باللغات.....ص421
- 1.11.7. توصيف العلاقة إحصائيا.....ص421
- 2.11.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص422

- 12.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بالدورات التكوينية.....ص424
- 1.12.7. توصيف العلاقة إحصائياً.....ص424
- 2.12.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص424
- 13.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بتوظيف وسائل وتقنيات الإعلام والاتصال.....ص426
- 1.13.7. توصيف العلاقة إحصائياً.....ص426
- 2.13.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص427
- 14.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة المسجد التفاعلي بالنقاش الفكري والمناظرات.....ص429
- 1.14.7. توصيف العلاقة إحصائياً.....ص429
- 2.14.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص429
- 15.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بحملات التبرع بالدم.....ص431
- 1.15.7. توصيف العلاقة إحصائياً.....ص431
- 2.15.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص432
- 16.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي باستقطاب الشباب.....ص434
- 1.16.7. توصيف العلاقة إحصائياً.....ص434
- 2.16.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص435
- 17.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بالتسول.....ص437
- 1.17.7. توصيف العلاقة إحصائياً.....ص437
- 2.17.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....ص438

18.7. التوصيف والتحليل الإحصائي لعلاقة مؤسسة المسجد التفاعلي بالتخطيط التصميمي المسابر للعصر.....	ص439
1.18.7. توصيف العلاقة إحصائيا.....	ص439
2.18.7. التحليل الوصفي للنتائج الإحصائية.....	ص440
خاتمة البحث.....	ص442
الملاحق المستخدمة في إنجاز البحث.....	ص447
فهرس الآيات الواردة في البحث.....	ص467
فهرس الأحاديث النبوية الواردة في البحث.....	ص473
فهرس المصادر والمراجع المضمنة في البحث.....	ص485
الفهرس الموضوعي للبحث.....	ص502